زاد المسير

في علم التفسير

للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

تحقيق
عبد الرزاق المهدي

المجلد الثالث
(سورة الإسراء - سورة ص)

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

ISBN: 9953-27-016-3

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

ISBN 9953-27-016-3
9 789953 270166

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون : 861178 - 800832 - 800811
فاكس: 961-1-805478 - ص.ب.: 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني:academia@dm.net.lb

زاد المسير

في علم التفسير

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
١٧ ـ تفسير سورة الإسراء	٧
١٨ ـ تفسير سورة الكهف	٦٣
١٩ ـ تفسير سورة مريم	١١٦
٢٠ ـ تفسير سورة طه	١٥٠
٢١ ـ تفسير سورة الأنبياء	١٨٤
٢٢ ـ تفسير سورة الحج	٢٢٠
٢٣ ـ تفسير سورة المؤمنون	٢٥٤
٢٤ ـ تفسير سورة النور	٢٧٥
٢٥ ـ تفسير سورة الفرقان	٣١١
٢٦ ـ تفسير سورة الشعراء	٣٣٤
٢٧ ـ تفسير سورة النمل	٣٥٢
٢٨ ـ تفسير سورة القصص	٣٧٤
٢٩ ـ تفسير سورة العنكبوت	٣٩٨
٣٠ ـ تفسير سورة الروم	٤١٥
٣١ ـ تفسير سورة لقمان	٤٢٩
٣٢ ـ تفسير سورة السجدة	٤٣٧
٣٣ ـ تفسير سورة الأحزاب	٤٤٦
٣٤ ـ تفسير سورة سبأ	٤٨٩
٣٥ ـ تفسير سورة فاطر	٥٠٥
٣٦ ـ تفسير سورة يس	٥١٦
٣٧ ـ تفسير سورة الصافات	٥٣٥
٣٨ ـ تفسير سورة صٓ	٥٥٧

سورة الإسراء

ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

فصلٌ في نُزولها: هي مكيَّةٌ في قول الجماعة، إلاَّ أنَّ بعضَهم يقول: فيها مدَنيٌّ، فرُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: هي مكيَّةٌ إلاَّ ثمانِ آياتٍ: مِنْ قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿نَصِيرًا﴾[1]، وهذا قولُ قَتادَةَ. وقال مُقاتِلٌ: فيها مِنَ المَدنيِّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾[3] وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ والتي تليها[7].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ﴾.

[٨٨٩] رَوي عن النبيِّ ﷺ أنه سُئِلَ عن تفسير «سُبحانَ اللَّهِ»، فقال: «تَنْزيهُ اللَّهِ عن كلِّ سُوءٍ»، وقد ذكرنا هذا المعنى في سورة البقرة[8].

قال الزَّجَّاجُ: و «أسرى»: بمعنى: «سَيَّر عبدَهُ»، يقال: أسرَيْتُ وسَرَيْتُ: إذا سِرتَ ليلاً. وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾[9].

وفي معنى التَّسبيح ها هنا قولان: **أحدهما:** أنَّ العرب تُسبِّح عند الأمرِ المُعجِبِ، فكأنَّ الله تعالى عَجَّبَ العبادَ ممَّا أسدَى إلى رسولِه مِنَ النِّعمة. **والثاني:** أنْ يكون خُرِّجَ الرَّدُّ عليهم، لأنه لمَّا حدَّثهم

---

[٨٨٩] ضعيف جداً. أخرجه البزار ٣٠٨٢ والحاكم ١/ ٥٠٢ من طريق عبد الرحمن بن حماد عن حفص بن سليمان عن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير... الحديث. صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: بل لم يصح، فإن طلحة منكر الحديث، قاله البخاري، وحفص واهٍ وعبد الرحمن، قال أبو حاتم: منكر الحديث. قلت: فهو إسناد ضعيف جداً، مسلسل بالضعفاء.

---

(١) سورة الإسراء: ٧٣، ٧٥. (٢) سورة الإسراء: ٨٠. (٣) سورة الإسراء: ١٠٧.
(٤) سورة الإسراء: ٦٠. (٥) سورة الإسراء: ٧٣. (٦) سورة الإسراء: ٧٦.
(٧) سورة الإسراء: ٧٤ و ٧٥. (٨) سورة البقرة: ٣٢. (٩) سورة الفجر: ٤.

بالاسرَاء، كذَّبُوه، فيكون المعنى: تنزَّه الله أنْ يتَّخذَ رسولاً كذَّاباً. ولا خلافَ أنَّ المراد بعبده هاهنا: محمَّدٌ ﷺ. وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه أُسرِيَ به مِنْ نَفسِ المسجد، قاله الحَسنَ، وقَتادَةُ. ويسندُهُ حديثُ مالكِ بنِ صَعْصَعةَ، وهو في (الصحيحين):

[٨٩٠] «بينما أنا في الحَطِيْم» وربما قال بعضُ الرُّواة: في «الحِجْر»[١].

والثاني: أنه أُسرِيَ به مِنْ بيت أمِّ هانئ[٢]، وهو قولُ أكثرِ المُفسِّرين[٣]، فعلى هذا يعني بالمسجدِ الحرام: الحرم. والحَرمُ كلُّه مسجدٌ، ذكره القاضي أبو يَعلَى وغيرُه.

فأمَّا ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ فهو بيتُ المَقدِس، وقيل له: الأَقصَى، لبُعدِ المسافةِ بين المسجدَين. ومعنى ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: أنَّ الله أجرَى حولَهُ الأنهارَ، وأنبتَ الثِّمارَ. وقيل: لأنه مَقرُّ الأنبياء، ومَهْبِطُ الملائكة. واختلف العلماء، هل دخلَ بيتَ المَقدِس، أم لا؟

[٨٩١] فروى أبو هُريرةَ أنه دخل بيتَ المَقدِس، وصلَّى فيه بالأنبياء، ثم عُرِجَ به إلى السماء. وقال حُذيفةُ بنُ اليَمانِ: لم يدخل بيتَ المَقدِسِ ولم يُصلِّ فيه، ولا نزلَ عن البُرَاقِ حتى عُرِجَ به[٤]. فإنْ

---

[٨٩٠] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ و ٣٣٩٣ و ٣٤٣٠ و ٣٨٨٧، وابن حبان ٤٨، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٨٧ من طرق عن أنس عن مالك بن صعصعة.

[٨٩١] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٢ والنسائي في «الكبرى» ١١٢٨٤، وابن منده في «الإيمان» ٧٤٠ من طريق حجين بن المثنى به. وأخرجه أبو عوانة ١/ ١٣١، وابن منده ٧٤٠ من طريق أحمد بن خالد الوهبي به وأربعتهم عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به، من حديث أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر. وقريش تسألني عن مسراي. فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها. فكربت كربةً ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه. ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به. وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء. فإذا موسى قائم يصلي. فإذا رجل ضرب جعدٌ كأنه من رجال شنوءة. وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي. أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي. أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم. فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلّم عليه. فالتفت إليه فبدأني بالسلام». واللفظ لمسلم.

---

(١) هو عند مسلم ١٧٢ من حديث أبي هريرة، وانظر الآتي.

(٢) ورد من وجوه متعددة بأسانيد بعضها ضعيف، وبعضها حسن، انظر «الدر المنثور». وانظر التعليق الآتي.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٢٠٤: هو شك من قتادة كما بينه أحمد، عن عفان عن همام ولفظه «بينا أنا نائم في الحطيم، وربما قال قتادة: في الحجر» والمراد بالحطيم هنا الحجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام، أو بين زمزم والحجر، وهو وإن كان مختلفاً في الحطيم هل هو الحجر أم لا، لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع فيها ذلك، ومعلوم أنها لم تتعدد، لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها. وجاء في رواية: «بينا أنا عند البيت» وهو أعم، وفي رواية أخرى: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة» وفي رواية غيرها أنه أسري به من شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته ـ وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه ـ فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكأن به مضطجعاً وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد، فأركبه البراق. وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد، فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع.

(٤) أخرجه الطبري ٢٢٠٣٠ عن حذيفة به، وإسناده حسن لأجل عاصم بن بهدلة، فإنه صدوق يخطئ، وباقي الإسناد على شرطهما. ومع ذلك المتن غريب، والصحيح خلاف ما ذهب إليه حذيفة. وجاء في «الفتح» ١/ =

قيلَ: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وأنتم تقولون: صَعِدَ إلى السماء؟ فالجواب: أنَّ الإسراءَ كان إلى هنالك، والمِعراجَ كان مِنْ هنالك. وقيل: إنَّ الحكمةَ في ذِكْرِ ذلك، أنه لو أَخبرَ بصُعوده إلى السماء في بَدْءِ الحديث، لاشتَدَّ إنكارُهم، فلمَّا أخبر ببيت المَقْدسِ، وبَانَ لهم صِدقُه فيما أخبرَهُم به مِنَ العَلاماتِ الصَّادقةِ، أخبر بمِعراجه.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يعني: ما رأى تلك الليلةَ مِنَ العَجائبِ التي أخبرَ بها الناسَ. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمَقَالَةِ قُريشٍ، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بها. وقد ذكرنا في كتابنا المسمَّى بِـ «الحدائق» أحاديثَ المِعراجِ، وكرِهنَا الإطالةَ ها هنا.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ لمَّا ذكر في الآيةِ الأُولى إكرامَ محمَّدٍ ﷺ، ذكر في هذه كَرامةَ موسى. و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراة. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: دَلَلْناهُم به على الهُدى. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ قرأ أبو عمرٍو: «يتخذوا» بالياء، والمعنى: هَديناهُم لئلاَّ يتَّخذوا، وقرأ الباقون بالتاء، قال أبو عليٍّ: وهو على الانصِرَافِ إلى الخطابِ بعد الغَيْبَةِ، مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. قوله تعالى: ﴿وَكِيلًا﴾ قال مجاهِدٌ: شَريكاً. وقال الزَّجاجُ: رَبًا. قال ابنُ الأنباري: وإنما قيل للرَّبِّ: وَكِيْل، لِكفَايَتِه وقيامِه بشأنِ عبادِه، مِنْ أجلِ أنَّ الوَكيلَ عندَ الناس قد عُلِمَ أنه يقوم بشؤون أصحابه، وتفقُّدِ أمورِهم، فكان الرَّبُّ وَكِيلاً مِنْ هذه الجِهَةِ، لا على معنى ارتفاع منزلَةِ المُوكِّل وانحطاطِ أمرِ الوَكِيْلِ.

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ قال مُجاهِدٌ: هو نداءٌ: يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَملنَا. قال ابنُ الأنباري: مَنْ قرأ: «ألاَّ تتخذوا» بالتاء، فإنه يقول: بعدَ الذُّرِّيَّةِ مُضمرٌ حُذفَ اعتماداً على دلالةِ ما سبق، تلخيصُه: يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حملنا مع نوحٍ لا تتَّخذوا وَكيلاً، ويجوز أنْ يُستغنى عن الإضمَارِ بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ لأنه بمعنى: اشكروني كَشُكرِه. ومَنْ قرأ: «ألاَّ يتَّخذوا» بالياء، جعل النداءَ مُتصلاً بالخطابِ، و «الذُّرِّيَّة» تَنتصبُ بالنداءِ، ويجوز نصبُها بالاتِّخاذ على أنها مفعولٌ ثانٍ، تلخيصُ الكلام: ألاَّ يتَّخذوا ذُرِّيَّةَ مَنْ حمَلنا مع نُوحٍ وكيلاً. قال قَتادةُ: الناسُ كلُّهم ذُرِّيَّةُ مَنْ أنجى اللَّهُ في تلك السفينة. قال العلماء: ووجه الإنعام على الخَلق بهذا القول، أنهم كانوا في صلب من نجا. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ قال سلمان الفارسي: كان إذا أكل قال: «الحمد لله» وإذا شرب قال: «الحَمدُ لله». وقال غيرُه: كان إذا لبسَ ثوباً قال: «الحمدُ لله» فسَمَّاه اللَّهُ «عبداً شكوراً».

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

= ٤٦٥: فائدة: ذهب جماعة إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد. وذهب الحربي إلى أن الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي.

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فيه قولان[١]: **أحدهما**: أخبرناهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: قَضينا عليهم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال قَتادَةُ، فعلى الأَوَّلِ: تكون ﴿إِلَىٰ﴾ على أصلِها، ويكون الكتابُ: التَّوراة، وعلى الثاني: تكون ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى «على»، ويكون «الكتاب»: الذِّكْرُ الأَوَّلُ.

قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أرضَ مِصْرَ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي ومُخالفةِ التَّوراة. وفي من قَتلُوه مِنَ الأنبياء في الفَسادِ الأَوَّلِ قولان: **أحدهما**: زكريَّا، قاله السُّدِّيّ عن أشياخه. **والثاني**: شَعْيا، قاله ابنُ إسحاقَ. فأمَّا المَقتولُ مِنَ الأنبياء في الفَسادِ الثاني: فهو يَحيَى بنُ زكريَّا. قال مُقاتِلٌ: كان بينَ الفَسادَيْنِ مائتا سنةٍ وعشرُ سنين. فأمَّا السَّببُ في قَتْلِهم زكريَّا، فأنهم اتَّهمُوه بمريمَ، وقالوا: منه حَمَلَتِ، فهرب منهم، فانفتحتْ له شَجرةٌ فدخل فيها وبقي مِنْ ردائه هدب، فجاءهم الشَّيطانُ فَدَلَّهم عليه، فقطعوا الشجرةَ بالمِنشارِ وهو فيها. وأما السببُ في قَتْلِهم «شَعْيا»، فهو أنه قام فيهم برسالةٍ مِنَ الله ينهَاهُم عن المعاصي. وقيلَ: هو الذي هرب منهم فدخلَ في الشجرة حتى قَطعُوه بالمِنشارِ، وأنَّ زكريَّا مات حَتْفَ أنفِه. فأمَّا السببُ في قَتْلِهم يَحيَى بنِ زكريَّا، ففيه قولان: **أحدهما**: أنَّ مَلِكهم أراد نِكاحَ امرأةٍ لا تَحِلُّ له، فنَهاهُ عنها يَحيَى. ثم فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ابنةُ أخيه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ابنته، قاله عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ. **والثالث**: أنها امرأةُ أخيه، وكان ذلك لا يَصلُح عندهم، قاله الحُسينُ بن عليٍّ عليهما السلامُ. **والرابع**: ابنةُ امرأتِه، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه، وذكر أنَّ السببَ في ذلك: أنَّ مَلِكَ بَني إسرائيلَ هَوِيَ بنتَ امرأتِه، فسأل يحيَى عن نِكاحِها، فنَهاهُ، فحَنقَتْ أمُّها على يحيَى حين نَهَاهُ أنْ يتزوَّجَ ابنتَها، وعَمدَتْ إلى ابنتها فزيَّنتها وأرسلَتْهَا إلى المَلِكِ حين جلس على شرابه، وأَمَرتْها أنْ تسقيَه، وأنْ تعرضَ له، فإنْ أرادها على نَفْسِها، أَبَتْ حتى يُؤتى برأس يَحيَى بنِ زكريَّا في طَسْتٍ، ففعلَتْ ذلك، فقال: وَيْحَكِ سَلِيْني غيرَ هذا، فقالت: ما أريدُ إلاّ هذا، فأمرَ، فأُتيَ برأسِه والرأسُ يتكلَّمُ ويقول: لا تَحِلُّ لكَ، لا تَحِلُّ لكَ. **والقول الثاني**: أنَّ امرأةَ المَلِكِ رَأَتْ يَحيى عليه السَّلامُ وكان قد أُعطِيَ حُسناً وجمالاً، فأرادَتْهُ على نَفْسِه، فأَبَى، فقالت لابنَتِها: سَلِي أباكِ رأسَ يَحيى، فأعطاها ما سألَتْ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. قال العلماءُ بالسِّيَرِ: ما زال دَمُ يَحيى يغلي حتى قُتِلَ عليه مِنْ بَني إسرائيلَ سبعون ألفاً، فسَكنَ، وقيلَ: لم يَسكُنْ حتى جاء قاتِلُه، فقال: أنا قَتلتُهُ، فقُتِلَ، فسَكَنَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: لَتعظمُنَّ عن الطَّاعة ولَتبغُنَّ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: عقوبةُ أُولَى المَرَّتين ﴿بَعَثْنَا﴾ أي: أرسلنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ وفيهم خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم جالُوتُ وجنُوده، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: «بُخْتَنَصَّر»، قاله سعيدُ بنُ المُسيِّبِ، واختاره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثالث**: العَمالِقَةُ، وكانوا كُفَّاراً، قاله الحَسنُ. **والرابع**: سنْحَارِيبُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: قومٌ مِنْ أهل فارسَ، قاله مُجاهِدٌ. وقال ابنُ زيدٍ:

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٤: يقول الله تعالى: إنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أي تقدّم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم: أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً، أي يتجبرون ويطغون على الناس. كما قال تعالى: **﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾**، أي تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه.

سَلَّطَ اللَّهُ عليهم سَابُور ذا الأكتافِ مِنْ مُلوكِ فارسَ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ذَوي عَددٍ وقوةٍ في القتال.

وفي قوله: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَشَوا بين منازلِهم، قاله ابنُ أبي طَلْحَة عن ابن عباس. وقال مجاهد: يتجسسون أخبارهم ولم يكن قتال. وقال الزَّجَّاجُ: طَافُوا خلال الدِّيار ينظرون هل بقي أحدٌ لم يَقتُلوه؟ و «الجَوسُ»: طَلَبُ الشيءِ باستِقصَاءٍ. **والثاني**: قَتلُوهم بين بُيوتِهم، قاله الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَة. **والثالث**: عَاثُوا وأفسَدُوا، يُقال: جَاسُوا وحَاسُوا، فهم يَجُوسُون ويَحُوسُون إذا فعلوا ذلك، قاله ابنُ قُتَيبةَ. فأمَّا الخِلالُ: فهي جَمْعُ خَلَلٍ، وهو الانفِراجُ بين الشيئين. وقرأ أبو رَزِينٍ، والحَسنُ، وابنُ جُبَيرٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «خلَلَ الديار» بفتح الخاءِ واللام مِنْ غير أَلِفٍ. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي: لا بُدَّ مِنْ كَونِه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أظفَرنَاكُم بهم. والكَرَّةُ، معناها: الرَّجعَةُ والدَّولَةُ، وذلك حين قَتَلَ داودُ جَالُوتَ وعاد مُلكُهم إليهم. وحكى الفَرَّاءُ أنَّ رجلاً دَعَا على «بُخْتَنَصَّرَ»؛ فَقتلَهُ اللَّهُ، وعاد مُلكُهم إليهم. وقيلَ: غزَوا مَلِكَ بَابِلَ فأخذوا ما كان في يَدِهِ مِنَ المال والأَسرَى. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أكثَرَ عَدَداً وأنصاراً منهم. قال ابنُ قُتَيبةَ: النَّفِيرُ والنَّافِرُ واحدٌ، كما يُقال: قَدِيرٌ وَقادِرٌ، وأصله: مَنْ يَنفِرُ مع الرجل مِنْ عشيرَتِه وأهلِ بيته.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـٔۥُاْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ أي: وقلنا لكُم إنْ أحسَنتُم فأطَعتُم اللَّهَ ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ﴾ أي: عاقبةُ الطاعة لكُم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفسادِ والمعاصي ﴿فَلَهَاۚ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى: فإلَيْها. **والثاني**: فعَلَيها. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ جوابُ «فإذا» مَحذوفٌ، تقديرُه: فإذا جاء وَعْدُ عُقوبةِ المَرَّةِ الآخِرَةِ مِنْ إفسَادِكُم، بعَثناهُم ليَسُوءُوا وجوهَكُم، وهذا الفَسادُ الثَّاني، هو قَتْلُهم يَحيى بنِ زكريَّا، وقَصدُهُم قَتل «عيسى» فرُفِع، وسَلَّطَ اللَّهُ عليهم مُلوكَ فارسَ والرُّوم فقتَلُوهم وسَبَوهُم، فذلك قوله تعالى: ﴿لِيَسُـٔۥُاْ وُجُوهَكُمْ﴾. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَفْصٌ عن عَاصِم: «ليسوؤوا» بالياء على الجميع والهَمْزِ بين الواوين، والإشارةِ إلى المَبْعُوثَيْن. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمْزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «ليسوء وجوهكم» على التَّوحيد؛ قال أبو عليٍّ: فيه وَجْهَان. أحدهما: لِيَسُوءَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ. والثانيّ: ليَسُوءَ البَعْثُ. وقرأ الكِسَائيُّ: «لنسوءَ» بالنون، وذلك راجعٌ إلى الله تعالى. وفيمن بعثَ عليهم في المَرَّةِ الثانية قولان: **أحدهما**: بُخْتَنَصَّرُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. وكثيرٌ مِنَ الرُّواة يأبى هذا القولَ، ويقولون: كان بين تَخريبِ «بُخْتَنَصَّرَ» بيت المَقْدسِ، وبين مَولِدِ يَحيى بنِ زكريَّا زمانٌ طويلٌ. **والثاني**: أنْطيَاخُوس الرُّوميّ، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى ﴿لِيَسُـٔۥُاْ وُجُوهَكُمْ﴾ أي: ليُدخِلوا عليكم الحُزنَ بما يفعلون مِنْ قَتلِكم وسَبيِكم، وخُصَّتِ المَسَاءةُ بالوجُوه، والمراد: أصحابُ الوجُوهِ، لِمَا يبدو عليها مِنْ أثرِ الحُزن والكَآبَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيتَ المَقْدسِ ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ في المَرَّةِ الأُولَى ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ أي: لِيُدمِّروا ويُخرِّبوا. قال الزَّجَّاجُ: يقال لكلِّ شيءٍ ينكسِرُ مِنَ الزُّجاجِ والحَديدِ والذَّهَبِ: تِبْرٌ. ومعنى ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ أي: لِيُدمِّروا في حالِ عُلوِّهم عليكم.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ هذا ممَّا وُعِدُوا به في التَّوراة، و «عسى» مِنَ اللَّهِ واجبةٌ، فرَحِمَهُم اللَّهُ بعدَ انتِقامِه منهم، وعَمرَ بلادَهُم، وأعادَ نِعمَهُم بعد سبعين سنةً. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى معصيتنا ﴿عُدْنَا﴾ إلى عُقوبَتِكُم. قال المُفسِّرون: ثم إنهم عادوا إلى المعصيةِ، فبعثَ اللَّهُ عليهم مُلوكاً مِنْ مُلوكِ فارسَ والرُّوم. قال قَتادَةُ: ثم كان آخرُ ذلك أنْ بعثَ اللَّهُ عليهم محمَّداً ﷺ، فهم في عذابٍ إلى يوم القيامة، فَيُعطُون الجِزيَةَ عن يَدٍ وهُمْ صَاغِرُون.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: سِجْناً، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ. وقال مُجاهِدٌ: يُحصَرون فيها. وقال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ: مَحْبَساً، وقال الزَّجَّاجُ: «حصيراً»: حَبْساً، أُخِذَ مِنْ قولكَ: حَصرتُ الرجلَ، إذا حَبَستَهُ، فهو مَحصُورٌ، وهذا حَصِيرُه، أي: مَحبسُهُ، والحَصِيرُ: المَنسُوجُ. سُمِّي حَصِيراً، لأنه حُصِرَتْ طَاقَاتُه بعضُها مع بعضٍ، ويقال للجَنْبِ: حَصِيرٌ، لأن بعضَ الأضلاع مَحصُورٌ مع بعضٍ. وقال ابنُ الأنباري: حَصِيْراً: بمعنى: حَاصِرَة، فصُرِفَ من حَاصِرةٍ إلى حَصِيرٍ، كما صُرِفَ «مؤلم» إلى أَلِيْم. **والثاني**: فِراشاً ومِهاداً، قاله الحسَنُ. قال أبو عُبيدَةَ: ويجوز أنْ تكونَ جهنَّمُ لهم مِهاداً بمنزلة الحَصِيرِ، والحَصِيرُ: البِساطُ الصغير.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ قال ابنُ الأنباري: «التي» وَصفٌ للجَمعِ، والمعنى: يَهدِي إلى الخِصَالِ التي هي أقومُ الخِصَالِ. قال المُفسِّرونَ: وهي توحيدُ اللَّهِ والإيمانُ به وبرُسُلِه والعملُ بطاعَتِه، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي: بأنَّ لَهُم ﴿أَجْرًا﴾ وهو الجنَّةُ، ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: ويُبشِّرهم بالعذاب، لأعدائِهم، وذلك أنَّ المؤمنين كانوا في أذىً مِنَ المشركين، فعَجَّلَ اللَّهُ لهمُ البُشْرَى في الدنيا بعقابِ الكافرين.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ وذلك أنَّ الإنسان يَدْعُو في حالِ الضَّجَرِ والغضب على نَفْسِه وأهلِهِ بما لا يُحبُّ أنْ يُستَجابَ له كما يَدْعُو لنَفسِه بالخَيْرِ. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يُعجِل بالدُّعاء بالشرِّ عند الغضب والضَّجَرِ عَجَلتَهُ بالدُّعاء بالخَيرِ.

وفي المُراد بالإنسان ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمُ جنسٍ يُراد به الناس، قاله الزَّجَّاجُ وغيرُه. **والثاني**: آدمُ، فاكتفى بذِكرِه مِنْ ذِكرِ وَلَدِه، ذكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: أنه النَّضرُ بنُ الحَارِثِ حينَ قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، قاله مُقاتِلٌ. وقال سلمانُ الفارسي: أول ما خَلَقَ

---

(١) سورة الأنفال: ٣٢.

اللَّهُ مِنْ آدمَ رأسُهُ، فجعلَ ينظُرُ إلى جَسدِهِ كيف يُخلَقُ، قال: فَبقِيَتْ رِجلاهُ، فقال: يا رَبِّ عَجِّلْ، فذلكَ قولُه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[1].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ أي: عَلامَتين يدلاّن على قُدرةِ خَالِقِهِمَا. ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ آيةَ الليل: القَمرُ، ومَحْوهَا: ما في بعض القَمرِ مِنَ الاسوِدَادِ. وإلى هذا المعنى ذهب عليٌّ رضيَ اللَّهُ عنه، وابنُ عباسٍ في آخرين. **والثاني**: آيةُ الليلِ مُحيَثُ بالظُّلمة التي جُعلَتْ مُلازمةً للَّيلِ؛ فنَسبَ المَحْوَ إلى الظُّلمَةِ إذْ كانت تَمحُو الأنوارَ وتُبطِلُها، ذكره ابنُ الأنباري. ويُروى أنَّ الشمسَ والقمرَ كانَا في النُّورِ والضَّوءِ سواءً، فأرسلَ اللَّهُ جِبريلَ فأَمَرَّ جناحَهُ على وَجْهِ القمرِ وطَمسَ عنه الضَّوءَ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ يعني: الشمسَ ﴿مُبْصِرَةً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: مُنيرةً، قاله قَتادةُ. قال ابنُ الأنباري: وإنما صَلحَ وصفُ الآية بالإبصارِ على جهة المَجازِ، كما يقال: لَعِبَ الدَّهرُ ببَنِي فُلانٍ. **والثاني**: أنَّ معنى ﴿مُبْصِرَةً﴾: مُبصَراً بها، قاله ابنُ قُتيبة. **والثالث**: أنَّ معنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ مُبصَّرةً، فجرى «مُفعِل»، مَجْرى «مُفعَّل»، والمعنى: أنها تُبَصِّرُ الناسَ، أي: تُريهم الأشياءَ، قاله ابنُ الأنباري. ومعاني الأقوالِ تَتقارَبُ.

قوله تعالى: ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لِتُبصِرُوا كيف تَتصرَّفون في أعمَالِكُم وتَطلُبون رِزقَكم بالنهار ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ بمَحْو آيةِ الليلِ، ولولا ذلك، لم يُعرَفِ الليلُ مِنَ النَّهارِ، ولم يُتبيَّنِ العَددُ. ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: ما يُحتاجُ إليه، ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ بيَّنَّاه تبييناً لا يلتبسُ معه بغَيْرِه.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ «وكلُّ» برفع وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيٌّ، والحسَنُ «ألزمناه طيره» بياءٍ ساكنةٍ مِنْ غير ألِفٍ. وفي الطَّائرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: شَقاوتُهُ وسَعادتُهُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال مُجاهِدٌ: ما مِنْ مولودٍ يُولَدُ إلاَّ وفي عُنُقِه ورقةٌ مكتوبٌ فيها شَقِيٌّ، أو سعيدٌ. **والثاني**: عَمَلُهُ، قاله الفرَّاءُ، وعن الحسَنِ كالقولَين. **والثالث**: أنه ما يُصيبه، قاله خُصَيفٌ. وقال أبو عُبيدةَ: حَظُّهُ. قال ابنُ قُتيبةَ: والمعنى فيما أرى ـ واللَّهُ أعلمُ ـ: أنَّ لكلِّ امرئٍ حَظًّا مِنَ الخيرِ والشَّرِّ قد قَضاهُ اللَّهُ عليه، فهو لازمٌ عُنقَهُ، والعربُ تقول لكلِّ ما لَزِمَ الإنسانَ: قد لَزِمَ عُنقَهُ، وهذا لكَ عليَّ وفي عُنُقِي حتى أخرجَ منه، وإنما قيلَ للحَظِّ مِنَ الخيرِ والشرِّ: «طائر»، لقولِ العرب: جَرَى له الطَّائرُ بكذا مِنَ الخيرِ، وجَرى له الطَّائرُ بكذا مِنَ الشرِّ، على طريق الفَألِ والطِّيرَةِ، فخاطَبَهُم اللَّهُ بما يستعملون،

---

(١) منكر. أخرجه الطبري ٢٢١١٦ عن سلمان الفارسي موقوفاً، وإسناده ضعيف، إبراهيم النخعي عن سلمان منقطع، والمتن منكر، والأشبه أنه متلقى عن كتب الأقدمين.

وأعلَمَهم أنَّ ذلك الأمرَ الذي يجعلونه بالطَّائِرِ، هو الذي يُلزِمُه أعناقَهم. وقال الأزهريُّ: الأصلُ في هذا أنَّ اللَّه تعالى لمَّا خلقَ آدمَ، علم المُطيعَ مِنْ ذُرِّيَّتِه، والعاصي، فكتب ما عَلِمَهُ منهم أجمعين، وقَضَى سعادةَ مَنْ عَلِمَهُ مُطيعاً، وشقاوةَ مَنْ عَلِمَهُ عاصياً، فصارَ لكلٍّ منهم ما هو صائِرٌ إليه عند خَلْقِه وإنشائِه، فذلك قوله: ﴿أَلْزَمْنَهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾. **والرابع**: أنه ما يَتطَيَّر مِنْ مثله مِنْ شيءٍ عَمِلَهُ، وذِكْرُ العُنُقِ عبارةٌ عن اللزومِ له، كَلُزومِ القِلادَةِ العُنُقَ مِنْ بين ما يُلبَسُ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. وقال ابنُ الأنباري: الأصلُ في تسميتِهم العملَ طائِراً، أنهم كانوا يَتطيَّرون مِنْ بعض الأعمالِ.

قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾ قرأ أبو جَعفرَ: «ويُخرَج» بياءٍ مضمومةٍ وفتح الراءِ. وقرأ يَعقوبُ. وعبدُ الوَارثِ: بالياءِ مفتوحةً وضمِّ الراءِ. وقرأ قَتادَةُ، وأبو المُتوكِّلِ: «ويُخرِج» بياءٍ مرفوعةٍ وكسرِ الراءِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، والأعرَجُ: «وتَخرُجُ» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفع الراءِ، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ: «كتاب» بالرفع، يلقاه وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو جعفرَ «يُلقّاه» بضمِّ الياءِ وتشديدِ القافِ. وأَمَالَ حَمزَةُ، والكِسائيُّ القافَ. قال المُفسِّرون: هذا كتابُه الذي فيه ما عَمِلَ. وكان أبو السَّوّار العَدَوي إذا قرأ هذه الآيةَ قال: نَشْرَتانِ وطَيَّةٌ، أمَّا ما حَييتَ يا ابنَ آدمَ، فصحِيفَتُكَ مَنْشُورةٌ، فأَمْلِ فيها شِئْتَ، فإذا مُتَّ، طُوِيَتْ، ثم إذا بُعِثْتَ، نُشِرَتْ.

قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾، وقرأ أبو جعفر: «اقرا» بتخفيف الهمزة وفيه إضمار تقديره، فيقال له إقرأ كتابك. قال الحسَنُ: يقرؤه أُميّاً كان أو غيرَ أُمِّيٍّ، ولقد عَدلَ عليكَ مَنْ جَعلكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ. وفي معنى ﴿حَسِيبًا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُحاسِباً. **والثاني**: شَاهِداً. **والثالث**: كَافِياً، والمعنى: أنَّ الإنسانَ يُفوِّضُ إليه حسَابُه، ليعلمَ عَدْلَ الله بين العباد، ويرى وجُوبَ حُجَّةِ الله عليه، واستِحقَاقَهُ العقوبةَ، ويعلَمَ أنه إنْ دخلَ الجنَّةَ، فبِفَضْلِ الله، لا بعَمَلِه، وإنْ دخل النارَ، فبِذَنْبِه. قال ابنُ الأنباري: وإنَّما قال: ﴿حَسِيبًا﴾ والنَّفسُ مُؤنَّثةٌ، لأنه يعني بالنَّفسِ: الشَّخصَ، أو لأنه لا علامةَ للتَّأنيثِ في لَفظِ النَّفسِ، فشُبِّهت بالسماءِ والأرضِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾(١)، قال الشاعر:

ولا أرضَ أبـقـلَ إبـقـالَـهـا(٢)

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: له ثوابُ اهتِدَائِه، وعليه عِقابُ ضَلالِه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ أي: نَفْسٌ وَازِرَةٌ ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنَّ الوليدَ بنَ المُغيرة قال: اتَّبعُوني وأنا أحملُ أوزارَكُم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، قال أبو عُبيدَةَ: والمعنى: ولا تَأثَم آثِمَةٌ إثْمَ أُخرى. قال الزَّجَّاجُ: يقال: وَزَرَ، يَزِرُ، فهو وَازِر، وَزْراً، ووِزْراً، ووِزرَةً، ومعناه: أَثِمَ إثْماً. وفي تأويلِ هذه الآيةِ وَجْهان: **أحدهما**: أنَّ الآثمَ لا يُؤخَذُ بذَنْبِ غيره. **والثاني**: أنه

---

(١) سورة المزمل: ١٨.

(٢) هو عجز بيت لعامر بن جوين وصدره: «فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقها». كما في «الكتاب» ١/ ٢٠٥. وفي «اللسان» المزنة: السحابة، والودق: المطر.

لا ينبغي أنْ يعملَ الإنسانُ بالإِثم، لأنَّ غيرَه عَمِلَهُ، كما قال الكفّار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[(١)] ومعنى ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ أي: حتى نُبيِّنَ ما به نُعذِّبُ، وما مِنْ أجلِهِ نُدخلُ الجنَّةَ.

فصل: قال القاضي أبو يَعلَى: في هذا دليلٌ على أنَّ معرفةَ الله لا تَجِبُ عقلاً، وإنما تَجِبُ بالشَّرعِ، وهو بِعثَةُ الرُّسلِ، وأنه لو ماتَ الإنسانُ قبلَ ذلك، لم يُقطَعْ عليه بالنارِ[(٢)]. قال: وقيلَ معناه: أنه لا يُعذَّبُ في ما طريقُه السَّمعُ إلاَّ بقيامِ حُجَّةِ السَّمعِ مِنْ جهة الرَّسول، ولهذا قالوا: لو أسلَمَ بعضُ أهلِ الحَرْبِ في دَارِ الحربِ ولم يَسمَعْ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ونحوها، لم يَلزَمْهُ قضاءُ شيءٍ منها، لأنها لم تَلزَمْهُ إلاَّ بعدَ قيام حُجَّةِ السَّمعِ، والأصلُ فيه قصَّةُ أهلِ قُباء حين استَدَاروا إلى الكعبَةِ ولم يستأنِفُوا[(٣)]، ولو أسلَمَ في دارِ الإسلام ولم يعلمْ بفَرْضِ الصَّلاةِ، فالواجبُ عليه القضاءُ، لأنه قد رأى الناسَ يُصلُّون في المساجد بأذانٍ وإقامةٍ، وذلك دُعاءٌ إليها.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ

---

(١) سورة الزخرف: ٢٢.

(٢) قال القرطبي رحمه الله ١٠/٢٠٣: قوله تعالى **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** أي لم نترك الخلق سدى، بل أرسلنا الرسل. وفي هذا دليل على أن الأحكام لا تثبت إلا بالشرع خلافاً للمعتزلة القائلين بأن العقل يقبّح ويحسّن ويبيح ويحظر، والجمهور على أن هذا في حكم الدنيا أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد الرسالة إليهم والإنذار. وقالت فرقة: هذا عام في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: **﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا﴾** الملك: ٨. قال ابن عطية: والذي يعطيه النظر أنّ بَعْثَهُ آدَمَ عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الأدلة الدالة على الصانع مع سلامة الفِطَر توجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله، ثم تجدد ذلك في زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار. وهذه الآية يعطي احتمال ألفاظها نحو هذا في الذين لم تصلهم رسالة وهم أهل الفترات. فمن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل. وأما ما روي أن الله يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال، فحديث لم يصح، ولا يقتضي ما تعطيه الشريعة من أن الآخرة ليست دار تكليف. وقد احتج من قال ذلك بحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول ـ ثم تلا ـ **﴿ولو أنا أهلكنهم بعذابٍ من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾** ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود رب لم أدرك العمل فَتُرفع لهم نار فيقول لهم رِدُوها وادخلوها ـ قال ـ فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل فيقول الله تبارك وتعالى: «إياي عصيتم فكيف رسلي لو أتتكم». قلت: ضعيف. أخرجه الطبري ٢٤٤٦٦ من حديث أبي سعيد وفيه عطية العوفي ضعيف ولو صح مثل هذا لارتفع الخلاف في المولود وأهل الفترة ونحوهم. وروي عن أبي سعيد موقوفاً، وفيه نظر. والله أعلم.

(٣) حديث أهل قباء تقدّم في سورة البقرة: ١٤٢. وقد خرّج البخاري ٧٢٥٢ و ٣٩٩ و ٤٤٩٢ ومسلم ٥٢٥ والترمذي ٣٤٠ و ٢٩٦٢ والنسائي ٢/ ٦٠ وابن ماجة ١٠١٠ وابن حبان ١٧١٦ كلهم من حديث البراء: أن النبي ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وإنه صلى أول صلاة صلاّها العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان يصلي مع النبي ﷺ فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله، لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل البيت، فداروا كما هم قِبَل البيت. وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجال قتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله عز وجل **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾**.

ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ في سبب إرادتِه لذلك قولان: **أحدهما**: ما سَبَقَ لهُم في قَضَائِهِ مِنَ الشَّقاءِ. **والثاني**: عِنَادُهم الأنبياءَ وتكذيبُهم إيَّاهُم.

قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرأ الأكثرون: «أمَرْنَا» مخفَّفةً، على وَزْنِ «فَعَلْنا»، وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مِنَ الأَمْرِ، وفي الكلام إضمارٌ، تقديره: أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا بالطَّاعَةِ، ففَسَقُوا، هذا مذهبُ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. قال الزَّجَّاجُ: ومِثْلُه في الكلامِ: أَمرتُكَ فعَصيتَني، فقد عُلِمَ أنَّ المعصيةَ مُخالفةُ الأَمْرِ. **والثاني**: كَثَّرنا، يقال: أَمَرتُ الشيءَ وآمَرتُهُ، أي: كَثَّرتُه، ومنه قولهم: مُهرَةٌ مأمُورَةٌ، أي: كثيرةُ النِّتاجِ، يُقال: أَمِرَ بَنو فُلانٍ يأمَرُون أمراً: إذا كَثُروا، هذا قولُ أبي عُبيدَةَ، وابنِ قُتيبةَ. **والثالث**: أنَّ معنى «أَمَرْنَا»: أمَّرْنا، يُقال: أَمَرتُ الرَّجلَ، بمعنى: أمَّرتُه، والمعنى: سلَّطنا مُترَفِيها بالإمَارَةِ، ذكره ابنُ الأنبَارِي. وروى خَارِجَةُ عن نافعٍ: «آمَرْنا» ممدودةً، مثل «آمنّا»، وكذلك روى حمَّادُ بن سَلَمَةَ عن ابنِ كَثيرٍ، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ، وأبي الدَّرداءِ، وأبي رَزِيْنٍ، والحسَنِ، والضَّحَّاكِ، ويَعقوبَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وهي اللغةُ العاليةُ المشهورةُ، ومعناه: كَثَّرنا، أيضاً. وروى ابنُ مُجاهدٍ أنَّ أبا عَمروٍ قرأ: «أَمَّرْنا» مشددةَ الميم، وهي روايةُ أَبانَ عن عَاصِمٍ، وهي قراءةُ أبي العَالِيةِ، والنَّخعيِّ، والجَحدرِيِّ. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: جعلناهُم أُمراءَ، وقرأ أبو المتوكِّلِ، وأبو الجَوزَاءِ، وابنُ يَعمُرَ: «أَمِرْنا» بفتح الهمزةِ مكسورةَ الميم مخفَّفةً. فأمَّا المُترَفُون، فهمُ المُتَنَعِّمُون الذين أبطَرتْهُم النِّعمةُ وسَعَةُ العَيْشِ، والمُفسِّرون يقولون: هُمُ الجَبَّارون والمُسَلَّطون والمُلوكُ، وإنما خَصَّ المُترَفين بالذِّكرِ، لأنهم الرُّؤساءُ، ومَنْ عَدَاهُم تَبَعٌ لهم.

قوله تعالى: ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ أي: تَمَرَّدوا في كُفْرِهم، لأنَّ الفسقَ في الكُفرِ: الخُروجُ إلى أفحَشِهِ. وقد شرحنا معنى «الفِسْقِ» في البقرة[1]. قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ قال مُقاتِلٌ: وَجبَ عليها العَذابُ. وقد ذكرنا معنى «التَّدميرِ» في الأعراف[2]. قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ وهو جَمْعُ قَرْنٍ. وقد ذكرنا اختلافَ الناسِ فيه في الأنعام[3] وشرحنا معنى الخبير والبصير في سُورة البقرة[4] قال مُقاتِلٌ: وهذه الآيةُ تخويفٌ لكفَّارِ مكَّةَ.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: مَنْ كان يُريد بعَملِه الدُّنيا، فعَبَّر بالنَّعتِ عن الاسم، ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ مِنْ عَرَضِ الدنيا، وقيل: مِنَ البَسْطِ والتَّقتِيرِ، ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لِمَنْ نُريدَ هَلَكتَهُ، قاله أبو إسحاقَ الفَزاري. **والثاني**: لِمَنْ نُريد أنْ نُعجِّلَ له شيئاً وفي هذا ذَمٌّ لِمَنْ أراد بعَملِه الدُّنيا، وبيانُ أنه لا يَنالُ ما يَقْصِدُهُ منها إلاَّ ما قُدِّرَ له، ثم يَدخلُ النارَ في الآخِرَةِ. وقال ابنُ جرير:

---

(١) سورة البقرة: ٢٦، ١٩٧.
(٢) سورة الأعراف: ١٣٧.
(٣) سورة الأنعام: ٦.
(٤) سورة البقرة: ٢٣٤ وعند الآية: ٩٦.

هذه الآيةُ لِمَنْ لا يُوقِنُ بالمَعادِ. وقد ذكرنا معنى «جهنَّم» في سُورةِ البقرة[١]، ومعنى ﴿يَصْلَـٰهَا﴾ في سُورةِ النِّساءِ[٢]، ومعنى ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ في الأعرافِ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يعني: الجنَّةَ ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عَمِلَ لها العملَ الذي يَصلُحُ لها، وإنَّما قال: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأنَّ الإيمانَ شَرطٌ في صِحَّةِ الأعمالِ، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ أي: مَقبولاً. وشُكْرُ الله عزَّ وجلَّ لهم: ثوابُه إيَّاهم، وثناؤه عليهم.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كلاًّ» منصوبٌ بـ «نمِدُّ»، «هؤلاء» بدلٌ مِنْ «كل» والمعنى: نُمِدُّ هؤلاءِ وهؤلاءِ مِنْ عطاءِ ربِّكَ، قال المُفسِّرون: كُلاًّ نُعطي مِنَ الدنيا، البَرَّ والفَاجِرَ، والعَطاءُ هاهنا: الرِّزقُ، والمَحظُورُ: المَمنُوعُ، والمعنى: أنَّ الرِّزقَ يَعُمُّ المؤمنَ والكافرَ، والآخِرةُ للمُتَّقين خاصَّةً. ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وفيما فُضِّلوا فيه قولان: **أحدهما**: الرِّزقُ، منهم مُقِلٌّ، ومنهم مُكثِرٌ. **والثاني**: الرِّزقُ والعملُ، فمنهم مُوفَّقٌ لعملٍ صالحٍ، ومنهم مَمنُوعٌ مِنْ ذلك. قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخِطابُ للنبيِّ ﷺ، والمعنى عامٌّ لجميعِ المُكلَّفين. والمَخذُولُ: الذي لا ناصرَ له، والخِذلانُ: تَرْكُ العَونِ. قال مُقاتِلٌ: نزلت حينَ دَعوا رسولَ الله ﷺ إلى مِلَّةِ آبائِه.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ روى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: أَمَرَ ربُّكَ. ونقلَ عنه الضَّحَّاكُ أنه قال: إنَّما هي «ووصى ربك» فالتَصقَتْ إحدى الوَاوَين بـ «الصاد»، وكذلك قرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «ووصى»، وهذا على خلافِ ما انعقدَ عليه الإجماعُ، فلا يُلتفتُ إليه. وقرأ أبو عِمرانَ، وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ، ومعاذٌ القَارِئُ: «وقضاءُ ربك» بقافٍ وضادٍ بالمَدِ والهَمزِ والرَّفعِ وخَفضِ اسمِ الرَّبِّ. قال ابنُ الأنبَاري: هذا القَضاءُ ليس مِنْ بابِ الحَتْمِ والوجُوبِ، لكنه مِنْ بابِ الأمرِ والفَرْضِ، وأصلُ القضاء في اللغة: قَطْعُ الشيءِ بإحكامٍ وإتقانٍ، قال الشَّاعر يَرثي عمرَ:

قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَها ... بَوائِقَ في أَكْمامِها لَمْ تُفَتَّقِ[٤]

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٦. (٢) سورة النساء: عند الآية ١٠. (٣) سورة الأعراف: ١٨.

(٤) البيت للشمّاخ كما في «حماسة أبي تمام» ٣/ ١٠٩. ويُروى أيضاً للمزرد بن ضرار كما في «البيان والتبيين» ٣/ ٣٦٤. وقيل إن هذا الشعر للجنّ قالته قبل أن يقتل عمر بثلاث، فكان ذلك نعياً قبل أن يقتل. وفي «اللسان»: البوائق: جمع بائقة وهي الداهية والبلية.

أراد: قَطعتها مُحْكِماً لها.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحساناً وهو البِرُّ والإِكرامُ، وقد ذكرنا هذا في البَقرةِ[١]. قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «يبلغنّ» على التَّوحيد. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «يبلغانّ» على التَّثنيةِ. قال الفرَّاءُ: جُعلَتْ «يبلغن» فِعلاً لأحدِهما وكرَّت عليهما «كلاهما» ومَنْ قرأ «يبلغانّ» فإنه ثَنَّى لأنَّ الوَالدَين قد ذُكِرا قبل هذا، فصارَ الفعلُ على عَددِهما، ثم قال: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ على الاستِئنَافِ، كقوله تعالى: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾[٢] ثم استأنفَ فقال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ قرأ أبو عمروٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «أُفِّ» بالكسر مِنْ غير تنوينٍ، وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، ويَعقوبُ، والمُفضَّلُ: «أُفَّ» بالفتح مِنْ غيرِ تنوينٍ. وقرأ نافعٌ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: ﴿أُفٍّ﴾ بالكسرِ والتنوينِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ وابنُ يَعمُرَ: «أُفٌّ» بالرفع والتنوين وتشديدِ الفاء. وقرأ مُعاذُ القارئُ، وعَاصِمٌ، الجَحدرِيُّ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «أُفّاً» مثل «تَعْساً». وقرأ أبو عَمرَانَ الجَوْني، وأبو السَّمَّال العَدَويّ: «أُفُّ» بالرفع مِنْ غير تنوينٍ مع تشديدِ الفاء، وهي روايةُ الأصمَعيِّ عن أبي عَمروٍ. وقال عِكرمَةُ، وأبو المُتوكّلِ، وأبو رَجَاء، وأبو الجَوزَاءِ: «أُفْ» بإسكانِ الفاء وتخفيفِها؛ قال الأخفَشُ: وهذا لأنَّ بعضَ العرب يقولُ: أُفْ لكَ، على الحِكايةِ، والرَّفعُ قبيحٌ، لأنه لم يَجِئْ بعدَهُ بلاَم. وقرأ أبو العَاليِة، وأبو حَصِينٍ الأَسَديّ: «أُفّي» بتشديدِ الفاءِ وبياءٍ وروى ابنُ الأنباري أنَّ بعضَهم قرأها: «إِفِ» بكسرِ الهمزة. وقال الزَّجَّاجُ: فيها سبعُ لُغاتٍ: الكسرُ بلا تنوينٍ، وبتنوينٍ والضَّمُّ بلا تنوينٍ، وبتنوينٍ، والفتحُ بلا تنوينٍ، وبتنوينٍ، واللغةُ السابعةُ لا تجوز في القِراءة: «أُفي» بالياء، هكذا قالَ الزَّجَّاجُ. وقال ابنُ الأنباري: في «أُفٍّ» عشرةُ أوجهٍ: «أُفَّ» بفتح الفاء، و «أُفِّ» بكسرها، و «أُفُّ»، و «أُفّاً» لكَ بالنَّصبِ والتنوينِ على مذهبِ الدُّعاءِ كما تقول: «وَيْلاً» للكافرين، و «أُفٌّ» لكَ، بالرَّفع والتنوينِ، وهو رفعٌ باللام، كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[٣] و «أُفهٍ» لكَ، بالخَفضِ والتنوينِ، تشبيهاً بالأصواتِ، كقولكَ: «صَهٍ» و «مَهٍ»، و «أُفهاً» لكَ، على مذهبِ الدُّعاء أيضاً، و «أُفّي» لكَ، على الإضافةِ إلى النَّفسِ، و «أُفْ» لكَ، بسكونِ الفاءِ تشبيهاً بالأدواتِ، مثل: «كم» و «هل» و «بل»، و «إِفّ» لكَ، بكسرِ الألفِ، وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي، قال: وتقولُ: «أُفِ» منه، و «أُفَ»، و «أُفُ»، و «أُفِ»، و «أُفّاً»، و «أُفٌ»، و «أُفّي» مضافٌ، و «أُفهاً» و «أُفّاً» بالألفِ، ولا تقل: «أُفي» بالياء فإنه خطأ.

فأما معنى ﴿أُفٍّ﴾ ففيه خمسةُ أقوال: **أحدها**: أنه وَسَخُ الظّفرِ، قاله الخَليلُ. **والثاني**: وَسَخُ الأُذنِ، قاله الأَصمَعيُّ. **والثالث**: قُلامَةُ الظفرِ، قاله ثَعلَبُ. **والرابع**: أن «الأُفَّ» الاحتِقارُ والاستِصغَارُ، مِنَ «الأَفَف»، والأَفَفُ عند العرب: القِلَّةُ، ذكره ابنُ الأنبَاري. **والخامس**: أن «الأُفَّ» ما رَفعتَهُ مِنَ الأرض مِنْ عُودٍ أو قَصبَةٍ، حكاه ابنُ فارسٍ اللغوي. وقرأتُ على شيخنا أبي مَنصُورٍ قال: معنى «الأفّ»: النَّتَنُ، والتَّضجُّرُ، وأصلها: نَفخُكَ الشيءَ يسقطُ عليكَ مِنْ تُرابٍ ورَمادٍ، وللمكانِ تُريدُ إماطَةَ الأذَى عنه، فقيلَتْ لكلِّ مُستثقَلٍ، قلتُ: وأما قولُهم: «تُف»، فقد جَعلَها قومٌ بمعنى «أف»، فرُوي عن

---

(١) سورة البقرة عند الآية: ٨٣. (٢) سورة المائدة: ٧١. (٣) سورة المطففين: ١.

أبي عُبيدٍ أنه قال: أصلُ «الأفّ» و «التفّ»: الوَسَخ على الأصابع إذا فَتَلْتَهُ. وحكى ابنُ الأنباري فَرْقاً، فقال: قال اللغويون: أصلُ «الأفّ» في اللغة: وَسخُ الأذنِ، و «التُفّ»: وَسخُ الأظفارِ، فاستعملَتْهما العربُ فيما يُكرَهُ ويُستقذرُ ويُضجرُ منه. وحكى الزَّجّاجُ فَرْقاً آخرَ، فقال: قد قِيلَ: إنَّ «أف»: وَسخُ الأظفارِ، و «التُفُّ»: الشيءُ الحَقيرُ، نحو وَسَخِ الأذنِ، أو الشَّظِيَّةُ تُؤخَذُ مِنَ الأرض، ومعنى «أُف»: النَّتَنُ، ومعنى الآية: لا تَقُلْ لهما كلاماً تتبرَّم فيه بهما إذا كَبِرَا وأَسَنَّا، فينبغي أنْ تتولَّى مِنْ خِدْمَتِهما مثلَ الذي تَوَلَّيَا مِنَ القيام بشأنِكَ وخِدمَتِكَ، ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ أي: لا تكلِّمْهما ضَجِراً صائحاً في وجُوهِهما. وقال عَطاءُ بنُ أبي رَباح: لا تَنْفُضْ يدكَ عليهما، يقال: نَهَرْتُهُ أَنْهَرُه نَهْراً، وانتهَرْتُه انتِهاراً، بمعنًى واحدٍ، وقال ابنُ فارس: نَهرتُ الرجُلَ وانتهرتُه مثل: زَجرتُه. قال المُفسِّرون: وإنما نَهى عن أذاهُما في الكِبَرِ، وإنْ كان منهياً عنه على كلِّ حالٍ، لأنَّ حالةَ الكِبَرِ يظهرُ فيها منهما ما يُضجِرُ ويُؤذي، وتَكثُرُ خِدمَتُهما.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلًا كَرِيمًا﴾ أي: لَيِّناً لطيفاً أحسنَ ما تَجِدُ. وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّب: قولَ العبدِ المُذنِبِ للسَّيدِ الفَظِّ. قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ أي: أَلِنْ لَهُما جانبَكَ مُتذلِّلاً لهُما مِنْ رحمتِكَ إيَّاهُما. وخَفضُ الجَناحِ قد شرحناه في الحِجْرِ[1]. قال عَطاءٌ: جَناحُكَ: يَداكَ، فلا تَرْفَعهُما على وَالِدَيْكَ. والجمهور يَضمُّون الذالَ مِنَ «الذُّلِّ» وقرأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وقَتادةُ، وعَاصِمٌ الجَحدريُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ: بكسرِ الذال. قال الفَرّاءُ: الذُّلُّ: أنْ تتذلَّلَ لهما، مِنَ الذُّلِّ، والذِّلُّ: أنْ تَتذَلَّلَ ولستَ بذليلٍ في الخدمة[2] والذُّلُ والذِّلَّةُ: مصدرُ الذَّليلِ، والذِّلُّ بالكسر: مصدرُ الذَّلُولِ، مثل الدَّابَّةِ والأرضِ. قال ابنُ الأنباري: مَنْ قرأ «الذِّل»، بكسرِ الذَّالِ، جعله بمعنى الذُّلِّ، بضمِّ الذَّالِ، والذي عليه كُبَراءُ أهلِ اللغة أنَّ الذُّلَّ مِنَ الرجل الذَّليلِ، والذِّلَّ مِنَ الدَّابَّةِ الذَّلُولِ.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أي: مِثلَ رَحمَتِهما إيَّايَ في صِغَري حتى رَبَّياني، وقد ذهبَ قومٌ إلى أنَّ هذا الدُّعاءَ المُطلَقَ نُسِخَ منه الدُّعاءُ لأهلِ الشِّركِ بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾[3]، وهذا المعنى منقولٌ عن ابنِ عباسٍ، والحسنِ، وعِكرِمَةَ، ومُقاتِلٍ. قال المصنف: ولا أرى هذا نَسْخاً عند الفقهاء، لأنه عامٌّ دَخلَهُ التَّخصيصُ، وقد ذَكرَ قريباً ممَّا قلتُه ابنُ جريرٍ. قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ﴾ أي: بما تُضمِرُون مِنَ البِرِّ والعُقوقِ، فمَنْ بَدَرَتْ منه بَادِرةٌ وهو لا يُضمِرُ العُقوقَ، غُفِرَ له ذلك، وهو قولُه تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ أي: طَائِعينَ للهِ، وقيلَ بَارِّينَ، وقيل: توَّابينَ، ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ في الأوَّاب عشرةُ أقوالٍ[4]:

أحدها: أنه المُسلمُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني:** أنه التَّوَّابُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو عُبيدَةَ، وقال ابنُ قُتيبةَ: هو التَّائِبُ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ. وقال الزَّجّاجُ: هو التَّوَّابُ المُقلِعُ عن جميع ما نَهاهُ اللهُ عنه، يُقال: قد آبَ يَؤوبُ أَوْباً: إذا رجعَ.

---

(١) الحجر عند الآية: ٨٨. (٢) في نسخة «الخلق». (٣) سورة التوبة: ١١٣.

(٤) قال الإمام الطبري رحمه الله ٨/٦٦: وأولى الأقوال بالصواب: قول من قال: الأوّاب: هو التائب من الذنب الراجع عن معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه.

والثالث: أنه المُسَبِّحُ، رواه سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه المُطِيعُ للهِ تعالى، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنه الذي يذْكُرُ ذَنْبَهُ في الخَلاءِ، فيَستغفِرُ اللهَ منه، قاله عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والسادس**: أنه المُقبِلُ إلى الله تعالى بقَلْبِه وعَمَلِه، قاله الحَسنُ. **والسابع**: المُصَلِّي، قاله قَتادَةُ. **والثامن**: هو الذي يُصَلِّي بين المَغربِ والعِشاءِ، قاله ابنُ المُنكَدِرِ. **والتاسع**: الذي يُصلِّي صلاةَ الضُّحى، قاله عَونٌ العُقَيليُّ. **والعاشر**: أنه الذي يُذنِبُ سِراً ويتوبُ سِراً، قاله السُّدِّيُّ.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ فيه قولان[1]: **أحدهما**: أنه قَرابَةُ الرجل مِنْ قِبَلِ أبيه وأُمِّهِ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، فعَلَى هذا في حقِّهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المراد به: بِرُّهُم وصِلَتُهم. **والثاني**: النَّفقةُ الواجبةُ لهم وقتَ الحاجةِ. **والثالث**: الوَصيَّةُ لهم عند الوَفاةِ.

والثاني: أنهم قَرابَةُ الرَّسول، قاله عليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السَّلامُ والسُّدِّيُّ. فعلى هذا، يكون حَقُّهم: إعطاؤهُم مِنَ الخُمسِ، ويكون الخطابُ للوُلاةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال القاضي أبو يَعلَى: يجوز أنْ يكون المُراد: الصَّدقاتُ الواجبةُ، يعني، الزَّكاةَ، ويجوز أنْ يكون الحقُّ الذي يَلزمُه إعطاؤه عندَ الضرورة إليه. وقيل: حقُّ المِسكين، مِنَ الصَّدقةِ، وابنِ السَّبيل، مِنَ الضِّيافَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ في التَّبذيرِ قولان: **أحدهما**: أنه إنفاقُ المال في غير حقٍّ، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: لو أنفقَ الرجلُ مالَهُ كُلَّهُ في حقٍّ، ما كان مُبذِّراً، وأنفقَ مُدّاً في غير حقٍّ، كان مُبذِّراً. قال الزَّجَّاجُ: التَّبذِيرُ: النَّفقةُ في غير طاعةِ الله، وكانت الجاهلية تَنحرُ الإبلَ وتُبذِّرُ الأموالَ تطلب بذلك الفَخرَ والسُّمعةَ، فأمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالنَّفقةِ في وَجْهِها فيما يُقرِّبُ منه. **والثاني**: أنه الإسرَافُ المُتلِفُ للمالِ، ذكره المَاوَردِي. وقال أبو عُبيدَةَ: المُبَذِّر: هو المُسرِفُ المُفسِدُ العائِثُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ لأنهم يُوافِقونَهُم فيما يَدعُونهم إليه، ويُشاكِلونَهُم في معصية الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ أي: جاحِداً لِنعَمِه. وهذا يتضمَّنُ أنَّ المُسرِفَ كَفورٌ للنِّعَم.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ في المُشَارِ إليهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين تقدَّم ذِكْرُهم مِنَ الأقارب والمساكين وأبناءِ السَّبيلِ، قالهُ الأكثرون، فعَلَى هذا في عِلَّةِ هذا الإعراضِ قولان: **أحدهما**: الإعسَارُ، قاله الجمهور. **والثاني**: خَوفُ إنفاقِهم ذلك في معصية الله، قاله ابنُ زيدٍ. وعلى هذا في الرَّحمةِ قولان: **أحدهما**: الرِّزقُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه الصَّلاحُ والتَّوبةُ. هذا على قولِ ابنِ زيدٍ. **والثاني**: أنهم المشركون، فالمعنى: وإمَّا تُعرضَنَّ عنهم لتَكذيبِهم، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. فتحتملُ إذاً الرَّحمةُ وَجْهَين: **أحدهما**: انتظار النَّصرِ عليهم. **والثاني**: الهِدايةُ لهم.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٨/ ٦٧: وأولى التأولين عندي بالصواب تأويل من تأوّل ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَل آبائهم وأمهاتهم.

[٨٩٢] **والثالث**: أنهم ناسٌ مِنْ مُزَينةَ جاؤوا يَستحمِلُون رسولَ الله ﷺ، فقال: «لا أجدُ ما أحمِلُكم عليه»، فبَكوا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عَطاءُ الخُراسانيّ.

[٨٩٣] **والرابع**: أنها نزلَت في خَبَّابٍ، وبلالٍ، وعَمَّارٍ، ومِهجَعٍ، مِنَ الفقراء، كانوا يسألون رسولَ الله ﷺ فلا يجد ما يعطيهم، فيُعرِضُ عنهم ويَسكتُ، قاله مُقاتِلٌ، فعلى هذا القول والذي قبلَهُ تكون الرَّحمةُ بمعنى الرِّزق.

قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: لَيِّناً هيِّناً، وهو مِنَ اليُسْرِ. وللمُفسِّرين فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العِدَةُ الحَسَنةُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحَسَنُ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه القولُ الجميلُ، مثل أنْ يقولَ: رَزقَنا اللهُ وإيَّاكَ، قاله ابنُ زيدٍ؛ وهذا على ما تقدَّم مِنْ قوله. **والثالث**: أنه المُدَاراةُ لهم باللسان، على قولِ مَنْ قال: همُ المشركون، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي، وعلى هذا القولِ، تحتملُ الآيةُ النَّسْخَ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.

[٨٩٤] سببُ نُزولِها: أنَّ غُلاماً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال، إنَّ أُمّي تسألُكَ كذا وكذا، قال: «ما عندَنا اليومَ شيءٌ»، قال: فتقولُ لكَ: اكْسني قميصَكَ، قال: فَخلَعَ قميصَهُ فدفعَهُ إليه، وجلسَ في البيت حَاسِراً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ مسعودٍ. وروى جابرُ بنُ عبدِ الله نحوَ هذا، فزادَ فيه، فأذَّنَ بلالٌ للصلاةِ، وانتظرُوه فلم يَخرُجْ، فشغلَ قلوبَ الصَّحابةِ، فدخلَ عليه بعضُهم، فرأَوهُ عُريَاناً، فنزلت هذه الآيةُ.

والمعنى: لا تُمسِكْ يدَكَ عن البَذْلِ كلَّ الإمسَاكِ حتى كأنها مقبوضةٌ إلى عُنُقِكَ، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ في الإعطاءِ والنَّفقةِ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ تلومُ نَفسَكَ ويلومُكَ النَّاسُ، ﴿مَّحْسُورًا﴾ قال ابنُ قُتَيبة: تَحْسِرُكَ العَطيَّةُ وتَقطَعُكَ كما يَحْسِرُ السَّفرُ البعيرَ فيبقى مُنقطِعاً به. قال الزَّجَّاجُ: المَحسُورُ: الذي قد بلغَ الغايةَ في التعب والإعياءِ، فالمعنى: فتقعدَ وقد بالغتَ في الحَمْلِ على نفسِكَ وحالِكَ حتى صِرتَ بمنزلة مَنْ قد حَسِرَ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا الخِطابُ أُريدَ به غيرُ رسولِ الله ﷺ لأنه لم يَكُنْ يدَّخِرُ شيئاً

---

[٨٩٢] واه بمرة. فهو مرسل ومع إرساله. عطاء بن عبد الله الخراساني ضعفه البخاري وابن حبان، وغيرهما. والمتن منكر جداً، فإن خبر مزينة كان في غزوة تبوك، وهذه السورة مكية أو في أول العهد المدني.

[٨٩٣] باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم، والمتن منكر، فهو باطل، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ١١٢ بدون سند ولا عزو لأحد.

[٨٩٤] ضعيف جداً. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٥٧٥ من حديث ابن مسعود، وإسناده ضعيف جداً. فيه سليمان بن سفيان الجهني متروك، والخبر لا شيء، شبه موضوع. وذكره الواحدي في «أسبابه» ٥٧٦ عن جابر بدون إسناد.

لِغَدٍ[١]، وكان يجوع حتى يشُدَّ الحَجَرَ على بطنِه[٢]، وقد كان كثيرٌ مِنْ فُضلاءِ الصحابة يُنفقون جميعَ ما يَملِكُون، فلم يَنْهَهُم اللهُ، لصحَّة يَقينِهم، وإنما نهىٰ مَنْ خِيْفَ عليه التَّحسُّر على ما خرج مِنْ يدهِ، فأمَّا مَنْ وَثِقَ بوَعدِ الله تعالى، فهو غيرُ مُرادٍ بالآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُوسِّع على مَنْ يشاء ويُضيِّق، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ حيث أجرى أرزاقَهم على ما علِمَ فيه صلاحَهُم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ قد فسَّرناه في سُورة الأنعام[٣].

قوله تعالى: ﴿كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «خِطْءاً» مكسورةَ الخاءِ ساكنةَ الطاءِ مهموزةً مقصورةً. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «خِطاءً» مكسورةَ الخاء ممدودةً مهموزةً. وقرأ ابنُ عامرٍ: «خَطَأً» بنصبِ الخاء والطاء وبالهمزِ مِنْ غيرِ مدٍّ. وقرأ أبو رَزِينٍ كذلك، إلاّ أنه مَدَّ وقرأ الحسنُ، وقَتادَةُ: «خَطْءاً» بفتح الخاء وسكونِ الطاء مَهمُوزاً مَقصُوراً، وقرأ الزُّهريُّ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «خِطاً» بكسرِ الخاء وتنوينِ الطَاء مِنْ غير هِمزٍ ولا مَدّ. قال الفَرّاءُ: الخِطْءُ: الإثمُ، وقد يكون في معنى «خطَإٍ» كما قالوا: «قِتْبٌ» و «قَتَبٌ» و «حِذْرٌ» و «حَذَرٌ» و «نِجْسٌ» و «نَجَسٌ»، والخِطْءُ، والخِطَاءُ، والخَطَاءُ، ممدودٌ: لُغاتٌ. وقال أبو عُبيدَةَ: خَطِئتُ وأَخطَأْتُ، لُغتان. وقال أبو عليٍّ: قراءة ابنِ كَثيرٍ «خِطاءً»، يجوز أنْ تكون مصدرَ «خاطأ» وإنْ لم يُسمع «خاطأ» ولكنْ قد جاء ما يدلُّ عليه، أنشد أبو عُبيدَةَ:

تَخَاطَأَتْ إلَيكَ أحشَاؤهُ

وقال الأخفشُ: خَطِئَ يَخطَأُ بمعنى «أذْنَبَ» وليس بمعنى «أخطأَ»، لأنَّ «أخطَأَ»: فيما لم يصنعه عَمْداً. وتقول فيما أتيتَهُ عَمْداً، «خَطِئْتُ»، وفيما لم تَتعمَّدْهُ: «أخطأتُ». وقال ابنُ الأنباري: «الخِطْء»: الإثمُ، يُقال: قد خَطِئَ يَخطَأُ: إذا أَثِمَ، وأَخطأَ يُخطِئُ: إذا فارقَ الصَّوابَ. وقد شرحنا هذا في سُورة يُوسفَ عند قولِه: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[٤].

---

(١) حديث ضعيف. مداره على جعفر بن سليمان، وهو غير قوي بل أدرجه البخاري وغيره في «الضعفاء» راجع «الميزان» ١/ ٤٠٨ ـ ٤١٠ وهذا الحديث رواه عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يدّخر شيئاً لغد. أخرجه الترمذي ٢٣٦٢ وابن عدي في «الكامل» ٢/ ٥٧٢ والخطيب في «تاريخه» ٧/ ٩٨ وابن حبان ٦٣٥٦. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن النبي ﷺ مرسلاً. وقال الحافظ ابن كثير في «الشمائل» ٩٨ ـ ٩٩: المراد أنه كان لا يدّخر شيئاً لغد مما يسرع إليه الفساد كالأطعمة ونحوها لما ثبت في «الصحيحين» عن عمر أنه قال: إن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركاب فكانت له خالصةً، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته، وما بقي جعله في الكُرَاع والسلاح في سبيل الله. الكُرَاع: اسم يجمع الخيل والسلاح. حديث صحيح، أخرجه البخاري ٢٩٠٤ و ٤٨٨٥ ومسلم ١٧٥٧ وأبو داود ٢٩٦٥ والنسائي ٨/ ١٠٢.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٣/ ٣٠٠ بإسناد حسن من حديث جابر وأخرجه أبو يعلى ٢٠٠٤ من وجه آخر بسند فيه عنعنة أبي الزبير، وهو مدلس. وله شاهد من حديث أبي طلحة، أخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢/ ٢٣٢ وإسناده ضعيف لضعف سيار بن حاتم، لكن يصلح حديثه شاهداً لما قبله.

(٣) الأنعام: عند الآية ١٥١.

(٤) سورة يوسف: ٩١.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو الجَوزاءِ، والحَسَنُ: بالمَدِّ. وقال أبو عُبيدَة: وقد يُمدُّ «الزنى» في كلام أهلِ نَجْدٍ، قال الفَرزدَقُ:

أبـا حـاضِـرٍ مَـنْ يَـزْنِ يُـعْـرَفْ زِنَـاؤُه   ومَنْ يَشْرَبِ الخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرَا

وقال أيضاً[١]:

أَخضَبتَ فِعلَكَ للزِّنَاءِ ولم تَكُنْ   يَومَ اللِّقَاءِ لِتَخْضِبَ الأبْطَالا

وقال آخرُ:

كانتْ فَرِيضَةُ ما تقولُ كَمَا   كَانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ[٢]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قد ذكرناه في سُورة الأنعام[٣].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾ قال الزَّجّاجُ: الأجوَدُ إدغامُ الدالِ مع الجيم، والإظهارُ جيدٌ بالغٌ، إلاَّ أنَّ الجيمَ مِنْ وسط اللسان، والدالَ مِنْ طَرفِ اللسان، والإدغامُ جائزٌ، لأنَّ حروفَ وَسطِ اللسان تَقربُ مِنْ حروف طَرفِ اللسان. ووَلِيُّه: الذي بينه وبينه قَرابةٌ تُوجبُ المِطالبةَ بدَمِه، فإنْ لم يكُنْ له وَليٌّ، فالسُّلطان وَلِيُّه.

وللمُفسِّرين في السُّلطان قولان: **أحدهما**: أنه الحُجَّة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الوَالي، والمعنى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يَنصُره ويُنصِفُه في حَقِّه، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وعَاصِمٌ: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ والكِسَائيُّ: بالتاء. وفي المُشارِ إليه في الآيةِ قولان: **أحدهما**: أنه وَليُّ المَقتولِ. وفي المُراد بإسرافِه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يَقتُلَ غيرَ القَاتِلِ، قاله ابنُ عباسٍ، والحَسَنُ. **والثاني**: أنْ يقتُلَ اثنين بواحدٍ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنْ يقتُلَ أشرفَ مِنَ الذي قُتِلَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنْ يُمثِّلَ، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنْ يتولَّى هو قَتْلَ القاتلِ دُونَ السلطان، ذكره الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنَّ الإشارَة إلى القاتلِ الأوَّلِ، والمعنى: فلا يُسرِفِ القاتلُ بالقَتْلِ تَعدِّياً وظُلماً، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ أي: مُعَاناً عليه. وفي هاءِ الكنايةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى الوَليِّ، فالمعنى: أنه كان منصوراً بتمكينِه مِنَ القَوَدِ، قاله قَتادَةُ، والجمهورُ. **والثاني**: أنها ترجع إلى المَقتُولِ، فالمعنى: أنه كان منصوراً بقَتْلِ قاتِلِه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنها ترجع إلى الدَّم، فالمعنى: أنَّ دَمَ المَقتولِ كان مَنصُوراً، أي: مَطلُوباً به. **والرابع**: أنها ترجع إلى القَتْلِ، ذكرَ القولَين الفَرَّاءُ.

---

(١) وقع في النسخ «آخر» والصواب ما أثبتناه كما في «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٧.

(٢) البيت للنابغة الجعدي كما في «اللسان» مادة ـ زنى ـ وقوله: «كان الزناء فريضة الرجم» مقلوب والأصل: كان الرجم فريضة الزنا.

(٣) سورة الأنعام: ١٥١.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ قد شرحناه في سُورة الأنعام[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ وهو عامٌّ فيما بين العبدِ وبين رَبِّه، وفيما بينه وبين النَّاسِ. قال الزَّجَّاجُ: كلُّ ما أمرَ اللهُ به ونَهى عنه فهو مِنَ العَهدِ.

قوله تعالى: ﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: مَسؤولاً عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ﴾ أي: أَتِمُّوه ولا تَبْخَسوا منه. قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ فيه خمسُ لُغاتٍ: **إحداها**: «قُسْطَاس»، بضمِّ القافِ وسِينَينِ، وهذه قراءةُ ابنِ كَثيرٍ، ونافعٍ، وأبي عمروٍ، وابنِ عامرٍ، وأبي بكرٍ عن عَاصِمٍ هاهنا وفي سُورة الشُّعراء[2]. **والثانية**: كذلك؛ إلاَّ أنَّ القافَ مكسورةٌ، وهذه قراءةُ حَمزةَ، والكِسائيِّ، وحَفصٍ عن عَاصِمٍ. قال الفَرَّاءُ: هما لُغتان **والثالثة**: «قصطاص»، بصَادَيْن. **والرابعة**: «قصطَاس»، بصادٍ قَبلَ الطاءِ وسِينٍ بعدَها، وهاتان مَرويَّتان عن حَمزةَ. **والخامسة**: «قِسطان»، بالنون. قرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي عن ابنِ دُريدٍ قال: القِسْطَاسُ: المِيزانُ، رُوميٌّ مُعرَّبٌ، «قُسْطَاس» و «قِسْطَاس». قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: ذلك الوَفاءُ خيرٌ عند الله وأقربُ إليه، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: عاقبة في الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قال الفَرَّاءُ: أصلُ «تَقْفُ» مِنَ القِيَافَةِ، وهي: تَتَبُّعُ الأَثَرِ، وفيه لُغتان: قَفا يَقْفُو، وقَافَ يَقُوفُ وأكثرُ القُرَّاء يجعلونها مِنْ «قفوتُ» فيُحرِكُ الفاءَ إلى الواو ويَجزِمُ القافَ كما تقول: لا تَدْعُ، وقرأ مُعاذُ القارئُ: «لا تَقُفْ»، مثل: تَقُلْ؛ والعربُ تقول: قُفْتُ أَثرَهُ، وقَفوتُ، ومِثلُه: عَاثَ وعَثَا، وقَاعَ الجَملُ النَّاقةَ، وقعاها: إذا رَكِبَها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بإسكانِ الفاء وضمِّ القافِ مِنْ: قَافَ يَقُوفُ، فكأنه مَقلوبٌ مِنْ قَفَا يَقْفُو، والمعنى واحدٌ: تقول: قَفَوتُ الشيءَ أقفُوهُ قَفْواً: إذا تَبِعتَ أثرَهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: «لا تَقْفُ»، أي: لا تُتْبِعهُ الظُّنونَ والحَدْسَ، وهو مِنَ القفَاءِ مأخوذٌ، كأنك تَقْفُو الأمورَ، أي: تكون في أَقفائِها وأواخِرِها تَتَعقَّبُها، والقَائِفُ: الذي يعرفُ الآثارَ ويتبَعُها فكأنه مقلوبٌ عن القَافِي.

وللمُفسِّرين في المراد به أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا ترْم أحداً بما ليس لك به عِلْمٌ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لا تَقُلْ: رأيتُ، ولم تَرَ، ولا سمعتُ، ولم تَسمَعْ. رواه عُثمانُ بنُ عَطاءٍ عن أبيه عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ. **والثالث**: لا تُشرِكْ بالله شيئاً، رواه عَطاءٌ أيضاً عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: لا تَشهَدْ بالزُّورِ، قاله محمَّدُ بنُ الحَنفيَّةِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنما قال: ﴿كُلُّ﴾، ثم قال: ﴿كَانَ﴾، لأنَّ كُلاً في لفظِ الواحدِ، وإنما قال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ لغيرِ النَّاسِ، لأنَّ كلَّ جَمْعٍ أشرتَ إليه مِنَ

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٢. (٢) سورة الشعراء: ١٨٢.

الناس وغيرِهم مِنَ المَواتِ، تشيرُ إليه بلفظِ «أولئك» قال جَريرٌ:

الآيـة ذُمَّ الـمَـنـازِلَ بَـعْـدَ مَـنْـزِلَـةِ الـلّـوَى ... والـعَـيْـشَ بَـعْـدَ أولـئِـكَ الأيَّـام

قال المُفسِّرون: الإشارةُ إلى الجوارحِ المذكورةِ، يُسأَلُ العبدُ يومَ القيامة فيما إذا استعملَها، وفي هذا زَجْرٌ عن النَّظرِ إلى ما لا يَحِلُّ، والاستِماع إلى ما يَحرُمُ، والعَزْمِ على ما لا يَجوزُ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وقرأ الضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «مَرِحاً» بكسرِ الراء، قال الأخفَشُ: والكسرُ أجوَدُ، لأنَّ «مَرِحاً» اسمُ الفاعِلِ؛ قال الزَّجَّاجُ: كِلاهما في الجَودةِ سَواءٌ، غيرَ أنَّ المصدرَ أوكَدُ في الاستعمال، تقول: جاء زيدٌ رَكْضاً، وجاء زيدٌ راكِضاً، فـ «ركضاً» أوكَدُ في الاستعمالِ، لأنه يدلُّ على توكيدِ الفعلِ، وتأويلُ الآيةِ: لا تَمْشِ في الأرض مُختالاً فَخُوراً، والمَرَحُ: الأَشَرُ والبَطَرُ. وقال ابنُ فارسٍ: المَرَحُ: شدَّةُ الفرحِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لن تَقطَعَها إلى آخرِها. **والثاني**: لن تَنفذها وتَنقبها. قال ابنُ عباسٍ: لن تَخرِقَ الأرضَ بِكِبْرِكَ، ولن تبلغَ الجبالَ طُولاً بعظَمتك. قال ابنُ قُتيبةَ: والمعنى: لا ينبغي للعاجزِ أنْ يَبْذَخَ ويستكبِرَ.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «سَيِّئَةً» منوَّناً غيرَ مُضافٍ، على معنى: كان خطيئةً، فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى المَنهيِّ عنه مِنَ المذكورِ فقط. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ: «سَيِّئُهُ» مُضافاً مُذكَّراً، فتكون لفظةُ «كلّ» يُشار بها إلى سائِرِ ما تقدَّمَ ذِكْرُه. وكان أبو عمروٍ لا يرى هذه القِراءةَ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا غَلطٌ مِنْ أبي عمروٍ، لأنَّ في هذه الأقاصيص سَيِّئاً وحَسَناً، وذلك أنَّ فيها الأمرَ بِبِرِّ الوالدين، وإيتاءِ ذي القُربى، والوفاءِ بالعَهدِ، ونحوِ ذلك، فهذه القِراءةُ أحسَنُ مِنْ قراءة مَنْ نصبَ السَّيِّئةَ، وكذلك قال أبو عُبيدَةَ: تدبَّرتُ الآياتِ مِنْ قولـه تـعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ فوجدتُ فيها أموراً حَسَنةً. وقال أبو عليٍّ: مَنْ قرأ «سيِّئَةً» رأى أنَّ الكلام انقطعَ عندَ قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وأنَّ قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا حُسْنَ فيه.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يُشيرُ إلى ما تقدَّمَ مِنَ الفرائض والسُّنَنِ، ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾، أي: مِنَ الأمور المُحْكَمةِ والأدبِ الجامعِ لِكُلِّ خيرٍ. وقد سبق معنى «المَدْحُور»(١).

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) سورة الأعراف: ١٨.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في مُشركي العرب الذين قالوا: الملائكةُ بنَاتُ الرَّحمنِ. وقال أبو عُبيدةَ: ومعنى ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾: اختصَّكم. وقال المُفضَّلُ: أخلصَكم. وقال الزَّجَّاجُ: اختار لكُم صَفْوةَ الشيء، وهذا توبيخٌ للكفَّارِ، والمعنى: اختارَ لكم البَنينَ دونه، وجعلَ البنَاتِ مُشترَكةً بينكم وبينه، فاختصَّكُم بالأعلَى وجعلَ لنفسه الأَدْوَنَ؟!

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ معنى التَّصريف هاهنا: التَّبيينُ، وذلك أنه إنما يُصرِّفُ القولَ ليُبيِّن. وقال ابنُ قُتيبةَ: «صرَّفنا» بمعنى: وَجَّهنا، وهو مِنْ قولكَ: صرفتُ إليكَ كذا، أي: عَدَلتُ به إليكَ، وشُدِّدَ للتَّكثير، كما تقول: فَتَّحتُ الأبوابَ. قوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعَاصِمٌ وابنُ عامرٍ: «لِيَذَّكَّروا» مُشدَّداً. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «لِيَذْكُروا» مُخفَّفاً، وكذلك قرؤوا في الفُرقان[1]: والتَّذكُّرُ: الاتِّعاظُ والتَّدبُّرُ. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَصرِيفُنا وتذكيرُنا ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يَنفِرُون مِنَ الحقِّ، ويَتَّبِعونَ الباطلَ.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «تقولون» بالتاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «يقولون» بالياء. قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لابتَغوا سبيلاً إلى مُمَانعتِه وإزالةِ مُلكِه، قاله الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثاني**: لابتَغوا سبيلاً إلى رِضاه، لأنهم دُونَهُ، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وأبو بكرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «يقولون» بالياء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: بالتاء..

قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ﴾ قرأ أبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «تسبِّح» بالتاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «يسبِّح» بالياء. قال الفَرَّاءُ: وإنما حَسُنَت «الياء» هاهنا، لأنه عددٌ قليلٌ، وإذا قَلَّ العددُ مِنَ المؤنَّث والمُذكَّرِ، كانت الياءُ فيه أحسنَ مِنَ التاء، قال عزَّ وجلَّ في المُؤنَّث القليلِ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾[2] وقال في المُذكَّر: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾[3]. قال العلماء: والمُراد بهذا التَّسبيحِ: الدَّلالةُ على أنه الخَالقُ القادرُ. قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿وَإِن﴾ بمعنى «ما». وهل هذا على إطلاقه، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه على إطلاقِه، فكلُّ شيءٍ يُسبِّحُهُ حتى الثوبُ والطعامُ وصَريرُ الباب، قاله إبراهيمُ النَّخعيُّ. **والثاني**: أنه عامٌّ يُراد به الخَاصُّ. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كلُّ شيءٍ فيه الرُّوحُ، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه كُلُّ ذِي رُوحٍ، وكُل نَامٍ مِنْ شجرٍ أو نباتٍ، قال عِكرِمَةُ: الشَّجرةُ تُسبِّحُ، والأُسطوانَةُ لا

(١) سورة الفرقان: ٥٠. (٢) سورة يوسف: ٣٠. (٣) سورة التوبة: ٥.

تُسبِّحُ وجلسَ الحسَنُ على طعام فقدَّموا الخِوَانَ، فقيل له: أيُسبِّحُ هذا الخِوَانُ؟، فقال: قد كان يُسبِّح مرَّةً. **والثالث**: أنه كلُّ شيءٍ لمْ يُغيَّر عن حالِه، فإذا تَغيَّر انقطعَ تسبيحُه، رَوى خالدُ بنُ مَعْدَانَ عن المِقْدَام بنِ مَعدِيكَرِب قال: إنَّ الترابَ لَيُسبِّح ما لم يَبْتَلّ، فإذا ابتلَّ تركَ التَّسبيحَ، وإنَّ الورقةَ تُسبِّح ما دامتْ على الشجرةِ، فإذا سَقطتْ تركتِ التَّسبيحَ، وإنَّ الثوبَ لَيُسبِّحُ ما دامَ جديداً، فإذا توسَّخَ تركَ التَّسبيحَ. فأمَّا تسبيحُ الحيوان النَّاطِق، فمعلومٌ، وتسبيحُ الحيوانِ غيرِ النَّاطقِ، فجائزٌ أنْ يكون بصَوتِه، وجائزٌ أنْ يكون بدَلالتِه على صانِعه. وفي تسبيح الجَماداتِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه تسبيحٌ لا يعلمه إلاَّ اللهُ. **والثاني**: أنه خُضوعُه وخُشوعُه لله. **والثالث**: دلالتُه على صانِعه، فيُوجب ذلك تسبيحَ مُبْصِرِه. فإنْ قُلنا: إنه تسبيحٌ حقيقةً، كان قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لجميع الخَلْقِ؛ وإنْ قُلنا: إنه دلالتُه على صانِعه، كان الخِطابُ للكفَّارِ، لأنهم لا يَستدِلُّون، ولا يَعتبِرون. وقد شرحنا معنى «الحَلِيم» و «الغفُور» في سُورة البقرة.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الحِجابَ: هو الأكِنَّةُ على قلوبهم، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه حِجابٌ يستُرهُ فلا يَرونَهُ؛ وقيل: إنها نزلت في قومٍ كانوا يُؤذُون رسولَ الله ﷺ إذا قرأ القرآن.

[٨٩٥] قال الكَلبيُّ: وهم أبو سُفيانَ والنَّضرُ بنُ الحَارثِ وأبو جهلٍ وأمُّ جَميلٍ امرأةُ أبي لَهبٍ،

---

[٨٩٥] باطل بهذا اللفظ، والكلبي كذاب يضع الحديث. وقد ورد في كتب الحديث. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لما نزلت سورة ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمماً أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا. والنبي جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني» وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال وقرأ ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً**﴾ فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني فقال: لا وربِّ هذا البيت ما هجاك فولّت، وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها. حديث حسن بشواهده. أخرجه الحميدي ٣٢٣ والحاكم ٢/ ٣٦١ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١١٠ من حديث أسماء، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! مع أن ابن تدريس مجهول، ـ وله شاهد ـ أخرجه أبو يعلى ٢٥ وابن حبان ٦٥١١ والبزار ٢٢٩٤ من حديث ابن عباس. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١١٥٢٩ وقال: قال البزار: إسناده حسن. مع أن =

فحَجبَ اللهُ رسولَهُ عن أبصارِهم عند قراءةِ القرآن، فكانوا يأتونَهُ ويَمرُّون به ولا يَرونَهُ.

والثالث: أنه مَنْعُ اللهِ عزَّ وجلَّ إيَّاهُم عن أذاهُ، حكاه الزَّجَّاجُ.

وفي معنى ﴿مَّسْتُورًا﴾ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى سَاتِرٍ؛ قال الزَّجَّاجُ: وهذا قولُ أهل اللغة. قال الأخفَشُ: وقد يكون الفاعِلُ في لفظ المفعول، كما تقول: إنك مَشؤومٌ علينا، ومَيمُونٌ علينا، وإنما هو شَائِمٌ ويامِنٌ، لأنه مِنْ «شَأمَهُم» و «يَمَنَهُم». **والثاني**: أنَّ المعنى: حِجاباً مَستُوراً عنكم لا تَرونَهُ، ذكره المَاوَرديِ. وقال ابنُ الأنبَاري: إذا قيل: الحجابُ هو الطَّبعُ على قلوبِهم، فهو مَستورٌ عن الأبصار، فيكون «مَستُوراً» باقياً على لفظه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ قد شَرحناهُ في سُورة الأنعام[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ يعني: قلتَ: لا إِلَه إلاَّ اللهُ، وأنتَ تَتْلو القرآنَ ﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي على أعقابِهم، ﴿نُفُورًا﴾ وهو: جَمْعُ نَافِرٍ، بمنزلة قاعِدٍ وقُعُودٍ، وجَالِسٍ وجُلُوسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: تحتمل مَذهَبين: **أحدهما**: المَصدرُ، فيكون المعنى: ولوا نَافِرينَ نُفُوراً. **والثاني**: أنْ يكون «نفوراً» جمعَ نَافِرٍ. وفي المُشَارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الشياطين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم المشركون، وهذا مذهبُ ابنِ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ﴾.

[٨٩٦] قال المُفسِّرون: أمرَ رسوُل الله ﷺ علياً رضي اللهُ عنه أنْ يتَّخذَ طعاماً ويدعوَ إليه أشرَافَ قُريشٍ مِنَ المشركين، ففعلَ ذلك، ودخلَ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ فقرأ عليهم القرآنَ، ودَعاهُم إلى التَّوحيد، وكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم: هو ساحِرٌ، هو مَسحُورٌ، فنزلت هذه الآيةُ: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾، أي: يستمِعونَهُ، والباءُ زائدةٌ. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ قال أبو عُبيدةَ: هي مصدرٌ مِنْ «نَاجَيْتُ» واسمٌ منها، فوصفَ القومَ بها، والعربُ تفعل ذلك، كقولهم: إنما هو عذابٌ، وأنتم غَمٌّ، فجاءت في موضعِ «مُتناجِين». وقال الزَّجَّاجُ: والمعنى: وإذْ هم ذَوو نَجْوَى، وكانوا يستمعون مِنْ رسولِ الله ﷺ ويقولون بينهم: هو ساحرٌ، وهو مَسحورٌ، وما أشبهَ ذلك مِنَ القول.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: أولئك المشركون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما تتَّبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي سُحِرَ فذُهِبَ بعقلِه، قاله أبو صالح عن ابنِ عباس. **والثاني**: مَخدُوعاً مغروراً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: له سَحْرٌ، أي: رِئَةٌ؛ وكلُّ دابَّةٍ أو طائرٍ أو بَشَرٍ يأكلُ فهو: مَسحُورٌ ومُسحَّرٌ، لأنَّ له سَحْراً، قال لَبيدُ:

= فيه عطاء بن السائب وقد اختلط اهـ. وأخرجه الحاكم ٢/٥٢٦ من حديث زيد بن أرقم، وأعلّه الحاكم بالإرسال، ووافقه الذهبي. وللحديث شواهد ضعيفة، لكن تتأيد بمجموعها، ويُعْلَم أن للحديث أصلاً، والله أعلم وقد صححه الشيخ شعيب في «الإحسان». انظر «تفسير القرطبي» ٤٠٢٧.

[٨٩٦] ورد هذا الخبر من وجوه متعددة واهية، وستأتي. ولم أجد من ذكر أن سبب نزول هذه الآية هو هذا الخبر. وانظر «تفسير القرطبي» ١٠/٢٣٧ بتخريجنا.

---

(١) سورة الأنعام: ٢٥.

فإنْ تَسْأَلينا فِيمَ نَحنُ فإنَّنا عَصافِيرُ مِنْ هَذا الأَنامِ المُسَحَّرِ

وقال امرُؤ القَيس:

أُرانا مُرَصَّدِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ

أي: نُغذَّى، لأنَّ أهلَ السماء لا يأكلون، فأراد أنْ يكون مَلَكاً. فعلى هذا يكون المعنى: إنْ تَتَّبعونَ إلاَّ رجلاً به سَحْرٌ، خلقَهُ اللهُ كخَلْقِكُم، وليس بمَلَكٍ، وهذا قولُ أبي عُبيدَةَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والقولُ قولُ مُجاهِدٍ، أي مخدوعاً، لأنَّ السِّحْرَ حِيلَةٌ وخديعةٌ؛ ومعنى قولِ لَبيدٍ «المسحَّر»: المُعلَّلُ، وقولُ امرئِ القَيْسِ: «ونُسْحَر» أي: نُعلَّلُ، وكأنَّا نُخدَعُ، والناس يقولون: سَحرْتَني بكلامِكَ، أي: خَدعتَني، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾، لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئَةٍ، لم يكن في ذلك مَثَلٌ ضَربُوه، فلمَّا أرادوا مَخدُوعاً ـ كأنه بالخَديعَةِ سُحِرَ ـ كان مَثَلاً ضَربُوه، وكأنهم ذهبوا إلى أنَّ قوماً يُعلِّمونه ويَخدَعُونه. قال المُفسِّرون: ومعنى ﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بيَّنوا لكَ الأشْباهَ، حتى شبَّهوكَ بالساحرِ والشاعرِ والمجنونِ ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحقّ، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يَجدونَ سبيلاً إلى تصحيحِ ما يَعيبُونكَ به. **والثاني**: لا يستطيعون سبيلاً إلى الهُدى، لأنَّا طبَعنَا على قلوبهم. **والثالث**: لا يأتونَ سبيلَ الحقِّ، لِثِقَلِه عليهم؛ ومِثلُه قولهم: لا أستطيع أنْ أنظرَ إلى فُلانٍ، يَعنُونَ؛ أنا مُبغِضٌ له، فنَظَري إليه يَثْقُلُ، ذكرهنَّ ابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «أيذا» بهمزةٍ ثم يأتي بياءٍ ساكنةٍ مِنْ غيرِ مَدّ، «أَينا»، مثله وكذلك في كلِّ القرآن. وكذلك رَوى قَالُونُ عن نافع، إلاَّ أنَّ نافعاً كان لا يَستَفهِمُ في «أَينا»، كان يجعل الثاني خبراً في كلِّ القرآن، وكذلك مذهبُ الكِسَائيِّ، غير أنه يَهمِزُ الأُولى همزتين. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزةُ بهمزتين في الحرفين جميعاً. وقرأ ابنُ عامرٍ: «إذا كُنا» بغير استفهام بهمزةٍ واحدةٍ «آئنا» بهمزتين يمُدُّ بينهما مَدَّةً.

قوله تعالى: ﴿وَرُفَٰتًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه التراب ولا واحدَ له، فهو بمنزلة الدُّقاقِ والحُطَام، قاله الفَرَّاءُ، وهو مذهبُ مُجاهِدٍ. **والثاني**: أنه العِظَامُ ما لم تَتحطَّمْ، والرُّفَاتُ: الحُطَامُ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقال الزَّجَّاجُ: الرُّفَاتُ: الترابُ. والرُّفَاتُ: كلُّ شيءٍ حُطِمَ وكُسِرَ، و ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ في معنى مُجَدَّداً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه الموتُ، قاله ابنُ عمرَ، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، والأكثرون. **والثاني**: أنه السماءُ والأرضُ والجبالُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه ما يَكْبُرُ في صُدورِكُم، مِنْ كلِّ ما استعظَمُوه مِنْ خَلْقِ الله تعالى، قاله قَتادَةُ.

فإنْ قيلَ: كيف قيلَ لهم: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ وهم لا يقدرون على ذلك؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: إنْ قدرتُم على تَغيُّرِ حالاتِكُم، فكونوا حِجارةً أو أشَدَّ منها، فإنَّا نُميتُكم، ونُنفِّذُ أحكامَنا فيكم، ومثل هذا قولكَ للرَّجلِ: اصعَدْ إلى السماءِ فإني لاحِقُكَ. **والثاني**: تَصوَّروا أنفسَكم حِجارةً أو أصلَبَ منها، فإنا سَنُبيدُكُم، قال الأحوَصُ:

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٩١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كل ما في صدور بني آدم، فجائز أن يكون عني به الموت أو السماء والأرض أو غير ذلك لأن الله جل ثناؤه لم يخصص منه شيئاً دون شيء.

إذا كُنتَ عَزْهَاةً عَنِ اللَّهوِ والصِّبا فَكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَامِدا[١]

معناه: فتَصوَّرْ نفسَكَ حَجَراً، وهؤلاءِ قومق اعترفُوا أنَّ الله خَالِقُهم، وجَحدُوا البَعثَ، فأُعلِموا أنَّ الذي ابتدأ خَلْقَهُم هو الذي يُحييهُم.

قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ قال قَتادَةُ: يُحَرِّكُونها تكذيباً واستهزاء. قال الفراء: يقال: أنغض رأسه: إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل. وقال ابن قتيبة: المعنى يحركونها كما يُحرِّكُ الآيسُ مِنَ الشيء والمُستبعِدُ له رأسَه، يقال: نَغَضَتْ سِنُّه: إذا تَحرَّكَتْ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ يعنونَ البَعْثَ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريبٌ. ثم بَيَّن متى يكون فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يعني: مِنَ القبور بالنِّداءِ الذي يُسمِعُكم، وهو النَّفخَةُ الأخيرة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ أي: تُجيبون. قال مُقاتِلٌ: يقوم إسرافيلُ على صخرةِ بيتِ المَقدسِ يدعو أهلَ القبور في قَرْنٍ. فيقول: أيَّتُها العِظامُ البَالية، وأيَّتُها اللحُومُ المُتمزِّقةُ، وأيَّتها الشُّعورُ المُتفرِّقة، وأيَّتها العُروقُ المُتقطِّعةُ، اخرُجوا إلى فَصْلِ القضاءِ لِتُجزَوا بأعمَالِكُم، فيسمعون الصوتَ، فيَسْعَون إليه. وفي معنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أربعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: بأمره، قاله ابنُ عباسٍ وابنُ جُرَيجٍ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: يخرجون مِنَ القبور وهم يقولون: سُبحانكَ وبحَمدِكَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أن معنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: بمعرفته وطاعَتِه، قاله قَتادَةُ، قال الزَّجّاجُ: تَستَجِيبون مُقِرِّينَ أنه خَالِقُكم. **والرابع**: تُجيبون بحمدِ الله لا بحَمدِ أنفسِكُم، ذكره المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في هذا الظَّنِّ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى اليَقين. **والثاني**: أنه على أصله. وأينَ يظنُّون أنهم لَبِثوا قليلاً؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بين النَّفختَين ومِقدَارُه أربعونَ سنةً، ينقطعُ في ذلك العذابُ عنهم، فيرَونَ لُبثَهُم في زمانِ الراحة قليلاً، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: في الدنيا، لِعلمِهم بطُولِ اللُّبْثِ في الآخرة، قاله الحَسنُ. **والثالث**: في القُبور، قاله مُقاتِلٌ. فعلى هذا إنما قُصِرَ اللُّبثُ في القبور عندهم، لأنهم خرجوا إلى ما هو أعظَمُ عذاباً مِنْ عذاب القبور. وقد ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيَةَ خطابٌ للمؤمنين، لأنهم يُجيبون المُنادي يحمدون اللهَ على إحسَانِه إليهم، ويَستقِلُّون مدَّةَ اللُّبثِ في القبور، لأنهم كانوا غيرَ مُعذَّبين.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ في سببِ نُزولها قولان:

[٨٩٧] **أحدهما**: أنَّ المشركين كانوا يُؤذونَ أصحابَ رسول الله ﷺ بمكَّةَ، بالقولِ والفعلِ،

---

[٨٩٧] باطل. ذكره الواحدي ٥٧٨ في «أسباب النزول» عن الكلبي بدون إسناد مختصراً، والكلبي يضع الحديث. =

---

(١) في «اللسان» العِزهاة: هو الذي لا يقرب النساء. وفيه انقباض وإعراض. وفي رواية «اللسان»: فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا. وصخرة جلمد: شديدة مجتمعة صلبة.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٩٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته، ودعائه إياكم ولله الحمد على كل حال، كما يقول القائل: فعلت ذلك الفعل بحمد الله، يعني لله الحمد على كل ما فعلته.

فشكَوا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ. قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٩٨] **والثاني**: أنَّ رجلاً مِنَ الكفار شَتمَ عمرَ بنَ الخطَّابِ، فهَمَّ به عمرُ رضي الله عنه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ، والمعنى: وقُلْ لِعبَادي المؤمنين يَقُولوا الكلمةَ التي هي أحسنُ.

واختلفوا فيمن تُقالُ له هذه الكلمةُ على قولين: **أحدهما**: أنهم المشركون، قال الحَسنُ: تقول له: يَهديكَ اللهُ، وما ذكرنا مِنْ سببِ نزول الآيةِ يُؤَيِّدُ هذا القولَ. وذهب بعضُهم إلى أنهم أُمِرُوا بهذه الآيةِ بتَحسينِ خطابِ المشركين قبلَ الأمرِ بقتالِهم، ثم نُسِخَتْ هذه الآيةُ بآية السَّيفِ. **والثاني**: أنهم المسلمون، قاله ابنُ جَريرٍ. المعنى: وقُلْ لعبَادِي يقول بعضُهم لبعضٍ التي هي أحسَنُ مِنَ المُحاورَةِ والمُخاطَبةِ. وقد روى مُبارَكٌ عن الحسَنِ قال: «التي هي أحسَنُ» أنْ يقولَ له مثلَ قولِه، ولكن يقولُ له: يَرحمُكَ اللهُ، يَغفِرُ اللهُ لكَ. قال الأخفَشُ: وقوله ﴿يَقُولُوا۟﴾ مثلُ قوله: ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقد شرحنا ذلك في سُورةِ إبراهيمَ[1]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي: يُفسِدُ ما بينهم، والعَدوُّ المُبِينُ: الظاهرُ العَداوَةِ.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ﴾ فيمَنْ خُوطِبَ بهذا قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون. ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ﴿إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ﴾ فيُنجيكُم مِنْ أهل مكَّةَ ﴿أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾ فيُسَلِّطهُم عليكم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: إنْ يَشأْ يرحَمْكُم بالتَّوبةِ، أو يُعذِّبْكم بالإقامَةِ على الذُّنوب، قاله الحَسنُ. **والثاني**: أنهم المشركون. ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: إنْ يَشأْ يَرْحَمْكُم، فيَهديكُم للإيمان، أو إنْ يَشأْ يُعذِّبْكم، فيُميتكُم على الكُفرِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه لمَّا نزل القَحْطُ بالمشركين فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[2]، قال الله تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ﴾ مِنَ الذي يُؤمِنُ، ومن الذي لا يُؤمِنُ ﴿إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ﴾ فيكشِفُ القحطَ عنكم ﴿أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾ فيَترُكُه عليكُم، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قال ابنُ الأنباري: و «أو» هاهنا دخلت لِسَعةِ الأمرَين عندَ الله تعالى، وأنه لا يَرُدُّ عنهما، فكانت مُلحقَةً بـ «أو» المُبيحَةِ في قولهم: جالِسِ الحسنَ، أو ابنَ سِيرينَ، يَعنُونَ: قد وَسَّعنا لكَ الأمرَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: كفيلاً تُؤخَذُ بهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: حافِظاً ورَبَّاً، قاله الفَرَّاءُ. **والثالث**: كَفِيلاً بهدَايتِهم وقادِراً على إصلاحِ قُلوبِهِم، ذكره ابنُ الأنباري. وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا مَنسوخٌ بآية السَّيفِ.

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾﴾

= وعزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهو باطل، فقد أقر الكلبي وأبو صالح بالكذب على ابن عباس.

[٨٩٨] باطل. ذكره الثعلبي كما في «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٤١ والماوردي والواحدي في «أسبابه» ٥٧٧ بدون نسبة لأحد. وعزاه المصنف لمقاتل، وهو كذاب يضع الحديث، ولذا لم يسمه الثعلبي والواحدي والماوردي.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣١. (٢) سورة الدخان: ١٢.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأنه خالِقُهم، فهَدَى مَنْ شاءَ، وأضلَّ مَنْ شاءَ، وكذلك فضَّلَ بعضَ النَّبيينَ على بعضٍ، وذلك عن حِكمَةٍ منه وعلْم، فخَلَقَ آدَم بيدِهِ، ورَفع إدريسَ، وجعلَ الذُّرِّيةَ لنُوحٍ، واتَّخذَ إبراهيمَ خَليلاً، وموسى كَليماً، وجعل عيسى رُوحاً، وأعطى سُليمانَ مُلْكاً جسيماً، ورفعَ محمَّداً ﷺ فوقَ السَّمواتِ، وغفرَ له ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ. يجوز أنْ يكون المُفضَّلون أصحابَ الكُتبِ، لأنه خَتمَ الكلامَ بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾. وقد شرحنا معنى «الزَّبُور» في سُورة النِّساءِ(١).

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ في سببِ نُزولها قولان:

[٨٩٩] **أحدهما**: أنَّ نَفراً مِنَ العرب كانوا يعبدون نَفراً مِنَ الجِنِّ، فأسلمَ الجِنُّ والنَّفرُ مِنَ العرب لا يشعرون، فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها، رُوي عن ابن مسعودٍ.

[٩٠٠] **والثاني**: أنَّ المشركين كانوا يعبدون الملائكةَ، ويقولون: هي تشفعُ لنا عندَ اللهِ، فلمَّا ابتُلُوا بالقَحْطِ سبعَ سنين، قيلَ لهم: «ادعوا الذين زعمتم»، قاله مُقاتِلٌ، والمعنى: قُلِ ادْعُوا الذينَ زَعمتُم أنهم آلهةٌ، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ لهُ إلى غيرِكُم.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ في المُشارِ إليهم بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ(٢):

أحدها: أنهم الجِنُّ الذين أسلَمُوا. **والثاني**: الملائكةُ، وقد سبقَ بيانُ القولَين. **والثالث**: أنهم المَسِيحُ، وعُزيرٌ، والملائكةُ! والشَّمسُ والقَمرُ، قاله ابنُ عباسٍ. وفي معنى «يدعون» قولان: **أحدهما**: يَعبدُون، أي: يَدعُونَهُم آلهةً، وهذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنه بمعنى يتضرَّعون إلى الله في طَلَبِ الوَسيلَةِ. وعلى هذا يكون قوله تعالى: «يدعون» راجعاً إلى «أولئك»، ويكون قوله: «يبتغون» تماماً للكلام. وعلى القولِ الأوَّلِ: يكون «يدعون» راجعاً إلى المشركين، ويكون قوله: «يبتغون» وَصفاً لـ «أولئك» مُستأنَفاً. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ: «تدعون» بالتاء. قال ابنُ الأنباري: فعلى هذا، الفِعلُ مَردُودٌ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ ومَنْ قرأ «يدعون» بالياء، قال: العربُ تَنصَرفُ مِنَ الخِطَابِ إلى الغَيْبَةِ إذا أُمِنَ اللَّبْسُ. ومعنى «يدعون»:

---

[٨٩٩] موقوف صحيح. أخرجه البخاري ٤٧١٥ ومسلم ٣٠٣٠ والنسائي في «التفسير» ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ والطبري ٢٢٣٧٦ و ٢٢٣٨٠ عن ابن مسعود موقوفاً. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٠٣١ بتخريجنا.

[٩٠٠] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فخبره باطل. وحيثما أطلق مقاتل، فهو ابن سليمان.

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٩٧: وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول ابن مسعود أنهم الجن الذين أسلموا.

يدعُونَهُم آلهةً. وقد فسَّرنا معنى «الوَسيلَةِ» في المَائِدة[١].

وفي قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قولان: ذكرهما الزَّجَّاجُ. **أحدهما**: أنْ يكونَ «أيهم» مرفوعاً بالابتِداءِ، وخبرُه أقربُ ويكون المعنىٰ: يطلبون الوسيلة إلى ربهم ينظرون أيهم أقرب إليه فيَتوسَّلُون إلى اللهِ به. **والثاني**: أنْ يكونَ «أيهم أقرب» بَدَلاً مِنَ الواو في «يبتغون»، فيكون المعنى: يبتغي أيُّهُم هو أقربُ الوَسيلَةِ إلى اللهِ، أي: يَتقرَّبُ إليه بالعملِ الصَّالحِ.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ «إن» بمعنى «ما»، والقريةُ الصَّالحةُ هَلاكُها بالموتِ، والعَاصِيةُ بالعذابِ، والكتابُ: اللوحُ المَحفوظُ، والمَسطُورُ: المكتوبُ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ في سببِ نُزولها قولان:

[٩٠١] **أحدهما**: أنَّ أهلَ مكَّةَ سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يجعلَ لهم الصَّفَا ذَهَباً، وأنْ يُنَحي عنهم الجبالَ فيزرعوا، فقيلَ لهُ: إنْ شئتَ أنْ تستأنيَ بهم لعلَّنا نَجتَبِي منهم، وإنْ شِئتَ نُؤتيهم الذي سألوا، فإنْ كَفَروا أُهلِكُوا كما أُهلِكَ مَنْ كان قَبلَهُم، قال: «لا، بل أستأنِي»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: قد ذكرناه عن الزُّبير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾[٢]، ومعنى الآيةِ: وما منَعَنا إرسَالَ الآياتِ التي سَألُوها إلاَّ تكذِيبُ الأوَّلينَ، يعني أنَّ هؤلاءِ سَألُوا الآياتِ التي استَوجبَ بتكذيبِها الأوَّلونَ العذابَ، فلم يُرسِلْها لِئَلاَّ يُكَذِّب بها هؤلاءِ، فيَهلِكُوا كما هَلَكَ أولئكَ، وسُنَّةُ الله في الأُمَمِ أنهم إذا سألوا الآياتِ ثم كذَّبوا بها عذَّبَهُم.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ قال ابنُ قُتَيبَةَ: أي: بَيِّنَةٌ، يريد: مُبْصَراً بها. قال ابنُ الأنبَاري: ويجوز أنْ تكونَ مُبصَرة، ويصلحُ أنْ يكونَ المعنى: مُبصِرٌ مُشاهِدُوهَا، فنسبَ إليها فِعلَ غيرِها تَجوُّزاً، كما يُقال: لا أَرَيَنَّكَ هاهنا، فأدخلَ حرفَ النَّهي على غير المَنْهِيِّ عنه، إذ المعنى: لا تَحْضُرْ

---

[٩٠١] أخرجه النسائي في «التفسير» ٣١٠ وأحمد ١/ ٢٥٨ والطبري ٢٢٣٩٨ والحاكم ٢/ ٣٦٢ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٧١ والواحدي في «أسباب النزول» ٥٧٩ من طرق عن جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وإسناده صحيح. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه البزار ٢٢٢٤ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٧٢ من حديث سلمة بن كهيل عن عمران السلمي عن ابن عباس به. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٥٠ وقال: ورجال الروايتين رجال الصحيح. وصححه **أحمد شاكر في «المسند»** ٢٣٣٣.

---

(١) سورة المائدة: ٣٥. (٢) سورة الرعد: ٣١.

هاهنا، حتى إذا جئتُ لم أرَكَ فيه. ومَنْ قرأ «مَبْصَرة» بفتحِ الميمِ والصَّادِ، فمعناه: المُبالغَةُ في وَصْفِ النَّاقة بالتِّبيان، كقولِهم: «الوَلَدُ مَجْبَنَة».

قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ قال ابنُ عباس: فجَحدُوا بها. وقال الأَخفَشُ: بها كان ظُلمُهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: نُخوِّف العبادَ ليتَّعِظوا. وللمُفسِّرين في المُرادِ بهذه الآيةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المَوتُ الذَّريعُ، قاله الحَسنُ. **والثاني**: مُعجزَاتُ الرُّسلِ جعلها اللهُ تعالى تخويفاً للمُكذِّبين. **والثالث**: آياتُ الانتقام تخويفاً مِنَ المعاصي. **والرابع**: تَقلُّبُ أحوالِ الإنسان مِنْ صِغَرٍ إلى شبابٍ، ثم إلى كُهُولَةٍ، ثم إلى مَشِيبٍ، ليعتبر بتقلُّب أحواله فيخاف عاقبة أمره، ذَكَرَ هذه الأقوالَ الثلاثةَ المَاوَرديِ، ونسبَ الأخيرَ منها إلى إمامِنا أحمدَ رضي الله عنه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أحاطَ عِلمُه بالناس، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. وقال مُقاتِلٌ: أحاطَ عِلمُهُ بالناس، يعني: أهلَ مكَّةَ، أنْ يفتحَها لرَسولِه ﷺ. **والثاني**: أحاطَتْ قُدرتُه بالناس، فَهُمْ في قَبضَتِه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: حَالَ بينكَ وبين الناس أنْ يقتُلوكَ، لِتُبلِّغ رسالَتَهُ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ في هذه الرُّؤيا قولان(١):

أحدهما: أنها رُؤيا عَينٍ، وهي ما أُري ليلةَ أُسرِيَ به مِنَ العجائبِ والآياتِ. روى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ قال: هي رُؤيا عَينٍ رآها ليلةَ أُسرِيَ به، وإلى هذا المعنى ذهب الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، ومَسرُوقٌ، والنَّخعيُّ، وقَتادةُ، وأبو مالكٍ، وأبو صالحٍ، وابنُ جُريجٍ، وابنُ زيدٍ في آخَرين. فعَلَى هذا يكون معنى الفِتنة: الاختِبَارُ، فإنَّ قوماً آمَنوا بما قَال، وقوماً كَفروا. قال ابنُ الأنبَاري: المُختارُ في هذه الرُّؤيةِ أنْ تكون يقظةً، ولا فرقَ بين أنْ يقولَ القائلُ: رأيتُ فُلاناً رُؤيةً، ورأيتُه رُؤيَا، إلاَّ أنَّ الرُّؤيةَ يقِلُّ استعمَالُها في المنام، والرُّؤيَا يكثرُ استعمَالُها في المنامِ، ويجوز كلُّ واحدٍ منهما في المَعنَيينِ. **والثاني**: أنها رُؤيَا منامٍ. ثمَّ فيها قولان:

[٩٠٢] **أحدهما**: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان قد أُرِيَ أنه يدخلُ مكَّةَ، هو وأصحابُه، وهو يَومئذٍ بالمدينةِ، فعجَّلَ قبل الأجَلِ، فردَّه المشركون، فقال أُناسٌ: قد رُدَّ، وكان حدَّثَنا أنه سَيدخُلها، فكان رجوعُهم فِتنَتُهم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وهذا لا يُنافي حديثَ المِعرَاجِ، لأنَّ هذا كان بالمدينة، والمِعراجُ كان بمكَّةَ: قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وإنما ذكره ابنُ عباسٍ على وَجهِ الزيادة في الإِخبارِ لنا أنَّ المشركين بمكَّةَ افتتَنُوا برُؤيَا عَينِه، والمنافقين بالمَدينةِ افتتَنُوا برُؤيا نومِه.

---

[٩٠٢] أخرجه الطبري ٢٢٤٣٢ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لضعف عطية.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ١٠٣: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال عني به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به.

[٩٠٣] **والثاني**: أنه أُرِيَ بَني أُميَّةَ على المَنابرِ، فسَاءَهُ ذلك، فقيلَ له: إنها الدُّنيا يُعطُونَها، فَسُرِّيَ عنه. فالفِتنة هاهنا: البَلاءُ، روَاه عليُّ بن زيدِ بنِ جُدْعانَ عن سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ، وإنْ كان مثلُ هذا لا يصحُّ، ولكن قد ذكره عامَّةُ المفسِّرين.

وروى ابنُ الأنبَاري أنَّ سعيدَ بنَ المُسيِّبِ قال: رأى رسولُ اللهِ ﷺ قوماً على منابرَ، فشَقَّ ذلك عليه، وفيه نزلَ: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾، قال: ومعنى قوله: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: إلاَّ بلاءً للناس[(١)]. قال ابنُ الأنبَاري: فمَنْ ذهب إلى أنَّ الشجرةَ رجالٌ رآهم النبيُّ ﷺ في منامه يَصعَدُونَ المنَابرَ، احتجَّ بأنَّ الشجرة يُكَنَّى بها عن المرأة لتأنيثِها، وعن الجماعة لاجتماع أغصَانِها. قالوا: ووقعت اللعنةُ بهؤلاءِ الذين كَنَّى عنهم بالشجرة. قال المُفسِّرون: وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: وما جعلنا الرُّؤيا والشجرةَ إلاَّ فِتنةً للناس. وفي هذه الشَّجرةِ ثلاثةُ أقوالٍ[(٢)]:

أحدها: أنها شجرةُ الزَّقُّومِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، ومَسرُوقٌ، والنَّخعيُّ، والجمهور.

[٩٠٤] وقال مُقاتِلٌ: لمَّا ذكرَ اللهُ تعالى شجرةَ الزَّقُّوم، قال أبو جَهلٍ: يا معشرَ قُريشٍ إنَّ محمَّداً يُخوِّفكُم بشجرةِ الزَّقُّوم، ألستُم تعلمونَ أنَّ النارَ تُحرِقُ الشجرَ، ومحمَّدٌ يزعم أنَّ النارَ تُنبِتُ الشجرَ، فهل تدرون ما الزَّقُّومُ، فقالَ عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى: إنَّ الزَّقُّومَ بلسان بَرْبَر: التَّمرُ والزُّبْدُ، فقال أبو جَهلٍ: يا جاريةُ ابغِينا تمراً وزُبداً، فجاءتْهُ به، فقال لِمَنْ حوله: تَزَقَّمُوا مِنْ هذا الذي يُخوِّفكُم به محمَّدٌ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾: قال ابنُ قُتيبةَ: كانت فِتنَتُهم بالرُّؤيا قولُهم: كيف يذهب إلى بيتِ المَقدِسِ، ويرجعُ في ليلةٍ؟! وبالشجرةِ قولُهم: كيف يكون في النارِ شجرةٌ؟!

وللعلماءِ في معنى «المَلعُونة» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَذمُومَةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: المَلعونُ آكلُهَا، ذكره الزَّجَّاجُ، وقال: إنْ لم يكن في القرآن ذِكرُ لَعنِهَا، ففيه لعنُ آكِلِيهَا؛ قال: والعرب تقول لكلِّ طعامٍ مكروهٍ وضارٍّ: مَلعونٌ؛ فأمَّا قوله تعالى: ﴿فِي الْقُرْءَانِ﴾ فالمعنى: التي ذُكِرَتْ في القرآن، وهي

---

[٩٠٣] ضعيف جداً. أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم كما في «الدر» ٣/٣٤٦ على علي بن زيد عن سعيد بن المسيّب مرسلاً، وهذا إسناد واهٍ، فهو مرسل، وعلي بن زيد ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٤٣٣ عن ابن عباس، وأعله ابن كثير بمحمد بن الحسن بن زبالة وأنه ضعيف جداً، قال: وشيخه ـ عبد المهيمن بن عباس ضعيف بالكلية.

قلت: والمتن منكر، لا يصح في هذا الباب شيء. قال الحافظ في «الفتح» ٨/٣٩٨: روي عن جماعة من الصحابة، وأسانيد الكل ضعيفة اهـ. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٤٣٥ بتخريجنا.

[٩٠٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية. وأخرجه الطبري ٢٢٤٥٢ و ٢٢٤٥٣ بنحوه عن قتادة. مرسلاً. وورد من مرسل الحسن، أخرجه برقم ٢٢٤٣٩.

---

(١) ضعيف جداً، وانظر ما قبله.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/١٠٥: وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: عني بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. وهو اختيار ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٦٤. وقال الحافظ في «الفتح» ٨/٣٩٩ وهذا هو الصحيح ذكره ابن أبي حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين.

مذكورةٌ في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾[1]. والثالث: أنَّ معنى «المَلعُونة»: المُبعَدَةُ عن منازل أهل الفَضْلِ، ذكره ابنُ الأنباري.

والقول الثاني: أنَّ الشجرَة المَلعُونةَ هي التي تَلتَوي على الشَّجرِ، يعني: الكَشُوثى[2]، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

والثالث: أنَّ الشجرةَ كنايةٌ عن الرجالِ على ما ذكرنا عن سعيدِ بنِ المُسَيِّب.

قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ قال ابنُ الأنباري: مفعولُ «نخوِّفهم» محذوفٌ، تقديرُه: ونخوِّفهم العذابَ، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: فما يَزيدُهم التَّخويفُ ﴿إِلَّا طُغْيَانًا﴾؛ وقد ذكرنا معنى الطُّغيانِ في سورةِ البَقرةِ[3]، وذكرنا هناك تفسيرَ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾[4].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝٦٣ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾

قوله تعالى: «آسْجُدُ» قرأه الكُوفيُّون: بهَمزتَين. وقرأه الباقون: بهمزةٍ مُطوَّلةٍ؛ وهذا استفهامُ إنكارٍ، يعني به: لم أكُنْ لأفعَلَ.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: «طيناً» منصوبٌ على وَجْهَين: **أحدهما**: التَّمييز، المعنى: لِمَنْ خَلقتَهُ مِنْ طينٍ. **والثاني**: على الحالِ، المعنى: أنشأتَهُ في حالِ كونه مِنْ طينٍ. ولفظُ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ جاء هاهنا بغير حرفِ عطفٍ، لأنَّ المعنى: قال آسجُدُ لِمَنْ خلقتَ طِيناً، وأرأيتَكَ، وهي في معنى: أخبِرني، والكافُ ذُكِرَتْ في المُخاطبة توكيداً، والجوابُ محذوفٌ، والمعنى: أخبِرني عن هذا الذي كرَّمتَ عليَّ، لِمَ كرَّمتَهُ عليَّ وقد خَلقتَني مِنْ نارٍ وخَلقتَهُ مِنْ طينٍ؟! فحذفَ هذا، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرَ: «أخرتني» بياءٍ في الوصلِ. ووَقَفَ ابنُ كَثيرٍ بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ بغير ياءٍ في وَصلٍ ولا في وَقْفٍ. قوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأَستَولِيَنَّ عليهم، قاله ابنُ عباسٍ، والفرَّاءُ. **والثاني**: لأُضِلَّنَّهم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: لأَستَأصِلَنَّهم؛ يُقال: احْتَنَكَ الجرادُ ما على الأرضِ: إذا أكلَهُ؛ واحْتَنَكَ فُلانٌ ما عند فُلانٍ مِنَ العِلْمِ: إذا استقصاهُ، فالمعنى: لأَقودَنَّهم كيف شِئتُ،

---

(١) سورة الدخان: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) في «اللسان»: الكشوث: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض.
والكَشُوثَى: نبات مجتث مقطوع الأصل، وقيل: لا أصل له، وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك.

(٣) سورة البقرة: ١٥.　(٤) سورة البقرة: ٣٤.

هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ. فإنْ قيلَ: مِنْ أين عَلِمَ الغَيبَ. فقد أجَبْنَا عنه في سُورة النِّساءِ[(١)]. قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابنُ عباس: هم أولياءُ اللهِ الذي عَصَمَهُم. قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ هذا اللفظُ يتضَمَّنُ إنظارَهُ؛ ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾، أي: تَبِعَ أمرَكَ منهم، يعني: ذُرِّيةَ آدمَ. والمَوفُورُ: المُوفَّرُ. قال ابنُ قُتَيبة: يُقال: وفَّرْتُ مالَهُ عليه، وَوَفَرْتُه، بالتَّخفيف والتَّشديدِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: اسْتَخِفَّ، ومنه تقولُ: استَفَزَّني فُلانٌ. وفي المُراد بصَوتهِ قولان[(٢)]: **أحدهما**: أنه كلُّ داعٍ دَعَا إلى معصيةِ الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الغِنَاءُ والمَزامِيرُ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي: صِحْ ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ واحثُثْهُم عليهم بالإغراءِ؛ يقال: أجْلَبَ القومُ وجَلَّبُوا: إذا صَاحُوا. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: اجمَعْ عليهم كلَّ ما تَقدِرُ عليه مِنْ مَكايدِكَ؛ فعلى هذا تكون الباءُ زائدةً. قال ابنُ قُتَيبةَ: والرَّجلُ: الرَّجَّالَةُ؛ يُقال: رَاجِلٌ ورَجْلٌ، مثل تاجِر وتَجْر، وصاحِب وصَحْب. قال ابنُ عباسٍ: كلُّ خَيْلٍ تسير في معصيةِ الله، وكلّ رَجُلٍ يَسيرُ في معصيةِ الله. وقال قَتَادَةُ: إنَّ له خَيْلاً ورَجْلاً مِنَ الجِنِّ والإنسِ. وروى حَفْصٌ عن عَاصِم: «بخيلك ورَجِلِكَ» بكسرِ الجيم، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ، وأبي رَزِينٍ، وأبي عبدِ الرَّحمن السُّلَمي. قال أبو زيدٍ: يُقال: رَجُلٌ رَجِلٌ: للرجَّال، ويقال: جاءنا حَافِياً رَجِلاً. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع، والجَحدريُّ: «بخيلك ورُجَّالك» برفع الراء وتشديدِ الجيم مفتوحةً وبألِفٍ بعدَها. وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزَاءِ، وعِكرمَةُ: «ورِجَالك» بكسرِ الراءِ وتخفيفِ الجيم مع ألِفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ما كانوا يُحرِّمونه مِنْ أنعَامِهِم، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الأموالُ التي أُصيبتْ مِنْ حَرام، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: التي أنفقُوها في معاصي اللهِ، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: ما كانوا يَذبَحون لآلِهَتِهِم، قاله الضَّحَّاكُ. فأمَّا مُشارَكتُه إيَّاهُم في الأولادِ، ففيها أربعةُ أقوالٍ[(٣)]: **أحدها**: أنهم أولادُ الزِّنا، روَاه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: المَوءُودَةُ مِنْ أولادِهم، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه تسميةُ أولادِهم عبيداً لأوثَانِهم، كعبدِ شَمْسٍ، وعبدِ العُزَّى، وعبدِ مَنَافٍ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: ما مَجَّسُوا وهَوَّدُوا ونَصَّرُوا، وصَبَغُوا مِنْ أولادِهم غيرَ صِبْغَةِ الإسلام، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ﴾ قد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾[(٤)] إلى آخرِ الآيةِ. وهذه

---

(١) سورة النساء: ١١٩.

(٢) قال الطبري ٨/١٠٨: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/١١١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كل ولد ولدته أنثى عصي الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها به أو فيه، وأطيع به الشيطان أو فيه.

(٤) سورة النساء: ١٢٠.

الآيةُ لفظُها لفظُ الأمرِ، ومعناها التَّهديدُ، ومِثلُها في الكلام أنْ تقولَ للإنسان: اِجْهَدْ جَهدَكَ فسترى ما يَنزلُ بكَ. قال الزَّجَّاجُ: إذا تقدَّمَ الأمرَ نهيٌ عمَّا يُؤمرُ به، فمعناه التَّهديدُ والوَعيدُ، تقول للرجل: لا تدخُلَنَّ هذه الدارَ؛ فإذا حاول أنْ يدخلَها قلتَ: ادخُلْهَا وأنتَ رجلٌ، فلستَ تأمُرُه بدخولِها، ولكنَّكَ تُوعِدُه وتُهدِّدُه، ومثله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾[1] وقد نُهوا أنْ يعملوا بالمعاصي. وقال ابنُ الأنباري: هذا أمرٌ معناه التَّهديدُ، تقديره: إنْ فعلتَ هذا عاقَبْناكَ وعذَّبناكَ، فنُقِلَ إلى لفظِ الأمرِ عن الشَّرطِ، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ﴾ قد شرحناه في الحِجْرِ[3]. قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ قال الزَّجَّاجُ: كفى به وَكِيلاً لأوليائه يَعصِمُهُم مِنَ القَبولِ مِن إبليسَ.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي: يُسيِّرها. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: زَجيتُ الشيءَ، أي قَدَّمتُهُ. قوله تعالى: ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: في طَلَبِ التِّجارة. وفي «مِنْ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها:** أنها زائدةٌ. **والثاني:** أنها للتَّبعيضِ. **والثالث:** أنَّ المفعولَ محذوفٌ، والتقدير: لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه الرِّزقَ والخيرَ، ذكرهنَّ ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ هذا الخِطابُ خاصٌّ للمؤمنين، ثم خاطبَ المشركين فقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ يعني: خوفَ الغرَقِ ﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ﴾ أي: يَضِلُّ مَنْ يدعُونَ مِنَ الآلهةِ، إلاَّ اللهُ تعالى. ويُقالُ: ضلَّ بمعنى غابَ، يقال: ضَلَّ الماءُ في اللَّبَنِ: إذا غابَ، والمعنى: أنكم أخلصتُم الدُّعاءَ للهِ، ونَسِيتُم الأنْدادَ. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو المُتوكِّلِ: «ضَلَّ مَنْ يَدْعُون» بالياء. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ﴾ عن الإيمانِ والإخلاص ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعني الكافرَ ﴿كَفُورًا﴾ بنعمةِ ربِّه. ﴿أَفَأَمِنتُمۡ﴾ إذا خرَجتُم مِنَ البحرِ ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «نخسف بكم» «أو نرسل» «أن نعيدكم» «فنرسل» «فنغرقكم» بالنون في الكُلِّ. وقرأ نَافِعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، بالياء في الكُلِّ. وقرأ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، بالياءِ في الكُلِّ. ومعنى ﴿يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ﴾، أي: نُغيِّبُكُم ونُذهِبُكُم في ناحيةِ البَرِّ، والمعنى: إنَّ حُكمِي نافِذٌ في البَرِّ نُفوذَهُ في البحرِ. ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها:** أنَّ الحَاصِبَ: حِجارةٌ مِنَ السماء، قاله قَتادَةُ. **والثاني:** أنه الرِّيحُ العَاصِفُ تَحْصِبُ، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشد للفرزدَقِ:

---

(١) سورة فصلت: ٤٠. (٢) سورة الكهف: ٢٩. (٣) سورة الحجر: ٤٢.

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الرِّيحِ تَضْرِبُهُم بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

وقال ابنُ قُتَيبةَ: الحَاصِبُ: الرِّيحُ، سُمِّيت بذلك لأنها تَحْصِبُ، أي: ترمي بالحَصباءِ، وهي الحَصَى الصِّغارُ. وقال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: الحَاصِبُ الرِّيحُ التي فيها الحَصَى. وإنَّما قال في الرِّيح: ﴿حَاصِبًا﴾ ولم يَقُلْ: «حَاصِبة» لأنه وَصْفٌ لزم الرِّيحَ ولم يكن لها مُذكَّرٌ تنتقلُ إليه في حالٍ، فكان بمنزلةِ قولهم: «حائِض» للمَرأةِ، حينَ لم يُقَلْ: رجلٌ حائِضٌ. قال: وفيه جوابٌ آخرُ، وهو أنَّ نَعْتَ الرِّيحِ عُزِيَ مِنْ علامة التَّأنيثِ، فأشبهَتْ بذلك أسماءَ المُذَكَّرِ، كما قالوا: السماءُ أمطَرَ، والأرضُ أنبَتَ. **والثالث**: أنَّ الحَاصِبَ: التُّرابُ الذي فيه حَصباءُ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: مانِعاً وناصِراً.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: في البَحرِ ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: مَرَّةً أُخرى، والجمعُ: تَارَاتٌ. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هي التي تَقصِفُ كلَّ شيءٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: القَاصِفُ: الرِّيح التي تَقْصِفُ الشَّجرَ، أي: تكسِرُهُ.

قوله تعالى: ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو جعفرَ، وشَيبَةُ، ورُوَيسٌ: «فتغرقكم» بالتاء، وسكونِ الغينِ، وتخفيفِ الراءِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأيوبُ: «فيغرّقكم» بالياءِ، وفتحِ الغينِ، وتشديدِها. وقرأ أبو رَجَاءٍ مثلَهُ، إلاَّ أنه بالتاء ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بكُفرِكُم حيثُ نَجوتُم في المَرَّةِ الأُولَى، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: مَنْ يتبَعُ بدِمائِكُم، أي: يُطالِبُنا. قال عبدُ اللهِ بنُ عمروٍ رضي الله عنهما: رِيحُ العذابِ أربعٌ، اثنتان في البَرِّ، واثنتان في البحرِ، فاللَّتان في البَرِّ: الصَّرْصَرُ، والعَقِيمُ، واللتان في البحرِ: العَاصِفُ، والقَاصِفُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ أي: فضَّلناهُم. قال أبو عُبيدَةَ: و «كرَّمنا» أشدُّ مُبالغةً مِنْ «أكرمنا». وللمُفسِّرين فيما فُضِّلوا به أحدَ عشرَ قولاً: **أحدها**: أنهم فُضِّلوا على سائرِ الخَلْقِ غيرَ طائفةٍ مِنَ الملائكة: جِبريلُ، ومِيكائِيلُ، وإسرافيلُ، ومَلَكُ المَوتِ، وأشباهُهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. فعَلَى هذا يكون المُراد: المؤمنين منهم، ويكون تفضِيلُهم بالإيمان. **والثاني**: أنَّ سائرَ الحيوان يأكلُ بفِيهِ، إلاَّ ابنَ آدمَ فإنه يأكلُ بيده، رواه مَيْمُونُ بنُ مِهرَانَ عن ابنِ عباسٍ. وقال بعضُ المُفسِّرين: المراد بهذا التَّفضيلِ: أكلُهم بأيدِيهم، ونظافةُ ما يقتَاتُونَهُ، إذِ الجِنُّ يَقتَاتُونَ العِظَامَ والرَّوثَ. **والثالث**: فُضِّلوا بالعقل، رُوي عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: بالنُّطقِ والتَّمييزِ، قاله **الضَّحَّاكُ**. **والخامس**: بتَعدِيلِ القَامَةِ وامتِدادِها، قاله عَطاءٌ. **والسادس**: بأنْ جعلَ محمَّداً ﷺ منهم، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والسابع**: فُضِّلوا بالمَطاعِمِ واللَّذَّاتِ في الدنيا، قاله زَيْدُ بنُ أسلَمَ. **والثامن**: بحُسنِ الصُّورةِ، قاله يَمَانٌ. **والتاسع**: بتَسليطِهم على غيرِهم مِنَ الخَلْقِ، وتسخيرِ سائرِ الخَلْقِ لهم، قاله محمَّدُ بنُ جَريرٍ. **والعاشر**: بالأمرِ والنَّهي، ذكره المَاوَردِي. **والحادي عشر**: بأنْ جُعلتِ اللِّحى للرجال، والذَّوائبُ للنساء، ذكره الثَّعلبيُّ.

فإنْ قيلَ: كيف أطلقَ ذِكْرَ الكرامة على الكُلِّ، وفيهم الكافرُ المُهانُ؟ فالجواب مِنْ وَجهَين: **أحدهما**: أنه عَاملَ الكُلَّ معاملةَ المُكرَم بالنِّعم الوَافرةِ. **والثاني**: أنه لمَّا كان فيهم مَنْ هو بهذه الصِّفةِ، أجرى الصِّفةَ على جماعَتِهم، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على أكبادٍ رَطْبَةٍ، وهي: الإبلُ، والخَيلُ، والبِغالُ، والحَميرُ، وفي ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ على أعواد يابسةٍ، وهي: السُّفنُ. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: الحَلالُ. **والثاني**: المُستَطابُ في الذَّوقِ. قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه على لَفظِه، وأنهم لم يُفضَّلوا على سائرِ المَخلُوقاتِ. وقد ذكرنا عن ابنِ عباسٍ أنهم فُضِّلوا على سائرِ الخَلْقِ غيرَ طائفةٍ مِنَ الملائكة. وقال غيرُه: بل الملائكةُ أفضَلُ. **والثاني**: أنَّ معناه: وفضَّلناهُم على جميع مَنْ خَلَقْنَا. والعربُ تضع الأكثَر والكثيرَ في موضعِ الجمعِ، كقوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾[1].

[٩٠٥] وقد رَوى أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: **«المؤمنُ أكرَمُ على اللهِ عزَّ وجلَّ مِنَ الملائكةِ الذين عِندَهُ»**.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على معنى: «اذكر يوم ندعو كل أناس بإمامهم». والمُراد به: يومُ القيامةِ. وقرأ الحَسنُ البَصريُّ: «يوم يدعو» بالياء (كلَّ) بالنَّصب. وقرأ أبو عِمرَانَ الجَونيُّ: «يوم يُدعى» بياءٍ مرفوعةٍ، وفتح العينِ، وبعدَها ألِفٌ، «كلُّ» بالرفع. وفي المراد بإمَامِهِم أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه رَئيسُهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وروى عنه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ أنه قال: إمامُ هُدًى، أو إمامُ ضَلالَةٍ. **والثاني**: عَمَلُهم، رواه عطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه

---

[٩٠٥] ضعيف جداً، أخرجه ابن ماجه ٣٩٤٧ من طريق الوليد بن مسلم عن حماد بن سلمة عن أبي المُهزِّم يزيد بن سفيان قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن أكرم على الله عز وجل، من بعض ملائكته». وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده ضعيف لضعف يزيد بن سفيان، أبي المهزِّم. وأخرجه البيهقي في «الشعب» ١٥٢ عن أبي هريرة موقوفاً. وقال: كذا رواه أبو المهزّم عن أبي هريرة موقوفاً، وأبو المهزّم متروك.
وله شاهد أخرجه البيهقي في «الشعب» ١٥٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وإسناده ضعيف جداً لأجل عبيد الله بن تمام. وقال البيهقي: تفرّد به ابن تمام، وقال البخاري: عنده عجائب ورواه غيره موقوفاً، وهو الصحيح اهـ. ومن طريق عبيد الله بن تمام أخرجه الخطيب ٤/ ٤٥ والطبراني كما في «المجمع» ٢٦٦ وأعله الهيثمي بابن تمام. وأخرجه الطبراني كما في «المجمع» ٢٦٥ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال الهيثمي: فيه إبراهيم بن عبد الله المصيصي، وهو متروك، ورواه في «الأوسط» وفيه طلحة بن زيد وهو كذاب اهـ. وورد من حديث جابر أخرجه البيهقي في «الشعب» ١٤٩ وقال البيهقي: في ثبوته نظر اهـ وفيه عبد ربه بن صالح العرشي لم أجد له ترجمة، والحديث غير صحيح بكل حال. والأشبه كونه من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد أخذه من الزاملتين اللتين وقعتا له يوم اليرموك والله أعلم. والحديث استغربه ابن كثير جداً. انظر «تفسيره» ٣/ ٦٨.

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٣.
(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١١٦: وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمون به في الدنيا.

قال الحسَنُ، وأبو العَالِية. **والثالث**: نَبيُّهم، قاله أنسُ بنُ مالكٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ. **والرابع**: كِتابُهم، قاله عِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ. ثم فيه قولان: **أحدهما**: أنه كِتابُهم الذي فيه أعمَالِهم، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: كِتابُهم الذي أُنزِلَ عليهم، قاله الضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. **فعلى القولِ الأولِ** يُقال: يا مُتَّبِعي موسى، يا مُتَّبِعي عيسى، يا مُتَّبِعي محمَّدٍ؛ ويقال: يا مُتَّبِعي رؤساءِ الضَّلالةِ. **وعلى الثاني**: يا مَنْ عَمِلَ كذا وكذا. **وعلى الثالث**: يا أُمَّةَ موسى، يا أُمَّةَ عيسى، يا أُمَّةَ محمَّدٍ. **وعلى الرابع**: يا أهلَ التَّوراةِ، يا أهلَ الإنجيلِ، يا أهلَ القرآنِ. أو يا صاحبَ الكتابِ الذي فيه عَمَلُ كذا وكذا.

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ معناه: يقرؤون حِسابَهم، لأنهم أخذُوا كُتبَهم بأيمَانِهم. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا يُنقَصُونَ مِنْ ثوابِهم بقَدْرِ الفَتيْلِ، وقد بيَّنَّاهُ في سُورةِ النِّساء[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ مَفتُوحَتَي الميم، وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ بكسر المِيْمَين، وقرأ أبو عَمروٍ: «في هذه أعمي» بكسرِ الميم، «فهو في الآخرة أعمَى» بفَتْحِها.

وفي المُشارِ إليها بـ ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ قولان[2]: **أحدهما**: أنها الدنيا، قاله مُجاهِدٌ. ثم في معنى الكلام خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَنْ كان في الدنيا أعمى عن معرفةِ قُدرَةِ الله في خَلْقِ الأشياء، فهو عَمَّا وُصِفَ له في الآخرة أعمَى، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مَنْ كان في الدنيا أعمى بالكُفرِ، فهو في الآخرةِ أعمى، لأنه في الدنيا تُقبَلُ تَوبَتُه، وفي الآخرة لا تُقبَلُ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: مَنْ عَمِيَ عن آياتِ الله في الدنيا، فهو عن الذي غُيِّبَ عنه مِنْ أمور الآخرة أشدُّ عَمى. **والرابع**: مَنْ عَمِيَ عن نِعَمِ الله التي بَيَّنَها في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿تَفْضِيلًا﴾ فهو في الآخرة أعمى عن رَشَادِه وصَلاحِه، ذكرهما ابنُ الأنباري. **والخامس**: مَنْ كان فيها أعمى عن الحُجَّةِ، فهو في الآخرة أعمى عن الجنَّةِ، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والثاني**: أنَّها النِّعَمُ. ثم في الكلام قولان: **أحدهما**: مَنْ كان أعمى عن النِّعَمِ التي تُرى وتُشَاهدُ، فهو في الآخرة التي لم تُرَ أعمَى، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مَنْ كان أعمى عن معرفةِ حَقِّ الله في هذه النِّعَمِ المذكورةِ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يُؤدِّ شُكرَهَا، فهو فيما بينَهُ وبينَ الله ممَّا يُتقرَّبُ به إليه أعمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، قاله السُّدِّيُّ. قال أبو عليٍّ الفارسيّ: ومعنى قوله: ﴿فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: أشدُّ عَمىً، لأنه كان في الدنيا يُمكِنُه الخروجُ عن عَمَاهُ بالاستِدلالِ، ولا سبيلَ له في الآخرة إلى الخروجِ مِنْ عَمَاهُ. وقيلَ: معنى العَمَى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طريقِ الثوابِ، وهذا كلُّه مِنْ عَمَى القَلبِ. فإنْ قيلَ: لِمَ قال: ﴿فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ ولم يَقُلْ: أشدُّ عَمىً، لأنَّ العمى خِلْقةٌ بمنزلةِ الحُمرَةِ، والزُّرقَةِ، والعرب تقول: ما أشدَّ سَوادَ زيدٍ، وما أبيَنَ زُرقَةَ عَمروٍ، وقلَّما يقولون: ما أسودَ زيداً، وما أزرقَ عُمراً؟ فالجوابُ: أنَّ

---

(١) سورة النساء: ٤٩.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/١١٨: وأولى الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها، ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلاً. يقول: وأضل منه في أمر الدنيا التي عاينها ورآها.

المُرَاد بهذا العَمَى عَمَى القَلبِ، وذلك يتزايدُ ويَحدُثُ منه شيءٌ بعد شيءٍ، فيخالف الخِلْقَ اللاّزِمةَ التي لا تزيدُ، نحو عَمَى العَينِ، والبياضِ، والحُمرَةِ، ذكره ابنُ الأنباري.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ في سببِ نُزولها أربعةُ أقوالٍ[(١)]:

[٩٠٦] **أحدها**: أنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ أتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: مَتِّعنا باللاتِ سَنةً، وحَرِّمْ وادِيَنا كما حرَّمْتَ مكَّةَ، فأبَى ذلك، فأقبلُوا يُكثِرون مسألتَهم، وقالوا: إنَّا نُحبُّ أنْ تُعرِّفَ العربَ فَضلَنا عليهم، فإنْ خشيتَ أنْ يقولَ العربُ: أَعطَيْتَهُم ما لم تُعطِنا، فقُلْ: اللهُ أمرَني بذلكَ؛ فأمسَكَ رسولُ الله ﷺ عنهم ودَخلَهُم الطَّمعُ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. وروى عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ أنهم قالوا: أَجِّلْنا سنةً، ثم نُسْلِمُ ونكسِرُ أصنامَنا، فهَمَّ أنْ يُؤجِلَهُم، فنزلت هذه الآيةُ.

[٩٠٧] **والثاني**: أنَّ المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: لا نَكُفُّ عنكَ إلاَّ بأنْ تُلِمَّ بآلهَتِنا، ولو بأطرَافِ أصابِعكَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما علَيَّ لو فعلتُ واللهُ يعلم إنِّي لَكَارِهٌ»؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وهذا باطلٌ لا يجوز أنْ يُظَنَّ برسولِ اللهِ ﷺ، ولا ما ذكرنا عن عَطيَّةَ مِنْ أنه هَمَّ أنْ يُنظِرهم سَنةً، وكلُّ ذلك مُحال في حَقِّهِ وفي حق الصحابة أنهم رووا عنه.

[٩٠٨] **والثالث**: أنَّ قُريشاً خَلَوْا برسولِ الله ليلةً إلى الصَّباح يُكَلِّمونَهُ ويُفَخِّمونَهُ، ويقولون: أنتَ سيِّدُنا وابنُ سَيِّدِنا، وما زالوا به حتى كادَ يُقاربهم في بعضِ ما يُريدون، ثم عَصمَهُ اللهُ مِنْ ذلك، ونزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ.

---

[٩٠٦] واهٍ بمرة. أخرجه الطبري ٢٢٥٤٠ عن عطية العوفي عن ابن عباس مختصراً بإسناد فيه مجاهيل، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٨١ بدون إسناد عن عطاء عن ابن عباس، فالخبر واهٍ جداً فالسورة مكية، وتحريم مكة كان في حجة الوداع، والحديث ليس بشيء لخلوه عن الإسناد.

[٩٠٧] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٢٥٣٦ عن سعيد بن جبير مرسلاً، ومع إرساله فيه يعقوب القمي، وشيخه جعفر بن أبي المغيرة، وكلاهما غير قوي.

[٩٠٨] باطل. أخرجه الطبري ٣٣٥٣٧ عن قتادة مرسلاً، فهو ضعيف، والمتن باطل بهذا اللفظ فإن قريشاً لم تقل للنبي ﷺ أنت سيدنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/١١٩: والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه ﷺ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله. ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان، والاختلاف فيه موجود فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره. حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عُني بذلك منه.

[٩٠٩] **والرابع**: أنهم قالوا لرسولِ الله ﷺ: اطرُدْ عنك سُقَاطَ الناسِ، ومَواليَهُم، وهؤلاءِ الذين رائِحتُهم رائحةُ الضَّأنِ، وذلك أنهم كانوا يَلْبَسون الصُّوفَ، حتى نُجالسَكَ ونَسمعَ منكَ، فهَمَّ رسولُ الله ﷺ أنْ يفعلَ ما يَستدعِي به إسلامَهُم، فنزلت هذه الآياتُ. حكاه الزَّجَّاجُ؛ قال: ومعنى الكلام: كَادُوا يَفتِنونَكَ، ودخلت «إن» واللامُ للتَّوكيد. قال المُفسِّرون: وإنما قال: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾، لأنَّ في إعطائِهم ما سألوا مُخالفةً لِحُكمِ القرآن.

قوله تعالى: ﴿لِتَفْتَرِيَ﴾ أي: لِتَختَلِقَ ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ وهو قولُهم: قُلِ اللهُ أمرني بذلكَ، ﴿وَإِذًا﴾ لو فعلتَ ذلك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: وَالَوكَ وصَافَوْكَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحقِّ، لعِصمَتِنا إيَّاكَ ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: هَمَمْتَ وقارَبْتَ أن تَميلَ إلى مُرادِهِم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: وذلك حين سكتَ عن جوابِهم، واللهُ أعلمُ بنيَّتِه. وقال ابنُ الأنباري: الفِعلُ في الظاهرِ للنَّبيِّ ﷺ، وفي الباطِنِ للمشركين، وتقديره: لقد كَادُوا يُركِنُونكَ إليهم، ويَنسِبُونَ إليكَ ما يشتهونَهُ مما تكرَهُه، فنَسبَ الفعلَ إلى غير فاعِله عند أمنِ اللَّبْسِ، كما يقولُ الرجلُ للرجلِ: كِدْتَ تقتلُ نفْسَكَ اليومَ، يريد: كِدْتَ تفعلُ فِعلاً يقتُلكَ غيرُكَ مِنْ أجلِه؛ فهذا المَجازُ والاتِّساعُ وشَبيهٌ بهذا قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(١)]، وقولُ القائِل: لا أَرَيَنَّكَ في هذا المَوضِعِ.

قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ المعنى: لو فعلتَ ذلك الشيءَ القليلَ ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: ضِعفَ عذابِ الحياة ﴿وَضِعْفَ﴾ عذابِ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾، ومثلُه قولُ الشاعر:

واسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ[(٢)]

أي: أهلُ المَجلِسِ. وقال ابنُ عباسٍ: ضِعْفَ عذابِ الدنيا والآخرة. وكان رسولَ الله ﷺ مَعصُوماً، ولكنه تخويفٌ لأُمَّتِه، لِئَلاَّ يَرْكَنَ أحدٌ مِنَ المؤمنين إلى أحدٍ مِنَ المشركين في شيءٍ مِنْ أحكام اللهِ وشرائِعه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ نُزولها قولان[(٣)]:

[٩١٠] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا قَدِمَ المدينةَ، حَسدَتْهُ اليهودُ على مُقامِه بالمَدينةِ، وكَرِهوا

---

[٩٠٩] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير كما في «الدر» ٣/ ٣٥٢ وهذا مرسل، فهو ضعيف، ولا يصح في هذا الباب شيء.

[٩١٠] باطل. ذكره الواحدي عن ابن عباس في «أسباب النزول» ٥٨٤ بدون إسناد وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وهذا القول ضعيف، لأن الآية مكية. اهـ والصواب أنه باطل، فالسورة مكية، وكيد اليهود وحسدهم كان في =

---

(١) سورة البقرة: ١٣٢.

(٢) هو عجز بيت لعدي بن ربيعة وصدره: «نُبِّئْتُ أن النارَ بعدَكَ أُوقِدت». كما في «الحماسة» ٢/ ٩٢٩. ومعنى قوله: أوقدت نيران الحرب لمقتل كليب.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١٢١: وأولى القولين عندي بالصواب، قول قتادة ومجاهد، وذلك أن قوله **﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾** في سياق خبر الله عزّ وجلّ عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر فيوجه قوله **﴿إن كادوا﴾** إلى أنه خبر عنهم.

قُربَهُ، فقالوا: يا محمَّدُ أنبيٌّ أنت؟ قال: نعم، قالوا: فوَاللَّهِ لقد عَلِمْتَ ما هذه بأرضِ الأنبياءِ، وأنَّ أرضَ الأنبياءِ الشَّامُ، فإنْ كنتَ نبياً فَائتِ الشَّامَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحِ عن ابنِ عباسِ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرِ: هَمَّ رسولُ الله ﷺ أنْ يَشْخَصَ عن المدينةِ، فنزلت هذه الآيةُ. وقال عبدُ الرَّحمن بنُ غَنْم: لمَّا قالت له اليهودُ هذا، صَدَّق ما قالوا، وغَزا غزوةَ تَبُوكَ لا يريد إلاَّ الشَّامَ، فلما بلغَ تَبُوكَ، نزلت هذه الآيةُ[١].

[٩١١] **والثاني**: أنهم المشركون أهلُ مكَّةَ هَمُّوا بإخراجِ رسول الله ﷺ مِنْ مكَّةَ، فأمره اللهُ بالخروج، وأنزل هذه الآيةَ إخباراً عمَّا هَمُّوا به، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ. وقال قَتادَةُ: هَمَّ أهلُ مكَّةَ بإخراجِهِ مِنْ مكَّةَ، ولو فعلوا ذلك ما نُوظِرُوا، ولكنَّ اللهَ كَفَّهم عن إخراجِه حتى أمرَهُ بالخروج. وقيل: ما لَبِثُوا بعد ذلك حتى بَعثَ اللهُ عليهم القَتْلَ ببَدرِ.

فعلى القول الأول، المُشارُ إليهم: اليهودُ، والأرضُ: المدينةُ. وعلى الثاني: هم المشركون، والأرضُ: مكَّةُ، وقد ذكرنا معنى «الاستِفزَازِ» آنفاً[٢]، وقيل: المُراد به هاهنا: القَتلُ، لِيخرجُوه مِنَ الأرض كلِّها، رُوي عن الحسَنِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرِ، ونافعٌ، وأبو عَمرِو، وأبو بكرِ عن عَاصِم: «خلفك». وقرأ ابنُ عامرِ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفْصٌ عن عَاصِم: «خلافك». قال الأخفش «خلافك» في معنى خلفك، والمعنى: لا يلبثون بعد خروجك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لو أخرجوكَ لاستَأصَلنَاهُم بعد خروجكَ بقليلٍ، وقد جَازَاهُم اللهُ على ما هَمُّوا به، فقَتلَ صَنَاديدَ المشركين ببدرِ، وقَتلَ مِنَ اليهودِ بَني قُريظَةَ، وأجلَى النَّضِيرَ. وقال ابنُ الأنبَاري: معنى الكلام: لا يَلْبَثون على خلافِكَ ومُخالفَتِكَ، فسقط حرفُ الخَفضِ. وقرأ أبو رَزِينِ، وأبو المُتوكِّلِ: «خُلاَّفَكَ» بضمِّ الخاء، وتشديدِ اللام، ورفعِ الفاء. قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ قال الفَرَّاءُ: نصب السُّنَّةِ على العذاب المُضْمَرِ، أي: يُعذَّبونَ كَسُنَّتِنا فيمَنْ أرسَلْنا. وقال الأخفَشُ: المعنى: سَنَّها سُنَّةً. وقال الزَّجَّاجُ: انتصبَ بمعنى

= المدينة، وانظر «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٦١ بتخريجنا.

[٩١١] عزاه الواحدي في «الأسباب» ٥٨٦ لمجاهد وقتادة والحسن. وأخرجه الطبري ٢٢٥٥٠ و ٢٢٥٥١ عن قتادة مرسلاً بنحوه. وأثر مجاهد لم أره بهذا اللفظ مسنداً وكذا أثر الحسن، وإنما أخرجهما الطبري ٢٢٥٥٢ و ٢٢٥٥٣ عنهما بلفظ: «لو أخرجت قريش محمداً لعذبوا بذلك».

(١) واهٍ بمرة. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ وابن أبي حاتم وابن عساكر كما في «الدر» ٤/ ٣٥٢ عن عبد الرحمن بن غنم، وهذا مرسل، وإسناده ضعيف لضعف أحمد بن عبد الجبار. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٢/ ٦٨٦: لم أجده، وذكره السهيلي في «الروض» عن عبد المجيد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم. . . فذكره اهـ. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٨٥ بدون سند عن عبد الرحمن بن غنم. ورد الحافظ ابن كثير هذا في «تفسيره» ٣/ ٧٠ وقال: والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾** وغزاها ليقتص وينتقم لأهل مؤتة من أصحابه والله أعلم.

قلت: الخبر منكر شبه موضوع. فالسورة مكية والخبر مدني، وبعيد أن يصغي رسول الله ﷺ لليهود.

(٢) سورة الإسراء: ٦٤.

«لا يلبثون» وتأويلُه: إنَّا سَنَنَّا هذه السُّنَّة فيمَنْ أرسَلْنا قبلكَ أنهم إذا أخرجوا نبيَّهم أو قتلوه، لم يَلبَث العذابُ أنْ ينزلَ بهم.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أدِّها ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: عند دُلوكِها. وذكر ابنُ الأنباري في «اللام» قولين: **أحدهما**: أنها بمعنى «في». **والثاني**: أنها مُؤكِّدةٌ، كقوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾[1]. وقال أبو عُبيدَةَ: دُلوكُها: مِنْ عند زَوالِها إلى أنْ تغيبَ. وقال الزَّجَّاجُ: مَيْلُها وقتَ الظَّهيرةِ دُلوكٌ، ومَيْلها للغروبِ دُلوكٌ. وقال الأزهَريُّ: معنى «الدُّلوكِ» في كلام العرب: الزَّوالُ، ولذلك قيل للشمس إذا زالَتْ نصفَ النهار: دَالِكَة، وإذا أَفَلَتْ: دَالِكَة، لأنها في الحالَين زائِلةٌ. وللمُفسِّرين في المُراد بالدُّلوكِ هاهنا قولان[2]: **أحدهما**: أنه زَوالُها نصفَ النهار.

[٩١٢] روى جابرُ بنُ عبدِ الله قال: دَعوتُ رسولَ الله ﷺ ومَنْ شاءَ مِنْ أصحابه، فطَعِمُوا عندي، ثم خرجوا حينَ زالَتِ الشمسُ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ وقال: «اخرُجْ يا أبا بكرٍ فهذا حينَ دَلكَتِ الشمسُ»؛ وهذا قولُ ابنِ عمرَ، وأبي بَرزَةَ، وأبي هُريرةَ، والحسَنِ، والشَّعبيِّ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وأبي العَالِيَة، ومُجاهِدٍ، وعَطاءٍ، وعُبيدِ بنِ عُمَيرٍ، وقَتادَةَ، والضَّحَّاكِ، ومُقاتِلٍ، وهو اختيارُ الأزهَري. قال الأزهَريُّ: لتكونَ الآيةُ جامعةً للصَّلواتِ الخمسِ، فيكون المعنى: أَقِم[3] الصلاةَ مِنْ وقتِ زوالِ الشمسِ

---

[٩١٢] حسن. أخرجه الطبري ٢٢٥٨٣ عن جابر به، وإسناده ضعيف لضعف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وفيه راوٍ لم يسمّ. وكرره برقم ٢٢٥٨٤ عن جابر بسند ليّن لأجل نُبيح العَنَزي فإنه مقبول كما في «التقريب» فهذا يقوي ما قبله، وقد ورد تفسير الدلوك بالزوال عن جماعة من الصحابة والتابعين، وهو الصحيح، والله أعلم.

---

(١) سورة النمل: ٧٢.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/١٢٦: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبي ﷺ بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها. لأن غسق الليل هو إقبال الليل وظلامه وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس.

(٣) فائدة: قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/١١ ـ ١٢: وتجب جميع الصلوات بدخول وقتها في حق من هو أهل الوجوب فأما أهل الأعذار، كالحائض والمجنون والصبيّ والكافر، فتجب في حقه بأول جزء أدركه من وقتها بعد زوال عذره. وبهذا قال الشافعي، رحمه الله. وقال أبو حنيفة، رحمه الله: يجب تأخُّرُ وقتها إذا بقي منه ما لا يتسع لأكثر منها، لأنه في أول الوقت يتخيّر بين فعلها وتركها، فلم تكن واجبة كالنافلة. ولنا، أنه مأمور بها في أول الوقت بقوله تعالى: ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس**﴾ والأمر يقتضي الوجوب على الفور، فلو أدرك جزءاً من أول وقتها ثم جُنّ، أو حاضت المرأة لزمها القضاء إذا أمكنها. وقال الشافعي وإسحاق: لا يجب القضاء بما دون مضي زمن يُمكِنُ فعلها فيه، كما لو طرأ العذر قبل دخول الوقت.

إلى غَسَقِ الليل، فيدخل فيها الأُولَى، والعَصرُ، وصلاتا غَسَقِ الليلِ، وهما العِشَاءَانِ، ثم قال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، فهذه خمسُ صَلواتٍ.

والثاني: أنه غُروبها، قاله ابنُ مسعودٍ، والنَّخعيُّ، وابنُ زيدٍ، وعن ابنِ عباسٍ كالقولَين، قال الفَرَّاءُ: ورأيتُ العرب تذهب في الدُّلُوكِ إلى غَيبُوبةِ الشمس، وهذا اختيارُ ابنِ قُتيبةَ، قال: لأنَّ العرب تقول: دَلَكَ النَّجمُ: إذا غابَ؛ قال ذُو الرِّمَّةِ:

مَصابِيحُ لَيسَتْ باللَّواتي تَقُودُها ... نُجُومٌ وَلاَ بالآفِلاتِ الدَّوالِكِ[1]

وتقول في الشمس: دَلَكَتْ بِرَاحِ[2]، يريدون: غَربَتْ، والناظرُ قد وضعَ كفَّه على حاجِبهِ ينظر إليها، قال الشاعر:

والشَّمسُ قَدْ كادَتْ تَكُونُ دَنَفَا ... أَدْفَعُها بالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا[3]

فشَبَّهها بالمريض الدَّنِفِ، لأنها قد هَمَّتْ بالغروب كما قاربَ الدَّنِفُ الموتَ، وإنما ينظر إليها مِنْ تحت الكفِّ ليعلمَ كم بقيَ لها إلى أنْ تغيبَ، ويتوقَّى الشُّعاعَ بكفِّه. فعلى هذا، المراد بهذه الصَّلاةِ: المَغربُ. فأمَّا غَسقُ الليل فظَلامُه. وفي المُراد بالصَّلاة المُتعلِّقة بغَسَقِ الليل ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: العِشاءُ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: المَغربُ، قاله ابنُ عباسٍ. قال القاضي أبو يَعلَى: فيحتمل أنْ يكونَ المراد بيانَ وقتِ المَغربِ، أنه مِنْ غروبِ الشمسِ إلى غَسَقِ الليل. **والثالث**: المَغربُ والعِشاءُ، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ المعنى: وأَقِمْ قراءةَ الفَجرِ. قال المُفسِّرون: المراد به: صلاةُ الفَجرِ. قال الزَّجَّاجُ: وفي هذا فائدةٌ عظيمةٌ تدلُّ على أنَّ الصلاة لا تكون إلاَّ بقراءةٍ، حين سُمِّيت الصلاةُ قرآناً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

[٩١٣] روى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «تَشهدُه ملائكةُ الليل، وملائكةُ النهارِ».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ قال ابنُ عباسٍ: فَصَلِّ بالقرآنِ. قال مُجاهِدٌ، وعَلقَمةُ، والأَسوَدُ: التَّهجُّد بعد النَّومِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: تهجَّدتُ: سَهِرتُ، وهَجَدتُ: نِمْتُ. وقال ابنُ الأنباري:

---

[٩١٣] صحيح. أخرجه الترمذي ٣١٣٥ والنسائي ١/ ٢٤١ وفي «التفسير» ٣١٣ وابن ماجه ٦٧٠ وأحمد ٢/ ٤٧٤ والطبري ٢٢٥٩٤ من حديث أبي هريرة. وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم ١/ ٢١١ على شرطهما، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

وهو في الصحيحين عنه مرفوعاً بلفظ: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم **﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾**. أخرجه البخاري ٦٤٨ و ٤٧١٧ ومسلم ٨٤٩ والنسائي في «التفسير» ٣١٣ وابن حبان ٢٠٥١ من حديث أبي هريرة. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ١٤٥٤ و ١٤٥٥ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان»: أفل: غاب وإذا غابت الشمس فهي آفلة، وكذلك القمر يأفل: إذا غاب.

(٢) في «اللسان»: بَراحِ: اسم للشمس، سميت بذلك لانتشارها وبيانها. وبِراح: بكسر الباء، وهي باء الجر، وهو جمع راحة وهي الكف. ومن قال: دلكت الشمس بِراحِ: أنها كادت تغرب.

(٣) البيت للعجّاج كما في ديوانه: ٨٢ و «اللسان» ـ زحلفَ ـ ويقال للشمس إذا مالت للمغيب قد تزحلفت.

التَّهجُدُ ها هنا بمعنى: التيقُّظ والسَّهَرُ، واللغويون يقولون: هو مِنْ حروف الأضدَادِ؛ يقال للنَّائِمِ: هَاجِدٌ ومُتهجِّدٌ، وكذلك للسَّاهِرِ، قال النَّابغَةُ:

وَلَـو أنَّـهـا عَـرَضَـتْ لأشْـمَـطَ رَاهِـبِ عَـبَـدَ الإلـه صَـرُورَةٍ مُـتَـهَـجِّـدِ
لَـرَنَـا لِـبَـهْـجَـتِـهَـا وحُـسْـنِ حَـدِيـثِـهَـا وَلَـخَـالَـهُ رَشَـداً وإنْ لَـمْ يَـرْشُـدِ[١]

يعني بالمُتَهجِّدِ: السَّاهرَ، وقال لَبيدُ:

قَـالَ هَـجِّـدْنـا فَـقَـد طَـالَ الـسُّـرَى[٢]

أي: نَوِّمْنا. وقال الأزهَريُّ: المُتَهجِّدُ: القائمُ إلى الصلاة مِنَ النَّوم: وقيلَ له: مُتَهجِّدٌ، لإلقائِه الهُجُودَ عن نَفْسِه، كما يقال: تَحَرَّجَ وتأثَّمَ.

قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ النَّافلة في اللغة: ما كان زائداً على الأصلِ.

وفي معنى هذه الزِّيادة في حقِّه قولان[٣]: **أحدهما**: أنها زائدةٌ فيما فُرِضَ عليه، فيكون المعنى: فريضةً عليكَ، وكان قد فُرِضَ عليه قيامُ الليل، هذا قولُ ابنِ عباسٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنها زائدةٌ على الفَرضِ، وليست فَرضاً؛ فالمعنى: تطوُّعاً وفضيلةً. قال أبو أُمَامةَ، والحَسَنُ، ومُجاهِدٌ: إنما النَّافِلةُ للنبيِّ ﷺ خاصَّةً. قال مُجاهِدٌ: وذلك أنه قد غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وما تأخَّر، فما زادَ على فرضه فهو نافلةٌ له وفضيلةٌ، وهو لغيره كفَّارةٌ. وذكر بعضُ أهلِ العلم: أنَّ صلاةَ الليل كانت فَرضاً عليه في الابتداء، ثم رُخِّص له في تَرْكِها، فصارت نافِلةً. وذكر ابنُ الأنبَاري في هذا قولين: **أحدهما**: يُقارب ما قاله مُجاهِدٌ، فقال: كان رسولُ الله ﷺ إذا تنفَّلَ لا يُقدَّرُ له أنْ يكون بذلك ماحِياً للذُّنوبِ، لأنه قد غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبه وما تأخَّر، وغيرُه إذا تنفَّل كان رَاجِياً، ومُقدَّراً مَحو السيئاتِ عنه بالتَّنفُّل، فالنَّافِلةُ لرسولِ الله ﷺ زيادةٌ على الحاجةِ، وهي لغيره مُفتقَرٌ إليها، ومأمولٌ بها دَفعُ المَكرُوهِ. **والثاني**: أنَّ النَّافلةَ للنبيِّ ﷺ وأُمَّتِه، والمعنى: ومِنَ الليل فتَهجَّدُوا به نافلةً لكم، فخُوطِبَ النبيُّ ﷺ بخطابِ أُمَّتِهِ.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ «عسى» مِنَ الله واجبةٌ، ومعنى «يبعثك» يُقيمُكَ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وهو الذي يحمَدُه لأجله جميعُ أهلِ المَوقفِ. وفيه قولان:

أحدهما: أنه الشَّفاعةُ للناس يومَ القيامة، قاله ابنُ مسعودٍ، وحُذَيفةُ بنُ اليَمانِ، وابنُ عمرَ، وسَلمانُ الفَارسيُّ، وجابرُ بنُ عبدِ الله، والحَسَنُ، وهي روايةُ ابنِ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ.

والثاني: يُجلِسُه على العَرشِ يومَ القيامة. روى أبو وائلٍ عن عبدِ الله أنه قرأ هذه الآيةَ، وقال:

---

(١) في «اللسان»: الشمط في الشعر: اختلافه بلونين من سواد وبياض. والصَّرورة: الذي لم يأت النساء كأنه أصرّ على تركهن.

(٢) هو صدر بيت وعجزه: «وقَدَرْنا إن خنا الدهر غَفَل».

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١٣٠: وأولى القولين بالصواب في ذلك، أن رسول الله ﷺ كان الله تعالى قد خصّه بما فرض عليه من قيام الليل، دون سائر أمته وهو قول ابن عباس. وأما ما ذُكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، وذلك لأن رسول الله ﷺ فيما ذُكر عنه أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل عليه ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

يُقعِدُه على العَرشِ، وكذلك روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وليثٌ عن مُجاهدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وقرأ الحَسنُ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ، وقَتادةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ بفتحِ الميم في «مَدخل» و«مَخرج». قال الزَّجَّاجُ: المُدخلُ، بضمِّ الميم: مصدرُ أدخَلتُهُ مُدخَلاً، ومَنْ قال: مَدخل صِدقٍ، فهو على أدخَلتُه، فدخلَ مَدخل صِدقٍ، وكذلك شرحُ «مَخرج» مثله. وللمُفسِّرين في المراد بهذا المَدخل والمَخرج أحدَ عشرَ قولاً[١]: **أحدها**: أدْخِلْني المدينةَ مدخلَ صدقٍ، وأَخرِجْنِي مِنْ مكَّةَ مخرجَ صدقٍ.

[٩١٤] روى أبو ظَبيَانَ عن ابنِ عباسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ، ثم أُمِرَ بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآيةُ. وإلى هذا المعنى ذهب الحَسَنُ في روايةِ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وقَتادَةَ، وابن زيدٍ. **والثاني**: أَدخِلْني القبرَ مُدخلَ صدقٍ، وأَخْرِجني منه مُخرجَ صدقٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أَدخِلني المدينةَ، وأَخْرِجْنِي إلى مكَّةَ، يعني: لِفَتْحِها، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أَدْخِلْني مكَّةَ مدخلَ صدقٍ، وأَخرِجْنِي منها مخرجَ صدقٍ، فخرجَ منها آمِناً مِنَ المشركين، ودَخلَها ظاهراً عليها يومَ الفتحِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: أدخِلْني مُدخلَ صدقِ الجنَّةَ، وأَخرِجْنِي مخرجَ صِدقٍ مِنْ مكَّةَ إلى المدينةِ، رواه قَتادَةُ عن الحَسنِ. **والسادس**: أَدخِلْني في النبوَّة والرِّسالةِ، وأَخْرِجْني منها مخرجَ صدقٍ، قاله مُجاهِدٌ، يعني: أَخرِجْني ممَّا يَجبُ عليَّ فيها. **والسابع**: أَدخِلني في الإسلام، وأَخرِجْنِي منه، قاله أبو صالحٍ؛ يعني: مِنْ أداءِ ما وَجبَ عليَّ فيه إذا جاء الموتُ. **والثامن**: أَدْخِلني في طاعَتِكَ، وأَخرِجني منها، أيَ: سالماً غيرَ مُقصِّرٍ في أدائِها، قاله عَطاءٌ. **والتاسع**: أَدْخِلني الغَارَ، و أَخرجني منه، قاله محمَّدُ بنُ المُنكَدِرِ. **والعاشر**: أَدخِلني في الدِّين، وأَخرِجني مِنَ الدنيا وأنا على الحقِّ، ذكره الزَّجَّاجُ. **والحادي عشر**: أَدخِلني مكَّةَ، وأَخرِجني إلى حُنَين، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وأما إضافةُ الصِّدقِ إلى المُدخلِ والمُخرجِ، فهو مدحٌ لهما. وقد شرحنا هذا المعنى في سُورةِ يُونسَ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ﴾ أي: مِنْ عندكَ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه التَّسلُّطُ على الكافرين بالسَّيف، وعلى المُنافقين بإقامةِ الحُدودِ، قاله الحَسنُ. **والثاني**: أنه الحُجَّةُ البَيِّنةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: المُلْكُ العزيزُ الذي يُقهَرُ به العُصاةُ، قاله قَتادَةُ. وقال ابنُ الأنباري: وقوله تعالى: ﴿نَصِيرًا﴾ يجوز أنْ يكون بمعنى مُنصَراً، ويصلح أنْ يكونَ تأويلُه ناصِراً.

---

[٩١٤] حسن. أخرجه الترمذي ٣١٣٩ وأحمد ١٩٤٨ والحاكم ٣/ ٣ والطبري ٢٢٦٤٤ من حديث ابن عباس وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: حسن صحيح! مع أن مداره على قابوس بن أبي ظبيان، وهو لين الحديث، لكن ورد معناه من مرسل الحسن، أخرجه الطبري ٢٢٦٤٥ ومن مرسل قتادة ٢٢٦٤٧.

---

(١) قال الطبري ٨/ ١٣٧: وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخرج صدق. اهـ ووافقه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٧٧.

(٢) سورة يونس: ٢.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١٣٨: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيَّه بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطاناً نصيراً له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده. ووافقه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٧٧.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنَّ الحقَّ: الإسلامُ، والباطلَ: الشِّركُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ الحقَّ: القرآن، والباطلَ: الشيطانُ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنَّ الحقَّ: الجِهادُ، والباطلَ: الشِّركُ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والرابع**: الحقُّ: عبادةُ الله، والباطلُ: عبادةُ الأصنام، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى «زهق»: بَطَلَ واضمَحَلَّ. وكلُّ شيءٍ هَلَكَ وبَطَلَ فقد زَهَقَ، وزَهَقتْ نَفْسُهُ: تَلِفَتْ.

[٩١٥] وروى ابنُ مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ دخل مكَّةَ وحولَ البيت ثلاثمائةٍ وستون صَنماً، فجعل يطعَنُها ويقول: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾».

فإنْ قيلَ: كيف قُلتم: إنَّ ﴿وَزَهَقَ﴾ بمعنى بَطَلَ، والباطلُ موجودٌ معمولٌ عليه عند أهلِه؟

فالجواب: أنَّ المراد مِنْ بُطلانِه وهَلَكتِه: وضُوحُ عَيبِه، فيكون هَالِكاً عند المُتَدبِّرِ النَّاظرِ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ «مِنْ» ها هنا لبيانِ الجنسِ، فجميعُ القرآنِ شفاءٌ. وفي هذا الشفاءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: شفاءٌ مِنَ الضَّلالِ، لِمَا فيه مِنَ الهُدى. **والثاني**: شفاءٌ مِنَ السَّقمِ، لِمَا فيه مِنَ البَرَكَةِ. **والثالث**: شفاءٌ مِنَ البيانِ للفرائضِ والأحكَام. وفي «الرَّحمة» قولان: **أحدهما**: النِّعمة. **والثاني**: سببُ الرَّحمةِ. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمَواعِظِه، فيزيد خُسرانُهم.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: الإنسانُ ها هنا: الكافرُ، والمراد به الوليدُ بنُ المُغيرَة. قال المُفسِّرون: وهذا الإنعامُ: سَعةُ الرِّزقِ، وكشفُ البَلاءِ. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «ونَأَى» على وَزْنِ «نَعَى» بفتح النونِ والهمزةِ. وقرأ ابنُ عامرٍ: «ناءَ» مثل «باعَ». وقرأ الكِسَائيُّ، وخَلَفٌ عن سُلَيم عن حَمزَةَ: «ونِاءَ» بإمَالَةِ النونِ والهمزة. وروى خَلَّادٌ عن سُلَيمٍ: «نَئِي» بفتحِ النون، وكسرِ الهمزة، والمعنى: تَباعدَ عن القيامِ بحقوق النِّعَم،

[٩١٥] صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٧٨ و ٤٢٨٧ و ٤٧٢٠ ومسلم ١٧٨١ والترمذي ٣١٣٨ والنسائي في «التفسير» ٣١٧ وابن حبان ٥٨٦٢ والطبراني ١٠٤٢٧ والبيهقي ٦/ ١٠١ من حديث ابن مسعود. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٤٦٣ بتخريجنا.

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١٣٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء وهو كل ما كان لله فيه رضا ورطاعة، وأن الباطل قد زهق، يقول: وذهب كل ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله ﷺ أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحق، وإبطال جميع الباطل.

وقيل: تَعظُّم وتَكبُّر. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: نزلَ به البَلاءُ والفقرُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ أي: قنوطاً شديدَ اليأسِ، لا يرجو فضلَ اللهِ. قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: على ناحِيَتِهِ، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. قال الفَرَّاءُ: الشَّاكِلَةُ: النَّاحية، والجَدِيلَةُ، والطَّريقةُ، سمعتُ بعضَ العرب يقول: وعبد الملك إذ ذاكَ على جديلته، وابن الزبير على جديلته، يريد: على ناحيته. وقال أبو عُبيدَةَ: على ناحيَتِه وخَليقَتِهِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: على خَليقَتِهِ وطبيعَتِهِ، وهو مِنَ الشَّكلِ. يُقال: لستَ على شَكلِي، ولا شَاكِلَتي. وقال الزَّجَّاجُ: على طريقته، وعلى مذهَبِه. **والثاني**: على نِيَّتِهِ؛ قاله الحَسَنُ، ومُعاويةُ بنُ قُرَّة. وقال الليثُ: الشَّاكِلةُ مِنَ الأمور: ما وافق فاعِلَهُ. **والثالث**: على دِينه، قاله ابنُ زيدٍ. وتحريرُ المعنى: أنَّ كلَّ واحدٍ يعمل على طريقَتِهِ التي تُشاكلُ أخلاقَهُ، فالكافر يعمل ما يُشبه طريقَتَهُ مِنَ الإعراضِ عند النِّعَم واليأسِ عند الشدة، والمؤمنُ يعمل ما يُشبه طريقَتَهُ مِنَ الشُّكرِ عند الرَّخَاءِ والصَّبرِ عند البَلاءِ، والله يُجازي الفريقَين. وذكر أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخةٌ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(١)، وليس بشيءٍ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ في سببِ نُزُولها قولان:

[٩١٦] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بناسٍ مِنَ اليهود، فقالوا: سَلُوهُ عن الرُّوحِ، فقال بعضُهم: لا تسألُوهُ، فيَستقبِلَكُم بما تكرهون. فأتاهُ نَفرٌ منهم، فقالوا: يا أبا القَاسِم: ما تقولُ في الرُّوحِ؟ فسكتَ، ونزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ مسعودٍ.

[٩١٧] **والثاني**: أنَّ اليهودَ قالت لقُريشٍ: سَلُوا محمَّداً عن ثلاثٍ، فإنْ أخبرَكُم عن اثنتين وأمسَكَ عن الثالثةِ فهو نبيٌّ؛ سَلُوهُ عن فِتيةٍ فُقِدُوا، وسَلُوهُ عن ذِي القَرْنَيْنِ، وسَلُوهُ عنِ الرُّوحِ. فسألوه عنها، ففسَّر لهم أمرَ الفِتْيَةِ في الكَهفِ، وفسَّرَ لهم قصةَ ذي القَرنَين، وأمسكَ عن قصةِ الرُّوحِ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

وفي المُراد بالرُّوحِ ها هنا ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرُّوح الذي يَحيا به البَدنُ، روى هذا المعنى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقد اختلف الناسُ في مَاهيَةِ الرُّوح، ثم اختلفوا هل الرُّوحُ النَّفسُ، أَمْ هما شيئان فلا يحتاج إلى ذِكرِ اختلافِهم لأنه لا بُرهانَ على شيءٍ مِنْ ذلك وإنما هو شيءٌ أخذوه عن الطِّبِّ

---

[٩١٦] صحيح. أخرجه البخاري ١٢٥ و ٤٧٢١ و ٧٢٩٧ و ٧٤٥٦ و ٧٤٦٢ ومسلم ٤/ ٢١٥٢ والترمذي ٣١٤١ والنسائي في «التفسير» ٣١٩ وأبو يعلى ٥٠١ والطبري ٢٢٦٧٥ و ٢٢٦٧٦ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٢٤ من حديث ابن مسعود. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٤٦٤ و «أحكام القرآن» ١٤٤٨ بتخريجنا.

[٩١٧] ضعيف. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مطولاً، وفيه راوٍ لم يسم. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٩٠ نقلاً عن المفسرين بنحوه. وفي «الوسيط» ٣/ ١٢٥ عن ابن عباس بدون إسناد. وهو بهذا اللفظ ضعيف. أما السؤال عن الروح فقد صح من حديث ابن مسعود الحديث المتقدم.

---

(١) سورة التوبة: ٥.

والفلاسفةِ؟ فأمَّا السَّلَفُ، فإنهم أمسَكُوا عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، فلمَّا رَأوا أنَّ القومَ سألوا عن الرُّوح فلم يُجَابوا، والوَحيُ ينزلُ، والرُّسولُ حيٌّ، عَلِمُوا أنَّ السُّكوتَ عمَّا لم يُحَطْ بحقيقة عِلمِه أَوْلَى. **والثاني**: أنَّ المُرادَ بهذا الرُّوح؛ مَلَكٌ مِنَ الملائكة على خِلْقةٍ هائلةٍ، رُوي عن عليٍّ عليه السَّلامُ، وابنِ عباسٍ، ومُقاتِلٍ. **والثالث**: أنَّ الرُّوحَ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله عزَّ وجلَّ صَوَّرَهُم على صُوَرِ بَني آدمَ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه جِبريلُ عليه السلام، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ. **والخامس**: أنه القرآن، رُوي عن الحَسنِ أيضاً. **والسادس**: أنه عيسى ابنُ مَريمَ، حكاه المَاوَرديُّ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: قد ذكرَ اللَّهُ تعالى الرُّوحَ في مواضعَ مِنَ القرآن، فغالبُ ظَنّي أنَّ النَّاقِلينَ نقلوا تفسيرَهُ مِنْ مَوضِعه إلى مَوضعٍ لا يليقُ به، وظَنُّوه مِثلَهُ، وإنما هو الرُّوحُ الذي يَحيَى به ابنُ آدمَ. وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: مِن عِلمِه الذي مَنَعَ أنْ يعرفَهُ أحدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في المُخاطَبين بهذا قولان[1]: **أحدهما**: أنهم اليهودُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنهم جميعُ الخَلْقِ، عِلمُهم قليلٌ بالإضافة إلى عِلْم الله عزَّ وجلَّ، ذكره المَاوَرديُّ. فإنْ قيلَ: كيف الجَمعُ بين هذه الآيةِ، وبينَ قولِه تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]؟ فالجواب: أنَّ ما أُوتيَهُ الناسُ مِنَ العِلْم، وإنْ كان كثيراً، فهو بالإضافة إلى عِلْمِ اللَّهِ قليلٌ.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو شِئنا لَمَحوناهُ مِنَ القلوب والكُتبِ، حتى لا يوجدَ له أثرٌ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي لا تجدُ مَنْ يتوكَّلُ علينا في رَدِّ شيءٍ منه، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ هذا استثناءٌ ليس مِنَ الأوَّلِ، والمعنى: لكنَّ اللَّهَ رَحِمكَ فأثبتَ ذلك في قلبكَ وقلوبِ المؤمنين.

وقال ابنُ الأنبَاري: المعنى: لكنَّ رحمةً مِنْ ربِّكَ تمنعُ مِنْ أنْ تُسْلَبَ القرآنَ، وكان المشركون قد خاطبوا نساءَهُم مِنَ المسلمين في الرُّجوع إلى دِينِ آبائِهم، فهَدَّدهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ بسَلْبِ النِّعمة، فكان ظاهرُ الخِطابِ للرَّسول، ومعنى التَّهدُّدِ للأُمَّةِ. وقال أبو سُليمانَ: «ثم لا تجد لك به» أي: بما نفعله بكَ، مِنْ إذهاب ما عندكَ» وكيلاً» يدفعنا عمَّا نُريده بكَ. ورُوي عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ أنه قال: يُسرَّى على القرآن في ليلةٍ واحدةٍ، فيجيء جِبريلُ مِنْ جوفِ الليلِ، فيذهبُ به مِنْ صُدورِهم ومِنْ بُيوتِهم، فيُصبِحونَ لا يقرؤون آيةً، ولا يُحسِنُونها[3]. ورَدَّ أبو سُليمانَ الدِّمشقي صحةَ هذا الحديث بقوله عليه الصَّلاةُ والسلام:

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٤: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطاباً لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق، لأن علم كلِّ أحدٍ سوى الله، وإن كثر هو في علم الله قليل.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبراني في «الكبير» ٨٧٠٠ عن ابن مسعود، ورجاله رجال الصحيح، غير شداد بن معقل، وهو ثقة قاله الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣٢٩ ـ ١٢٤٦٥. ولبعضه شواهد في المرفوع. عند أبي يعلى ٦٦٣٤ من حديث أبي هريرة «أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة وآخر ما يبقى منها الصلاة. . .» وفيه أشعث بن =

[٩١٨] «إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انتزاعاً»، وحديثُ ابنِ مسعودٍ مَرويٌّ مِنْ طُرُقٍ حِسَانٍ، فيحتمل أنْ يكونَ النبيُّ ﷺ أراد بالعلم ما سِوى القرآنِ، فإنَّ العلمَ ما يزالُ ينقرِضُ حتى يكون رَفْعُ القرآنِ آخِرَ الأمر[١].

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ قال المُفسِّرون: هذا تكذيبٌ للنَّضرِ بنِ الحَارِثِ حين قال: «لو شِئنا لَقُلنا مثلَ هذا». والمِثْلُ الذي طُلِبَ منهم: كلامٌ له نَظْمٌ كنَظمِ القرآن، في أعلى طبقاتِ البَلاغةِ. والظَّهيرُ: المُعِينُ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قد فسَّرناه في هذه السُّورةِ[٢]، والمعنى: مِنْ كُلِّ

---

[٩١٨] صحيح. أخرجه البخاري ١٠٠ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». وأخرجه البخاري ٧٣٠٧ ومسلم ٢٦٧٣ والترمذي ٢٦٥٢ وابن ماجة ٥٢ وأحمد ٢/ ١٦٢ و ٢/ ٢٠٣ والطيالسي وابن حبان ٤٥٧١ من طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص به.

= براز، وهو متروك قاله الهيثمي ٧/ ٣٢١. وعند الطبراني في «الصغير» ٣٨٧ من حديث عمر بنحو حديث أبي هريرة وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين، وضعفه أبو زرعة وبقية رجاله ثقات اهـ قاله الهيثمي.

(١) ورد في هذا المعنى خبر مرفوع غير قوي. أخرج ابن ماجه ٤٠٤٩ والحاكم ٤/ ٤٧٣ و ٥٤٥ والخطيب في تاريخه، والبيهقي كما في «الدر» ٤/ ٣٦٤ من حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة فيسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله. وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة». قال له ـ صلة بن زفر أحد رواة هذا الحديث ـ: ما تغني عنهم لا إله إلا الله! وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة، فأعرض عنه حذيفة، ثم ردّدها ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة. ثم أقبل عليه حذيفة فقال: يا صلة! تنجيهم من النار، ثلاثاً. صححه الحاكم على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي في الرواية الأولى، ووافقه في الرواية الثانية، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات. . . اهـ وهو في صحيح ابن ماجه ٣٢٧٣، ومع ذلك هو معلول حيث أخرجه الحاكم ٤/ ٥٠٥ بإسناد صحيح لكن جعله موقوفاً، وهو أصح. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٠٧٧ بتخريجنا.

(٢) سورة الإسراء: ٤١.

مَثَلٍ مِنَ الأمثال التي يكون بها الاعتبارُ ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ يعني أهلَ مكّةَ ﴿إِلَّا كُفُورٗا﴾ أي: جُحوداً للحقّ وإنكاراً.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾.

[٩١٩] سببُ نُزولِ هذه الآيةِ وما يَتبعُها، أنَّ رؤساءَ قُريشٍ، كَعُتبَةَ، وشَيْبَةَ، وأبي جَهلٍ، وعبدِ الله بنِ أبي أُميّةَ، والنَّضْرِ بنِ الحَارثِ في آخَرين، اجتمعوا عند الكعبةِ، فقال بعضُهم لبعضٍ: ابعَثُوا إلى محمّدٍ فكلّموه وخاصِمُوه حتى تُعذَروا فيه، فبَعثُوا إليه: إنَّ أشرافَ قومكَ قد اجتمعوا ليُكلّموكَ، فجاءَهُم سريعاً، وكان حريصاً على رُشدِهِم، فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا واللَّهِ لا نعلمُ رجلاً مِنَ العربِ أدخلَ على قومِهِ ما أدخلتَ على قومِكَ، لقد شَتَمتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وسَفَّهتَ الأحلامَ، وفرَّقتَ الجماعةَ، فإنْ كنتَ إنما جئتَ بهذا لتطلبَ مالاً، جعلنا لكَ مِنْ أموالنا ما تكونُ به أكثرَ مالاً، وإنْ كنتَ إنما تطلب الشَّرفَ فينا، سَوَّدناكَ علينا، وإنْ كان هذا الرَّئِيُّ الذي يأتيكَ قد غَلبَ عليكَ، بَذَلنَا أموالَنا في طَلَبِ الطِّبِّ لكَ حتى نُبرئكَ منه، أو نُعْذَرَ فيكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «إنْ تَقبلُوا مِنّي ما جِئتُكم به، فهو حَظُّكُم في الدنيا والآخرة، وإنْ تَرُدُّوه عليَّ أصبرُ لأمرِ الله حتى يَحكُمَ اللَّهُ بيني وبينَكُم». قالوا: يا محمَّدُ، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ مِنّا ما عرَضنا، فقد عَلِمتَ أنه ليس مِنَ الناس أحدٌ أضيقَ بلاداً ولا أشدَّ عَيْشاً منّا، سَلْ لنا ربَّكَ يُسيِّرْ لنا هذه الجبالَ التي ضُيِّقَتْ علينا، ويُجري لنا أنهاراً، ويَبعَثْ مَنْ مَضى مِنْ آبائِنا، ولْيكُنْ فيمَن يُبعثُ لنا منهم قُصَيُّ بنُ كِلابٍ، فإنه كان شيخاً صَدوقاً، فنسألَهُم عمَّا تقول: أحقٌّ هو؟ فإنْ فعلتَ صَدَّقناكَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما بهذا بُعِثتُ، وقد أبلَغتُكم ما أُرسِلتُ به»؛ قالوا: فَسَلْ ربَّكَ أنْ يبعثَ مَلَكاً يُصدِّقكَ، وسَلْهُ أنْ يجعلَ لكَ جِنَاناً، وكنوزاً، وقُصوراً مِنْ ذهبٍ وفِضّةٍ تُغنيكَ؛ قال: «ما أنا بالذي يسألُ ربَّهُ هذا»؛ قالوا: فأسقِطِ السماءَ علينا كَما زعمتَ بأنَّ ربَّكَ إنْ شاءَ فَعلَ؛ فقال: «ذلكَ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ»؛ فقال قائلٌ منهم: لن نُؤمنَ لكَ حتى تأتيَ باللَّهِ والملائكةِ قَبِيلاً، وقال عبدُ الله بنُ أبي أُميَّةَ: لا أؤمنُ لكَ حتى تتَّخذَ إلى السماء سُلَّماً، وتَرقَى فيه وأنا أنظرُ، وتأتي بنُسخَةٍ منشورَةٍ معكَ، ونَفرٍ مِنَ الملائكةِ يشهدونَ لكَ، فانصرَفَ رسولُ الله ﷺ حزيناً لِمَا رأى مِنْ مُباعَدتِهم إيَّاهُ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾... الآيات، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «حتى تُفجِّرَ» بضمِّ التاء، وفتحِ الفاء، وتشديدِ الجيم مع الكَسرةِ. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ والكِسَائيُّ: «حتى تَفْجُرَ» بفتحِ التاء، وتسكينِ الفاء، وضمِّ الجيم مع التَّخفيفِ. فمَنْ ثَقَّلَ، أراد كثرةَ الانفِجارِ مِنَ اليَنبوعِ، ومَنْ خفَّفَ، فلأنَّ اليَنبوعَ واحدٌ. فأمَّا اليَنبوعُ: فهو عينٌ ينبعُ الماءُ منها؛ قال أبو عُبيدَةَ: وهو يَفعُول، مِنْ نَبَعَ الماءُ، أي: ظَهرَ وفارَ. قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ﴾ أي: بُستان ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ أي: تَفتحُها وتُجريها ﴿خِلَٰلَهَا﴾ أي: وَسطَ تلك الجنَّةِ. قوله تعالى: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ﴾ وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو مِجْلَز، وأبو رَجَاءٍ، وحُمَيدٌ، والجَحدريُّ: «أو تَسقُط» بفتحِ التاء، ورفعِ القاف «السماء» بالرَّفعِ.

---

[٩١٩] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٢٧١٩ عن ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسمّ، وكرره الطبري ٢٢٧٢٠ عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد وإسناده ضعيف لجهالة محمد هذا.

قوله تعالى: ﴿كِسَفًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «كِسْفاً» بتسكينِ السين في جميع القرآن إلاّ في الرُّوم[1] فإنهم حَرَّكوا السينَ. وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم بتحريكِ السين في المَوضِعين، وفي باقي القرآن بالتَّسكين. وقرأ ابنُ عامرٍ ها هنا بفتحِ السينِ، وفي باقي القرآن بتسكينِها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «كِسَفاً» بفتح السين، جعلها جَمْعَ كِسْفَةٍ، وهي: القِطعةُ، ومَنْ قرأ «كِسْفاً» بتسكينِ السينِ، فكأنهم قالوا: أَسْقِطْهَا طَبَقاً علينا؛ واشتِقاقُه مِنْ كَسفتُ الشيء: إذا غطَّيتَهُ، يَعنُونَ: أَسقِطْهَا علينا قطعةً واحدةً. وقال ابنُ الأنباري: مَنْ سَكَّنَ قال: تأويلُه: ستراً وتغطيةً، مِنْ قولِهم: قد انكسَفَتِ الشمسُ: إذا غطَّاهَا ما يحولُ بين النَّاظرين إليها وبينَ أنوارِها.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عِيَاناً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، وابنُ جُرَيجٍ، ومُقاتِلٌ. وقال أبو عُبيدَةَ: معناه: مُقابلةً، أي: مُعاينةً، وأنشد الأعشَى:

نُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوؤُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا

أي: قابِلَتُها. ويُروى: وَجَّهتْهَا، يعني: بدل يسرتها.

والثاني: كفيلاً أنكَ رسولُ الله، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، واختاره الفَرَّاءُ، قال: القَبِيلُ، والكَفيلُ، والزَّعيمُ، سواءٌ؛ تقول: قَبِلتُ، وكَفِلتُ، وزَعمتُ. **والثالث**: قبيلةً قبيلةً، كلُّ قبيلةٍ على حِدَتِها، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ. فأمَّا الزُّخرُفُ، فالمراد به الذَّهبُ، وقد شرحنا أصلَ هذه الكلمةِ في سُورة يُونس[2]، و﴿تَرْقَىٰ﴾: بمعنى «تصعد»؛ يقال: رَقِيتُ أرقَى رُقِيًّا.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: كتاباً مِنْ رَبِّ العَالَمين إلى فُلانِ بنِ فُلانٍ يُصبحُ عند كلِّ واحدٍ منَّا يقرؤهُ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ قرأ نافعٌ، وعَاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «قل». وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ: «قال»، وكذلك هي في مَصاحفِ أهلِ مكَّةَ والشَّام، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، أي: أنَّ هذه الأشياء ليست في قُوى البشرِ.

فإنْ قيلَ: لِمَ اقتصرَ على حكايةِ «قالوا» مِنْ غير إيضاحِ الرَّدِّ؟

فالجواب: أنه لمَّا خَصَّمهم بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ فلم يكن في وُسْعِهم، عَجَّزَهُم، فكأنه يقول: قد أوضحتُ لكم بما سبقَ مِنَ الآياتِ ما يدلُّ على نُبوَّتي، ومِنْ ذلك التَّحدِّي بمثل هذا القرآن، فأمَّا عَنَتُكم فليس في وُسْعِي، ولأنهم أَلَحُّوا عليه في هذه الأشياء، ولم يسألوه أنْ يسألَ ربَّهُ، فَرَدَّ قولَهُم بكونِه بشراً، فكَفَى ذلك في الرَّدِّ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

(١) سورة الروم: ٤٨.
(٢) سورة يونس: ٢٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد أهلَ مكَّةَ. قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: وما منَعهُم مِنَ الإيمان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو البيانُ والإرشادُ في القرآن ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا﴾ قولُهم في التَّعجُّبِ والإنكارِ: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾؟ وفي الآيةِ اختصارٌ، تقديرُه: هلاَّ بعثَ اللهُ مَلَكاً رسولاً، فأُجيبوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي: مُستوطِنينَ الأرضَ. ومعنى الطُّمأنينةِ: السُّكون؛ والمُرادُ مِنَ الكلام أنَّ رسولَ كلِّ جنسٍ ينبغي أنْ يكونَ منهم. قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾ قد فسَّرناه في الرَّعدِ[1] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ قال مُقاتِلٌ: حين اختصَّ اللهُ محمَّداً بالرِّسالة.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو بالياء في الوَصْلِ، وحَذَفاها في الوَقْفِ. وأثبتَها يعقوبُ في الوَقفِ، وحذَفَها الأكثرون في الحالَتين. قال ابنُ عباسٍ: مَنْ يُرِدِ اللهُ هُداهُ ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ يَهدُونَهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يُمشّيهم على وجُوهِهم، وشاهِدُه ما روى البُخاريُّ ومُسلمٌ في «صحيحيهما» مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ كيف يُحشر الكافرُ على وَجْهِه يومَ القيامة؟ قال:

[٩٢٠] «إنَّ الذي أمشَاهُ على رِجلَيْه في الدنيا، قادرٌ على أنْ يُمشِيهُ على وَجْهِه يومَ القيامةِ».

والثاني: أنَّ المعنى: ونَحشُرهم مَسحُوبينَ على وُجوهِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: نَحشُرهم مُسرعينَ مُبادِرينَ، فعَبَّر بقوله تعالى: «على وجوههم» عن الإسرَاعِ، كما تقول العرب: قد مَرَّ القومُ على وجُوهِهم: إذا أسرَعوا، قاله ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عُمياً لا يَرونَ شيئاً يَسرُّهُم، وبُكماً لا يَنطِقون بحُجَّةٍ، وصُمّاً لا يسمعون شيئاً يَسُرُّهم، قاله ابنُ عباسٍ. وقال في روايةٍ: عُمياً عن النَّظرِ إلى ما جعل اللهُ تعالى لأوليائِه، وبُكماً عن مُخاطبةِ الله تعالى، وصُمّاً عمَّا مَدحَ به أولياءَهُ، وهذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ هذا الحَشرَ في بعضِ أحوال القيامة بعدَ الحَشرِ الأولِ. قال مُقاتِلٌ: هذا يكون حينَ يُقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾[2] فيَصيرون عُمياً بُكماً صُمّاً لا يَرونَ ولا يسمعون ولا يَنْطِقون بعد ذلك.

---

[٩٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٦٠ و ٦٥٢٣ ومسلم ٢٨٠٦ والنسائي في «الكبرى» ١١٣٦٧ وأحمد ٣/ ٢٢٩ وأبو يعلى ٣٠٤٦ وأبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٣٤٣ وابن حبان ٧٣٢٣ من طرق عن أنس بن مالك، به.

---

(١) سورة الرعد: ٤٣. (٢) سورة المؤمنون: ١٠٨.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال ابنُ عباس: أي: سَكَنَتْ. قال المُفسِّرونَ: وذلك أنهم تأكُلُهم، فإذا لم تُبْقِ منهم شيئاً وصاروا فحماً ولم تَجِدْ شيئاً تأكله، سَكَنَتْ، فيُعَادُون خَلْقاً جديداً، فتعود لهم. وقال ابنُ قُتَيبة: يقال: خَبَتِ النارُ: إذا سَكنَ لَهَبُها. فاللَّهَبُ يَسكُنُ، والجَمرُ يعملُ، فإن سَكَنَ اللَّهبُ، ولم يُطفأ الجَمرُ، قيل: خَمَدتْ تَخْمُدُ خُموداً، فإنْ طُفِئَتْ ولم يَبْقَ منها شيءٌ، قيل: هَمَدَتْ تَهْمُدُ هُموداً. ومعنى ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: ناراً تتسعَّرُ، أي تَتَلهَّبُ. وما بعدَ هذا قد سبقَ تفسيرُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: على أنْ يَخلُقَهم مرَّةً ثانيةً، وأراد بـ «مثلهم» إيَّاهم، وذلك أنَّ مِثْلَ الشيء مُساوٍ له، فجازَ أنْ يُعبَّرَ به عن نَفْسِ الشيءِ، يقال: مِثْلُكَ لا يفعل هذا، أي: أنتَ، ومثلُه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[2] وقد تَمَّ الكلامُ عند قوله تعالى: ﴿مِثْلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: أجلَ البعثِ ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: جُحُوداً بذلك الأجلِ. قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو تَملِكُون أنتم، قال المُتَلَمِّسُ:

وَلَوْ غَيرُ أخْوَالِي أرَادُوا نَقِيصَتِي ... نَصبْتُ لهُم فَوقَ العَرانِينِ مَيْسَما[3]

المعنى: لو أراد غيرُ أخوالِي.

وفي هذه الخَزائِنِ قولان: **أحدهما**: خَزائنُ الأرزاقِ. **والثاني**: خزائنُ النِّعَم.

فيخرج في الرَّحمةِ قولان: **أحدهما**: الرِّزقُ. **والثاني**: النِّعمةُ. وتحريرُ الكلام: لو مَلكتُم ما يَملكُه اللهُ عزَّ وجلص لأَمسَكتُم عن الإنفاق خشيةَ الفاقةِ. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: الكافر ﴿قَتُورًا﴾ أي: بَخيلاً مُمْسِكاً؛ يقال: قَتَر يَقتُرُ، وقَتَر يَقْتِرُ: إذا قَصَّر في الإنفَاقِ. وقال المَاوَرديِ: لو مَلكَ أحدٌ مِنَ المخلوقين مِنْ خَزائنِ الله تعالى، لَمَا جادَ كَجُودِ الله تعالى، لأمرَين: **أحدهما**: أنه لا بُدَّ أنْ يُمسِكَ منهُ لنَفَقتِه ومَنفَعتِه. **والثاني**: أنه يخافُ الفقرَ، واللهُ تعالى مُنزَّهٌ في جُودِه عن الحالَين.

ثم إنَّ اللهَ تعالى ذَكرَ إنكارَ فِرعونَ آياتِ موسى، تشبيهاً بحالِ هؤلاءِ المشركين، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى المُعجزات والدَّلالاتِ، ثم اتَّفق جمهورُ المُفسِّرين على سبعِ آياتٍ منها، وهي: يَدهُ، والعصا، والطُّوفَانُ، والجَرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادِعُ، والدَّمُ، واختلفوا في الآيتين الآخرتين على ثمانيةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنهما لسانُه والبَحرُ الذي فُلِقَ له، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ؛ يعني بلسانه: أنه كان فيه عُقدَةٌ فحَلَّها اللهُ تعالى له. **والثاني**: البحرُ والجَبلُ الذي نُتِقَ فوقَهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: السِّنون ونَقْصُ الثَّمراتِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والشَّعبيُّ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. وقال الحَسَنُ: السِّنُون ونقصُ الثَّمراتِ آيَةٌ واحدَةٌ. **والرابع**: البحرُ والموتُ أُرسِلَ عليهم، قاله الحسَنُ، ووَهْبٌ. **والخامس**: الحَجَرُ والبحرُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والسادس**: لسانُه وإلقاءُ العَصا مرَّتين عند فِرعونَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والسابع**: البحرُ والسِّنون، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والثامن**: ذكره محمَّدُ بن إسحاق عن محمد بنُ كَعبٍ أيضاً، فذكر السَّبْعَ الآياتِ الأُولى، إلاَّ أنه جعلَ مكانَ يدِه البحرَ، وزاد الطَّمْسَةَ والحَجرَ، يعني قوله تعالى: ﴿ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾.

---

(١) الإسراء: ٤٩. (٢) سورة البقرة: ١٣٧.

(٣) في «اللسان»: نقيصتي: ظلمي ـ العرانين: الأنوف ـ والميسم: آلة الوسم بالنار.

والثاني: أنها آياتُ الكتابِ.

[٩٢١] روى أبو داودَ السجِستاني مِنْ حديث صَفوانَ بن عَسَّالٍ، أنَّ يهودياً قال لصاحبه: تعالَ حتى نسألَ هذا النبيَّ، فقال الآخرُ: لا تَقُلْ: إنه نبيٌّ، فإنه لو سمعَ ذلك، صارت له أربعةُ أعيُنٍ، فأتياه فسألاهُ عن تسع آياتٍ بيّناتٍ، فقال: «لا تُشرِكوا باللهِ شيئاً، ولا تقتُلوا النَّفْسَ التي حَرَّم اللهُ إلاَّ بالحقِّ، ولا تَزنُوا، ولا تَسرِقوا، ولا تأكُلوا الرِّبا، ولا تمشُوا بالبَريءِ إلى السُّلطانِ ليَقتُلَه، ولا تَسْحَرُوا، ولا تَقذِفوا المُحصَنَاتِ، ولا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحفِ، وعليكم خاصَّةً يهودُ ألاَّ تَعْدُوا في السَّبتِ»، قال: فقبَّلا يدَهُ، وقالا: نشهدُ أنكَ نبيٌّ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قرأ الجمهورُ: «فاسأل» على معنى الأمرِ لرسولِ الله ﷺ. وإنما أُمِرَ أنْ يسألَ مَنْ آمَنَ منهم عمَّا أُخبِرَ به عنهم، ليكون حُجَّةً على مَنْ لم يُؤمِنْ منهم. وقرأ ابنُ عباسٍ: «فَسأَلَ بني إسرائيل»، على معنى الخبرَ عن موسى أنه سألَ فِرعونَ أنْ يُرسلَ معه بَني إسرائيلَ. ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ﴾ أي: لأَحسِبُكَ ﴿يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَخدُوعاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَسحُوراً قد سُحِرْتَ، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: ساحِراً، فوضعَ مفعولاً في موضع فاعلٍ، هذا مَرويٌّ عن الفَرَّاءِ، وأبي عُبيدَةَ. فقال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ قرأ الجمهور بفتح التاء. وقرأ عليٌّ عليه السلام بضمِّها، وقال: واللهِ ما عَلِمَ عَدوُّ اللهِ، ولكنَّ موسى هو الذي عَلِمَ، فبلغَ ذلك ابنَ عباسٍ، فاحتجَّ بقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾(١). واختار الكِسائيُّ وثَعلَبُ قراءةَ عليٍّ عليه السلام، وقد رُويتْ عن ابنِ عباسٍ، وأبي رَزينٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وابنِ يَعمُرَ. واحتجَّ مَنْ نَصرَهَا بأنه لمَّا نَسَبَ موسى إلى أنه مَسحورٌ، أعلمَهُ بصِحَّةِ عقلِه بقوله تعالى: «لقد علمتُ»، والقِراءةُ الأُولَى أصحُّ، لاختيارِ الجمهور، ولأنه قد أَبانَ موسى مِنَ المُعجِزاتِ ما أوجَبَ عِلْمَ فِرعونَ بصِدقِه، فلم يَرُدَّ عليه إلاَّ بالتَّعلُّلِ والمُدافعة، فكأنه قال: لقد عَلِمتَ بالدليلِ والحُجَّةِ «ما أنزل هؤلاء» يعني الآياتِ. وقد شَرَحنا معنى «البَصائِر» في سُورة الأعرافِ(٢).

---

[٩٢١] ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٧٣٣ و ٣١٤٤ والنسائي ٣٥٤١ و ٨٦٥٦ في «الكبرى» وابن ماجه ١٧٠٥ والحاكم ٩/١ من حديث صفوان بن عسال، وإسناده ضعيف، مداره على عبد الله بن سلمة، قال شعبة عن عمر بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة حدثنا، وإنا لنعرف وننكر وكان قد كبر، وقال البخاري: لا يتابع على حديثه ـ وقال أبو حاتم والنسائي: يعرف وينكر اهـ «الميزان» ٤٣٦٠. وفي الحديث بعض الألفاظ المنكرة وقد نبه عليها الحافظ ابن كثير، عند هذه الآية.

---

(١) سورة النحل: ١٤. (٢) سورة الأعراف: ٢٠٣.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ قال أكثرُ المُفسِّرين: الظَّنُّ هاهنا بمعنى العِلْم، على خلافِ ظَنِّ فِرعَونَ في موسى، وسَوَّى بينهما بعضُهم، فجعلَ الأولَ بمعنى العِلْم أيضاً. وفي المَثبورِ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المَلعُونُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: المَغلُوبُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: النَّاقصُ العَقلِ، رواه مَيمُونَ بن مِهْرانَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: المُهلَكُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. قال الزَّجَّاجُ: يقال: ثُبِرَ الرجلُ، فهو مَثبُورٌ، إذا أُهلِكَ. **والخامس**: الهَالِكُ، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: المَمنُوع مِنَ الخَيرِ؛ تقول العرب: ما ثَبرَكَ عن هذا، أي: ما مَنعَكَ، قاله الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: فِرعونَ أراد أنْ يَستفِزَّ بَني إسرائيلَ مِنْ أرضِ مِصْرَ. وفي معنى ﴿يَسْتَفِزَّهُم﴾ قولان: **أحدهما**: يَستأصِلُهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَستخِفُّهم حتى يخرجوا، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وقال الزَّجَّاجُ: جائزٌ أنْ يكونَ استِفزَازُهم إخراجَهم منها بالقتلِ أو بالتَّنحِيَةِ. قال العلماءُ: وفي هذه الآيةِ تنبيهٌ على نُصرَةِ رسولِ الله ﷺ، لأنه لمَّا خرجَ موسى فطَلَبَهُ فِرعَونُ، هَلكَ فِرعَونُ ومَلَكَ موسى، فكذلك أظهرَ اللهُ نبيَّه بعدَ خُروجِه مِنْ مكَّةَ حتى رجع إليها ظاهراً عليها. قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: مِنْ بعدِ هَلاكِ فِرعونَ ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فِلسطينُ والأُردنُّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أرضُ وراءَ الصِّينِ، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أرضُ مِصرَ والشَّام. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعني: القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي: جميعاً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ قُتَيبةَ. وقال الفَرَّاءُ: لَفِيْفاً، أي: مِنْ هاهنا ومِنْ هاهنا. وقال الزَّجَّاجُ: اللفِيْفُ: الجماعاتُ مِنْ قبائلَ شَتَّى.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الهاءُ كِنايةٌ عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القُرآنَ بالأمرِ الثَّابتِ والدِّين المُستقيمِ، فهو حَقٌّ، ونُزولُه حقٌّ، وما تضمَّنَهُ حقٌّ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: «وبالحق أنزلناه» أي: بالتَّوحيد، «وبالحق نزل» يعني: بالوَعدِ والوَعيدِ، والأمرِ والنَّهي.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ قرأ عليٌّ عليه السلام، وسعدُ بنُ أبي وَقَّاص، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٌ، والشَّعبيُّ، وقَتادَةُ، والأعرَجُ، وأَبو رَجَاءٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «فرَّقناه» بالتشديد. وقرأ الجمهورُ بالتَّخفيفِ.

فأمَّا قراءة التَّخفيفُ، ففي معناها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بَيَّنَّا حلالَهُ وحَرَامَهُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فَرَقْنَا فيه بين الحقِّ والباطل، قاله الحسَنُ. **والثالث**: أحكمنَاهُ، وفَصَّلناهُ، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾(١)، قاله الفَرَّاءُ. وأما المُشدَّدةُ، فمعناها: أنه أُنزِلَ مُتفرِّقاً، ولم يَنزِلْ جُملةً واحدةً. وقد بَيَّنَّا في أوَّلِ كتابنا هذا مِقدارُ المُدَّةِ التي نزلَ فيها.

(١) سورة الدخان: ٤.

قوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قرأ أنسٌ، والشَّعبيُّ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ، وأبو رَجاءٍ، وأبانُ عن عَاصِمٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ: بفتح الميم؛ والمعنى: على تُؤدَةٍ وتَرَسُّلٍ ليتدبَّروا معناهُ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ هذا تهديدٌ لكفَّارِ مكَّةَ، والهاءُ كنايةٌ عن القرآن. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم ناسٌ مِنْ أهلِ الكتاب، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنهم الأنبياء عليهم السلام، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: طُلاَّبُ الدِّينِ، كأبي ذَرّ، وسلمانَ، وورَقَةَ بنِ نَوفلٍ، وزيدِ بنِ عَمرٍو، قاله الواحديُّ.

وفي هاءِ الكِنايةِ في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى القرآن، والمعنى: مِنْ قبلِ نُزولِه. **والثاني**: ترجعُ إلى رسولِ الله ﷺ، قاله ابنُ زيدٍ. فعلى الأوَّلِ ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآنُ. وعلى قولِ ابنِ زيدٍ ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ ما أُنزلَ إليهم مِن عندِ الله.

قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ اللامُ هاهنا بمعنى «على». قال ابنُ عباسٍ: قوله «للأذقان» أي: للوجُوهِ. قال الزَّجَّاجُ: الذي يَخِرُّ وهو قائمٌ، إنما يَخِرُّ لوَجْهِه، والذَّقنُ: مُجتمَعُ اللَّحْيَين. وهو عضوٌ مِنْ أعضاءِ الوَجْهِ، فإذا ابتدأ يَخِرُّ، فأقربُ الأشياء مِنْ وجهِه إلى الأرض الذَّقنُ. وقال ابنُ الأنباري: أولُ ما يَلقى الأرضَ مِنَ الذي يَخِرُّ، فأقربُ الأشياء مِنْ وجهِه إلى الأرض الذَّقنُ. وقال ابنُ الأنباري: أولُ ما يَلقى الأرضَ مِنَ الذي يَخِرُّ قبلَ أنْ يُصَوِّب جبهتَهُ ذَقْنُهُ، فلذلك قال: «للأذقان» ويجوز أن يكونَ المعنى: يَخِرُّون للوجُوهِ، فاكتفى بالذَّقنِ مِنَ الوَجهِ كما يُكتفى بالبعضِ مِنَ الكُلّ، وبالنَّوعِ مِنَ الجِنسِ. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزَّهُوا اللهَ تعالى عن تكذيبِ المُكذِّبين بالقرآن، وقالوا: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزالِ القرآنِ وبَعثِ محمَّدٍ ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾ واللامُ دخلت للتَّوكيدِ. وهؤلاءِ قومٌ كانوا يسمَعون أنَّ الله باعثٌ نبيّاً مِنَ العرب، ومُنزِلٌ عليه كتاباً، فلمَّا عايَنُوا ذلك، حَمِدُوا اللهَ تعالى على إنجازِ الوَعدِ، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كرَّر القولَ ليدلَّ على تكرارِ الفعلِ منهم. ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أي: يَزيدُهم القرآنُ تواضُعاً. وكان عبدُ الأعلى التَّيميُّ يقول: مَنْ أوتيَ مِنَ العِلْم ما لا يُبكِيه، لَخليقٌ أنْ لا يكون أُوتيَ عِلْماً ينفعُه، لأنَّ اللهَ تعالى نعتَ العلماءَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿يَبْكُونَ﴾[1].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ

---

(١) فائدة: قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/ ٤٥٣: فصل: فأما البكاء والتأوه والأنين الذي ينتظم منه حرفان، فما كان مغلوباً عليه لم يفسد الصلاة، وما كان من غير غلبة، فإن كان لغير خوف الله أفسد صلاته، قال أبو عبد الله بن بطّة، في الرجل يتأوه في الصلاة: إن تأوه من النار فلابأس. والتأوه ذكر مدح الله تعالى الباكين بقوله تعالى: ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾. وروي عن عبد الله بن الشّخير، عن أبيه، أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء. ولم أر عن أحمد في التأوه شيئاً، ولا في الأنين والأشبه بأصوله: أنه متى فعله مختاراً أفسد صلاته. وقال في البكاء الذي لا يفسد الصلاة: ما كان من غلبةٍ. والنصوص عامة تمنع من الكلام كله، ولم يرد في التأوه والأنين ما يخصُّهما، والمدح على التأوه لا يوجب تخصيصه.

بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ الآية. هذه الآيةُ نزلت على سَببين، نزل أَوَّلُها إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ على سببٍ، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[(١)]:

[٩٢٢] أحدها: أنَّ رسولَ الله تَهجَّدَ ذاتَ ليلةٍ بمكَّةَ، فجعل يقولُ في سُجودِهِ: «يا رحمنُ، يا رَحيمُ»، فقال المشركون: كان محمَّدٌ يدعو إلهاً واحِداً، فهو الآن يدعو إلهَينِ اثنين: الله، والرَّحمنَ، ما نعرِفُ الرَّحمنَ إلاَّ رَحمَنَ اليَمامةِ، يَعنُون: مُسَيلمَةَ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيَةَ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٩٢٣] والثاني: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكتب في أَوَّلِ ما أُوحيَ إليه: باسمِكَ اللهُمَّ، حتى نزل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[(٢)] فكتبَ: بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، فقال مُشركو العرب: هذا الرَّحيمُ نَعرِفُه، فمَا الرَّحمنُ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قالَه مَيمونُ بنُ مِهرَانَ.

[٩٢٤] والثالث: أنَّ أهلَ الكتاب قالوا لرسولِ الله ﷺ: إنكَ لَتُقِلُّ ذِكْرَ الرَّحمنِ وقد أكثرَ اللهُ في التَّوراةِ هذا الاسمَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ.

فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾. فنزل على سبب، وفيه ثلاثة أقوال:

[٩٢٥] أحدها: أن رسول الله كان يرفع صوته بالقرآن بمكة فيسُبُّ المشركون القرآن ومن أتى به

---

[٩٢٢] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٢٨٠١ وابن مردويه كما في «أسباب النزول» ٧٠٥ للسيوطي واللفظ بدون ذكر مسيلمة كلاهما عن ابن عباس، وفي إسناده الحسين بن داود «سُنيد» وهو ضعيف.
وأخرجه الطبري ٢٢٨٠٢ عن مكحول مرسلاً. وفيه ذكر مسيلمة وهو باطل فالسورة مكية، وأمر مسيلمة كان قبل وفاة النبي ﷺ بقليل. وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٨٩ و «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٤٠٨٣ و ٤٠٨٤ وكلاهما بتخريجنا.

[٩٢٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٩٤ عن ميمون بن مهران مرسلاً هكذا بلا سند، وهو باطل، لأن السورة مكية. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٤٠٨٥ بتخريجنا.

[٩٢٤] باطل. عزاه المصنف رحمه الله للضحاك، وهو بدون إسناد، ومع ذلك مراسيل الضحاك واهية، وراويته جويبر بن سعيد ذاك المتروك. والسورة مكية، وأخبار يهود مدنية.

[٩٢٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٢٢ و ٧٤٩٠ و ٧٥٢٥ و ٢٥٤٧ ومسلم ٤٤٦، ١٤٥١ والترمذي ٣١٤١ والنسائي في «التفسير» ٣٢٠ وأحمد ١/ ٢٣ عن ابن عباس، في قوله تعالى: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾** قال: نزلت ورسول الله ﷺ مُختفٍ بمكة كان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿ولا تجهر بصلاتك﴾** أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن **﴿ولا تخافت بها﴾** عن أصحابك فلا تسمعهم **﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾** لفظ البخاري.
وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١٤٥١ بتخريجنا.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٨٩: يقول الله تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل، المانعين من تسميته بالرحمن: **﴿ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾** لا فرق بين دعائكم له باسم «الله» أو باسم «الرحمن» فإنه ذو الأسماء الحسنى.

(٢) سورة النمل: ٣٠.

فخفض رسول الله صوته بعد ذلك حتى لم يسمع أصحابه، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾. أي: بقراءتِكَ، فيسمع المشركون فيَسبُّوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابِكَ، فلا يَسمَعُونَ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٩٢٦] **والثاني**: أنَّ الأعرابيَّ كان يَجهرُ في التَّشهُّدِ ويرفعُ صوتَهُ، فنزلت هذه الآيةُ، هذا قولُ عائشةَ.

[٩٢٧] **والثالث**: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُصلِّي بمكَّةَ عند الصَّفَا، فجَهرَ بالقرآنِ في صلاةِ الغَداةِ، فقال أبو جَهلٍ: لا تفترِ على اللهِ، فخَفضَ النبيُّ ﷺ صوتَهُ، فقال أبو جَهلٍ للمشركين: ألاَ تَرونَ ما فَعلتُ بابنِ أبي كَبْشَةَ؟! رَددتُهُ عن قراءتِه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

فأمَّا التَّفسيرُ، فقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ المعنى: إنْ شِئتُم فقولوا: يا اللهُ، وإنْ شِئتُم فقولوا: يا رَحمنُ، فإنهما يَرجعانِ إلى واحدٍ، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ المعنى: أيَّ أسماءِ الله تَدْعُوا؛ قال الفَرَّاءُ: و «ما» قد تكون صِلةً، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ﴾[1]، وتكون في معنى: «أيّ» معادَةً لمَّا اختلف لَفظُهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الصَّلاةُ الشَّرعيةُ. ثم في المُراد بالكلام ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَجهَرْ بقراءَتِكَ، ولا تُخافِتْ بها، فكأنه نَهيٌ عن شِدَّةِ الجَهرِ بالقراءة وشدَّةِ المُخافَتةِ، قاله ابنُ عباسٍ. فعلى هذا في تسمية القراءةِ بالصَّلاةِ قولان: ذكرهما ابنُ الأنباري: **أحدهما**: أنْ يكونَ المعنى: فلا تَجْهَرْ بقراءةِ صلاتكَ. **والثاني**: أنَّ القراءة بعضُ الصَّلاةِ، فنَابَتْ عنها، كما قِيلَ لعيسى: كلمةُ اللهِ، لأنه بالكَلمَةِ كانَ. **والثاني**: لا تُصَلِّ مُراءَاةً للناس، ولا تَدَعْها مَخافةَ الناسِ، قاله ابنُ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: لا تَجهَرْ بالتَّشهُّد في صَلاتكَ، رُوي عن عائشةَ في روايةٍ، وبه قال ابنُ سِيرِينَ. **والرابع**: لا تَجهَرْ بفعلِ صلاتكَ ظاهراً ولا تُخافِتْ بها شديدَ الاستِتارِ، قاله عِكرمَةُ. **والخامس**: لا تُحسِنْ عَلانِيَتَها، وتُسِئْ سَرِيرَتَها، قاله الحسَنُ. **والسادس**: لا تجهر بصلاتكَ كلِّها، ولا تُخافِتْ بجميعِها، فاجهَرْ في صلاةِ الليل، وخَافِتْ في صلاةِ النهار، على ما أمرنَاكَ به، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

والقول الثاني: أنَّ المُرادَ بالصلاة: الدُّعاءُ، وهو قولُ عائشةَ، وأبي هُريرَةَ، ومُجاهِدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المُخافَتَةُ: الإخفَاءُ، يقال: صَوتٌ خَفِيتٌ. ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾

---

[٩٢٦] واهٍ بمرة. عزاه المصنف تبعاً للواحدي في «الأسباب» ٥٩٧ بدون إسناد لعائشة. أخرجه الطبري ٢٢٨٢١ عن عبد الله بن شداد، وهذا مرسل فهو ضعيف، والمتن منكر جداً، شبه موضوع، ثم إن السورة مكية، والأعراب إنما أسلموا في المدينة. وإنما أخرج البخاري ٤٧٢٣ و ٦٣٢٧ و ٧٥٢٦ والنسائي في «التفسير» ٣٢١ والطبري ٢٢٨٣٩ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قوله تعالى: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾** نزلت في الدعاء. ولم يذكر فيه الأعرابي. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٢١٧ بتخريجنا.

[٩٢٧] باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب، والمتن منكر جداً بهذا اللفظ، فهو باطل.

---

(١) سورة المؤمنون: ٤٠.

أي: اسلُكْ بينَ الجَهرِ والمُخافَتةِ طريقاً. وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: نُسِخَتْ هذه الآيةُ بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[1]، وقال ابنُ السَّائبِ: نُسِخَتْ بقوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[2]؛ وعلى التَّحقيقِ، وجودُ النَّسخِ هاهنا بَعيدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزَاءِ، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ: «في المِلك» بكسرِ الميم. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قال مُجاهِدٌ: لم يُحالِفْ أحداً، ولم يَبْتَغِ نصرَ أحدٍ؛ والمعنى: أنه لا يحتاجُ إلى مُوالاةِ أحدٍ لِذُلٍّ يلحَقُه، فهو مُستَغنٍ عن الوَليِّ والنَّصيرِ. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ أي: عَظِّمْهُ تعظيماً تامًّا. واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٥.
(٢) سورة الحجر: ٩٤.

سُورَةُ الكَهفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

فصلٌ في نُزولها: روى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ أنَّ سورةَ الكهف مكِّيَّةٌ، وكذلك قال الحَسنُ، ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ. وهذا إجماعُ المُفسِّرينَ مِنْ غيرِ خلافٍ نعلَمُه، إلاَّ أنه قد رُوي عن ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ أنَّ فيها آيةً مدنيَّةً وهي قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾[1]. وقال مُقاتِلٌ: مِنْ أوَّلِها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾[2] مَدنيٌّ، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[3] الآيتان مَدنيَّةٌ، وباقيها مكِّيٌّ.

[٩٢٨] ورَوى أبو الدَّرداءِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «مَنْ حَفِظَ عشرَ آياتٍ مِنْ أوَّلِ سُورةِ الكهف ثم أدركَ الدَّجَّالَ لم يَضُرَّهُ، ومَنْ حَفِظَ خواتيمَ سُورةِ الكهف كانت له نُوراً يومَ القيامةِ».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ قد شرحناه في أوَّلِ «الفاتحة». والمُراد بعَبْدِه هاهنا: محمَّدٌ ﷺ، وبالكتاب: القرآن، تَمَدَّح بإنزالِه، لأنه إنعامٌ على الرسول خاصَّةً، وعلى الناس عامَّةً. قال العلماء باللغة والتَّفسير: في هذه الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُها: أنزلَ على عَبدِه الكتابَ ﴿قَيِّمٗا﴾ أي: مُستقيماً عَدْلاً. وقرأ أبو رَجاء، وأبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ يَعمَرَ، والنَّخعيُّ، والأعمَشُ: «قِيَماً» بكسرِ القاف، وفتحِ الياء، وقد فسَّرناهُ في الأنعام[4].

---

[٩٢٨] صحيح. أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٧/ ٣٨/ ١٣٢ من حديث أبي الدرداء، وإسناده على شرط مسلم. وأخرج مسلم ٨٠٩ وأبو داود ٤٣٢٣ والنسائي في «اليوم والليلة» ٩٥١ وأحمد ٦/ ٤٤٩ وابن حبان ٧٨٥ و ٧٨٦ من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجّال». وانظر «تفسير الشوكاني» ١٤٧٩ بتخريجنا.

---

(١) سورة الكهف: ٢٨.
(٢) سورة الكهف: ٨.
(٣) سورة الكهف: ١٠٧ و ١٠٨.
(٤) سورة الأنعام: ١٦١.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ أي: لم يجعل فيه اختلافاً، وقد سبق بيانُ العِوَجِ في سُورةِ آلِ عِمرانَ[1]. قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا﴾ أي: عذاباً شديداً، ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: مِنْ عنده، ومِنْ قِبَلِه، والمعنى: ليُنذِرَ الكافرين ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بأنَّ لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنَّةُ. ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ أي: مُقيمينَ، وهو منصوبٌ على الحالِ. ﴿وَيُنذِرَ﴾ بعذابِ الله ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم اليهودُ حين قالوا: عُزَيرٌ ابنُ اللهِ، والنَّصارى حين قالوا: المَسيحُ ابنُ الله، والمشركون حين قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بذلك القولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ لأنهم قالوه افتِرَاءً على اللهِ، ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ الذين قالوا ذلك، ﴿كَبُرَتْ﴾ أي: عَظُمَتْ ﴿كَلِمَةً﴾ الجمهورُ على النَّصبِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وأبو رَزِينٍ، وأبو رَجَاءٍ، ويَحيى بنُ يَعمُرَ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «كلمةٌ» بالرفعِ. قال الفَرَّاءُ: مَنْ نَصبَ، أضمَرَ: كَبُرَتْ تلك الكلمةُ كلمةً، ومَنْ رَفعَ، لم يُضمِرْ شيئاً، كما تقول: عَظُمَ قولُكَ. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ نصبَ، فالمعنى: كَبُرَتْ مقالَتُهم: اتَّخذَ اللهُ وَلَداً كلمةً، و «كلمةً» منصوبٌ على التَّمييزِ. ومَنْ رفعَ، فالمعنى: عَظُمَتْ كلمةٌ هي قولُهم: اتَّخذَ اللهُ وَلَداً.

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: إنها قولٌ بالفَمِ لا صِحَّةَ لها، ولا دليلَ عليها، ﴿إِن يَقُولُونَ﴾ أي: ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾ ثم[2] عاتَبَهُ على حُزْنِهِ لِفَوتِ ما كان يرجو مِنْ إسلامِهم، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو الجَوزَاءِ، وقَتَادَةُ: «باخع نفسِك» بكسرِ السين، على الإضافة. قال المُفسِّرون واللغويون: فلَعلَّكَ مُهلِكٌ نفسَكَ، وقَاتِلٌ نفسَكَ، وأنشد أبو عُبيدَةَ لذِي الرُّمَّةِ:

ألا أيُّهَذا الـبَـاخِـعُ الـوَجْـدُ نـفْـسَـهُ ... لِـشَـيْءٍ نَـحَـتْـهُ عَـنْ يَـدَيْـهِ الـمَـقَـادِرُ

أي: نحَّتْهُ. فإنْ قيلَ: كيف قال: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ والغالبُ عليها الشَّكُّ، واللهُ عالمٌ بالأشياء قبلَ كونِها؟ فالجواب: أنها ليست بشَكٍّ، إنما هي مُقدَّرةٌ تقديرَ الاستفهام الذي يَعني به التَّقريرَ، فالمعنى: هل أنتَ قاتلٌ نفسَكَ؟! لا ينبغي أن يطولَ أساكَ على إعراضِهم، فإنَّ مَنْ حَكَمْنَا عليه بالشِّقْوَةِ لا تُجدي عليه الحَسرةُ؛ ذكره ابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ أي: مِنْ بعد تَولِّيهم عنكَ ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَسَفًا﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: حَزَناً، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: جَزَعاً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: غَضَباً، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: نَدَماً، قاله السُّدِّيُّ. وقال أبو عُبيدَةَ: نَدَماً وتَلهُّفاً وأَسَىً. قال الزَّجَّاجُ: الأَسَفُ: المُبالغة في الحُزنِ، أو الغضبِ، يُقال: قد أَسِفَ الرجلُ، فهو أَسِيفٌ، قال الشاعر:

أَرَى رَجُـلاً مِـنْـهُـمْ أَسِـيـفَـاً كَـأَنَّـمـا ... يَـضُـمُّ إلـى كَـشْـحَـيْـهِ كَـفَّـاً مُـخَـضَّـبـا[3]

---

(١) سورة آل عمران: ٩٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٩٣: يقول تعالى مسلياً رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، كما قال تعالى: **﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾** وقال: **﴿لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين﴾**. ولهذا قال **﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾** أي لم يؤمنوا بالقرآن، يقول: لا تهلك نفسك أسفاً، أي لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها.

(٣) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس كما في «ديوانه»: ١١٥ و «اللسان» مادة ـ أسف ـ يقول: كأن يده قطعت فاختضبت بدمها، والآسف هو الغضبان وقد يكون الأسيف: الغضبان مع الحزن.

وهذه الآيةُ يُشير بها إلى نَهي رسولِ الله ﷺ عن كثرة الحِرْصِ على إيمانِ قومِه لِئَلاَّ يُؤدِّي ذلك إلى هَلاكِ نفسِه بالأَسَفِ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الرجالُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: العلماءُ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. فعلى هذين القولين تكون «ما» في موضع «مَنْ» لأنها في موضع إبهام، قاله ابنُ الأنباري. **والثالث**: أنَّه ما عليها مِنْ شيءٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: النَّباتُ والشَّجرُ، قاله مُقاتِلٌ. وقولُ مُجاهِدٍ أَعَمُّ، يدخل فيه النَّباتُ، والماءُ، والمَعادنُ، وغيرُ ذلك.

فإنْ قيلَ: قد نرى بعضَ ما على الأرضِ سَمِجاً وليس بزينةٍ. فالجواب: أنَّا إنْ قُلنا: إنَّ المراد به شيءٌ مَخصُوصٌ، فالمعنى: إنَّا جعلنا بعضَ ما على الأرضِ زينةً لها، فخرجَ مخرجَ العُمومِ، ومعناه الخُصوصُ. فإنْ قُلنا: همُ الرجال أو العلماء، فَلِعبادَتِهم أو لِدَلالَتِهم على خَالِقِهم. وإنْ قُلنا: النبات والشَّجرُ، فلأنه زِينةٌ لها تجري مَجرى الكِسوةِ والحِلْيَةِ. وإنْ قُلنا: إنه عامٌّ في كلِّ ما عليها، فلِكَونه دَالاًّ على خَالِقِه، فكأنَّه زِينةُ الأرض مِنْ هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ أي: لِنَختَبِرَ الخَلْقَ، والمعنى: لِنُعامِلَهُم مُعاملَةَ المُبتَلِي. قال ابنُ الأنباري: مَنْ قال إنَّ ما على الأرض يعني به النَّباتَ، قال: الهاءُ والميمُ ترجع إلى سُكانِ الأرض المُشاهدينَ للزِّينة، ومَنْ قال: «ما على الأرض» الرجال، رَدَّ الهاءَ والميمَ على «ما على» لأنها بتأويلِ الجميع، ومعنى الآيةِ: لِنَبلُوهم فَنرى أيُّهم أحسنُ عَمَلاً، هذا، أَمْ هذا. قال الحسَنُ: أيُّهم أزهَدُ في الدنيا. وقد ذكرنا في هذه الآيةِ أربعةَ أقوالٍ في سُورة هُودٍ[1]. ثم أعلمَ الخَلْقَ أنه يُفنِي جميعَ ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الصَّعِيدُ: الطريقُ الذي لا نباتَ فيه. وقال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: الصَّعيدُ: التُّرابُ، ووَجْهُ الأرضِ. فأمَّا الجُرُزُ، فقال الفَرَّاءُ: أهلُ الحجاز يقولون: أرضٌ «جُرُزٌ»، وأَسَدُ تقول: «جَرز» وجُرْز، وتَمِيمُ تقول: أرضٌ «جُرْز» وَجَرْز بالتَّخفيف، وقال أبو عُبيدَةَ: الصَّعيدُ الجُرُزُ: الغليظ الذي لا يُنبتُ شيئاً. ويُقال للسَّنَةِ المُجْدِبةِ: جُرُز، «وسُنون أجرَاز» لجُدوبَتِها، وقِلَّة مَطَرِها، وأنشد:

قَـدْ جَـرَفَـتْـهُـنَّ الـسُّـنُونُ الأَجْـرَازْ[2]

وقال الزَّجَّاجُ: الجُرُزُ: الأرضُ التي لا يَنبتُ فيها شيءٌ، كأنها تأكلُ النَّبتَ أَكْلاً. وقال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: الجُرُزُ: الأرض التي لا يبقى بها نباتٌ، تُحرِقُ كلَّ نباتٍ يكون بها. قال المُفسِّرون: وهذا يكون يومَ القيامة، يجعل اللَّهُ الأرضَ مُستويَةً لا نباتَ فيها ولا ماءَ.

---

(١) سورة هود: ٧.

(٢) هو في «اللسان»: مادة جرز و «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٤ والطبري ٨/ ١٧٩ بلا نسبة.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ نزلت على سببٍ قد ذكرناه عندَ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[1] قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى «أم حسبت»: أَحَسِبْتَ. فأمّا «الكهف» فقال المُفسِّرون: هو المَغارَةُ في الجبلِ، إلاَّ أنه واسعٌ، فإذا صَغُرَ، فهو غارٌ. قال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: الكَهْفُ بمنزلةِ الغَارِ في الجبلِ.

فأمّا الرَّقِيمُ، ففيه ستةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه لَوحٌ مِنْ رَصَاصٍ كانت فيه أسماءُ الفِتْيَةِ مكتوبةً ليعلَمَ مَنِ اطَّلع عليهم يوماً مِنَ الدَّهرِ ما قِصَّتُهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ. وقال السُّدِّيُّ: الرَّقِيمُ: صخرةٌ كُتبَ فيها أسماءُ الفِتْيَةُ، وجُعِلتْ في سُوَرِ المَدينةِ. وقال مُقاتِلٌ: الرَّقِيمُ: كتابٌ كَتَبَهُ رجلان صالحان، وكانا يكتُمان إيمَانَهُما مِنَ المَلِكِ الذي فَرَّ منه الفِتْيَةُ، كَتَبا أمرَ الفِتْيَةِ في لَوح مِنْ رَصَاص، ثم جعلاه في تابُوتٍ مِنْ نُحاسٍ، ثم جَعَلاهُ في البِناء الذي سَدُّوا به بابَ الكَهفِ، فقالا: لَعلَّ اللَّهُ أنْ يُطْلِعَ على هؤلاءِ الفِتْيَةِ أحداً فيعلمون أمرَهُم إذا قرؤوا الكتابَ. وقال الفَرَّاءُ: كُتِبَ في اللوح أسماؤُهُم، وأنسَابُهم، ودِينُهم، وممَّن كانوا، قال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ: الرَّقِيمُ: الكتاب، وهو فَعِيلٌ بمعنى مَفعُولٍ، ومنه: كتابٌ مرقُومٌ، أي: مكتوبٌ. **والثاني**: أنه اسمُ القرية التي خرجوا منها، قاله كَعْبٌ. **والثالث**: اسمُ الجَبلِ، قاله الحسَنُ، وعَطيَّةُ. **والرابع**: أنَّ الرَّقيمَ: الدَّواةُ، بلسانِ الرُّوم، قاله عِكرمَةُ ومُجاهِدٌ في روايةٍ. **والخامس**: اسمُ الكلب، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والسادس**: اسمُ الواديَ الذي فيه الكَهفُ، قاله قَتادَةُ: والضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ قال المُفسِّرون: ومعنى الكلام: أَحَسِبتَ أنهم كانوا أَعجَبَ آياتِنا؟! قد كان في آياتِنا ما هو أعجَبُ منهم، فإنَّ خَلْقَ السمواتِ والأرضِ وما بينهما أعجَبُ مِنْ قِصَّتِهم. وقال ابنُ عباسٍ: الذي آتيتُكَ مِنَ الكتاب والسُّنَّةِ والعِلْمِ، أفضلُ مِنْ شأنِهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معنى: أوَوْا إليه: صَارُوا إليه، وجعلوه مَأوَاهُم. والفِتْيَةُ: جمع فَتًى، مثل غُلامٍ وغِلْمَة، وصَبِيٍّ وصِبْيَةٌ. و «فِعْلَة» مِنْ أسماءِ الجَمعِ، وليس ببناءٍ يُقاسُ عليه؛ لا يجوز غُرَاب وغِرْبَة، ولا غنيٌّ وغنية، قال بعضُ المُفسِّرين: الفِتْيَةُ: بمعنى الشبان. وقد ذكرنا عن القُتَيبي أنَّ الفَتَى: بمعنى الكاملِ مِنَ الرجال، وبيَّنَّاه في قوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[3]. قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ أي: مِنْ عندِكَ ﴿رَحْمَةً﴾ أي: رزقاً ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي: أَصْلِحْ لنا

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ١٨٢: وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنياً به: لوح، أو حجر أو شيء كتب فيه كتاب.
ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٩٥ بقوله: وهذا هو الظاهر من الآية، وهو اختيار ابن جرير.

(٣) سورة النساء: ٢٥.

﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: أَرْشِدْنا إلى ما يُقرِّبنا منكَ. والمعنى: هَيِّئْ لنا مِنْ أمرِنَا ما نُصِيبُ به الرَّشَدَ. والرَّشَدُ والرُّشْدُ، والرَّشَادُ: نَقيضُ الضَّلالةِ.

تلخيص قصَّةِ أصحابِ الكَهفِ

اختلف العلماء في بُدُوِّ أمرِهم، وسببِ مَصيرِهم إلى الكَهفِ، على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم هَربوا ليلاً مِنْ مَلِكِهم حين دَعاهُم إلى عبادة الأصنام، فمَرُّوا بِرَاعٍ له كلبٌ، فتَبِعَهُم على دِينهم، فأَوَوا إلى الكَهفِ يتعبَّدون، ورجلٌ منهم يَبتاعُ لهم أرزاقَهُم مِنَ المدينة، إلى أنْ جاءَهُم يوماً فأخبرَهُم أنهم قد ذُكِروا، فبَكَوا وتَعوَّذوا باللَّهِ تعالى مِنَ الفِتْنَةِ، فضَربَ اللَّهُ تعالى على آذانِهم، وأمرَ المَلِكُ فسَدَّ عليهم الكَهفَ، وهو يَظُنُّهُم أيقاظاً، وقد توفَّى اللَّهُ أرواحَهُم وفاةَ النَّوم، وكلبُهم قد غَشِيَهُ ما غَشِيَهُم. ثم إنَّ رَجُلين مُؤمِنَيْن يكتُمانِ إيمانَهُما كَتَبا أسماءَهُم وأنسابَهُم وخَبرَهُم في لوحٍ مِنْ رَصاصٍ، وجعلاه في تابُوتٍ مِنْ نُحاسٍ في البُنيَانِ، وقالا: لعلَّ اللَّهُ يُطْلِعُ عليهم قوماً مؤمنين، فيعلَمون خَبرَهُم، هذا قولُ ابنِ عباسٍ. وقال عُبيدُ بنُ عُمَير: فَقَدهُم قومُهم فطَلبُوهُم، فعمَّى اللَّهُ عليهم أمرَهُم، فكتبوا أسماءَهُم وأنسابَهُم في لَوحٍ: فُلانٌ وفُلانٌ أبناءُ مُلوكِنا فَقَدْنَاهم في شهرِ كذا، في سنةِ كذا، في مَملكَةِ فُلانٍ، ووَضعُوا اللوحَ في خِزانَةِ المَلِكِ، وقالوا: لَيَكونَنَّ لهذا شأنٌ. **والثاني**: أنَّ أحدَ الحَوارِيِّينَ جاء إلى مدينةِ أصحابِ الكَهفِ، فأرادَ أنْ يدخُلَها، فقيلَ له: إنَّ على بابها صَنَماً لا يدخُلها أحدٌ إلاَّ سَجدَ له، فكَرِهَ أنْ يدخُلَها، فأتى حَمَّاماً قريباً مِنَ المدينةِ، فكان يعملُ فيه بالأَجْرِ، وعَلِقَهُ فِتْيَةٌ مِنْ أهلِ المدينة، فجعلَ يُخبِرُهم عن خبرِ السماء والأرض، وخبرِ الآخرَةِ، فآمنوا به وصَدَّقُوه، حتى جاء ابنُ المَلِكِ يوماً بامرأةٍ، فدخلَ معها الحَمَّامَ، فأنكرَ عليه الحَوارِيُّ ذلك، فسَبَّهُ ودخلَ، فماتَ وماتَتِ المرأةُ في الحَمَّام، فأتى المَلِكُ، فقيلَ له: إنَّ صاحبَ الحَمَّام قَتلَ ابنَكَ، فالتُمِسَ فهربَ، فقال: مَنْ كان يَصحَبُه؟ فسُمِّي له الفِتْيَةُ، فالتُمِسوا فخرجوا مِنَ المدينةِ، فمَرُّوا على صاحبِ لهم في زَرْعٍ، وهو على مثل أمرِهِم، فانطلقَ معهم ومعه كَلبٌ حتى آوَاهُم الليلُ إلى الكَهفِ، فدَخلُوه فقالوا: نَبيتُ ها هنا، ثم نُصبِحُ إنْ شاء اللَّهُ فتَرونَ رأيكُم، فضَربَ اللَّهُ على آذانِهم فنَامُوا؛ وخرج المَلِكُ، وأصحابُه يتبعُونَهُم، فوَجدُوهم قد دخلوا الكَهْفَ، فكلما أراد رجلٌ أن يدخلَ الكهف أُرعِبَ، فقال قائلٌ للمَلِكِ: أليس قلتَ: إنْ قدرتُ عليهم قَتَلْتُهم؟ قال: بلى، قال: فابْنِ عليهم بابَ الكَهفِ حتى يموتوا جُوعاً وعطشاً، ففعلَ، هذا قولُ وَهبِ بنِ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنهم كانوا أبناءَ عُظماءِ المدينةِ وأشرافِهم، خرجوا فاجتمعوا وراءَ المدينةِ على غير مِيعَادٍ، فقال رَجلٌ منهم: هو أَسَنُّهُم: إني لأَجِدُ في نفسي شيئاً ما أظُنُّ أحداً يَجِدُه، فقالوا: ما تَجِدُ؟ قال: أجد في نفسي أنَّ رَبِّي ربُّ السمواتِ والأرضِ، فقاموا جميعاً فقالوا: رَبُّنا رَبُّ السمواتِ والأرضِ. فأجمَعُوا أن يدخُلوا الكهفَ، فدخلوا، فلَبِثُوا ما شاءَ اللَّهُ، هذا قولُ مُجاهِدٍ. وقال قَتادَةُ: كانوا أبناءَ مُلوكِ الرُّومِ، فتفرَّدوا بدِينِهم في الكَهفِ، فضَربَ اللَّهُ على آذانِهم.

فصل: فأما سببُ بعثِ أصحابِ الكهف مِنْ نَومِهم، فقال عِكرِمَةُ: جاءت أُمَّةٌ مُسلمةٌ، وكان مَلِكُهم مُسلماً، فاختلفوا في الرُّوحِ والجسدِ، فقال قائلٌ: يُبعَثُ الرُّوحُ والجَسدُ. وقال قائلٌ: يُبعَثُ الرُّوحُ وحدَهُ، والجسدُ تأكُله الأرضُ فلا يكون شيئاً، فشَقَّ اختلافُهم على المَلِكِ، فانطلق فَلَبِسَ المُسُوحَ، وقعد على الرَّمادِ، ودَعَا اللَّهَ أن يبعثَ لهم آيةً تُبيِّنُ لهم، فبعثَ اللَّهُ أصحابَ الكهفِ. قال

وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: جاء رَاعٍ قد أدركَهُ المطرُ إلى الكهفِ، فقال: لو فَتحْتُ هذا الكهفَ، وأدخلتُه غَنمي مِنَ المطرِ، فلم يَزَلْ يُعالِجُهُ حتى فَتحَهُ، وردَّ اللَّهُ إليهم أرواحَهُم حين أصبحوا مِنَ الغَدِ. وقال ابنَ السَّائبِ: احتاج صاحبُ الأرض التي فيها الكهفُ أن يبنيَ حظيرةً لِغَنَمِه، فهَدَمَ ذلك السَّدَّ، فبنى به، فانفتَحَ بابُ الكهفِ. وقال ابنُ إسحَاقَ: ألقى اللَّهُ في نَفْسِ رجلٍ مِنْ أهلِ البَلدِ أن يهدمَ ذلك البُنيانَ فيبني به حظيرةً لغَنَمِه، فاستأجَر عامِلَيْنِ يَنْزِعانِ تلك الحِجارةَ، فنزعَاهَا، وفَتَحا بابَ الكهفِ، فجسلوا فَرِحينَ، فسَلَّم بعضُهم على بعضٍ لا يَرون في وجُوهِهم ولا أجسَادِهم شيئاً يكرَهُونَهُ، إنما هم كَهيئتِهم حينَ رَقَدُوا وهم يَرونَ أنَّ مَلِكَهُم في طَلَبِهم، فصَلُّوا، وقالوا ليَمليخا صاحبِ نَفَقتِهم: انطَلِقْ فاستَمِعْ، ما نُذكَرُ به، وابتغِ لنا طعاماً، فوضعَ ثيابَهُ، وأخذَ الثيابَ التي كان يَتنكَّرُ فيها، وخرج فرأى الحِجارةَ قد نُزِعَتْ عن بابِ الكهفِ، فعَجِبَ، ثم مَرَّ مُستخفياً مُتخوِّفاً أن يراهُ أحدٌ فيذهب به إلى المَلِكِ، فلما رأى بابَ المدينة رأى عليه عَلامةً تكون لأهلِ الإيمان، فعَجِبَ، فخُيِّلَ إليه أنها ليست بالمدينةِ التي يَعرفُ، ورأى ناساً لا يَعرفُهم، فجعلَ يتعجَّبُ ويقول: لعلِّي نائمٌ؛ فلمَّا دخلها رأى قوماً يَحلِفُونَ باسم عيسى، فقام مُسنِداً ظهرَهُ إلى جِدارٍ، وقال في نَفْسِه: واللَّهِ ما أدري ما هذا، عشيةَ أمسِ لم يكُنْ على وَجه الأرض مَنْ يذكُرُ عيسى إلاَّ قُتِلَ، واليومَ أسمَعُهُم يذكرونه، لعلَّ هذه ليست المدينةَ التي أعرفُ، واللَّهِ ما أعرفُ مدينةً قُربَ مدينَتِنا فقام كالحَيْرَانِ، وأخرجَ وَرِقاً فأعطاه رجلاً فقال: بِعْني طعاماً، فنظرَ الرجلُ إلى نَقْشِه فعَجِبَ، ثم ألقاهُ إلى آخر، فجعلوا يتطَارَحُونهُ بينهم، ويَتعَجَّبون، ويَتَشاوَرُونَ، وقالوا: إنَّ هذا قد أصابَ كَنزاً، فَفَرِقَ منهم، وظنَّهُم قد عَرَفُوه، فقال: أمسِكُوا طعامَكُم فلا حاجةَ بي إليه، فقالوا له: مَنْ أنتَ يا فتى؟ واللَّهِ لقد وجدتَ كَنزاً وأنتَ تريد أنْ تُخفِيَهُ، شَارِكْنَا فيه وإلاَّ أتينا بكَ إلى السُّلطان فيَقتُلَكَ. فلم يَدْرِ ما يقول، فطَرحُوا كِسَاءَهُ في عُنقِهِ وهو يبكي ويقول: فُرِّقَ بيني وبين إخوَتي يا لَيتَهُم يعلمون ما لَقِيتُ. فأتَوا به إلى رَجُلين كانا يُديرَانِ أمرَ المدينةِ، فقالا: أينَ الكَنزُ الذي وجدتَ؟ قال: ما وجدتُ كَنزاً، ولكنْ هذه وَرِقُ آبائي، ونَقْشُ هذه المدينةِ وضَرْبُها، ولكنْ واللَّهِ ما أدري ما شأني، ولا ما أقولُ لكم. قال مُجاهِدٌ: كانَ وَرِقُ أصحاب الكَهفِ مثلَ أخفَافِ الإبلِ، فقالوا: مَنْ أنتَ، وما اسمُ أبيكَ؟ فأخبرَهُم، فلم يجدوا مَنْ يعرفه، فقال له أحدُهُما: أتظُنّ أنكَ تَسخَرُ مِنَّا وخزائنُ هذه البَلدة بأيدِينا، وليس عندنا مِنْ هذا الضَّربِ دِرهَمٌ ولا دِينارٌ؟! إني سآمُرُ بكَ فتُعذَّبُ عذاباً شديداً، ثم أُوثِقُكَ حتى تَعترفَ بهذا الكَنزِ، فقال يَمليخا: أنبِئُوني عن شيءٍ أسألُكُم عنه، فإنْ فعلتُم صَدَقتُكُم، قالوا: سَلْ، قال: ما فعلَ المَلِكُ دقيانوس؟ قالوا: لا نعرفُ اليومَ على وَجْهِ الأرض مَلِكاً يُسمَّى دقيانوس، وإنما هذا مَلِكٌ كان منذ زمانٍ طويلٍ، وهَلكَتْ بعده قُرونٌ كثيرةٌ، فقال: واللَّهِ ما يُصدِّقني أحدٌ بما أقوله، لقد كُنَّا فِتيَةً، وأكرَهنا المَلِكُ على عبادة الأوثان والذَّبحِ للطَّواغِيتِ فهَربنا منه عشيةَ أمسِ فنِمْنَا، فلمَّا انتبَهنَا خرجتُ أشتري لأصحابي طعاماً، فإذا أنا كما تَرون، فانطَلِقُوا معي إلى الكَهفِ أُريكُم أصحابي. فانطَلَقُوا معه وسائرُ أهلِ المدينةِ، وكان أصحابُه قد ظَنُّوا لإبطَائِه عليهم أنه قد أُخِذَ، فبينما هم يَتخوَّفون ذلك، إذ سمعوا الأصواتَ وجَلبَةَ الخَيلِ، فظَنُّوا أنهم رُسُلُ دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، وسَلَّم بعضُهم على بعضٍ، فسَبَقَ يَمليخا إليهم وهو يبكي، فبَكَوا معه، وسألُوهُ عن شأنِه، فأخبرَهُم خَبَرَهُ، وقصَّ عليهم النَّبأَ كُلَّه، فعرفوا أنهم كانوا نِياماً بأمرِ الله تعالى، وأنَّما أُوقِظُوا ليكونوا آيةً للناس، وتصديقاً للبَعثِ، ونظر الناسُ إلى المَسطُورِ الذي فيه أسمَاؤهم وقِصَّتُهم، فعَجِبوا، وأرسلوا إلى مَلِكِهم فجاء،

واعتنق القومَ، وبكى، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السلام، حفظك الله، وحفظ ملكك. فبينا المَلِكُ قائمٌ رَجعوا إلى مَضاجِعِهم، وتوفَّى اللّهُ عزَّ وجلَّ أنفسَهُم، فأمرَ المَلِكُ أن يُجعلَ لكلِّ واحدٍ منهم تابوتٌ مِنْ ذَهبٍ، فلمَّا أمسَوْا رآهُم في المنام، فقالوا: إنَّا لم نُخلَق مِنْ ذَهبٍ وفِضةٍ، ولكن خُلِقنَا مِنْ تُرابٍ، فاترُكنا كما كُنَّا في الكَهفِ على التُّرابِ حتى يَبعَثَنا الله عزَّ وجلَّ منه، وحَجبَهُم اللّهُ عزَّ وجلَّ حين خرجوا مِنْ عندهم بالرعب، فلم يَقدِرْ أحدٌ أن يدخلَ عليهم، وأمرَ المَلِكُ فجُعِلَ على باب الكَهفِ مسجدٌ يُصلَّى فيه، وجعل لهم عِيْداً عظيماً يؤتَى كلَّ سنةٍ، وقيل: إنه لمَّا جاء يَمليخا ومعه الناسُ، قال: دَعُوني أدخلْ على أصحابي فأُبَشِّرهُم، فإنهم إنْ رَأَوكُم معي أرعبتموهُم، فدخل فبَشَّرهُم، وقبضَ اللّهُ رُوحَهُ وأرواحَهُم، فدخلَ الناسُ، فإذا أجسادٌ لا يُنكِرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواحَ فيها، فقال المَلِكُ: هذه آيةٌ بعثَها اللّهُ لكم.

قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أَنَمنَاهُم ومَنعنَاهُم السَّمعَ، لأنَّ النائمَ إذا سمعَ انتبه. و ﴿عَدَدًا﴾ منصوبٌ على ضَربين: **أحدهما**: على المصدرِ، المعنى: تُعَدُّ عَدداً. **والثاني**: أن يكون نَعتاً للسِّنين، المعنى: سِنين ذاتَ عَددٍ، والفائدةُ في ذِكْرِ العددِ في الشيءِ المَعدودِ، توكيدُ كثرة الشيءِ، لأنه إذا قَلَّ فُهِمَ مِقدارُه، وإذا كَثُرَ احتِيجَ إلى أنْ يُعَدَّ العددُ الكثيرُ. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ مِنْ نَومِهم، يُقال لكُلِّ مَنْ خرج مِنَ الموت إلى الحياة، أو مِنَ النَّومِ إلى الانتباه: مَبعوثٌ، لأنه قد زَالَ عنه ما كان يَحبِسُه عن التَّصرُّفِ والانبعاثِ. وقيل: معنى ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: أنه لم يكُن فيها شهورٌ ولا أيَّامٌ، إنما هي كاملةٌ، ذكره المَاوردي. قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ قال المُفسِّرون: أي: لِنَرَى. وقال بعضُهم: المعنى: لِتَعلَموا أنتم أيَّ الحِزبَيْنِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرانَ، والنَّخعيُّ: «لِيُعلَم» بضمِّ الياء، على ما لم يُسمَّ فاعِلُه ويعني بالحِزبَيْنِ: المؤمنين والكافرين مِنْ قوم أصحابِ الكَهفِ. ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾ أي: لِنَعلَمَ أهؤلاءِ أحصَى للأمَدِ أو هؤلاءِ، فكأنه وَقعَ بينهم تَنازُعٌ في مُدَّةِ لُبْثِهم في الكهفِ بعد خُروجهم مِنْ بينهم، فبَعثَهُم اللّهُ لِيَبِيْنَ ذلك ويَظهر. قال قَتادةُ: لم يكن للفريقين عِلمٌ بلُبثِهم، لا لِمُؤمِنِيهم، ولا لِكافريهم، قال مُقاتلٌ: لمَّا بُعثوا زال الشَّكُّ وعُرِفتْ حقيقةُ اللُّبثِ. وقال القاضي أبو يَعلَى: معنى الكلام: بعثناهُم ليظهرَ المعلومُ في اختلافِ الحِزبَيْنِ في مُدَّةِ لُبثِهم، لِمَا في ذلك مِنَ العِبرَةِ.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ أي: خبرَ الفتية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصِّدقِ.

قوله تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ أي: ثبَّتناهم على الإيمان، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ألهمناها الصَّبرَ ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ بين يَدَي مَلِكِهم دقيانوس ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وذلك أنه كان يدعو الناسَ إلى عبادةِ الأصنام، فعَصمَ اللّهُ هؤلاءِ حتى عَصَوْا مَلِكَهُم. وقال الحسَنُ: قاموا في قومِهم

فدَعَوْهم إلى التوحيد. وقيل: هذا قولُهم بينهم لمَّا اجتمعوا خارجَ المدينة على ما ذكرنا في أوَّلِ القصة. فأمَّا الشَّطَطُ، فهو الجَوْرُ. قال الزَّجّاجُ: يُقال: شَطَّ الرجلُ، وأشَطَّ: إذ جارَ. ثم قال الفتيةُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا﴾ يعنون الذين كانوا في زمنِ دقيانوس ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أي: عَبدوا الأصنامَ ﴿لَّوْلَا﴾ أي: هَلاَّ ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ أي: على عبادةِ الأصنام ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ أي: بِحُجَّةٍ وإنما قال: عليهم والأصنامُ مؤنَّثةٌ، لأنَّ الكفَّارَ نَحلُوها العقلَ والتَّمييزَ، فَجَرَتْ مجرى المُذكَّرين مِنَ الناس.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنَّ له شريكاً؟!

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هذا قولُ يَمليخا، وهو رئيسُ أصحاب الكَهفِ، قال لهم: وإذ اعتزلتُموهُم، أي: فارقتُموهُم، يريد: عَبدَةَ الأصنام، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: واعتزلتُم ما يَعبدونَ، إلاَّ اللَّهَ، فإنَّ القوم كانوا يعبدون اللَّهَ ويعبدون معه آلهةً، فاعتزَلَ الفِتيةُ عبادةَ الآلهةِ، ولم يعتزلوا عبادةَ اللَّهِ، هذا قولُ عطاءِ الخراسَانيّ، والفَرَّاءِ. **والثاني**: وما يعبدون غيرَ اللَّهِ؛ قال قَتادَةُ: هي في مُصحَف، عبدِ الله: «وما يعبدون مِنْ دون الله»، وهذا تفسيرُها. قوله تعالى: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: اجعَلُوه مأواكُم، ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: يَبسُطْ عليكم مِنْ رزقهِ، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «مِرفقاً» بكسرِ الميم، وفتحِ الفاء، وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «مَرفِقاً» بفتحِ الميم وكسرِ الفاء، قال الفراء: أهلُ الحجاز يقولون: «مَرفِقاً» بفتح الميم وكسر الفاء في كلِّ مِرفَقٍ ارتَفَقْتَ به، ويكسِرون مِرفَقَ الإنسانِ، والعربُ قد يكسِرون الميمَ منهما جميعاً. قال ابنُ الأنبَاري: معنى الآية: ويُهَيِّئْ لكم مِنْ أمرِكم الصَّعبِ مِرْفَقاً، قال الشاعر:

فَلَيتَ لنا مِنْ ماءِ زَمزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدةً باتَتْ على طَهيَانِ[1]

معناه: فَليتَ لنا بَدَلاً مِنْ ماءِ زَمزَمَ. قال ابنُ عباسٍ: «ويُهيِّئ لكم»: يُسَهِّلْ عليكم ما تخافون مِنَ المَلِكِ وظُلمِهِ ويأتِكم باليُسرِ والرِّفقِ واللُّطفِ.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ المعنى: لو رَأيتَها لَرَأيتَ ما وَصفنَا. ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو: «تَزّاوَرُ» بتشديدِ الزَّاي. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «تَزاور» خفيفةً. وقرأ ابنُ عامرٍ: «تَزْوَرُّ» مثل: «تَحمَرُّ». وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو رَجاء، والجَحدَريُّ: «تَزْوَارُّ» بإسكانِ الزَّاي، وبألفٍ ممدودةٍ بعد الواو مِنْ غير همزةٍ، مشددةَ الراء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «تَزْوَئِرُّ» بهمزةٍ قبل الراء، مثل: «تَزْوَعِرُّ». وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو السَّمَّال:

---

(١) البيت للأحول الكندي في «اللسان» ـ طها ـ و «البحر المحيط» ٦/١٠٣.

«تَزَوَّرُ» بفتح التاء والزَّاي وتشديدِ الواو المفتوحةِ خفيفةَ الرَّاءِ، مثل: «تَكَوَّرُ» والمعنى: تميلُ أو تَعدِلُ. قال الزَّجَّاجُ: «تزاور»: تتزاورُ، فأدغِمت التاءُ في الزاي، و (تقرضهم) أي: تَعدِلُ عنهم وتتركُهم، وقال ذو الرُّمَّةِ:

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أجْوازَ مُشْرِفٍ ... شِمَالاً وعَنْ أيْمَانِهِنَّ الفَوَارِسُ[1]

يَقرِضْنَ: يَترُكنَ. وأصل القَرْضِ: القَطْعُ والتَّفرقةُ بين الأشياء، ومنه: أقرِضْني دِرهماً، أي: اقطَعْ لي مِنْ مالِكَ دِرهماً. قال المُفسِّرون: كان كَهفُهم بإزاءِ بناتِ نَعْشٍ في أرض الرُّوم، فكانت الشمسُ تميلُ عنهم طالعةً وغاربةً لا تدخل عليهم فتُؤذيهم بحَرِّها وتغيُّر ألوانِهم. ثم أخبرَ أنهم كانوا في مُتَّسَعٍ مِنَ الكَهفِ يَنالُهم فيه بَرْدُ الرِّيحِ، ونسيمُ الهواءِ، فقال: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: في مُتَّسَعٍ، والجميع: فَجَواتٌ، وفِجَاءٌ، بكسرِ الفاءِ. وقال الزَّجَّاجُ: إنما صَرْفُ الشمسِ عنهم آيةٌ مِنَ الآياتِ، ولم يُرْضَ قولُ مَنْ قال: كان كَهفُهم بإزاءِ بناتِ نَعْشٍ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يُشير إلى ما صنَعهُ بهم مِنَ اللُّطفِ في هِدايتِهم، وصَرْفِ أذى الشمسِ عنهم، والرُّعبِ الذي أُلقِيَ عليهم حتى لم يقدر المَلِكُ الظالمُ ولا غيره على أذَاهُم. «من آيات الله» أي: مِنْ دلائلِه على قُدرتِه ولُطفِه. ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ هذا بيانُ أنه هو الذي تولَّى هِدايَةَ القوم، ولولا ذلك لم يَهتَدُوا.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ أي: لو رَأيتَهم لَحسِبتَهم أيقاظاً. قال الزَّجَّاجُ: الأيقَاظُ: المُنتبهون، واحدُهم: يَقِظٌ، ويَقْظانُ، والجميع: أيقاظٌ؛ والرُّقودُ: النِّيامُ. وقال الفَرَّاءُ: واحدُ الأيقاظِ: يَقُظ، ويَقِظ. قال ابنُ السَّائبِ: وإنما يُحسَبون أيقاظاً، لأنَّ أعيُنَهم مُفتَّحةٌ وهم نِيامٌ. وقيل: لِتَقلُّبهم يميناً وشمالاً. وذكر بعضُ أهل العلم: أنَّ وَجْهَ الحِكمَةِ في فتحِ أعيُنِهم، أنه لو دامَ طَبَقُها لَذابَتْ. قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ وقرأ الحسَنُ وأبو رَجَاء: «وتَقْلِبهم» بتاءٍ مفتوحةٍ، وسكونِ القاف، وتخفيفِ اللام المكسُورة. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وعِكرمَةُ: «ونَقلِبُهم» مثلها، إلاَّ أنه بالنون. ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي: على أيْمَانِهم وعلى شَمائِلهم. قال ابنُ عباس: كانوا يُقلَّبُون في كلِّ عام مرَّتين، ستةُ أشهرٍ على هذا الجَنبِ، وستةُ أشهرٍ على هذا الجَنبِ، لئلاَّ تأكُلَ الأرضُ لُحومَهُم. وقال مُجاهِدٌ: كانوا ثلاثمائة عامٍ على شِقٍّ واحدٍ، ثم قُلِّبوا تسعَ سنين.

قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ أخبرَ أنَّ الكلبَ كان على مِثْلِ حالِهم في النَّوم، وهو في رَأْيِ العَيْنِ مُنتَبِهٌ. وفي الوَصِيدِ أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه الفِناءُ فِناءُ الكهفِ، رواه ابنُ أبي

(١) هو في «ديوانه» ٤٠٣ و «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٦ ومشرف والفوارس: موضعان بنجد كما في «معجم من استعجم».

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ١٩٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يوصد وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قوله تعالى: =

طَلحَةَ عن ابنِ عباس، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ. قال الفَرَّاءُ: يقال: الوَصِيدُ والأَصِيدُ لُغتان، مثل الإكَاف والوِكَاف. وأرَّختُ الكتابَ ووَرَّختُ، ووَكَّدْتُ الأمرَ وأكَّدتُ؛ وأهلُ الحِجاز يقولون: الوَصِيدُ، وأهلُ نَجدٍ يقولون: الأصِيْد، وهو: الحَظِيرةُ والفِناءُ.

والثاني: أنه البابُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ، قال ابنُ قُتَيبَةَ: فيكون المعنى: وكَلبُهم باسِطٌ ذراعيه بالبابِ، قال الشاعر:

بِـأرْضِ فَـضَـاءٍ لا يُـسَـدُّ وَصِـيـدُهـا ... عَـلـيَّ ومَـعْـرُوفي بـهـا غـيـرُ مُـنْـكَـرِ[1]

والثالث: أنه الصَّعيدُ، وهو الترابُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ عنهما. **والرابع**: أنه عَتَبَةُ الباب، قاله عَطاءٌ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وهذا أعجَبُ إليَّ، لأنهم يقولون: أوصِدْ بابَكَ، أي: أغلِقْهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[2]، أي: مُطْبَقةٌ مُغْلَقةٌ، وأصله أنْ يُلْصَقَ البابُ بالعَتَبةِ، إذا أغلقته، ومما يوضح هذا أنك إذا جعلتَ الكلبَ بالفِناءِ، كان خارجاً مِنَ الكَهفِ، وإن جعلتَهُ بعَتبةِ الباب، أمكَنَ أن يكونَ داخلَ الكهفِ، والكَهفُ وإنْ لم يكن له بابٌ وعَتبةٌ، فإنما أراد أنَّ الكلبَ بموضع العَتَبَةِ مِنَ البيت، فاستُعِيرَ.

قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقرأ الأعمَشُ وأبو حصين: «لوُ اطَّلعتَ» بضمِّ الواو، أي لو أشرفتَ عليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ رهبةً لهم ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ قرأ عاصِمٌ وابنُ عامرٍ وأبو عَمرو وحَمزَةُ والكِسائيُّ: «ولَمُلِئتَ» خفيفةً مهموزةً. وقرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ: «ولَمُلِّئتَ» مشددةً مهموزةً، ﴿رُعْبًا﴾ أي فَزَعاً وخوفاً، وذلك أنَّ اللَّهَ تعالى مَنَعَهُم بالرُّعب لئلاَّ يدخلَ إليهم أحدٌ. وقيل: إنهم طالَتْ شُعورُهم وأظفارُهم جداً فلذلك كان الرَّائي لهم لو رَآهُم هربَ مَرعُوباً، حكاه الزَّجَّاجُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: وكما فعلنا بهم ما ذَكرنا، بَعثناهُم مِنْ تلك النَّومة ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾ أي: ليكونَ بينهم تساؤلٌ وتنازعٌ واختلافٌ في مُدَّةِ لُبثِهم، فيفيد تساؤلُهم اعتبارَ المُعتَبرين بحَالِهم. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أي: كم مَرَّ علينا منذُ دخلنا هذا الكهفَ؟ ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وذلك أنهم دخلوا غُدْوَةً، وبعثَهُم اللَّهُ في آخرِ النهارِ، فلذلك قالوا: «يوماً»، فلمَّا رَأوا الشمسَ قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: القائلُ لهذا يَمليخا رئيسُهم، رَدَّ عِلْمَ ذلك إلى اللَّهِ تعالى. وقال في روايةٍ أخرى: إنما قاله مكسلمينا، وهو أكبَرُهم. قال أبو سُليمانَ:

= ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ الهمزة: ٨.

(١) البيت لعبيد بن وهب العبسي، وهو في «غريب القرآن» ٢٦٥ و «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٢٤.

(٢) سورة الهمزة: ٨.

وهذا يُوجب أن تكونَ نفوسُهم قد حَدَّثتهم أنهم قد لَبِثوا أكثرَ ممَّا ذَكَروا. وقيلَ: إنما قالوا ذلك، لأنهم رَأَوا أظفارَهم وأشعارَهم قد طالت جداً.

قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ قال ابنُ الأنباري: إنما قال: «أحدَكم»، ولم يَقُلْ: وَاحدَكم، لئلاً يلتَبِسَ البعضُ بالمَمدوحِ المُعظَّم، فإنَّ العربَ تقول: رأيتُ أحدَ القوم، ولا يقولون: رأيتُ واحدَ القومِ، إلاَّ إذا أرادوا المُعظَّمَ، فأراد بأَحَدِهم: بعضَهم، ولم يُرِدْ شريفَهُم.

قوله تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «بورِقِكم» الراءَ مكسورةً خفيفةً. وقرأ أبو عمرٍو، وحَمزةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ ساكنةَ الراء. وعن أبي عَمرٍو: «بورقكم» مُدغمةً يُشِمُّها شيئاً مِنَ التَّثقيل؛ قال الزَّجَّاجُ: تصيرُ كَافاً خالصةً. قال الفَرَّاءُ: الوَرِقُ لغةُ أهلِ الحِجاز، وتَميمٌ يقولون: الوَرْق، وبعضُ العرب يكسِرون الواوَ، فيقولون: الوِرْقُ. قال ابنُ قُتيبةَ. الوَرِقُ: الفِضَّة، دراهم كانت أو غيرَ دراهِمَ، يَدلُّكَ على ذلك حديثُ عَرْفَجَة أنه اتَّخذَ أنفاً مِنْ وَرِقٍ. قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ يعنُون التي خرجوا منها، واسمُها دقسوس، ويقال: هي اليوم طَرسُوسُ. قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أيُّ أهلِها ﴿أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾، وللمُفسِّرين في معناه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَحَلُّ ذبيحةً، قاله ابنُ عباسٍ، وعَطاءٌ، وذلك أنَّ عامَّةَ أهلِ بلدِهم كانوا كُفَّاراً، فكانوا يذبحون للطَّواغيتِ، وكان فيهم قومٌ يُخفون إيمانَهم. **والثاني**: أَحَلُّ طعاماً، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ؛ قال **الضَّحَّاكُ**: وكان أكثرُ أموالهم غُصوباً. وقال مُجاهِدٌ: قالوا لصاحبهم: لا تَبتغِ طعاماً فيه ظُلْمٌ ولا غَصْبٌ. **والثالث**: أكثرُ، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: خيرٌ، أي: أجودُ، قاله قَتادةُ. **والخامس**: أطيبُ، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والسادس**: أرخصُ، قاله يَمانُ بنُ رياب. قال ابنُ قُتيبةَ: وأصل الزَّكَاءِ: النَّماءُ والزِّيادةُ.

قوله تعالى: ﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾ أي: بما تأكلونه. ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ أي: لِيُدقّق النَّظرَ فيه، وليَحتَلْ لئلاً يُطَّلَع عليه. ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ﴾ أي: ولا يُخبِرَنَّ أحداً بمكانِكم. ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ﴾ أي: يَطَّلِعوا ويُشرِفوا عليكم، ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يقتلوكم، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: يقتلوكم بالرَّجمِ. **والثاني**: يرجُموكم بأيديهم، استِنكاراً لكم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: بألسِنَتِهم شَتْماً لكم، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ جُريجٍ.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾ أي: يَرُدُّوكم في دِينهم، ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ أي: إن رَجعتُم في دِينِهم، لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: وكما أَنمناهم وبعثناهم، أَطلَعنا وأظهَرْنا عليهم. قال ابنُ قُتيبةَ: وأصلُ هذا أنَّ مَنْ عَثَرَ بشيءٍ وهو غافلٌ، نظرَ إليه حتى يعرفَهُ، فاستُعِيرَ العِثَارُ مكانَ التَّبيين والظُّهور، ومنه قولُ الناس: ما عَثَرتُ على فُلانٍ بسوءٍ قَطُّ، أي: ما ظَهرتُ على ذلك منه. قوله تعالى: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ في المُشارِ إليهم بهذا العِلْمِ قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ بلدِهم حين اختَصَمُوا في البَعثِ،

فبَعثَ اللهُ أهلَ الكهفِ ليعلموا ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبَعثِ والجَزاءِ ﴿حَقٌّ﴾ وأنَّ القيامةَ لا شكَّ فيها، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنهم أهلُ الكهفِ، بَعثناهُم لِيَرَوْا بعدَ عِلمِهم أنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ، ذكره المَاوَرديِ. قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ﴾ يعني: أهلَ ذلك الزَّمانِ. قال ابنُ الأنبَاري: المعنى: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكونَ المعنى: إذ تَنازَعوا. وفي ما تنازَعُوا فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم تنازعوا في البُنيانِ، والمَسجدِ. فقال المسلمون: نبني عليهم مَسجِداً، لأنهم على دِينِنا؛ وقال المشركون: نبني عليهم بُنياناً، لأنهم مِنْ أهلِ سُنَّتِنا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم تنازعوا في البَعثِ، فقال المسلمون: تُبعَثُ الأجسادُ والأرواحُ، وقال بعضُهم: تُبعثُ الأرواحُ دونَ الأجسَادِ، فأراهُم اللهُ تعالى بعثَ الأرواحِ والأجسادِ بِبَعْثِه أهلَ الكَهفِ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفِتْيَةِ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنهم تنازعوا في قَدْرِ مُكثِهم. **والخامس**: تنازعوا في عَدَدِهم، ذكرهما الثَّعلبيُّ. قوله تعالى: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ أي: استُرُوهُم مِنَ الناس بأنْ تجعلوهم وراءَ ذلك البُنيانِ. وفي القائلين لهذا قولان: **أحدهما**: أنهم مُشركو ذلك الزمان، وقد ذكرناه عن ابن عباس. **والثاني**: أنهم الذين أسلَمُوا حين رَأَوا أهلَ الكهفِ، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قال ابنُ قُتيبَة: يعني المُطَاعين والرُّؤساء، قال المُفسِّرون: وهم المَلِكُ وأصحابُه المؤمنين اتَّخذوا عليهم مَسجِداً. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: بَنى عليهم المَلِكُ بِيعَةً.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ﴿ثَلَـٰثَةٌ﴾ مرفوع بخبرِ الابتداءِ، المعنى: سيقولُ الذين يتنازعون في أمرِهِم هُمْ ثلاثةٌ. وفي هؤلاءِ القائلين قولان:

[٩٢٩] **أحدهما**: أنهم نصارى نَجْرانَ، نَاظَرُوا رسولَ الله ﷺ في عَدَّةِ أهلِ الكهفِ، فقالت المَلكيَّة: هم ثلاثةٌ رابعهُم كلبُهُم، وقالت اليَعقوبيَّةُ: هم خمسةٌ سادسُهم كلبُهم، وقالت النَّسطُوريَّةُ: هم سبعةٌ وثامِنُهم كلبُهم، فنزلت هذه الآيَةُ: رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: أنهم أهلُ مدينَتِهم قبلَ ظُهورِهم عليهم، ذكره المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ظنّاً غيرَ يقينٍ، قال زُهيرٌ:

وَمَا الحَرْبُ إلاّ ما عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ ... ومَا هُوَ عَنْها بالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

فأمَّا دخولُ الواوِ في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولم تدخل فيما قبلَ هذا، ففيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ دخولَها وخروجَها واحدٌ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنَّ ظهورَ الواو في الجملة الثامنةِ دلالةٌ على

---

[٩٢٩] باطل. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، ثم إن الراوي عن الضحاك على الدوام إنما هو جويبر ذاك المتروك.

أنها مُرادةٌ في الجملتين المُتقدِّمَتين، فأعلَمَ بذكرها هاهنا أنها مُرادةٌ فيما قبلُ، وإنما حُذِفَتْ تخفيفاً، ذكره أبو نَصْر في «شرح اللمَع». **والثالث**: أنَّ دخولَها يدلُّ على انقطاعِ القصة، وأنَّ الكلامَ قد تمَّ، ذكره الزَّجَّاجُ أيضاً، وهو مذهبُ مُقاتِلِ بنِ سُليمانَ، وإن الواو تدل على تمامِ الكلام قبلَها، واستئنافِ ما بعدَها؛ قال الثَّعلبيُّ: فهذه واو الحُكم والتَّحقيق، كأنَّ اللهَ تعالى حكى اختلافَهم، فتمَّ الكلامُ عندَ قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾، ثم حَكَمَ أنَّ ثامنَهم كَلبُهم. وجاء في بعضِ التَّفسيرِ أنَّ المسلمين قالوا عند اختلافِ النَّصارى: هم سبعةٌ، فحَقَّق اللهُ قولَ المسلمين. **والرابع**: أنَّ العرب تعطِفُ بالواو على السبعة، فيقولون: ستةٌ، سبعةٌ، وثمانيةٌ، لأنَّ العِقدَ عندهم سبعةٌ، كقوله: ﴿التَّٰٓئِبُونَ الْعَٰبِدُونَ﴾ . . . إلى أنْ قالَ في الصِّفة الثامنة: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، وقوله في صِفةِ الجنَّةِ: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وفي صفةِ النَّارِ: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[2]، لأنَّ أبوابَ النار سبعةٌ، وأبوابُ الجنَّةِ ثمانيةٌ، ذكر هذا المعنى أبو إسحاقَ الثَّعلبيُّ.

وقد اختلف العلماء في عَددِهم على قولين: **أحدهما**: أنهم كانوا سبعةً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ثمانيةٌ، قاله ابنُ جُريج، وابنُ إسحاقَ. وقال ابنُ الأنباري: وقيل: معنى قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: صاحبُ كلبِهم، كما يُقال: السَّخاءُ حَاتِمٌ، والشعرُ زُهيرٌ، أي: السَّخاءُ سَخاءُ حَاتِمٍ، والشِّعرُ شِعرُ زُهيرٍ. فأمَّا أسماؤهم[3]، فقال هُشَيْمٌ: مكسلمينا، ويمليخا، وطرينوس، وسَدينوس، وسَرينوس، ونَواسس، ويرانوس، وفي التَّفسير خلافٌ في أسمائِهم فلَمْ أُطِلْ به.

واختلفوا في كلبِهم لِمَنْ كان على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان لرَاعٍ مَرُّوا به فتَبِعَهُم الرَّاعي والكلبُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه كان لهم يتَصيَّدون عليه، قاله عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والثالث**: أنهم مَرُّوا بكلبٍ فتبِعَهُم، فطَرَدُوهُ، فعادَ، ففعلوا ذلك به مِراراً، فقال لهم الكلبُ: ما تريدون مني؟! لا تَخشَوا جانبي أنا أُحِبُّ أحِبَّاءَ الله تعالى، فنامُوا حتى أحرُسَكُم. قاله كَعبُ الأحبَارِ. وفي اسم كلبِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: قطميرُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أن اسمَهُ الرَّقيمُ، وقد ذكرناه عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والثالث**: قطمُور، قاله عبد الله بنُ كَثيرٍ. **والرابع**: حُمرانُ، قاله شُعيبُ الجَبَّائي[4]. وفي صفتِهِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أحمرُ، حكاه الثَّوريُّ. **والثاني**: أصفرُ، حكاه ابنُ إسحَاقَ. **والثالث**: أحمرُ الرأسِ، أسودُ الظَّهرِ، أبيضُ البَطنِ، أبلَقُ الذَّنَبِ، ذكره ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ حَرَّكَ الياء ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وأسكَنَها الباقون.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: ما يعلم عددَهم إلاَّ قليلٌ مِنَ الناس. قال عَطاءٌ يعني بالقليل: هم سبعةٌ، إنَّ الله عَدَّهُم حتى انتهى إلى السبعة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ قال ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ: لا تُمَارِ أحداً، حَسبُكَ ما قَصصتُ عليك مِنْ أمرِهِم. وقال ابنُ زيدٍ: لا تُمَارِ في عِدَّتِهم إلاَّ مِراءً ظاهراً أنْ تقولَ لهم: ليس كما

---

(١) سورة التوبة: ١١٢. (٢) سورة الزمر: ٧١ ـ ٧٣.
(٣) الوقوف على أسمائهم، والكشف عن صفاتهم وأحوالهم زيادة على ما ذكر القرآن إنما هو مجرد تخمين وكهانة، وليس فيه كبير فائدة.
(٤) قال في «الميزان» ٢/٢٧٨: شعيب الجبائي، أخباري متروك، قاله الأزدي، وجبأ من أعمال الجند باليمن.

تقولون، ليس كما تعلمون. وقيلَ: «إلا مِراءً ظاهراً» بحُجَّةٍ واضحةٍ، حكاه المَاوَرديِ. والمِرَاءُ في اللغة: الجِدَالُ؛ يُقال: مَارَى يُمَارِي مُمَاراةً ومِرَاءً، أي: جَادَلَ. قال ابنُ الأنبَاري: معنى الآيةِ: لا تُجادِلْ إلاَّ جِدالَ مُتيقِّنٍ عالِمٍ بحقيقة الخَبرِ، إذ اللهُ تعالى ألقى إليكَ ما لا يَشُوبه باطلٌ. وتفسيرُ المِرَاءِ في اللغة: استِخرَاجُ غَضبِ المُجَادلِ، مِنْ قولهم: مَرَيْتُ الشَّاةَ: إذا استخرجتَ لَبَنَهَا. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ أي: في أصحابِ الكَهفِ، (منهم) قال ابنُ عباسٍ: يعني: مِنْ أهل الكتاب. قال الفَرَّاءُ: أتاه فريقان مِنَ النَّصارى، نسطُوريٌّ، ويَعقوبيٌّ، فسألهُم النبيُّ ﷺ عن عَدَدِهم، فنُهِيَ عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

[٩٣٠] سببُ نُزولها أنَّ قُريشاً سألوا النبيَّ ﷺ عن ذِي القَرنَيْنِ، وعن الرُّوحِ، وعن أصحابِ الكهفِ، فقال: غداً أخبرُكُم بذلك، ولم يَقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ، فأبطأ عليه جِبريلُ خمسةَ عشرَ يوماً لتَرْكِه الاستِثنَاءَ، فشَقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. ومعنى الكلام: ولا تقولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلكَ غداً، إلاَّ أنْ تقولَ: إنْ شاءَ اللهُ، فحَذَفَ القولَ.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابنُ الأنبَاري: معناه: واذكُرْ ربَّكَ بعدَ تَقَضِّي النِّسيانِ، كما تقول: اذكُرْ لعبدِ اللهِ ـ إذا صَلَّى ـ حاجتَكَ، أي: بعدَ انقضَاءِ الصَّلاةِ.

وللمُفسِّرين في معنى الآية ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أن المعنى: إذا نَسِيتَ الاستِثناءَ ثم ذَكَرْتَ،

---

[٩٣٠] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر من هذا الوجه ليس بشيء. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٤٣ نقلاً عن المفسرين. وذكره ابن هشام في «السيرة» ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٨ ـ ٢٤٤ عن ابن إسحاق مطوّلاً، وهذا معضل، فهو ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٨٦١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١ كلاهما عن ابن إسحاق حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره بنحو ما ذكره ابن هشام، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق وليس فيه سبب نزول هذه الآية. ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر غريب.
وأما سؤال قريش النبيَّ ﷺ فأخرجه الترمذي ٣١٤٠ وأحمد ١/ ٢٥٥ وابن حبان ٩٩ والحاكم ٢/ ٥٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب اهـ. عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ قالوا: أوتينا علماً كثيراً التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر**﴾ إلى آخر الآية. لفظ الترمذي. وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية. انظر «أحكام القرآن» ١٤٦٠ و ١٤٦١ بتخريجنا.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٠٢ في تفسير هذه الآية: هذا إرشاد من الله تعالى رسولَه ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يردّ ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علاّم الغيوب. وقوله: ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ قيل معناه: إذا نسيت الاستثناء، فاستثن عند ذكرك له، وعن ابن عباس في الرجل يحلف؟ قال: له أن يستثني ولو إلى سنة. ومعنى قول ابن عباس إذا نسي أن يقول في حلفه أو كلامه «إن شاء الله» وذكر ولو بعد سنة، ولو بعد الحنث فالسّنة أن يقول ذلك ليكون آتياً بسّنة الاستثناء. ولا يكون ذلك رافعاً لحنث اليمين ومسقطاً للكفارة، فأما الكفارة فله لازمة بالحنث بكل حال، إلا أن يكون استثناؤه موصولاً بالحلف. قاله ابن جرير وهو الصحيح والأليق بحمل كلام ابن عباس عليه، والله أعلم. اهـ.

فقُل: إنْ شاءَ اللهُ، ولو كان بعدَ يوم أو شهرٍ أو سنةٍ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والجمهور. **والثاني**: أنَّ معنى «إذا نسيتَ»: إذا غَضِبتَ، قالَه عِكرِمَةُ، قال ابنُ الأنباري: وليس ببعيدٍ، لأنَّ الغضبَ يُنتِجُ النّسيانَ. **والثالث**: إذا نَسِيتَ الشيءَ فاذكُرِ اللهَ لِيُذَكّرَك إيَّاهُ، حكاه المَاوَرديِ.

فصل: وفائدةُ الاستِثناءِ أن يخرجَ الحَالِفُ مِنَ الكذب إذا لم يفعل ما حَلفَ عليه، كقوله تعالى في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾[1]، ولم يَصْبِرْ، فسَلِمَ مِنَ الكذبِ لوجودِ الاستِثناءِ في حقِّه. ولا تختلف الرواية عن أحمدَ أنه لا يصحُّ الاستثناءُ في الطلاقِ والعِتَاقِ، وأنه إذا قال: أنتِ طالقٌ إنْ شاءَ اللهُ، وأنتَ حُرٌّ إنْ شاءَ اللهُ، أنَّ ذلك يقعُ، وهو قولُ مالكٍ؛ وقال أبو حَنيفةَ والشَّافعيّ: لا يقعُ شيءٌ مِنْ ذلك. وأمَّا اليَمينُ بالله تعالى، فإنَّ الاستثناءَ فيها يصِحُّ، بخلافِ الطَّلاقِ، وكذلك الاستثناءُ في كلِّ ما يُكفَّرُ، كالظِّهارِ، والنَّذرِ، لأنَّ الطَّلاقَ والعِتَاقَ لفظُه لفظُ إيقاع، وإذا عَلَّقَ به المَشيئةَ، عَلمنَا وجودَها، لوجودِ لفظِ الإيقاعِ مِنْ جهتِه، بخلافِ سائرِ الأيمَانِ، لأنها ليست بمُوجِباتٍ للحُكْمِ، وإنما تتعلَّقُ بأفعالٍ مُستقبَلةٍ. وقد اختُلِفَ في الوقتِ الذي يصحُّ فيه الاستثناءُ على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لا يصحُّ الاستثناءُ إلاَّ موصولاً بالكلام، وقد رُوي عن أحمدَ نحو هذا، وبه قال أكثرُ الفقهاء. **والثاني**: أنه يصحُّ ما دامَ في المجلس قاله الحَسنُ وطَاوسٌ، وعن أحمدَ نحوه. **والثالث**: أنه لو استَثْنَى بعد سَنَةٍ، جازَ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو العَالِيةِ، وقال ابنُ جَريرِ الطَّبَري: الصَّوابُ للإنسان أن يستَثنيَ ولو بعد حِنْثِه في يمينه، فيقول: إنْ شاءَ اللهُ، ليخرجَ بذلك ممَّا ألزمَهُ اللهُ في هذه الآيةِ، فيسقطَ عنه الحَرَجُ، فأمَّا الكفَّارةُ فلا تسقط عنه بحالٍ، إلاَّ أن يكونَ الاستثناءُ موصولاً بيمينه، ومَنْ قال: له ثُنْياهُ ولو بعدَ سنةٍ، أراد سقوطَ الحَرجِ الذي يلزمُه بتَرْكِ الاستثناءِ دونَ الكفَّارةِ.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عَمروٍ: «يهديَني ربّي» بياءٍ في الوَصْلِ دونَ الوَقْفِ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ بياءٍ في الحَالَين. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ بغير ياءٍ في الحالَينِ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: عَسَى أنْ يُعطيني رَبِّي مِنَ الآياتِ والدَّلالاتِ على النُّبوَّة ما يكون أقربَ في الرُّشدِ وأدلَّ مِنْ قصَّةِ أصحابِ الكهفِ، ففعلَ اللهُ له ذلك، وآتاهُ مِنْ عِلْمِ غُيوبِ المُرسَلين ما هو أوضحُ في الحُجَّةِ وأقربُ إلى الرَّشَدِ مِنْ خبرِ أصحاب الكهفِ؛ هذا قولُ الزَّجَّاج. **والثاني**: أنَّ قُريشاً لَمَّا سألت رسولَ الله ﷺ أن يُخبرَهم خبرَ أصحابِ الكهفِ، قال: «غداً أُخبرُكم»[2] كما شرحنا في سببِ نُزولِ الآيةِ، فقال اللهُ تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ أي: عسى أنْ يُعَرِّفَني جوابَ مَسائِلِكم قبلَ الوقت الذي حَدَّدتُه لكم، ويُعجِّلَ لي مِنْ جهتِهِ الرَّشَادَ، هذا قولُ ابنِ الأنباري.

﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمروٍ، وعَاصِمٌ وابنُ عامرٍ: «ثلاثمائةٍ سنين» مُنوَّناً وقرأ حَمزةُ والكِسَائيُّ: «ثلاثمائة سنين» مُضافاً غيرَ مُنوَّنٍ. قال أبو

---

(١) سورة الكهف: ٦٩.
(٢) انظر الحديث المتقدم ٩٤٩.

عليّ: العددُ المضاف إلى الآحادِ قد جاء مُضافاً إلى الجميع، قال الشاعر:

وَمَا زَوَّدُونـي غـيـرَ سَـحْـقِ عِـمَـامـةٍ وخَـمْـسَـمـئٍ مـنـهـا قَـسِـيٌّ وزَائِـفُ[1]

وفي هذا الكلام قولان[2]: **أحدهما**: أنه حكايةٌ عمَّا قال الناس في حَقِّهم، وليس بمقدارِ لُبْثِهم، قاله ابنُ عباس، واستدلَّ عليه فقال: لو كانوا لَبِثوا ذلك لَمَا قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ وكذلك قال قَتادَةُ، هذا قولُ أهلِ الكتاب. **والثاني**: أنه مِقدارُ ما لَبِثُوا، قاله عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ ومُجاهِدٌ والضَّحَّاكُ وابنُ زيدٍ؛ والمعنى: لَبِثُوا هذا القَدْرَ مِنْ يوم دَخَلُوهُ إلى أنْ بَعثَهم اللهُ وأطلَعَ الخَلْقَ عليهم. قوله تعالى: ﴿سِنِينَ﴾ قال الفَرَّاءُ وأبو عُبيدَةَ والكِسَائيُّ والزَّجَّاجُ: التَّقديرُ: سنينَ ثلاثمائةٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: أنها لم تكن شهوراً ولا أيَّاماً، إنما كانت سنينَ. وقال أبو عليٍّ الفَارسيُّ: «سنين» بدلٌ مِنْ قوله: «ثلاثمائة». قال الضَّحَّاكُ: نزلت ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾ فقالوا: أيَّاماً أو شهوراً أو سنينَ؟ فنزلت: «سنين» فلذلكَ قال: «سنين»، ولم يَقُلْ: سنةً.

قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ يعني: تسعَ سنينَ، فاستغنى عن ذِكْرِ السِّنين بما تَقدَّم مِنْ ذِكْرِها. ثم أَعلَمَ أنه أعلَمُ بقدْرِ مُدَّةِ لُبثِهم مِنْ أهل الكتاب المُختلفينَ فيها، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ قال ابنُ السَّائبِ: قالت نصارى نَجرانَ: أمَّا الثلاثمائة، فقد عرفناها، وأما التِّسعُ، فلا عِلْمَ لنا بها[3]، فنزلَ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ وقيلَ: إنَّ أهلَ الكتاب قالوا: إنَّ للفِتيَةِ منذ دخلوا الكهفَ إلى يومِنا هذا ثلاثمائةٍ وتسع سنينَ، فرَدَّ عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ بعدَ أن قبضَ أرواحَهُم إلى يومِكُم هذا، لا يعلمُ بذلك غيرُ اللهِ. وقيل: إنما زادَ التِّسع، لأنه تفاوتُ ما بين السِّنين الشَّمسيَّةِ والسِّنين القمريَّةِ، حكاه المَاوَردي.

قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه على مذهبِ التَّعجُّبِ، فالمعنى: ما أسمعَ اللهُ وأبصَرهُ، أي: هو عالمٌ بقصة أصحابِ الكهف وغيرِهم، هذا قولُ الزَّجَّاج، وذكر أنه إجماعُ العلماء. **والثاني**: أنه في معنى الأمرِ، فالمعنى: أبصِرْ بدِين الله وأسمِعْ، أي: أبصِرْ بهُدَى اللهِ واسمَعْ، فترجع الهاءُ إمَّا على الهُدى، وإمَّا على الله عزَّ وجلَّ، ذكره ابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: ليس لأهلِ السَّمواتِ والأرضِ مِنْ دونِ الله مِنْ ناصرٍ، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ ولا يجوزُ أن يَحكُمَ حاكمٌ بغيرِ ما حَكَم به، وليس لأحدٍ أن يحكمَ مِنْ ذاتِ نفسه فيكون شَريكاً للهِ عزَّ وجلَّ في حُكمِه. وقرأ ابنُ عَامرٍ: «ولا تُشرِكْ» جزماً بالتاء، والمعنى: لا تُشرِكْ أيُّها الإنسانُ.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ

(١) البيت لمزرّد كما في «اللسان» مادة ـ مأي ـ سحق. والسَّحق: الثوب الخلق البالي. ودرهم قَسِيٌّ: رديء.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢١١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره: ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم وإلى أن أعثر عليهم من أعثر ثلاث مئة سنين وتسع سنين ثم قال الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض الله أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك. وهو اختيار ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٠٣.

(٣) عزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي، وهو ساقط الرواية.

نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ في هذه التِّلاوة قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى القراءة. **والثاني**: بمعنى الاتباع. فيكون المعنى على الأول: اِقرأ القرآنَ، وعلى الثاني: اتَّبِعْهُ واعمَلْ به. وقد شرحنا في سُورةِ الأنعامِ معنى ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾[(1)]. قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ قال مُجاهِدٌ، والفرَّاءُ: مَلجَأً. وقال الزَّجّاجُ: مَعْدِلاً عن أمرِهِ ونهيِهِ. وقال غيرُهم: مَوضِعاً تميلُ إليه في الالتِجاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ سببُ نُزولها:

[٩٣١] أنَّ المُؤلَّفةَ قلوبُهم جاؤوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ: عُيَينَةُ بنُ حِصْنٍ، والأقرَعُ بنُ حابِسٍ، وذَووهُم، فقالوا: يا رسولَ الله: لو أنكَ جلستَ في صدرِ المجلسِ، ونحَّيتَ هؤلاءِ عنَّا، ـ يعنُونَ سليمانَ وأبا ذَرّ وفقراءَ المسلمين، وكانت عليهم جِبَابُ الصُّوفِ ـ جلسنا إليكَ، وأخذنا عنكَ، فنزلت هذه الآيةُ إلى قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾، فقام رسولُ الله ﷺ يلتَمِسُهم، حتى إذا أصابهم في مُؤخَّرِ المسجد يذكرونَ اللهَ، قال: «الحمدُ لله الذي لم يُمِتْني حتى أَمَرني أن أصبرَ نَفْسِي مع رجالٍ مِنْ أُمَّتي، معكم المَحيا ومعكم المَماتُ». هذا قولُ سلمانَ الفَارسيّ.

ومعنى قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ أي: احبِسْهَا معهم على أداءِ الصَّلواتِ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾. وقد فسَّرنا هذه الآيةَ في سُورة الأنعام[(2)] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تَصْرِفْ بصرَكَ إلى غيرِهم مِنْ ذَوي الغِنى والشَّرفِ؛ وكان عليه السَّلامُ حريصاً على إيمانِ الرُّؤساء ليؤمِنَ أتباعُهم، ولم يكُنْ مُريداً لزينةِ الدنيا قطُّ، فأُمِرَ أن يجعلَ إقبالَهُ على فقراءِ المؤمنين. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ سببُ نُزولها أنَّ أُمَيَّةَ بنَ خَلَفِ الجُمَحِي، دَعا رسولَ الله ﷺ إلى طَرْدِ الفقراءِ عنه، وتقريبَ صَنادِيدِ أهلِ مكَّةِ، فنزلت هذه الآيةُ[(3)]، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. وفي روايةٍ أخرى عنه أنه قال: هو عُيَينَةُ وأشباهُه. ومعنى «أغفلنا قلبه»: جعلناه غافلاً. وقرأ أبو مِجْلَز: «ومن أغفَلَنا» بفتحِ اللام، ورفعِ باءِ القلبِ. «عن ذكرنا»: أي عن التَّوحيدِ والقرآنِ والإسلامِ، ﴿وَٱتَّبَعَ

---

[٩٣١] باطل. أخرجه الطبري ٢٣٠٢٢ وأبو نعيم ١/ ٣٤٥ والواحدي وفي «أسباب النزول» ٦٠٠ والبيهقي في «الشعب» ١٠٤٩٤ من حديث سلمان الفارسي وإسناده ضعيف جداً، فيه سليمان بن عطاء، قال البخاري: منكر الحديث. والمتن باطل، فإن السورة مكية، وإسلام سلمان مدني، وكذا عيينة بن حصن وفد في المدينة. والمرفوع منه لابأس به. أخرجه الطبري ٢٣٠٢٠ عن قتادة مرسلاً فهو ضعيف وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢ من حديث أبي سعيد الخدري وإسناده ضعيف، فيه العلاء بن بشير، وهو مجهول، ومع ذلك ليس فيه ذكر سلمان وعيينة ولا نزول الآية. عن أبي سعيد الخدري، قال: كنت في عصابة من المهاجرين جالساً معهم، وإن بعضهم يستتر ببعض من العري، وقارئ لنا يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى، فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معهم نفسي» كما في «الدلائل».

---

(١) سورة الأنعام: ١١٥.
(٢) سورة الأنعام: ٥٢.
(٣) ضعيف جداً. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠١ من طريق جويبر بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس، وجويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس، فالخبر واه بمرة.

هَوَىٰهُ﴾ في الشِّركِ. ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها أَفرَطَ في قوله، لأنه قال: إنَّا رُؤوسُ مُضَرَ، وإنْ نُسلِمْ يُسلِم الناسُ بعدَنا، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ضَياعاً، قاله مُجاهِدٌ. وقال أبو عُبيدَةَ: سَرَفاً وتضييعاً. **والثالث**: نَدماً، حكّاه ابنُ قُتَيبةَ عن أبي عُبيدَةَ. **والرابع**: كان أمرُه التَّفريطُ، والتَّفريطُ: تقديمُ العَجزِ، قاله الزَّجّاجُ.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ قال الزَّجّاجُ: المعنى: وقُلِ الذي أتيتُكم به، الحقُّ مِنْ ربكم.

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: فَمَنْ شاء اللهُ فليُؤمِنْ، رُوي عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه وعيدٌ وإنذارٌ، وليس بأمرٍ، قاله الزَّجّاجُ. **والثالث**: أنَّ معناه: لا تنفعون اللهَ بإيمانِكم، ولا تَضرُّونه بكُفرِكم، قاله الماوردي. وقال بعضُهم: هذا إظهارٌ للغِنى، لا إطلاقٌ في الكُفرِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أي هَيَّأنا وأعدَدْنا، وقد شرحناه في قوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾[٣] فأمّا الظالمون، فقال المُفسِّرون: هم الكافرون. فأمّا السُّرَادِقُ، فقال الزَّجّاجُ: السُّرَادِق: كلُّ ما أحاط بشيءٍ، نحو الشُّقَّة في المَضرَبِ، أو الحائطِ المُشتَمِل على الشيءِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: السُّرَادِق: الحُجرَةُ التي تكون حولَ الفُسطَاطِ. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي، قال: السُّرَادِقُ فارسيٌّ مُعرَّبٌ، وأصله بالفارسيَّة سَرَادَارْ، وهو الدِّهْلِيزُ، قال الفرزدَقُ:

تَمَنَّيْتَهُمْ حتَّى إذا ما لَقِيتَهُمْ ... تَركْتَ لهُم قبلَ الضِّرَابِ السُّرَادِقا[٤]

وفي المُراد بهذا السُّرَادِقِ قولان: **أحدهما**: أنه سُرَادِقٌ مِنْ نارٍ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٩٣٢] روى أبو سعيدٍ الخُدريُّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لِسُرَادِقِ النارِ أربعةُ جُدُرٍ كُثُفٌ، كلُّ جدارٍ منها مَسيرةُ أربعينَ سنةً». وفي روايةِ أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، قال: السُّرَادِقُ: لسانٌ مِنَ النارِ، يخرج مِنَ النارِ فيُحيطُ بهم حتى يفرَغَ مِنْ حسابِهم.

---

[٩٣٢] ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٥٨٤ والطبري ٢٣٠٣٧ من طريق ابن المبارك به. وأخرجه الحاكم ٤/ ٦٠٠ و ٦٠١ والطبري ٢٣٠٣٨ من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث به، وصححه! وسكت عنه الذهبي! مع أنه من رواية دراج عن أبي الهيثم، لكن قال الذهبي في مواضع كثيرة: دراج ذو مناكير. وأخرجه أحمد ٣/ ٢٩ وأبو يعلى ١٣٨٩ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٤٦ من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن درّاج به. فالإسناد ضعيف.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢١٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ضياعاً وهلاكاً من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطاً، إذا أسرف فيه وتجاوز.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٠٥: يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿**إنا أعتدنا**﴾ أي: أرصدنا ﴿**للظالمين**﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿**ناراً أحاط بهم سرادقها**﴾ أي سورها.

(٣) سورة يوسف: ٣١.

(٤) كما في «ديوانه» ٢/ ٥٨٦ و «المعرَّب»: ٢٠٠.

والثاني: أنه دُخانٌ يُحيط بالكفَّارِ يومَ القيامةِ، وهو الظِّلُّ ذو ثلاثِ شُعَبٍ الذي ذكره اللهُ تعالى في المُرسَلاتِ(١)، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾ أي: ممَّا هم فيه مِنَ العذاب وشدَّةِ العَطشِ ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ وفيه سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ماءٌ غليظٌ كدُرْدِيِّ الزَّيتِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه كلُّ شيءٍ أُذيبَ حتى انماعَ، قاله ابنُ مسعودٍ، وقال أبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ: كلُّ شيءٍ أذبتَهُ مِنْ نُحاسٍ أو رَصاصٍ أو نحوِ ذلك، فهو مُهْلٌ. **والثالث**: قيحٌ ودَمٌ أسودُ كعَكَرِ الزَّيتِ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنه الفِضةُ والرَّصاصُ يُذابانِ، رُوي عن مُجاهِدٍ أيضاً. **والخامس**: أنه الذي قد انتهى حَرُّهُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والسادس**: أنه الصَّديدُ، ذكره ابنُ الأنباري. قال مُغيثُ بنُ سُمَيٍّ: هذا الماءُ هو ما يَسيلُ مِنْ عَرَقِ أهلِ المَوقفِ في الآخرة وبُكائِهم، وما يجري منهم مِنْ دَمٍ وقَيحٍ، يسيلُ ذلك إلى وادٍ في جهنَّم، فتطبُخهُ جهنَّمُ، فيكون أولَ ما يُغاثُ به أهلُ النار. **والسابع**: أنهُ الرَّمادُ الذي يُنفَضُ عن الخُبزةِ إذا خرجت مِنَ التَّنُّورِ، حكاه ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ قال المُفسِّرون: إذا قَرَّبهُ إليه سَقطَتْ فَروَةُ وَجهِه فيه(٢). ثم ذَمَّهُ، فقال بِئْسَ الشَّرابِ وساءَتِ النارُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾ وفيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: منزلاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مُجتَمَعاً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: مُتَّكأً، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشد لأبي ذُؤَيبٍ:

إنِّـي أرِقْـتُ فـبِـتُّ الـلَّـيْـلَ مُـرْتَـفِـقـاً ... كـأنَّ عَـيْـنِـيَ فِـيـهـا الـصَّـابُ مَـذْبُـوحُ(٣)

وذَبحُهُ: انفجارُه؛ قال الزَّجَّاجُ: «مرتفقاً» منصوبٌ على التَّمييز. أي مُتَّكأً على المِرفقِ.

والرابع: ساءَتْ مجلِساً؛ قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والخامس**: ساءَتْ مَطلَباً للرِّفقِ، لأن مَنْ طلب رِفقاً مِنْ جهتها، عَدِمَهُ، ذكره ابنُ الأنباري. ومعاني هذه الأقوالِ تتقاربُ. وأصلُ المِرفَقِ في اللغة: ما يُرتَفقُ به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾(٤) قال الزَّجَّاجُ: خبرُ «إن» هاهنا على ثلاثةِ

---

(١) سورة المرسلات: ٣٠.

(٢) حديث ضعيف، وورد مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿بماء كالمهل﴾ قال: «كعكر الزيت فإذا قرّب إليه سقطت فروة وجهه فيه». أخرجه الترمذي ٢٥٨١ و ٣٣٢٢ والطبري ٢٣٠٣٩ والحاكم ٢/ ٥٠١ وابن حبان ٧٤٧٣ والبيهقي في «البعث» ٥٥٠ من طرق عن أبي سعيد الخدري. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي! مع أن مداره على دراج، وهو ضعيف الحديث، وأخرجه أحمد ٣/ ٧٠ ـ ٧١ وأبو يعلى ٣٧٥ والواحدي ٣/ ١٤٦ من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به.

(٣) البيت في ديوان «الهذليين» ١/ ١٠٤ و «اللسان» ـ صوب ـ.
والصّاب: عصارة شجرٍ مرٍّ، إذا وقعت قطرة في العين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر.

(٤) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٠٦: لما ذكر الله تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة فلهم ﴿جنات عدن﴾، =

أوجهٍ: **أحدها**: أن يكونَ على إضمارِ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ منهم، ولم يَحتَجْ إلى ذِكرِ «منهم» لأنَّ الله تعالى قد أعلَمَنا أنه مُحبِطٌ عَمَلَ غيرِ المؤمنين. **والثاني**: أن يكون خبر «إن»: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾، ويكون قولُه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ قد فَصَلَ به بين الاسم وخَبرِه، لأنه يحتوي على معنى الكلام الأوَّلِ، لأنَّ مَنْ أحسنَ عملاً بمنزلَةِ الذين آمنوا. **والثالث**: أنْ يكونَ الخبرُ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، بمعنى: إنَّا لا نُضيعُ أجْرَهم.

قال المُفسِّرون: ومعنى ﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: لا نترُكُ أعمالَهُ تذهبُ ضَياعاً، بل نُجازيهِ عليها بالثوابِ. فأمَّا الأساورُ، فقال الفَرَّاءُ: في الواحد منها ثلاثُ لُغاتٍ: إسوَار، وسِوَار، وسُوَار؛ فمَنْ قال: إسوَارُ، جَمعَه أساوِرَ، ومَنْ قال: سِوَار أو سُوَار، جَمعَه أسْورَة، وقد يجوز أن يكون واحدُ أَساوِرَة وأَسَاوِر: سِوَار؛ وقال الزَّجَّاجُ: الأسَاوِرُ جمعُ أسْوِرَةٍ، وأسْوِرَة جمعُ سِوَارٍ، يقال: سِوارُ اليَدِ، بالكسرة، وقد حُكيَ: سُوَار. قال المُفسِّرون: لمَّا كانت المُلوكُ تَلبَسُ في الدنيا الأسَاوِرَ في اليَدِ والتِّيجانَ على الرُّؤوس، جعلَ اللهُ تعالى ذلك لأهل الجنَّةِ. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: يُحَلَّى كلُّ واحدٍ منهم بثلاثةٍ مِنَ الأسَاوِرِ، واحدٍ مِن فضَّةٍ، وواحدٍ مِنْ ذهبٍ، وواحدٍ مِنْ لُؤلؤٍ ويَواقيتَ. فأما «السُّندُسُ» و «الإستبرق»، فقال ابنُ قُتَيبةَ: السُّندُسُ: رقيق الدِّيبَاج، والإستَبْرَقُ ثَخينُه. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورِ اللغوي، قال: السُّندُسُ: رقيقُ الدِّيبَاجِ، لم يختلف أهلُ اللغة في أنه مُعَرَّبٌ، قال الرَّاجزُ:

ولَـيْـلَـةٍ مِـنَ الـلَّـيَـالـي حِـنْـدِسِ   لَـونُ حَـواشِـيـهـا كَـلَـونِ الـسُّـنْـدُسِ

والإستَبْرَقُ: غليظُ الدِّيباجِ، فارسيٌّ مُعرَّبٌ، وأصله إسْتفْرَهْ. وقال ابنُ دُريدٍ: إستَرْوَهْ، ونُقِلَ مِنَ العجميَّةِ إلى العربية، فلو حُقِّرَ «إستبرق»، أو كُسِّرَ، لَكانَ في التَّحقيرُ «أُبَيْرِق»، وفي التَّكسير «أبارق» بحذفِ السين، والتاءِ جميعاً. قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ الاتكاءُ: التَّحاملُ على الشيء. قال أبو عُبيدَةَ: والأرَائِكُ: الفُرُشُ في الحِجَال، ولا تكون الأريكَةُ إلاَّ بحَجلَةٍ وسَريرٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الأرائِكُ: السُّرُرُ في الحِجَالُ، واحدها: أرِيكَةٌ. وقال ثَعلَبُ: لا تكون الأرِيكَةُ إلاَّ سريراً في قُبَّةٍ عليه شَوارُهُ ومَتاعُه؛ قال ابنُ قُتَيبةَ: الشَّوارُ، مفتوحُ الشين، وهو مَتَاعُ البيت. وقال الزَّجَّاجُ: الأرائِكُ: الفُرُشُ في الحِجَالِ. قال: وقيلَ: إنها الفُرُشُ، وقيل إنها الأسِرَّةُ، وهي على الحقيقة: الفُرُشُ كانت في حِجَالٍ لهم.

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ روى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، قال: هُما ابنا مَلِكٍ كان في بَني إسرائيلَ تُوفِّي وتَركَهُما، فاتَّخذ أحدُهما الجِنَانَ والقصورَ، وكان الآخرُ زاهداً في الدنيا، فكان إذا عَمِلَ أخوه شيئاً مِنْ زينةِ الدنيا، أخذَ مثلَ ذلك فقدَّمه لآخِرَته، حتى نَفِدَ مالُه، فضَربَهُما اللهُ عزَّ وجلَّ مَثَلاً

= والعدن: الإقامة. ونعمت الجنة ثواباً على أعمالهم.

للمؤمنِ والكافرِ الذي أبطَرَتْهُ النِّعمةُ. وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: أنَّ المسلمَ لمَّا احتاجَ، تعرَّضَ لأخيه الكافِرِ، فقال الكافرُ: أين ما وَرِثتَ عن أبيكَ؟ فقال: أنفقْتُهُ في سبيلِ الله، فقال الكافرُ: لكنِّي ابتَغْتُ منه جِناناً وغَنَماً، وبقراً، واللهِ لا أعطيْتُكَ شيئاً أبداً حتى تتبعَ دِيني، ثم أخذَ بيدِ المُسلِمِ فأدخلَهُ جِنَانِه يَطُوفُ به فيها، ويُرَغِّبه في دِينه. وقال مُقاتِلٌ: اسمُ المؤمن يمليخا، واسمُ الكافِرِ فرطس، وقيل: فطرس، وقيل: هذا المَثَلُ ضُرِبَ لعُيَينَةَ بنِ حصن وأصحابِه، ولِسَلمانَ وأصحابِه[١]. قوله تعالى: ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ الحَفُّ: الإحاطةُ بالشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[٢] والمعنى: جعلنا النَّخلَ مُطِيفاً. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ إعلامٌ أنَّ عِمارَتَهما كاملةٌ.

قوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ قال الفرَّاءُ: لم يَقُل تعالى: آتَتَا، لأنَّ «كلتا» ثِنتان لا تُفرَدُ واحدتُهما، وأصلُه: «كُلّ»، كما تقول للثلاثة: «كُلٌّ»، فكان القَضاءُ أن يكونَ للثِّنتين ما كان للجَمعِ، وجازَ توحيدُه على مذهبِ «كُلّ»، وتأنيثُه جائزٌ للتَّأنيث الذي ظهرَ في «كلتا»، وكذلك فافعَلْ بـ «كلا» و «كلتا» و «كُلّ»، إذا أضفتَهُنَّ إلى مَعْرِفةٍ وجاء الفعلُ بعدَهنَّ فوَحِّدْ واجمَعْ، فمِنَ التَّوحيد قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[٣]، ومِنَ الجمعِ: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾[٤]، والعربُ قد تفعلُ ذلك أيضاً في «أي» فيُؤنِّثون ويُذكِّرون، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[٥]، ويجوز في الكلام «بأية أرض»، وكذلك ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٦]، ويجوز في الكلامِ «في أيَّة»، قال الشاعر:

بــأيِّ بَــلاءٍ أَمْ بــأَيَّــةِ نِــعْــمَــةٍ ... تَــقَــدَّمَ قَــبْــلِــي مُــسْــلِــمٌ والــمُــهَــلَّــبُ

قال ابنُ الأنباري: «كلتا» وإن كان واقعاً في المعنى على اثنتين، فإنَّ لفظَهُ لفظُ واحدةٍ مُؤنَّثةٍ، فغلبَ اللفظُ، ولم يستعملِ المعنى ثِقةً بمعرفةِ المُخاطَبِ به؛ ومِنَ العرب مَنْ يُؤثِرُ المعنى على اللفظِ، فيقول: «كلتا الجنتين آتتا أُكُلَها»، ويقول آخرون: «كلتا الجنتين آتى أُكُلَه»، لأنَّ «كلتا» تُفيدُ معنى «كُلّ»، قال الشاعر:

وكِلتَاهُـمـا قد خَطَّ لي في صَحِيفَتِي ... فـلا الـمَـوتُ أهـوَاهُ ولا الـعـيـشُ أَرْوَحُ

يعني: وكلُّهما قد خَطَّ لي، وقد قالتِ العربُ: كُلُّكم ذاهبٌ، وكُلُّكم ذاهبون. فوَحَّدوا لِلَفظِ «كُلّ» وجَمعُوا لتأويلِها. وقال الزَّجَّاجُ: إنَّما لم يَقُلْ: «آتتا»، لأنَّ لفظَ «كلتا» لفظُ واحدةٍ، والمعنى: كلُّ واحدةٍ منهما آتَتْ أُكُلَها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: لم تُنقِصْ ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ فأعلَمَنا أنَّ شُربهما كان مِنْ ماءِ نهرٍ، وهو مِنْ أغزرِ الشُّربِ. وقال الفرَّاءُ: إنما قال: «فجَّرنا» بالتَّشديد، وهو نَهَرٌ واحدٌ، لأنَّ النَّهر يمتدُّ، فكان التَّفجُّر فيه كُلّه. قرأ أبو رَزِين، وأبو مِجلَز، وأبو العَالِية، وابنُ يَعمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وفَجَرْنا» بالتَّخفيف. وقرأ أبو مِجلَز، وأبو المُتوكِّلِ: «خِللهما». وقرأ أبو العَالِية، وأبو عِمرَانَ: «نهْراً» بسكونِ الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ يعني: للأخ الكافرِ (ثَمر) قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «وكان له ثُمُر»، «وأحيط بثُمُره» بضمَّتين. وقرأ عَاصِمٌ: «وكان له ثَمَر»، «وأُحيط بثَمَره»

(١) تقدّم أنه لا يصح في عيينة ولا سلمان، فإن السورة مكية.
(٢) سورة الزمر: ٧٥. (٣) سورة مريم: ٩٥.
(٤) سورة النمل: ٨٧. (٥) سورة لقمان: ٣٤. (٦) سورة الانفطار: ٨.

بفتح التاءِ والميم فيهما. وقرأ أبو عَمرو: «ثُمْر» و «بثُمْره» بضمَّةٍ واحدةٍ وسكونِ الميم. قال الفَرَّاءُ: الثَّمَرُ، بفتح الثاءِ والميم: المأكولُ، وبضمِّها: المالُ وقال ابنُ الأنبَاري: الثَّمَر، بالفتح: الجمعُ الأوَّلُ، والثُّمر، بالضمِّ: جمعُ الثَّمرِ، يقال: ثَمَرٌ، وثُمُرٌ، كما يُقال: أَسَد، وأُسُد، ويصلُح أن يكونَ الثُّمُرُ جمعَ الثِّمار، كما يُقال: حِمارٌ وحُمُرٌ، وكِتابٌ وكُتُبٌ، فمَنْ ضَمَّ، قال: الثُّمُرُ أعمُّ، لأنها تحتملُ الثِّمارَ المأكولَةَ، والأموالَ المَجموعَةَ. قال أبو عليٍّ الفَارسيُّ: وقراءةُ أبي عمرو: «ثُمْر» يجوز أن تكونَ جمعَ ثمارٍ، ككتابٍ، وكُتُبٍ، فتُخفَّفُ، فيقال: كُتْب، ويجوز أن يكونَ «ثُمْر» جمعَ ثَمرةٍ، كبَدَنةٍ وبُدْنٍ، وخَشَبةٍ، وخُشْبٍ. ويجوز أن يكونَ (ثُمر) واحداً، كعُنُقٍ، وطُنُب. وقد ذكر المُفسِّرون في قراءةِ مَنْ ضَمَّ ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المالُ الكثير مِنْ صُنوفِ الأموال، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الذَّهبُ، والفِضَّةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه جمعُ ثَمرةٍ، قال الزَّجَّاجُ: يُقال: ثَمرة، وثِمَار، وثُمُر. فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في ذِكْرِ الثَّمرِ بعد ذِكْرِ الجنَّتين، وقد عُلِمَ أنَّ صاحبَ الجنَّةِ لا يخلُو مِنْ ثَمرٍ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه لم يكن أصلُ الأرضِ مُلكاً له، وإنما كانت له الثِّمارُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ ذِكْرَ الثَّمرِ دليلٌ على كثرة ما يَملِكُ مِنَ الثِّمارِ في الجَنَّتين وغيرِهما، ذكره ابنُ الأنبَاري. **والثالث**: قد ذكرنا أنَّ المرادَ بالثُّمرِ الأموالُ مِنَ الأنواع وذكرنا أنها الذهبُ، والفضَّةُ، وذلك يُخالف الثَّمرَ المأكُولَ؛ قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: مَنْ قال: هو الذهبُ، والوَرِقُ، فإنما قيلَ لذلك: ثُمُر على التَّفاؤل، لأنَّ الثَّمرَ نماءٌ في ذي الثَّمرِ، وكونه هاهنا بالجَنى أشبهُ بالذَّهب والفضَّةِ. ويقوي ذلك: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ والإنفاقُ مِنَ الوَرِقِ، لا مِنَ الشجر.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ﴾ يعني الكافر ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: يُراجعه الكلامَ ويُجاوبُهُ. وفيما تَحاورَا فيه قولان: **أحدهما**: أنه الإيمانُ والكفرُ. **والثاني**: طلبُ الدنيا، وطلبُ الآخرة. فأمَّا «النَّفر» فهم الجماعةُ، ومِثلُهم: القوم والرَّهطُ ولا واحدَ لهذه الألفاظِ مِنْ لفظِها. وقال ابنُ فارسٍ اللغوي: النَّفر: عِدَّةُ رجالٍ مِنْ ثلاثةٍ إلى العشرة.

وفيمن أراد بنَفَره ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: عَبيدُه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: وَلَدُهُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: عَشيرتُه ورَهطُه، قاله أبو سُليمانَ.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكُفرِ؛ وكان قد أخذَ بيدِ أخيه فأدخلَهُ معه: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أنكرَ فَناءَ الدنيا، وفَناءَ جنَّتِه، وأنكرَ البَعثَ والجزاءَ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وهذا شَكٌّ منه في البَعثِ، ثم قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي: كما تَزعُمُ أنتَ. قال ابنُ عباسٍ: يقول إنْ كان البَعثِ حقّاً ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ قرأ أبو عَمرو، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «خيراً منها»، وكذلك هي في مصاحف أهلِ البَصرةِ والكُوفةِ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «خيراً منهما» بزيادة ميم على التَّثنية، وكذلكَ هي في مصاحب أهل مكَّة والمدينةِ والشَّام. قال أبو عليٍّ: الإفرادُ أَوْلى، لأنه أقربُ إلى الجَنَّةِ المفردة في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾، والتَّثنيةُ لا تمتنِعُ، لتقدُّمِ ذِكْرِ الجنَّتَين.

قوله تعالى: ﴿مُنقَلَبًا﴾ أي: كما أعطاني هذا في الدنيا، سيُعطِيني في الآخرَةِ أفضلَ منه.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ

ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ يعني: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: خلقَ أباكَ آدمَ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني: ما أُنشِئَ هو منه، فلمَّا شَكَّ في البَعثِ كان كافراً.

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو وعَاصِمٌ وحَمزَةُ والكِسائيُّ، وقالُونُ عن نافع: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾، بإسقاطِ الألفِ في الوَصْلِ، وإثباتِها في الوَقْفِ. وقرأ نافعٌ في رواية المُسَيَّبي بإثْباتِ الألِفِ وَصْلاً ووَقْفاً. وأثبتَ الألِفَ ابنُ عامرٍ في الحالَين. وقرأ أبو رَجَاء: «لكنْ» بإسكانِ النُونِ خفيفةً مِنْ غيرِ ألِفٍ في الحالَين. وقرأ ابنُ يَعمُرَ «لكنَّ» بتشديد النونِ مِنْ غيرِ ألِفٍ في الحالَين. وقرأ الحسَنُ: «لكنْ أنا هو الله ربي» بإسكانِ نونِ «لكنْ» وإثباتِ «أنا». قال الفَرَّاءُ: فيها ثلاثُ لُغاتٍ: لكنَّا، ولكنَّ، ولكنَّه بالهاءِ، أنشدني أبو ثروان:

وتَرمينَني بالطَّرْفِ أي أنتَ مُذنِبٌ وتَقْلِينَنِي لكنَّ إيَّاكِ لا أَقْلِي

وقال أبو عُبيدَةَ: مَجازُه: لكن أنا هو اللهُ ربِّي، ثم حُذِفَتِ الألفُ الأُولَى، وأُدغِمَتْ إحدَى النُّونين في الأُخرى فشُدِّدتْ. قال الزَّجَّاجُ: وهذه الألِفُ تُحذَفُ في الوَصْلِ، وتُثبَتُ في الوَقْفِ، فأمَّا مَنْ أثبتَها في الوَصْلِ كما تُثبَتُ في الوَقْفِ، فهو على لُغةِ مَنْ يقول: أنا قُمتُ، فأثبتَ الألِفَ، قال الشاعر:

أنا سَيفُ العَشيرَةِ فاعرِفُوني[1]

وهذه القراءةُ جيدةٌ، لأنَّ الهمزة قد حُذفَتْ مِنْ «أنا»، فصار إثباتُ الألِفِ عِوَضاً مِنَ الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ أي: وهلاَّ؛ ومعنى الكلام التَّوبيخُ. قال الفَرَّاءُ: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في موضع رَفعٍ، إنْ شِئتَ رَفعتَهُ بإضمارِ هو، يريد: هو ما شاءَ اللهُ؛ وإنْ شِئتَ أضمَرْتَ فيه: ما شاءَ اللهُ كان؛ وجازَ طَرْحُ جوابِ الجزاءِ، كما جازَ في قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] ليس له جوابٌ، لأنه معروفٌ. قال الزَّجَّاجُ: وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الاختيارُ النَّصبُ بغير تنوينٍ على النَّفي، كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾[3]؛ ويجوز: «لا قوةَ إلاَّ بالله» على الرَّفعِ بالابتداءِ، والخبرِ «بالله»؛ المعنى: لا يَقوَى أحدٌ في بَدَنِه ولا في مِلكِ يَدِه إلاَّ اللهُ تعالى، ولا يكون له إلاَّ ما شاء اللهُ.

قوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «إن ترني أنا» و«يؤتيني خيراً» بياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بياءٍ في الوَصْلِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ بحذفِ الياء فيهما وَصْلاً ووَقْفاً. ﴿أَنَا۠ أَقَلَّ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ: «أنا أقلُّ» برفعِ اللامِ. قال الفَرَّاءُ: «أنا» هاهنا عِمادٌ إنْ نصبتَ «أقلَّ»، واسمٌ إذا رفعتَ «أقلُّ»، والقراءةُ بهما جائزٌ.

قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أي: في الآخرة، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ وفيه

---

(١) هو صدر بيت وعجزه: «حُميداً قد تَذَرَّيتُ السَّناما». كما في القرطبي ١٠/ ٣٥١ والطبري ٨/ ٢٢٥.
(٢) سورة الأنعام: ١٣٥. (٣) سورة الكهف: ٢١.

أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العذابُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وقال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: ناراً مِنَ السماء. **والثاني**: قضاءٌ مِنَ الله يقضِيه، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: مَرامِيَ مِنَ السماءِ، واحدُها: حُسبَانَةٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبة. قال النَّضر بنُ شُمَيلٍ: الحُسبَانُ: سِهامٌ يرمي بها الرجلُ في جوفِ قَصَبَةٍ تنزعُ في القوسِ، ثم يرمي بعشرينَ منها دُفعةً، فعلى هذا القولِ يكون المعنى: ويُرسلَ عليها مَرامِيَ مِنْ عذابه، إمَّا حجارةً أو بَرَداً أو غيرَهما مما يشاء مِنْ أنواع العذاب. **والرابع**: أنَّ الحُسبَانَ: الحِساب، كقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[1] أي: بحسَابٍ، فيكون المعنى: ويُرسِلَ عليها عذابَ حسابِ ما كَسبَتْ يداهُ، هذا قول الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٠ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: الصَّعيدُ: الأملَسُ المُستوي، والزَّلَق: الذي تَزِلُّ عنه الأقدامُ، والغورُ: الغائِرُ، فجعل المصدر صفةً، يقال: ماءٌ غَوْرٌ، ومياهٌ غَوْرٌ، ولا يُثنَّى، ولا يُجمع، ولا يؤنَّث، كما يقال: رجلٌ نَوْمٌ، ورجلٌ صَوْمٌ، ورجلٌ فِطْرٌ، ورجالٌ نَوْمٌ، ونساء نومٌ، ونساءٌ صَوْمٌ. ويُقال للنساء إذا نُحنَ: نَوْحٌ، والمعنى: يذهب ماؤها غائِراً في الأرض، أي: ذاهباً فيها. ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ فلا يبقى له أثرٌ تطلبُهُ به، ولا تَنالُه الأيدي ولا الأَرْشِيَةُ. وقال ابنُ الأنبَاري: «غَوْراً» إذا غَوَّر، فسقطَ المُضافُ، وخلَفَهُ المُضافُ إليه، والمُرادُ بالطَّلبِ هاهنا: الوصُولُ، فقام الطَّلبُ مقامَهُ لأنه سَببُهُ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ وأبو الجَوزاءِ: «غُؤُوراً» برفع الغين والواو الأولى جميعاً وواو بعدها.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝٤٢ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٤٣ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أي: أحاط اللهُ العذابَ بثَمره، وقد سبقَ معنى الثَّمرِ. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أي: يضربُ بيَدٍ على يَدٍ، وهذا فِعلُ النَّادمِ، ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: في جَنَّتِه، و «في» هاهنا بمعنى «على». ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ أي: خاليةٌ ساقِطةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ والعُرُوشُ: السّقوف؛ والمعنى: أنَّ حيطَانَها قائمةٌ والسُّقوفَ قد تهدَّمَتْ فصارت في قَرَارِها، فصارت الحِيطانُ كأنها على السُّقوفِ. ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ فأخبرَ اللهُ تعالى أنه لمَّا سَلبَهُ ما أنعمَ به عليه، وحَقَّقَ ما أنذرَهُ به أخوه في الدنيا، نَدِمَ على شِرْكِه حين لا تنفعه النَّدامةُ. وقيل: إنما يقول هذا في القيامة. ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعَاصِمٌ: «ولم تكن» بالتاء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «ولم يكن» بالياء. والفِئَةُ: الجماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ أي: يمنعونَهُ مِنْ عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ: «الوَلاية» بفتح الواو، و «لله الحقّ» بكسر القاف أيضاً. وقرأ حمزة «الوِلاية» بكسرِ الواو، و «الحقّ» بكسر القاف أيضاً. وقرأ أبو عمرٍو بفتحِ واوِ الوَلاية، ورفع «الحقُّ»، ووَافقهُ الكِسَائيُّ في رَفْعِ القافِ، لكنه كَسرَ «الوِلاية»، قال الزَّجَّاجُ: معنى الولاية في مِثلِ تلك الحالِ: تَبيينُ نُصرةِ وَليِّ الله. وقال غيرُه: هذا الكلامُ عائدٌ إلى ما

---

(١) سورة الرحمن: ٥.

قبل قصة الرَّجلين. فأمّا مَنْ فتحَ واوَ «الوَلاية» فإنه أراد المُوالاةَ والنُّصرةَ، ومَنْ كَسرَ، أراد السُّلطانَ والمُلْكَ على ما شرحنا في آخرِ الأنفالِ[١]. فعلى قراءةِ الفَتحِ، في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنهم يَتولَّون اللهَ تعالى في القيامة، ويُؤمنون به، ويَتبرَّؤونَ ممَّا كانوا يعبدُون، قاله ابنُ قُتيبة. **والثاني**: هنالك يَتولَّى اللهُ أمرَ الخَلائِق، فيَنصُرُ المؤمنين ويَخْذِلُ الكافرين. وعلى قراءةِ الكَسرِ، يكون المعنى: هنالكَ السُّلطانُ لله. قال أبو عليٍّ: مَنْ كَسرَ قافَ «الحقِّ»، جعله مِنْ وَصْفِ الله عزَّ وجلَّ، ومَنْ رفعَهُ جعله صِفةً للوَلايةِ. فإنْ قيلَ: لِمَ نُعِتتِ الوَلايةُ وهي مؤنثةٌ بالحقِّ وهو مصدرٌ؟ فعنه جوابان ذكرهما ابنُ الأنباري: **أحدهما**: أنَّ تأنيثَها ليس حقيقياً، فحُمِلَتْ على معنى النَّصرِ؛ والتقدير: هنالك النَّصرُ لله الحقِّ، كما حُمِلَتْ الصَّيحةُ على معنى الصِّياحِ في قوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾[٢]. **والثاني**: أنَّ الحقَّ مصدرٌ يستوي في لفظِه المُذكَّرُ والمؤنثُ والاثنانِ والجمعُ، فيقال: قولكَ حقٌّ، وكلمَتُكَ حقٌّ، وأقوالُكم حقٌّ. ويجوز ارتفاعُ الحقِّ على المَدحِ للولايةِ، وعلى المَدْحِ للهِ تعالى بإضمارِ «هو».

قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: هو أفضلُ ثواباً ممَّنْ يُرجى ثَوابُه، وهذا على تقدير أنه لو كان غيرُه يُثيبُ لَكانَ ثوابُه أفضلَ. قوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ والكِسائيُّ: «عُقُباً» مضمومةَ القافِ. وقرأ عاصِمٌ وحَمزَةُ: «عُقْباً» ساكنةَ القاف. قال أبو عليٍّ: ما كان على «فُعُلٍ» جازَ تخفيفُه، كالعُنُقِ والطُّنُبِ. قال أبو عُبيدَةَ: العُقْبُ والعُقُبُ والعُقْبَى والعَاقِبَة، بمعنى: وهي الآخِرةُ، والمعنى عاقبةُ طاعةِ اللهِ خيرٌ مِنْ عاقبَةِ طاعةِ غيره.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: في سُرعة نَفادِها وذَهابِها، وقيلَ: في تَصرُّفِ أحوالِها، إذ مع كُلِّ فَرحَةٍ تَرحَةٌ، وهذا مُفسَّرٌ في سُورة يُونس[٣] إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾. قال الفَرَّاءُ: الهَشِيمُ: كلّ شيءٍ كان رَطْباً فيَبِسَ. وقال الزَّجَّاجُ: الهَشِيمُ: النباتُ الجَافُّ. وقال ابنُ قُتيبة: الهَشِيمُ مِنَ النَّبتِ: المُتفتِّتُ، وأصله مِنْ هَشَمْتُ الشيءَ: إذا كَسرتَهُ، ومنه سُمِّي الرجلُ هاشِماً. و ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تَنسِفُهُ. وقرأ أُبيٌّ وابنُ عباسٍ وابنُ أبي عَبلَةَ: «تُذْرِيه» برفع التاء وكسرِ الراء بعدَها ياءٌ ساكنةٌ وهاءٌ مكسورةٌ. وقرأ ابنُ مسعودٍ كذلك، إلاَّ أنه فتحَ التاءَ. والمُقْتَدِر: مُفْتَعِل، مِنْ قَدَرْتُ. قال المُفسِّرون: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنَ الإنشاءِ والإفناءِ ﴿مُّقْتَدِرًا﴾.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هذا رَدٌّ على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالأموالِ والأولادِ، فأخبرَ اللهُ تعالى أنَّ ذلك ممَّا يُتزيَّنُ به في الدنيا، لا ممَّا ينفعُ في الآخرة. قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ فيها خمسةُ أقوالٍ[٤]: **أحدها**: أنَّها «سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلاَّ

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢. (٢) سورة هود: ٦٧. (٣) سورة يونس: ٢٤.

(٤) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢٣٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب كالذي روي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هن جميع أعمال الخير.

اللهُ، واللهُ أكبرُ».

[٩٣٣] روى أبو هُريرَةَ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «إنْ عَجَزتُم عن الليلِ، أنْ تُكابِدُوهُ، وعن العَدُوِّ أن تُجاهِدُوه، فلا تعجزوا عن قولِ: «سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، فقولُوها، فإنَّهنَّ الباقياتُ الصَّالحاتُ»، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ في روايةِ عطاءٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاك. وسُئِلَ عثمانُ بنُ عفَّانَ عن الباقياتِ الصَّالحاتِ، فقال هذه الكلماتِ، وزادَ فيها: «ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ». وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، ومحمَّدُ بنُ كَعبِ القُرَظيّ مثلَهُ سواءً.

[٩٣٤] **والثاني**: أنها «لا إلهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، والحمدُ للهِ؛ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ» رواه عليُّ بنُ أبي طالبٍ عن رسولِ الله ﷺ.

والثالث: الصَّلواتُ الخَمسُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ مسعودٍ، ومَسرُوقٌ، وإبراهيمُ. **والرابع**: الكلامُ الطَّيِّبُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: هي جميعُ أعمالِ الحَسَناتِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، وابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا﴾ أي: أفضلُ جزاءً ﴿وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ أي: خيرٌ ممَّا تُؤمِّلون، لأنَّ آمالَكُم كَواذِبُ، وهذا أملٌ لا يَكذِبُ.

﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «ويوم تُسَيَّر» بالتاءِ «الجبالُ» رَفعاً. وقرأ نافعٌ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «نُسَيِّرُ» بالنونِ «الجبالَ» نصباً. وقرأ ابنُ مُحَيصِنٍ: «ويوم تَسِيرُ» بفتحِ التاءِ وكَسرِ السين وتسكينِ الياءِ «الجبالُ» بالرَّفع. قال الزَّجَّاجُ: «ويوم» منصوبٌ على معنى اذكُرْ، ويجوز أن يكونَ منصوباً على: والباقياتُ الصَّالحاتُ خيرٌ يومَ تَسِيرُ الجبالُ. قال ابنُ عباسٍ: تُسيَّر الجبالُ عن وَجهِ الأرضِ، كما يُسيَّر السحابُ في الدنيا، ثم تُكسَّرُ فتكون في

---

[٩٣٣] حسن. أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» ٨٥٤ والطبري ٣١٠٠ والحاكم ١/ ٥٤١ والطبراني في «الصغير» ١/ ١٤٥ وفيه محمد بن عجلان، وهو وإن روى له مسلم، فقد اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة.
وحسّنه الشيخ شعيب في «الإحسان» ٨٤٠ وذكره الألباني في «صحيح الجامع» ٣٢١٤ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسبه أن يكون حسناً. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٠٦ و «أحكام القرآن» ١٤٦٩ بتخريجنا.

[٩٣٤] أخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٤/ ٤٠٩ من حديث علي، ولم أقف على إسناده، لكن للحديث شواهد كثيرة، وهي وإن كانت ضعيفة لكن تتأيد بمجموعها، انظر المصادر المتقدمة.

الأرض كما خرجت منها. قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ وقرأ عمرو بنُ العَاصِ، وابنُ السَّمَيْفِع، وأبو العَالِية: «وتُرى الأرضُ» برفع التاءِ والضادِ. وقرأ أبو رَجَاءِ العُطَارِدِي كذلك، إلاَّ أنه فتحَ ضادَ «الأرضَ». وفي معنى «بارزة» قولان: **أحدهما**: ظاهرةٌ فليس عليها شيءٌ مِنْ جبلٍ أو شجرٍ أو بناءٍ، قاله الأكثرون. **والثاني**: بارزاً أهلُها مِنْ بطنِها، قاله الفرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: فلم نُخَلِّفْ، يقال: غادرتُ كذا: إذا خَلَّفتَهُ، ومنه سُمِّي الغَدِيرُ، لأنه ماءٌ تُخَلِّفُه السُّيولُ. وروى أبانُ: «فلم تغادر» بالتاء. قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ إنْ قيلَ: هذا أمرُ مُستقبل، فكيف عُبِّر عنه بالماضي؟ فالجواب: أنَّ ما قد عَلِمَ اللَّهُ وقوعَهُ، يجري مجرى المُعَايَنِ، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[١]. وفي معنى قوله: ﴿صَفًّا﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى جميعاً، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾[٢] قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أن المعنى: وعُرِضُوا على رَبِّك مَصفُوفينَ، هذا مذهبُ البَصريين. **والثالث**: أنَّ المعنى: وعُرِضُوا على ربِّكَ صُفُوفاً، فنابَ الواحدُ عن الجميع، كقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[٣]. **والرابع**: أنه لم يَغِبْ عن اللهِ منهم أحدٌ، فكانوا كالصَّفِّ الذي تَسهُلُ الإحاطةُ بجُملتِه، ذَكَرَ هذه الأقوالَ ابنُ الأنباري، وقد قيلَ: إنَّ كلَّ أُمَّةٍ وزُمرةٍ صَفٌّ.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، فيه إضمَارُ «فقال لهم». وفي المُخَاطَبين بهذا قولان: **أحدهما**: أنهم الكُلُّ. **والثاني**: الكُفَّارُ، فيكون اللفظُ عامًّا، والمعنى خاصًّا. وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ مفسَّرٌ في الأنعام[٤]. وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ خطابٌ للكفَّارِ خاصَّةً، والمعنى: زَعمتُم في الدنيا ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبَعثِ، والجَزاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكتابُ الذي سُطِرَ فيه ما تعمل الخَلائِقُ قبل وجُودِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الحسابُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: كتابُ الأعمال، قاله مُقاتِلٌ. وقال ابنُ جَريرٍ: وُضِعَ كتابُ أعمالِ العبادِ في أيديهم، فعَلَى هذا، الكتابُ اسمُ جنسٍ. قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال مُجاهِدٌ: هم الكافرون، وذكر بعض أهل العلم أن كل مجرم ذكر في القرآن، فالمُرادُ به: الكافرُ. قوله تعالى: ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفينَ ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ مِنَ الأعمالِ السَّيئةِ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ هذا قولُ كلِّ واقعٍ في هَلَكةٍ. وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا﴾[٥].

قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ هذا على ظاهره في صغيرِ الأمورِ وكَبيرِها؛ وقد رَوى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، قال: الصَّغيرةُ: التَّبسُّمُ، والكبيرةُ: القَهْقَهَةُ، وقد يُتوهَّمُ أنَّ المرادَ بذلك صغائرُ الذُّنوبِ وكبائرُها، وليس كذلك، إذ ليس الضَّحِكُ والتَّبسُّمُ، بمُجرَّدِهما مِنَ الذنوب، وإنما المراد أنَّ التبسُّمَ مِنْ صِغارِ الأفعال، والضَّحِكَ فعلٌ كبيرٌ، وقد روى الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، قال: الصغيرة: التبسُّمُ والاستِهزاءُ بالمؤمنين، والكبيرَةُ: القَهقهَةُ بذلك؛ فعلى هذا يكون ذَنباً مِنَ الذُّنوب لمقصود فاعِله، لا لِنَفسِه. و معنى «أحصاها»: عَدَّها وأثبَتَها، والمعنى: وُجِدَتْ مُحصَاةً. ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا

---

(١) سورة الأعراف: ٤٣. (٢) سورة طه: ٦٤. (٣) سورة الحج: ٥.
(٤) سورة الأنعام: ٩٤. (٥) سورة الأنعام: ٣١.

عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾ أي: مكتوباً مُثبتاً في الكتاب، وقيل: رَأوا جزاءَهُ حاضِراً. وقال أبو سُليمانَ: الصَّحيحُ عند المُحقِّقينَ أنَّ صغائرَ المؤمنين الذين وُعِدُوا العفوَ عنها إذا اجتنبوا الكبائرَ، إنما يُعفَى عنها في الآخرة بعد أن يَراها صاحِبُها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ قال أبو سُليمانَ: لا تُنقَصُ حسناتُ المؤمنِ، ولا يُزادُ في سيئاتِ الكافر. وقيلَ: إنْ كان للكافر فِعلُ خيرٍ، كعِتْقِ رَقَبةٍ، وصَدَقةٍ، خُفِّفَ عنه به مِنْ عذابه، وإنْ ظلمَهُ مُسلمٌ، أخذَ اللَّهُ مِنَ المسلم، فصارَ الحقُّ لله.

ثم إنَّ اللَّهَ تعالى أمرَ نبيَّهُ ﷺ أن يذكرَ هؤلاءِ المُتكبِّرين عن مُجالسَةِ الفقراء قصة إبليس وما أورثَهُ الكِبْرُ، فقال: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا﴾ أي: أذكرْ ذلك.

وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ الجِنِّ حقيقةً، لهذا النَّصِّ؛ واحتجَّ قائلو هذا بأنَّ له ذُرِّيَّةً ـ وليس للملائكة ذُرِّيَّةٌ ـ وأنه كَفَرَ، والملائكةُ رُسُلُ الله، فهم مَعصُومونَ مِنَ الكُفرِ. **والثاني**: أنه كان مِنَ الملائكةِ، وإنما قيلَ: «من الجن»، لأنه كان مِنْ قَبِيلٍ مِنَ الملائكة يُقال لهم: الجِنُّ، قاله ابنُ عباسٍ؛ وقد شرحنا هذا في سُورةِ البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: خرجَ عن طاعة ربِّه، تقول العرب: فَسَقَتِ الرُّطَبةُ مِنْ قِشْرِها: إذا خرجت منه، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أتاه الفِسْقُ لمَّا أُمِرَ فعصَى، فكان سببَ فِسْقِه عن أمرِ ربِّه، قال الزَّجَّاجُ: وهذا مذهبُ الخَليلِ وسِيبَويه، وهو الحقُّ عندنا. **والثالث**: ففَسَقَ عن رَدِّ أمرِ ربِّه، حكاه الزَّجَّاجُ عن قُطْرُب.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ أي تُوالُونَهم بالاستجابة لهم؟! قال الحسَنُ، وقَتادَةُ: ذُرِّيَّتُه: أولادُه، وهم يتوالَدُون كما يَتوالَدُ بَنُو آدمَ. قال مُجاهِدٌ: ذُرِّيَّتُه الشَّياطينُ، ومِنْ ذُرِّيَّتِهِ زَلَنْبُور صاحبُ رايةِ إبليسَ بكلِّ سُوقٍ، وثَبْر، وهو صاحبُ المَصائبِ، والأعوَرُ صاحبُ الرِّياءِ، ومَسْوَطُ صاحبُ الأخبار يأتي بها فيطرَحُها على أفواهِ الناس، فلا يوجد لها أصلٌ، ودَاسم صاحبُ الإنسان إذا دخلَ بيتَهُ ولم يُسَلِّم ولم يذكرِ اسمَ الله، فهو يأكلُ معه إذا أكلَ. قال بعضُ أهلِ العلم: إذا كانت خطيئةُ الإنسان في كِبْرٍ فلا تَرْجُه، وإنْ كانت في شهوةٍ فارْجُهُ، فإنَّ معصيةَ إبليسَ كانت بالكِبْرِ، ومعصيةُ آدمَ بالشَّهوةِ.

قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بِئسَ الاتِّخاذ للظالمين بدلاً. **والثاني**: بِئسَ الشيطانُ. **والثالث**: بِئس الشيطانُ والذرِّيَّةُ، ذكرهنَّ ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، وشَيبَةُ: «ما أشهدناهم» بالنون والألف. وفي المُشارِ إليهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: إبليسُ وذُرِّيَّته. **والثاني**: الملائكةُ. **والثالث**: جميعُ الكفَّارِ. **والرابع**: جميعُ الخَلْقِ؛ والمعنى: أني لم أُشَاوِرْهُم في خَلْقِهِنَّ؛ وفي هذا بيانٌ للغَناءِ عن الأعوانِ، وإظهارُ كمالِ القُدرةِ. قوله تعالى: ﴿وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: ما أشهدتُ بعضَهُم خَلْقَ بعضٍ، ولا استَعنتُ ببعضِهم على إيجادِ بعضٍ.

---

(١) عند الآية: ٣٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ يعني: الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ أي: أنصاراً وأعواناً. والعَضُدُ يُستعمل كثيراً في معنى العَونِ، لأنه قِوامُ اليَدِ، قال الزَّجَّاجُ: والاعتِضادُ: التَّقوي وطلبُ المَعونَة، يُقال: اعتَضَدْتُ بفُلانٍ، أي: استَعنتُ به. وفي ما نَفى اتِّخاذَهُم عَضُداً فيه قولان: **أحدهما**: أنه الوَلاياتُ، فالمعنى: ما كنتُ لاوِلِي المُضلِّين، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه خَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ، قاله مُقاتِلٌ. وقرأ الحَسنُ، والجَحدريُّ، وأبو جعفرَ: «وما كنتَ» بفتح التاء.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ وقرأ حمزَةُ: «نقول» بالنون، يعني: يومَ القيامة ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ أضافَ الشُّركاءَ إليه على زَعمِهم، والمرادُ: نادُوهُم لدَفعِ العذاب عنكم، أو الشَّفاعةِ لكُم، ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زَعمتُموهُم شركاءَ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ أي: لم يُجيبُوهم، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون والشُّركاءُ. **والثاني**: أهلُ الهُدى وأهلُ الضَّلالَةِ. وفي معنى ﴿مَّوْبِقًا﴾ ستةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: مَهْلِكاً، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وقال ابنُ قُتَيبةَ: مَهْلِكاً بينهم وبينَ آلهَتِهم في جهنَّمَ، ومنه يُقالُ: أوْبَقَته ذُنوبُه، أي أهلكته، وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: جعلنا بينهم مِنَ العذاب ما يُوبِقُهم، أي: يُهلِكُهم، فالمَوْبِقُ: المَهْلِكُ، يقال: وَبَقَ، يَبِقُ ويابَقُ، وبَقاً، ووَبَقَ، يَبِقُ، وُبُوقاً، فهو وَابِقٌ؛ وقال الفَرَّاءُ: جعلنا تواصُلَهُم في الدنيا مَوْبِقاً، أي: مَهْلِكاً لهم في الآخرة، فالبَيْنُ، على هذا القولِ؛ بمعنى التَّواصُلِ، كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[2] على قراءةِ مَنْ ضمَّ النونَ. **والثاني**: أنَّ المَوْبِقَ: وَادٍ عميقٌ يُفرِّقُ به بينَ أهلِ الضَّلالة وأهلِ الهُدى، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو. **والثالث**: أنه وَادٍ في جهنَّمَ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ؛ ومُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ معنى المَوْبِقِ: العَداوةُ، قاله الحَسنُ. **والخامس**: أنه المَحْبِسُ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والسادس**: أنه المَوْعِدُ، قاله أبو عُبيدةَ.

قال ابنُ الأنباري: إنْ قيلَ: لِمَ قال: «مَوْبِقاً» ولم يَقُلْ: «مُوبِقاً»، بضمِّ الميم، إذ كان معناه عذاباً مُوبِقاً؟ فالجواب: أنه اسمُ موضوعٍ لمَحْبِسٍ في النار، والأسماءُ لا تُؤخَذُ بالقياسِ، فيُعلَم أنَّ «مَوْبِقاً»: مَفْعِل، مِنْ أوبَقَهُ اللَّهُ: إذا أهلَكَهُ، فتَنفتِحُ مِيمُه كما تنفتحُ في مَوْعِد ومَوْلِد ومَحْتِد إذ سُمِّيت الشُّخوصُ بهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ أي: عَايَنُوها وهي تتغيَّظُ حَنقاً عليهم. والمُرادُ بالمجرمين: الكفَّار. ﴿فَظَنُّوٓا۟﴾ أي: أيقَنُوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: دَاخِلُوها. ومعنى المُواقَعةِ: مُلابَسةُ الشيء بشدَّةٍ ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي: مَعْدِلاً؛ والمَصْرِفُ: الموضعُ الذي يُصْرَفُ إليه، وذلك أنها أحاطَتْ بهم مِنْ كلِّ جانبٍ، فلم يقدروا على الهَرَبِ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٢٤٠: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول عن ابن عباس ومن وافقه في تأويل الموبق، أنه المهلك، وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلاناً: إذا أهلكته.

(٢) سورة الأنعام: ٩٤.

أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قد فسَّرناه في سُورة بَني إسرائيل[١].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ فيمن نزلت قولان: **أحدهما**: أنه النَّضرُ بنُ الحَارثِ، وكان جِدالُه في القرآن، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أُبيُّ بنُ خَلَفٍ، وكان جِدالُه في البَعْثِ حين أتى بعظم قد رَمَّ، فقال: أَيَقْدِرُ الله على إعادةِ هذا؟! قاله ابنُ السَّائبِ[٢]. قال الزَّجَّاجُ: كلُّ ما يَعقِلُ مِنَ الملائكة والجِنِّ يُجَادل، والإنسانُ أكثرُ هذه الأشياء جَدَلاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ قال المُفسِّرون: يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو محمدٌ ﷺ، والقرآنُ، والإسلامُ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهو أنهم إذا لم يُؤمِنوا عُذِّبوا. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما مَنعَهُم مِنَ الإيمان إلاَّ طَلبُ أن تأتيَهُم سُنَّةُ الأوَّلين، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: وما منعَ الشيطانُ الناسَ أنْ يُؤمنوا إلاَّ لأنْ تأتيَهُم سُنَّةُ الأوَّلين، أي: مَنعَهُم رُشْدَهُم لكي يقعَ العذابُ بهم، ذكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: ما مَنعَهُم إلاَّ أنِّي قد قدَّرتُ عليهم العذابَ. وهذه الآيةُ فيمَنْ قُتِلَ ببَدرٍ وأُحُدٍ مِنَ المشركين، قاله الوَاحِديُّ[٣].

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ ذكر ابنُ الأنباري في ﴿أَوْ﴾ ها هنا ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى الواو. **والثاني**: أنها لوقوعِ أحدِ الشيئين، إذ لا فائدةَ في بيانِه. **والثالث**: أنها دخلت للتَّبعيضِ، أي: أنَّ بعضَهم يقعُ به هذا وبعضَهم يقعُ به هذا وهذه الأقوالُ الثلاثةُ قد أسلَفْنا بيانَها في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. قوله تعالى: ﴿قُبُلًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «قِبَلاً» بكسرِ القاف وفتح الباء. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «قُبُلاً» بضمِّ القافِ والباء. وقد بيَّنَّا عِلَّةَ القِراءَتين في سُورةِ الأنعام[٤]. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ وابنُ مَسْعودٍ. «قَبِيلاً» بوزن فَعِيل. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو المُتوكِّل «قَبَلاً» بفتح القاف مِنْ غير ياءٍ، قال ابنُ قُتَيبةَ: أراد استِئنافاً. فإنْ قِيلَ: إذا كان المراد بسُنَّةِ الأوَّلين العذابُ، فما فائدةُ التَّكرار بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؟

فالجواب: أنَّ سُنَّةَ الأوَّلين أفادَتْ عذاباً مُبهَماً يمكن أنْ يَتراخى وَقتُه، وتَتخلَّفُ أنواعِه، وإتيانُ العذابِ قِبَلاً أفادَ القتلَ يومَ بدرٍ. قال مُقاتِلٌ: «سُنَّة الأوَّلين»: عذابُ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، «أو يأتيَهم العذاب قِبَلاً»، أي: عِيَاناً قتلاً بالسيف يومَ بَدرٍ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ

(١) سورة الإسراء: ٤١.

(٢) باطل. عزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي، وتقدم أنه يضع الحديث، فخبره باطل، لا شيء، ويأتي شيء من هذا في أواخر سورة يس.

(٣) في «الوسيط» ٣/ ١٥٤.

﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: المُستهزئينَ والمُقتسِمين وأتباعَهُم. وجِدالُهم بالباطِل: أنهم ألزَمُوهُ أن يأتيَ بالآياتِ على أهوائِهم ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ليُبْطِلوا ما جاء به محمَّدٌ ﷺ وقيل: جِدالُهم: قولُهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾[١]؛ ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]، ونحو ذلك لِيُبطِلوا به ما جاء في القرآن مِنْ ذِكْرِ البعثِ والجزاءِ. قال أبو عُبيدَة: ومعنى «لِيُدْحِضوا»: لِيُزيلوا ويُذهِبوا، يقال: مكانٌ دَحْضٌ، أي: مُزِلٌّ لا يَثْبُتُ فيه قَدَمٌ ولا حافِرٌ. قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾ يعني القرآن. ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ أي: خُوِّفوا به مِنَ النار والقيامة ﴿هُزُوًا﴾ أي: مَهزوءاً به.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد شرحنا هذه الكلمةَ في البقرة[٣] و ﴿ذُكِّرَ﴾ بمعنى: وُعِظَ. وآياتُ ربِّه: القرآنُ، وإعراضُه عنها: تهاونُه بها. ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: ما سَلَفَ مِنْ ذنوبِه؛ وقد شرحنا ما بعدَ هذا في الأنعام[٤] إلى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو: الإيمانُ والقرآنُ ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟﴾ هذا إخبارٌ عن عِلْمِه فيهم. قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ إذ لم يُعاجِلْهُم بالعقوبة. ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ للبَعثِ والجَزاءِ ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ قال الفرَّاءُ: المَوئِلُ: المَنْجَى، وهو المَلْجَأُ في المعنى، لأنَّ المَنْجَى ملجَأ، والعربُ تقول: إنه لَيُوائِلُ إلى موضِعه، أي: يذهبُ إلى موضِعه، قال الشاعر:

لاوَاءَلَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْتَهَا ... لِلْعَامِرِيِّينَ، وَلَمْ تُكْلَمِ

يريد: لا نَجَتْ نفسُكَ، وأنشد أبو عُبيدةَ للأعشى:

وَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَهُ ... وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَئِلُ

أي: ما يَنجُو. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المَوئِلُ: المَلجأُ. يقال: وَأَلَ فُلانٌ إلى كذا: إذا لَجَأَ.

فإنْ قيلَ: ظاهرُ هذه الآيةِ يقتضي أنَّ تأخيرَ العذاب عن الكفَّارِ برحمةِ الله، ومعلومٌ أنَّه لا نصيبٌ لهم في رَحْمَتِه[٥]. فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ الرَّحمةَ ها هنا بمعنى النِّعمة، ونِعمةُ الله لا يخلُو منها مؤمنٌ ولا كافرٌ. فأمَّا الرَّحمةُ التي هي الغُفرَانُ والرِّضى، فليس للكافرِ فيها نَصيبٌ. **والثاني**: أنَّ رحمةَ الله مَحظورةٌ على الكفار يومَ القيامة، فأمَّا في الدنيا، فإنهم يَنالُونَ منها العافيةَ والرِّزقَ.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يريد: التي قَصَصْنا عليكَ ذِكْرَها، والمراد: أهلُها، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ والمراد: قومُ هُودٍ، وصالحٍ، ولُوطٍ، وشُعَيبٍ. قال الفرَّاءُ: وقوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ معناه: بعدَما ظَلَمُوا. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ قرأ الأكثرون بضمِّ الميم وفتحِ اللام؛ قال الزَّجَّاجُ: وفيه

---

(١) سورة الأنعام: ١١١. (٢) سورة الإسراء: ٤٩. (٣) سورة السجدة: ١٠.
(٤) سورة البقرة: ١١٤. (٥) سورة الأنعام: ٢١.
(٦) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١١٧: وقوله تعالى: **﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾** أي ربّك يا محمد غفور ذو رحمة واسعة والآيات في هذا كثيرة، ثم أخبر أنه يحلم ويستر ويغفر وربما هدى بعضهم من الغي إلى الرشاد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد، وتضع كل ذات حمل حملها. ولهذا قال: **﴿بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا﴾**.

وَجْهَان: **أحدهما**: أن يكونَ مصدراً، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكِهم. **والثاني**: أن يكونَ وقتاً، فالمعنى: لوَقْتِ هَلاكِهم. وقرأ أبو بكرٍ عن عَاصِم بفتحِ الميمِ واللامِ، وهو مصدرٌ مثل الهَلاكِ. وقرأ حَفصٌ عن عَاصِم بفتحِ الميم وكسرِ اللامِ، ومعناه: لوَقْتِ إهلاكِهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ﴾... الآية.

[٩٣٥] سببُ خُروجِ موسى عليه السلام في هذا السَّفرِ، ما روى ابنُ عباسٍ عن أُبيِّ بنِ كَعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ موسى قامَ خطيباً في بَني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أيُّ الناس أعلَمُ؟ فقال: أنا، فعَتِبَ اللَّهُ تعالى عليه إذ لم يَرُدَّ العِلْمَ إليه، فأوحَى اللَّهُ إليه أنَّ لي عبداً بمَجْمَعِ البحرَينِ هو أعلَمُ منكَ؛ قال موسى: يا ربِّ فكيفَ لي به؟ قال: تأخذُ معكَ حُوتاً فتجعله في مِكْتَلٍ، فحيثُما فَقَدْتَ الحُوتَ فهو ثَمَّ. فانطَلَقَ معه فَتاهُ يُوشَعُ بنُ نُونٍ، حتى إذا أتَيَا الصَّخرةَ، وَضَعا رُؤوسَهُما فنامَا، واضطَرَبَ أي الحُوتُ في المِكْتَلِ فخرج منه فسَقطَ في البحرِ، فاتَّخذ سبيلَهُ في البحر سَرَباً، وأمسكَ اللَّهُ عن الحوتِ جِرْيَةَ الماء، فصارَ عليه مِثْلُ الطَّاقِ[1]. فلما استيقظَ نَسِيَ صاحبُه أن يُخبِرَهُ بالحوتِ، فانطلقا بقيَّةَ يومِهما وليلَتِهما، حتى إذا كان مِنَ الغَدِ قال موسى لِفَتَاهُ: آتِنا غداءَنا لقد لَقِيْنَا مِنْ سفرنا هذا نَصَباً، قال: ولم يَجِدْ موسى النَّصَبَ حتى جاوزَ المكانَ الذي أمرَهُ اللَّهُ به، فقال فتاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ﴾ إلى قوله: ﴿عَجَبًا﴾، قال: فكان للحُوتِ سَرَباً، ولموسى ولِفتاهُ عَجَباً، فقال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ قال: رَجعا يَقُصَّانِ آثارَهُما حتى انتَهَيا إلى الصَّخرةِ، فإذا هو مُسَجَّىً بثوبٍ، فسَلَّمَ عليه موسى، فقال الخَضِرُ: وأنَّى بأرضِكَ السَّلامُ! مَنْ أنتَ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيلَ؟ قال: نعم أتيتُكَ لِتُعلِّمَني ممَّا عُلِّمتَ رُشداً، قال: إنكَ لن تستطيعَ معيَ صبراً يا موسى، إني على عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ الله لا تَعلَمُه علَّمنيه، وأنتَ على عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ الله علَّمَكَهُ لا أعلَمُه؛ فقال موسى: ستَجِدُني إنْ شاءَ اللَّهُ صابراً

---

[٩٣٥] صحيح. أخرجه البخاري ١٢٢ و٣٢٧٨ و٣٤٠١ و٤٧٢٧ و٦٦٧٢ ومسلم ٢٣٨٠ وأبو داود ٤٧٠٧ والترمذي ٣١٤٩ والحميدي ٣٧١ وأحمد ٥/١١٧ و١١٨ وابن حبان ٦٢٢٠ والطبري ٢٣٢٠٨ من طريق عن سفيان به. مطوّلاً ومختصراً. وأخرجه البخاري ٤٧٢٥ عن الحميدي به. وأخرجه البخاري ٤٧٢٦ وأحمد ٥/ ١١٩ و١٢٠ من طريق ابن جريج عن يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار به. وأخرجه البخاري ٧٤ و٧٨ و٣٤٠٠ ومسلم ٢٣٨٠ ح ١٧٤ وأحمد ٥/ ١١٦ وابن حبان ١٠٢ والطبري ٢٣٢١٣ و٢٣٢١٤ من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس مختصراً.

---

(١) في «اللسان»: الطاق: عقد البناء حيث كان.

ولا أعصي لكَ أمراً؛ فقال له الخَضِرُ: فإنْ اتَّبعتَنِي فلا تسألني عن شيءٍ حتى أُحْدِثَ لكَ منهُ ذِكْراً؛ فانطلقَا يمشيان على السَّاحلِ، فمَرَّتْ سفينةٌ فكَلَّمُوهُم أن يَحمِلُوهم، فعَرفُوا الخَضِرَ فحملوه بغيرِ نَوْلٍ[1]؛ فلمَّا رَكِبا في السفينة لم يَفجَأ إلاّ والخَضِرُ قد قلعَ لَوحاً مِنْ ألواح السفينة بالقَدوم، فقال له موسى: قومٌ قد حَمَلُونا بغيرِ نَوْلٍ عَمدتَ إلى سفينَتِهم فخَرقتَها لتُغرِقَ أهلَها. . . . إلى قوله: ﴿عُسْرًا﴾؟! قال: وقال رسولُ الله ﷺ: «كانت الأُولَى مِنْ موسى نِسياناً» قال: وجاء عُصفورٌ فوقعَ على حرفِ السَّفينة، فنَقَرَ في البحر نَقْرَةً، فقال له الخَضِرُ: ما عِلْمِي وعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ إلاَّ مثلَ ما نَقصَ هذا العصفورُ مِنْ هذا البحرِ، ثم خرجا مِنَ السَّفينة، فبينما هما يمشيان على الساحلِ، إذ أبصرَ الخَضِرُ غلاماً يلعبُ مع الغِلمَانِ، فأخذ الخَضِرُ رأسَهُ بيده فاقتلَعَهُ فقتلَهُ، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ إلى قوله: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ فقال الخَضِرُ بيده[2] هكذا، فأقامَهُ، فقال موسى: قومٌ أتينَاهُم فلم يُطعِمُونا، ولم يُضَيِّفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾! ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الآية». هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاريُّ ومُسلمٌ في «الصحيحين»، وقد ذكرنا إسنادَهُ في كتابِ «الحدائق» فآثَرْنَا الاختصارَ ها هنا.

فأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: واذكُرْ ذلك. وفي موسى قولان: **أحدهما**: أنه موسى بنُ عِمرَانَ، قاله الأكثرون. ويدلُّ عليه. ما رُوي في «الصحيحين» مِنْ حديث سعيدِ بنِ جُبَيرِ قال:

[٩٣٦] قلتُ لابنِ عباسٍ: إنَّ نَوْفاً البِكَالِيَّ يزعم أنَّ موسى بَني إسرائيلَ ليس هو موسى صاحب الخَضِرِ، قال: كذبَ عدوُّ الله، أخبرَني أُبيُّ بنُ كَعبٍ. فذكرَ الحديثَ الذي قدَّمناهُ آنِفاً.

والثاني: أنه موسى بنُ ميشا، قاله ابنُ إسحاقَ، وليس بشيءٍ، للحديثِ الصحيح الذي ذكرنَاهُ فأما فتاهُ فهو يُوشَعُ بنُ نُونٍ من غيرِ خلافٍ. وإنما سُمِّيَ فتَاهُ، لأنه كان يُلازمه، ويأخذُ عنه العِلْمَ، ويَخدِمُه.

ومعنى ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزالُ. وليس المراد به: لا أزُولُ، لأنه إذا لم يَزُلْ لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولكَ: ما بَرحتُ أناظِرُ عبدَ الله أي: ما زِلتُ، قال الشاعر:

إذا أنـتَ لـم تَـبْـرَحْ تُـؤدِّي أمـانَـةً وتـحـمِـلُ أُخـرَى أفـرحَـتْـكَ الـوَدائِـعُ[3]

أي: أثقلَتْكَ، والمعنى: لا أزالُ أسيرُ حتى أبلُغَ مجمَعَ البَحرَينِ، أي: مُلتَقاهُما، وهو المَوضعُ الذي وعده اللَّهُ بلقاءِ الخَضِرِ فيه، قال قَتَادَةُ: بحرُ فارسَ، وبحرُ الرُّوم، فبَحرُ الرُّوم نحو المَغربِ، وبحرُ فارسَ نحو المَشرقِ. وفي اسم البلدِ الذي بمَجمَع البَحرَينِ قولانَ: **أحدهما**: أنه إفريقيَّةُ، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ. **والثاني**: طَنجَةُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبِ القُرَظِيِّ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وأبو مِجلَز، وقَتَادَةُ، والجَحدريُّ،

---

[٩٣٦] هو المتقدم برقم ٩٣٥.

---

(١) النَّوال: العطاء، ويقال: نالني الخير ينولني نولاً ونوالاً، ونيلاً.
(٢) معنى فقال بيده أي: أشار.
(٣) البيت لبيهس العذري كما في «اللسان» ـ فرح ـ.

وابنُ يَعمُرَ: «حُقباً» بإسكانِ الكافِ. قال ابنُ قُتيبةَ: الحُقُبُ: الدَّهرُ، والحِقَبُ: السِّنونُ، واحدَتُها حِقبةٌ، ويُقال: حُقْبٌ وحُقُبٌ كما يُقال: قُفْلٌ وقُفُلٌ، وهُزْوٌ وهُزُوٌ، وكُفْوٌ وكُفُوٌ، وأُكْلٌ وأُكُلٌ، وسُحْتٌ وسُحُتٌ، ورُعْبٌ ورُعُبٌ، ونُكْرٌ ونُكُرٌ، وأُذْنٌ وأُذُنٌ، وسُحْقٌ وسُحُقٌ، وبُعْدٌ وبُعُدٌ، وشُغْلٌ وشُغُلٌ، وثُلْثٌ وثُلُثٌ، وعُذْرٌ وعُذُرٌ، ونُذْرٌ ونُذُرٌ، وعُمْرٌ وعُمُرٌ. وللمفسِّرين في المُراد بالحُقُبِ ها هنا ثمانيةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الدَّهر، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ثمانون سنةً، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو وأبو هُريرةَ. **والثالث**: سبعون ألفَ سنةٍ، قاله الحَسنُ. **والرابع**: سبعونَ سنةً، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: سبعةَ عشرَ ألفَ سنةٍ، قاله مُقاتِلُ بن حَيَّانَ. **والسادس**: أنه ثمانون سنةً، كلُّ يوم ألفُ سنةٍ مِن عددِ الدنيا. **والسابع**: أنه سنةٌ بلُغة قَيْسٍ، ذكرهما الفَرَّاءُ. **والثامن**: الحُقُبُ عند العرب وقتٌ غيرُ محدودٍ، قاله أبو عُبيدةَ. ومعنى الكلام: لا أزالُ أسيرُ، ولو احتَجْتُ أن أسيرَ حُقُباً.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعني: موسى وفتاهُ ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ يعني: البَحرَينِ ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وكانا قد تَزَوَّدا حوتاً مالِحاً في زَبِيلٍ[١] فكانا يُصيبان منه عندَ الغَداءِ والعَشاءِ، فلمَّا انتهيا إلى الصخرة على ساحلِ البحر وَضعَ فتاهُ المِكْتَلَ، فأصابَ الحوتَ بَلَلُ البحرِ. وقيل: توضَّأ يُوشَعُ من عينِ الحياة فانتَضَحَ على الحوتِ الماءُ، فعاشَ، فتحرَّكَ في المِكْتَلِ، فانسرَبَ في البحرِ، وقد كان قيلَ لموسى: تزوَّدْ حُوتاً مالِحاً، فإذا فقدْتَهُ وجدتَ الرجلَ. وكان موسى حينَ ذهبَ الحُوتُ في البحر قد مضى لحاجةٍ فعزَمَ فتاهُ أن يُخبرَهُ بما جرى فنَسِيَ. وإنما قيلَ: «نسيا حوتهما» توسُّعاً في الكلام، لأنهما جميعاً تزوَّدَاهُ، كما يُقال: نسِيَ القومُ زادَهُم، وإنما نسيَهُ أحدُهم. قال الفَرَّاءُ: ومثله قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٢] وإنما يخرجُ ذلك مِنَ المالح، لا مِنَ العَذْبِ. وقيلَ: نسِيَ يُوشَعُ أن يحملَ الحُوتَ، ونسِيَ موسى أن يأمُرَهُ فيه بشيءٍ، فلذلك أُضيفَ النسيانُ، إليهما.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: مَسلَكاً ومَذهَباً. قال ابنُ عباسٍ: جعلَ الحوتَ لا يَمسُّ شيئاً مِنَ البحر إلاَّ يَبِسَ حتى يكون صخرةً. وقال قَتادةُ: جعلَ لا يَسلُكُ طَريقاً إلاَّ صار الماءُ جامداً. وقد ذكرنا في حديثِ أُبيِّ بنِ كَعبٍ أنَّ الماءَ صار مثلَ الطَّاقِ على الحُوتِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكانَ الذي ذهب فيه الحوتُ، أصابهما ما يُصيب المسافرَ من النَّصَبِ، فدَعَا موسى بالطعام، فقال: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ وهو الطعامُ الذي يُؤكَلُ بالغَداةِ. والنَّصَبُ: الإعياءُ. وهذا يدلُّ على إباحةِ إظهارِ مثلِ هذا القولِ عندما يلحَقُ الإنسان مِنَ الأذى والتَّعب، ولا يكون ذلك شَكوَى. ﴿قَالَ﴾ يُوشَعُ لموسى ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ أي: حين نزلنا هناك ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: نَسيتُ أن أخبرَكَ خبرَ الحوتِ. **والثاني**: نسيتُ حَمْلَ الحوتِ. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ﴾ قرأ الكِسائيُّ: «أنسانيه» بإمالَةِ السين مع كسرِ الهاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «أنسانيهي» بإثباتِ ياءٍ في الوَصْلِ بعد الهاء وروى حَفصٌ عن عَاصِمٍ: «أنسانيهُ إلا» بضمِّ الهاء في الوصل.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الهاءُ في السَّبيلِ ترجعُ إلى الحُوتِ. وفي المُتَّخِذِ قولان: **أحدهما**: أنه الحُوتُ، ثم في المُخبِرِ عنه قولان: **أحدهما**: أنه اللَّهُ عزَّ وجلَّ، ثم في معنى

(١) في «اللسان» الزبيل: الوعاء يحمل فيه.
(٢) سورة الرحمن: ٢٢.

الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فاتَّخذَ سبيله في البحرِ يُرِي عَجَباً، ويُحدِثُ عَجَباً. **والثاني**: أنه لمَّا قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾، قال: اِعجَبُوا لذلكَ عَجَباً، وتنبَّهوا لهذه الآيةِ. **والثالث**: أنَّ إخبارَ الله تعالى انقطَعَ عند قوله: «في البحر» فقال موسى: عَجَباً، لِمَا شُوهدَ مِنَ الحوتِ. ذكر هذه الأقوالَ ابنُ الأنباري. **والثاني**: أنَّ المُخبِرَ عن الحوتِ يُوشَعُ، وَصفَ لموسى ما فعلَ الحُوتُ. **والقول الثاني**: أنَّ المُتَّخِذَ موسى، اتَّخذَ سبيلَ الحوتِ في البحر عَجَباً، فدخلَ في المكان الذي مَرَّ فيه الحوتُ، فرأى الخَضِرَ. وروى عطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ قال: رجعَ موسى إلى الصخرةِ فوجدَ الحوتَ، فجعل الحوتُ يضرِبُ في البحر، ويَتْبَعُه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرةٍ مِنْ جَزائرِ البحر، فَلقِيَ الخَضِرَ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: ذلك الذي نطلبُ مِنَ العلامَةِ الدَّالَّةِ على مَطلُوبِنا. قرأ ابنُ كَثيرٍ؛ «نبغي» بياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ، بياءٍ في الوَقْفِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، بحذفِ الياء في الحالَين.

قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: رَجَعَا في الطريق الذي سَلكَاهُ، يَقُصَّان الأَثَرَ. والقَصَصُ: اتِّباعُ الأثَرِ. قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ يعني: الخَضِرَ.

وفي اسمه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: اليَسَعُ، قاله وَهْبٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الخَضِرُ بنُ عاميا. **والثالث**: أرميا بنُ حلقيا، ذكرهما ابنُ المنَادِي. **والرابع**: يلياء بنُ ملكان، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابُوري. فأمَّا تسميتُه بالخَضِرِ، ففيه قولان:

[٩٣٧] **أحدهما**: أنه جلسَ في فَرْوَةٍ بيضاءَ فاخضَرَّتْ، رواه أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ. والفَرْوَةُ: الأرضُ اليابسةُ.

والثاني: أنه كان إذا جلسَ اخضرَّ ما حولَهُ، قاله عِكرمَةُ. وقال مُجاهِدٌ: كان إذا صلَّى اخضرَّ ما حولَهُ. وهل كان الخَضِرُ نبيًّا، أَمْ لا؟ فيه قولان: ذكرهما أبو بكرِ بنُ الأنباري، وقال: كثيرٌ مِنَ الناس يذهبُ إلى أنه كان نبيًّا، وبعضُهم يقول: كان عبداً صالحاً. واختلف العلماءُ هل هو بَاقٍ إلى يومِنا هذا، على قولَين حكاهما المَاوَردِي، وكان الحسَنُ يذهبُ إلى أنه ماتَ، وكذلك كان ابنُ المنادي مِنْ أصحابنا يقول، ويُقَبِّح قولَ مَنْ يرى بقاءَهُ، ويقول: لا يثبتُ حديثٌ في بقائِه. وروى أبو بكرٍ النَّقَّاشُ أنَّ محمَّدَ بنَ إسماعيلَ البُخاري سُئِلَ عن الخَضِرِ وإلياسِ: هل هُما في الأحياءِ؟ فقال: كيف يكون ذلك. وقد قال النبيُّ ﷺ:

[٩٣٨] «لا يبقى على رأسِ مائةِ سنةٍ ممَّنْ هو اليومَ على ظَهْرِ الأرضِ أحدٌ»؟!

قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ في هذه الرَّحمةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها النبوَّةُ، قاله

---

[٩٣٧] صحيح. أخرجه البخاري ٣٤٠٢ من طريق ابن المبارك عن معمر به. وأخرجه الترمذي ٣١٥١ وأحمد ٢/ ٣١٢ و ٣١٨ وابن حبان ٦٢٢٢ من طرق عن عبد الرزاق به، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».

[٩٣٨] صحيح. أخرجه البخاري ١١٦ و ٥٦٤ و ٦٠١ ومسلم ٢٥٣٧ وأحمد ٢/ ٨٨ وأبو داود ٤٣٤٨ والترمذي ٢٢٥١ وابن حبان ٢٩٨٩ من حديث ابن عمر قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، **فلما سلّم قام**: فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممّن هو على ظهر الأرض أحد».

مُقاتِلٌ. **والثاني**: الرِّقَّةُ والحُنُوُّ على مَنْ يستحِقُّهُ، ذكره ابنُ الأنبَاري. **والثالث**: النِّعمةُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: مِنْ عِندِنا ﴿عِلْمًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: أعطاه عِلْماً مِنْ عِلْمِ الغَيبِ.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «تعلمني مما» بإثباتِ الياء في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بياءٍ في الوَصْلِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ بحذفِ الياءِ في الحالَين.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «رُشداً» بضمِّ الراء، وإسكان الشين خفيفةً. وقرأ أبو عَمرٍو: «رَشَداً» بفتحِ الراءِ والشينِ. وعن ابنِ عامرٍ بضمِّهما. والرُّشْدُ، والرَّشَدُ: لُغتانِ، كالبُخلِ والبَخَلِ، والعُجْم والعَجَم، والعُرْب والعَرَب، والمعنى: أنْ تُعلِّمَني عِلْماً ذا رَشَدٍ. وهذه القِصَّةُ قد حَرَّضتْ على الرِّحلةِ في طَلَبِ العلمِ، واتِّباعِ المفضولِ للفاضِلِ طَلَباً للفَضلِ، وحثَّتْ على الأدب والتَّواضُعِ للمَصحُوبِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: لن تصبرَ على صُنعي، لأني علمتُ مِنْ غيبِ عِلْمِ ربِّي. وفي هذا الصَّبرِ وَجْهانِ: **أحدهما**: عن الإنكارِ. **والثاني**: عن السُّؤالِ.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ الخُبْرُ: عِلْمُكَ بالشيء؛ والمعنى: كيف تصبرُ على أمرٍ ظاهرُه مُنكَرٌ، وأنتَ لا تعلمُ باطنَهُ؟!

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ قال ابنُ الأنباري: نفيُ العِصيانِ مَنسُوقٌ على الصَّبرِ. والمعنى: ستجدُني صابراً ولا أعصِي إنْ شاءَ اللَّهُ.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «فلا تسألْني» ساكنةَ اللام. وقرأ نافعٌ: «تسألَنِّي» مفتوحةَ اللام مُشدَّدةَ النونِ. وقرأ ابنُ عامرٍ في روايةِ الدَّاجوني: «فلا تسألَنِ عن شيءٍ» بتحريكِ اللامِ مِنْ غير ياءٍ، والنونَ مكسورةً. والمعنى: لا تسألني عن شيءٍ ممَّا أفعلُه ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتى أكونَ أنا الذي أُبيِّنُه لكَ، لأنَّ عِلْمَهُ قد غابَ عنكَ.

قوله تعالى: ﴿خَرَقَهَا﴾ أي: شقَّها. قال المُفسِّرون: قَلعَ منها لَوحاً، وقيل: لَوحَيْنِ مما يلي الماءَ، فحَشاها موسى بثوبه وأنكرَ عليه ما فعلَ بقوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: لِتُغرِقَ بالتاء أهلَها بالنَّصب. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لِيَغْرَقَ» بالياء، أهلُها برفع اللام. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُنكراً، قاله مُجاهِدٌ. وقال الزَّجَّاجُ: عَظيماً مِنَ المُنكرِ. **والثاني**: عَجَباً، قاله قَتادَةُ، وابنُ قُتَيبَةَ. **والثالث**: دَاهِيةً، قاله أبو عُبيدَةَ. قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ في هذا النِّسيانِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه على حقيقته، وأنه نَسِيَ.

[٩٣٩] روى ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ: «أنَّ الأُولَى كانت نِسياناً مِنْ موسى».

والثاني: أنه لم يَنْسَ، ولكنه مِنْ مَعَارِيضِ الكلامِ، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ. **والثالث**: أنه بمعنى التَّركِ. فالمعنى: لا تُؤاخِذْني بما تَركتُه مما عاهَدتُكَ عليه، ذكره ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ قال الفَرَّاءُ: لا تُعجِلْني. وقال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ: لا تُغْشِني. قال أبو زيدٍ: يقال: أرهقتُه عُسراً: إذا كَلَّفتَهُ ذلك. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: عَامِلْني باليُسْرِ، لا بالعُسْرِ. قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني: موسى والخَضِرَ. قال المَاوَرديِ: يحتمل أنَّ يُوشَعَ تأخَّرَ عنهما، لأنَّ الإخبارَ عن اثنين، ويحتمل أنْ يكونَ معهما ولم يُذكَرْ لأنه تَبَعٌ لموسى، فاقتصَرَ على حُكمِ المَتْبُوعِ. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ اختلفوا في هذا الغُلامِ هل كان بالِغاً، أَمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه لم يكن بالِغاً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والأكثرون. **والثاني**: أنه كان شابًا قد قَبَضَ على لِحيَتِه، حكاه المَاوَردِي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، واحتَجَّ بأنَّ غيرَ البالغِ لم يَجْرِ عليه قَلَمٌ، فلا يستَحِقُّ القَتْلَ. وقد يُسمَّى الرَّجلُ غُلاماً، قالت ليلَى الأخيَلِيَّةُ تمدحُ الحَجَّاجَ:

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الذي بها[2]

وفي صِفةِ قَتْلِه له ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اقتلَعَ رأسَهُ، وقد ذكرناه في حديث أُبَيٍّ. **والثاني**: كَسرَ عُنقَهُ، قاله ابنُ باسٍ. **والثالث**: أَضجَعَهُ وذَبحَهُ بالسِّكين، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

قوله تعالى: «**أقتلت نفساً زاكية**» قرأ الكُوفيون، وابنُ عامرٍ: «زكيَّة» بغيرِ أَلِفٍ، والياءَ مُشدَّدةً. وقرأ الباقون بالألِفِ مِنْ غيرِ تشديدٍ. قال الكِسَائيُّ: هُمَا لُغتان بمعنًى واحدٍ، وهما بمنزلة القاسِيَة، والقَسِيَّة. وللمُفسِّرين فيها ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها التَّائِبةُ، رُوِي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: الزَّكِيَّةُ: التَّائِبةُ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها المُسلِمة، رُوِي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنها الزَّكِيَّةُ التي لم تبلُغ الخطايا، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنها الزَّكِيَّةُ النَّامِيةُ، قاله قَتادَةُ. وقال ابنُ الأنباري: القويمة في تزكيتها. **والخامس**: أنَّ الزَّكِيَّةَ: المُطَهَّرةُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والسادس**: أنَّ الزكِيَّةَ: البريئة التي لم يظهر ما

---

[٩٣٩] هو بعض الحديث المتقدم برقم ٩٣٥.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢٥٨: والصواب من القول أن يقال: أن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله ﷺ.

(٢) هو صدر بيت وعجزه: غلام إذا هزّ القناة سقاها. كما في «الأغاني» ١١/ ٢٤٨ و «البحر المحيط» ٦/ ١٤١.

يُوجِبُ قَتْلَها، قاله الزَّجَّاجُ. وقد فَرَّق بعضهم بين الزَّاكِيَة، والزَّكِيَّة، فرُوي عن أبي عمرو بنِ العَلاءِ أنه قال: الزَّاكيَةُ: التي لم تُذنِبْ قطُّ، والزَّكيَّةُ: التي أذنَبَتْ ثم تابَتْ. ورُوي عن أبي عُبيدَةَ أنه قال: الزَّاكيَةُ في البَدَنِ، والزَّكيَّةُ في الدِّين.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قَتْلِ نَفْس ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: نكْراً خفيفةً في كلِّ القرآن، إلاّ قولَه: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[1] وخَفَّفَ ابنُ كَثير أيضاً «إلى شيء نُكر». وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «نُكُراً» و «إلى شيء نُكُر». مُثَقَّلٌ. والمُخَفَّفُ إنما هو مِنَ المُثَقَّلِ، كالعُنُق، والعُنْق، والنُّكر، والنُّكُر. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: لقد أتيتَ شيئاً نُكراً. ويجوز أن يكونَ معناه: جئتَ بشيءٍ نُكرٍ، فلمَّا حذفَ الباء، أفضى الفعلُ فنصبَ نُكراً، ونكراً أقلّ مُنكراً مِنْ قوله: «إمراً» لأنَّ تغريقَ مَنْ في السفينة كان عنده أنكرَ مِنْ قَتْلِ نَفْسٍ واحدةٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾. إنْ قيلَ: لم ذكر ﴿لَّكَ﴾ ها هنا، واختزله مِنَ المَوضعِ الذي قبله؟ فالجواب: أنَّ إثباتَهُ للتَّوكيد، واختزاله له لِوضُوح المعنى، وكلاهُما معروفٌ عند الفُصَحَاءِ. تقول العرب: قد قلتُ لكَ: اتَّقِ اللَّهَ. وقد قلتُ لكَ: يا فُلانُ اتَّقِ اللَّهَ، وأنشدَ ثَعلَبُ:

قَـدْ كُـنـتُ حَـذَّرْتُـكَ آلَ الـمُـصْـطَـلِـقْ وقـلـتُ: يـا هَـذا أَطِـعْـنِـي وَانْـطَـلِـقْ

فقوله: يا هذا، توكيدٌ لا يختلُّ الكلامُ بسقوطِه. وسمعتُ الشيخَ أبا محمَّدِ الخشَّابَ يقول: وَقَّرَه في الأول، فلم يُواجِهه بكافِ الخطاب، فلمَّا خالفَ في الثاني، واجَهَهُ بها.

قوله تعالى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ﴾ أي: سؤالَ توبيخ وإنكارٍ ﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعدَ هذه المسألةِ ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ وقرأ كذلك معاذُ القارئ، وأبو نَهيكٍ، وأبو المُتوكِّل، والأعرجُ، إلا أنهم شدَّدوا النونَ. قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: إنْ طلبتُ صُحبتَكَ فلا تُتَابِعني على ذلك. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، ويعقوبُ: «فلا تَصحبني» بفتح التاء مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَالية، والأعمشُ كذلك، إلا أنهم شدَّدوا النونَ. وقرأ أبو رَجاء، وأبو عُثمَانَ النَّهدِي، والنَّخعيُّ، والجَحدريُّ: «تُصْحِبْني» بضمِّ التاء، وكسرِ الحاء، وسكونِ الصاد والباء. قال الزَّجَّاجُ: فيهما وجهان: **أحدهما**: لا تُتابِعني في شيءٍ ألتَمِسُه منكَ. يقال: قد أصحَبَ المُهرُ: إذا انقادَ. **والثاني**: لا تَصحَبْني عِلماً مِنْ عِلمكَ. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ مُثقلٌ. وقرأ نافعٌ: «من لدُني» بضمِّ الدالِ مع تخفيفِ النون. وروى أبو بكرٍ عن عَاصِم: «من لَدْني» بفتح اللام مع تسكينِ الدال. وفي روايةٍ أخرى عن عَاصِم: «لُدْني» بضمِّ اللام وتسكينِ الدال. قال الزَّجَّاجَ: وأجودُها تشديدُ النون، لأنَّ أصل «لدن» الإسكانُ، فإذا أضفتَها إلى نفسكَ زِدتَ نوناً، ليسلَمَ سكونُ النون الأولى، تقول: مِنْ لَدُنْ زيدٍ، فتُسَكِّن النونَ ثم تُضيف إلى نفسك، فتقول: مِنْ لَدُنّي، كما تقول: عن زيدٍ وعَنّي. فأمَّا إسكانُ دالِ «لَدْني» فإنهم أسكنوها، كما تقول في عَضُد: عَضْد، فيَحذِفون الضمَّ. قال ابنُ عباسٍ: يريد: إنكَ قد أعذرتَ فيما بيني وبينكَ، يعني: أنكَ قد أخبرتَني أني لا أستطيعُ معكَ صَبراً.

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها أنطاكيَّةُ، قاله ابنُ

---

(١) سورة القمر: ٦.

عباسٍ. **والثاني**: **الأُبُلَّةُ**، قاله ابنُ سيرينَ. **والثالث**: بَاجَرْوانُ، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ أي: سَألاهُم الضِّيافةَ ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ روى المُفضَّلُ عن عَاصِمٍ: «يُضيفوهما» بضمِّ الياء الأولى وكسرِ الضاد وتخفيفِ الياء الثانيةِ. وقرأ أبو الجَوزَاءِ كذلك، إلاّ أنه فتحَ الياءَ الأولى وقرأ الباقون: «يضيِّفوهما» بفتحِ الضاد وتشديدِ الياء الثانيةِ وكسرِها. قال أبو عُبيدَةَ: ومعنى يُضيِّفوهما: يُنزِلُوهما منزلَ الأضيافِ، يُقال: ضِفتُ أنا، وأضافَني الذي يُنزِلُني. وقال الزَّجَّاجُ: يُقال: ضِفتُ الرجلَ: إذا نزلتَ عليه، وأَضفتُه: إذا أنزلتَهُ وقَرَيْتَهُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: ضَيَّفتُ الرجلَ: إذا أنزلتَه منزلةَ الأضيافِ، ومنه هذه الآيةُ، وأَضَفْتُه: أنزلتُه، وضِفتُه: نزلتُ عليه.

[٩٤٠] وروى أُبيُّ بنُ كَعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: «كانوا أهلَ قريةٍ لِئَاماً».

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ أي: حَائِطاً. قال ابنُ فارسٍ: وجمعه جُدُر، والجَدْر: أصلُ الحائطِ. ومنه حديثُ الزُّبير: «ثم دَعِ الماءَ يرجع إلى الجَدْرِ»[1]، والجَيْدَرُ: القصير.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَجَاء: «ينقاض» بألفٍ ممدودةٍ، وضادٍ مُعجمةٍ، وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَاليةِ، وأبو عُثمانَ النَّهدِي: «ينقاص» بألفٍ ومَدَّةٍ وصادٍ غير مُعجمَةٍ، وكلُّه بلا تشديدٍ. قال الزَّجَّاجُ: فمعنى: يَنْقَضَّ: يسقطُ بسرعةٍ، ويَنقاصُ، غير مُعجمةٍ: ينشَقُّ طُولاً، يقال: انقَاصَتْ سِنُّه: إذا انشَقَّتْ. قال ابنُ مِقْسَمٍ: يقال انقاصَتْ سِنُّه، وانقَاضَتْ ـ بالصاد، والضاد ـ على معنًى واحدٍ.

فإنْ قيلَ: كيف نُسِبت الإرادةُ إلى ما لا يعقل؟

فالجواب: أنَّ هذا على وَجهِ المَجازِ تشبيهاً بمَنْ يعقلُ، ويريد: لأنَّ هيأته في التَّهيُّؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهرُ مِنْ أفعالِ المُريدِينَ القاصِدين، فوصِفَتْ بالإرادةِ إذ كانت الصُّورتان واحدةً، وقد أضافت العربُ الأفعالَ إلى ما لا يعقلُ تَجوُّزاً، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى﴾[2] والغضبُ لا يَسكتُ، وإنما يَسكتُ صاحبُه، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾[3]. وأنشدوا من ذلك:

إنَّ دهراً يَلُفُّ شَمْلِي بِجُمْلٍ ... لَزَمانٌ يَهُمُّ بالإحْسَانِ[4]

وقال آخر:

ضحكوا والدَّهرُ عنهُمْ سَاكِتٌ ... ثم أبكاهم دَماً لَمَّا نَطَقْ

وقال آخر:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ[5]

---

[٩٤٠] صحيح. أخرجه مسلم ٢٣٨٠ ح ١٧٢ وقد تقدم.

---

(١) أخرجه البخاري وغيره، وتقدَّم. (٢) سورة الأعراف: ١٥٤.
(٣) سورة محمد: ٢١.
(٤) البيت غير منسوب في «اللسان» ـ دهر ـ و «أمالي المرتضى» ٤/ ٥٥، وقد نسبه الآلوسي في «روح المعاني»: ٦/١٦ إلى حسان بن ثابت ولم يوجد في ديوانه.
(٥) البيت للراعي كما في «الكشاف» ٢/ ٦٨٩.

وقال آخر:

يشكو إليّ جملي طول السُّرَى[1]

وهذا كثيرٌ في أشعارِهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ أي: سوّاه، لأنه وجدَهُ مائلاً. وفي كيفيةِ ما فعلَ قولان: **أحدهما**: أنه دَفعَهُ بيده فقامَ. **والثاني**: هدمَهُ ثم قعدَ يبنيه، رُوي القولان عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو: «لَتَخِذتَ» بكسرِ الخاء، غيرَ أنَّ أبا عمرو كان يُدغِمُ الذّالَ، وابنُ كثيرٍ يُظهِرُها. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لاتَّخذتَ» وكلُّهم أدغموا، إلا حَفصاً عن عاصِمٍ، فإنه لم يُدغِمْ مثل ابنِ كثيرٍ. قال الزَّجّاجُ: يقال: تَخِذَ يَتْخَذُ في معنى: اتَّخذَ يَتَّخِذُ. وإنما قال له هٰذا، لأنهم لم يُضيِّفوهما. قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني الخَضِرَ ﴿هَٰذَا﴾ يعني الإنكارَ عَلَيَّ ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هو المُفرِّقُ بيننا. قال الزَّجّاجُ: المعنى: هذا فِراقُ بَيْنِنا، أي: فِراقُ اتّصالِنا، وكرَّرَ «بين» توكيداً، ومثلُه في الكلام: أخزَى اللّهُ الكاذبَ مني ومنكَ. وقرأ أبو رَزِينٍ، وابنُ السَّمَيْفع، وأبو العَالِية، وابنُ أبي عَبلَةَ: «هذا فِراقٌ» بالتنوين «بيني وبينَك» بنصبِ النون. قال ابنُ عباسٍ: كان قولُ موسى في السفينة والغُلامِ، لرَبِّه، وكان قولُه في الجِدارِ، لنفسه لطلبِ شيءٍ مِنَ الدنيا.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ في المراد بمَسكَنَتِهم قولان: **أحدهما**: أنهم كانوا ضُعفاءَ في أكسَابِهم. **والثاني**: في أبدانِهم. وقال كَعبٌ: كانت لعَشرةِ إخوَةٍ، خمسةٍ زَمْنَى، وخمسةٍ يعملون في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: أجعلَها ذاتَ عَيبٍ، يعني بخَرْقِها، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أمامَهُم، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ مسعودٍ: «وكان أمامَهم مَلِك». **والثاني**: خَلفَهُم؛ قال الزَّجّاجُ: وهو أجودُ الوَجْهَين. فيجوز أن يكون رُجوعُهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبَرِه، فأعلَمَ اللهُ تعالى الخَضِرَ خَبَرَه. قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كلَّ سفينةٍ صالحةٍ. وفي قراءةِ أُبيِّ بنِ كَعبٍ: «كلَّ سفينة صحيحة» قال الخَضِرُ: إنما خَرقتُها، لأنَّ المَلِكَ إذا رآها مُنخرِقةً تركها ورَقَعها أهلُها فانتفعوا بها. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ رُوي عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً».

(١) هو صدر بيت وعجزه: «صبراً جميلاً فكلانا مبتلى». وهو في «اللسان» ـ شكا ـ بلا نسبة لأحد.

[٩٤١] وروى أُبَيُّ بنُ كَعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الغلامَ الذي قتلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كافراً، ولو عاشَ لأرْهقَ أبويه طُغياناً وكُفراً». قال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: كان الغلامُ على الطريق لا يَمرُّ به أحدٌ إلاَّ قتلَهُ أو غَصَبهُ، فيدعو ذلك عليه وعلى أبوَيْهِ. وقال ابنُ السَّائبِ: كان الغلامُ لصّاً، فإذا جاء مَنْ يطلبه حَلَفَ أبواه أنه لم يفعل.

قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ﴾ في القائِل لهذا قولان: **أحدهما**: الله عزَّ وجلَّ. ثم في معنى الخَشيةِ المُضافةِ إليه قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى: العِلْم. قال الفَرَّاءُ: معناه: فعَلِمْنا. **والثاني**: الكَراهَةُ، قاله الأخفشُ، والزَّجَّاجُ، وقال ابنُ عَقيلٍ: المعنى: فعَلنا فِعْلَ الخاشِي. **والثاني**: أنه الخَضِرُ، فتكون الخَشيَةُ بمعنى الخَوفِ للأمرِ المُتوهَّم، قاله ابنُ الأنبَاري. وقد استدلَّ بعضُهم على أنه مِنْ كلام الخَضِرِ بقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فأراد اللهُ، لأنَّ لفظَ الخبرِ عن الله تعالى هكذا أكثرُ مِنْ أنْ يُحصَى. ومعنى ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: يحمِلُهما على الرَّهَقِ، وهو الجَهلُ. قال أبو عُبيدَةَ: «يُرْهِقَهُما»: يُغشيهُما. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: خَشِينا أنْ يحمِلَهُما حُبُّه على أن يدخُلا في دِينه. وقال الزجَّاجُ: فَرِحا به حين وُلِدَ، وحَزِنَا عليه حين قُتِلَ، ولو بقي كان فيه هَلاكُهما، فرَضِيَ امرؤٌ بقضاءِ الله، فإنَّ قضاءَ الله للمؤمن فيما يكرَهُ، خيرٌ له مِنْ قضائِه فيما يحب. قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «أن يُبْدِلَهُما» بالتخفيف. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بالتشديد. قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: دِيناً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عَملاً، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: صَلاحاً، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «رُحْماً» ساكنةَ الحاء، وقرأ ابنُ عامرٍ: «رُحُماً» مُثقَّلةً. وعن أبي عمرٍو كالقراءَتين. وقرأ ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبَيرٍ، وأبو رَجَاء: «رَحِماً» بفتحِ الراءِ، وكسرِ الحاء. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أوصَلُ للرَّحِم وأبَرُّ للوالدين، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ. وقال الزَّجَّاجُ: أقربُ عطفاً وأمسُّ بالقرابَةِ. ومعنى الرُّحْمِ والرُّحُمِ في اللغة: العَطفُ والرَّحمةُ، قال الشاعر:

وكيفَ بظُلمِ جاريةٍ ... ومنها اللِّينُ والرُّحُمُ(١)

والثاني؛ أقربُ أن يُرحَما به، قاله الفَرَّاءُ، وفيما بُدِّلا به قولان: **أحدهما**: جارِيَةٌ، قاله الأكثرون. وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، قال: أبدَلَهُما به جاريَةً وَلَدَتْ سبعينَ نبيّاً. **والثاني**: غلامٌ مُسلمٌ، قاله ابنُ جُريجٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني: القريةَ المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، قال مُقاتِلٌ: واسمُهما: أصرمُ، وصَريمُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ(٢):

---

[٩٤١] صحيح. أخرجه مسلم ٢٣٨٠ ح ١٧٢ عن محمد بن عبد الأعلى عن معتمر به مطوّلاً. وأخرجه أبو داود ٤٧٠٥، وأحمد ٥/ ١٢١، وابن حبان ٦٢٢١ من طرق عن معتمر به. وأخرجه أبو داود ٤٧٠٦ والترمذي ٣١٥٠ من طريقين عن أبي إسحاق به. وكلهم عن ابن عباس عن أبي بن كعب به.

---

(١) البيت في «اللسان» ـ رحم ـ و «تفسير القرطبي» بدون نسبة.
(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢٦٩: وأولى التأولين في ذلك بالصواب، القول الذي قاله عكرمة، لأن المعروف =

[٩٤٢] **أحدها**: أنه كان ذهباً وفضةً، رواه أبو الدَّرداءِ عن رسولِ الله ﷺ. وقال الحسنُ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ: كان مالاً. **والثاني**: أنه كان لَوحاً مِنْ ذهبٍ، فيه مكتوبٌ: عَجَباً لمَنْ أيقنَ بالقَدَرِ ثم هو يَنْصَبُ، عَجَباً لمَنْ أيقنَ بالنارِ كيف يضحكُ، عَجَباً لمَنْ يُؤمنُ بالموتِ كيف يَفرحُ، عَجَباً لمَنْ يُوقِنُ بالرِّزق كيفَ يتعبُ، عَجَباً لمَنْ يُؤمنُ بالحسابِ كيف يَغفلُ، عَجَباً لمَنْ رأى الدنيا وتقلُّبَها بأهلِها كيف يطمَئِنُّ إليها، أنا اللهُ الذي لا إلهَ إلاَّ أنا، محمَّدٌ عبدي ورسُولي؛ وفي الشِّقِّ الآخرِ: أنا اللهُ لا إلهَ إلاَّ أنا وحدي لا شريكَ لي، خلقتُ الخيرَ والشَّرَّ، فطُوبَى لمَنْ خلقتُهُ للخير وأجرَيتُه على يديه، والوَيلُ لمَنْ خلقتُه للشرِّ وأجريتُه على يديه، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. قال ابنُ الأنباري: فسُمِّي كنزاً مِنْ جهة الذَّهب، وجُعل اسمُه هو المُغَلَّبُ. **والثالث**: كَنزُ علمٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: صُحُفٌ فيها عِلمٌ وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والسُّدِّيُّ. قالَ ابنُ الأنباري: فيكون المعنى على هذا القول: كان تحتَهُ مثلُ الكنزِ، لأنه يتعجَّل مِنْ نفعه أفضل مما يُنالُ من الأموال. قال الزَّجَّاجُ: والمعروف في اللغة: أنَّ الكنزَ إذا أُفرِدَ، فمعناه: المالُ المَدفونُ المُدَّخَر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كَنزُ علمٍ، وله كنزُ فَهْمٍ، والكنزُ هاهنا بالمال أشبَهُ، وجائزٌ أن يكونَ الكنزُ كان مالاً، مكتوبٌ فيه عِلمٌ، على ما رُوِي، فهو مالٌ وعِلْمٌ عظيمٌ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: حُفظا بصلاحِ أبيهما، ولم يَذكُر منهما صَلاحاً. وقال جعفرُ بنُ محمَّدٍ: كان بينهما وبينَ ذلكَ الأبِ الصالحِ سبعةُ آباءٍ. وقال مُقاتِلٌ: كان أبوهما ذا أمانةٍ. قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ قال ابنُ الأنباري: لمَّا كان قولُه: «فأردتُ» «فأردنا» كلُّ واحدٍ منهما يصلُحُ أن يكونَ خبراً عن الله عزَّ وجلَّ، وعن الخَضِرِ، أتبَعهُما بما يَحصِرُ الإرادةَ عليه، ويُزيلُها عن غيره، ويكشِفُ البُغيةَ مِنَ اللفظتين الأُولَيين. وإنما قال: «فأردتُ» «فأردنا» «فأراد ربُّك»، لأنَّ العرب تُؤثِرُ اختلافَ الكَلام على اتِّفاقِه مع تساوي المعاني، لأنه أعذبُ على الألسُنِ، وأحسنُ موقِعاً في الأسمَاعِ، فيقول الرجل: قَال لي فلانٌ كذا، وأنبأني بما كان، وخَبَّرني بما نالَ. فأمَّا «الأشُدُّ» فقد سبقَ ذِكرُه في مواضعَ(١). ولو أنَّ الخَضِرَ لم يُقِم الحائطَ لنُقِضَ وأُخِذَ ذلك الكَنزُ قبل بُلوغِهما. قوله تعالى: ﴿رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾ أي: رَحِمَهما اللهُ بذلك. ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ قال قَتادةُ: كان عبداً مأموراً. فأمَّا قوله: ﴿تَسۡطِع﴾ فإنَّ «استطاع» و«اسطَاعَ» بمعنًى واحدٍ.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ

---

[٩٤٢] ضعيف جداً. أخرجه الترمذي ٣١٥٢ والحاكم ٢/ ٣٦٩ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٦٢ وابن عدي في «الكامل» ٧/ ٢٦٨ من حديث أبي الدرداء. وضعفه الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ٧٤٢ وفي إسناده يزيد بن يوسف الصنعاني، وهو متروك. قلت: وهذا الخبر وإن لم يصح عن النبي ﷺ، فمعناه صحيح وهو أن الكنز إنما هو مال أو ذهب أو فضة.

= من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم الكنز، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك.

(١) عند الآيات في الأنعام: ١٥٢ ويوسف: ٢٢ والإسراء: ٣٤.

شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا
يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قد ذكرنا سببَ نُزولها عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[1]. واختلفوا في اسم ذي القَرنَين على أربعةِ أقوالٍ[2]: **أحدها**: عبدُ الله، قاله عليٌّ رضي الله عنه، ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه عبدُ اللهِ بنُ الضَّحَّاكِ. **والثاني**: الاسكندَرُ، قاله وَهْبٌ. **والثالث**: عيَّاشٌ، قاله محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ الحُسينِ. **والرابع**: الصَّعبُ بن جابر بن القلمس، ذكره ابن أبي خيثمة. وفي عِلَّة تسميته بذِي القرنَيْنِ عشرةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه دعا قومَهُ إلى الله تعالى، فضربوه على قَرْنِه فهلكَ، فغَبَرَ زماناً، ثم بَعثَهُ الله، فدَعَاهُم إلى الله فضربوه على قَرْنِه الآخر فهلكَ، فذَانِكَ قرنَاهُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه. **والثاني**: أنه سُمِّيَ بذي القرنَيْنِ، لأنه سَارَ إلى مَغربِ الشمسِ وإلى مَطْلِعها، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لأنَّ صفحَتَي رأسِه كانتا مِنْ نُحاسٍ. **والرابع**: لأنه رأى في المنام كأنه امتَدَّ مِنَ السماء إلى الأرض وأخذَ بقَرْني الشمسِ، فقصَّ ذلك على قومه، فسُمِّي بذِي القَرنَيْنِ. **والخامس**: لأنه مَلَكَ الرُّومَ وفارسَ. **والسادس**: لأنه كان في رأسه شِبْهُ القَرنَيْنِ، رُويت هذه الأقوالُ الأربعةُ عن وَهبِ بنِ مُنبِّهٍ. **والسابع**: لأنه كانت له غديرَتانِ مِنْ شَعرٍ، قاله الحَسنُ. قال ابنُ الأنباري: والعرب تسمِّي الضَّفيرَتين مِنَ الشَّعرِ غَديرَتَيْنِ، وجَمِيرَتَيْنِ، وقرنين؛ قال: ومَنْ قال: سُمِّي بذلك لأنه مَلَكَ فارسَ والرومَ، قال: لأنهما عَالِيانِ على جانبين مِنَ الأرض يُقال لهما: قَرنَان. **والثامن**: لأنه كان كريمَ الطَّرَفين مِنْ أهل بيتٍ ذَوِي شرفٍ. **والتاسع**: لأنه انقرَضَ في زمانه قرنَانِ مِنَ الناس، وهو حيٌّ. **والعاشر**: لأنه سَلكَ الظُّلمةَ والنُّورَ، ذكرَ هذه الأقوالَ الثلاثةَ أبو إسحَاقَ الثَّعلبيُّ.

واختلفوا هل كان نبيّاً، أَمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه كان نبيّاً، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو، والضَّحَّاكُ بنُ مُزاحِم. **والثاني**: أنه كان عبداً صالحاً، ولم يكُن نبيّاً، ولا مَلَكاً، قاله عليٌّ رضي الله تعالى عنه. وقال وَهْبٌ: كان مَلِكاً، ولم يُوحَ إليه.

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٢٨: ذكر الأزرقي وغيره أن الإسكندر الأول المذكور في القرآن هو الذي طاف بالبيت مع إبراهيم عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه. وكان معه الخضر عليه السلام. وقرّب إلى الله قرباناً وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من أخباره في كتاب «البداية والنهاية» بما فيه الكفاية ولله الحمد. وأما الإسكندر الثاني الذي كان من الروم بن فيليبس المقدوني اليوناني الذي تؤرخ به الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة. والحديث الذي روي عن النبي ﷺ لما سئل عن ذي القرنين: «أنه شاب من الروم، وأنه بنى الإسكندرية...» فيه طول ونكارة ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه من أخبار بني إسرائيل اهـ.
قلت: هذا الحديث ضعيف جداً، وهو مرسل، ولو صح هذا مرفوعاً لما اختلف الناس في سبب تسميته بذلك، والأشبه كونه من كلام بعض أئمة التفسير. وقد أخرجه الطبري ٢٣٢٧٥. وله ثلاث علل ضعف ابن لهيعة وشيخه عبد الرحمن بن غنم، وجهالة رواته، فهو شبه موضوع. وانظر «تفسير القرطبي» ٤١٩٢ و «تفسير الشوكاني» ١٥٢٤ بتخريجنا.

وفي زمان كونِه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مِنَ القرونِ الأُوَلِ مِنْ وَلَدِ يافِثَ بنِ نُوح، قاله عليٌّ رضي الله تعالى عنه. **والثاني**: أنه كان بعد ثَمُودَ، قاله الحسَنُ. ويُقال: كان عُمره ألفاً وستمائة سنةٍ. **والثالث**: أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمَّدٍ صلى الله عليهما وسلَّمَ، قاله وَهْبٌ.

قوله تعالى: ﴿سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: خبراً يتضمَّنُ ذِكْرَهُ. ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سهَّلْنا عليه السَّيرَ فيها. قال عليٌّ رضي الله عنه: إنه أطاعَ اللهَ، فسَخَّر له السَّحابَ فحمَلَهُ عليه، ومَدَّ له في الأسبابِ، وبسَطَ له النُّورَ، فكان الليلُ والنهارُ عليه سواءً، وقال مُجاهِدٌ: مَلَكَ الأرضَ أربعةٌ: مؤمنان، وكافرن؛ سُليمانُ بنُ داودَ، وذُو القَرْنَيْنِ؛ والكافران: النُّمرُودُ، وبُخْت نَصَّرَ. قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: عِلْماً يتسبَّبُ به إلى ما يُريد. وقيل: هو العِلْمُ بالطُّرق والمَسالكِ. قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «فاتَّبع سبباً» «ثم اتَّبع سبباً» «ثم اتَّبع سبباً» مُشدَّداتِ التاء. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «فأتبع سبباً» «ثم أتبع سبباً» «ثم أتبع سبباً» مقطوعاتٍ. قال ابنُ الأنباري: مَنْ قرأ «فاتَّبع سبباً» فمعناه: قَفَا الأثَرَ، ومَنْ قرأ «فأتبع» فمعناه: لَحِقَ؛ يقال: اتَّبَعَني فلانٌ، أي تَبِعَني، كما يقال: أَلْحَقَني، بمعنى: لَحِقَني. وقال أبو عليٍّ: «أتبع» تقديره: أتبعَ سبباً سبباً، فأتبعَ ما هو عليه سَبَباً، والسَّببُ: الطريقُ، والمعنى: تَبِعَ طريقاً يُؤدِّيَهُ إلى مَغْرِبِ الشمس. وكان إذا ظهرَ على قومٍ أخذَ منهم جيشاً فسَارَ بهم إلى غيرِهم.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمروٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «حمئة»، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «حامية»، وهي قراءةُ عَمروٍ، وعليٍّ، وابنِ مسعودٍ، وابنِ الزُّبير، ومُعاوِيَةَ، وأبي عبدِ الرَّحمنِ، والحَسنِ، وعِكرمَةَ، والنَّخعيِّ، وقَتادَةَ، وأبي جعفرَ، وشَيبَةَ، وابنِ مُحيصِنٍ، والأعمَشِ، كلُّهم لم يَهمِزْ. قال الزَّجَّاج: فمَنْ قرأ: «حمئة» أراد في عَيْنٍ ذاتِ حَمْأَةٍ. يُقال: حَمَأْتُ البئرَ: إذا أخرجتَ حَمْأَتَها؛ وأحْمَأْتُها: إذا ألقيتَ فيها الحَمْأَة. وحَمِئَتْ فهي حَمِئَةٌ: إذا صارت فيها الحَمْأَةُ. ومَنْ قرأ: «حامية» بغير همزٍ؛ أراد: حارَّةً. وقد تكون حارَّةً ذاتَ حَمْأَةٍ. وروى قَتادَةُ عن الحَسنِ، قال: وجدها تَغْرُبُ في ماءٍ يغلي كغَلَيانِ القُدورِ ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ لِباسُهم جلودُ السِّباع، وليس لهم طعامٌ إلاَّ ما أحرقَتِ الشمسُ مِنَ الدَّوابِّ إذا غربَتْ نحوَها، وما لفظت العَينُ مِنَ الحيتان إذا وقعت فيها الشَّمسُ. وقال ابنُ السَّائبِ: وجد عندها قوماً مؤمنين وكافرين، يعني عند العَيْنِ. وربما توهَّم مُتوهِّمٌ أنَّ هذه الشمسَ على عِظَمِ قدْرِها تغوصُ بذاتِها في عينِ ماءٍ، وليس كذلك. فإنها أكبرُ مِنَ الدنيا مِراراً، فكيف يسعها عينُ ماءٍ، وقيل: إن الشمس بقدر الدنيا مائة وخمسين مرة، وقيل: بقدر الدنيا مائة وعشرين مرة، والقمر بقدر الدنيا ثمانين مرة وإنما وجدَها تغربُ في العَينِ كما يرى راكبُ البحر الذي لا يرى طَرَفَهُ أنَّ الشمسَ تغيبُ في الماء، وذلك لأنَّ ذا القَرْنَيْنِ انتهى إلى آخِرِ البُنيان فوجدَ عَيْناً حَمِئَةً ليس بعدَها أحدٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ فمَنْ قال: إنه نبيٌّ، قال: هذا القولُ وَحيٌ؛ ومَنْ قال: ليس بنبيٍّ، قال: هذا إلهامٌ. قوله تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ قال المُفسِّرون: إمَّا أنْ تقتُلَهُم إنْ أبَوْا ما تدعُوهُم إليهم، وإمَّا أن تأسِرَهُم، فتُبصِّرُهم الرُّشدَ. ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: أشركَ ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتل إذا لم يرجع عن الشِّركِ. وقال الحسَنُ: كان يَطبُخهم في القُدورِ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ بعدَ العذابِ ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ بالنار.

قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «جزاءُ الحسنى» برفع مضاف. قال الفرَّاءُ: «الحسنى»: الجنة، وأضيفَ الجزاءُ إليها، وهي الجزاءُ، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١﴾[(١)] ﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[(٢)] ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[(٣)] قال أبو عليّ الفارسيُّ: المعنى: فله جزاءُ الخِلالِ الحُسنى، لأنَّ الإيمان والعملَ الصالح خِلالٌ. وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم، وخَلَفٌ، ويَعقوبُ: «جزاءً» بالنصبِ والتنوين؛ قال الزَّجَّاجُ: وهو مصدرٌ منصوبٌ على الحالِ، المعنى: فله الحُسنى مَجزياً بها جزاءً. قال ابنُ الأنباري: وقد يكون الجزاءُ غيرَ الحُسنى إذا تأوّلَ الجزاءُ بأنه الثواب؛ والحُسنى: الحَسنةُ المُكتَسبَةُ في الدنيا، فيكون المعنى: فله ثوابُ ما قدَّم مِنَ الحسناتِ.

قوله تعالى: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرًا﴾ أي: نقول له قولاً جميلاً.

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٍ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرًا ۝٩١﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقاً آخر يُوصلُه إلى المَشرِق. قال قَتادَةُ: مَضى يفتَحُ المدائنَ ويجمع الكنوزَ ويقتلُ الرجالَ إلاَّ مَنْ آمَنَ حتى أتى مَطْلِعَ الشمس فأصاب قوماً في أسرابِ عُراة، ليس لهم طعامٌ إلاَّ ما أحرقَتِ الشمسُ إذا طَلعَتْ، فإذا توسَّطَتِ السماءَ خرجوا مِنْ أسرابِهم في طلبِ معايشِهم ممَّا أحرقَتْهُ الشمسُ. وبَلغَنا أنهم كانوا في مكانٍ لا يَثبُتُ عليه بُنيانٌ، فيقال: إنهم الزَّنجُ. وقال الحَسنُ: إذا غَربتِ الشمسُ خرجوا يتراعَون كما يتراعى الوَحشُ. وقرأ الحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وأبو مِجلَز، وأبو رَجاء، وابنُ مُحيصِن: «مَطْلَع الشمس» بفتح اللام. قال ابنُ الأنباري: ولا خلافَ بين أهل العربية في أنَّ المَطْلِعَ، والمَطْلَعَ كلاهما يُعنى بهما المكانُ الذي تَطلُعُ منه الشمسُ. ويقولون: ما كان على فَعَلَ يَفعُل، فالمصدرُ واسمُ الموضع يأتيانِ على المَفْعَل، كقولهم: المَدخلُ، للدُّخول، والمَوضِع الذي يُدخَلُ منه، إلا أحدَ عشرَ حرفاً جاءت مكسورةً إذا أُريدَ بها المَواضعُ، وهي: المَطْلِع، والمَسْكِن، والمَنسِك، والمَشرِق، والمَغرِب، والمَسجِد، والمَنبِت، والمَجزِر، والمَفرِق، والمَسقِط، والمَهبِل، المَوضعُ الذي تضعُ فيه النَّاقةُ؛ وخمسةٌ مِنْ هؤلاءِ الأحدَ عشرَ حرفاً سُمِعَ فيهنَّ الكسرُ والفتحُ: المَطْلِع، والمَطْلَع. والمَنسِك، والمَنسَك. والمَجزِر، والمَجزَر. والمَسكِن، والمَسكَن. والمَنبِت، والمَنبَت؛ فقرأ الحَسنُ على الأصلِ مِنِ احتمال المَفعل الوَجهَين المَوصُوفَين، بفتح العين وكسرها وقراءةُ العامَّةِ على اختيار العرب وما كَثُرَ على ألسنتها، وخَصَّتِ المَوْضِع بالكسرِ، وآثرَتِ المصدر بالفتح. قال أبو عَمروٍ: المطلِع، بالكسرِ: الموضع الذي تطلُع فيه؛ والمطلَع، بالفتح: الطُّلوع؛ قال ابن الأنباري: هذا هو الأصل، ثم إن العرب تتسع فتجعل الاسمَ نائباً عن المصدر، فيقرؤون: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلِعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[(٤)] بالكسر وهم يَعنُون الطُّلوعَ؛ ويقرأ مَنْ قرأ ﴿مَطۡلَعَ ٱلشَّمۡسِ﴾ بالفتح على أنه موضعٌ بمنزلة المدخل الذي هو اسمٌ للموضِعِ الذي يُدخلُ منه.

(١) سورة الحاقة: ٥١.
(٢) سورة البينة: ٥.
(٣) سورة النحل: ٣٠.
(٤) سورة القدر: ٥.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: كما بلغَ مَغْرِبَ الشمسِ بلغَ مَطلِعَها. **والثاني**: أتبعَ سبباً كما أتبعَ سبباً. **والثالث**: كما وجد أولئك عند مَغْرِبِ الشمس وحَكَمَ فيهم، كذلك وجدَ هؤلاءِ عند مطلِعها وحَكَمَ فيهم. **والرابع**: أنَّ المعنى: كذلك أمْرُهُم كما قَصَصْنا عليكَ؛ ثم استأنفَ فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: بما عنده ومعه مِنَ الجيوش والعُددِ. وحكى أبو سُليمانَ الدِّمشقي: «بما لديه» أي: بما عندَ مَطْلِع الشمس. وقد سبق معنى الخُبْرِ[١].

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقاً ثالثاً بين المَشْرِق والمَغْرِب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: هما جبلان مُنيفانِ في السماء، مِنْ ورائِهما البحرُ، ومِنْ أمامِهما البلدان، وهما بمُنقطع أرضِ التُركِ مما يلي بلادَ أرمينيَّةَ. وروى عَطاءٌ الخُراسَانيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: الجَبلانِ مِنْ قِبَلِ أرمينيَّةَ وأذرَبِيجَانَ. واختلف القُرَّاءُ في «السدّين» فقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمروٍ وحَفصٌ عن عَاصِمٍ بفتح السين. وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ وحَمزَةُ والكِسَائيُّ بضمِّها. وهل المعنى واحدٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه واحدٌ. قال ابنُ الأعرَابي: كلُّ ما قابَلكَ فسَدَّ ما وراءَهُ، فهو سَدٌّ، وسُدٌّ، نحو: الضَّعف والضُّعف، والفَقر والفُقر. قال الكِسَائيُّ، وثَعلَبُ: السَّدُّ والسُّدُّ لُغتان بمعنًى واحدٍ، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجِ. **والثاني**: أنهما يختلفان.

وفي الفرق بينهما قولان: **أحدهما**: أنَّ ما هو مِنْ فعلِ الله تعالى فهو مضمومٌ، وما هو مِنْ فعل الآدَمِيينَ فهو مفتوحٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، وأبو عُبيدَةَ. قال الفَرَّاءُ: وعلى هذا رأيتُ المشيخَة وأهلَ العِلم مِنَ النحويين. **والثاني**: أنَّ السَّدَّ، بفتحِ السين: الحَاجِزُ بين الشيئين، والسُّدُّ، بضمِّها: الغِشَاوةُ في العَيْنِ، قاله أبو عمرو بنِ العَلاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ يعني: أمامَ السَّدِّ ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمروٍ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «يَفْقَهُون» بفتحِ الياء، أي: لا يكادون يفهمونه. قال ابنُ الأنباري: كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[٢] قال المُفسِّرون: وإنْ كانوا كذلك لأنهم لا يعرفون غيرَ لُغتِهم. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يُفْقِهُون» بضمِّ الياء، أراد: يُفْهِمُون غيرَهم. وقيلَ: كَلَّم ذا القَرْنَيْنِ عنهم مُترجِمُون ترجَمُوا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هما: اسمانِ أعجميَّانِ، وقد هَمزَهُما عَاصِمٌ. قال اللَّيْثُ: الهَمزُ لغةٌ رديئةٌ. قال ابنُ عباسٍ: يأجُوجُ رجلٌ، وهما ابنا يافِثَ بنِ نُوحٍ عليه السلامُ، فيَاجُوجُ ومَاجُوجُ عشرةُ

---

(١) سورة الكهف: ٦٨. (٢) سورة البقرة: ٧١.

أجزاءٍ، ووَلَدُ آدمَ كلُّهم جُزءٌ، وهم شِبْرٌ وشِبْرَان وثلاثةُ أشبارٍ. وقال عليٌّ رضي الله عنه: منهم مَنْ طوله شِبْرٌ، ومنهم مَنْ هو مُفرِطٌ في الطُّولِ، ولهم مِنَ الشَّعْرِ ما يُواريهم مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ. وقال الضَّحَّاكُ: هم جيلٌ مِنَ التُّركِ. وقال السُّدِّيُّ: التُّركُ سَرِيَّةٌ مِنْ ياجوجَ ومَاجُوجَ خرجت تُغِيرُ، فجاء ذُو القَرنَيْنِ فضربَ السَّدَّ، فبقيت خارجَهُ.

[٩٤٣] وروى شَقِيقٌ عن حُذَيفةَ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ياجُوجَ وماجُوجَ، فقال: «يَاجُوجُ أُمَّةٌ، ومَاجُوجُ أُمَّةٌ، كلّ أُمَّةٍ أربعمائةُ ألف أُمَّةٍ، لا يموت الرجُلُ منهم حتى ينظرَ إلى ألفِ ذَكر بين يديه مِنْ صُلْبِه كُلٌّ قد حملَ السلاحَ» قلتُ: يا رسولَ الله، صِفْهُم لنا، قال: «هم ثلاثةُ أصنافٍ، صِنفٌ منهم أمثالُ الأَرْزِ»؛ قلتُ: يا رسولَ الله: وما الأَرزُ؟ قال: «شجرٌ بالشَّامِ، طولُ الشَّجرةِ عِشرونَ ومائةُ ذراعٍ في السماءِ؛ وصِنفٌ منهم عَرضُه وطولُه سواءٌ، عشرونَ ومائةُ ذراعٍ، وهؤلاءِ الذين لا يقوم لهم جبلٌ ولا حديدٌ، وصِنفٌ منهم يفترِشُ أحدُهم أُذُنَهُ، ويلتَحِفُ بالأخرى ولا يَمُرُّون بفِيْلٍ ولا وَحشٍ ولا جَمَلٍ ولا خِنزيرٍ إلاَّ أكَلُوه، ومَنْ مات منهم أكلوه، مُقَدِّمَتُهم بالشَّامِ، وسَاقَتُهم بخُرَاسَانَ، يشربون أنهارَ المَشرقِ وبُحيرةَ طَبَرِيَّةَ».

قوله تعالى: ﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في هذا الفسادِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا يفعلون فِعْلَ قوم لُوطٍ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثاني**: أنهم كانوا يأكلون الناسَ، قاله سعيدُ بنُ عبدِ العزيز. **والثالث**: يُخرِجون إلى الأرضِ الذين شَكَوْا منهم أيامَ الرَّبيعِ، فلا يَدَعون شيئاً أخضرَ إلاَّ أكلُوه، ولا يابساً إلاَّ احتملُوه إلى أرضِهم، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: كانوا يقتلون الناسَ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ: «خَرجاً» بغيرِ ألِفٍ. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «خراجاً» بألِفٍ. وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما لُغتانِ بمعنًى واحدٍ، قاله أبو عُبيدَةَ، واللَّيْثُ. **والثاني**: أنَّ الخَرْجَ: ما تبرَّعتَ به، والخَرَاجَ: ما لَزِمكَ أداؤه، قاله أبو عَمرِو بنُ العَلاءِ. قال المُفسِّرون: المعنى: هل نُخرِجُ إليكَ مِنَ أموالنا شيئاً كالجُعلِ لكَ؟

قوله تعالى: ﴿مَا مَكَّنِّي﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «مكَّنَني» بنونين، وكذلك هي في مصاحفِ مكَّةَ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «مكَّنِّي» بالتشديد، أدغم النون في النون لاجتماع النونين. ومن قرأ: «مكَّنَني» أظهر النونين، لأنهما من كلمتين، الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر.

وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان: **أحدهما**: أنه العِلْمُ بالله، وطَلَبُ ثوابه. **والثاني**: ما مَلَكَ مِنَ الدنيا. والمعنى: الذي أعطاني اللهُ خيرٌ ممَّا تَبذُلُون لي.

قوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الرجال، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الآلَةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. فأمَّا الرَّدْمُ، فهو: الحَاجِزُ؛ قال الزَّجَّاجُ: والرَّدْمُ في اللغة أكبرُ مِنَ السَّدِّ، لأنَّ الرَّدْمَ: ما جُعِلَ بعضُه على بعضٍ، يقال: ثوبٌ مُرَدَّمٌ: إذا كان قد رُقِّعَ رُقعةً فوق رُقعةٍ. قوله تعالى:

---

[٩٤٣] موضوع. أخرجه ابن عدي ٦/ ١٦٩ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ٢٠٦ من حديث حذيفة، وأعله ابن عدي بمحمد بن إسحاق العكاشي، وأنه يضع الحديث، وحكم هو وابن الجوزي بوضعه.
وانظر «تفسير القرطبي» ٤١٩٧ بتخريجنا.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قرأ الجمهور: «ردماً آتوني» أي: أعطوني. وروى أبو بكرٍ عن عَاصِم: «ردم أيتوني» بكسرِ التنوين، أي: جيئوني بها. قال ابنُ عباسٍ: احمِلُوها إليَّ. وقال مُقاتِلٌ: أعطونيَ. وقالَ الفَرَّاءُ: المعنى: إيتُوني بها، فلمَّا ألقِيتِ الياءُ زيدَت ألِفٌ. فأمَّا الزُّبُر، فهي: القِطَعُ، واحدَتُها: زُبْرَة؛ والمعنى: فأتَوه بها فبَناهُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ وروى أبَانُ «إذا سوَّى» بتشديد الواو مِنْ غير ألِفٍ. قال الفَرَّاءُ: سَاوَى وسَوَّى سَواءٌ. واختلف القُرَّاءُ في ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ فقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «الصُّدُفين» بضمِّ الصاد والدالِ، وهي: لغةُ حِمْيَر. وروى أبو بكرٍ والمُفَضَّلُ عن عَاصِم: «الصُّدْفين» بضمِّ الصاد وتسكينِ الدال. وقرأ نافعٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم، وخَلَفٌ، بفتح الصاد والدالِ جميعاً، وهي لغةُ تَمِيْم، واختارها ثَعلَبُ. وقرأ أبو مِجْلَز، وأبو رَجَاء؛ وابنُ يَعمَرَ: «الصَّدُفين» بفتح الصاد ورفع الدال. وقرأ أبو الجَوزَاءِ، وأبو عِمرَانَ، والزُّهريُّ، والجَحدرِيُّ برفع الصاد وفتح الدال. قال ابنُ الأنبَاري: ويقال: صُدَف، على مثال نُغَر، وكلُّ هذه لُغاتٌ في الكلمة. قال أبو عُبيدَةَ: الصَّدَفان: جَنْبا الجبل. قال الأزهَريُّ يقال لجَانِبَي الجبلِ: صَدَفان، إذا تحَاذَيا، لِتَصادُفِهما، أي: لتَلاقِيهما. قال المُفسِّرون: حَشَا ما بين الجبلين بالحديد، ونسَجَ بين طبقاتِ الحديد الحَطبَ والفَحمَ، ووضعَ عليها المَنافِيخَ، ثم ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ يعني: الحديد، وقيل: الهاءُ ترجع إلى ما بينَ الصَّدَفَينِ ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار، لأنَّ الحديد إذا أُحمِيَ بالفحم والمَنافِيخ صارَ كالنار، ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ: «آتوني» ممدودةً، والمعنى: أعطوني، وقرأ حَمزةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «إيتوني» مقصورةً؛ والمعنى: جيئوني به أُفرِغه عليه.

وفي القِطْرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النُّحاس، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه الحديد الذَّائبُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: الصُّفْرُ المُذابُ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: الرَّصاصُ، حكاه ابنُ الأنبَاري. قال المُفسِّرون: أذابَ القِطْرَ ثم صَبَّه عليه، فاختلط والتَصَقَ بعضُه ببعضٍ حتى صار جبلاً صَلْداً مِنْ حديدٍ وقِطرٍ. قال قَتادَةُ: فهو كالبُرْدِ المحَبّر، طَرِيقَةٌ سوداءُ وطَرِيقَةٌ حمراءُ. قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟﴾ أصله: فما «استطاعوا» فلمَّا كانت التاءُ والطاء مِنْ مخرج واحدٍ أحبُّوا التخفيف فحَذَفُوا. قال ابنُ الأنباري: إنما تقول العرب: اسطَاعَ، تخفيفاً، كما قالوا: سوف يقوم، أو سَو يَقُوم، فأسقَطُوا الفاءَ. قوله تعالى: ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يَعلُوه؛ يقال: ظَهَر فلانٌ فوق البيت: إذا عَلاهُ، والمعنى: ما قدروا أن يَعلُوه لارتفاعه وامّلاسِه ﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ مِنْ أسفله، لشدَّتِه وصَلابَتِه.

[٩٤٤] وروى أبو هُريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ لَيَحفِرونَ السَّدَّ كلَّ يومٍ،

---

[٩٤٤] أخرجه ابن ماجة ٤١٩٩ والحاكم ٤/٤٤٨ والواحدي في «الوسيط» ٣/١٦٨ من طريق قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة به. وصححه الحاكم على شرطهما، وسكت الذهبي! وقال البوصيري: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ١١٠: إسناده جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا نقبه، لإحكام بنائه وصلابته ثم ذكر ابن كثير أحاديث صحيحة مثل «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وهذا متفق عليه، وفيه أن ما فتح من الردم شيء يسير، فهو يخالف ما ذكره المصنف من الحديث، وأنه يظهر لهم شعاع الشمس، والله أعلم، وانظر بقية كلام ابن كثير عند هذه الآية بتخريجي، وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٣٠. بتخريجنا..

حتى إذا كادوا يرونَ شُعاعَ الشمس، قال الذي عليهم: ارجِعُوا، فسَتحفِرونَهُ غداً، فيعودون إليه، فيَرونَهُ كأشَدِّ ما كان، حتى إذا بلغَتْ مُدَّتُهم، وأراد اللهُ عزَّ وجلَّ أن يبعثَهُم على الناس، حَفَروا، حتى إذا كادوا يَرونَ شُعاعَ الشمس، قال الذين عليهم: ارجِعوا، فستحفِرونَهُ غداً إنْ شاءَ اللهُ، ويستَثْنِي، فيعودون إليه وهو كهيئَتِه حين تركُوه، فيَحفِرونَهُ ويُخرِجونَ على الناسَ» وذكرَ باقي الحديثِ؛ وقد ذكرتُ هذا الحديثَ بطولِه وأشباهَهُ في كتاب «الحدائق» فكرهتُ التَّطويلَ هاهنا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ لمَّا فرغَ ذو القَرْنَيْنِ مِنْ بُنيانِه قال هذا. وفيما أشارَ إليه قولان:
أحدهما: أنه الرَّدمُ، قاله مُقاتِلٌ؛ قال: فالمعنى: هذا نِعْمةٌ مِنْ ربِّي على المسلمين لئَلاً يخرجوا إليهم.
والثاني: أنه التَّمكينُ الذي أدركَ به عملَ السَّدِّ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ فيه قولان:
أحدهما: القيامة. **والثاني**: وَعدُهُ لخروج يأجوجَ ومأجُوجَ.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «دكّاً» مُنَوَّناً غيرَ مهموزٍ ولا ممدودٍ. وقرأ عَاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: دكّاء مهموزةً بلا تنوينٍ. وقد شرحنا معنى الكلمةِ في سُورة الأعرافِ[1]. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: بالثواب والعقاب.

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ في المُشارِ إليهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم يأجُوجُ ومأجُوجُ. ثم في المراد بـ «يومئذ» قولان: **أحدهما**: أنه يومُ انقضى أمرُ السَّدّ، تُرِكوا يموجُ بعضُهم في بعض مِنْ ورائِه مُختلطِينَ لكثرَتِهم؛ وقيل: مَاجُوا مُتعجِّبينَ مِنَ السَّدّ. **والثاني**: أنه يومَ يخرجون مَنَ السَّدِّ تُركوا يمُوجُ بعضُهم في بعضٍ. **والثاني**: أنهم الكفَّارُ. **والثالث**: أنهم جميعُ الخَلائقِ: الجِنُّ والإنسُ يَموجونَ حَيارَى. فعلى هذين القولين، المراد باليوم المذكور يومُ القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هذه نفخَةُ البَعثِ. وقد شرحنا معنى «الصُّور» في سُورة الأنعام[2].
قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ يعني: أعينَ قلوبهم ﴿فِي غِطَآءٍ﴾ أي: في غفلةٍ ﴿عَن ذِكْرِي﴾ أي: عن توحيدي والإيمانِ بي وبكتابي ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ هذا لعَداوتِهم وعِنادِهم وكراهَتِهم ما يُنْذَرُون به، كما تقول لمَنْ يكرَهُ قولكَ: ما تقدرُ أن تسمعَ كلامي.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: أفظَنَّ المشركون ﴿أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي﴾ في هؤلاءِ العبادِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الشياطين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الأصنام، قاله مُقاتِل. **والثالث**: الملائكةُ والمَسيحُ وعُزَيرٌ وسائرُ المعبودات مِنْ دونه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿مِن دُونِيٓ﴾ فَتحَ هذه الياءَ نافعٌ، وأبو عَمرٍو. وجوابُ الاستفهامِ في هذه الآيةِ محذوفٌ، وفي تقديره قولان: **أحدهما**:

---
(١) سورة الأعراف: ١٤٣.
(٢) سورة الأنعام: ٧٣.

أفحَسِبُوا أنْ يتَّخذُوهم أولياءَ، كلا بل هم أعداءٌ لهم يتبرَّؤون منهم. **والثاني**: أنْ يتَّخذُوهم أولياءَ ولا أغْضبُ ولا أُعاقِبُهم. وروى أبانٌ عن عاصِمٍ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «أفَحَسْبُ» بتسكينِ السين وضمِّ الباء، وهي قراءةُ عليٍّ، وابنِ عباسٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ، وابنِ يَعمُرَ، وابنِ مُحَيصِنٍ؛ ومعناها: أَفَيَكْفِيهِم أنْ يتَّخذُوهم أولياءَ؟ فأمَّا النُّزُلُ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه ما يُهيَّأُ للضَّيفِ والعَسكَرِ، قاله ابنُ قُتَيبَةَ. **والثاني**: أنه المَنزِلُ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم القِسِّيسُون والرُّهبانُ، قاله عليٌّ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: اليهودُ والنَّصارى، قاله سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَٰلًا﴾ منصوبٌ على التَّمييزِ، لأنه لمَّا قال: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾ كان ذلك مُبهَماً لا يدلُّ على ما خَسِروه، فبيَّن ذلك في أيِّ نوعٍ وقعَ. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ أي: بطلَ عَملُهم واجتهادُهم في الدنيا، وهم يظنُّون أنهم مُحسِنون بأفعالِهم. فرُؤساؤهم يعلمون الصحيحَ، ويُؤثِرون الباطلَ لبقاءِ رئاستِهم، وأتباعُهم مُقلِّدون بغير دليلٍ. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ جَحدوا دلائلَ توحيدِه، وكفروا بالبَعثِ والجزاءِ، وذلك أنهم بكُفرِهم برسولِ الله ﷺ والقرآنِ، صاروا كافرينَ بهذه الأشياء ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بطلَ اجتهادُهم، لأنه خَلاَ عن الإيمان ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، والجَحدريُّ: «فلا يُقيم» بالياء. وفي معناه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إنما يَثقُلُ الميزانُ بالطاعة، وإنما تُوزَنُ الحسناتُ والسَّيئاتُ، والكافرُ لا طاعةَ له. **والثاني**: أنَّ المعنى: لا نُقيمُ لهم قَدْراً. قال ابنُ الأعرَابي في تفسيرِ هذه الآيةِ: يُقال: ما لفُلانٍ عندنا وَزْنٌ، أي: قَدْرٌ، لِخِسَّتِه. فالمعنى: أنهم لا يُعتَدُّ بهم، ولا يكون لهم عندَ الله قَدْرٌ ولا مَنزِلةٌ.

[٩٤٥] روى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يُؤتى بالرَّجلِ الطَّويلِ الأكُولِ الشَّرُوبِ فلا يَزِنُ جناحَ بَعُوضَةٍ، اقرؤوا إنْ شِئتُم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾».

والثالث: أنه قال: «فلا نقيم لهم» لأنَّ الوَزنَ عليهم لا لهُم، ذكره ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذَكرتُ مِن بُطلانِ عَملِهم وخِسَّةِ قَدْرِهم، ثم ابتدأَ فقال: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، وقيل: المعنى: ذلك التَّصغيرُ لهم، وجَزاؤهم جهنَّمُ، فأُضمِرَتْ واوُ الحَالِ. قوله تعالى: ﴿بِمَا كَفَرُوا۟﴾ أي: بكُفرِهم واتِّخاذِهم ﴿ءَايَٰتِى﴾ التي أنزلتُها ﴿وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ أي: مَهزُوءاً به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

---

[٩٤٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٢٩ ومسلم ٢٧٨٥ والواحدي في الوسيط ٣/ ١٧٠ والبيهقي في «الشعب» ٥٦٧٠ كلهم عن أبي هريرة مرفوعاً.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ قال ابنُ الأنباري: كانت لهم في عِلْمِ اللَّهِ قبلَ أنْ يُخلقُوا. وروى البُخاريُّ ومُسلمٌ في (الصَّحيحين) مِنْ حديث أبي موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[٩٤٦] «جِنانُ الفِردَوسِ أربعٌ، ثِنتَانِ مِنْ ذهبٍ حِليَتُهما وآنِيَتُهما وما فيهما، وثِنتَانِ مِنْ فضَّةٍ حِليَتُهما وآنِيَتُهما وما فيها، وليس بينَ القومِ وبين أنْ ينظروا إلى ربِّهم إلاَّ رِداءُ الكِبرياءِ على وَجْهِه في جنَّةِ عَدْنٍ».

[٩٤٧] وروى عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجنَّةُ مائةُ دَرَجةٍ، ما بينَ كلِّ دَرَجتين كما بينَ السماءِ والأرضِ، الفِردَوسُ أعلاهَا، ومنها تَفجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ، فإذا سَألتُم اللَّهَ تعالى فاسألُوهُ الفِردَوسَ». قال أبو أُمَامَةَ: الفِردَوسُ سُرَّةُ الجنَّةِ. قال مُجاهِدٌ: الفِردَوسُ: البُستانُ بالرُّوميَّةِ. وقال كَعبٌ، والضَّحَّاكُ: «جنات الفردوس»: جنَّاتُ الأعنَابِ. قال الكَلبيُّ، والفَرَّاءُ: الفِردَوسُ: البُستانُ الذي فيه الكَرْمُ. وقال المُبَرِّدُ: الفِردوس فيما سمعتُ مِنْ كلام العرب: الشجرُ المُلتَفُّ، والأغلب عليه العِنَبُ. وقال ثَعلَبُ: كلُّ بستانٍ يُحوَّطُ عليه فهو فِردَوسٌ، قال عبدُ الله بنُ رَوَاحَةَ:

فـي جِـنَـانِ الـفِـردَوسِ لـيـس يـخَـافُـو ... نَ خُـروجـاً عـنـهـا ولا تَـحـويـلاً

وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: قال الزَّجَّاجُ: الفِردَوسُ أصله رُوميٌّ أُعرِبَ، وهو البستان، كذلك جاء في التَّفسير، وقد قيلَ: الفِردَوسُ تعرفه العرب، وتُسمِّي الموضع الذي فيه كَرْمٌ: فِردَوساً. وقال أهلُ اللغة: الفِردَوسُ مُذكَّرٌ، وإنما أُنِّث في قوله تعالى: ﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١). لأنه عَنَى به الجنَّةَ. وقال الزَّجَّاجُ: وقيل: الفِردَوسُ: الأودِيَةُ التي تُنبِتُ ضُروباً مِنَ النَّبتِ، وقيل: هو بالرُّوميَّةِ منقولٌ إلى لفظِ العربية، قال: والفِردَوسُ أيضاً بالسّريانيَّةِ كذا لفظه: فِردَوس، قال: ولم نجدْهُ في أشعارِ العرب إلاَّ في شعرِ حسَّانَ، وحقيقتُه أنه البستان الذي يَجمع كلَّ ما يكون في البساتين، لأنه عند أهلِ كلِّ لغةٍ كذلك، وبيتُ حسَّانَ:

فَــإنَّ ثَــوَابَ الــلَّــهِ كُــلَّ مُــوَحِّــدٍ ... جِـنَـانٌ مِـنَ الـفِـرْدَوْسِ فـيـهَـا يُـخَـلَّـدُ(٢)

---

[٩٤٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٨ و ٤٨٨٠ و ٧٤٤٤ ومسلم ١٨٠ والترمذي ٢٥٢٨ وابن ماجه ١٨٦ وابن أبي عاصم في «السنة» ٦١٣ وأحمد ٤/ ٤١١ والدولابي في «الكنى» ٢/ ٧١ وابن أبي داود في «البعث» ٥٩ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٦ وابن حبان ٧٣٨٦ والبيهقي في «الاعتقاد» ص ١٣٠ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٧٥ والذهبي في «تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٧٠ من طرق عن أبي موسى الأشعري. وأخرجه أحمد ٤/ ٤١٦ وابن أبي شيبة ١٣/ ١٤٨ والدارمي ٢/ ٣٣٣ والطيالسي ٥٢٩ وابن مندة في «التوحيد» ٧٨١ من طريق أبي قدامة الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني به وأتم منه وكلهم عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن».

[٩٤٧] صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٣١ وأحمد ٥/ ٣١٦ والطبري ٢٣٤٠٦ و ٢٣٤٠٧ والحاكم ١/ ٨٠ والبيهقي في «البعث» ٢٤٨ من حديث عبادة بن الصامت، وإسناده صحيح. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وله شواهد كثيرة عند الطبري والبيهقي. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٣٦ بتخريجنا.

---

(١) سورة المؤمنون: ١١.

(٢) البيت في ديوانه: ١٥٠ واللسان ـ فردس ـ.

وقال ابنُ الكَلبي بإسنادِه: الفِردَوسُ: البستان بلُغة الرُّوم، وقال الفَرَّاءُ: وهو عربيٌّ أيضاً، والعرب تسمي البستانَ الذي فيه الكَرْمُ فِردَوساً. وقال السُّدِّيُّ: الفِردَوسُ أصله بالنَّبطِيَّةِ «فرداسا». وقال عبدُ الله بنُ الحَارِث: الفِردَوسُ: الأعنَابُ. وقد شرحنا معنى قوله: «نُزُلاً»[1] آنِفاً.

قوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: لا يُريدون عنها تحَوُّلاً، يقال: قد حالَ مِنْ مكانِه حِوَلاً، كما قالوا في المصادر: صَغُر صِغَراً، وعَظُمَ عِظَماً، وعَادَني حُبُّها عِوَداً؛ قال: وقد قيلَ أيضاً: إنَّ الحِوَلَ: الحِيلَةُ، فيكون المعنى: لا يحتَالُون مَنْزلاً غيرَها.

فإنْ قيلَ: قد عُلِمَ أنَّ الجنَّةَ كثيرةُ الخير، فما وَجْهُ مَدْحِها بأنهم لا يَبْغُون عنها حِوَلاً؟

فالجواب: أنَّ الإنسان قد يجدُ في الدار الأنيقة معنًى لا يُوافِقُه، فيحب أن ينتقلَ إلى دارٍ أخرى، وقد يَمَلُّ، والجنَّةُ على خلافِ ذلك.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ سببُ نزولها أنه لمَّا نزلَ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] قالت اليهودُ: كيف وقد أُوتينا التَّوراةَ وفيها عِلْمُ كلِّ شيءٍ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباس[3]. ومعنى الآية: لو كان ماءُ البحر مِداداً يُكتَبُ به. قال مُجاهِدٌ: والمعنى: لو كان البحرُ مِداداً للقَلَم، والقَلَمُ يكتبُ. وقال ابنُ الأنباري: سُمِّي المِدَادُ مِداداً لإمدَادِه الكاتبَ، وأصلُه مِنَ الزيادة ومجيءِ الشَيءِ بعدَ الشيءِ. وقرأ الحسَنُ، والأعمَشُ: «مددًا لكلمات ربِّي» بغير ألِفٍ. قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرو، وعَاصِمٌ: «تنفد» بالتاء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «ينفد» بالياء. قال أبو عليٍّ: التأنيثُ أحسَنُ، لأنَّ المُسنَدَ إليه الفعلُ مؤنَّثٌ، والتَّذكيرُ حسَنٌ، لأنَّ التأنيثَ ليس بحقيقي، وإنما لم تَنْفَدْ كلماتُ الله، لأنَّ كلامه صفةٌ مِنْ صفاتِ ذَاتِه، ولا يتطرَّقُ على صفاته النَّفادُ، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي: بمِثْلِ البحرِ ﴿مَدَدًا﴾ أي: زيادةً؛ والمَدَدُ: كلُّ شيءٍ زاد في شيءٍ. فإنْ قيلَ: لِمَ قال في أوَّلِ الآيةِ: «مداداً» وفي آخرِها: «مدداً» وكلاهما بمعنًى واحدٍ، واشتقاقُهما غيرُ مُختَلِفٍ؟ فقد أجاب عنه ابنُ الأنبَاري فقال: لمَّا كان الثاني آخرَ آيةٍ، وأواخرُ الآياتِ ها هنا أَتَتْ على الفُعُل، والفِعَل، كقوله تعالى: «نُزُلاً» «هُزُواً» «حِوَلاً» كان قوله: «مَدداً» أشبَهَ بهؤلاءِ الألفاظِ مِنَ المِدَادِ، واتِّفاقُ المقاطع عند أواخرِ الآي، وانقضاءِ الآياتِ، وتمام السَّجع والنَّثرِ، أخفُّ على الألسُنِ، وأحلى موقعاً في الأسمَاعِ، فاختلفت اللفظتان لهذه العِلَّةِ. وقد قرأ ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو رَجَاء، وقَتادَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «ولو جئنا بمثله مداداً» فحمَلُوها على الأُولَى، ولم ينظروا إلى المَقاطعِ. وقراءةُ الأوَّلين أبيَنُ حُجَّةً، وأوضحُ مِنهاجاً.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: عَلَّمَ اللَّهُ تعالى رسولَهُ التَّواضعَ لئلاً يَزْهَى

---

(١) سورة الكهف: ١٠٢. (٢) سورة الإسراء: ٨٥. (٣) تقدم.

على خَلْقِه، فأمرَهُ أنْ يُقِرَّ على نفسه بأنه آدميٌّ كغيرِه، إلاَّ أنه أُكرِمَ بالوَحي. قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ سببُ نزولها أنَّ جُنْدُبَ بنَ زُهيرِ العَامِريَّ قال لرسولِ الله ﷺ:

[٩٤٨] إني أعملُ العملَ لله تعالى فإذا اطلع عليه سَرَّني، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقبلُ إلاَّ الطَّيِّبَ، ولا يَقبلُ ما رُوئِيَ فيه» فنزلت فيه هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٩٤٩] وقال طَاوُسٌ: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: إني أُحبُّ الجهادَ في سبيل الله وأُحبُّ أنْ يُرى مكاني، فنزلت هذه الآيةُ.

[٩٥٠] وقال مُجاهِدٌ: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أتصَدَّقُ، وأَصِلُ الرَّحِمَ، ولا أصنعُ ذلك إلاَّ لله تعالى، فيُذكَرُ ذلك مِنِّي وأُحمَدُ عليه فيَسُرُّني ذلك وأُعجَبُ به، فسكتَ رسولُ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ.

وفي قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ قولان: **أحدهما**: يخاف، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: يأملُ، وهو اختيارُ الزَّجَّاجُ. قال ابنُ الأنباري: المعنى: فمَنْ كان يرجو لقاءَ ثوابِ ربِّه. قال المُفسِّرون. وذلك يومُ البَعثِ والجَزاءِ. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ لا يُرائي به ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: لا يُرائي. قال مُعاويَةُ بنُ أبي سُفيانَ: هذه آخرُ آيةٍ نزلت مِنَ القرآن.

---

[٩٤٨] واهٍ بمرة. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠٤ عن ابن عباس بدون سند. وأخرجه ابن منده وأبو نعيم في الصحابة وابن عساكر عن طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس كما في «الدر» ٤/ ٤٥٩. وهذا إسناد ضعيف جداً، فيه السدي، وهو محمد بن مروان، متروك متهم، والكلبي هو محمد بن السائب متروك متهم بالكذب أيضاً. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٣٨ بتخريجنا.

[٩٤٩] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٣٤٢٧ وعبد الرزاق في «تفسيره» ١٧٢٨ عن طاوس مرسلاً.

[٩٥٠] هذا مرسل. ثم إن السورة مكية والخبر مدني، فهو واهٍ، ولا يصح في سبب نزول هذه الآية شيء.

ترتيبها ١٩ — سورة مريم — آياتها ٩٨

وهي مَكِّيَّةٌ بإجماعِهم مِنْ غير خلافٍ علمناه. وقال مُقاتِلٌ: هي مَكِّيَّةٌ غيرَ سجدَتِها، فإنها مَدنيَّةٌ. وقال هِبَةُ اللَّهِ المُفسِّرُ: هي مَكِّيَّةٌ غيرَ آيتين منها، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ والتي تليها[١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ﴾ بفتح الهاء والياء وتبيينِ الدال التي في هِجاءِ «صاد». وقرأ أبو عَمرٍو: «كهيعص» بكسرِ الهاء وفتحِ الياء ويُدغِمُ الدالَ في الذالِ، وكان نافعٌ يلفظ بالهاءِ والياء بينَ الكسرِ والفتح، ولا يُدغِمُ الدالَ التي في هِجاء «صاد» في الذال مِنْ «ذِكْر». وقرأ أبو بكرٍ عن عَاصِمٍ، والكِسَائيُّ، بكسرِ الهاء والياء. إلاّ أنَّ الكِسَائيَّ لا يُبيِّن الدال، وعَاصِمٌ يُبيِّنها. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، بفتحِ الهاء وكسرِ الياء ويُدغِمان. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ: «كهيعص» برفعِ الهاء وفتحِ الياء. وقد ذكرنا في أوَّلِ «البقرة» ما يشتملُ على بَيانِ هذا الجنس. وقد خَصَّ المُفسِّرون هذه الحروفَ المذكورةَ ها هنا بأربعةِ أقوالٍ[٢]:

أحدها: أنها حروفٌ مِنْ أسماء الله عزَّ وجلَّ، قاله الأكثرون. ثم اختلفَ هؤلاءِ في الكافِ مِنْ أيِّ اسم هو، على أربعةِ أقوالٍ. **أحدُها**: أنه مِنْ اسم الله الكَبيرِ. **والثاني**: مِنَ الكريم. **والثالث**: مِنَ الكافِي، روى هذه الأقوالَ الثلاثةَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه مِنَ المَلِكِ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. فأمَّا الهاء، فكُلُّهم قالوا: هي مِنِ اسمه الهادي، إلاَّ القُرَظِي فإنه قال: مِنِ اسمه الله. وأمَّا الياءُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها مِنْ حكيم. **والثاني**: مِنْ رَحيم. **والثالث**: مِنْ أمِينٍ، روى هذه الأقوالَ الثلاثةَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. فأمَّا العين، ففيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها مِنْ عَليمٍ. **والثاني**:

---

(١) سورة مريم: ٥٩، ٦٠.
(٢) تقدم الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

مِنْ عَالِمٍ. **والثالث**: مِنْ عَزيزٍ، رواها أيضاً سعيدُ بن جبير عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنها مِنْ عَدْلٍ، قاله الضَّحَّاكُ. وأما الصادُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها مِنْ صادقٍ. **والثاني**: مِنْ صَدوقٍ، رواهما سعيدٌ أيضاً عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها مِنَ الصَّمَدِ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ.

والقول الثاني: أنَّ «كهيعص» قَسَمٌ أقسَمَ اللَّهُ تعالى به، وهو مِنْ أسمائه، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: هو اسمٌ مِنْ أسماءِ الله تعالى. ورُوي عنه أنه كان يقول: يا كهيعص اغفِرْ لي. قال الزَّجَّاجُ: والقَسَمُ بهذا والدُّعاءُ لا يدلُّ على أنه اسمٌ واحدٌ، لأنَّ الدَّاعي إذا عَلِمَ أنَّ الدُّعاءَ بهذه الحروف يدلُّ على صفاتِ الله تعالى فدَعَا بها، فكأنه قال: يا كَافِي، يا هَادِي، يا عَالِمُ، يا صَادِقُ، وإذا أقسَمَ بها، فكأنه قال: والكَافِي الهَادِي العَالِمِ الصَّادقِ، وأُسكِنَتْ هذه الحروفُ لأنها حروفُ تَهَجٍّ، النيَّة فيها الوَقْفُ. **والثالث**: أنه اسمٌ للسورةِ، قالَه الحسَنُ، ومُجاهِدٌ. **والرابع**: اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ.

فإنْ قيلَ: لِمَ قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكافِ: كا، وفي العَينِ: عا، وفي الصَّادِ: صا، لِتَتَّفِقَ المَبَانِي كما اتَّفقتِ العِلَلُ؟ فقد أجاب عنه ابنُ الأنباري، فقال: حروفُ المُعجَم التِّسعةُ والعشرون تجري مجرى الرِّسالةِ والخُطبَةِ، فيَستقبِحون فيها اتِّفاقَ الألفاظ واستِواءَ الأوزان، كما يَستقبِحونَ ذلك في خُطَبِهم ورَسائلِهم، فيُغَيِّرون بعضَ الكَلِمِ ليختلفَ الوَزنُ وتتغيَّرَ المباني، فيكون ذلك أعذبَ على الألسُنِ وأحلى في الأسمَاعِ.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الذِّكرُ مرفوعٌ بالمُضمَرِ، المعنى: هذا الذي نتلو عليكَ ذِكْرُ رَحمةِ ربِّكَ عبدَه. قال الفَرَّاءُ: وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ؛ المعنى: ذِكْرُ ربِّكَ عبدَهُ بالرَّحمةِ، و «زكريا» في موضعِ نصبٍ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ النداء ها هنا بمعنى الدُّعاءِ. وفي عِلَّةِ إخفائِه لذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ليَبعُدَ عن الرِّياءِ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والثاني**: لئلا يقولَ الناسُ: انظروا إلى هذا الشيخ يسألُ الوَلَدَ على الكِبَرِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: لئلاً يُعادِيَهُ بَنُو عمِّه، ويظنُّوا أنه كَرِهَ أنْ يَلُوا مكانَهُ بعدَهُ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وهذه القصة تدلُّ على أنَّ المُستحبَّ إسرارُ الدعاءِ، ومنه الحديث: «إنكم لا تدعُونَ أصَمَّ». قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ وقرأ معاذُ القارئُ، والضَّحَّاكُ: «وَهُن» بضمِّ الهاء، أي: ضَعُفَ. قال الفَرَّاءُ وغيرُه: وَهَن العَظْمُ، ووَهِنَ، بفتح الهاء وكسرِها؛ والمُستقبلُ على الحالَين كليهما: يَهِنُ. وأراد أنَّ قوَّةَ عِظامِه قد ذهبت لِكِبَرِه؛ وإنما خَصَّ العَظْمَ، لأنه الأصلُ في التَّركيبِ. وقال قَتادَةُ: شَكَا ذهابَ أضراسِه. قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ يعني: انتشَرَ الشَّيبُ فيه، كما ينتشرُ شُعاعُ النار في الحَطَبِ، وهذا مِنْ أحسنِ الاستِعاراتِ. ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بدُعائي إيَّاكَ ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: لم أكُنْ لأتعبَ بالدُّعاءِ ثم أُخيَّب، لأنكَ قد عَوَّدتني الإجابةَ؛ يقال: شَقِيَ فلانٌ بكذا: إذا تَعِبَ بسببه، ولم يَنَلْ مُرادَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ يعني: الذين يَلُونَهُ في النَّسَبِ، وهم بَنُو العمِّ والعَصَبةُ ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي: مِنْ بعدِ موتي. وفي ما خَافَهُم عليه قولان:

أحدهما: أنه خافَ أنْ يرِثُوه، قاله ابنُ عباسٍ. فإن اعترضَ عليه مُعترِضٌ، فقال: كيف يجوزُ لنبيٍّ

أنْ يَنْفَسَ على قَرابَاتِه بالحقوقِ المَفرُوضَةِ لهم بعدَ موتِه؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه لمَّا كان نبيًّا، والنبيُّ لا يُورَثُ، خاف أنْ يَرِثُوا مالَهُ فيأخذوا ما لا يجوزُ لهم. **والثاني**: أنه غَلَبَ عليه طَبْعُ البشرِ، فأحبَّ أنْ يتولَّى مالَهُ ولَدُهُ، ذكرهما ابنُ الأنباري. قلتُ: وبيانُ هذا أنه لا بُدَّ أنْ يتولَّى مالَهُ وإنْ لم يكُنْ مِيراثاً، فأحبَّ أن يتولاَّهُ وَلَدُهُ.

والقول الثاني: أنه خاف تضييعَهُم للدِّين ونَبْذَهُم إيَّاهُ، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين.

وقرأ عُثمانُ، وسَعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وعبدُ الله بنُ عمرٍو، وابنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ أبي سَرْح. عن الكِسَائيِّ: «خَفَّت» بفتحِ الخاء وتشديدِ الفاء على معنى «قَلَّت»؛ فعلى هذا يكون إنما خافَ علَى عِلْمِه ونُبوَّتِه ألاَّ يُورَثا فيموتَ العِلْمُ. وأسكَنَ ابنُ شهابٍ الزُّهريُّ ياءَ «الموالي».

قوله تعالى: ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أسكنَ الجمهورُ هذه الياءَ، وفتحَها ابنُ كَثيرٍ في روايةِ قُنْبُلٍ. وروى عنه شِبْلُ: «ورايَ» مثل «عصايَ».

قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ أي: مِنْ عندِكَ ﴿وَلِيًّا﴾ أي: وَلَداً صالحاً يَتولاَّني.

قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ: «يَرِثُني ويَرِثُ» برفعِهما. وقرأ أبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ: «يَرِثْني ويَرِثْ» بالجزم فيهما. قال أبو عُبيدَةَ: مَنْ قرأ بالرَّفع، فهو على الصِّفَةِ للوَليِّ؛ فالمعنى: هَبْ لي وَليًّا وارثاً، ومَنْ جَزَمَ، فعلى الشَّرطِ والجَزاءِ، كقولِكَ: إنْ وَهبتَهُ لي وَرِثَني.

وفي المُراد بهذا المِيراثِ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: يَرِثُني مالي، ويَرِثُ مِنْ آلِ يعقوبَ النبوَّةَ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو صالح. **والثاني**: يَرِثُني العِلْمَ، ويَرِثُ مِنْ آلِ يعقوبَ المُلْكَ، فأجابه اللَّهُ تعالى إلى وِراثَةِ العِلْمِ دون المُلْكِ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: يَرِثُني نُبوَّتي وعِلْمِي، ويَرِثُ مِنْ آلِ يعقوبَ النبوَّةَ أيضاً، قاله الحَسنُ. **والرابع**: يَرِثُني النبوَّة، ويَرِثُ مِنْ آلِ يعقوبَ الأخلاقَ، قاله عَطاءٌ، قال مُجاهِدٌ: كان زكريًّا مِنْ ذُرِّيَّةِ يعقوبَ. وزعَمَ الكَلبيُّ أنَّ آلَ يعقوبَ كانوا أخوالَهُ، وأنه ليس بيعقوبَ أبي يُوسفَ. وقال مُقاتِلٌ: هو يعقوبُ بنُ ماثَانَ، وكان يعقوبُ هذا وعِمرَانُ ـ أبو مريمَ ـ أخوَيْنِ. والصحيح: أنه لم يُرِد ميراثَ المالِ لوجُوهٍ: **أحدها**: أنه قد صحَّ. عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[٩٥١] «نحنُ معاشِرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ، ما تَركنَاهُ صَدَقَةٌ».

---

[٩٥١] أخرجه النسائي في «الكبرى» ٦٣٠٩ من طريق أحمد بن منصور عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الزهري عن مالك بن أوس من حديث عمر. وقد تفرد النسائي من بين الأئمة الستة بهذا اللفظ، ورواية الأئمة لهذا الحديث هي بدون لفظ «معشر الأنبياء» ولم ينفرد أحمد بن منصور عن ابن عيينة بهذا اللفظ، بل تابعه =

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/١٤٢: سأل الله عز وجل ولداً يكون نبياً من بعده، ليسوس الناس بنبوته وما يوحى إليه لا أنه خشي وراثتهم له ماله، فإن النبي أعظم منزلة وأجلُّ قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حدّه أن يأنف من وراثة عصابته له، ويسأل أن يكون له ولد، ليحوز ميراثه دونهم. ولم يذكر أنه كان ذا مال، بل كان نجاراً يأكل من عمل يده. وقد ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورَث، ما تركنا فهو صدقة».

. . . .

= الحميدي كما في «الفتح» ١٢/ ٨. وأخرجه ابن عبد البر ٨/ ١٧٥ من طريق مالك عن الزهري عن مالك بن أوس عن عمر عن أبي بكر مرفوعاً، ومالك فمن فوقه رجال البخاري ومسلم، لكن الوهم ممن دون مالك فقد رواه الثقات عن مالك دون هذه اللفظة.

وأخرجه باللفظ المذكور الهيثم بن كليب كما في «الفتح» ١٢/ ٨ من حديث أبي بكر.
وأخرجه الدارقطني في «العلل» كما في «الفتح» ١٢/ ٨ من حديث أم هانئ عن فاطمة، عن أبي بكر مرفوعاً، وسكت عليه الحافظ، وهو غريب جداً من هذا الوجه.
وورد من حديث أبي هريرة، أخرجه أحمد ٢/ ٤٦٣/ ٩٦٥٥ من طريق الثوري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وأخرجه ابن عبد البر ٨/ ١٧٥ من طريق الحميدي عن ابن عيينة عن أبي الزناد به.
فهذه أشهر الكتب التي أوردت هذه اللفظة عن هؤلاء الأئمة. والحديث ورد عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما بدون هذه اللفظة وإنما هو بلفظ «لا نورثُ، ما تركنا صدقة» وفي رواية زيد في أوله «إنا». أخرجه البخاري ٤٠٣٥ و ٤٠٣٦ و ٤٢٤٠ و ٤٢٤١ و ٦٧٢٥ و ٦٧٢٦ ومسلم ١٧٥٩ وأبو داود ٢٩٦٩ و ٢٩٧٠ وأحمد ١/ ٩ ـ ١٠ وابن حبان ٤٨٢٣ من حديث عائشة عن أبي بكر مرفوعاً، وله قصة. وورد من مسند أبي بكر وعمر، أخرجه البخاري ٢٩٠٤ و ٣٠٩٤ ومسلم ١٧٥٧ وأبو داود ٢٩٦٣ والترمذي ١٦١٠ والحميدي ٢٢ وعبد الرزاق ٩٧٧٢ وأحمد ١/ ٢٥ وأبو يعلى ٢ و ٣ و ٤ وابن حبان ٦٦٠٨ مطولاً. وورد من مسند عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٤٠٣٤ و ٦٧٣٠ ومسلم ١٧٥٨ وأبو داود ٢٩٧٦ و ٢٩٧٧ وأحمد ٦/ ١٤٥ وابن سعد ٢/ ٣١٤ وابن حبان ٦٦١١ والبيهقي ٦/ ٣٠٢.
ـ وورد من مسند أبي هريرة، بلفظ «لا يقتسم ورثتي بعدي ديناراً، ما تركت بعد نفقة عيالي ومؤونة عاملي صدقة». أخرجه البخاري ٢٧٧٦ و ٣٠٩٦ و ٦٧٢٩ ومسلم ١٧٦٠ وأبو داود ٢٩٧٤ ومالك ٢٠/ ٩٩٣ وابن سعد ٢/ ٣١٤ والحميدي ١١٣٤ وابن حبان ٦٦٠٩ و ٦٦١٠ و ٦٦١٢ والبيهقي ٦/ ٣٠٢ من طرق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به.
وهذا هو اللفظ المشهور في حديث أبي هريرة، وهكذا رواه مالك في «الموطأ» وأصحاب الصحيح والكتب المشهورة. وهو عند مسلم هكذا من طريق ابن عيينة، وهذا هو الصحيح في هذا المتن.
وللحديث شواهد أخرى، تبلغ به حد الصحة. دون لفظ «معاشر الأنبياء».
ـ وقال الحافظ في «الفتح» ١٢/ ٨ ما ملخصه: وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» فقد أنكره جماعة من الأئمة، لكن أخرجه النسائي... فذكر الطرق التي ذكرتها في أول هذا البحث، وقد نقلت عن الحافظ بعض ذلك، والله أعلم.
قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٨/ ١٧٤ ـ ١٧٥ ما ملخصه بعد أن ذكر حديث الباب: وفي حديثنا المذكور تفسير لقول الله عز وجل **﴿وورث سليمان داود﴾** و **﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني...﴾** وتخصيص للعموم في ذلك، وإن سليمان لم يرث من داود مالاً خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب وعلى هذا جماعة أهل العلم وسائر المسلمين إلا الروافض، وكذلك قولهم في **﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾** لا يختلفون في ذلك، إلا ما روي عن الحسن قال: يرثني: مالي، ويرث من آل يعقوب: النبوة والحكمة، والدليل على صحة ما قال علماء المسلمين ما ثبت عن النبي ﷺ «إنا معاشر الأنبياء...» اهـ. باختصار.
وقال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ١٢/ ٨١: ثم إن جمهور العلماء على أن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يورثون، وحكى القاضي ـ عياض ـ عن الحسن أنه قال: عدم الإرث بينهم مختص بنبينا ﷺ لقوله تعالى عن زكريا **﴿ويرثني ويرث من آل يعقوب﴾** وزعم أن المراد وراثة المال، وقال: لو أراد =

والثاني: أنه لا يجوز أنْ يتأسَّفَ نبيُّ اللّهِ على مصيرِ مالِه بعدَ موتِه إذا وصَلَ إلى وارثِه المُستَحقِّ له شَرعاً. **والثالث**: أنه لم يكن ذا مالٍ.

[٩٥٢] وقد روى أبو هُريرةَ عن رسولِ الله ﷺ أنَّ زكريَّا كان نَجَّاراً.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ قال اللغويون: أي: مَرْضِيًّا، فصُرِفَ عن مفعولٍ إلى فَعِيل، كما قالوا: مَقتولٌ وقَتِيلٌ.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ في الكلام إضمارٌ، تقديره: فاستجابَ اللّهُ له فقال: «يا زكريّا إنا نبشرك». وقرأ حَمزَةُ: «نَبْشُرك» بالتَّخفيفِ. وقد شرحنا هذا في سُورة آلِ عِمرانَ[١]. قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: لم يُسَمَّ يَحيى قبلَهُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرمَةُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ، والأكثرون. فإن اعترَضَ مُعترِضٌ، فقال: ما وَجْهُ المِدْحَةِ باسمٍ لم يُسَمَّ به أحدٌ قبلَهُ، ونرى كثيراً مِنَ الأسماء لم يُسبَقْ إليها؟ فالجواب: أنَّ وَجْهَ الفضيلة أنَّ الله تعالى تولَّى تسميتَهُ، ولم يَكِلْ ذلك إلى أبوَيه، فسَمَّاهُ باسم لم يُسبَقْ إليه. **والثاني**: لم تَلِدِ العَواقِرُ مثلَهُ وَلَداً، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. فعلى هذا يكونُ المعنى: لم نجعلْ له نظيراً. **والثالث**: لم نجعل له مِنْ قبلُ مِثْلاً وشِبْهاً، قاله مُجاهِدٌ. فعلى هذا يكون عدمُ الشَّبَهِ مِنْ حيثُ إنه لم يَعْصِ ولم يَهِمَّ

= وراثة النبوة، لم يقل ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ إذ لا يخاف الموالي على النبوة، ولقوله تعالى: ﴿وورث سليمان داودَ﴾، والصواب ما حكيناه عن الجمهور، أن جميع الأنبياء لا يورثون، والمراد بقصة زكريا وداود، وراثة النبوة، والله أعلم.

وذكر الحافظ في «الفتح» ١٢/ ٨ ـ ٦ بعض كلام ابن عبد البر الذي تقدم آنفاً، ثم ذكر ما ذهب إليه الحسن، وأنه قول إبراهيم بن إسماعيل بن عُلية من الفقهاء. قال: وأخرج الطبري عن أبي صالح في الآية، حكاية عن زكريا ﴿وإني خفت الموالي﴾ قال: العصبة، ومن قوله ﴿يرثني﴾ يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وأخرج من طريق قتادة عن الحسن نحوه، لكن لم يذكر المال، ومن طريق مبارك بن فضالة عن الحسن رفعه «رحم الله أخي زكريا: ما كان عليه من يرث ماله».

[٩٥٢] صحيح. أخرجه مسلم ٢٣٧٩ وأحمد ٢/ ٢٩٦ ـ ٤٠٥ وابن ماجة ٢١٥٠ والطحاوي في «المشكل» ١/ ٤٢٩ وابن حبان ٥١٤٢، واستدركه الحاكم ٢/ ٥٩٠ كلهم من حديث أبي هريرة.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٩.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣١٠: وقول من قال: لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمي باسمه أشبه بتأويل ذلك، وإنما معنى الكلام: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحداً مسمى باسمه.

بمعصيةٍ. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في آلِ عِمرانَ[١] إلى قوله: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾. وفي معنى «كانت» قولان: **أحدهما**: أنه توكيدٌ للكلام، فالمعنى: وهي عَاقِرٌ، كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[٢] أي: أنتم. **والثاني**: أنها كانت منذ كانت عَاقِراً، لم يحدُثْ ذلك بها، ذكرهما ابنُ الأنبَاري، واختار الأوَّلَ. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «عُتيًّا» و «بُكيًّا»[٣] و «صليًّا»[٤] بضمِّ أوائلِها. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، بكسرِ أوائلِها، وافقَهما حَفصٌ عن عَاصِمٍ، إلاَّ في قوله: «بُكيًّا» فإنه ضمَّ أوَّلَهُ. وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ: «عُسِيًّا» بالسين قال مُجاهِدٌ: «عتيًّا» هو قُحُولُ العَظْمِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: أي: يُبساً؛ يقال: عَتَا وعَسَا بمعنًى واحدٍ. قال الزَّجَّاجُ: كلُّ شيءٍ انتهى، فقد عَتَا يَعْتُو عِتِيًّا، وعُتُوًّا، وعُسُوًّا، وعُسِيًّا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ كما قيلَ لكَ مِنْ هِبَةِ الوَلَدِ على الكِبَرِ ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ أي: خَلْقُ يَحيى عليَّ سَهلٌ. وقرأ معاذٌ القارئُ، وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ: «هَيْن» بإسكانِ الياء. ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: أوجَدْتُكَ. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «خَلَقْتُكَ». وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: «خَلَقْنَاكَ» بالنون والألِفِ. ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ المعنى: فخَلْقُ الوَلَدِ، كخَلْقِكَ. وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في سُورةِ آلِ عِمرانَ[٥] إلى قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قال الزَّجَّاجُ: «سَوِيًّا» منصوبٌ على الحالِ، والمعنى: تُمْنَعُ عن الكلامِ وأنتَ سَوِيٌّ. قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: سليماً غيرَ أخرسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وهذا في صبيحةِ الليلةِ التي حَملَتْ فيها امرأتُه ﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: مِنْ مُصَلاَّهُ، وقد ذكرناه في سُورةِ آلِ عِمرانَ[٦]. قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه كَتَبَ إليهم في كتابٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أَومأَ برأسِه ويَدَيهِ، قاله مُجاهِدٌ. قوله تعالى: ﴿أَن سَبِّحُوا﴾ أي: صَلُّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قد شرحناه في آلِ عِمرَانَ[٧]، والمعنى: أنه كان يخرج إلى قومِه فيأمُرهُم بالصَّلاةِ بُكرةً وعَشِيًّا، فلمَّا حَملَتْ امرأتُه أمرَهُم بالصَّلاةِ إشارةً.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فوَهَبْنَا له يَحيى، وقُلنَا له: يا يَحيى ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التَّوراةَ، وكان مَأموراً بالتَّمسُّكِ بها. وقال ابنُ الأنباري: المعنى: اِقبَلْ كُتُبَ الله كلَّها إيماناً بها واستعمالاً لأحكامِها. وقد شرحنا في سُورةِ البقرة[٨]: معنى قوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الفَهْمُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: اللُّبُّ، قاله الحَسنُ، وعِكرمَةُ. **والثالث**: العِلْمُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: حِفظُ التَّوراةِ وعِلْمُها، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وقد زِدْنَا هذا شرحاً في سُورةِ يُوسفَ[٩]. وروى سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: مَنْ قرأ القرآنَ من قبل أنْ يحتلِمَ، فهو ممَّنْ أُوتيَ الحُكْمَ صَبيًّا. فأمَّا قوله: ﴿صَبِيًّا﴾ ففي سِنِّه يومَ أُوتيَ

(١) سورة آل عمران: ٣٩.
(٢) سورة آل عمران: ١١٠.
(٣) سورة مريم: ٥٨.
(٤) سورة مريم: ٧٠.
(٥) سورة آل عمران: ٣٩.
(٦) سورة آل عمران: ٣٩.
(٧) سورة آل عمران: ٣٩.
(٨) سورة البقرة: ٦٣.
(٩) سورة يوسف: ٢٣.

الحُكْمَ قولان:

[٩٥٣] **أحدهما**: أنه سبعُ سنين، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: ابنُ ثلاثِ سنين. قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ قال الزَّجَّاج: أي وآتيناهُ حَناناً. وقال ابنُ الأنباري: المعنى وجعلناهُ حَناناً لأهلِ زمانِه. وفي الحَنانِ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرَّحمةُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، وأنشد:

تَـحَـنَّـنْ عَـلـيَّ هَـدَاكَ الـمَـلِـيـكُ فـإنَّ لِـكُـلِّ مَـقـامٍ مَـقَـالا[1]

قال: وعامَّةُ ما يُستعمَلُ في المَنطِقِ على لفظِ الاثنين، قال طَرَفَةُ:

أبـا مُـنْـذرٍ أفـنَـيـتَ فـاسـتَـبْـقِ بَـعـضَـنَـا حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهوَنُ مِنْ بَعْضِ[2]

قال ابنُ قُتيبةَ: ومنه يُقال: تَحنَّنْ عليَّ، وأصلُه مِنْ حَنِينِ الناقة على وَلدِها. وقال ابنُ الأنباري: لم يختلف اللغويون أنَّ الحَنانَ: الرَّحمةُ، والمعنى: فعلنا ذلك رَحمةً لأبوَيه، وتزكيَةً له. **والثاني**: أنه التَّعطُّفُ مِنْ رَبِّه عليه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه اللِّينُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: البَرَكَةُ، ورُوي عن ابنِ جُبَيرٍ أيضاً. **والخامس**: المَحبَّةُ، قاله عِكرمَةُ، وابنُ زيدٍ. **والسادس**: التَّعظيمُ، قاله عَطاءُ بنُ أبي رَباحٍ.

وفي قوله: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها العملُ الصَّالحُ، قاله الضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنَّ معنى الزَّكاةَ: الصَّدقةُ، فالتَّقديرُ: إنَّ الله تعالى جعله صَدقَةً تصدَّقَ بها على أبوَيه، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أنَّ الزَّكاةَ: التَّطهيرُ، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: أنَّ الزَّكاةَ: الزِّيادةُ، فالمعنى: وآتيناهُ زِيادةً في الخير على ما وُصِفَ وذُكِرَ، قاله ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ قال ابنُ عباسٍ: جَعلتُه يتَّقِيني، ولا يَعدِلُ بي غيري. قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: وجعلناه بَرًّا بوالدَيه، والبَرُّ بمعنى: البارّ؛ والمعنى: لطيفاً بهما، مُحسِناً إليهما. والعَصِيُّ بمعنى: العاصِي. وقد شرحنا معنى الجَبَّارِ في سُورةِ هُود[3].

قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه السلام المعروفُ مِنَ الله تعالى، قال عطاءٌ: سَلامٌ عليه مِنِّي في هذه الأيام؛ وهذا اختيارُ أبي سُليمانَ. **والثاني**: أنه بمعنى: السَّلامةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. فإنْ قيلَ: كيف خَصَّ التَّسليمَ عليه بالأيام وقد يجوز أنْ يُولَدَ ليلاً ويموتَ ليلاً؟ فالجواب: أنَّ المُرادَ باليوم الحِينُ والوقتُ، على ما بَيَّنا في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4]. قال ابنُ عباسٍ:

---

[٩٥٣] واهٍ بمرة. أخرجه ابن الديلمي في «زهر الفردوس» ٤/ ١٦٣ من طريق أبي نعيم عن ابن عباس مرفوعاً. وإسناده ضعيف جداً. فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو واهٍ، وفيه محمد بن يونس الكديمي متروك الحديث وكذبه بعضهم. والأشبه في هذا كونه من كلام ابن عباس، غير مرفوع، والله أعلم.

---

(١) البيت للحطيئة كما في ديوانه: ٢٢٢ و «اللسان» ـ حنن ـ.

(٢) البيت في ديوانه: ٢٠٨ و «اللسان» ـ حنن ـ.

(٣) سورة هود: ٥٩.

(٤) سورة المائدة: ٣.

وسلامٌ عليه حينَ وُلِدَ. وقال الحسَنُ البَصريُّ: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنتَ خيرٌ مني، فقال عيسى ليَحيى: بل أنتَ خيرٌ مني، سَلَّمَ اللَّهُ عليكَ، وأنا سلَّمتُ على نَفسِي. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ مِثلَهُ، إلاّ أنه قال: أثنى اللَّهُ عليكَ، وأنا أثنيتُ على نَفسِي. وقال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ: أوحشُ ما يكون الإنسانُ في ثلاثةِ مَواطِنَ، يومَ يُولَدُ فيرَى نفسَهُ خارجاً ممَّا كان فيه، ويومَ يموتُ فيَرى قوماً لم يكن عايَنَهُم، ويومَ يُبعثُ فيَرى نفسَهُ في مَحشرٍ لم يرَهُ، فخَصَّ اللَّهُ تعالى يَحيى فيها بالكَرامةِ والسَّلامةِ في المَواطِنِ الثلاثةِ.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ قال أبو عُبيدةَ: تَنحَّتْ واعتزَلَتْ ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ممَّا يلي المَشرِقَ، وهو عندَ العرب خيرٌ مِنَ الغربيِّ. قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ﴾ يعني أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي سِتراً وحاجزاً، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها ضَربَتْ سِتراً، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ الشمسَ أظلَّتْها، فلم يَرَها أحدٌ منهم، وذلك مما سَترَها اللَّهُ به، وروي هذا المعنى عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنها اتَّخذَتْ حِجاباً مِنَ الجُدران، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه وفي سببِ انفرادِها عنهم قولان: **أحدهما**: أنها انفردَتْ لِتَطْهُرَ مِنَ الحَيضِ وتمتَشِطَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لِتَفلِيَ رأسَها، قاله عَطاءٌ.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريلُ في قولِ الجمهور. وقال ابنُ الأنباري: صاحبُ رُوحِنا، وهو جِبريلُ. والرُّوحُ بمعنى: الرَّوْحِ والفَرحِ، ثم تُضَمُّ الراءُ لتحقيق مذهبِ الاسم، وإبطالِ طريقِ المصدر، ويجوز أنْ يُرادَ بالرُّوح ها هنا: الوَحيُ وجِبريلُ صاحبُ الوَحي.

وفي وقتِ مجيئِهِ إليها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: وهي تغتسل. **والثاني**: بعد فَراغِها، ولُبْسِها الثيابَ. **والثالث**: بعد دُخولِها بيتَها. وقد قيلَ: المراد بالرُّوح ها هنا: الرُّوحُ الذي خُلِقَ منه عيسى، حكاه الزَّجَّاجُ، والمَاوَرْدِي، وهو مضمونُ كلام أُبَيِّ بنِ كَعبٍ فيما سنذكرُهُ عند قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ قال ابنُ الأنباري: وفيه بُعْدٌ، لقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، والمعنى: تصوَّرَ لها في صُورةِ البَشَرِ التَّامِّ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٤٦: وقوله **﴿انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾** أي: اعتزلتهم وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس. وقوله **﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾** أي استترت منهم وتوارت، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام **﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾** أي: على صورة إنسان تام كامل. وهو ظاهر القرآن فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى: **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾** **﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾** أي: لما تبدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد، وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريدها على نفسه فقالت: **﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾** أي: إن كنت تخاف الله، تذكيراً له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فخوفته أولاً بالله عزّ وجل.

الخِلْقَةِ. وقال ابنُ عباسٍ: جاءها في صُورةِ شابٍّ أبيضَ الوجهِ جَعْدٍ قَطَطٍ حين طَرَّ شارِبُه. وقرأ أبو نَهيكٍ وأبو حَيْوَةَ: «فأرسلْنا إليها رَوحنا» بفتحِ الراء.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ المعنى: إنْ كُنتَ تتَّقي اللَّهَ، فستنتهي بتَعوُّذي منكَ، هذا هو القولُ عند المُحقِّقين، وحُكي عن ابنِ عباسٍ أنه كان في زمانها رجلٌ اسمه تَقيٌّ، وكان فاجراً، فظنَّتْهُ إيَّاهُ، ذكره ابنُ الأنباري، والمَاوَرديِ. وفي قراءةِ عليٍّ رضي الله عنه، وابنِ مسعودٍ، وأبي رَجاء: «إلاَّ أن تكون تقيّاً». قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُ: «لأهب لكِ» بالهمز. وقرأ أبو عَمرٍو، ووَرْشٌ عن نافعٍ: «ليهب لكِ» بغير همزٍ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «ليهب» فالمعنى: أرسلَني لِيَهَبَ ومن قرأ «لأهب» فالمعنى أرسلت إليك لأهب لك، وقال ابنُ الأنباري المعنى: أرسلَني يقولُ لكِ: أرسَلْتُ رسولي إليكِ لأَهَبَ لكِ.

قوله تعالى: ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ أي: طاهراً مِنَ الذنوب. والبَغيُّ: الفاجرةُ والزَّانيةُ. قال ابنُ الأنَباري: وإنما لم يَقُلْ: «بغيَّة» لأنه وصفٌ يغلب على النساء، فقلَّما تقول العرب: رجلٌ بَغِيٌّ، فيجري مجرى حائِض، وعَاقِر. وقال غيرُه: إنما لم يَقُلْ: «بغيَّة» لأنه مَصرُوفٌ عن وَجهِه، فهو «فعيل» بمعنى: «فاعل». ومعنى الآية: ليس لي زَوجٌ، ولستُ بزانيةٍ، وإنما يكون الوَلَدُ مِنْ هاتين الجهتين. ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ قد شرحناه في قصة زكريَّا، والمعنى: أنه يسيرٌ عليَّ أن أَهَبَ لكِ غُلاماً مِنْ غير أبٍ. ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: دَلالةً على قُدرتِنا كونُه مِنْ غير أبٍ. قال ابنُ الأنباري: إنما دخلت الواوُ في قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥ﴾ لأنها عاطفةٌ لِمَا بعدَها على كلامٍ مُضمَرٍ محذوفٍ، تقديره: قال ربُّكِ خَلْقُهُ عليَّ هَيِّنٌ لننفعَكِ به، ولنجعَلَهُ عِبرةً.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: لِمَنْ تَبِعَهُ وآمَنَ به ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: وكان خَلْقُهُ أمراً مَحكُوماً به، مَفرُوغاً عنه، سابقاً في عِلْمِ الله تعالى كونُه.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: عيسى. وفي كيفية حَمْلِها له قولان: **أحدهما**: أنَّ جبريلَ نَفَخ في جَيْبِ دِرْعِها، فاستمرَّ بها حَمْلُها، رواه سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ. قال السُّدِّيُّ: نَفَخ في جَيْبِ دِرْعِها وكان مشقوقاً مِنْ قُدَّامِها، فدخلت النَّفخَةُ في صدرها فحَملَتْ مِنْ وقتِها. **والثاني**: أنَّ الذي خاطبَها هو الذي حَملَتْهُ، ودخل مِنْ فِيهَا، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ[1].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/١٤٦ بعد أن ذكر الحديث عن أبي بن كعب: وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي.

وفي مقدارِ حَمْلِها سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها حين حَملَتْ وضعَتْ، قاله ابنُ عباسٍ، والمعنى: أنه ما طالَ حَمْلُها، وليس المراد أنها وَضعَتْهُ في الحال، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾، وهذا يدلُّ على أنَّ بين الحَمْلِ والوَضْعِ وقتاً يحتملُ الانتِبَاذَ به. **والثاني**: أنها حَملَتْهُ تسعَ ساعاتٍ، ووَضَعَتْ مِنْ يومها، قاله الحسَنُ. **والثالث**: تسعةَ أشهرٍ قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ السَّائبِ. **والرابع**: ثلاثَ ساعاتٍ، حَملَتْهُ في ساعةٍ، وصُوِّرَ في ساعةٍ، ووَضعَتْهُ في ساعةٍ، قاله مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. **والخامس**: ثمانيةَ أشهرٍ، فعاشَ، ولم يَعِشْ مولودٌ قطُّ لثمانيةِ أشهرٍ، فكان في هذا آيةٌ، حكاه الزَّجَّاجُ. **والسادس**: في ستةِ أشهرٍ، حكاه المَاوَرْدِي. **والسابع**: في ساعةٍ واحدةٍ، حكاه الثَّعلبيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ يعني بالحَمْلِ ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيداً. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «قاصياً». قال ابنُ إسحَاقَ: مَشَتْ ستةَ أميالٍ. قال الفَرَّاءُ: القَصِيُّ والقاصِي بمعنًى واحدٍ. وقال غيرُ الفَرَّاءِ: القَصِيُّ والقاصِي بمنزلة الشهيد والشَّاهِد. وإنما بَعُدَتْ، فِراراً مِنْ قومها أنْ يُعيِّروها بولادَتِها مِنْ غيرِ زَوجٍ.

قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ وقرأ عِكرِمَةُ، وإبراهيمُ النَّخَعيُّ، وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ: «المِخاض» بكسرِ الميم. قال الفَرَّاءُ: المعنى: فجاء بها المَخاضُ، فلمَّا أُلقِيت الباءُ، جُعلت في الفعل ألِفاً، ومثلُه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[1] أي: ومثلُه: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾[2] أي: بزُبَرِ الحديد. قال أبو عُبيدَةَ: أفعَلَها مِنْ جاءت هي فَأَجاءَها غيرُها. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: المعنى: جاء بها، وألجَأها، وهو مِنْ حيث يُقال: جاءَت بيَ الحاجةُ إليكَ، وأجاءَتْنِي الحاجةُ إليكَ، والمَخاضُ: الحَمْلُ. وقال غيره: المَخاضُ: وَجعُ الوِلادة. ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ وهو ساقُ النَّخلَةِ، وكانت نَخلةً يابسةً في الصحراء، ليس لها رأسٌ ولا سَعَفٌ. ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ اليوم، أو هذا الأمرِ، وقرأ نافعٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفْصٌ: «مِتُّ» بكسرِ الميم. وفي سبب قولها هذا قولان: **أحدهما**: أنها قالتْهُ حَياءً مِنَ الناس. **والثاني**: لئلاً يأثَمُوا بقَذْفِها.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ، بكسرِ النون، وقرأ حَمزَةُ، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «نَسياً» بفتح النونِ، قال الفَرَّاءُ: وأصحابُ عبدِ اللهِ يقرؤون: «نَسياً» بفتحِ النون وسائرُ العرب بكَسْرِها، وهما لُغتان، مثل الجَسر والجِسر، والوَتر والوِتر، والفتحُ أحبُّ إليَّ، قال أبو عليٍّ الفارِسيُّ: الكسرُ على اللُّغتين. وقال ابنُ الأنبَاري: مَنْ كسرَ النونَ قال: النِسي: اسمٌ لِمَا يُنسَى، بمنزلة البِغض اسمٌ لِمَا يُبْغَضُ، والسِّب اسمٌ لِمَا يُسَبُّ. والنَسي بفتح النونِ: اسمٌ لِمَا يُنسَى أيضاً على أنه مصدرٌ نابَ عن الاسم، كما يقال: الرجل دَنِف، ودَنَف، فالمكسور: هو الوصفُ الصحيحُ، والمفتوحُ: مصدرٌ سَدَّ مَسَدَّ الوصفِ. ويمكن أن يكون النِسي والنَسي اسمَيْنِ لمعنًى، كما يُقال: الرِّطل والرَّطل.

وللمفسِّرين في قوله تعالى: ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: يا ليتَني لم أكُنْ شيئاً، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ وبه قال عطاءٌ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: «وكنت نسياً منسياً» أي دَمَ حَيضَةٍ مُلقاةٍ[3]،

---

(١) سورة الكهف: ٦٢. (٢) سورة الكهف: ٩٦.

(٣) هذا قول باطل، وهو من بدع التأويل، فيه التنقص من مقام السيدة مريم عليها السلام. والصواب قول ابن =

قاله مُجاهِدٌ، وعبدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ. قال الفَرَّاءُ: النَّسي: ما تُلقيهِ المرأةُ مِنْ خِرَقِ اعتِلالِها. وقال ابنُ الأنباري: هي خِرَقُ الحِيَضِ تُلقيها المرأةُ فلا تطلُبها ولا تَذكُرها. **والثالث**: أنه السِّقْطُ، قاله أبو العَالِيَة والرَّبيعُ. **والرابع**: أنَّ المعنى: ليتَني لا يُدرَى مَنْ أنا، قاله قتَادَةُ. **والخامس**: أنه الشيءُ التَّافِهُ يَرتَحِلُ عنه القومُ، فيَهُونُ عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابنُ السَّائِبِ، وقال أبو عُبيدَةَ: النِّسي والمَنْسِي: ما يُنسى مِنْ إدَاوَةٍ وعصا. يعني أنه يُنسى في المنزل فلا يُرجَعُ إليه لاحتقارِ صاحبه إيَّاهُ. وقال الكِسَائيُّ: معنى الآية ليتَني كنتُ ما إذا ذُكِرَ لم يُطْلَبْ.

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصم: «مَنْ تَحتَها» بفتحِ الميم، والتاء. وقرأ نافعٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «مِنْ تَحتِها» بكسر الميم والتاء، فمَنْ قرأ بكسرِ الميم، ففيه وجهان[1]: **أحدهما**: ناداها المَلَكُ مِنْ تَحت النَّخلةِ. وقيل: كانت على نَشزٍ، فناداها المَلَكُ أسفلَ منها. **والثاني**: ناداها عيسى لمَّا خرج مِنْ بطنها. قال ابنُ عباسٍ: كلُّ ما رفعتَ إليه طَرْفكَ، فهو فوقَكَ، وكلُّ ما خَفضْتَ إليه طَرفَكَ، فهو تحتَكَ. ومَنْ قرأ ﴿مَن تَحۡتَهَآ﴾ بفتح الميم، ففيه الوجهان المذكوران، وكان الفَرَّاءُ يقول: ما خاطبَها إلاَّ المَلَكُ على القراءتين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ فيه قولان[2]: **أحدهما**: أنه النَّهر الصغير، قاله جمهورُ المُفسِّرين، واللغويون، قال أبو صالح، وابنُ جُرَيج: هو الجَدوَلُ بالسّريانيَّةِ. **والثاني**: أنه عيسى كان سَرِيًّا مِنَ الرجال، قاله الحسَنُ، وعِكرمَةُ، وابنُ زَيدٍ، قال ابنُ الأنباري: وقد رجع الحسَنُ عن هذا القول إلى القولِ الأوَّل، ولو كان وصفاً لعيسى، كان غُلاماً سَرِيًّا أو سَرِيًّا مِنَ الغِلمان، وقلَّما تقولُ العرب: رأيتُ عندكَ نبيلاً، حتى يقولوا: رجلاً نبيلاً.

فإنْ قيلَ: كيف ناسَبَ تسليتَها أنْ قيلَ: لا تحزني، فهذا نَهرٌ يجري؟ فالجواب مِنْ وجهين: **أحدهما**: أنها حَزِنتْ لجَدْبِ مكانها الذي وَلَدَتْ فيه، وعَدَمِ الطعام والشراب والماء الذي يُتَطَهَّرُ به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لكِ نهراً، وأطلعنا لكِ رُطَباً، قالَه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها حَزِنتْ لِمَا جرى عليها مِنْ ولادة وَلَدٍ عن غير زوج، فأجرى اللَّهُ تعالى لها نَهراً، فجاءها مِنَ الأُردُن، وأخرجَ لها الرَّطبَ مِنَ الشجرة اليابسة، فكان ذلكَ آيةً تدلُّ على قُدرةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في إيجاد عيسى، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾ الهزُّ: التَّحريكُ. والباءُ في قوله تعالى: ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدهما**: أنها زائدةٌ، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال الفَرَّاءُ: معناه: فليَمْدُدْ سَبباً. والعرب تقول: هَزَّهُ، وهَزَّ به، وخُذِ الخِطَامَ وخُذْ بالخِطَامِ، وتَعَلَّقَ زيداً وتَعلَّقَ به. **والثاني**: أنها مؤكِّدةٌ، كقول الشاعر:

نَضرِبُ بالسَّيفِ ونرجو بالفَرَجِ[3]

= عباس وغيره المتقدم، وكذا قول قتادة الآتي.

(١) الراجح أنه جبريل عليه السلام، وعيسى إنما تكلم أمام القوم، وكان أول ما نطق به هو العبودية لله تعالى.

(٢) القول الأول هو الصواب، وهو الذي اختاره الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٣٠.

(٣) هو شطر من الرجز لراجز من بني جعدة، وهو في «الخزانة» ٤/ ١٥٩.

هذا مذهبُ أبي عُبيدَةَ.

والثالث: أنها دخلت على الجِذْعِ لِتُلصِقهُ بالهَزِّ، فهي مُفيدةٌ للالصاق، قاله ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿تُسَٰقِطْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «تَسَّاقط» بالتاء مشددةَ السين، وقرأ حَمزَةُ، وعبدُ الوارثِ: «تَسَاقط» بالتاء مفتوحةً مخفَّفةَ السينِ، وقرأ حَفصٌ عن عَاصِم: «تُساقِط» بضمِّ التاء وكسرِ القاف مخفَّفةَ السين، وقرأ يعقوبُ، وأبو زيدٍ عن المُفضَّل: «يَسَّاقَط» بالياء مفتوحةً وتشديدِ السين وفتحِ القاف. فهذه القِراءاتُ المشاهيرُ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو حَيْوَةَ: «يَسْقُط» بفتحِ الياء وسكونِ السين ورفعِ القاف. وقرأ عبدُ الله بنُ عمرٍو، وعائشةُ، والحسَنُ: «يُساقِط» بألفٍ وتخفيفِ السين ورفعِ الياء وكسرِ القاف. وقرأ الضَّحَّاكُ، وعمرُو بنُ دِينارٍ: «يُسْقِط» برفعِ الياء وكسرِ القاف مع سكونِ السين وعدم الألِفِ. وقرأ عَاصِمٌ الجَحدرِيُّ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني مثلَهُ، إلاَّ أنه بالتاء. وقرأ مُعاذٌ القارئ، وابنُ يَعمَرَ مثلَهُ، إلاَّ أنه بالنون. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تَسْقُطُ» بالتاء مفتوحةً مع سكون السين ورفع القاف. وقرأ أبو السَّمَّال العَدَويّ، وابنُ حذلم: «تتساقط» بتاءَين مفتوحين وبألِفٍ. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «يَسَّاقط» فالمعنى: يتساقَطُ، فأُدغِمَتِ التاءُ في السين. ومَنْ قرأ «تَسَّاقط» فكذلك أيضاً، وأنَّثَ لأنَّ لفظَ النَّخلةِ مأنَّثٌ. ومَنْ قرأ «تساقط» بالتاءِ والتَّخفيفِ، فإنه حَذَفَ مِنْ «تتساقط» اجتماعَ التاءين. ومَنْ قرأ «يُساقط» ذهب إلى معنى: يُساقِط الجِذْعُ عليكِ. ومَنْ قرأ «نُساقط» بالنون، فالمعنى: نحنُ نُساقط عليكِ، فنجعله لكِ آيةً، والنحويون يقولون: إنَّ «رطباً» منصوبٌ على التَّمييز إذا قلتَ: يسَّاقط أو يتساقط، المعنى: يتساقط الجِزْعُ رُطباً. وإذا قلتَ: تسَّاقط بالتاء، فالمعنى: تتساقط النَّخلةُ رُطباً.

قوله تعالى: ﴿جَنِيًّا﴾ قال الفَرَّاءُ: الجَنِيّ: المُجتَنَى، وقال ابنُ الأنبَاري: هو الطَّرِيُّ، والأصل: مَجْنُوٌّ، صُرِفَ مِنْ مَفعُولٍ إلى فَعِيلٍ، كما يقال: قَدِيْد، وطَبِيخ، وقال غيره: هو الطَّرِيُّ بغُبارة؛ ولم يكن لتلكَ النَّخلةِ رأسٌ، فأنبتَهُ اللهُ تعالى، فلما وَضَعتْ يدَها عليه، سَقَطَ الرُّطَبُ رَطْباً وكان السَّلَف يستحبُّون للنُّفساءِ الرُّطَبَ مِنْ أجل مريمَ عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿فَكُلِي﴾ أي: مِنَ الرُّطَبِ ﴿وَاشْرَبِي﴾ مِنَ النَّهرِ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بولادةِ عيسى عليه السلام. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: قَرِرتُ به عَيناً أقَرُّ، بفتح القاف في المستقبل وقررت في المكان أقر بكسر القاف، «وعيناً»: منصوبٌ على التَّمييز. وروى ابنُ الأنباري عن الأصمَعِي أنه قال: معنى «وقرّي عيناً»؛ ولتَبْرُدْ دَمعتُكِ، لأنَّ دمعةَ الفَرَحِ باردةٌ، ودمعة الحزنِ حارَّةٌ. واشتقاقُ «قرّي» مِنَ القرور، وهو الماء البارِدُ. وقال لنا أحمدُ بنُ يَحيى: تفسيرُ «قرّي عيناً» بَلَغَتِ غَاية أَمَلِكِ حتى تَقَرَّ عينُكِ مِنَ الاستِشرَافِ إلى غيره. واحتجَّ بقول عمرو بنِ كُلثوم:

بِيَومِ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وطَعناً أَقَرَّ بِهِ مَوالِيكَ العُيُونا[1]

أي ظَفِرُوا وبَلَغُوا مُنتهى أُمْنِيتِهم، فقرَّت أعينهم مِنْ تَطَلُّعٍ إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو مِجْلَز، وابنُ السَّمَيْفع، والضَّحَّاكُ، وأبو العَالِية،

---

(١) البيت في «مختار الشعر الجاهلي» ٢/ ٣٦٢ و «اللسان» ـ قرر ـ.

وعَاصِمُ الجَحدرِيُّ: «ترئِنَّ» بهمزةٍ مكسورةٍ مِنْ غير ياءٍ. أي: إنْ رأيتِ مِنَ البشرِ أحداً فقولي؛ وفيه إضمارٌ تقديره: فسَألَكِ عن أمرِ وَلدِكِ. ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: صمتاً، قاله ابنُ عباسٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، والضحاك. وكذلك قرأ أبي بن كعب وأبو رَزِينٍ العَقيليّ: «صمتاً» مكانَ قوله: «صوماً» وقرأ ابنُ عباسٍ: صياماً. **والثاني**: صوماً عن الطعام والشراب والكلام، قاله قتَادَةُ. وقال ابنُ زيدٍ: كان المُجتهدُ مِنْ بني إسرائيلَ يصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام، إلاَّ مِنْ ذِكرِ الله عزَّ وجلَّ. قاله السُّدِّيُّ: فأَذِنَ لها أنْ تتكلَّمَ بهذا القَدْرِ ثم تَسكت. قال ابنُ مسعودٍ: أُمِرَتْ بالصَّمتِ، لأنها لم تكن لها حُجَّةٌ عند الناس، فأُمِرَتْ بالكَفِّ عن الكلام ليكفيَها الكلامَ وَلدُها بما يُبرِّئُ به ساحتَها. وقيل: كانت تُكلِّمُ الملائكةَ ولا تُكلِّمُ الإنسَ. قال ابنُ الأنباري: الصومُ في لغة العرب على أربعةِ مَعانٍ، يقال: صومٌ لتَركِ الطعام الشراب وصَومٌ للصَّمتِ، وصومٌ لضَرْبٍ مِنَ الشجر، وصومٌ لذَرْقِ النَّعامِ.

واختلف العلماء في مقدار سِنِّ مريمَ يومَ ولاَدتِها على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ولَدَتْ وهي بنتُ خمسَ عشرةَ سنةً، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِهٍ. **والثاني**: بنتَ اثنتي عشرَة، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ. **والثالث**: بنتَ ثلاثَ عشرةَ سنةً، قاله مُقاتِلٌ.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ قال ابنُ عباسٍ في رواية أبي صالحٍ: أتتهم به بعدَ أربعين يوماً حين طَهُرَتْ مِنْ نَفاسِها. وقال في رواية الضَّحَّاكِ: انطلق قومُها يطلبُونها، فلمَّا رَأتهم حَملَتْ عيسى فتلقَّتْهُم به، فلذلكَ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

فإنْ قيلَ: «أتت به» يغني عن «تحمله» فما فائدةُ التَّكريرِ؟ فالجواب: أنه لمَّا ظهرت منه آياتٌ، جازَ أنْ يتوهَّمَ السامعُ «فأتت به» أن يكونَ ساعِياً على قدميه، فيكون سَعيُه آيةً كنُطقِهِ، فقطعَ ذلك التَّوهُّمَ، وأعلَمَ أنه كسائرِ الأطفال، وهذا مِثلُ قولِ العرب: نظرتُ إلى فُلانٍ بَعَيْني، فنفَوْا بذلك نَظر العطف؛ والرَّحمة، وأثبتوا أنه نَظَرُ عَيْنٍ. وقال ابنُ السَّائِبِ: لمَّا دخلت على قومها بَكَوْا، وكانوا قوماً صالحين؛ و ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: شيئاً عظيماً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، قال الفَرَّاءُ: الفَرِيُّ: العظيم، والعرب تقول: تركتُه يَفرِي الفَرِيَّ، إذا عمل فأجادَ العملَ فَفَضَلَ الناسَ، قيل هذا فيه.

[٩٥٤] قال النبيُّ ﷺ: «فما رأيتُ عبقَرِياً يَفري فَرْيَ عمرَ».

---

[٩٥٤] صحيح. وهو بعض حديث عبد الله بن عمر أخرجه البخاري ٣٦٣٣ و ٣٦٨٢ ومسلم ٢٣٩٣ والترمذي ٢٢٩٠ =

والثاني: عَجَباً فائقاً، قاله أبو عُبيدَة. **والثالث**: شيئاً مصنوعاً، ومنه يُقال: فَرَيتَ الكذبَ، وافتَريتَهُ، قاله اليَزيديُّ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ في المراد بهارونَ هذا خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أخٌ لها مِنْ أُمِّها، وكان مِنْ أمثَلِ فتىً في بَني إسرائيلَ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقال الضَّحَّاكُ: كان مِنْ أبيها وأُمِّها. **والثاني**: أنها كانت مِنْ بَني هارونَ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. وقال السُّدِّيُّ: كانت مِنْ بني هارونَ أخي موسى عليهما السلامُ، فنُسِبَتْ إليه، لأنها مِن وَلَدِهِ. **والثالث**: أنه رجلٌ صالحٌ كان من بني إسرائيلَ، فشَبَّهوها به في الصَّلاحِ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وقَتادَةَ، ويدلُّ عليه ما روى المُغيرَةُ بنُ شُعبَةَ قال:

[٩٥٥] بَعثني رسولُ الله ﷺ إلى أهلِ نَجرَانَ، فقالوا: أَلَستُم تقرؤون: «يا أخت هارون» وقد عَلِمتُم ما كان بينَ موسى وعيسى؟ فلَمْ أدرِ ما أُجيبُهم، فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرتُه، فقال: «ألاَ أخبرتَهم أنهم كانوا يُسَمُّون بأنبيائِهم والصَّالحينَ قَبْلَهُم».

والرابع: أنَّ قومَ هارونَ كان فيهم فُسَّاقٌ وزُناةٌ، فنَسبُوها إليهم، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

والخامس: أنه رجلٌ مِنْ فُسَّاقِ بَني إسرائيلَ شبَّهوها به، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ.

فعلى هذا يُخرَّجُ في معنى «الأخت» قولان: **أحدهما**: أنها الأختُ حقيقةً. **والثاني**: المُشابَهَةُ، لا المُناسبةُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا﴾(١).

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ يعنون: عِمرانَ ﴿ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ﴾ حنَّةُ ﴿بَغِيّٗا﴾ زانيةً، فمِنْ أين لكِ هذا الولدُ؟!

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتۡ﴾ أي: أومأَتْ ﴿إِلَيۡهِۖ﴾ أي: إلى عيسى فتكلَّم، وقيل المعنى: أشارَتْ إليه أنْ كَلِّموه. وكان عيسى قد كَلَّمها حين أتَتْ به قومَها وقال: يا أُمَّاهُ أبشِري فإنِّي عبدُالله ومَسِيحُه، فلمَّا أشارَتْ أنْ كَلِّموه، تعجَّبوا مِنْ ذلك، و ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها زائدةٌ، فالمعنى: كيف نُكلِّم صبياً في المَهْدِ؟! **والثاني**: أنها في معنى: وقَع، وحدَث. **والثالث**: أنها في معنى الشَّرطِ والجزاء، فالمعنى: مَنْ يكُن في المَهْدِ صبياً، فكيف نُكلِّمه؟! حكاها الزَّجَّاجُ واختار الأخير منها، قال ابنُ الأنبَاري: وهذا كما تقول: كيف أَعِظُ مَنْ كان لا يقبلُ مَوعِظَتي؟! أي: مَنْ يكن لا يقبلُ، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجَزاء. **والرابع**: أنَّ «كان» بمعنى صار، قاله قُطرُبٌ. وفي المراد بالمَهْدِ قولان: **أحدهما**: حِجرُها، قال نَوفٌ، وقَتادَةُ، والكَلبيُّ. **والثاني**: سريرُ الصَّبي

= وأحمد ٢/ ٢٧ ـ ٢٨ و ٨٩ و ٦٠٤ وأبو يعلى ٥٥١٤. وصدره «رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غرباً. فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن».

[٩٥٥] صحيح. أخرجه مسلم ٢١٣٥ والترمذي ٣١٥٥ والنسائي في «التفسير» ٣٣٥ والواحدي في «**الوسيط**» ٣/ ١٨٢ والطبري ٢٣٦٩٢ من طرق عن المغيرة بن شعبة به.

---

(١) سورة الزخرف: ٤٨.

المعروف، حكاه الكَلبيُّ أيضاً.

قال السُّدِّيُّ: فلمَّا سمع عيسى كلامَهُم، لم يَزِدْ على أن تَركَ الرَّضاعَ، وأقبلَ عليهم بوَجْهِه، فقال: إنِّي عبدُ الله، قال المُفسِّرون: إنما قَدَّم ذِكرَ العبودية، لِيُبطِلَ قولَ مَنِ ادَّعى فيه الرُّبوبيةَ.

وفي قوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أسكَنَ هذه الياءَ حَمزَةُ. وفي معنى الآيةِ قولان: **أحدهما**: أنه آتاهُ الكتابَ وهو في بطنِ أُمِّهِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وقيلَ: عَلِمَ التَّوراةَ والإنجيلَ وهو في بطنِ أُمِّهِ. **والثاني**: قضى أنْ يُؤتيَني الكتابَ، قاله عِكرِمَةُ. وفي الكتاب قولان: **أحدهما**: أنه التَّوراةُ. **والثاني**: الإنجيلُ. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ هذا وما بعده إخبارٌ عمَّا قضى اللهُ له وحَكَمَ له به ومَنَحَهُ إيَّاهُ ممَّا سيظهر ويكون. وقيل: المعنى: يُؤتيني الكتابَ وَيَجعلُني نبياً إذا بَلَغتُ؛ فحَلَّ الماضي مَحَلَّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾[1]. وفي وقتِ تكليمِهِ لهم قولان: **أحدهما**: أنه كلَّمَهُم بعد أربعينَ يوماً. **والثاني**: في يومه. وهو مبنيٌّ على ما ذكرنا مِنَ الزمان الذي غابَتْ عنهم فيه مريمُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

[٩٥٦] روى أبو هُريرةَ عن رسولِ الله ﷺ في هذه الآيةِ قال: «نَفَّاعاً حيثُما توجَّهتُ». وقال مُجاهِدٌ: مُعلِّماً للخير.

وفي المُراد «بالزكاة» قولان: **أحدهما**: زكاةُ الأموالِ، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني**: الطهارة: قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ قال ابنُ عباس: لمَّا قال هذا، ولم يَقُلْ: «بوالديّ» علموا أنه وُلِدَ مِنْ غير بَشَرٍ. قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي: مُتعظِّماً ﴿شَقِيًّا﴾ عاصياً لربه ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ قال المفسِّرون: السلامة عليَّ مِنَ الله يومَ وُلِدتُ حتى لم يَضُرَّني شيطانٌ. وقد سبق تفسيرُ الآية. فإنْ قيلَ: لِمَ ذكرَ هاهنا «السلام» بألِفٍ ولام، وذكرَهُ في قصة يَحيى بلا ألِفٍ ولام؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه لمَّا جرى ذِكرُ السلام قبلَ هذا الموضع بغير ألِفٍ ولام، كان الأحسَنُ أنْ يَرِدَ ثانيةً بألِفٍ ولام، هذا قولُ الزَّجَّاج. وقد اعتُرِضَ على هذا القول، فقيلَ: كيفَ يجوز أنْ يُعطَفَ هذا وهو قولُ عيسى، على الأوَّلِ وهو قولُ الله عزَّ وجلَّ؟! وقد أجاب عنه ابنُ الأنبَاري فقال: عيسى إنما يتعلَّمُ مِنْ ربِّه، فيجوز أن يكونَ سَمِعَ قولَ الله في يَحيى، فبَنى عليه وألصَقَهُ بنفسه، ويجوز أن يكون الله عزَّ وجلَّ عَرَّفَ السَّلامَ الثاني لأنه أتى بعد سلام قد ذكَرَهُ، وأجراه عليه غيرَ قاصدٍ به إتباعَ اللفظِ المَحكيِّ، لأنَّ المتكلمَ، له أنْ يُغيِّر بعضَ الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبدُ الله: أنا رَجُلٌ مُنصِفٌ، يريد: قال لي عبدُ الله: أنتَ رَجُلٌ مُنصِفٌ. **والجواب الثاني**: أنَّ سلاماً والسَّلامُ لُغتان بمعنًى واحدٍ، ذكره ابنُ الأنبَاري.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

---

[٩٥٦] ضعيف. أخرجه أبو نعيم ٣/ ٢٥ من حديث الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً، وهذا منقطع الحسن لم يسمع من أبي هريرة، والأشبه كونه من كلام الحسن أو أبي هريرة، والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة: ١١٦.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي، ذلك الذي قال: إني عبدُالله، هو ابنُ مريمَ، لا ما تقول النَّصارى: إنه ابنُ الله، وإنه إلهٌ. قوله تعالى: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، ونافعٌ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «قولُ الحق» برفع اللام. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ بنصب اللام. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ رفعَ «قولُ الحق» فالمعنى: هو قولُ الحقِّ، يعني هذا الكلامَ؛ ومَنْ نصبَ، فالمعنى: أقولُ قولَ الحقِّ. وذكرَ ابنُ الأنباري في الآيةِ وجهين: **أحدهما**: أنه لمَّا وُصِفَ بالكلمة جازَ أن يُنعتَ بالقولِ. **والثاني**: أنَّ في الكلام إضماراً، تقديره: ذلك نبأُ عيسى، ذلك النَّبأ قولُ الحقِّ. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يَشُكُّون. قال قَتادةُ: امترَتِ اليهودُ فيه والنَّصارى، فزعم اليهودُ أنه ساحرٌ، وزعمَ النَّصارى أنه ابنُ الله وثالثُ ثلاثةٍ. قرأ أبو مِجْلَز، ومعاذٌ القارئُ، وابنُ يَعْمَر، وأبو رَجَاءٍ: «تمترون» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنْ يتَّخذَ وَلَداً. و«مِنْ» مؤكِدَةٌ تدُل على نفي الواحد والجماعة، لأنَّ للقائلِ أن يقول: ما اتخذتُ فَرَساً، يريد: اتَّخذتُ أكثرَ مِنْ ذلك، وله أن يقول: ما اتَّخذتُ فَرَسَين ولا أكثرَ، يريد: اتَّخذتُ فَرَساً واحداً؛ فإذا قال: ما اتَّخذتُ مِنْ فرسٍ، فقد دَلَّ على نفي الواحدِ والجميع. قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وقرأ أبو عِمرَانَ الجَوْني، وابنُ أبي عَبلَةَ: «فيكونَ» بالنَّصبِ، وقد ذكرنا وَجْهَهُ في سُورةِ البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ؛ وأبو عمروٍ: «وأنّ الله» بنصبِ الألف، وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «وإن الله» بكسر الألِفِ. وهذا مِنْ قول عيسى؛ فمَنْ فَتح، عَطَفَهُ على قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وبأنَّ الله ربِّي؛ ومَنْ كَسر، ففيه وجهان: **أحدهما**: أن يكونَ معطوفاً على قوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾. **والثاني**: أن يكونَ مُستأنفاً.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ قال المفسِّرون: «مِنْ» زائدةٌ، والمعنى: اختلفوا بينهم. وقال ابنُ الأنبَاري: لمَّا تمسَّكَ المؤمنون بالحقِّ، كان اختلافُ الأحزابِ بين المؤمنين مقصُوراً عليهم. وفي الأحزاب قولان: **أحدهما**: أنهم اليهودُ والنَّصارى، فكانت اليهودُ تقول: إنه لَغَيْرِ رِشْدَةٍ، والنَّصارى تدَّعي فيه ما لا يَليقُ به. **والثاني**: أنهم فِرَقُ النَّصارى، قال بعضُهم، يعني اليَعقوبيَّةَ: هو اللهُ، وقال بعضُهم، يعني النسطُوريَّةَ: ابنُ الله، وقال بعضُهم: ثالثُ ثلاثةٍ.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بقولهم في المَسيحِ ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: مِنْ حُضورِهم ذلك اليومَ للجزاءِ.

قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ لفظَهُ لفظُ الأمرِ، ومعناه الخَبرُ؛

---

(١) سورة البقرة: ١١٧.

فالمعنى: ما أَسْمَعَهُم وأبصرَهُم يوم القيامة، سمعوا وأبصروا حينَ لم يَنفَعْهُم ذلك لأنهم شاهدوا مِنْ أمرِ الله ما لا يحتاجون معه إلى نَظرٍ وفِكرٍ فعلموا الهُدى وأطاعوا، وهذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أَسْمِع بحديثِهم اليومَ، وأبصِرْ كيف يُصنَعُ بهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، قاله أبو العَالِية. قوله تعالى: ﴿لَكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني المشركين والكفَّارَ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يعني في الدنيا ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ أي: خَوِّفْ كفَّار مكَّةَ ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ يعني: يومَ القيامة يَتَحَسَّرُ المُسيءُ إذا لم يُحْسِنْ، والمُقصِّرُ إذ لم يَزْدَدْ مِنَ الخير. ومُوجباتُ الحَسرةِ يومَ القيامة كثيرةٌ، فمِنْ ذلك ما رَوى أبو سعيدٍ الخُدريُّ، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٩٥٧] «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النارِ النارَ، قيل: يا أهلَ الجنَّةِ، فيَشرئبُّون وينظرون، وقيل: يا أهلَ النار فيشرئبون وينظرون فيُجاءُ بالموتِ كأنه كَبْشٌ أَملَحُ، فيُقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموتُ، فيُذبَحُ، ثم يقال: يا أهلَ الجنة خلودٌ فلا مَوتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موتَ؛ ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾». قال المُفسِّرون: فهذه هي الحَسرةُ إذا ذُبِحَ الموتُ، فلو مات أحدٌ فرحاً ماتَ أهلُ الجنَّةِ، ولو مات أحدٌ حُزناً ماتَ أهلُ النار.

ومِنْ مُوجباتِ الحَسرةِ ما روى عَدِيُّ بنُ حاتمٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٩٥٨] «يُؤتى يومَ القيامةِ بناسٍ إلى الجنَّةِ، حتى إذا دَنَوْا منها واستَنْشَقُوا رِيحَها ونظروا إلى قُصورِها، نُودُوا: أنِ اصرِفُوهم عنها، لا نَصيبَ لهم فيها، فيرجعون بحَسرةٍ مَا رَجعَ الأوَّلُون بمِثْلِها. فيقولون: يا رَبَّنا لو أدخلْتَنا النارَ قبلَ أنْ تُرِيَنا ما أريتَنا كان أهونَ علينا؛ قال: ذلكَ أردتُ بكُم، كنتُم إذا خَلَوْتُم بارزتُموني بالعَظائِم، وإذا لَقِيتُمُ الناسَ لَقِيتُوهم مُخبِتِينَ[١]، تُراؤونَ الناس بخِلافِ ما تُعطوني مِنْ قُلوبِكُم، هِبْتم[٢] الناسَ ولم تَهابُوني، وأجلَلْتُم[٣] الناسَ ولم تُجلُّوني، تركتُم للناس ولم تَتركُوا لِي، فاليومَ أُذيقُكم العذابَ مع ما حَرمتُكم مِنَ الثَّواب».

ومِنْ مُوجباتِ الحَسرةِ ما رُوي عن ابنِ مسعودٍ قال: ليس مِنْ نَفْسٍ يومَ القيامة إلاَّ وهي تنظر إلى بيتٍ في الجنة، وبيتٍ في النار، ثم يُقال: يعني لهؤلاءِ: لو عَملتُم، ولأهلِ الجنَّةِ: لولا أنْ مَنَّ اللهُ

---

[٩٥٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٣٠ ومسلم ٢٨٤٩ وأحمد ٣/ ٩ والترمذي ٢٥٥٨ وأبو يعلى ١١٧٥ وابن حبان عقب حديث ٧٤٧٤ من حديث أبي سعيد. وورد من حديث ابن عمر أخرجه البخاري ٦٥٤٨ ومسلم ٢٨٥٠. وفي الباب أحاديث كثيرة. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٦٠ بتخريجنا.

[٩٥٨] ضعيف جداً. أخرجه ابن حبان في «المجروحين» ٣/ ١٥٥ ـ ١٥٦ وأبو نعيم ٤/ ١٢٥ والطبراني ١٧/ ٨٥ ـ ٨٦ والبيهقي في «الشعب» ٦٨٠٩ من حديث عدي بن حاتم، ومداره على أبي جنادة حصين بن مخارق، وهو متروك، واتهمه الدارقطني بالوضع. وقال ابن حبان: لا يجوز الرواية عنه. ومع ذلك قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٢٠/ ١٧٦٤٩: أبو جنادة ضعيف!!؟. والصواب أنه ضعيف جداً، والخبر شبه موضوع.

---

(١) الإخبات: الخشوع والتواضع.

(٢) هبتم: خفتم الناس وحسبتم لهم حساباً.

(٣) أجللتم: عظمتم.

عليكم. ومِنْ مُوجباتِ الحَسرةِ: قَطعُ الرَّجاءِ عند إطبَاقِ النار على أهلِها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال ابنُ الأنباري: «قُضي» في اللغة بمعنى: أُتقِنَ وأُحكِمَ، وإنما سُمِّي الحَاكِمُ قاضياً، لإِتقانِه وإحكَامِه ما يُنفِّذُ. وفي الآية اختصارٌ، والمعنى: إذ قُضِيَ الأمرُ الذي فيه هَلاكُهم. وللمُفسِّرين في الأمرِ قولان: **أحدهما**: أنه ذبحُ الموتِ، قاله ابنُ جُرَيجٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنّ المعنى: قُضِيَ العذابُ لهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ هم في الدنيا في غفلة عمَّا يُصنع بهم ذلك اليومَ ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما يكون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: نُميتُ سُكَّانها فنرِثُها ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت. فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في «نحن» وقد كَفَتْ عنها «إنّا»؟. فالجواب: أنه لمَّا جاز في قول المُعَظَّم: «إنّا نفعل» أنْ يُتوهَّمَ أنَّ أتباعَهُ فعلوا، وأبانَتْ «نحن» بأنَّ الفعلَ مضافٌ إليه حقيقةً. فإنْ قيلَ: فلِمَ قال: «ومَنْ عليها» وهو يَرِثُ الآدميين وغيرَهم؟! فالجواب: أنَّ «مَنْ» تختصُّ أهلَ التَّمييزِ، وغيرُ المُميِّزين يدخلون في معنى الأرضِ ويجرون مَجرَاها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابنُ الأنباري.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا
يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا
تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ
لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟
رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ
وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: أُذكُر لقومكَ قصتَهُ. وقد سبقَ معنى الصِّدّيقِ[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يدفعُ عنكَ ضرّاً.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالله والمعرفة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ أي: لا تُطِعهُ فيما يأمرُ به مِنَ الكُفرِ والمعاصي. وقد شرحنا معنى «كان» آنِفاً. و ﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصياً، فهو «فَعِيل» بمعنى «فاعِل».

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قال مُقاتِلٌ: في الآخرة؛ وقال غيرُه: في الدنيا، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ أي: قريباً في عذاب الله، فَجرَتِ المقارنةُ مجرى المُوالاةِ. وقيل: إنما طَمِعَ إبراهيمُ في إيمانِ أبيه، لأنه حينَ خرج مِنَ النار قال له: نِعْمَ الإلهُ إلهُكَ يا إبراهيم، فحِينئذٍ أقبلَ يَعِظه، فأجابَهُ أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾! أي: أتاركٌ عبادتَها أنتَ؟! ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن

(١) سورة النساء: ٦٩.

عَيبِها وشتمِها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: بالشَّتم والقولِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: بالحجارة حتى تَتباعدَ عني، قاله الحَسَنُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اهجُرني طويلاً، رواه مَيمُونُ بنُ مِهرَانَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، والفَرَّاءُ، والأكثرون. قال ابنُ قُتَيبةَ: اهجُرني حِيناً طويلاً، ومنه يُقالُ: تَمَلَّيت حَبيبكَ. **والثاني**: اجتَنِبْني سالماً قبلَ أنْ تُصيبَكَ عُقوبتي، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والضَّحَّاكُ؛ فَعَلى هذا يكون مِنْ قولِهم: فلانٌ مَليءٌ بكذا وكذا: إذا كان مُضطَلِعاً به، فالمعنى: اهجُرني وعِرضُكَ وافِرٌ، وأنتَ سليمٌ مِنْ أذايَ، قاله ابنُ جَريرٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ أي: سَلِمتَ مِنْ أنْ أُصِيبَكَ بمكروهٍ، وذلك أنه لم يُؤمَرْ بقتاله على كُفرِه، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: سأسألُ اللهَ لكَ تَوبةً تَنالُ بها مغفرتَهُ. **والثاني**: أنه وَعَدَهُ الاستغفارَ وهو لا يعلم أنَّ ذلك محظورٌ في حقِّ المُصِرِّينَ على الكُفرِ، ذكرهما ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لطيفاً، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: رحيماً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: بارّاً عَوَّدَني منه الإجابةَ إذا دَعوتُهُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أي: وأتنحّى عنكم، ﴿و﴾ أعتزِلُ ﴿ما تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام. وفي معنى «تَدْعُون» قولان: **أحدهما**: تَعْبُدون. **والثاني**: أنَّ المعنى: وما تدعُونه رَبّاً، ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ أي وأعبُدُه ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ أي أرجو أنْ لا أشقَى بعبادته كما شَقِيتُم أنتم بعبادة الأصنام، لأنها لا تَنفعُهم ولا تُجيبُ دُعاءَهم ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ﴾ قال المُفسِّرون: هاجَرَ عنهم إلى أرضِ الشَّام، فوَهَبَ اللهُ له إسحاقَ ويعقوبَ، فآنسَ اللهُ وَحشتَهُ عن فهراقِ قومه بأولادٍ كِرامٍ. قال أبو سُليمانَ: وإنما وَهَبَ له إسحاقَ ويعقوبَ بعدَ إسماعيلَ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾ أي وكُلاً مِنْ هذَين. وقال مُقاتِلٌ: ﴿وَكُلًّا﴾ يعني إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ قال المُفسِّرون: المالُ والوَلَدُ والعِلْمُ والعملُ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أي ذِكراً حَسَناً في النَّاس مُرتفعاً، فجميعُ أهلِ الأديان يَتولَّون إبراهيمَ وذُريَّتَه ويُثنُون عليهم، فوضعَ اللسانَ مكانَ القولِ، لأنَّ القولَ يكون باللسانِ.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والمُفَضَّلُ عن عَاصِمٍ: «مُخلِصاً» بكسرِ اللام. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ بفتح اللام. قال الزَّجَّاجُ: **المُخلِص**، بكسرِ اللام: الذي وَحَّدَ اللَّهَ، وجعل نفسَهُ خالصةً في طاعة الله غيرَ دَنِسَةٍ، والمُخلَص، بفتح **اللام**: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدَّنس.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ قال ابنُ الأنباري: إنما أعادَ «كان» لِتفخيمِ شأن النَّبيِّ المذكور.

قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي: مِنْ ناحية الطُّورِ، وهو جبلٌ بين مِصرَ ومَدْينَ اسمه زَبِير. قال ابنُ الأنباري: إنما خاطبَ اللَّهُ العربَ بما يستعملون في لُغتهم، ومِنْ كلامهم: عن يمينِ القِبلَةِ وشَمالها، يَعنُون: ممَّا يلي يمينَ المُستقبِلِ لها وشمالَهُ، فنقلوا الوصفَ إلى ذلك اتِّساعاً عند انكشاف المعنى، لأنَّ الوادي لا يَدَ لَهُ فيكون له يمينٌ. وقال المُفسِّرون: جاء النِّداءُ عن يمينِ موسى، فلهذا قال: «الأيمنِ»؛ ولم يُرِدْ به يمينَ الجبل. قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ قال ابنُ الأنباري: معناه: مُناجياً، فعبَّرَ «فَعيل» عن مُفَاعِل، كما قالوا: فلانٌ خَلِيطِي وعَشِيري: يَعنُونَ: مُخالِطي ومُعاشِري. وروى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ في قوله: «وقرَّبناه» قال: حتى سمعَ صَرِيفَ القَلَمِ حين كتبَ له في الألواحِ. قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ أي: مِنْ نِعمَتِنا عليه إذ أجبنا دُعاءَهُ حين سَأل أنْ نجعلَ معه أخاه وَزِيراً له.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ هذا عامٌّ فيما بينه وبينَ الله، وفيما بينه وبينَ الناس. وقال مُجاهِدٌ: لم يَعِدْ ربَّهُ بوَعدٍ قطُّ إلاَّ وَفى له به. فإنْ قِيلَ: كيف خُصَّ بصِدْقِ الوَعدِ إسماعيلُ، وليس في الأنبياء مَنْ ليس كذلك؟ فالجواب: أنَّ إسماعيلَ عَانَى في الوفاءِ بالوَعدِ ما لم يُعانِهِ غيرُه مِنَ الأنبياء، فأُثنيَ عليه بذلك. وذكر المُفسِّرونَ: أنه كان بينه وبينَ رجلٍ مِيعادٌ، فأقامَ ينتظره مُدَّةً فيها لهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أقامَ حَوْلاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: اثنين وعشرينَ يوماً، قاله الرَّقاشي. **والثالث**: ثلاثةَ أيام، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى قومه، وهُمْ جُرْهُم. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني: قومَه. وقال الزَّجَّاجُ: أهله جميعُ أُمَّتِه. فأمَّا الصَّلاةُ والزَّكاةُ، فهُما العِبادتانِ المعروفتان.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه في السماءِ الرابعةِ.

[٩٥٩] روى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث مالكِ بنِ صَعصَعةَ عن رسولِ الله ﷺ في حديثِ المِعراجِ: أنه رأى إدريسَ في السماءِ الرابعةِ، وبهذا قال أبو سعيدٍ الخُدريُّ، ومُجاهِدٌ، وأبو العَالِية.

والثاني: أنه في السماءِ السادسةِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه في الجنَّةِ، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ، وهذا يرجع إلى الأوَّلِ، لأنه قد رُوِي أنَّ الجنَّةَ في السماءِ الرابعةِ. **والرابع**: أنه في السماء السابعةِ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

وفي سببِ صُعودِهِ إلى السماءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

[٩٦٠] **أحدها**: أنه كان يَصعدُ له مِنَ العمل مِثْلُ ما يَصعدُ لجميع بَني آدمَ؛ فأحبَّه مَلَكُ المَوتِ،

---

[٩٥٩] تقدّم في سورة الإسراء، وهو متفق عليه.

[٩٦٠] لم أره بهذا اللفظ مسنداً. وعزاه المصنف لزيد بن أسلم بمعناه، وهذا مرسل، زيد تابعي، ولم أقف على =

فاستأذنَ اللّهَ في خُلّتِه، فأَذِنَ له، فهبطَ إليه في صُورةِ آدميٍّ، وكان يَصحَبُه، فلمَّا عَرفَهُ، قال: إنّي أسألُكَ حاجةً، قال: ما هي؟ قال: تُذِيقُني الموتَ، فلعلّي أعلَمُ ما شِدَّتُه فأكونَ له أشدَّ استِعداداً؛ فأوحى اللّهُ إليه أنِ اقبِضْ رُوحَهُ ساعةً ثم أَرسِلْهُ، ففعلَ، ثم قال: كيفَ رأيتَ؟ قال: كانَ أشدَّ ممَّا بلَغني عنه، وإنّي أُحِبُّ أنْ تُرِيَني النارَ، قال: فحَملَهُ، فأراه إيَّاها؛ قال: إني أُحِبُّ أنْ تُرِيَني الجنَّةَ، فأراهُ إيَّاها، فلمَّا دَخلَها وطافَ فيها، قال له مَلَكُ المَوتِ: اخرُجْ، فقال: واللّهِ لا أخرجُ حتى يكونَ اللّهُ تعالى يُخرِجُني؛ فبعثَ اللّهُ مَلَكاً فحَكَمَ بينهما، فقال: ما تقولُ يا مَلَكَ الموتِ؟ فقصَّ عليه ما جَرى؛ فقال: ما تقولُ يا إدريسُ؟ قال: إنَّ اللّهَ تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾[1] وقد ذُقْتُه، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾[2]، وقد وَرَدْتُها، وقال لأهلِ الجنَّة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3]، فوَاللّهِ لا أخرجُ حتى يكونَ اللّهُ يُخرِجُني؛ فسمعَ هاتِفاً مِنْ فوقِه يقول: بإذني دَخلَ وبأمري فعلَ فخَلِّ سبيلَهُ؛ هذا معنى ما رَواهُ زَيدُ بنُ أَسلَمَ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ.

فإنْ سألَ سائِلٌ فقال: مِنْ أينَ لإدرِيسَ هذه الآياتُ، وهي في كتابنا؟! فقد ذكرَ ابنُ الأنبَاري عن بعضِ العلماء، قال: كان اللّهُ تعالى قد أعلَمَ إدريسَ بما ذكرَ في القرآنِ مِنْ وجوبِ الورُودِ، وامتناعِ الخُروجِ مِنَ الجنَّةِ، وغيرِ ذلك؛ فقال ما قاله بعِلْم.

والثاني: أنَّ مَلَكاً مِنَ الملائكة استأذَنَ ربَّهُ أنْ يَهبطَ إلى إدريسَ، فأَذِنَ له، فلمَّا عرفه إدريسُ، قال: هل بينكَ وبينَ مَلَكِ الموت قَرابةٌ؟ قال: ذاكَ أخي مِنَ الملائكة، قال: هل تستطيعُ أنْ تنفعَني عندَ مَلَكِ المَوتِ؟ قال: سأُكَلِّمه فيكَ، فيَرفِقُ بكَ، اركَبْ بين جناحَيَّ، فرَكِبَ إدريسُ، فصَعدَ به إلى السماءِ، فلَقِيَ مَلَكَ الموتِ، فقال: إنَّ لي إليكَ حاجةً، قال؛ أعلَمُ ما حاجَتُكَ، تُكلِّمني في إدريسَ وقد مُحِيَ اسمُه مِنَ الصَّحيفَةِ ولم يَبْقَ مِنْ أجَلِه إلاَّ نصفُ طَرفَةِ عَينٍ؟! فماتَ إدريسُ بين جناحَي مَلَكٍ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ[4] وقال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: فقبضَ مَلَكُ المَوتِ رُوحَ إدريسَ في السماءِ السادسةِ.

والثالث: أنَّ إدريسَ مشى يوماً في الشمس، فأصابَهُ وَهجُها، فقال: اللهُمَّ خَفِّفْ ثِقَلَها عمَّن يَحمِلُها، يعني به المَلَكَ المُوكَّلَ بالشمس، فلما أصبحَ المَلَكُ وجدَ مِنْ خِفَّةِ الشمس وحَرِّها ما لا يعرفُ، فسأل اللّهَ تعالى عن ذلك، فقال: إنَّ عبدي إدريسَ سألَني أنْ أُخفِّفَ عنكَ حِمْلَها وحَرَّها، فأجبْتُه، فقال: يا ربِّ اجمَعْ بيني وبينه، واجعلْ بيننا خُلَّةً، فأَذِنَ له، فأتَاهُ، فكان مما قاله إدريسُ: اشفَعْ لي إلى مَلَكِ الموتِ ليؤخِّرَ أَجَلي، فقال: إنَّ اللّهَ لا يُؤخِّرُ نَفساً إذا جاء أجلُها، ولكنْ أُكلِّمُه فيكَ، فما كان مُستطيعاً أن يفعلَ بأحدٍ مِنْ بَني آدمَ فعَلَ بكَ ثم حَملَهُ المَلَكُ على جناحِه، فرَفعهُ إلى السماء، فوضعه عند مَطْلِعِ الشمس، ثم أتى مَلَكَ الموتِ فقال: إنَّ لي إليكَ حاجةَ صديقٍ لي مِنْ بَني آدمَ تشفَّعَ بي إليكَ لِتؤخِّرَ أَجلَه، قال: ليس ذاك إليَّ، ولكن إنْ أحبَبْتَ أعلَمتُهُ متى يموتُ، فنظرَ في دِيوانِه،

= إسناده إليه، ولا يصح، والأشبه في هذا كونه متلقى عن أهل الكتاب، والله أعلم.

(١) سورة آل عمران: ١٨٥. (٢) سورة مريم: ٧١. (٣) سورة الحجر: ٤٨.

(٤) هذه الآثار مصدرها كتب الأقدمين، لا حجة في شيء منها.

فقال: إنكَ كَلَّمتَني في إنسانٍ ما أراه يموتُ أبداً، ولا أجِدُه يموتُ إلاَّ عند مَطْلِعِ الشمس، قال: إني أتيتُكَ وتركتُه هناك، قال: انطَلِقْ، فما أراكَ تجِدُهُ إلاَّ ميتاً، فوَاللَّهِ ما بقي مِنْ أجَلِه شيءٌ، فرجعَ المَلَكُ فرآه ميتاً[١]. وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ وكَعبٌ في آخرين. فهذا القولُ والذي قبلَهُ يدلأن على أنه ميتٌ، والقولُ الأول يدلُّ على أنه حيٌّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين ذكرَهم مِنَ الأنبياء في هذه السُّورة ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يعني إدريسَ ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ يعني إبراهيمَ، لأنه مِنْ وَلَدِ سَامِ بنِ نُوحٍ ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ يريد: إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ يعني ومن ذرية إسرائيل وهم موسى وهارونُ وزكريًّا ويَحيى وعيسى. قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا﴾ أي: وهؤلاءِ كانوا ممَّن أرشَدْنا، ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ أي: واصطفَينا. قوله تعالى: ﴿خَرُّواْۤ سُجَّدٗا﴾ قال الزَّجاجُ: «سُجَّداً» حالٌ مقدَّرةٌ، المعنى: خَرُّوا مُقَدِّرين السجودَ، لأنَّ الإنسانَ في حالِ خُرورِه لا يكون ساجداً، فـ «سُجَّداً» منصوبٌ على الحالِ، وهو جمعُ ساجدٍ ﴿وَبُكِيّٗا﴾ معطوفٌ عليه، وهو جَمعُ باكٍ فقد بيَّنَ اللَّهُ تعالى أنَّ الأنبياء كانوا إذا سمعوا آياتِ الله سَجَدُوا وبَكَوْا مِنْ خشيةِ الله.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأعراف[٢]. وفي المُراد بهذا الخَلْفِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهودُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: اليهودُ والنَّصارى، قاله السُّدِّيُ. **والثالث**: أنهم مِنْ هذه الأمَّةِ، يأتونَ عند ذهاب صَالِحي أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ يَتبارَوْنَ بالزِّنا، وينزو بعضُهم على بعضٍ في الأزِقَّة زُناةً، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ. قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ العُقيلي، والحَسَنُ البَصريُّ: «الصلوات» على الجمع. وفي المُراد بإضاعَتِهم إيَّاها قولان[٣]: **أحدهما**: أنهم أخَّرُوها عن وقتها، قاله ابنُ مسعودٍ، والنَّخعيُّ، وعمرُو بنُ عبدِالعزيز،

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٦٠: هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٩.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٣٥٥: وأولى التأولين في ذلك عندي بالصواب بتأويل الآية، قول من قال: إضاعتها تركهم إياها، لدلالة قوله تعالى ذكره بعده على ذلك كذلك، وذلك قوله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ =

والقاسمُ بنُ مُخَيمِرة. **والثاني**: تركوها، قاله القُرَظيُّ، واختاره الزَّجَّاج. **قوله تعالى**: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وذلك مثل استماعِ الغِناءِ، وشُربِ الخمرِ، والزِّنا، واللهوِ، وما شاكَلَ ذلك مما يقطعُ عن أداءِ فرائضِ الله عزَّ وجلَّ. قولهَ تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليس معنى هذا اللقاء مُجرَّدُ الرُّؤية، وإنما المُرادُ به الاجتماعُ والمُلابسَةُ مع الرؤية. وفي المُراد بهذا الغَيِّ ستةُ أقوالٍ[1]:

[٩٦١] **أحدها**: أنه وَادٍ في جهنَّم، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ، وبه قال كَعبٌ.

والثاني: أنه نهرٌ في جهنَّمَ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثالث**: أنه الخُسرَانُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه العذابُ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنه الشرُّ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائبِ. **والسادس**: أنَّ المعنى: فسوف يَلقونَ مُجازَاةَ الغَيِّ، كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾[2] أي: مُجازاةَ الآثامِ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تابَ مِنَ الشِّركِ، وآمَنَ بمحمَّدٍ ﷺ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: تابَ مِنَ التَّقصير في الصلاة، وآمَنَ مِنَ اليهودِ والنَّصارى.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ وقرأ أبو رَزِين العُقَيليّ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «جناتُ» برفع التاء. وقرأ الحسَنُ البَصريُّ، والشَّعبيُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «جنةُ عدن» على التوحيد مع رفع التاء. وقرأ أبو مِجلَز، وأبو المُتوكِّل النَّاجِي: «جنةَ عدن» على التوحيد مع نصبِ التاء. وقوله: ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: وَعدَهُم بها، ولم يَروْها، فهي غائبةٌ عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: آتياً، قال ابنُ قُتَيبة: وهو «مفعول» في معنى «فاعل»، وهو قليلٌ أنْ يأتيَ الفاعلُ على لفظِ المفعولِ به. وقال الفَرَّاءُ: إنما لم يَقُلْ: آتياً، لأنَّ كلَّ ما أتاكَ، فأنتَ تأتيه؛ ألاَ ترى أنكَ تقول: أتيتُ على خمسينَ سنةٍ، وأَتَتْ عَليَّ خمسون سنة. **والثاني**: مَبلُوغاً إليه، قاله ابنُ الأنبَاري. وقال ابنُ جُرَيجٍ: «وعده» ها هنا: مَوعُوده، وهو الجنة، و «مأتيّاً»: يأتيه أولِيَاؤهُ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه التَّخالُف عند شربِ الخَمرِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: ما يَلْغَى مِنَ الكلام ويُؤثَمُ فيه، قاله الزَّجَّاجُ. وقال ابنُ الأنبَاري: اللغْوُ في العربية: الفَاسِدُ المُطَّرَحُ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: السَّلامُ ليس مِنَ اللغو، والعربُ تستثني الشيءَ بعدَ الشيءِ وليس منه، وذلك أنَّها تُضمِرُ فيه، فالمعنى: إلاَّ أنهم يسمعون فيها سلاماً. وقال ابنُ

---

[٩٦١] باطل. عزاه السيوطي في «الدر» ٤/ ٥٠٠ لابن مردويه من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً ونهشل متروك متهم، والضحاك لم يلق ابن عباس.

= فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن وهم مؤمنون، ولكنهم كانوا كفاراً لا يصلون لله ولا يؤدون له فريضة.

وقد قيل: هم قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٥٧: وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني.

(٢) سورة الفرقان: ٦٨.

الأنبَاري: استثنى السلامَ مِنْ غيرِ جنسِه، وفي ذلك توكيدٌ للمعنى المقصودِ، لأنهم إذا لم يسمعوا مِنَ اللغوِ إلاَّ السلامَ، فليس يسمعونَ لغواً البَتَّةَ، وكذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١). إذا لم يخرج مِنْ عَداوتِهم لي غيرُ ربِّ العَالَمين، فكلُّهم عَدوٌّ. وفي معنى هذا السلام قولان: **أحدهما**: أنه تسليمُ الملائكة عليهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم لا يسمعون إلاَّ ما يُسلِمُهم، ولا يسمعون ما يُؤثِمُهم، قاله الزَّجّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال المُفسِّرون: ليس في الجنة بُكْرةٌ ولا عشيَّةٌ، ولكنَّهم يُؤتَوْن برزقِهم ـ على مقدار ما كانوا يعرفون ـ في الغَداةِ والعَشيِّ. قال الحسَنُ: كانت العرب لا تعرف شيئاً مِنَ العَيشِ أفضلَ مِنَ الغداةِ والعِشاءِ، فذكرَ اللَّهُ لهم ذلك. وقال قَتادَةُ: كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغَداءَ والعَشاءَ أُعجِبَ به، فأخبرَ اللَّهُ أنَّ لهم في الجنة رِزقَهم بُكرةً وعَشيًّا على قَدْرِ ذلك الوقت، وليس ثَمَّ ليلٌ ولا نهارٌ، وإنما هو ضوءٌ ونُورٌ. وروى الوليدُ بنُ مُسلم، قال: سألتُ زهيرَ بنَ محمَّدٍ عن قوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقال: ليس في الجنَّة ليلٌ ولا نهارٌ، هم في نورٍ أبداً، ولهم مِقدارُ الليلِ والنهارِ، يعرفون مقدارَ الليلِ بإرخاءِ الحُجُبِ وإغلاقِ الأبوابِ، ويعرفون مقدارَ النهارِ برفعِ الحُجُبِ وفتحِ الأبوابِ.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ الإشارةُ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿نُورِثُ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، والحسَنُ، والشَّعبيُّ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: بفتح الواو وتشديد الراء. قال المُفسِّرون: ومعنى «نورث»: نُعطي المساكنَ التي كانت لأهل النار ـ لو آمنوا ـ للمؤمنين. ويجوز أنْ يكون معنى «نورث»: نُعطي، فيكون كالمِيراثِ لهم مِنْ جهة أنها تَمليكٌ مُستأنَفٌ. وقد شرحنا هذا في سُورةِ الأعرافِ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفع، وابنُ يَعمَرَ: «وما يَتنزَّل» بياء مفتوحةٍ. وفي سببِ نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٩٦٢] **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يا جِبريلُ ما يَمنعُكَ أنْ تزورَنا»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٩٦٣] **والثاني**: أنَّ المَلَكَ أبطأَ على رسولِ الله ﷺ ثم أتاهُ، فقال: لعلِّي أبطأتُ، قال: «قد فعلتَ»، قال: وما لي لا أفعلُ، وأنتم لا تَتَسوَّكُونَ، ولا تَقصُّونَ أظفارَكُم، ولا تُنَقُّونَ براجِمَكُم، فنزلت الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ. قال ابنُ الأنباري: البَراجِمُ عند العرب: الفُصوصُ التي في ظهور الأصابعِ، تبدو إذا جُمِعتْ، وتَغمضُ إذا بُسِطَتْ. والرَّواجِبُ: ما بين البَراجِمِ، بين كلِّ بُرجُمَتَين رَاجِبَةٌ.

---

[٩٦٢] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢١٨ و ٤٧٣١ و ٧٤٥٥ والترمذي ٣١٥٨ والطبري ٢٣٨٠٥ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٨٩ و «أسباب النزول» ٦٠٦ من طرق عن ابن عباس.

[٩٦٣] ضعيف جداً. ذكره الواحدي ٦٠٧ عن مجاهد مرسلاً. وبدون إسناد! ومع ذلك هو منكر، يخالف ما رواه البخاري وغيره وقد تقدم. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٢٥٣.

---

(١) سورة الشعراء: ٧٧. (٢) سورة الأعراف: ٤٣.

[٩٦٤] **والثالث**: أنَّ جبريلَ احتبسَ عن النبيِّ ﷺ حين سألَهُ قومُه عن قصة أصحابِ الكَهفِ، وذي القَرنَيْنِ، والرُّوحِ، فلم يَدْرِ ما يُجيبُهم، ورَجَا أنْ يأتيَهُ جبريلُ بجوابٍ، فأبطأَ عليه، فشَقَّ على رسولِ الله ﷺ مشقَّةً شَديدةً، فلمَّا نزلَ جِبريلُ قاله له: «أبطأتَ عليَّ حتىٰ ساءَ ظَنِّي، واشتَقْتُ إليكَ» فقال جِبريلُ: إنِّي كنتُ أَشوَقَ، ولكنِّي عبدٌ مأمورٌ، إذا بُعِثْتُ نزلتُ، وإذا حُبِستُ احتَبستُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ.

وفي سبب احتبَاسِ جِبريلَ عن رسولِ الله ﷺ قولان: **أحدهما**: لامتناع أصحابه مِنْ كمال النَّظافة، كما ذكرنا في حديثِ مُجاهِدٍ. **والثاني**: لأنهم سألوهُ عن قصة أصحاب الكهف، فقال: «غداً أُخبِرُكم»، ولم يَقُلْ: إنْ شاءَ اللَّهُ؛ وقد سبق هذا في سُورةِ الكهف.

وفي مِقدارِ احتِباسِه عنه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: خمسةَ عشرَ يوماً؛ وقد ذكرناه في الكهف عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أربعونَ يوماً، قاله عِكرِمَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: اثنتا عشرة ليلةً، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: ثلاثةُ أيامٍ، حكاه مُقاتِلٌ. **والخامس**: خمسةٌ وعشرون يوماً، حكاه الثَّعلبيُّ. وقيل: إنَّ سورةَ الضحى نزلت في هذا السببِ. والمُفسِّرون على أنَّ قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قولُ جِبريلَ. وحكى المَاوَرديُّ: أنه قولُ أهلِ الجنة إذا دخلوها، فالمعنى: ما نَنزِلُ هذه الجِنانَ إلاَّ بأمرِ الله. وقيل: ما نَنزِلُ موضعاً مِنَ الجنة إلاَّ بأمرِ الله.

وفي قوله ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ قولان[1]: **أحدهما**: ما بينَ أيدينا: الآخرة، وما خلفَنا: الدنيا، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: ما بين أيدينا: ما مضى مِنَ الدنيا، وما خَلفَنا مِنَ الآخرة، فهو عكسُ الأول، قاله مجاهد: وقال الأخفش: ما بينَ أيدينا: قبلَ أنْ نُخلَقَ، وما خلفَنا بعدَ الفَناءِ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما بينَ الدنيا والآخرة، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: ما بين النَّفختَينِ، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وأبو العَالِية. **والثالث**: حين كَوْنِنا، قاله الأخفَشُ. قال ابنُ الأنبَاري: وإنَّما وحَّدَ ذلك، والإشارة إلى شيئين: **أحدهما**: «ما بين أيدينا». **والثاني**: «ما خلفنا»، لأنَّ العرب تُوقع ذلك على الاثنين والجَمعِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ النَّسِيُّ، بمعنى النَّاسِي. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ما كان تارِكاً لكَ منذُ أبطأَ الوَحيُ عنكَ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُقاتِلٌ: ما نَسِيَكَ عند انقطاعِ الوَحي عنكَ. **والثاني**: أنه عالِمٌ بما كان ويكون، لا يَنسى شيئاً، قاله الزَّجَّاجُ.

---

[٩٦٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠٨ عنهم بدون إسناد. وأثر الضحاك، أخرجه الطبري ٢٣٨١٢. وأثر قتادة. أخرجه الطبري ٢٣٨٠٩. ويشهد لأصله خبر ابن عباس المتقدم.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٦٠: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة، لأن ذلك لم يجيء وجاءٍ، فهو بين أيديهم، فإن أغلب الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجئ وأنه جاءٍ. وبالتالي ـ وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، وما بين ذلك: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي: وَحْدَهُ، لأنَّ عبادتَهُ بالشِّركِ ليست عبادة، ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِۦ﴾ أي: اصبِرْ على توحيدِه وقيل: على أمرِهِ ونَهيِهِ. قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ رَوى هارونُ عن أبي عَمرٍو أنه كان يُدغِمُ «هل تعلم»، ووَجْهُه أنَّ سِيبَوَيه يُجيز إدغَامَ اللامِ في التاء والثاء والدال والزاي والسين والصاد والطاء، لأنَّ آخرَ مخرجِ مِنَ اللامِ قريبٌ مِنْ مخارجِهنَّ، قال أبو عُبيدَةَ: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لُغتان وبعضُهم يُبينَ لامَ «هل»، وبعضُهم يُدغِمُها. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِثْلاً وشَبهاً، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: هل تعلم أحداً يُسمَّى «الله» غيرُهُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: هل تعلمُ أحداً يستحقُّ أنْ يُقال له: خالقٌ وقادرٌ، إلاّ هو، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

[٩٦٥] سببُ نُزولها أنَّ أُبيَّ بنَ خَلَفٍ أخذَ عَظماً بالياً، فجعلَ يَفتُّهُ بيده ويُذَرِّيه في الرِّيح ويقول: زَعَم لكم محمَّدٌ أنَّ الله يبعثُنا بعد أن نكون مثلَ هذا العَظْم البالي، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ: أنه الوليدُ بنُ المُغيرةِ.

قوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ إنْ قيلَ: ظاهرُه ظاهرُ سؤالٍ، فأينَ جوابه؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ ذكرها ابنُ الأنباري: **أحدها**: أنَّ ظاهرَ الكلام استفهامٌ، ومعناه معنى جُحدٍ وإنكارٍ، تلخيصُه: لستُ مبعُوثاً بعد الموتِ. **والثاني**: أنه لمَّا استَفهمَ بهذا الكلام عن البَعثِ، أجابه الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، فهو مُشتَمِلٌ على معنى: نعم، وأنتَ مَبعُوثٌ. **والثالث**: أنَّ جواب سؤالِ هذا الكافر في يس عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾[1]، ولا يُنكرَ بُعدُ الجواب، لأنَّ القرآن كلَّه بمنزلةِ الرِّسالة الواحدةِ، والسُّورتان مَكِّيَّتان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: بفتح الذال مشدَّدةَ الكافِ. وقرأ نافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «يَذْكُرُ» ساكنةَ الذالِ خفيفةً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ النَّاجي أو لا يتذكر الإنسان: بياءٍ وتاءٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، والحسَنُ: «يذْكُر» بياءٍ مِنْ غير تاءٍ ساكنةَ الذالِ مخففةً مرفوعةَ الكاف، والمعنى: أَوَلا يتذكَّرُ

---

[٩٦٥] باطل. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد رويا عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠٩ عن الكلبي بدون إسناد. والصواب عموم الآية.

---

(١) سورة يس: ٧٨.

هذا الجاحدُ أوّلَ خَلْقِه، فيستدلَّ بالابتداءِ على الإعادة؟! ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ يعني: المُكذِّبين بالبَعْثِ ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي: مع الشياطين، وذلك أنَّ كلَّ كافرٍ يُحشَرُ مع شيطانه في سِلسِلَةٍ، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ قال مُقاتِلٌ: أي: في جهنَّم، وذلك أنَّ حَولَ الشيءِ يجوز أنْ يكون دَاخِلَهُ، تقول: جلسَ القومُ حولَ البيت: إذا جلسوا داخلَهُ مُطيفِينَ به. وقيل: يَجْثُون حولَها قبل أنْ يدخلوها. فأما قوله: ﴿جِثِيًّا﴾ فقال الزَّجَّاجُ: هو جَمعُ جَاثٍ، مثل قاعِدٍ وقُعودٍ، وهو منصوبٌ على الحالَ، والأصل ضمُّ الجيم، وجاء كسرُها إتباعاً لكسرةِ الثاء. وللمُفسِّرين في معناه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُعوداً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: جماعاتٍ جماعاتٍ، ورُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. فعلى هذا هو جمعَ جثْوة وهي المَجموعُ مِنَ التراب والحجارة. **والثالث**: جثيًا على الرُّكَبِ، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ والزَّجَّاجُ. **والرابع**: قِياماً، قاله أبو مالكٍ. **والخامس**: قياماً على رُكَبِهم، قاله السُّدِّيُّ، وذلك لضِيقِ المكانِ بهم.

قوله تعالى: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: لَنَأخُذَنَّ مِنْ كلِّ فِرقَةٍ وأُمَّةٍ وأهلِ دِينٍ ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ أي: أعظمُهم له معصيةً، والمعنى: أنه يُبدَأ بتعذيبِ الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جُرْماً، والرُّؤوس القادةِ في الشرِّ. قال الزَّجَاجُ: وفي رفع «أيُّهم» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه على الاستئناف، ولم تَعملْ «لننزعنَّ» شيئاً، وهذا قولُ يُونسَ. **والثاني**: أنه على معنى الذي يُقال لهم: أيُّهم أشدُّ على الرَّحمن عِتيًّا؟ قاله الخَليلُ، واختاره الزَّجَّاجُ، وقال: التَّأويلِ: لَننزِعَنَّ الذي مِنْ أجل عُتُوِّه يُقال: أيُّ هؤلاءِ أَشَدّ عِتيًّا؟ وأنشد:

وَلَـقَـدْ أَبِيتُ عَـن الـفَـتَـاةِ بِـمَـنـزِلٍ فـأَبِـيـتُ لا حَـرِجٌ ولا مَـحْـرُومُ

أي: أبيتُ بمنزلة الذي يُقال له: لا هو حَرِجٌ ولا مُحرمُ.

والثالث: أنَّ «أيُّهم» مبنيةٌ على الضمِّ، لأنها خالَفَتْ أخواتِها، فالمعنى: أيُّهم هو أفضلُ. وبيانُ خِلافها لأخواتِها أنكَ تقول: اضرِبْ أيُّهم أفضلُ. ولا يَحْسُنُ: اضرِبْ مَنْ أَفضلُ، حتى تقول: مَنْ هو أفضلُ، ولا يَحسُنُ: كُلْ ما أَطيبُ، حتى تقول: ما هوأَطيَبُ، ولا خُذْ ما أفضلُ، حتى تقول: الذي هو أفضلُ، فلمَّا خالفَتْ «ما» و «مَنْ» و «الذي» بُنِيَتْ على الضمِّ، قاله سِيبَويه.

قوله تعالى: ﴿هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ يعني: أنَّ الأَوْلَى بها صِلِيًّاً الذين هم أشدُّ عِتِيًّا فيُبْتَدَأُ بهم قبلَ أتباعِهم. و «صِلِيًّاً»: منصوبٌ على التفسير، يُقال: صَلِيَ النارَ يَصْلاهَا: إذا دخلَها وقاسَى حَرَّها. قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ في الكلام إضمارٌ تقديره: وما منكم أحدٌ إلاَّ وهو وَارِدُها. وفيمَن عُنِيَ بهذا الخِطَابِ قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ في حقِّ المؤمن والكافر، هذا قولُ الأكثرين. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: هذه الآيةُ للكفَّارِ. وأكثرُ الرِّوايات عنه كالقول الأوَّل. قال ابنُ الأنبَاري: ووَجْهُ هذا أنه لمَّا قال: ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ وقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ كان التَّقدير؛ وإنْ مِنهُم، فأُبدِلَتِ الكافُ مِنَ الهاء، كما فُعِلَ في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾[1] المعنى: كان لهم، لأنه مَردودٌ على قوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾[2]، وقال الشاعر:

شَـطَّـتْ مَـزارَ الـعـاشـقـيـنَ وأصـبَـحَـتْ عَـسِـراً عـلـيَّ طِـلابُـكِ ابـنَـةَ مَـخْـرَمِ

---

(١) سورة الإنسان: ٢٢. (٢) سورة الإنسان: ٢١.

أراد: طِلابها. وفي هذا الورُودِ خمسةُ أقوالٍ[١]:

أحدها: أنه الدُّخول. روى جابرُ بنُ عبدِ الله عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[٩٦٦] «الورُودُ: الدُّخولُ لا يبقى بَرٌّ ولا فاجرٌ إلاَّ دخلَها، فتكون على المؤمن بَرْداً وسَلاماً كما كانت على إبراهيمَ، حتى إنَّ للنار ـ أو قال: لجهنَّمَ ـ ضَجيجاً مِنْ بَرْدِهِم».

ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه سأله نافعُ بنُ الأزرقِ عن هذه الآيةِ، فقال له: «أمّا أنا وأنتَ فسندخُلها، فانظرْ أيُخرِجُنا الله عزَّ وجلَّ منها، أمْ لا؟ فاحتجَّ بقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[٢] وبقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[٣]. وكان عبدُ الله بنُ رَواحةَ يبكي ويقول: أُنبِئتُ أني وَارِدٌ، ولم أُنبَأْ أنّي صادِرٌ. وحكى الحسَنُ البَصريُّ: أنَّ رجلاً قال لأخيه: يا أخي هل أتاكَ أنكَ واردُ النارِ؟ قال: نعم؛ قال: فهل أتاكَ أنكَ خارجٌ منها؟ قال: لا؛ قال: ففِيمَ الضَّحِكُ؟! وقال خالدُ بنُ مَعْدَانَ: إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنَّةَ، قالوا: أَلَمْ يَعِدْنا ربُّنا أنْ نَرِدَ النارَ؟ فيُقال لهم: بلى، ولكن مَررْتُم بها وهي خَامِدَةٌ. وممَّن ذهب إلى أنه الدُّخولُ: الحَسنُ في روايةٍ، وأبو مالكٍ. وقد اعترِضَ على أربابِ هذا القولِ بأشياءَ. فقال الزَّجّاجُ: العربُ تقول: وَرَدْتُ بلدَ كذا، ووَرَدْتُ ماءَ كذا: إذا أشرَفُوا عليه وإنْ لم يدخلوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾[٤] والحُجّةُ القاطِعةُ في هذا القولِ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[٥]، وقال زُهيرُ:

فَلَمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخيِّمِ[٦]

أي: لمّا بَلغنَ الماءَ قُمْنَ عليه. قلتُ: وقد أجاب بعضُهم عن هذه الحُجَجِ، فقال: أمّا الآيةُ الأُولى، فإنَّ موسى لمّا أقامَ حتى استقى الماءَ وسقى الغَنَم، كان بِلُبْثِه ومُباشَرتِه كأنه دخلَ، وأمّا الآيةُ الأخرى؛ فإنها تضمَّنَتِ الإخبارَ عن أهل الجنَّةِ حين كَونِهم فيها، وحِينَئذٍ لا يسمعون حَسِيسَها. وقد رَوينا آنفاً عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ أنهم يَمُرُّون بها، ولا يعلمون.

والثاني: أنَّ الورُودَ: المَمَرُّ عليها، قاله عبدُ الله بنُ مَسعودٍ، وقَتادَةُ. وقال ابنُ مسعودٍ: يَرِدُ الناسُ النارَ، ثم يَصْدُرُونَ عنها بأعمَالِهم، فأوَّلُهم كلَمْحِ البَرقِ، ثم كالرِّيحِ، ثم كحُضْرِ الفَرَسِ، ثم كالراكب في رحله، ثم كَشَدِّ الرَّحْلِ، ثم كمَشْيِهِ. **والثالث**: أنَّ ورُودَها: حُضورُها، قاله عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والرابع**: أنَّ ورُودَ المسلمين: المُرورُ على الجِسرِ، ووُرُودَ المشركين: دخولُها. قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنَّ ورُودَ المؤمنِ إليها: ما يُصيبه مِنَ الحُمّى في الدنيا، روى عثمانُ بنُ الأسودِ عن مُجاهِدٍ أنه قال: الحُمّى

---

[٩٦٦] حسن. أخرجه أحمد ٣/ ٣٢٩ والحاكم ٤/ ٥٨٧ ح ٨٧٤٤ والبيهقي في «الشعب» ٣٧٠ من حديث جابر. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي ٧/ ٥٥: رجال أحمد ثقات اهـ. وهو حديث حسن.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٦٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار.

(٢) سورة هود: ٩٨.

(٣) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٤) سورة القصص: ٣٣.

(٥) سورة الأنبياء: ١٠١ و ١٠٢.

(٦) البيت في «شرح ديوان زهير» ١٣، و «اللسان» ـ زرق ـ. والزُّرق: المياه الصافية. وجَمامةُ: راحة وشبعٌ وريٌّ.

حَظُّ كلِّ مؤمنٍ مِنَ النَّارِ، ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فعلى هذا مَن حُمَّ مِنَ المسلمين، فقد وَرَدَها.

قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني: الورُودَ حتماً والحَتْمُ: ايجابُ القضاءِ، والقَطعُ بالأمر. والمَقضِيُّ: الذي قضاهُ الله تعالى، والمعنى: إنه حَتَمَ ذلك وقَضاهُ على الخَلْقِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو مِجلَز، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي ليلَى، وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ: «ثَمَّ» بفتح الثاء. وقرأ الكِسَائِيُّ، ويعقوبُ: «نُنْجي» مخفَّفةً. وقرأت عائشةُ، وأبو بَحْرِيَّة، وأبو الجَوْزاءِ الرَّبَعيُّ: «ثم يُنجي» بياءٍ مرفوعةٍ قبل النون خفيفةَ الجيم مكسورةً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَز، وابنُ السَّمَيْفَع، وأبو رَجَاء: «ننحّي» بحَاءٍ غير مُعجمةٍ مُشدَّدةٍ. وهذه الآيةُ يحتَجُّ بها القائلون بدخول جميعِ الخَلْقِ، لأنَّ النَّجاةَ: تخليصُ الواقعِ في الشيءِ، ويُؤكِّده قولُه تعالى: ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ ولم يَقُلْ: ونُدخِلُهم؛ وإنما يُقال: نَذَرُ ونتركُ لِمَنْ قد حصلَ في مكانه. ومَنْ قال: إنَّ الورُودَ للكفار خاصَّةً، قال: معنى هذا الكلام: نُخرج المُتَّقينَ مِنْ جُملةِ مَنْ يدخل النارَ. والمراد بالمُتَّقين: الذين اتَّقَوْا الشِّركَ، وبالظالمين: الكفار، وقد سبق معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جِثِيًّا﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ يعني: القرآن ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مُشركي قُريشٍ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: لفقراءِ المؤمنين ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ مَقاماً بفتح الميم وقرأ ابنُ كَثيرٍ بضمِّ الميم. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: المقام: اسمُ المَثْوَى، إنْ فُتِحَتِ المِيمُ أو ضُمَّتْ.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ والنَّديُّ والنَّادي: مجلسُ القومِ ومُجتَمَعُهم. وقال الفَرَّاءُ: النَّديُّ والنَّادي، لُغتان. ومعنى الكلام: أَنحنُ خيرٌ، أَمْ أنتم؟ فافتخَرُوا عليهم بالمَساكِنِ والمجالسِ، فأجابَهُم اللهُ تعالى فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ وقد بَيَّنَّا معنى القَرْنِ في الأنعام[١] وشرحنا الأثاثَ في النَّحلِ[٢].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَرِءْيًا﴾ فقرأ ابنُ كَثيرٍ، وعَاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «ورئياً» بهمزةٍ بين الراء والياء في وَزْنِ: «رِعيا»؛ قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: مَنظراً، مِنْ «رأيت». وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «رِيّاً» بياءٍ مِشدَّدةٍ مِنْ غير همزٍ، قال الزَّجَّاجُ: لها تفسيران. أحدُهما: أنها بمعنى الأُولَى. والثاني: أنها مِنَ الرِّيِّ، فالمعنى: مَنظرُهم مُرتَوٍ مِنَ النِّعمة، كأنَّ النعيمَ بَيِّنٌ فيهم. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو المُتوكِلِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ أبي سُرَيْجٍ عن الكِسَائيِّ: «زِيّاً» بالزاي المعجمة مع تشديد الياء مِنْ غير همزٍ. قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: حَسَنُ هيئَتِهِم.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

---

(١) سورة الأنعام: ٦. (٢) سورة النحل: ٨٠.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ أي: في الكُفرِ والعَمَى عن التَّوحيد ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: وهذا لفظُ أمرٍ، ومعناه الخَبرُ، والمعنى: أنَّ الله تعالى جعلَ جزاءَ ضلالَتِهِ أنْ يَترُكَهُ فيها. قال ابنُ الأنباري: خاطبَ اللهُ العربَ بلسانها، وهي تَقصِدُ التَّوكيدَ للخبر بذِكْرِ الأمرِ، يقول أحدُهم: إنْ زارَنا عبدُ الله فلنُكرِمْهُ، يقصدُ التَّوكيدع، ويُنبِّه على أنِّي أُلزِمُ نفسي إكرامَهُ؛ ويجوز أنْ تكون اللامُ لامَ الدعاء على معنى: قل يا محمَّدُ: مَنْ كان في الضَّلالة فاللَّهم مُدَّ له في العُمرِ مَدّاً. قال المُفسِّرون: ومعنى مَدّ اللهِ تعالى له: إمهالُه في الغيِّ. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ يعني الذين مَدَّهُم في الضَّلالة. وإنما أخبرَ عن الجماعة، لأنَّ لفظَ «مَن» يَصِحُّ للجماعة. ثم ذكرَ ما يُوعدون فقال: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: القَتْلَ، والأَسْرَ ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني: القيامة وما وُعِدُوا فيها مِنَ الخلود في النارِ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في الآخرة، أهُمْ، أمْ المؤمنون؟ لأنَّ مكانَ هؤلاءِ الجنَّةُ، ومكانَ هؤلاءِ النارُ، ﴿و﴾ يعلمون بالنَّصْرِ والقَتْلِ مَنْ ﴿أضعف جنداً﴾ جُندُهم، أَمْ جُنْدُ رسول الله ﷺ. وهذا رَدٌّ عليهم في قولِهم: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: ويزيد اللهُ الذين اهتَدوا بالتَّوحيدِ إيماناً. **والثاني**: يَزيدُهم بَصيرةً في دِينِهم. **والثالث**: يَزيدُهم بزيادةِ الوَحي إيماناً، فكلَّما نزلت سُورةٌ زادَ إيمانُهم. **والرابع**: يَزيدُهم إيماناً بالنَّاسِخ والمَنسُوخ. **والخامس**: يزيدُ الذين اهتَدَوا بالمَنسُوخ هُدًى بالنَّاسِخِ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنَّ الله تعالى يجعل جزاءَهُم أنْ يزيدَهُم يقيناً، كما جعلَ جزاءَ الكافر أنْ يُمِدَّه في ضَلالَتِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قد ذكرناها في سُورةِ الكهف[1].

قوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ المَرَدُّ هاهنا مصدرٌ مثل الرَّدِّ، والمعنى: وخيرٌ رَدّاً للثَّوابِ على عامِلِيها، فليست كأعمالِ الكفارِ التي خَسرُوها فبطلَتْ.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[٩٦٧] **أحدها**: ما روى البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث مَسرُوقٍ عن خَبَّابِ بن الأرتّ قال: كنتُ رجلاً قَيْناً، أي حدادا، وكان لي على العَاصِ بنِ وائلٍ دَيْنٌ، فأتيتُهُ أتقاضاهُ، فقال: لا واللهِ لا أقضِيكَ حتى تكفُرَ بمحمَّدٍ، فقلتُ: لا واللهِ لا أكفر بمحمَّدٍ ﷺ حتى تموتَ، ثم تُبعَثَ. قال:

---

[٩٦٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٢٧٥ و ٤٧٣٢ و ٤٧٣٣ ومسلم ٢٧٩٥ ح ٣٦ والترمذي ٣١٦٢ وأحمد ٥/ ١١٠ وابن حبان ٥٠١٠ من طرق عن سفيان عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٢٠٩١ و ٢٤٢٥ و ٤٧٣٤ و ٤٧٣٥ ومسلم ٢٧٩٥ والنسائي في «التفسير» ٣٤٢ وأحمد ١/ ١١١ وابن حبان ٤٨٨٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٦١٠ و ٦١١ والطبراني ٣٦٥١ و ٣٦٥٢ و ٣٦٥٤.

---

(١) سورة الكهف: ٤٦.

فإني إذا مِتُّ ثم بُعِثتُ جِئتَنِي ولي ثَمَّ مالٌ ووَلَدٌ، فأعطيتُكَ، فنزلت فيه هذه الآيةُ، إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَرْدًا﴾. **والثاني**: أنها نزلت في الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ، وهذا مَرويٌّ عن الحَسنِ. والمُفسِّرون على الأوَّلِ.

قوله تعالى: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: بفتحِ الواو. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: بضمِّ الواو. وقال الفَرَّاءُ: وهم لُغتان، كالعُدْمِ، والعَدَمِ، وليس يُجمَعُ، وقَيْسٌ تجعل الوُلْدَ جمعاً، والوَلَدَ، بفتحِ الواو، واحداً.

وأين زعمَ هذا الكافرُ أنْ يُؤتَى المالَ والولَدَ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه أراد في الجنَّةِ على زَعمِكُم. **والثاني**: في الدنيا. قال ابنُ الأنباري: وتقدير الآية: أرأيتَهُ مُصيباً؟!

قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ قال ابنُ عباسٍ في روايةٍ: أعَلِمَ ما غابَ عنه حتى يعلمَ أفِي الجنةِ هو، أَمْ لا؟! وقال في روايةٍ أخرى: أَنظَرَ في اللوح المحفوظِ؟!

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَمْ قال: لا إلَه إلاَّ اللهُ، فأرحمَهُ بها؟! قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أَمْ قَدَّمَ عملاً صالحاً، فهو يَرجُوهُ؟! قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أَمْ عَهِدَ إليه أنه يُدخِلَهُ الجنَّةَ؟! قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ على ما قال مِنْ أن يُؤتَى المالَ والولَدَ. ويجوز أنْ يكون معنى «كلاَّ» أي: إنه لم يطَّلِعِ الغيبَ، ولم يتَّخِذْ عند اللهِ عَهْداً. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنأمُر الحَفظَةَ بإثباتِ قوله لِنُجازيَه به، ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نجعل بعضَ العذاب على إثْرِ بعضٍ. وقرأ أبو العَالِيَة الرِّياحي، وأبو رَجَاءٍ العُطَارِدي: «سيكتب» «ويرثه» بياءٍ مفتوحةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: نَرِثُه ما يقول أنه له في الجنَّةِ، فنجعلَهُ لغيره مِنَ المسلمين، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، واختاره الفَرَّاءُ. **والثاني**: نَرِثُ ما عنده مِنَ المال، والولَدِ، بإهلاكنا إيَّاهُ، وإبطالُ مُلكِه، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال قَتادَةُ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: سَنَسلُبُهُ المالَ والولَدَ، ونجعله لغيره.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مالٍ ولا ولَدٍ.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ يعني: المشركين عابدِي الأصنام ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ قال الفَرَّاءُ: ليكونوا لهم شُفعاءَ في الآخرة. قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ كما قَدَّروا، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ يعني الأصنامَ بجَحدِ عبادةِ المشركين، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ لأنها كانت جَماداً لا تعقِلُ العبادةَ، ﴿وَيَكُونُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ضِدًّا﴾ أي: أعواناً عليهم في القيامة، يُكذِّبونَهم ويَلعنُونَهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: في معنى هذا الإرسالِ وجهان:

أحدهما: خَلَّينا بين الشياطين وبني الكافرين فلم نَعصِمْهُم مِنَ القَبولِ منهم. **والثاني**: وهو المُختارُ: سَلَّطناهم عليهم، وقيَّضْنَاهم لهم بكفرهم. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تُزعِجُهم إزعاجاً حتى يركبوا

المعاصي. وقال الفرّاءُ: تُزعِجُهم إلى المعاصي، وتُغريهم بها. قال ابنُ فارسٍ: يُقال: أزَّهُ على كذا: إذا أغراهُ به، وأزّتِ القِدْرُ: غَلَتْ. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تعجلْ بطَلَبِ عذابهم. وزَعَمَ بعضُهم أنَّ هذا مَنسوخٌ بآية السيفِ، وليس بصحيحٍ، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ في هذا المَعدودِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أنفاسُهم، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال طاوسٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الأيامُ، والليالي، والشُّهورُ، والسِّنون، والسَّاعاتُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها أعمالُهم، قاله قُطرُبُ.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ قال بعضُهم: هذا مُتعلِّقٌ بقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ وقال بعضُهم: تقديره: اذكُرْ لهم يومَ نحشرُ المُتّقين، وهم الذين اتَّقوا اللهَ بطاعته واجتنابِ معصيَتِه. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْني: «يوم يحشُر» بياءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الشين «ويَسُوق» بياءٍ مفتوحةٍ ورفعِ السين. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ البَصريُّ، ومعاذٌ القارئُ، وأبو المُتوكِّلِ النَّاجي: «يوم يُحشَر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتحِ الشين «المتقون» رفعاً «ويُساق» بألِفٍ وياءٍ مرفوعةٍ «المجرمون» بالواو على الرَّفع. والوَفْدُ: جمعُ وَافِدٍ، مثل: رَكْب، ورَاكِب، وصَحْب، وصاحِب. قال ابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، والفرّاءُ: الوَفْدُ: الرُّكبانُ. قال ابنُ الأنباري: الرُّكبان عند العرب: رُكّاب الإبِلِ.

وفي زمان هذا الحَشرِ قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ قبورهم إلى الرحمن، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه. **والثاني**: أنه بعدَ الحساب، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ قال ابنُ عباسٍ، وأبو هُريرةَ، والحسَنُ: عِطاشاً. قال أبو عُبيدَةَ: الوِرْدُ: مصدرُ الوُرُودِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: الوِرْدُ: جماعةٌ يَردون الماءَ، يعني: أنهم عِطاشٌ، لأنه لا يَرِدُ الماءَ إلاّ العَطشان. وقال ابنُ الأنباري: معنى قوله: «وِرْداً»: وارِدِينَ. قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي: لا يشفعون، ولا يُشفعَ لهم. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ قال الزَّجّاجُ: جائزٌ أن يكونَ «مَن» في موضع رفعٍ على البَدَلِ مِنَ الواو والنون، فيكون المعنى: لا يملكُ الشفاعةَ إلاّ مَنِ اتَّخذ عند الرحمنِ عَهْداً؛ وجائزٌ أنْ يكونَ في موضعِ نصبٍ على استثناءٍ ليس مِنَ الأوّل، فالمعنى: لا يملكُ الشفاعةَ المجرمون، ثم قال: «إلا» على معنى «لكن» ﴿مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فإنه يملكُ الشفاعةَ. والعَهْدُ هاهنا: توحيدُ اللهِ والإيمانُ به. وقال ابنُ الأنباري: تفسيرُ العَهْدِ في اللغة: تقدِمَةُ أمرٍ يُعلَمُ ويُحفَظُ، مِنْ قولك: عَهِدْتُ فُلاناً في المكان، أي: عَرفتُهُ، وشَهِدتُه.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ يعني: اليهودَ، والنَّصارى، ومَنْ زعمَ مِنَ المشركين أنَّ الملائكة بناتُ الله ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ أي: شيئاً عظيماً مِنَ الكُفرِ. قال أبو عُبيدَةَ: الإِدُّ، والنُّكْرُ: الأمرُ المُتناهي العِظَمِ.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «تكاد» بالتاء. وقرأ نافعٌ، والكِسائيُّ: «يكاد» بالياء. وقرآ جميعاً: «يتفطرن» بالياء والتاء مُشدَّدةَ الطّاء، ووافقهُما ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ في «يتفطَّرن» وقرأ أبو عَمرٍو، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «ينفطرن»، بالنون وهذا خلافُهم في عسق. وقرأ حمزةُ، وابنُ عامرٍ في سُورةِ مريم مثل أبي عمروٍ، وفي «عسق»[1] مثلَ ابنِ كَثيرٍ. ومعنى «يتفطَّرن منه»: يُقارِبْنَ الانشقاقَ مِنْ قولِكُم. قال ابنُ قُتيبةَ: وقوله تعالى: ﴿هَدًّا﴾ أي: سُقوطاً.

قوله تعالى: ﴿أَن دَعَوْاْ﴾ قال الفرَّاءُ: مِنْ أنْ دَعَوا، ولأن دَعَوا. وقال أبو عُبيدَةَ: معناه: أنْ جعلوا، وليس هو مِنْ دعاءِ الصَّوت، وأنشد:

ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحاً وإنْ تَغِبْ   تَجِدْهُ بغَيْبٍ غيرَ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ[2]

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يَصلُحُ له، ولا يَليقُ به اتِّخاذُ الولَدِ، لأنَّ الولَدَ يقتضي مُجانسةً، وكلُّ مُتخذٍ ولَداً يتَّخِذُهُ مِنْ جنسه، واللهُ تعالى مُنزَّهٌ عن أن يُجانِسَ شيئاً، أو يُجانِسَهُ، فمُحَالٌ في حقِّه اتِّخاذُ الولَدِ. ﴿إِن كُلُّ﴾ أي: ما كل ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يومَ القيامة ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً. والمعنى: أنَّ عيسى وعُزيْراً والملائكةَ عَبيدٌ له. قال القاضي أبو يَعلى: وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الوَالِدَ إذا اشترى ولَدَهُ، لم يبقَ ملكُهُ عليه، وإنما يُعتَقُ بنفسِ الشراء، لأنَّ اللهَ تعالى نفى البُنُوَّةَ لأجلِ العبودية، فدلَّ على أنه لا يجتمع بنوَّةٌ ورقٌّ. قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ أي: عَلِمَ عددَهُم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مَبلَغُ جميعهم مع كَثرتِهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ بلا مالٍ، ولا نصيرٍ يمنعُه. فإنْ قيلَ: لأيَّةِ عِلَّةٍ وحَّدَ في «الرحمن» و «آتيه» وجَمعَ في العائدِ في «أحصاهم، وعدَّهم». فالجواب: أنَّ لكلِّ لفظِ توحيداً، وتأويلَ جَمعٍ، فالتوحيدُ محمولٌ على اللفظِ، والجَمعُ مَصروفٌ إلى التأويلِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت في عليّ رضي اللهُ عنه، وقال معناها: يُحبُّهم، ويُحَبِّبُهم إلى المؤمنين. قال قَتادَةُ: يجعلُ لهم وُدّاً في قلوب المؤمنين. ومِنْ هذا حديثُ أبي هُريرةَ عن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة الشورى: ٢.

(٢) في «اللسان»: النُّصح: نقيض الغش.

[٩٦٨] «إذا أحبَّ اللهُ عبداً قال: يا جِبريلُ، إني أُحِبُّ فُلاناً فأحِبُّوهُ، فينادي جبريل في السموات إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيُلقَى حُبُّهُ على أهلِ الأرض فيُحَبُّ»، وذكرَ في البُغضِ مثلَ ذلك. وقال هَرِمُ بنُ حيَّانَ: ما أقبلَ عبدٌ بقلبه إلى الله عزَّ وجلَّ، إلاَّ أقبلَ اللهُ عزَّ وجلَّ بقلوب أهلِ الإيمان إليه، حتى يرزقَهُ مَودَّتَهم ورَحمتَهم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: القرآن. قال ابنُ قُتيبةَ: أي، سَهَّلنَاهُ، وأنزلناه بلُغتِكَ واللُّدُّ: جمع أَلَدّ، وهو الخَصِمُ الجَدِلُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾ هذا تخويفٌ لكفَّارِ مكَّةَ ﴿هَلۡ تُحِسُّ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: هل ترى يُقال: هل أحسَسْتَ صاحبَكَ، أي: هل رأيتَهُ؟ والرِّكْزُ: الصوتُ الخَفِيُّ؛ وقال ابنُ قُتَيبةَ: الصَّوتُ الذي لا يُفْهَم، وقال أبو صالحٍ: حَرَكَةٌ، واللهُ تعالى أعلَمُ.

---

[٩٦٨] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٩ و ٧٤٨٥ ومسلم ٣٦٣٧ ومالك ٢/ ٩٥٣ والطيالسي ٢٤٣٦ وأحمد ٢/ ٢٦٧ وابن حبان ٣٦٥ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٩٧ كلهم من حديث أبي هريرة. وانظر «أحكام القرآن» ١٤٧٩ بتخريجنا.

سُورَةُ طه

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه ① مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ② إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ④ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ⑤ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ⑥ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ⑦ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ⑧﴾

وهي مكِّيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم. وفي سببِ نُزول ﴿طه﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

[٩٦٩] **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُراوِحُ بين قَدَمَيْه، يقومُ على رِجْلٍ، حتى نزلت هذه الآيةُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه.

[٩٧٠] **والثاني**: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا نزلَ عليه القرآن صلَّى هو وأصحابُه فأطَالَ القيامَ، فقالت قُريشٌ: ما أُنزِلَ هذا القرآنُ على محمَّدٍ إلاَّ ليَشْقَى، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ.

والثالث: أنَّ أبا جَهْلٍ، والنَّضْرَ بنَ الحَارِثِ، والمُطْعِمَ بنَ عَدِيٍّ، قالوا يا رسولَ الله ﷺ: إنكَ لَتشْقَى بتَرْكِ دِينِنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ[(١)].

وفي «طه» قِراءاتٌ. قرأ ابنُ كَثِيرٍ، وابنُ عامرٍ: «طَهَ» بفتحِ الطاء والهاء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: بكسرِ الطاء والهاء. وقرأ نافعٌ: «طه» بينَ الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقربُ؛ كذلك قال خَلَفٌ عن المُسَيَّبي. وقرأ أبو عَمرٍو: بفتحِ الطاء وكسرِ الهاء وروى عنه عباسٌ مثلَ حَمزةَ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ العُقَيلي، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وأبو العَالِيَة: بكسرِ الطاء وفتح الهاء. وقرأ الحسن «طَهْ» بفتح الطاء وسكون الهاء، وقرأ الضَّحَّاكُ، ومُوَرِّقُ العِجْلي: «طِهْ» بكسرِ الطاء وسكونِ الهاء. واختلفوا في معناها على أربعةِ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: أنَّ معناها: يا رَجلُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ

---

[٩٦٩] أخرجه البزار ٢٢٣٢ «كشف» وقال الهيثمي في «المجمع» ١١١٦٥: فيه يزيد بن بلال. قال البخاري: فيه نظر. وكيسان بن عمرو، وثقه ابن حبان، وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ. فالخبر غير قوي، وهو إلى الضعف أقرب. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٩١ بتخريجنا.

[٩٧٠] واهٍ بمرة. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٤ عن الضحاك مرسلاً، ومع إرساله مراسيل الضحاك واهية، والراوي عنه جويبر بن سعيد، وهو متروك الحديث، فالخبر لا شيء.

---

(١) باطل. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٣ عن مقاتل بدون سند، ومقاتل متهم، والمتن باطل.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٩٠: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه: قول من قال: =

عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، وعِكرِمَةُ؛ واختلف هؤلاءِ بأيِّ لغةٍ هي، على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: بالنَّبطيَّة، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: بلسانِ عَكٍّ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: بالسّريانيَّةِ، قاله عِكرِمَةُ في روايةٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ، وقَتادةُ. **والرابع**: بالحَبشيَّةِ، قاله عِكرِمَةُ في روايةٍ. قال ابنُ الأنبَاري: ولغةُ قُريشٍ وافقت هذه اللغةَ في المعنى. **والثاني**: أنها حروفٌ مِنْ أسماءٍ. ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنها مِنْ أسماءِ الله تعالى. ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنَّ الطاء مِنَ اللطيف، والهاءَ مِنَ الهادي، قاله ابنُ مسعودٍ، وأبو العَالِية، **والثاني**: أنَّ الطاء افتتاحُ اسمِه «طاهر» و «طيِّب» والهاء افتتاحُ اسمِه «هادي» قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. والقول الثاني: أنها مِنْ غير أسماءِ الله تعالى. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الطاءَ مِنَ طابَةِ وهي مدينةُ رسولِ الله ﷺ، والهاءَ مِنْ مكَّةَ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والثاني**: أنَّ الطاءَ: طَرَبُ أهلِ الجنة، والهاءَ: هَوَانُ أهلِ النار. **والثالث**: أنَّ الطاءَ في حساب الجُمَّلِ تسعةٌ، والهاءَ خمسةٌ، فتكون أربعةَ عشرَ. فالمعنى: يا أيها البَدْرُ ما أنزلنا عليكَ القُرآنَ لِتشقَى، حكى القولَين الثَّعلبيُّ. **والثالث**: أنه قَسَمٌ أَقسَمَ اللّهُ به، وهو مِنْ أسمائه، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقد شرحنا معنى كَونِه اسماً في فاتحةِ (مريم). وقال القُرطُبيُّ: أقسَمَ اللّهُ بطَوْلِه وهِدايَتِه؛ وهذا القولُ قريبُ المعنى مِنَ الذي قبلَهُ. **والرابع**: أن معناه: طَأ الأرضَ بقدَمَيْكَ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. ومعنى قوله تعالى ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: لِتتعبَ وتبلغَ مِنَ الجهدِ ما قد بَلغتَ، وذلك أنه اجتهدَ في العبادة وبالَغ، حتى إنه كان يُرواحُ بين قدَميهِ لِطُولِ القيام، فأُمِرَ بالتَّخفيف.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ قال الأخفشُ: هو بدلٌ مِنْ قوله تعالى: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ ما أنزلناه إلاّ تَذْكرةً، أي: عِظَةً. قوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنزلناه تنزيلاً، و ﴿ٱلْعُلَى﴾ جمعُ العُليا، تقول: سماءٌ عُليا، وسماواتٌ عُلَى، مثل الكُبرَى، والكُبَر. فأمَّا «الثَّرى» فهو التُّراب النَّديُّ، والمُفسِّرون يقولون: أراد الثَّرى الذي تحتَ الأرض السابعةِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: تَرفَعْ صوتَكَ ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ والمعنى: لا تُجهِدْ نفسَكَ برفع الصوت، فإنَّ اللّهَ يعلمُ السِرَّ. وفي المراد بـ «السِرَّ وأخفى» خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ السِّرَّ: ما أَسَرَّهُ الإنسانُ في نفسِه، وأخفَى: ما لم يكُنْ بَعْدُ وسيكون، رواه جماعةٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنَّ السِّرَّ: ما حدَّثتَ به نفسَكَ، وأخفَى: ما لم تَلفظْ به، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنَّ السِّرَّ: العملُ الذي يُسِرُّه الإنسانُ مِنَ الناس، وأخفَى منه: الوَسوسَةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ معنى الكلام: يعلمُ إسرَارَ عبادِه؛ وقد أخفى سِرَّه عنهم فلا يُعْلَمُ، قاله زيدُ بنُ أَسلَمَ، وابنُه. **والخامس**: يعلمُ ما أَسَرَّه الإنسانُ إلى غيره، وما أخفَاهُ في نفسه، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأعرَاف[2].

= معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكٍّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل.

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٣٩٤: والصواب من القول في ذلك، معناه: يعلم السرّ وأخفى من السر، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام. فإنه يعلم السر وأخفى من السر وهو ما علم الله مما أخفى عن عباده ولم يعلموه مما هو كائن ولم يكن.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾ هذا استفهامُ تقريرٍ، ومعناه: قد أتاكَ. قال ابنُ الأنباري: وهذا معروفٌ عند اللغويين أنْ تأتي «هل» معبِّرةً عن «قد».

[٩٧١] فقد قال رسولُ الله ﷺ وهو أفصح العرب: «اللهُمَّ هل بلَّغتُ»، يريد: قد بلَّغتُ.

قال وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ: استأذنَ موسى شُعيباً عليهما السَّلامُ في الرُّجوعِ إلى وَالِدَتِه، فأذِنَ له، فخرجَ بأهلِه، فوُلِدَ له في الطريق في ليلةٍ شاتيةٍ، فقدحَ فلم يُورِ الزِّنادُ، فبينا هو في مُزاولتِه ذلك، أبصرَ ناراً مِنْ بعيدٍ عن يسارِ الطريق؛ وقد ذكرنا هذا الحديثَ بطوله في كتاب «الحدائق» فكرهنا إطالةَ التفسيرِ بالقَصَصِ، لأنَّ غرضَنا الاقتصارُ على التفسير ليَسْهُلَ حِفظُه، قال المُفسِّرون: رأى نُوراً، ولكن أخبَرَ بما كان في ظَنِّ موسى. ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يعني: امرأتَهُ ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ أي: أقيموا مكانكم وقرأ حمزة: «لأهْلِهُ امكثوا» بضمِّ الهاء ها هنا وفي القَصَصِ[1] ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ قال الفَرَّاءُ: إني وجدتُ، يُقال: هل آنستَ أحداً، أي: وجدتَ؟ وقال ابنُ قُتيبةَ: «آنستُ» بمعنى أبصرتُ. فأمّا القَبَسُ، فقال الزَّجَّاجُ: هو ما أخذتَهُ مِنَ النار في رأسِ عُودٍ أو في رأسِ فَتيلَةٍ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ قال الفَرَّاءُ: أراد: هادياً، فذكرَهُ بلفظِ المصدر، قال ابنُ الأنباري: يجوز أنْ تكونَ «على» ها هنا بمعنى «عند»، وبمعنى «مع»، وبمعنى الباء. وذكر أهلُ التَّفسيرِ أنه كان قد ضَلَّ عن الطريق، فعَلِمَ أنَّ النارَ لا تخلو مِنْ مُوقِدٍ. وحكى الزَّجَّاجُ: أنه ضَلَّ عن الماءِ، فَرَجَا أن يجدَ مَنْ يَهدِيَهُ الطريقَ أو يَدُلُّه على الماءِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ يعني: النَّارَ ﴿نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ إنما كرَّرَ الكِنايةَ، لتوكيدِ

---

[٩٧١] صحيح. أخرجه البخاري ٩٢٥ و ٢٥٩٧ و ٦٦٣٦ و ٧١٧٤ ومسلم ١٨٣٢ وأبو داود ٢٩٤٦ والحميدي ٨٤٠ وأحمد ٥/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ من طرق عن الزهري عن عروة عن أبي حميد وهو بعض حديث.
وأخرجه البخاري ٦٩٧٩ و ٧١٩٧ ومسلم ١٨٣٢ ح ٢٧ و ٢٨ والحميدي ٨٤٠ والشافعي ١/ ٢٤٧ من طرق عن هشام بن عروة، عن عروة به، وأتم. وأخرجه البغوي ١٥٦٢ والشافعي ١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ والبيهقي ٧/ ١٦ و ١٠/ ١٣٨ عن الزهري عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن الأتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي. قال: «فهلا جلس في بيت أبيه ـ أو بيت أمه ـ فينظر يهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت» ثلاثاً.

---

(١) سورة القصص: ٢٩.

الدِّلالة وتحقيقِ المعرفةِ وإزالةِ الشُّبهةِ، ومثله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وأبو جعفرَ: «أَنِّيَ» بفتح الألِفِ والياءِ. وقرأ نافع وعَاصِمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «إنِّي» بكسرِ الألِفِ، إلاَّ أنَّ نافعاً فتحَ الياءَ، قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «أنِّي أنا» بالفَتحِ، فالمعنى: نُودِيَ بأنى أنا ربُّكَ، ومَنْ قرأ بالكَسرِ، فالمعنى: نُودِيَ يا موسى، فقال اللَّهُ: إنِّي أنا رَبُّكَ. قوله تعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ في سبب أمرِهِ بخَلعِهما قولان:

[٩٧٢] **أحدهما**: أنهما كانا مِنْ جِلْدِ حمارٍ ميتٍ، رواه ابنُ مسعودٍ عن رسولِ الله ﷺ وبه قال عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وعِكرمَةُ.

والثاني: أنهما كانا مِنْ جِلْدِ بقرةٍ ذُكِّيَتْ، ولكنه أُمِرَ بخلعِهِما ليُباشِرَ تُرابَ الأرض المُقدَّسةِ، فتَنالَهُ بَرَكتُها، قاله الحَسنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في سُورةِ المائدَةِ[2] عند قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾. قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «طُوى، وأنا» غيرَ مُجْرَاةٍ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «طُوًى» مُجْرَاةً؛ وكلُّهم ضَمَّ الطاءَ، وقرأ الحَسَنُ وأبو حَيْوَةَ: «طِوًى» بكسرِ الطاء مع التنوين، وقرأ عليُّ بنُ نَصْرٍ عن أبي عمرٍو: «طِوى» بكسرِ الطاء مِنْ غير تنوينٍ. قال الزَّجَّاجُ: في «طُوى» أربعةُ أوجُهٍ. طُوى، بضمِّ أوَّله مِنْ غير تنوينٍ وبتنوينٍ. فمَنْ نوَّنَهُ، فهو اسمٌ للوادي. وهو مذكَّرٌ سُمِّيَ بمذكَّرٍ على فُعَلٍ نحو حُطَم وصُرَدٍ، ومَنْ لم يُنوِّنْهُ تَركَ صَرفَهُ مِنْ جهتين: **إحداهما**: أن يكونَ معدُولاً عن طَاوٍ، فيصير مثلَ «عُمَرَ» المَعدُول عن عامِرٍ، فلا ينصرفُ كما لا ينصَرفُ «عُمر». **والجهة الثانية**: أن يكونَ اسماً للبُقعَةِ، كقوله: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾[3]، وإذا كُسِرَ ونُوِّنَ فهو مثل مِعىً. والمعنى: المُقدَّس مرَّةً بعد مرَّةٍ كما قال عَدِيُّ بنُ زيدٍ:

أَعَـاذِلَ، إنَّ الـلَّـومَ فـي غَـيْـرِ كُـنْـهِـهِ ... عَـلَـيَّ طِـوىً مِـن غـيِّـكَ الـمُـتَـرَدِّدِ

أي: اللومُ المُكرَّرُ عليَّ؛ ومَنْ لم يُنَوِّنْ جعلَهُ اسماً للبُقعةِ.

وللمُفسِّرين في معنى «طوىً» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمُ الوادي، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ معنى «طوى»: طَإِ الوادي، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وعن مُجاهِدٍ كالقولَين. **والثالث**: أنه قُدِّسَ مرَّتين، قاله الحَسنُ وقَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ أي: اصطَفيتُك، وقرأ حمزةُ، والمُفَضَّلُ: «وأنَّا» بالنون المشدَّدةِ

---

[٩٧٢] ضعيف جداً. أخرجه الترمذي ١٧٣٤ والطبري ٢٤٠٣٨ والحاكم ٢/ ٣٧٩ والذهبي في «الميزان» ١/ ٦١٥ من طرق عن حميد بن عبد الله الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود مرفوعاً. صححه الحاكم على شرط البخاري! وتعقبه الذهبي بقوله: بل ليس على شرط البخاري وإنما غرّه أن في الإسناد حميد بن قيس كذا، وهو خطأ. إنما هو حميد الأعرج الكوفي ابن علي أو ابن عمارة، أحد المتروكين. فظنه المكي الصادق. وقال الترمذي: غريب، وحميد هو ابن علي، سمعت محمداً ـ البخاري ـ يقول: منكر الحديث. ونقل الذهبي في «الميزان» ١/ ٦١٥ عن ابن حبان قوله: روى عن ابن مسعود نسخة كأنها موضوعة.

(١) سورة الحجر: ٨٩. (٢) سورة المائدة: ٢١. (٣) سورة القصص: ٣٠.

«اخترناك» بألِفٍ. ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: للذي يُوحَىٰ، قال ابنُ الأنباري: الاستماعُ ها هنا محمولٌ على الإنصاتِ. المعنى: فأنصتْ لوَحْيي، والوَحيُ ها هنا قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ أي: وَحِّدْني، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أقِمِ الصَّلاةَ متى ذكرتَ أنَّ عليكَ صلاةً، سواءٌ كنتَ في وَقْتِها أو لم تكُنْ، هذا قولُ الأكثرين.

[٩٧٣] وروى أنسٌ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ نَسِيَ صلاةً فليُصَلِّها إذا ذَكَرَها، لا كفَّارةَ لها غيرُ ذلك، وقرأ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾».

والثاني: أقِمِ الصَّلاةَ لِتَذْكُرَني فيها، قاله مُجاهِدٌ. وقيلَ: إنَّ الكلام مَرْدُودٌ على قوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ﴾، فيكون المعنى: فاستَمِع لِمَا يُوحىٰ، واستَمِع لِذِكْرِي. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ السَّمَيْفع: «وأقم الصلاة للذكرى» بلامَيْنِ وتشديدِ الذال.

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أكثرُ القُرَّاءِ على ضمِّ الألِفِ. ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أكادُ أُخفِيها مِنْ نَفْسِي، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ في آخَرين. وقرأ ابنُ مسعود وأبيّ بن كعب، ومحمَّدُ بنُ عليٍّ: أكادُ أُخفِيها مِنْ نَفْسِي، قال الفَرَّاءُ: المعنى: فكيف أُظهِرُكُم عليها؟ قال المُبَرِّدُ: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالَغُوا في كِتمَانِ الشيءِ: كَتَمْتُه حتى مِنْ نَفْسي، أي: لم أُطلِعْ عليه أحداً. **والثاني**: أنَّ الكلام تَمَّ عند قوله: «أكاد»، وبعده مُضمَرٌ تقديره: أكادُ آتي بها والابتداء: أُخفِيها، قال ضَابِئُ البرجمي:

هَـمَـمْـتُ ولَـم أفْـعَـلْ وكِـدْتُ[٢]

أراد: كِدْتُ أفعَلُ. **والثالث**: أنَّ معنى «أكاد»: أُريد، قال الشاعر:

كَـادَتْ وكِـدْتُ وتِـلـكَ خَـيْـرُ إرادَةٍ ... لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبابَةِ ما مَضى[٣]

معناه: أرادتْ وأردتُ، ذكرهما ابنُ الأنبَاري.

فإنْ قيلَ: فما فائدةُ هذا الاخفاءِ الشديدِ؟ فالجواب: أنه للتَّحذير والتَّخويف، ومَنْ لم يعلَمْ متى يَهجُمُ عليه عَدوُّه كان أشدَّ حَذَرًا. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعُروةُ بنُ الزُّبيرِ، وأبو رَجَاءِ العُطَارِدي، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «أخفيها» بفتحِ الألِفِ، قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: أكادُ أُظهِرُها، قال امرُؤُ القَيسِ:

وإنْ تَـدْفِـنُـوا الـدَّاءَ لا نُـخْـفِـهِ ... وإنْ تَـبْـعَـثُـوا الـحَـرْبَ لا نَـقْـعُـدِ[٤]

---

[٩٧٣] صحيح. أخرجه البخاري ٥٩٧ و ٨٤٧ ومسلم ٦٨٤ وأبو داود ٤٤٢ والترمذي ١٧٨ والنسائي ٦١٤ وابن ماجه ٦٩٦ وأحمد ٣/ ٢٤٣ وأبو يعلى ٢٨٥٤ كلهم من حديث أنس.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٤٠٢: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول، قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء.

(٢) هو صدر بيت وتمامه:

هـمـمـت ولـم أفـعـل وكـدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

(٣) البيت غير منسوب في «اللسان» ـ كود ـ.

(٤) البيت في ديوانه ١٨٦ و «اللسان» ـ خفا ـ.

أي: إنْ تدفنوا الدَّاءَ لا نُظهره. قال: وهذه القراءةُ أبيَنُ في المعنى، لأنَّ معنى «أكاد أُظهرها» قد أَخفيتُها وكِدتُ أُظهِرُها. ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ أي: بما تعمل. و ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ متعلّقٌ بقوله: «إن الساعة آتية» لِتُجزى، ويجوز أنْ يكونَ على «أقم الصلاة لذكري» لِتُجزى.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا﴾ أي: مَنْ لا يُؤمِن بكونها؛ والخِطابُ للنبيِّ ﷺ خِطابٌ لجميع أُمَّتِه، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: مُرادَهُ وخالَف أمرَ الله عزَّ وجلَّ، ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ أي: فتهلِكُ؛ قال الزَّجَّاجُ: يُقال: رَدِي يَرْدَى رَدًى: إذا هَلَكَ.

﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «تلك» اسمٌ مُبهَمٌ يجري مَجرى «التي»، والمعنى: ما التي بيمينِكَ؟ قوله تعالى: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾ التَّوكُّؤ: التَّحاملُ على الشيءِ اليابس ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾ قال الفرَّاءُ: أَضْرِبُ بها الشجرَ اليابسَ ليسقطَ ورقُهُ فترعاهُ غنَمِي، قال الزَّجَّاجُ: واشتِقاقُه مِنْ أنِّي أُحِيلُ الشيءَ إلى الهَشاشَةِ والإمكانِ. والمآرِبُ: الحاجاتُ، واحدُها: مأرُبَة، ومأرَبَة، وروى قُتَيبةُ، ووَرْشٌ: «مآرب» بإمالةِ الهمزةِ. فإنْ قيلَ: ما الفائدة في سؤالِ الله تعالى له: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ﴾ وهو يعلمُ؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ لفظَهُ لفظُ الاستفهام، ومَجراهُ مجرى السؤال، يُجيبَ المُخاطَبُ بالإقرارِ به، فتثبتَ عليه الحُجَّةُ باعترافه فلا يمكنه الجَحدُ، ومثله في الكلام أن تقولَ لِمَنْ تُخاطِبُه وعندك ماءٌ: ما هذا؟ فيقول: ماءٌ، فتضعُ عليه شيئاً مِنَ الصِّبْغِ، فإنْ قال: لم يَزَلْ هكذا، قلتَ له: ألستَ قد اعترفتَ بأنه ماءٌ؟ فتثبت عليه الحُجَّةُ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. فعلى هذا تكون الفائدةُ أنه قرَّر موسى أنها عَصاً لمَّا أراد أنْ يُرِيَه مِنْ قُدرته في انقِلابها حيَّةً، فوقع المُعجِزُ بها بعد التَّثبتِ في أمرِها. **والثاني**: أنه لمَّا اطَّلع اللّهُ تعالى على ما في قَلْبِ موسى مِنَ الهيبة والإجلال حين التَّكليم، أراد أنْ يُؤانسَهُ ويُخفِّفَ عنه ثِقَلَ ما كان فيه مِنَ الخوف، فأجرى هذا الكلام للاستِئْناسِ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي. فإنْ قيلَ: قد كان يكفي في الجواب أن يقولَ: «هي عصاي» فما الفائدةُ في قوله: «أتوكَّأُ عليها» إلى آخرِ الكلام، وإنما يُشرَحُ هذا لِمَنْ لا يعلم فوائدَها؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه أجاب بقوله: «هي عصاي» فقيلَ لهُ: ما تَصنعُ بها؟ فذكرَ باقي الكلام جواباً عن سؤالٍ ثانٍ، قاله ابنُ عباسٍ، ووَهْبٌ. **والثاني**: أنه إنما أظهرَ فوائدَها، وبيَّنَ حاجتَهُ إليها، خوفاً من أن يأمُرَهُ بإلقائِها كالنَّعلين، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنه بيَّنَ منافعها لئلاَّ يكونَ عابثاً بحَمْلِها، قاله المَاوَرْدِي. فإنْ قيلَ: فلِمَ اقتصرَ على ذِكْرِ بعض منافعها ولم يُطِلِ الشرحَ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه كَرِهَ أن يشتغلَ عن كلام الله بتَعدادِ منافِعِها. **والثاني**: أنه استغنى بعِلْمِ الله فيها عن كَثْرَةِ التَّعدادِ. **والثالث**: أنه اقتصرَ على اللازمِ دُونَ العَارِضِ. وقيلَ: كانت تُضيءُ له باللَّيل، وتدفعُ عنه الهَوَامَ، وتُثمِرُ له إذا اشتهى الثِّمارَ. وفي جنسها قولان: **أحدهما**: أنها كانت مِنْ آسِ الجنَّةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها كانت مِنْ عَوسَجٍ.

فإن قيل: المآرِبُ جمعٌ، فكيف قال: «أخرى» ولم يَقُلْ: «أُخَر»؟ فالجواب: أنَّ المآرِبَ في معنى جماعة، فكأنه قال: جماعةٌ مِنَ الحاجاتِ أُخرى، قاله الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ قال المُفسِّرون: ألقاها، ظَنًا منه أنه قد أُمِر برَفْضِها، فسمعَ حسًا فالتَفتَ فإذا هي كأعظم ثُعبانٍ تمُرُّ بالصخرة العظيمة فتبتَلعُها، فهربَ منها.

وفي وَجْهِ الفائدة في إظهار هذه الآيةِ ليلةَ المُخاطبةِ قولان: **أحدهما**: لئلاً يخافَ منها إذا ألقاها بينَ يَدَي فِرعَونَ. **والثاني**: لِيُريَهُ أنَّ الذي أبعثُكَ إليه دُونَ ما أريتُك، فكما ذَلَّلْتُ لكَ الأعظَمَ وهو الحيَّة، أُذلِّلُ لكَ الأدنى.

ثم إنَّ الله تعالى أَمرَهُ بأخذِها وهي على حالِها حيَّةً، فوضع يدَهُ عليها فعادَتْ عَصاً، فذلك قوله: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ قال الفرَّاءُ: طريقَتَها، يقول: تردُّها عصا كما كانت، قال الزَّجَّاجُ: «وسيرتها» منصوبةٌ على إسقاطِ الخافضِ وإفضاءِ الفعلِ إليها، المعنى: سَنُعيدُها إلى سيرَتِها.

فإنْ قيلَ: إنما كانت العَصَا واحدةً، وكان إلقَاؤُها مرَّةً، فما وَجْهُ اختلافِ الأخبار عنها، فإنه يقول في الأعرافِ: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[1]، وهاهنا: «حية» وفي مكانٍ آخرَ: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾[2] ليست بالعظيمة، والثُّعبانُ أعظمُ الحَيَّاتِ؟ فالجواب: أنَّ صِفتَها بالجَانّ عبارةٌ عن ابتداءِ حَالِها، وبالثُّعبان إخبارٌ عن انتهاءِ حالِها، والحَيَّةُ اسمٌ يقع على الصَّغيرِ والكبيرِ والذَّكرِ والأُنثى. وقال الزَّجَّاجُ: خَلْقُها خَلْقُ الثُّعبان العظيم، واهتِزازُها وحَرَكَتُها وخِفَّتُها كاهتزازِ الجَانِّ وخفته.

قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ قال الفرَّاءُ: الجَناحُ مِنْ أسفل العَضُدِ إلى الإبطِ. وقال أبو عُبيدَةَ: الجَناحُ ناحيةُ الجَنْبِ، وأنشد:

أَضُـمُّـهُ لـلـصَّـدْرِ والـجَـنَـاحِ

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: مِنْ غيرِ برَصٍ ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: دلالةً على صِدقِكَ سوى العصا. قال الزَّجَّاجُ: ونصب «آيةً» على معنى: آتيناكَ آيةً، أو نُؤتيك.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾. إن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: «الكُبَر»؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه كقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ وقد شرحناه، هذا قولُ الفرَّاءِ. **والثاني**: أنَّ فيه إضماراً تقديره: لِنُريكَ مِنْ آياتنا الآيةَ الكُبرى. وقال أبو عُبيدَةَ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: لِنُريكَ الكُبرى مِنْ آياتنا. **والثالث**: أنه إنما كان ذلك لِوِفَاقِ الآيِ، حكى القولَين الثَّعلَبيُّ.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى
﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾
كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: جاوزَ الحَدَّ في العِصيان.

قوله تعالى: ﴿ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ قال المُفسِّرون: ضَاقَ موسى صدراً بما كُلِّفَ مِنْ مُقاومة فِرعونَ

(١) سورة الأعراف: ١٠٧. (٢) سورة النمل: ٢٠.

وجُنودِه، فسأَلَ اللّهَ تعالى أن يُوسِّعَ قلبَهُ للحقِّ حتى لا يخافَ فِرعونَ وجنودَهُ. ومعنى قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾: سَهِّل عليَّ ما بعَثْتَني له. ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ قال ابنُ قُتَيبة: كانت فيه رُتَّةٌ[1] قال المُفسِّرون: كان فِرعونُ قد وضعَ موسى في حِجْرِهِ وهو صغيرٌ، فجرَّ لِحيَةَ فِرعونَ بيده، فهَمَّ بقَتْلِه، فقالت له آسِيَةُ: إنه لا يَعقِلُ، وسأُريكَ بيانَ ذلك، قَدِّمْ إليه جَمْرَتين ولُؤلُؤتين، فإن اجتنبَ الجَمْرَتين عرفتَ أنه يَعقِلُ، فأخذَ موسى جَمرةً فوضعَها في فِيْهِ فأحرقَتْ لسانه وصارَ فيه عُقدَة، فسأَلَ حَلَّها ليفهَمُوا كلامَهُ.

وأمَّا الوَزير، فقال ابنُ قُتَيبةَ: أصلُ الوِزَارة مِنَ الوِزْرِ وهو الحِمْلُ، كأنَّ الوَزيرَ قد حملَ عن السلطانِ الثِّقَلَ. وقال الزَّجَّاجُ. اشتقاقه مِنَ الوَزَرِ، والوَزَرُ: الجبلُ الذي يُعتَصَمُ به ليُنجي من الهَلَكَةِ، وكذلك وَزيرُ الخليفة، معناه: الذي يعتمدُ عليه في أموره ويلتجِئُ إلى رَأيه. ونصبُ «هارون» مِنْ جهتين. إحداهما: أن تكونَ «اجعل» تتعدَّى إلى مفعولَين، فيكون المعنى: اجعَلْ هارونَ أخي وَزِيري، فينتصب «وزيراً» على أنه مفعولٌ ثانٍ. ويجوز أن يكونَ «هارون» بَدَلاً مِنْ قوله: ﴿وَزِيرًا﴾، فيكون المعنى: اجعَلْ لي وزيراً مِنْ أهلي، ثم أَبدَلَ هارونَ مِنْ وزيرٍ؛ والأوَّلُ أجوَدُ. قال المَاوَرْدِي: وإنما سأَلَ اللّهَ تعالى أن يجعلَ له وَزِيراً، لأنه لم يُرِدْ أن يكون مقصوراً على الوِزَارَةِ حتى يكونَ شريكاً في النُّبوَّةِ، ولولا ذلك لجَازَ أنْ يَستَوزِرَ مِنْ غير مسألةٍ. وحرَّكَ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو بفتحِ ياءِ «أخيَ». قوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ قال الفَرَّاءُ: هذا دعاءٌ مِنْ موسى، والمعنى: اشْدُدْ به يا ربِّ أزْري، وأشرِكْهُ يا ربِّ في أمري. وقرأ ابنُ عامرٍ: «أشدد» بالألِفِ مقطوعةً مفتوحةً، «وأشركه» بضمِّ الألِفِ، وكذلك يَبتَدِئ بالألِفَين. قال أبو عليٍّ: هذه القراءةُ على الجواب والمُجازَاةِ، والوَجْهُ الدُّعاءُ دونَ الإخبار، لأنَّ ما قَبْله دعاءٌ، ولأنَّ الإشراكَ في النبوَّة لا يكون إلاَّ مِنَ الله عزَّ وجلَّ. قال ابنُ قُتَيبة: والأَزْرُ: الظَّهْرُ، يقال: آزرْتُ فُلاناً على الأمرِ، أي: قَوَّيته عليه وكنت له فيه ظَهْراً. قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ أي: في النبوَّة معي ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ أي: نُصلّي لكَ ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ بألسِنَتنا حامِدينَ لكَ على ما أَولَيْتَنا أي مِنْ نِعَمِك ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: عالِماً إذ خَصَصْتَنا بهذه النِّعَم،

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝٣٧ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝٤١ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: طَلِبَتَكَ، وهو «فُعْل» من «سَأَلت»، أي: أُعطِيتَ ما سأَلتَ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ أي: أنعمْنا عليكَ ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ قبلَ هذه المَرَّةِ. ثم بيَّنَ متى كانت بقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: أَلهَمْناها ما يُلهَمُ مما كان سبباً لنجاتِكَ، ثم فسَّرَ

(١) في «اللسان»: الرُّتَّة بالضم: عجلة في الكلام، وقلة أناة، وقيل: هو أن يقلب اللام ياء.

ذلك بقوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ وقَذْفُ الشيء: الرَّميُ به. فإنْ قيلَ: ما فائدةُ قوله: ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ وقد عُلِمَ ذلك؟ فقد ذكرَ عنه ابنُ الأنباري جوابين: **أحدهما**: أنَّ المعنى: أوحينا إليها الشيءَ الذي يجوز أنْ يُوحَى إليها، إذ ليس كلُّ الأمور يَصلُحُ وَحْيُهُ إليها، لأنها ليست بنَبِيٍّ، وذلك أنها أُلهِمَتْ. **والثاني**: أنَّ ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ أفادَ توكيداً، كقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾ قال ابنُ الأنباري: ظاهرُ هذا الأمرُ، ومعناه معنى الخَبرُ، تأويله: يُلقِيه اليَمُّ، ويجوز أن يكون البحرُ مأموراً بآلةٍ رَكَّبها اللهُ تعالى فيه، فسمعَ وعَقلَ، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار. فأمَّا السَّاحلُ، فهو: شَطُّ البحر. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعني: فِرعونَ. قال المُفسِّرون: اتَّخذَتْ أُمُّهُ تابوتاً وجعلت فيه قُطناً مَحلوجاً، ووضعت فيه موسى وأحكَمَتْ بالقَارِ شُقوقَ التَّابوتِ، ثم ألْقَتْهُ في النِّيلِ، وكان يَشرعُ منه نهرٌ كبيرٌ في دار فِرعونَ، فبَيْنَا هو جالسٌ على رأس البِرْكَةِ مع امرأتِه آسِيَةَ، إذا بالتَّابوتِ، فأمرَ الغِلمانَ والجَواري بأَخْذِه، فلما فَتَحُوهُ رأوا صبياً مِنْ أصبَحِ الناس وَجْهاً؛ فلما رآه فِرعونُ أحبَّه حُبّاً شديداً، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾، قال أبو عُبيدَةَ: ومعنى «ألقيتُ عليكَ» أي: جعلتُ لكَ مَحبَّة مني. قال ابنُ عباسٍ: أحَبَّه وحبَّبَه إلى خَلْقِه، فلا يَلقَاهُ أحدٌ إلاَّ أحبَّهُ مِنْ مؤمنٍ وكافرٍ. وقال قَتادَةُ: كانت في عينيه مَلاحَةٌ، فما رآه أحدٌ إلاَّ أحبَّه.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ وقرأ أبو جعفرَ: «ولْتُصنعْ» بسكونِ اللام والعين والإدغام. قال قتادة: لتغذىٰ على محبتي وإرادتي. قال أبو عُبيدَةَ: على ما أُريدَ وأُحِبَّ. قال ابنُ الأنباري: هو مِنْ قول العرب: غُذِيَ فُلانٌ على عَيني، أي: على المَحبَّة مِنِّي. وقال غيرُه: لتَربَّى وتُغذَى بمَرأىً مِنِّي، يقال: صنعَ الرجلُ جاريتَهُ: إذا رَبَّاها؛ وصَنعَ فرسَهُ: إذا دَاومَ على عَلَفِه ومُراعَاتِه، والمعنى: ولِتُصْنَعَ على عيني، قَدَّرنا مَشيَ أختِكَ وقولَها: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ لأنَّ هذا كان مِنْ أسباب تربيَتِه على ما أراد اللهُ تعالى. فأمَّا أختُه، فقال مُقاتِلٌ: اسمُها مَريمُ. قال الفَرَّاءُ: وإنما اقتصَرَ على ذِكْرِ المَشي، ولم يذكُرْ أنها مَشَتْ حتى دخلَتْ على آلِ فِرعونَ فدَلَّتْهم على الظِّئْرِ، لأنَّ العرب تجتزِئُ بحذفِ كثيرٍ مِنَ الكلام، وبقليله، إذا كان المعنى معروفاً، ومثله قوله: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾[(٢)]، ولم يَقُلْ: فأرسِلَ حتى دخلَ على يُوسفَ.

قال المُفسِّرون: سببُ مَشْيِ أختِه أنَّ أُمَّهُ قالت لها: قُصِّيه، فاتَّبعَتْ موسى على أَثَرِ الماء، فلمَّا التَقَطَهُ آلُ فِرعونَ جعل لا يقبلُ ثَدْيَ امرأةٍ، فقالت لهم أُختُهُ: «هل أدُلُّكم على من يَكْفُلُه» أي: يُرْضِعه ويَضُمُّه إليه، فقيلَ لها: ومَنْ هي؟ فقالت: أُمِّي، قالوا: وهل لها لَبَنٌ؟ قالت: لبنُ أخي هَارونَ، وكان هارونُ أَسَنَّ مِنْ موسى بثلاثِ سنين، فأرسَلُوها، فجاءت بالأمِّ فقَبِلَ ثديَها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ أي: رَددناكَ إليها ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بكَ وبرُؤْيَتِكَ. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني: القِبطيَّ الذي وَكَزَهُ فقضى عليه، وسيأتي ذِكْرُه إنْ شاءَ اللهُ تعالى ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ وكان مَغموماً مَخافَةَ أنْ يُقتَلَ به، فنَجَّاهُ اللهُ بأن هربَ إلى مَدْيَنَ، ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اختبرناكَ اختِباراً، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أخلَصناكَ إخلاصاً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثالث**: ابتَليناكَ ابتِلاءً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. وقال الفَرَّاءُ: ابتَليناكَ بغَمِّ

(١) سورة النجم: ٥٤. (٢) سورة يوسف: ٤٥.

القَتْلِ ابتلاءً. وروى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: الفُتُونُ: وقوعُه في مِحنةٍ بعد مِحنةٍ خلَّصَهُ الله منها، أوَّلُها أنَّ أُمَّه حَمَلَتْهُ في السَّنَةِ التي كان فِرعونُ يذبحُ فيها الأطفالَ، ثم إلقاؤُهُ في البحرِ، ثم مَنعُهُ الرَّضاعَ إلاَّ مِنْ ثَدي أُمِّهِ، ثم جَرُّهُ لِحيَةَ فِرعونَ حتى هَمَّ بقَتْلِه، ثم تناولُه الجَمرَةَ بدَلَ الدُّرَّةِ، ثم قَتْلُه القِبْطِيَّ، ثم خُروجُه إلى مَدْيَنَ خائفاً؛ وكان ابنُ عباسٍ يقصُّ هذه القَصَصَ على سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، ويقول له عندَ كلِّ بَلِيَّةٍ: وهذا مِنَ الفُتُونِ يا ابنَ جُبَيرٍ؛ فعلى هذا يكون معنى «فتنَّاكَ» خلَّصناكَ مِنْ تلك المِحَنِ كما يُفتَنُ الذهبُ بالنارِ فيُخَلَّصُ مِنْ كلِّ خَبَثٍ. والفُتُونُ: مصدرٌ.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ تقدير الكلام: فخرجتَ إلى أهلِ مَدْيَنَ. ومَدْيَنُ: بلدُ شُعَيبٍ، وكان على ثماني مَراحلَ مِنْ مِصْرَ، فهربَ إليه موسى. وقيل: مَدْيَنُ: اسمُ رجلٍ، وقد سبق هذا[1]. وفي قَدْرِ لُبثِه هناك قولان: **أحدهما**: عشرُ سنين، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: ثمانٌ وعشرون سنةً، عشرٌ منهنَّ مَهْرُ امرأته، وثمان عشرة أقام حتى وُلِدَ له، قاله وَهْبٌ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: جِئتَ لميقاتٍ قَدَّرتُه لمَجيئِكَ قبلَ خَلْقِكَ، وكان ذلك على رأسِ أربعين سنةً، وهو الوقت الذي يُوحى فيه إلى الأنبياء، هذا قولُ الأكثرين. وقال الفَرَّاءُ: «على قَدَرٍ» أي: على ما أراد اللهُ به مِنْ تكليمِه.

قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي: اصطَفيتُكَ واختَصَصتُكَ، والاصطِناعُ: اتِّخاذُ الصَّنيعَةِ، وهو الخير تُسديه إلى إنسانٍ. وقال ابنُ عباسٍ: اصطَفيتُكَ لِرسالَتي ووَحْيي ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها العَصا واليدُ. وقد يُذْكَرُ الاثنان بلفظِ الجمع. **والثاني**: العصا واليدُ وحَلُّ العُقْدَةِ التي ما زال فِرعونُ وقومه يعرفونها، ذكرهما ابنُ الأنباري. **والثالث**: الآياتُ التِّسعُ. والأولُ أصحُّ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: لا تَضعُفا ولا تَفتُرا؛ يقال: وَنى يَني في الأمرِ؛ وفيه لغةٌ أخرى: وَنِيَ، يَونى. وفي المراد بالذِّكْرِ هاهنا قولان[2]: **أحدهما**: أنه الرِّسالةُ إلى فِرعَونَ. **والثاني**: أنه القيامُ بالفرائضِ والتَّسبيحُ والتَّهليلُ.

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ فائدةُ تكرارِ الأمرِ بالذَّهاب، التَّوكيدُ. وقد فسَّرنا قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[3]. قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني، وعَاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ: «لَيْنا» بإسكانِ

---

(١) في سورة الأعراف: ٨٦.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٩٤: والمراد أنهما لا يفتران عن ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوةً لهما وسلطاناً كاسراً له، كما جاء في الحديث: «إن عبدي كل عبدي للذي يذكرني وهو مناجز قِرْنَه».

(٣) في سورة طه: ٢٤.

الياء، أي: لطيفاً رَفيقاً. وللمفسِّرين فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُولاَ له: قُلْ: «لا إلَه إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له»، رواه خالدُ بنُ مَعْدانَ عن مُعاذٍ، والضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾[1]، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثالث**: كَنِّيَاهُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. فأمَّا اسْمُه، فقد ذكرناه في البقرة[2]. وفي كُنيَتِه أربعةُ أقوالٍ. أحدُها: أبو مُرَّة، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أبو مُصعَبٍ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. والثالث: أبو العَبَّاسِ. والرابع: أبو الوَليدِ، حكاهما الثَّعلبيُّ. **والقول الرابع**: قولا له: إنَّ لكَ رَبّاً، وإنَّ لكَ مَعَاداً، وإنَّ بين يديكَ جَنَّةً وناراً، قاله الحَسَنُ. **والخامس**: أنَّ القولَ اللَّيِّنَ: أنَّ موسى أتاهُ، فقال له: تُؤمِنُ بما جِئتُ به وتَعبدُ رَبَّ العالَمين، على أنَّ لكَ شبابَكَ فلا تَهرَمُ، وتكون مَلِكاً لا يُنزَعُ منك حتى تموتَ، فإذا مِتَّ دخلتَ الجنَّةَ، فأعجبه ذلك؛ فلمَّا جاء هَامَانُ، أخبره بما قال موسى، فقال: قد كنتُ أرى أنَّ لكَ رأياً، أنتَ رَبٌّ أردتَ أنْ تكونَ مَربُوباً؟! فقلَبَهُ عن رأيِهِ، قاله السُّدِّيُّ. وحُكي عن يَحيى بنِ مُعاذٍ أنه قرأ هذه الآيَةَ، فقال: إلهي هذا رِفقُكَ بمَنْ يقول: أنا إلهٌ، فكيفَ رِفقُكَ بمَنْ يقول: أنتَ إلهٌ.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «لَعلَّ» في اللغة: تَرَجٍّ وطَمعٌ، تقول: لَعَلِّي أصيرُ إلى خيرٍ، فخاطَبَ اللهُ تعالى العبادَ بما يعقلون. والمعنى عند سِيبَويه: اذهبا على رَجائِكُما وطَمَعِكُما. والعِلْمُ مِنَ الله تعالى مِنْ وراءِ ما يكون، وقد عَلِمَ أنه لا يتذكَّرُ ولا يخشى، إلاَّ أنَّ الحُجَّةَ إنما تَجِبُ عليه بالآيَة والبُرهانِ، وإنما تُبعَثُ الرُّسلُ وهي لا تعلمُ الغَيْبَ ولا تدري أيُقبَلُ منها، أمْ لا، وهم يَرجُونَ ويَطمَعُونَ أنْ يُقبلَ منهم، ومعنى «لعلَّ» مُتصوَّرٌ في أنفُسِهم، وعلى تَصوُّرِ ذلك تقومُ الحُجَّةُ. قال ابنُ الأنباري: ومذهبُ الفَرَّاءِ في هذا: كي يتذكَّرَ. وروى خالدُ بن مَعْدانَ عن مُعاذٍ قال: واللهِ ما كان فِرعونُ لِيَخرُجَ مِنَ الدنيا حتى يتذكَّرَ أو يَخْشى، لهذه الآيةِ، وإنه تَذَكَّرَ وخَشِيَ لمَّا أدركَهُ الغرقُ. وقال كَعبٌ: والذي يحلِفُ به كَعبٌ، إنه لَمكتوبٌ في التَّوراةِ: فقُولا له قَولاً لَيِّناً، وسأُقَسِّي قلبَهُ فلا يُؤمِنُ. قال المُفسِّرون: كان هارونُ يَومَئذٍ غائباً بمِصْرَ، فأوحى اللهُ تعالى إلى هارونَ أنْ يتلَقَّى موسى، فتَلقَّاه على مَرحَلةٍ، فقال له موسى: إنَّ الله تعالى أَمَرني أنْ آتيَ فِرعونَ، فسألتُه أنْ يجعَلَكَ معي؛ فعلى هذا يحتملُ أنْ يكونا حين التَقَيا قالا: رَبَّنا إننا نخافُ. قال ابنُ الأنباري: ويجوزُ أنْ يكون القائلُ لذلك موسى وحدَهُ، وأخبرَ اللهُ عنه بالتثنية لمَّا ضمَّ إليه هارونَ، فإنَّ العربَ قد تُوقع التثنيةَ على الواحدِ، فتقول: يا زيدُ قوما، يا حرسيَّ اضربا عُنقَهُ.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ وقرأ عبدُ الله بن عَمرٍو، وابنُ السَّمَيْفع، وابنُ يَعمُرَ، وأبو العَالِيَة: «أن يُفرِط» برفع الياء وكسرِ الراء. وقرأ عِكرِمَةُ، وإبراهيمُ النَّخَعيُّ: «أن يَفرَط» بفتح الياء والراء. وقرأ أبو رَجَاءٍ العُطَارِدي، وابنُ مُحَيصِنٍ: «أن يُفرَط» بضمِّ الياء وفتح الراء. قال الزَّجَّاجُ: المعنى، أنْ يُبادِرَ بعقوبتنا، يقال: قد فَرَطَ منه أمرٌ، أي: قد بَدَرَ؛ وقد أفرَطَ في الشيءِ: إذا اشتَطَّ فيه؛ وفرَّطَ في الشيءِ: إذا قصَّرَ؛ ومعناه كلُّه: التَّقدُّم في الشيءِ، لأنَّ الفَرَطَ في اللغة: المُتقدِّمُ.

---

(١) سورة النازعات: ١٨ و ١٩. (٢) سورة البقرة: ٤٩.

[٩٧٤] ومنه قوله عليه الصلاةُ والسلامُ: «أنا فَرَطُكم على الحَوضِ».

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يستعصي، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: يُجاوز الحَدَّ في الإساءةِ إلينا. قال ابنُ زيدٍ: نخاف أنْ يُعجِلَ علينا قبلَ أن نُبلِّغَهُ كلامَكَ وأمرَكَ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ أي: بالنُّصرةِ والعَونِ ﴿أَسْمَعُ﴾ أقوالَكم ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعالَكم. قال الكَلبيُّ: أسمعُ جوابَه لكُما، وأرى ما يَفعلُ بكما.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: خَلِّ عنهم (ولا تعذِّبهم) وكان يستعمِلُهم في الأعمال الشَّاقَّة، ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي العَصا. قال مُقاتِلٌ: أظهَرَ اليدَ في مقام، والعَصا في مقام. قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ قال مُقاتِلٌ: على مَنْ آمَنَ بالله. قال الزَّجَّاجُ: وليس يعني به التَّحيَّةَ، وإنما معناه: أنَّ مَنِ اتَّبعَ الهُدى، سَلِمَ مِنْ عذابِ الله وسَخطِه، والدليلُ على أنه ليس بسلامٍ، أنه ليس بابتداءِ لقاءٍ وخطابٍ. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرَضَ عنه.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ في الكلام محذوفٌ معناه معلومٌ، وتقديره: فأتياهُ فأدَّيا الرِّسالةَ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما لم يَقُلْ: فأتياه، لأنَّ في الكلام دليلاً على ذلك، لأنَّ قوله: «فمَنْ ربُّكما» يدلُّ على أنهما أتياهُ وقالا له.

قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعطى كُلَّ شيءٍ صُورَتَهُ، فخَلَقَ كُلَّ جنسٍ مِنَ الحيوان على غيرِ صورةِ جنسه، فصورةُ ابنِ آدمَ لا كصورةِ البهائم، وصورةُ البَعيرِ لا كصورةِ الفَرَسِ، روى هذا المعنى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أعطى كلَّ ذَكَرٍ زوجةً مثله، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ، فيكون المعنى: أعطى كُلَّ حيوانٍ ما يُشاكِلُه. **والثالث**: أعطى كلَّ شيءٍ ما يُصلِحُه، قاله قَتادةُ. وفي قوله: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: هَدَى كيف يأتي الذَّكرُ الأنثى، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: هَدَى للمَنكَحِ والمَطعَمِ والمَسكَنِ، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: هَدَى كلَّ شيءٍ إلى مَعيشَتِه، قاله مُجاهِدٌ. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وابنُ عباسٍ، والأعمَشُ، وابنُ السَّمَيْفع، ونُصَيرٌ عن الكِسائيِّ: «أعطى كُلَّ شيءٍ خَلَقَهُ» بفتحِ اللام.

---

[٩٧٤] صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٨٩ ومسلم ٢٢٨٩ والحميدي ٧٨٧ وابن أبي شيبة ١١/ ٤٤٠ وأحمد ٤/ ٣١٣ والطبراني ١٦٨٨ و ١٦٨٩ و ١٦٩١ وابن حبان ٦٤٤٥ و ٦٤٤٦ من طرق عن جندب بن سفيان البجليّ. وفي الباب أحاديث كثيرة.

فإنْ قيلَ: ما وَجْهُ الاحتِجاجِ على فِرعَونَ مِنْ هذا؟

فالجواب: أنه قد ثَبَتَ وجودُ خَلْقٍ وهِدايةٍ، فلا بُدَّ مِنْ خالقٍ وهَادٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ اختلفوا فيما سألَ عنه مِنْ حالِ القُرونِ الأولى على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه سأله عن أخبارها وأحادِيثها، ولم يكُنْ له بذلك عِلْمٌ، إذ التَّوراةُ إنما نزلت عليه بعد هَلاكِ فِرعَونَ، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، هذا مذهبُ مُقاتِلٍ. وقال غيره: أراد: إنّي رسولٌ، وأخبارُ الأُمَمِ عِلْمُ غَيْبٍ، فلا عِلْمَ له بالغَيْبِ. **والثاني**: أنَّ مُرادَهُ مِنَ السؤال عنها: لِمَ عُبِدَتِ الأصنامُ، ولِمَ لم يُعبَدِ اللهُ إنْ كان الحقُّ ما وَصَفتَ؟! **والثالث**: أنَّ مُرادَهُ: ما لها لا تُبعَثُ ولا تُحاسَبُ ولا تُجازَى؟! فقال: عِلْمُها عند الله، أي: عِلْمُ أعمالِها. وقيلَ: الهاءُ في «عِلْمُها» كنايةٌ عن القيامة، لأنه سألَهُ عن بَعْثِ الأُمَمِ، فأجابه بذلك.

وقوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ أراد: اللَّوحَ المَحفوظَ. قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ وقرأ عبدُ الله بنُ عمرٍو، وعَاصِمٌ الجَحدَريُّ، وقَتادَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «لا يُضِلُّ» بضمِّ الياء وكسرِ الضاد، أي: لا يضيعه وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفع: «لا يُضَل» بضمِّ الياء وفتح الضاد. وفي هذه الآية توكيدٌ للجَزاءِ على الأعمال، والمعنى: لا يُخطئ رَبِّي ولا يَنسى ما كان مِنْ أمرِهم حتى يُجازِيَهُم بأعمالِهم. وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتابٍ لأنه يَضِلُّ ويَنسى.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «مِهاداً». وقرأ عاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ: «مهداً» بغير ألِفٍ. والمِهادُ: الفِراشُ، والمَهْدُ: الفَرشُ. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ أي: أدخلَ لأجلكُم في الأرض طُرُقاً تسلُكونَها، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطرَ. وهذا آخرُ الإخبارِ عن موسى. ثم أخبرَ اللهُ تعالى عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ يعني: بالماءِ ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: أصنافاً مُختلفةً في الألوان والطُّعوم، كلُّ صِنفٍ منها زوجٌ. و «شتى» لا واحدَ له مِنْ لفظِه. ﴿كُلُوا۟﴾ أي: ممَّا أخرجنا لكم مِنَ الثِّمار ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ يقال: رَعَى الماشيةَ، يرعَاها: إذا سَرَّحَها في المَرعى. ومعنى هذا الأمر: التَّذكيرُ بالنِّعَم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ أي: لَعِبَراً في اختلافِ الألوانِ والطُّعوم ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ قال الفَرَّاءُ: لِذوي العُقولِ، يُقال للرجل: إنه لذُو نُهيَةٍ: إذا كان ذا عَقلٍ. قال الزَّجَّاجُ: واحدُ النُّهى: نُهيَة، يُقال: فلانٌ ذو نُهيَةٍ، أي: ذو عَقلٍ ينتهي به عن المَقابِحِ، ويدخل به في المحاسِنِ؛ قال: وقال بعضُ أهل اللغة: ذُو النُّهيَةِ: الذي يُنتهَى إلى رأيهِ وعقلِه، وهذا حسنٌ أيضاً. قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني: الأرضَ المذكورةَ في قوله: «جعل لكم الأرض مهاداً». والإشارةُ بقوله: «خلقناكم» إلى آدمَ، والبَشرُ كلُّهم منه. ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾ أي: مَرَّةً ﴿أُخْرَىٰ﴾ بعدَ البَعثِ، يعني: كما أخرجناكُم منها أولاً عند خَلْقِ آدمَ مِنَ الأرض.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ
يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ
لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟

﴿النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ يعني: فِرعونَ ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: التّسعَ الآياتِ، ولم يُرَ كلَّ آيةٍ لله، لأنها لا تُحصى، ﴿فَكَذَّبَ﴾ إذ نَسبَ الآياتِ إلى الكذب، وقال: هذا سِحْرٌ ﴿وَأَبَىٰ﴾ أنْ يُؤمنَ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ يعني: مِصرَ ﴿بِسِحْرِكَ﴾ أي: تريد أنْ تغلبَ على دِيارنا بسِحْرِكَ فتَمْلِكَها وتُخرجنا منها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي: فلَنُقابِلَنَّ ما جئتَ به مِنَ السِّحْرِ بمثله ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: اضرِبْ بيننا وبينَكَ أَجَلاً وميقاتاً ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ أي: لا نُجاوزه ﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ وقيل: اجعَلْ بيننا وبينَكَ مَوعِداً مكاناً نَتَواعَدُ لحضورنا ذلك المكان، ولا يقعُ مِنّا خِلافٌ في حُضورِه. ﴿سُوًى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ بكسر السين. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحمزَةُ، وخَلَفٌ، ويعقوبُ: «سُوىً» بضمِّها. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «مكاناً سَواءً» بالمَدِّ والهمزِ والنَّصبِ والتنوين وفتح السين. وقرأ ابنُ مسعودٍ مثلَهُ، إلا أنه كَسَرَ السينَ. قال أبو عُبيدَةَ: هو اسمٌ للمكان النِّصفِ فيما بين الفريقين، والمعنى: مكاناً تستوي مسافتُه على الفريقين، فتكون مسافةُ كلِّ فريقٍ إليه كمسافة الفريق الآخر. ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ قرأ الجمهور برفع الميم. وقرأ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وهُبيرةُ عن حَفْصٍ بنصبِ الميم. وفي هذا «اليوم» أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: يومُ عيدٍ لهم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، والسُّدِّيُّ عن أشياخه، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: يومُ عاشُوراءَ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: يومُ النَّيرُوزِ، ووافقَ ذلك يومَ السبتِ أولَ يومٍ مِنَ السَّنَةِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: يومُ سَوْقٍ لهم، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

وأمَّا رَفعُ اليوم، فقال البَصريُّون: التقدير: وقتُ مَوعِدكُم يومُ الزِّينَةِ، فنابَ المَوعدُ عن الوقت، وارتفعَ به ما كان يرتَفعُ بالوقتِ إذا ظَهرَ. فأمَّا نصبُه، فقال الزَّجَّاجُ: المعنى: مَوعِدُكم يقعُ يومَ الزِّينة، ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ موضعُ «أن» رفعٌ، المعنى: مَوعِدُكم حشرُ الناس ﴿ضُحًى﴾ أي: إذا رأيتُم الناسَ قد حُشِرُوا ضُحىً. ويجوز أن تكون «أن» في موضعِ خَفْضٍ عطفاً على الزِّينةِ، المعنى: مَوعِدُكم يومُ الزِّينة ويومُ حَشْرِ الناس ضُحىً. وقرأ ابنُ مسعودٍ: وابنُ يَعمَرَ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «وأن تَحْشُرَ» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الشين ونصبِ «الناسَ». وعن ابنِ مسعودٍ، والنَّخَعيِّ: «وأن يَحشُرَ» بالياءِ المفتوحة ورفعِ الشين ونصبِ «الناسَ».

قال المُفسِّرون: أراد بالناس: أهلَ مِصْرَ، وبالضُّحَى: ضُحَى اليومِ، وإنما عَلَّقَهُ بالضُّحى، ليتكامَلَ ضوءُ الشمس واجتماعُ الناس، فيكون أبلغَ في الحُجَّةِ وأبعدَ مِنَ الرِّيبة.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: تولَّى عن الحقِّ الذي أُمِرَ به. **والثاني**: أنه انصرَفَ إلى منزله لاستعدادِ ما يَلقى به موسى، أي: مكرَهُ وحِيلَتَهُ ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ **أي: حضرَ المَوعِدَ**. قال لهم موسى: أي للسحرة وقد ذكرنا عَددَهُم في الأعراف[1].

---

(١) سورة الأعراف: ١١٤.

قوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على «ألزمكم الله ويلاً» ويجوز أنْ يكون على النداءِ، كقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[١].

قوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: لا تُشركوا معه أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «فَيسحَتَكم» بفتحِ الياء، مِنْ «سَحَتَ». وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُ، وحَفصٌ عن عاصِم: «فيُسحِتكم» بضمِّ الياء، مِنْ «أسحَتَ». قال الفَرَّاءُ: ويُسحِتُ أكثرُ، وهو الاستِئصَالُ، والعرب تَقول: سَحتَهُ اللهُ، وأسحَتَهُ، قال الفرزدَقُ:

وعَـضُّ زَمـانٍ يـا بْـنَ مَـرْوانَ لَـمْ يَـدَعْ مِـنَ الـمَـالِ إلاَّ مُـسْـحَـتاً أوْ مُـجَـلَّـفُ[٢]

هكذا أنشد البيتَ الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ، ورواه أبو عُبيدَةَ: «إلا مُسحَتٌ أبو مُجلَّفُ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ يعني: السَّحرةَ تناظروا فيما بينهم في أمرِ موسى، وتشاوَرُوا ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: أخفَوْا كلامَهُم مِنْ فِرعونَ وقومِه. وقيل: مِنْ موسى وهارونَ. وقيلَ: «أسرُّوا» ها هنا بمعنى «أظهروا».

وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قالوا إنْ كان هذا ساحراً، فإنَّا سنغلِبُه، وإنْ يكُنْ مِنَ السماء كما زَعمتُم، فله أمرُهُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنهم لمَّا سمعوا كلامَ موسى قالوا: ما هذا بقولِ ساحرٍ، ولكنْ هذا كلامُ الرَّبِّ الأعلى، فعرفوا الحقَّ، ثم نظروا إلى فِرعونَ وسُلطانِه، وإلى موسى وعصَاهُ، فنُكِسُوا على رؤوسِهم، وقالوا إنْ هذان لَسَاحران، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلُ. **والثالث**: أنهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾. . . الآيات، قاله السُّدِّيُّ.

واختلف القُرَّاءُ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ فقرأ أبو عمروِ بنِ العَلاءِ: «إنَّ هذين» على إعمالِ «إنَّ» وقال: إني لأستَحيِي مِنَ الله أنْ أقرأ «إنْ هذان». وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «إنْ» خفيفةً «هذانّ» بتشديد النون. وقرأ عاصِمٌ في رواية حَفصٍ: «إنْ» خفيفةً «هذان» خفيفةً أيضاً. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «إنّ» بالتشديد «هاذان» بألِفٍ ونونٍ خفيفةٍ. فأما قراءةُ أبي عمرٍو، فاحتجَاجُه في مخالفة المُصحَفِ بما رُوي عن عثمانَ وعائشةَ، أنَّ هذا مِنْ غَلَطِ الكاتبِ على ما حكيناهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٣] في سُورةِ النساء. وأمَّا قراءةُ عاصِم، فمعناها: ما هذان إلاَّ سَاحِران، كقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٤] أي: ما نَظُنُّكَ إلاَّ مِنَ الكاذبين، وأنشدوا في ذلك:

ثَـكِـلَـتْـكَ أمُّـكَ إنْ قَـتـلـتَ لَـمُـسْـلِـمـاً حَـلَّـتْ عـلـيـه عُـقـوبَـةُ الـمُـتَـعَـمِّـدِ

أي: ما قتلتَ إلاَّ مُسلِماً. قال الزَّجَّاجُ: ويشهد لهذه القراءة، ما رُوي عن أُبيِّ بنِ كَعبٍ أنه قرأ «ما هذان إلاَّ ساحران»، ورُوي عنه، «إنْ هذان لساحران» بالتخفيف، ورويت عن الخليل «إن هذان» بالتخفيف والإجماعُ على أنه لم يكن أحدٌ أعلمَ بالنَّحوِ مِنَ الخَليلِ. فأمَّا قراءةُ الأكثرين بتشديد «إنَّ»

---

(١) سورة يس: ٥٢.

(٢) البيت في ديوانه ٥٥٦ و «اللسان» ـ جلف ـ. والمجلّف: الذي أتى عليه الدهر فأذهب ماله. والجلف: أشد استئصالاً من الجرف وأجفى.

(٣) سورة النساء: ١٦٢. (٤) سورة الشعراء: ١٨٦.

وإثباتِ الألِفِ في قوله: «هاذان» فروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: هي لغةُ بلحَارث بنِ كَعبٍ وقال ابنُ الأنبَاري: هي لغةٌ لِبَني الحَارثِ بنِ كَعبٍ، وافقتْهَا لغةُ قُريشٍ. قال الزَّجَّاجُ: وحكى أبو عُبيدَةَ عن أبي الخَطَّابِ، وهو رأسٌ مِنْ رؤوس الرُّواة: أنها لغةٌ لِكِنانةَ، يجعلون ألِفَ الاثنين في الرفع والنصب والخَفضِ على لفظٍ واحدٍ، يقولون: أتاني الزَّيدان، ورأيتُ الزَّيدان، ومررتُ بالزَّيدان، وأنشدوا:

فَـأَطْـرَقَ إطْـرَاقَ الـشُّـجَـاعِ وَلَـوْ رَأَى مَـسَـاغـاً لِـنَـابَـاهُ الـشُّـجَـاعُ لَـصَـمَّـمَـا(١)

ويقول هؤلاء: ضَربتُه بين أُذنَاهُ وقال النَّحويون القدماء: ها هنا هاءٌ مُضمَرةٌ، المعنى: إنه هذان لَسَاحران. وقالوا أيضاً: إنَّ معنى «إنَّ»: نَعَمْ «هذان لساحران»، ويُنشِدون:

ويَــقُــلْــنَ شَــيْــبٌ قــد عَــلاَ كَ وقــد كَــبِــرْتَ فــقُــلْــتُ إنَّــهْ(٢)

قال الزَّجَّاجُ: والذي عندي، وكنتُ عرضتُه على عالِمنا محمَّدِ بنِ يَزيدَ، وعلى إسماعيلَ بنِ إسحاقَ بنِ حمَّادِ بنِ زيدٍ، فقَبِلاَهُ، وذكرا أنه أجودُ ما سمعناه في هذا، وهو أنَّ «إنَّ» قد وقعت موقعَ «نعم»، والمعنى: نَعَمْ هذان لَهُمَا السَّاحِران، ويَلِي هذا في الجَودةِ مذهبُ بَني كِنَانَةَ. وأستحسنُ هذه القراءَةَ، لأنها مذهبُ أكثر القُرَّاءِ، وبها يُقرَأ. وأستحسنُ قراءةَ عَاصِم، والخَليلِ، لأنهما إمامان، ولأنهما وافقا أُبَيَّ بنَ كَعبٍ في المعنى. ولا أُجِيزُ قراءةَ أبي عمرٍو لخلافِ المُصحَفِ. وحكى ابنُ الأنبَاري عن الفَرَّاءِ قال: «ألف» «هذان» هي ألِفُ «هذا» والنونُ فَرَّقتْ بين الواحِد والتثنية، كما فَرَّقَتْ نونُ «الذين» بين الواحد والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ وقرأ أَبَانُ عن عَاصِم: «ويُذهِبا» بضمِّ الياء وكسرِ الهاء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وعبدُ الله بنُ عمرٍو، وأبو رَجَاءِ العُطَارِدي: «ويذهبا بالطريقة» بألِفٍ ولام، مع حذف الكاف والميم. وفي الطَّريقة قولان: **أحدهما**: بدِينِكم المستقيم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عبَّاس. وقال أبو عُبيدَةَ: بسُنَّتِكم ودِينِكم وما أنتم عليه، يُقال: فلانٌ حَسَنُ الطريقة. **والثاني**: بأَمثَلِكم، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: بأُولِي العَقلِ، والأشرافِ، والأسنانِ. وقال الشَّعبيُّ: يَصرِفَانِ وجوهَ الناس إليهما. قال الفَرَّاءُ: الطَّريقةُ: الرجال الأشرافُ، تقول العرب للقوم الأشرافِ: هؤلاءِ طريقةُ قومِهِم، وطَرائِقُ قومِهِم.

فأمَّا «المُثلى» فقال أبو عُبيدَةَ: هي تأنيثُ الأمثَلِ. تقول في الإناث: خُذِ المُثْلَى منها، وفي الذكور: خُذِ الأمثَلَ. وقال الزَّجَّاجُ: ومعنى المُثْلَى والأَمثَل: ذو الفَضلِ الذي به يستحق أن يُقالَ هذا أمثلُ قومِه؛ قال: والذي عندي أنَّ في الكلام محذوفاً، والمعنى: يذهبا بأهلِ طريقَتِكم المُثلَى، وقولُ العرب: هذا طريقةُ قومِه، أي: صاحبُ طريقَتِهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ قرأ الأكثرون: «فأجمِعوا» بقطع الألِفِ مِن «أجمعت». والمعنى: ليكُنْ عَزمُكم مُجمَعاً عليه، لا تختلفوا فيَختَلَّ أمرُكم. قال الفَرَّاءُ: والإجماعُ: الإحكامُ والعزيمةُ على

---

(١) البيت للمتلمس. وهو في «اللسان» ـ صمم ـ. والشجاع: ضرب من الحيات، وقيل الحية الذكر. والمساغ: المدخل، وفي حديث أبي أيوب: إذا شئت فاركب ثم سغ في الأرض ما وجدت مساغاً.

(٢) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات، وهو في «اللسان» ـ أنن ـ.
أي: إنَّه كما تقلن.

الشيء، تقول: أجمَعتُ على الخروج، وأجمَعتُ الخروجَ، تريد: أزمَعتُ، قال الشاعر:

يـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي والـمُـنَـى لا تَـنْـفَـعُ هَـلْ أغْـدُوَنْ يَـوْمـاً وأمْـرِيَ مُـجْـمَـعُ[1]

يريد: قد أُحكِمَ وعُزِمَ عليه. وقرأ أبو عَمرٍو: «فاجمَعوا» بفتحِ الميم مِنْ «جَمَعتُ»، يريد: لا تَدَعوا مِنْ كيدِكُم شيئاً إلاَّ جِئتُم به. فأمَّا كَيدُهم، فالمراد به: سِحرُهم، ومَكرُهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ أي: مُصْطَفِّين مُجتمِعينَ، ليكونَ أنظَمَ لأمورِكم، وأشدَّ لِهَيبَتِكم. قال أبو عُبيدَةَ: «صفاً» أي: صُفوفاً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «صفاً» بمعنى: جَمْعاً. قال الحسَنُ: كانوا خمسةً وعشرين صَفّاً، كلُّ ألفٍ ساحرٍ صفٌّ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ قال ابنُ عباسٍ: فازَ مَنْ غلبَ.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ قال ابنُ الأنباري: دخلت ﴿بَلۡ﴾ لمعنى: جَحْدٍ في الآية الأولى، لأن الآية إذا تُؤمِّلَتْ وُجِدَتْ مُشتمِلَةً على: إمَّا أنْ تُلقيَ، وإمَّا أنْ لا تُلقيَ. قوله تعالى: ﴿وَعِصِيُّهُمۡ﴾ قرأ الحسَنُ، وأبو رَجاءٍ العُطَارِدي، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وأبو الجَوزاءِ: «وعُصيُّهم» برفعِ العين. قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ﴾ وقرأ أبو رَزينٍ العُقَيلي، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمِي، والحسَنُ، وقَتادَةُ، والزُّهريُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تُخيَّلُ» بالتاء، «إليه» أي: إلى موسى. يُقال: خُيِّلَ إليه: إذا شُبِّهَ له. وقد استدلَّ قومٌ بهذه الآية على أنَّ السِّحرَ ليس بشيءٍ. قالوا إنما خُيِّلَ إلى موسى، والجواب: أنَّا لا نُنكِرُ أنْ يكون ما رآهُ موسى تخيُّلاً، وليس بحقيقةٍ، فإنه مِنَ الجائز أن يكونوا تركوا الزِّئبَقَ في سُلوخِ الحيَّاتِ حتى جَرَتْ، وليس ذلك بحيَّاتٍ. فأمَّا السِّحرُ، فإنه يُؤثِّرُ، وهو أنواعٌ.

[٩٧٥] وقد سُحِرَ رسولُ الله ﷺ حتى أثَّرَ فيه،

---

[٩٧٥] صحيح. أخرجه البخاري ٦٣٩١ و٣١٧٥ و٥٧٦٥ و٥٧٦٣ و٦٠٦٣ ومسلم ٢١٨٩ وابن ماجه ٣٥٤٥ والنسائي في «الكبرى» ٧٦١٥ وأحمد ٦/ ٥٧ و٦٣ و٩٦ وابن أبي شيبة ٨/ ٣٠ ـ ٣١ وابن سعد ٢/ ١٩٦ وأبو يعلى ٤٨٨٢ والحميدي ٢٥٩ والطحاوي في «المشكل» ٥٩٣٤ وابن حبان ٦٥٨٣ والبيهقي ٨/ ١٣٥ من طرق عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان =

---

(١) البيت في «اللسان» ـ جمع ـ بلا نسبة.

[٩٧٦] ولعَنَ العَاضِهَةَ، وهي السَّاحرةُ.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾ قال ابنُ قُتيبة: أضمَرَ في نفسه خوفاً. وقال الزَّجَّاجُ: أصلُها «خِوْفَة» ولكنَّ الواو قُلبتْ ياءً لانكسارِ ما قبلَها. وفي خَوفِه قولان: **أحدهما**: أنه خَوفُ الطَّبْعِ البَشَري. **والثاني**: أنه لمَّا رأى سِحرَهُم مِنْ جنس ما أرَاهُم في العِصِيِّ، خافَ أن يلتَبِسَ على الناسِ أمرُهُ، ولا يُؤمنوا، فقيلَ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عليهم بالظَّفرِ والغَلَبةِ. وهذا أصحُّ مِنَ الأوَّلِ. قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني: العَصا ﴿تَلْقَفْ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «تلقَّفُ ما» برفع الفاءِ وتشديدِ القاف. وروى حَفصٌ عن عَاصِمٍ: «تَلْقَفْ» خفيفةً. وكان ابنُ كَثيرٍ يُشدِّد التاءَ مِنْ «تَلقف» يريد: «تَتَلَقَّفُ». وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو رَجَاءٍ: «تلقم» بالميم. وقد شرحنا هذا في سُورةِ الأعرافِ[1]، ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ قرأ حَمزةُ، والكسائي وخلف «كيد سحر» وقرأ الباقون «كيد ساحر» بألف والمعنى إنَّ الذي صنعوا كيدُ ساحرٍ»، أي: عَمَلُ ساحرٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني: «إنما صنعوا كيدَ» بنصبِ الدالِ. ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لا يَسْعَدُ حيثما كان[2]. وقيلَ: لا يفوزُ.

[٩٧٧] وروى جُندُبُ بنُ عبدِ الله البَجَلي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أخذتُم السَّاحرَ فاقتلُوهُ، ثمَّ قرأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، قال: «لا يأمَنُ حيثُ وُجِدَ».

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ، ووَرْشٌ عن نافع: «آمنتم له» على لفظِ الخبرِ. وقرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، «آمنتم له» بهمزةٍ ممدودةٍ. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «ءآمنتم له» بهمزتين الثانيةُ ممدودةٌ. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مُعَلِّمُكم. قال الكِسَائيُّ: الصبيُّ بالحجاز إذا جاء عند مُعلِّمه، قال: جِئتُ مِنْ عند كَبِيري. قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ «في» بمعنى «على»، ومثله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[3]. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيُّها

= رسول الله ﷺ يُخيّل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشطٍ ومشاطة، وجُفِّ طلع نخلةٍ ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فأتاها رسول الله ﷺ في ناسٍ من أصحابه فجاء، فقال: «يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحنّاء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين» قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً» فأمر بها فدفنت. لفظ البخاري.

[٩٧٦] ضعيف. أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٣/ ٣٣٩ من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وكلاهما ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر ٢/ ٥٩٠ في «تخريجه»: وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية ابن جريج عن عطاء اهـ. وهذا مرسل، فهو ضعيف.

[٩٧٧] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٠٠ عن الحسن البصري عن جندب البَجَلي مرفوعاً، وإسناده ضعيف، الحسن لم يسمع من جندب كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم ص ٤٢.

---

(١) سورة الأعراف: ١١٧.

(٢) تقدم الكلام عن حكم السحر في الإسلام في «سورة البقرة» عند الآية ١٠٢.

(٣) سورة الطور: ٣٨.

السَّحرةُ ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ لكُم ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي: أدوَمُ، أنا على أيمانِكُم، أو رَبُّ موسى على تركِكُم الإيمانَ به؟ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختارَكَ ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعنُونَ اليَد والعَصا.

فإنْ قيلَ: لِمَ نَسَبُوا الآياتِ إلى أنفسِهم بقولِهم: «جاءنا» وإنما جاءت عامَّةً لهم ولغيرِهم.

فالجوابُ: أنهم لمَّا كانوا بأبوابِ السِّحرِ ومَذاهِبِ الاحتيالِ أعرَفَ مِنْ غيرِهم، وقد عَلِموا أنَّ ما جاء به موسى ليس بسِحْرٍ، كان ذلك في حقِّ غيرِهم أبْيَنَ وأوضَحَ، وكانوا هم لمَعرفتِه أخَصَّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ وجهان ذكرهما الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ: **أحدهما**: أنَّ المعنى: لن نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا مِنَ البيِّناتِ، وعلى الذي فَطَرَنا. **والثاني**: أنه قَسَمٌ، تقديره: وحقِّ الذي فَطَرَنا. قوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي: فاصنَعْ ما أنتَ صانعٌ. وأصلُ القضاءِ: عَمَلٌ بإحكام ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ قال الفَرَّاءُ: «إنما» حرفٌ واحدٌ، فلهذا نُصِبَ: الحياة الدنيا». ولو قرأَ قارئٌ برفع «الحياة» لَجَازَ، على أنْ يجعلَ «ما» في مذهبِ «الذي»، كقولِكَ: إنَّ الذي تقضي هذه الحياةُ الدنيا. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو المُتوكِّل: «إنما تُقضى» بضمِّ التاء على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، «الحياةُ» برفع التاء. قال المُفسِّرون: والمعنى إنما سُلطانُكَ ومُلكُكَ في هذه الدنيا، لا في الآخرة. قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا﴾ يَعنُونَ الشِّركَ ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ أي: والذي أكرَهْتَنا عليه، أي: ويَغفِرَ لنا إكراهَكَ إيَّانا على السِّحْرِ.

فإنْ قيلَ: كيف قالوا: أكرَهْتَنا، وقد قالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ وفي هذا دليلٌ على أنهم فعلوا السِّحرَ غيرَ مُكرَهين؟ فعنه أربعةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ فِرعونَ كان يُكرِهُ النَّاسَ على تَعَلُّم السِّحرِ، قاله ابنُ عباسٍ. قال ابنُ الأنباري: كان يُطالب بعضَ أهلِ مملكَتِه بأنْ يُعلِّموا أولادَهُم السِّحرَ وهم لذلك كارِهُونَ، وذلك لشَغَفِه بالسِّحرِ، ولِمَا خَامَرَ قلبَهُ مِنْ خوفِ موسى، فالإكرَاهُ على السِّحرِ، هو الإكرَاهُ على تَعَلُّمِهِ في أوَّلِ الأمرِ. **والثاني**: أنَّ السَّحرَةَ لمَّا شاهدوا موسى بعدَ قولِهم: «أئن لنا لأجراً» ورأوا ذِكرَهُ اللَّهَ تعالى وسُلُوكَه مِنهاجَ المُتَّقين، جَزِعُوا مِنْ مُلاقاتِه بالسِّحرِ، وحَذِروا أنْ يظهرَ عليهم فيَطَّلعَ على ضعفِ صِناعَتِهم، فتَفسُدَ مَعيشَتُهم، فلم يَقنَعْ فِرعونُ منهم إلاَّ بمُعارضَةِ موسى، فكان هذا هو الإكرَاهَ على السِّحرِ. **والثالث**: أنهم خافوا أنْ يُغلَبوا في ذلك الجَمعِ، فيَقدَحَ ذلك في صَنعَتِهم عند المُلوكِ والسُّوَقِ وأكرههم فرعون على فعل السحر. **والرابع**: أنَّ فِرعونَ أكرَهَهُم على مُفارقة أوطَانِهم، وكان سببَ ذلك السِّحرُ، ذَكَرَ هذه الأقوالَ ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: خيرٌ منكَ ثواباً إذا أُطِيعَ ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ عقاباً إذا عُصِيَ، وهذا جوابُ قوله: «ولتعلمُنَّ أيُّنا أشد عذاباً وأبقى»؛ وهذا آخرُ الإخبارِ عن السَّحرةِ.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ يعني: مُشركاً ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيَستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تنفعُه[1]. أنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى قوله:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٢٠٢: الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وَعظ به السحرة فرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلّد، قالوا ﴿إنه من يأت ربه =

ألا مَن لنفس لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: قد أدّى الفرائِضَ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ يعني: دَرجاتُ الجنَّةِ، وبَعضُها أعلى مِن بعضٍ. والعُلَى، جمعُ العُلْيَا، وهو تأنيثُ الأعلى. قال ابنُ الأنباري: وإنَّما قال: «فأولئك»، لأنَّ «مَن» تقعُ بلفظ التَّوحيدِ على تأويلِ الجَمْعِ. فإذا غَلَبَ لفظُها، وُحِّدَ الرَّاجعُ إليها، وإذا بُيِّنَ تأويلُها، جُمِعَ المَصروفُ إليها.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني الثواب ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تَطَهَّرَ مِنَ الكُفرِ والمعاصي.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ أي: سِرْ بهم ليلاً مِنْ أرض مِصْرَ ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ أي اجعَلْ لهم طريقاً ﴿فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ قرأ أبو المُتوكِّل والحسَنُ والنَّخعيُّ: «يَبْساً» بإسكانِ الباء. وقرأ الشَّعبيُّ وأبو رَجاءٍ وابنُ السَّمَيْفع: «يابساً» بألِفٍ. قال أبو عُبيدَةَ: اليَبَسُ، مُتحرِّكُ الحروف، بمعنى اليَابِس، يُقال: شاةٌ يَبَسٌ، أي يابسةٌ ليس لها لَبَنٌ. وقال ابنُ قُتَيبة: يُقال لليابِس: يَبَسٌ، ويَبْسٌ. قوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ قرأ الأكثرون بألِفٍ. وقرأ أبانُ وحمزةُ عن عَاصِمٍ: «لا تخفْ» قال الزَّجاجُ: مَنْ قرأ «لا تخاف» فالمعنى: لستَ تخافُ، ومَنْ قرأ «لا تخفْ» فهو نَهيٌ عَن الخوف. قال الفَرَّاءُ: قرأ حمزةُ: «لا تخفْ» بالجزم، ورفَعَ «ولا تخشى» على الاستئنافِ، كقوله تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ استأنَفَ بـ «ثم» فهذا مثله، ولو نَوَى حمزةُ بقوله: «ولا تخشَ» الجزمَ وإنْ كانت فيه الياءُ، كان صواباً. قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى ﴿دَرَكًا﴾ لَحَاقاً. قال المُفسِّرون: قال أصحابُ موسى: هذا فِرعونُ قد أدركَنا، وهذا البَحرُ بين أيدينا، فأنزلَ اللّهُ على موسى ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي مِنْ فِرعونَ، ولا تخشىٰ غرقاً في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: لَحِقَهُم. وروى هارونُ عن أبي عمرٍو: «فاتَّبعهم» بالتشديد. وقال الزَّجَّاجُ: تَبِعَ الرجلُ الشيءَ، وأتبَعَهُ، بمعنًى واحِدٍ، ومَنْ قرأ «فاتَّبَعَهُم» بالتشديد، ففيه دليلٌ على أنه اتَّبعَهُم ومعه الجنودُ. ومَنْ قرأ «فأتبعهم» فمعناه: ألحَقَ جنودَهُ بهم، وجائزٌ أن يكون معهم على هذا اللفظ، وجائزٌ أنْ لا يكون إلاَّ أنه قد كان معهم، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: فغشيهم مِنَ

= مجرماً﴾ أي يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم ﴿فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ وروى الإمام مسلم وأحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ كان في البادية.

ماء البحر ما غرَّقهم، وقال ابنُ الأنباري: ويعني بقوله: «ما غشيهم» البعضُ الذي غَشِيَهُم، لأنه لم يَغْشَهُم كلُّ مائِهِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعِكرمَةُ، وأبو رَجاءٍ، والأعمَشُ: «فغشَّاهم من اليم ما غشَّاهم» بألِفٍ فيهما مع تشديدِ الشين وحَذْفِ الياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ أي: دعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: ما أرشدَهُم حين أورَدَهُم مَوارِدَ الهلكَةِ. وهذا تكذيبٌ له في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ لأخذِ التَّوراةِ. وقد ذكرنا في مريم[2] معنى «الأيمَن» وذكرنا في البقرة[3] «المَنَّ والسَّلْوَى». قوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾ أي: وقُلنا لهم: كُلوا. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تبطَرُوا في نِعَمِي فتظْلِمُوا. **والثاني**: لا تَجحَدُوا نِعَمِي فتكونوا طَاغِين. **والثالث**: لا تَدَّخروا منه لأكثر مِنْ يوم وليلةٍ. قوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ أي: فتجِبَ لكم عُقوبتي. والجمهورُ قرؤوا «فيحِل» بكسرِ الحاء ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾ بكسرِ اللام. وقرأ الكِسَائيُّ: «فيحُل» بضمِّ الحاء «ومَنْ يَحْلُلْ» بضمِّ اللام. قال الفَرَّاءُ: والكَسرُ أحبُّ إليَّ، لأنَّ الضمَّ مِنَ الحُلُولِ، ومعناه: الوقُوعُ، و «يحل» بالكسر، يَجِبُ، وجاء التَّفسيرُ بالوجوبِ، لا بالوقُوعِ. قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هَلَكَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾ الغَفَّارُ: الذي يَغفِرُ ذُنوبَ عباده مرَّةً بعد أُخرَى، فكلَّما تكررت ذُنوبُهم تكررت مَغفِرتُه، وأصلُ الغَفرِ: السَّترُ، وبه سُمِّي زِئبِرُ الثَّوبِ: غَفراً، لأنه يَستُرُ سَداهُ. فالغَفَّارُ: السَّتَّارُ لذنوب عباده، المُسْبِلُ عليهم ثوبَ عَطفِه. قوله تعالى: ﴿لِّمَن تَابَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لِمَنْ تاب مِنَ الشِّركِ ﴿وَءَامَنَ﴾ أي وَحَّدَ اللَّهَ وصدَّقَهُ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدَّى الفرائِضَ. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ ثمانيةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: عَلِمَ أنَّ لعمَلِه هذا ثواباً، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لم يُشكِّكْ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: عَلِمَ أنَّ ذلك توفيقٌ مِنَ الله له، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: لَزِمَ السُّنَّةَ والجماعةَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: استقامَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والسادس**: لَزِمَ الإسلامَ حتى يموتَ عليه، قاله قَتادَةُ. **والسابع**: اهتدى كيف يَعمَلُ، قاله زيدُ بنُ أسلَمَ. **والثامن**: اهتدى إلى وِلايةِ بيتِ النبيِّ ﷺ، قاله ثابتٌ البُنانيُّ.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

---

(١) سورة غافر: ٢٩. (٢) سورة مريم: ٥٢. (٣) سورة البقرة: ٥٧.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٤٤٢: الاهتداء هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح فمن فعل ذلك وثبت عليه، فلا شك في اهتدائه.

قوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا نَجَّى اللَّهُ تعالى بَني إسرائيلَ وأغرَقَ فِرعونَ، قالوا: يا موسى، لو أتيتَنا بكتابٍ مِنْ عند الله، فيه الحَلالُ والحَرامُ والفرائضُ، فأوحى اللَّهُ تعالى إليه يَعِدُهُ أنه يَنزلُ عليه ذلك في المَوضعِ الذي كَلَّمَهُ فيه، فاختارَ سبعينَ، فذهبوا معه إلى الطُّورِ لأخْذِ التَّوراة، فعَجِلَ موسى مِنْ بينهم شَوقاً إلى ربِّه، وأمرَهُم بلَحاقِه، فقال اللَّهُ تعالى له: ما الذي حَمَلَكَ على العَجَلةِ عن قومِكَ، ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ﴾ أي: هؤلاءِ ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾، وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «على إثْري» بكسرِ الهمزة وسكونِ الثاء. وقرأ عِكرمَةُ، وأبو المُتوكِّل، وابنُ يَعْمَرَ، برفعِ الهمزة وسكونِ الثاء. وقرأ أبو رَجاءٍ، وأبو العَالِية: بفتحِ الهمزة وسكونِ الثاء. والمعنى: هُمْ بالقُربِ منِّي يأتُونَ بَعدِي ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ أي: لِتزدَادَ رِضَى، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ألقيناهُم في فِتنةٍ ومِحنةٍ، واختبرنَاهُم. قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ أي: مِنْ بعدِ انطلاقِكَ مِنْ بينهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أي: كان سبباً لإضلالِهم، وقرأ مُعاذُ القارئ، وأبو المُتوكِّلِ، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «وأضلُّهم» برفع اللام. وقد شرحنا في البقرة[١] سببَ اتِّخاذِ السَّامِرِيِّ العِجْلِ، وشرحنا في سُورة الأعرافِ[٢] معنى قولِه تعالى: ﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ أي: صِدقاً، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: إعطاءُ التَّوراةِ. **والثاني**: قوله: ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلى قوله: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾... الآية في المائدة[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾[٤]. **والثالث**: النَّصرُ والظَّفَرُ.

قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ أي: مُدَّةُ مُفارقتي إيَّاكُم ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أنْ تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربِّكُم ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ أي: عَهْدِي، وكانوا قد عاهَدُوه أنه إنْ فكَّهُم اللَّهُ مِنْ مَلَكَة آلِ فِرعونَ، أنْ يعبدوا اللَّهَ ولا يُشركوا به، ويُقيموا الصلاةَ، ويَنصُروا اللَّهَ ورُسلَهُ. ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: بكسرِ الميم، وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ: بفتحِ الميم. وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ: بضمِّ الميم. قال أبو عليٍّ: وهذه لُغاتٌ. وقال الزَّجَّاجُ: المُلْكُ بالضَّمِّ: السلطانُ والقُدرةُ. والمِلْكُ، بالكسرِ: ما حَوَتْهُ اليدُ. والمَلْكُ، بالفتح: المَصدرُ، يقال: مَلَكْتُ الشيءَ أمْلِكُه مَلْكاً. وللمُفسِّرين في معنى الكلام أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما كُنَّا نَملِكُ الذي اتُّخِذَ منه العِجلُ ولكنها كانت زينةَ آلِ فِرعونَ، فقَذَفناها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بطَاقَتِنا قاله قَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: لم نَملِكْ أنفُسَنا عندَ الوقوعِ في البَلِيَّةِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: لم يَمْلِكْ مُؤمنونا سُفهاءَنا، ذكره المَاوَرديِ. فيُخرَّج فيمن قال هذا لِموسى قولان: **أحدهما**: أنهم الذين لم يَعبُدوا العِجلَ. **والثاني**: عابِدُوه.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «حُمِّلنا» بضمِّ الحاء وتشديدِ الميم. وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «حمَلْنا» خفيفةً. والأوزارُ: الأثقالُ. والمُراد بها: حُليُّ آلِ فِرعونَ الذي كانوا استعارُوهُ منهم قبلَ خروجِهم مِنْ مِصرَ. فمَنْ قرأ «حُمِّلنا» بالتشديد فالمعنى: حَمَّلناها موسى، أمَرَنا باستعارتها مِنْ آلِ فِرعونَ ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ أي

(١) سورة البقرة: ٥٢.
(٢) سورة الأعراف: ١٥٠.
(٣) سورة المائدة: ١٣.
(٤) سورة طه: ٨٢.

طَرحناها في الحُفيرة. وقد ذكرنا سببَ قَذْفِهم إيّاها في سُورةِ البقرة[١].

قوله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ألْقَى حُلِيًّا كما ألْقَوْا. **والثاني**: ألْقَى ما كان مِنْ تُرابِ حافِرِ فَرَسِ جِبريلَ. وقد سبق شَرحُ القصة في البقرة[٢] وذكرنا في الأعراف[٣] معنى قوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ هذا قولُ السَّامِريّ ومَنْ وافقهُ مِنَ الذين افتُتِنُوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ في المُشارِ إليه بالنُّسيان قولان: **أحدهما**: أنه موسى. ثم في المعنى ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: هذا إلٰهُكُم وإلٰهُ موسى فنَسِيَ موسى أنْ يُخبرَكُم أنَّ هذا إلٰهُهُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فنَسِيَ موسى الطريقَ إلى ربِّه، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: فنَسِيَ موسى إلٰهَهُ عندكُم، وخالفَهُ في طريقٍ آخر، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه السَّامِريُّ، والمعنى: فنَسِيَ السَّامِريُّ إيمانَهُ وإسلامَهُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مَكحُولٌ: فنسِيَ، أي: فتَرَكَ السَّامِريُّ ما كان عليه مِنَ الدِّينِ. وقيل: فنَسِيَ أنَّ العِجْلَ لا يَرْجِعُ إليهم قولاً، ولا يَملِكُ لهم ضرّاً ولا نفعاً. فعلى هذا القولِ، يكون قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ مِنْ إخبارِ الله عزَّ وجلَّ عن السَّامِريّ. وعلى ما قبلَهُ، فيمَنْ قاله قولان: **أحدهما**: أنه السَّامِريُّ. **والثاني**: بَنُو إسرائيلَ. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ قال الزَّجّاج: المعنى: أفَلا يَرونَ أنه لا يَرْجِعُ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ موسى ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ أي: ابتَلَيتُم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا العِجْلُ، ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ أي: لن نَزالَ مُقيمِينَ على عبادة العِجْلِ ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فلمَّا رجعَ موسى ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾ بعبادةِ العِجْلِ ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ: «ألا تتبعني» بياءٍ في الوَصْلِ ساكنةٍ، ويَقِفُ ابنُ كَثيرٍ بالياء، وأبو عمروٍ بغيرِ ياءٍ. وروى إسماعيلُ بنُ جعفرَ عن نافعٍ: «ألا تتبعني أفعصيت» بياءٍ منصوبةٍ. وروى قالُونُ عن نافعٍ مثلَ أبي عمروٍ سواءً. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ والكِسائيُّ: بغير ياءٍ في الوَصْلِ، والوَقْفِ. والمعنى: ما مَنعَكَ مِنِ اتِّباعي و «لا» كلمةٌ زائدةٌ. وفي المعنى ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تسيرَ ورائي بمَنْ معكَ مِنَ المؤمنين، وتُفارِقَهم. رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنْ تُناجِزَهم القتالَ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: في الإنكارِ عليهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ وهو قولُه في وَصيَّتِه إيّاهُ «اخلفني في قومي وأصلح». قال المُفسِّرون: ثم أخذَ برأسِ أخيه ولحيَتِه غضباً منه عليه[٤]. وهذا وإنْ لم يُذكَرْ هاهنا، فقد ذُكِرَ في

(١) سورة البقرة: ٥٢. (٢) في الآية ٥٢ من سورة البقرة. (٣) سورة الأعراف: ١٤٨.

(٤) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٢٥٥: وكان هارون أكبر من موسى ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ =

الأعراف[١] فاكتُفِيَ بذلك، وقد شرحنا هناك معنى «يا ابنَ أُمّ» واختلافَ القُرَّاءِ فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ أي: بشَعْرِ رأسي. وهذا الغَضبُ كان لله عزَّ وجلَّ لا لنفسه، لأنه وقعَ في نفسه، أنَّ هارونَ عصى اللهَ بتَرْكِ اتِّباعِ موسى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي: إنْ فارقتُهم واتَّبعتُكَ ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: باتِّباعي إيَّاكَ ومَنْ معي مِنَ المؤمنين. والثاني: بقتالي لبعضِهم ببعضٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ قولان: أحدهما: لم تَرْقُبْ قولي لكَ: «اخلُفْني في قومي وأَصْلِحْ». والثاني: لَمْ تنتظِرْ أمري فيهم.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ أي: ما أمرُكَ وشأنُكَ الذي دَعاكَ إلى ما صنعتَ؟ قال ابنُ الأنباري: وبعضُ اللغويين يقول: الخَطْبُ مُشتقٌّ مِنَ الخِطاب. المعنى: ما أمرُكَ الذي تُخاطبُ فيه؟!

واختلفوا في اسم السَّامِريِّ على قولين[٢]: أحدهما: موسى أيضاً، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وقال: كان ابن عم موسى بن عمران. والثاني: مِيخا، قاله ابنُ السَّائبِ.

وهل كان مِنْ بَني إسرائيلَ، أَمْ لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يكُنْ منهم، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: كان مِنْ عُظمائِهم، وكان مِنْ قبيلةٍ تُسمَّى «سامِرَة»، قاله قَتادَةُ.

وفي بلدِه قولان: أحدهما: كَرْمان، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. والثاني: باجَرْمَا، قاله وَهْبٌ.

= بثلاث سنين، وأحب إلى بني إسرائيل من موسى لأنه كان لين الغضب. وللعلماء في أخذ موسى برأس أخيه أربعة تأويلات: الأول ـ أن ذلك كان متعارفاً عندهم، من قبض الرجل على لحية أخيه وصاحبه إكراماً وتعظيماً، فلم يكن على طريق الإذلال. والثاني: أن ذلك إنما كان ليسرّ إليه نزول الألواح عليه؛ لأنها نزلت عليه في هذه المناجاة وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل قبل التوراة. فقال له هارون: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، لئلا يشتبه سراره على بني إسرائيل بإذلاله. والثالث: إنما فعل ذلك لأنه وقع في نفسه أن هارون مائل مع بني إسرائيل فيما فعلوه من أمر العجل. ومثل هذا لا يجوز على الأنبياء. والرابع: ضمّ إليه أخاه ليعلم ما لديه، فكره ذلك هارون لئلا يظن بنو إسرائيل أنه أهانه، فبين له أخوه أنهم استضعفوه، يعني عبدة العجل، وكادوا يقتلونه أي قاربوا. وقد دلت هذه الآية على أنه لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر أن يسكت.

وقال ابن العربي: وفيها دليل على أن الغضب لا يغير الأحكام كما زعم بعض الناس، فإن موسى لم يغير غضبُه شيئاً من أفعاله، بل اطردت على مجراها، وقال المهدوي: لأن غضبه كان لله عز وجل وسكوته عن بني إسرائيل خوفاً أن يتحاربوا ويتفرقوا.

(١) سورة الأعراف: ١٥٠.

(٢) ليس في تسميته كبير فائدة، ولو تعلقت بذلك فائدة لذكره الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ: «تَبصروا» بالتاء، فعَلَى قراءة الجمهور أشارَ إلى بَني إسرائيلَ، وعلى هذه القراءة خاطَبَ الجميعَ. قال أبو عُبيدَة: علمتُ ما لم يعلموا. قال: وقومٌ يقولون: بَصُرْتُ، وأبصَرتُ سواءٌ، بمنزلة أسرَعْتُ، وسَرُعتُ. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: بَصُر الرجلُ يَبصُرُ: إذا صار عليماً بالشيء، وأبصَرَ يَبصُرُ: إذا نظر. قال المُفسِّرون: فقال له موسى: وما ذاكَ؟ قال: رأيتُ جِبريلَ على فَرَسٍ، فأُلقِيَ في نفسي: أنِ اقبِضْ مِنْ أثرِها ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾، وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، ومُعاذٌ القارئ: «قبصة» بالصاد. قال الفَرَّاءُ: والقبضَةُ بالكَفِّ كلِّها. والقَبْصَةُ ـ بالصاد ـ بأطرافِ الأصابعِ. قال ابنُ قُتَيبة: ومثل هذا: الخَضْمُ بالفَم كلِّه، والقَضْمُ بأطرافِ الأسنانِ. والنَّضْخُ أكثرُ مِنَ النَّضحِ، والرِّجزُ: العذاب والرِّجْسُ: النَّتَنُ، والهُلَاسُ في البَدنِ، والسُّلَاسُ في العَقلِ، والغَلَطُ في الكلام، والغَلَتُ في الحِسَابِ، والخَصِرُ: الذي يجدُ البردَ، والخَرِصُ: الذي يجد البردَ والجوعَ، والنار الخامدةُ: التي قد سَكَنَ لَهَبُها ولم يُطفأ جَمرُها، والهَامِدةُ: التي طَفِئَتْ فذهبت البتَّةَ، والشُّكْد: العطاءُ ابتداءً، فإنْ كان جَزاءً فهو شُكْمٌ، والمَائِحُ: الذي يدخلُ البئرَ فيملأ الدَّلْوَ، والمَاتِحُ: الذي يَنْزِعُها.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: فقذفتُها في العِجْلِ. وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلفٌ: «فنبذتها» بالإدغام ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما حدَّثتُكَ ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: زَيَّنَتْ لي ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَٱذْهَبْ﴾ أي: مِنْ بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: ما دُمتَ حَيّاً ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا أمسُّ ولا أُمَسُّ، فصار السَّامِريُّ يَهيمُ في البَرِّيَّة مع الوَحشِ والسِّباع، لا يَمَسُّ أحداً، ولا يَمَسُّه أحدٌ، عاقبه اللهُ بذلك، وألهَمَهُ أنْ يقولَ: «لا مِسَاسَ»، فكان إذا لَقِيَ أحداً يقول: لا مِسَاسَ، أي: لا تَقْرَبْني، ولا تَمَسَّني، وصار بذلك عُقوبةً لوَلَدِه، حتى بقاياهُم اليومَ، فيما ذكرَ أهلُ التَّفسيرِ، بأرضِ الشام يقولون ذلك. وحُكِيَ أنه إنْ مَسَّ واحدٌ مِنْ غيرهم واحداً منهم، أخذتهما الحُمَّى في الحالِ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابكَ يومَ القيامةِ ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: لن يتأخَّرَ عنكَ ومَنْ كسرَ لامَ «تخلف» أراد: لن تَغِيبَ عنه.

قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ يعني: العِجلَ ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: معناه: أقمتَ عليه، وقال الفَرَّاءُ: معنى «ظلت»: فعلتَهُ نهاراً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ يَعمُرَ: «ظُلت» برفع الظاء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجَاءٍ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ظِلت» بكسرِ الظاء. وقال الزَّجَّاجُ: «ظَلت» و «ظِلت» بفتحِ الظاء وكَسرِها، فمَنْ فتحَ، فالأصلُ فيه: «ظللت» ولكنَّ اللامَ حُذِفتْ لِثِقَلِ التَّضعيف والكَسرِ، وبقيت الظاءُ على فَتحِها، ومَنْ قرأ: «ظِلت» بالكسرِ، حَوَّلَ كسرةَ اللام على الظاء. ومعنى ﴿عَاكِفًا﴾ مُقيماً، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قرأ الجمهور ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضمِّ النون وفتح الحاءِ وتشديدِ الراء، وقرأ عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وأبو رَزِينٍ، وابنُ يَعمُرَ: «لَنَحْرقنه» بفتح النون وسكونِ الحاء ورفع الراء مخففةً. وقرأ أبو هُريرَةَ، والحسَنُ، وقَتادَةُ: «لنحرقنه» برَفعِ النون وإسكانِ الحاء وكسرِ الراء مخَفَّفةً. قال الزَّجَّاجُ: إذا شُدِّدَ فالمعنى: نُحرقُه مرَّةً بعد مرَّةٍ وتأويلُ «لنحرقنَّه»: لَنُبَردنَّه، يقال: حَرقتُ أحرُقُ وأُحرِقُ: إذا بَرَدْتَ الشيءَ، والنَّسْفُ: التَّذرِيَةُ. وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ موسى أخذَ العِجلَ فذبَحَهُ، فسَالَ منه دَمٌ، لأنه كان قد صارَ لحماً ودَماً، ثم أحرَقَهُ بالنار، ثم ذَرَّاهُ في البحر، ثم أخبرهم موسى عن إلهِهم، فقال: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الذي يستحقُّ العبادةَ، لا العِجلُ،

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وَسِعَ عِلْمُهُ كلَّ شيءٍ.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ
الْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ
إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: كما قَصَصْنا عليك يا محمَّدُ مِنْ نبأ موسى وقومِه، نَقُصُّ عليكَ ﴿مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي: مِنْ أخبار مَنْ مضى، والذِّكْرُ هاهنا: القرآن ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلَمْ يُؤمِنْ به ولم يَعملْ بما فيه ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ وقرأ عِكرمَةُ وأبو المُتوكِّلِ، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «يُحَمَّل» برفع الياء وفتح الحاء وتشديدِ الميم، ﴿وِزْرًا﴾ أي: إثماً ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب ذلك الوِزْرِ ﴿وَسَآءَ لَهُمْ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعنى: وسَاءَ الوِزْرُ لهم يومَ القيامة ﴿حِمْلًا﴾ و «حملاً» منصوبٌ على التَّمييز. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ قرأ أبو عمرٍو: «ننفخ» بالنون. وقرأ الباقون مِنَ السبعة: «ينفخ» بالياء، على ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُه. وقرأ أبو عِمرَانَ الجَوْني: «يوم ينفخ» بياءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الفاء وقد سبق ذِكْرُ الصُّورِ. ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ وأبو الجوزاءِ وطَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ: «ويحشر» بياءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الشين. وقرأ ابنُ مسعودٍ والحسَنُ وأبو عِمرَانَ: «ويحشر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتحِ الشين، «المجرمون» بالواو. قال المُفسِّرون: والمُراد بالمجرمين: المشركون ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: عُمْياً، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: بِيْضَ العيونِ مِنَ العَمى، قد ذَهَبَ السَّوادُ والنَّاظِرُ. **والثاني**: زُرْقَ العيونِ مِنْ شدَّةِ العَطشِ، قاله الزُّهرِيُّ. والمراد: أنه يُشوِّه خَلْقَهُم بسَوادِ الوجوهِ وزُرقِ العيونِ.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يُسَارُ بعضُهم بعضاً ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي: ما لَبِثْتم إلاَّ عشرَ ليالٍ. وهذا على طريق التَّقليلِ، لا على وَجْهِ التَّحديدِ. وفي مُرادهم بمكانِ هذا اللُّبْثِ قولان: **أحدهما**: القبور. ثم فيه قولان. أحدهما: أنهم عَنَوا طُولَ ما لَبِثُوا فيها، روى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: إنْ لَبِثْتم بعدَ الموت إلاَّ عشراً. والثاني: ما بينَ النَّفختَيْنِ، وهو أربعون سنةً، فإنه يُخَفَّفُ عنهمُ العذابُ حِينَئذٍ، فيَستَقِلُّونَ مُدَّةَ لُبثِهم لِهَوْلِ ما يُعاينونَ، حكاه عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريّ. **والقول الثاني**: أنهم عَنَوا لُبثَهم في الدنيا، قاله الحسَنُ: وقتادةُ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعقلُهم، وأعدلُهم قولاً ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ فنسِيَ القومُ مقدارَ لُبثِهم لِهَولِ ما عَايَنُوا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا
﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا
تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾.

[٩٧٨] سببُ نُزولِها أنَّ رجالاً مِنْ ثَقيفٍ أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا يا محمَّدُ: كيف تكون الجبالُ يومَ القيامة؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ قال المُفسِّرون: النَّسفُ: التَّذرِيَةُ. والمعنى: يُصيِّرها رِمالاً تسيلُ سَيلاً، ثم يُصيِّرها كالصُّوفِ المَنفُوشِ، تُطيِّرُها الرياحُ فتستأصِلُها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يدعُ أماكنَها مِنَ الأرض إذا نسفَها ﴿قَاعًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ القَاعُ مِنَ الأرض: المُستوِي الذي يَعلُوهُ الماءُ، والصَّفْصَفُ: المُستوي أيضاً، يريد: أنه لا نَبْتَ فيها.

قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ في ذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المرادَ بالعِوَجِ: الأوديةُ، وبالأَمْتِ: الرَّوابي، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال مُجاهِدٌ: العِوَجُ: الانخِفاضُ، والأَمْتُ: الارتفاعُ، وهذا مذهبُ الحسَنِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: الأَمْتُ: النَّبَكُ. **والثاني**: أنَّ العِوَجَ: المَيْلُ، والأَمْتَ: الأَثَرُ مثل الشِّرَاكِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ العِوَجَ: الصَّدْعُ، والأَمْتَ: الأَكَمَةُ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ قال الفرَّاءُ: أي يتَّبعون صوتَ الدَّاعي للحَشْرِ، لا عِوَجَ لهم عن دُعائه: لا يقدرون أنْ لا يَتَّبِعوا. قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أي: سَكَنَتْ وخَفِيَتْ ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: وَطْءُ الأقدام، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وعِكرِمَةُ ومُجاهِدٌ في روايةٍ، واختاره الفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: تحريكُ الشِّفاهِ بغيرِ نُطقٍ، رواه سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: الكلامُ الخَفيُّ، رُوي عن مُجاهِدٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: الصَّوتُ الخَفيُّ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ يعني لا تنفعُ أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي إلاَّ شفاعة مَنْ أَذِنَ له الرَّحمنُ، أي: أَذِنَ أنْ يُشفَعَ له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ أي ورَضِيَ للمَشفُوعِ فيه قولاً، وهو الذي كان في الدنيا مِنْ أهل «لا إلهَ إلاَّ اللهُ». ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكِنايةُ راجعةٌ إلى الذين يَتَّبعون الدَّاعي. وقد شرحنا هذه الآيةَ في سُورةِ البقرة[1] وفي هاء «به» قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إلى «ما بين أيديهم وما خلفهم»، قاله ابنُ السَّائب.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «عنَتْ» في اللغة: خَضَعَتْ، يُقال: عَنَا يَعْنُو: إذا

---

[٩٧٨] باطل، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي وهذا إسناد ساقط، وتفرد به المصنف عند هذه الآية دون سائر أهل التفسير، ولم أجده عند غيره، فهو شبه موضوع، بل هو باطل.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

خَضعَ، ومنه قيلَ: أُخِذَتِ البلادُ عَنْوَةً: إذا أُخِذتْ غَلَبَةً، وأُخِذتْ بخُضوعٍ مِنْ أهلها. والمُفسِّرون: على أنَّ هذا في يومِ القيامة، إلاَّ ما رُوي عن طَلْقِ بنِ حبيبٍ: هو وَضْعُ الجَبْهةِ والأنفِ والكفَّين والرُّكبَتين وأطرافِ القَدَمَين على الأرضِ للسُّجودِ. وقد شرحنا في آيةِ الكُرسيِّ معنى «الحَيّ القَيُّوم»[1].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: خَسِرَ مَنْ أشرَكَ باللهِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ «مِنْ» هاهنا للجنس. وإنما شَرطَ الإيمانَ، لأنَّ غيرَ المؤمن لا يُقبَلُ عمَلُه، ولا يكون صالحاً ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي فهو لا يخافُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «فلا يَخَفْ» على النَّهي. قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يخافُ أنْ يُظلَمَ فيُزادَ في سيِّئاتِه، ولا أنْ يُهضَمَ مِنْ حسناتِه، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لا يخافُ أنْ يُظلَم فيُزادَ مِنْ ذَنْبِ غيرِه، ولا أنْ يُهضَمَ مِنْ حسناتِه، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: لا يَخافُ أنْ يُؤاخَذَ بما لم يعملْ، ولا يُنتقَصَ مِنْ عمله الصَّالح، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: لا يخافُ أنْ لا يُجزَى بعمله، ولا أنْ يُنقَصَ مِنْ حَقِّه، قاله ابنُ زيدٍ. قال اللغويون: الهَضْمُ: النَّقْصُ، تقول العرب: هَضَمتُ لكَ مِنْ حَقّي، أي: حَطَطْتُ، ومنه: فُلانٌ هَضِيمُ الكَشْحَيْن، أي: ضامِرُ الجَنْبَينِ، ويُقال: هذا شيءٌ يُهضِمُ الطعامَ، أي: يُنقِصُ ثِقْلَهُ. وفرَّقَ بعضُ المُفسِّرين بين الظُّلم والهَضمِ، فقال: الظُّلمُ: مَنْعُ الحقِّ كلِّه، والهَضْمُ: مَنْعُ البَعضِ، وإنْ كان ظُلماً أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَالِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: وكَما بيَّنَّا في هذه السُّورةِ، أنزلناهُ، أي: أنزلنا هذا الكتابَ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ أي: بيَّنّا فيه ضُروبَ الوعيدِ. قال قَتادَةُ: يعني: وَقائِعَهُ في الأُمَمِ المُكذِّبَةِ. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لِيكونَ سبباً لاتقائِهم الشِّركَ بالاتعاظِ بِمَنْ قبلَهُم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ أي: يُجدِّدُ لهم القرآنَ، وقيلَ: الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ أي: اعتباراً، فيتذكَّروا به عِقابَ الأُمَمِ، فيَعتَبِروا. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعَاصِمٌ الجحدَرِيُّ: «أو نُحْدِثُ» بنونٍ مرفوعةٍ. قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ أي: جَلَّ عن إلحَادِ المُلحِدينَ وقولِ المشركين في صِفاتِه، ﴿الْمَلِكُ﴾ الذي بيده كلُّ شيءٍ، ﴿الْحَقُّ﴾ وقد ذكرناه في سُورةِ يونسَ[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾ في سببِ نُزولها قولان:

[٩٧٩] أحدهما: أنَّ جِبريلَ كان يأتي النبيَّ ﷺ بالسُّورة والآي فيتلوها عليه، فلا يَفرغُ جِبريلُ مِنْ

---

[٩٧٩] أصل الحديث محفوظ، وذكر سبب النزول لهذه الآية باطل. تفرد به أبو صالح عن ابن عباس، وعن أبي صالح الكلبيُّ، وهو يضع الحديث. والذي صح في هذا الباب هو ما أخرجه البخاري ٥ و ٤٩٢٩ و ٥٠٤٤ و ٧٥٢٤ ومسلم ٤٤٨ والنسائي ٢/ ١٤٩ والترمذي ٣٣٢٩ وأحمد ١/ ٣٤٣ وابن سعد ١/ ١٩٨ والحميدي ٥٢٧ وابن حبان ٣٩ والطبراني ١٢٢٩٧ والطيالسي ٢٦٢٨ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١٩٨ كلهم عن ابن عباس في قوله: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾** قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفتيه. فقال ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. فأنزل الله: **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾** قال: جمعه في صدرك، ثم تقرؤه **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾** قال: فاستمع له وأنصِتْ **﴿ثم إن علينا بيانه﴾** ثم إن علينا أن تقرأه. قال فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل، استمع، فإذا انطلق =

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥. (٢) سورة يونس: ٣٢.

آخِرها حتى يتكلَّمَ رسولُ الله ﷺ بأوَّلِها مَخافةَ أنْ ينسَاها، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٩٨٠] **والثاني**: أنَّ رجلاً لَطَمَ امرأتَهُ، فجاءتْ إلى رسولِ الله ﷺ تطلبُ القِصَاصَ، فعَجَّلَ رسولُ الله ﷺ بينهما القِصَاصَ، فنزلت هذه الآيةُ، فوقفَ رسولُ الله ﷺ حتى نزلَ قولُه تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾(١)، قاله الحسَنُ البَصريُّ.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحَسنُ، ويعقوبُ، «نَقْضِيَ» بالنونِ وكسرِ الضاد وفتحِ الياء «وَحْيَه» بنصبِ الياء.

وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَعجَلْ بتلاوَتِه قبلَ أنْ يَفرغَ جبريلُ مِنْ تلاوته تَخافُ نِسيانَهُ، هذا على القول الأوَّل. **والثاني**: لا تُقرِئ أصحابَكَ حتى نُبيِّنَ لكَ معانيَهُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثالث**: لا تسألْ إنزالَهُ قبلَ أن يأتيَكَ الوَحيُ، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: زِدْني قُرآناً، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: فَهماً. **والثالث**: حِفظاً، ذكرَهُما الثَّعلبيُّ.

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ
فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ
﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ
قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ
﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ
حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ
أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: أَمَرْناهُ وأوصيناهُ أنْ لا يأكل مِنَ الشَّجرة ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: مِنْ قبلِ هؤلاءِ الذين نقضوا عَهْدِي وتَرَكوا الإيمانَ بي، وهم الذين ذَكرَهُم في قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾،

= جبريل، قرأه النبي ﷺ كما كان أقرأه». وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية وإنما الآيات التي نزلت من سورة القيامة.

[٩٨٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٩٣٠٨ عن الحسن مرسلاً، ومراسيل الحسن واهية والمتن منكر جداً، فإن السورة مكيّة.

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

والمعنى: أنهم إنْ نَقَضُوا العَهْدَ، فإنَّ آدمَ قد عَهِدْنَا إليه ﴿فَنَسِيَ﴾.

وفي هذا النِّسيانِ قولان: **أحدهما**: أنه التَّرْكُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والمعنى: تَرَكَ ما أُمِرَ به. **والثاني**: أنه مِنَ النِّسيانِ الذي يُخالِفُ الذِّكْرَ، حكاه المَاوَرْدِي. وقرأ مُعاذٌ القارئُ، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «فَنُسِّيَ» برفع النون وتشديدِ السين.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ العَزْمُ في اللغة: تَوطِينُ النَّفْسِ على الفعلِ.

وفي المعنى أربعةُ أقوال[١]: **أحدها**: لم نَجِدْ له حِفْظاً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، والمعنى: لم يَحفَظْ ما أُمِرَ به. **والثاني**: صَبْراً، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، والمعنى: لم يَصْبِرْ عمَّا نُهِيَ عنه. **والثالث**: حَزْماً، قاله ابنُ السَّائبِ. قال ابنُ الأنباري: وهذا لا يُخرِجُ آدمَ مِنْ أُولي العَزْمِ، وإنما لم يكُنْ له عَزْمٌ في الأكْلِ فحَسْبُ. **والرابع**: عَزْماً في العَوْدِ إلى الذَّنْبِ، ذكره المَاوَرْدِي. وما بَعدَهُ هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[٢] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ قال المُفسِّرون: المُرادُ به نَصَبُ الدُّنيا وتَعَبُها مِنْ تَكَلُّفِ الحَرْثِ والزَّرعِ والعَجْنِ والخَبْزِ وغيرِ ذلك. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أُهبِطَ إلى آدمَ ثَوْرٌ أحمرُ، فكان يعتَمِلُ عليه ويَمسَحُ العَرَقَ عن جَبِينِه، فذلك شَقَاؤُهُ. قال العلماء: والمعنى: فتَشْقيا؛ وإنما لم يَقُلْ فتَشْقَيَا، لوَجْهَين: **أحدهما**: أنَّ آدمَ هو المُخاطَبُ، فاكتفى به، ومِثلُه: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٣]، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنه لمَّا كان آدمُ هو الكَاسِبَ، كان التَّعَبُ في حَقِّه أكثرَ، ذكره المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ قرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ: «لا تُجاع ولا تُعرى» بالتاءِ المضمومةِ والألِفِ. ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحمزَةُ والكِسائيُّ وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «وأنَّكَ» مفتوحةَ الألِفِ. وقرأ نافعٌ وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «وإنَّكَ» بكسرِ الألِفِ. قال أبو عليٍّ: مَنْ فَتحَ حَمَلَهُ على أنَّ لكَ أنْ لا تجوعَ وأنَّ لكَ أنْ لا تظمَأ، ومَنْ كَسرَ استأنَفَ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَؤُا فِيهَا﴾ أي: لا تَعطَشُ. يقال: ظَمِئَ الرجلُ يَظمَأُ ظَمَأً، فهو ظَمآنٌ، أي: عطشانُ. ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ لا تبرُزُ للشمسِ فيُصيبَكَ حَرُّها، لأنه ليس في الجنة شمسٌ. قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أي: على شجرةٍ مَنْ أكَلَ منها لم يَمُتْ ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ جَدِيدُهُ ولا يَفنى، وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في الأعراف[٤]. وفي قوله تعالى: ﴿فَغَوَىٰ﴾ قولان: **أحدهما**: ضَلَّ طريقَ الخُلودِ حيثُ أرادَهُ مِنْ قِبَلِ المعصية. **والثاني**: فَسَدَ عليه عَيشُهُ، لأنَّ معنى الغَيّ: الفسادُ. قال ابنُ الأنباري: وقد غَلطَ بعضُ المُفسِّرين، فقال: معنى «غَوَى»: أكثرَ ممَّا أكلَ مِنَ الشجرة حتى بَشِمَ[٥]، كما يُقال: غَوَى الفَصِيلُ إذا أكثَرَ مِنْ لَبنِ أمِّهِ فبَشِمَ وكادَ يَهْلِكُ، وهذا خطأٌ مِنْ وجهين: **أحدهما**: أنه لا يُقال مِنَ البَشَمِ: غَوَى يَغْوِي، وإنما يُقال: غَوِيَ يَغْوَى. **والثاني**: أنَّ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾[٦] يدلُّ على أنهما لم يُكثِرا، ولم تَتأخَّرْ عنهما العقوبةُ حتى يَصِلا إلى الإكثارِ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: فنحنُ نقولُ

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/٤٦٦: وأصل العزم: اعتقاد القلب على الشيء، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه، فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.
(٣) سورة ق: ١٧.
(٤) سورة الأعراف: ٢٢.

(٥) في «اللسان»: البَشَمُ: التخمة عن الدسم.
(٦) سورة الأعراف: ٢٢.

في حقِّ آدمَ: عَصَى وغَوَى كما قال الله عزَّ وجلَّ، ولا نقول: آدمُ عَاصٍ وغَاوٍ، كما تقول لرَجلٍ قطَعَ ثوبَهُ وخَاطَهُ: قد قَطعَهُ وخَاطَهُ، ولا تقول: هذا خَيَّاطٌ، حتى يكونَ مُعَاوِداً لذلك الفِعْلِ، معروفاً به.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قد بيَّنَّا الاجتباءَ في الأنعام[١]. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أي: هَدَاهُ للتَّوبةِ. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ في المُشَارِ إليهما قولان: **أحدهما**: آدمُ وإبليسُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: آدم وحَوَّاءُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. ومعنى قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدَمُ وذُرِّيَّته، وإبليسُ وذُرِّيَّته، والحَيَّةُ أيضاً؛ وقد شرحنا هذا في البقرة[٢].

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أي: رَسُولي وكِتابي ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مَنْ قرأَ القرآنَ واتَّبعَ ما فيه، هَداهُ الله مِنَ الضَّلالةِ، ووَقَاهُ سُوءَ الحساب، ولقد ضَمِنَ الله لِمَنْ اتَّبَعَ القرآنَ أنْ لا يَضِلَّ في الدنيا ولا يَشْقَى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآيَةَ. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ قال عَطاءٌ: عن مَوعِظَتي. وقال ابنُ السَّائبِ: عن القرآن ولم يُؤمِنْ به ولم يَتَّبِعْهُ. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال أبو عُبيدَة: معناه: مَعيشَةَ ضَيِّقَةَ، والضَّنْكُ يُوصَفُ به الأنثى والذَّكرُ بغير هاءٍ، وكلُّ عيشٍ أو مكانٍ أو منزلٍ ضَيِّقٍ، فهو ضَنْكٌ، وأنشد:

وإنْ نَـزَلُـوا بِـضَـنْـكٍ فـانْـزِلِ[٣]

وقال الزَّجَّاجُ: الضَّنْكُ أصله في اللغة: الضِّيقُ والشِّدَّةُ.

وللمُفسِّرين في المراد بهذه المَعيشَةِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها عذابُ القبرِ.

[٩٨١] رواه أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ: «أتدرُونَ ما المَعيشةُ الضَّنْكُ؟ قالوا: الله ورسولُه أعلَمُ، قال: عذابُ الكافِرِ في قَبْرِه، والذي نَفْسِي بيَدِهِ إنه لَيُسلَّطُ عليه تسعةٌ وتسعون تِنِّيناً ينفُخونَ في جِسمِه ويَلسَعونَهُ ويَخدِشُونَهُ إلى يوم القيامةِ». وممَّنْ ذهبَ إلى أنه عذابُ القبرِ ابنُ مسعود، وأبو سعيدِ الخُدرِيُّ، والسُّدِّيُّ.

---

[٩٨١] ضعيف. أخرجه ابن حبان ٣١٢٢ والطبري ٢٤٤٢٦ والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ٦٨ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف، وقال الشيخ شعيب في «الإحسان»: إسناده حسن. فإن أبا السمح أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، وهو ههنا عن ابن حجيرة وقد روى له مسلم اهـ.
وفيما قاله نظر. جاء في «الميزان» ٢٦٦٧ في ترجمة درّاج أبي السّمح ما ملخصه: قال أحمد: أحاديثه مناكير، ولينه. وقال الدوري عن يحيى: ليس به بأس، وقال الدارمي عن يحيى: ثقة. وقال فضْلك الرازي: ما هو ثقة ولا كرامة وقال النسائي: منكر الحديث، وفي رواية: ليس بالقوي. وقال أبو حاتم: ضعيف. وساق له ابن عدي أحاديث، وقال: عامتها لا يتابع عليها. وقال الدارقطني: ضعيف. ورواية: متروك اهـ. فتلخص من هذا، أن الرجل ضعفه الجمهور، وهو الصواب. وحديثه هذا منكر، فمثله لا يحسن حديثه خلافاً للشيخ شعيب. والله الموفق. وقال ابن كثير عقب هذا الحديث: رفعه منكر جداً. راجع «تفسيره» ٣/ ٢١٣ و «تفسير الشوكاني» ١٦١٠ و ١٦١١ بتخريجي، والله الموفق.

---

(١) سورة الأنعام: ٨٧.
(٢) سورة البقرة: ٣٦.
(٣) هو جزء من عجز بيت لعنترة بن شداد العبسي وهو في مختار الشعر الجاهلي ١/ ٣٨٨ و «اللسان» ـ ضنك ـ وتمامه:

إن يـلـحـقـوا أكـرُر وإن يـسـتـلـحـمـوا أشـدد وإن يُـلْـفَـوا بـضـنـك أنـزل

والضنك: الضيق من كل شيء.

والثاني: أنه ضَغْطَةُ القبرِ حتى تَختلِفَ أضلاعُه فيه، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: شِدَّةُ عيشِه في النار، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. قال ابنُ السَّائب: وتلكَ المَعيشَةُ مِنَ الضَّريعِ والزَّقُّوم. **والرابع**: أنَّ المعيشَة الضَّنْكَ: كَسْبُ الحَرام، روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ قال: المعيشةُ الضَّنْكُ: أنْ تضيقَ عليه أبوابُ الخير فلا يهتدي لشيءٍ منها، وله معيشةٌ حَرامٌ يركضُ فيها. قال الضَّحَّاكُ: فهذه المعيشةُ هي الكَسبُ الخَبيثُ، وبه قال عِكرِمَةُ. **والخامس**: أنَّ المعيشَةَ الضَّنْكَ: المالُ الذي لا يَتَّقي اللهَ صاحبُه فيه، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ.

فخُرِّجَ في مكانِ المعيشةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: القبرُ. **والثاني**: الدنيا. **والثالث**: جهنَّم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «أعمى» «حشرتَني أعمى» بفتحِ الميمين، وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم بكسرهما. وقرأ نافعٌ بينَ الكسرِ والفتحِ. ثم في هذا المعنى للمُفسِّرين قولان: **أحدهما**: أعمَى البَصرِ، روى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ قال: إذا أُخرِجَ مِنَ القبر خَرَجَ بصيراً، فإذا سِيْقَ إلى المَحشَرِ عَمِيَ. **والثاني**: أعمىَ عن الحُجَّةِ، قاله مُجاهِدٌ، وأبو صالحٍ. قال الزَّجَّاجُ: معناه: فلا حُجَّةَ له يهتدي بها، لأنه ليس للناس على الله حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُلِ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمرُ كذلك كما ترى ﴿أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ أي فتركتَها ولم تؤمِن بها، وكما تَركْتَها في الدنيا تُترَكُ اليومَ في النار ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما ذكرناه ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي أشرَكَ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ مِنْ عذابِ الدنيا ومِنْ عذاب القبرِ ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنه يَدومُ.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي: أفلمْ يتبيَّنْ لكفَّارِ مكَّةَ إذا نظروا آثارَ مَنْ أهلَكْنا مِنَ الأُمَم؛ وكانت قُريشٌ تتَّجِرُ وترى مساكنَ عادٍ وثمودَ وفيها علاماتُ الهَلاكِ، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾. وروى زيدٌ عن يعقوبَ: «أفلم نَهْدِ» بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخيرِ العذاب عن هؤلاءِ الكفَّارِ إلى يوم القيامة، وقيلَ: إلى يوم بَدْرٍ، وقيلَ: إلى انقضاءِ آجالِهم ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ أي: لَكَانَ العذابُ لِزَاماً، أي: لازِماً لهم. واللِّزامُ: مصدرٌ وُصِفَ به العذابُ. قال الفَرَّاءُ وابنُ قُتيبةَ: في هذه الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، والمعنى: ولولا كَلِمةٌ وأجَلٌ مُسمّىً لكَانَ لِزاماً.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ بالصَّبرِ على ما يَسمعُ مِنْ أذاهم إلى أنْ يَحكُمَ اللهُ فيهم، ثم حَكَمَ فيهم بالقَتْل، ونُسِخَ بآيةِ السَّيفِ إطلاقُ الصَّبر.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي صَلِّ له بالحمدِ له والثَّناءِ عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يريد الفَجرَ ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: العَصرَ ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ الآناءُ: السَّاعاتُ، وقد بيَّنَّاها في آلِ عِمرانَ[1]،

(١) سورة آل عمران: ١١٣.

﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فَصَلِّ.

وفي المُراد بهذه الصَّلاةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَغرب والعِشاءُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. **والثاني**: جَوفُ الليل، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: العِشاءُ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والرابع**: أوَّلُ الليلِ وأوسَطُه وآخِرُه، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ المعنى: وسَبِّحْ أطرافَ النهاء. قال الفَرَّاءُ: إنَّما هما طَرَفانِ، فَخُرِّجا مخرجَ الجمعِ، كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1].

وللمُفسِّرين في المراد بهذه الصَّلاةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الظُّهرُ، قاله قَتادَةُ؛ فعَلَى هذا، إنما قيلَ لصلاةِ الظُّهرِ: أطرافُ النَّهار، لأنَّ وقتَها عند الزَّوالِ، فهو طَرَفُ النِّصفِ الأوَّلِ النِصفِ الثاني. **والثاني**: أنها صلاةُ المَغربِ وصلاةُ الصُّبحِ، قاله ابنُ زيدٍ؛ وهذا على أنَّ الفَجرَ في ابتداء الطَّرَفِ الأوَّلِ، والمَغربَ عندَ انتهاءِ الطَّرَفِ الثاني. **والثالث**: أنها الفَجرُ والظُّهرُ والعَصرُ؛ فعلى هذا يكون الفَجرُ مِنَ الطَّرَفِ الأوَّلِ، والظُّهرُ والعَصرُ مِنَ الطَّرَفِ الثاني، حكاه الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «ترضى» بفتح التاء. وقرأ الكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ بضمِّها. فمَنْ فَتَحَ، فالمعنى: لعلَّكَ ترضىٰ ثوابَ اللهِ الذي يُعطيكَ. ومَنْ ضَمَّها، ففيه وَجهانِ: **أحدهما**: لَعلَّكَ ترضى بما تُعطى. **والثاني**: لَعلَّ اللهَ أنْ يَرضَاكَ.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

[٩٨٢] سببُ نُزولِها، ما رَوى أبو رَافعٍ مَولَى رسولِ اللهِ ﷺ، قال: نَزلَ ضَيفٌ برسولِ اللهِ ﷺ، فدَعَاني فأرسَلَني إلى رجلٍ مِنَ اليهودِ يبيعُ طَعاماً، فقال: قُلْ له: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «بِعْني كذا وكذا مِنَ الدَّقيقِ، أو أَسلِفْني إلى هِلالِ رَجَب» فأتيتُه فقلتُ له ذلك، فقال اليَهوديُّ: واللهِ لا أبيعُهُ ولا أُسلِفُه إلاَّ برَهنٍ، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبَرتُهُ، فقال: «واللهِ لو بَاعَني أو أسلَفَني لَقضَيْتُه، وإنِّي لأَمينٌ في السَّماءِ أمينٌ في الأرضِ، اذهَبْ بِدِرْعِي الحديدِ إليه»، فنزلت هذه الآيةُ تعزيةً له في الدنيا. قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: مَنْ لم يَتَعزَّ بعَزاءِ اللهِ تقطَّعَتْ نفسُهُ حَسَراتٍ على الدنيا. وقد مَضى تفسيرُ هذه الآيةِ في آخرِ سُورةِ الحِجْرِ[2].

---

[٩٨٢] إسناده ضعيف، والمتن منكر. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٥ من طريق روح عن موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد عن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع به. وفيه موسى بن عبيدة الربذي، ضعيف ليس بشيء. وأخرجه الطبري ٢٤٤٥٥ من طريق موسى بن عبيدة بالإسناد السابق مختصراً. وأخرجه الطبري ٢٤٤٥٦ من وجه آخر من حديث أبي رافع، وفيه الحسين بن داود، وهو ضعيف. ثم إن السورة مكية كما تقدم في مطلعها، وأما الخبر فمدني. وانظر «فتح القدير» ١٦١٦.

---

(١) سورة التحريم: ٤. (٢) سورة الحجر: ٨٨.

قوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحَسَنُ، والزُّهريُّ، ويعقوبُ: «زَهَرة» بفتح الهاء. قال الزَّجّاجُ: وهو منصوبٌ بمعنى «متَّعنا»، لأنَّ معنى «متَّعنا»: جعلنا لهم الحياةَ الدنيا زَهرةً، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لِنجعلَ ذلك فِتنةً لهم. وقال ابنُ قُتيبة: لِنَختبِرَهُم. قال المُفسِّرون: زَهرَةُ الدنيا: بَهجَتُها وغَضارَتُها وما يَروقُ النّاظر منها عندَ رُؤيَتِه، وهو مِنْ زَهرَةِ النباتِ وحُسْنِه. قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ثوابُه في الآخرة. **والثاني**: القَناعةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ قال المُفسِّرون: المُراد بأهلِه: قومُه ومَنْ كان على دِينِه، ويدخلِ في هذا أهلُ بيتِه[1]. قوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: واصبِر على الصَّلاةِ ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نُكَلِفكَ رزقاً لنفسكَ ولا لِخَلقِنا، إنما نأمُركَ بالعبادة ورزقُكَ علينا، ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: وحُسنُ العاقبةِ لأهلِ التَّقوى. وكان بكرُ بنُ عبدِالله المُزنيُّ إذا أصابَ أهلَه خَصاصةٌ قال: قوموا فَصَلُّوا، ثم يقول: بهذا أمَرَ اللهُ تعالى ورسولُه، ويَتلو هذه الآيةَ.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلاَّ ﴿يَأْتِينَا﴾ محمَّدٌ ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي كآياتِ الأنبياء، نحو النَّاقةِ والعَصا ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ قرأ نافعٌ وأبو عَمرٍو وحَفصٌ عن عاصِم: «تأتهم» بالتاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ وابنُ عامرٍ وحَمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِم: «يأتهم» بالياء.

قوله تعالى: ﴿بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ أي: أوَلَمْ يأتِهِم في القرآن بيانُ ما في الكُتُبِ مِنْ أخبار الأُمَمِ التي أهلكنَاهَا لمَّا سألوا الآياتِ ثم كفروا بها، فمَا يُؤمِّنُهم أن تكونَ حالُهم في سؤالِ الآياتِ كحَالِ أولئكَ؟! ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم﴾ يعني: مُشركي مكَّةَ ﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ في الهاء قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الكِتاب، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إلى الرَّسولِ، قاله الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا﴾ يومَ القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ أي: هَلاَّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يَدعُونا إلى طاعَتِكَ ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ أي: نعملُ بمُقتَضاها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالعذاب ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ في جهنَّم. وقرأ ابنُ عباسٍ، وابنُ السَّمَيْفع، وأبو حَاتِم عن يعقوبَ: «نُذَلَّ» «ونُخْزَى» برفع النون فيهما، وفَتح الذالِ. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿كُلٌّ﴾ مِنَّا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: نحنُ نتربَّص بكُمُ العذابَ في الدنيا، وأنتُم تتربَّصونَ بنا الدَّوائرَ ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: فانتَظِرُوا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمرُ الله ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ﴾ أي: الدِّينُ المُستقيمُ ﴿وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ مِنَ الضَّلالَةِ، أنحنُ، أَمْ أنتم؟ وقيل: هذه مَنسوخَةٌ بآيةِ السَّيفِ، وليس بشيءٍ.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/ ٣٥٠: ويؤدب الغلام على الطهارة والصلاة إذا تمت له عشر سنين. وهذا الأمر والتأديب في حق الصبي لتمرينه على الصلاة، كي يألفها ويعتادها والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: «علّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر».

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا
اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ
أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
۝٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝٥ مَا
آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝٨
ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾

وهي مكِّيَّةٌ بإجماعِهم مِنْ غير خلافٍ نعلَمُه.

قوله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَ﴾ افتعَلَ، مِنَ القُرْبِ، يُقال: قَرُبَ الشيءُ، واقترَبَ. وهذه الآيةُ نزلت في كفَّارِ مكَّةَ. وقال الزَّجَّاجُ: اقتربَ للناس وقتُ حسابِهم. قيل: اللامُ في قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ بمعنى: «مِنْ». والمُرادُ بالحسابِ: مُحاسبَةُ اللهِ لهم على أعمالِهم. وفي معنى قُرْبِهِ قولان: **أحدهما**: أنه آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ. **والثاني**: لأنَّ الزمان ـ لِكثرة ما مضى وقِلَّةِ ما بقي ـ قريبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: عمَّا يفعلُ اللهُ بهم ذلك اليومَ ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن التأهُّبِ له. وقيل: «اقترب للناس» عامٌّ، والغفلةُ والإعراضُ خاصٌّ في الكفَّارِ، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، وفي هذا الذِّكْرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القرآن، قاله ابنُ عباسٍ؛ فعلى هذا تكون الإشارةُ بقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ إلى إنزالِه له، لأنه أُنزِلَ شيئاً بعدَ شيءٍ. **والثاني**: أنه ذِكْرٌ مِنَ الأذكار، وليس بالقرآن، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وقال النَّقَّاشُ: هو ذِكْرٌ مِنْ رسول الله، وليس بالقرآن. **والثالث**: أنه رسولُ الله، بدليل قوله في سِياق الآية: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، قاله الحسَنُ بنُ الفَضلِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يستمعون القرآنَ مُستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلةً عمَّا يُراد بهم. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إلاَّ استمعوه لاعِبينَ لاهِيَةً قلوبُهم؛ ويجوز أنْ يكونَ منصوباً بقوله: «بلعبون». وقرأ عِكرمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ أبي عبلَةَ: «لاهيةٌ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ أي: تناجَوا فيما بينهم، يعني المشركين. ثم بَيَّنَ مَنْ هم فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا بالله. و«الذين» في موضع رفع على البَدلِ مِنَ الضمير في «وأسَرُّوا» ثم بَيَّن سِرَّهم الذي تناجُوا به فقال: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: آدميٌّ، فليس بمَلَكٍ، وهذا إنكارٌ لنبوَّته. وبعضُهم يقول: «أسرُّوا» هاهنا بمعنى: أظهروا، لأنه مِنَ الأضدادِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ أي: أفتقبلُون السِحرَ ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أنه سِحرٌ؟! يَعنُون أنَّ مُتابَعة محمَّدٍ ﷺ متابعةُ السِّحرِ. ﴿قُلْ رَبِّي﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «قل ربي». وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفْصٌ عن عَاصِم: «قال ربِّي»، وكذلك هي في مصاحفِ الكوفيين، وهذا على الخبر عن النبيِّ ﷺ قال: يعلمُ القولَ، أي: لا يخفى عليه شيءٌ يُقال في السماء والأرض، فهو عالِمٌ بما أسررتُم. ﴿بَلْ قَالُوا﴾، قال الفرَّاءُ: رَدٌّ بـ ﴿بَلْ﴾ على معنى تكذيبِهم، وإنْ لم يظهر قبله الكلامُ بجُحودِهم، لأنَّ معناه الإخبارُ عن الجَاحِدين، وأعلمَ أنَّ المشركين كانوا قد تَحيَّروا في أمرِ رسولِ الله ﷺ، فاختلَفتْ أقوالُهم فيه، فبعضُهم يقول: هذا الذي يأتي به سِحْرٌ، وبعضُهم يقول: أضغَاثُ أحلام، وهي الأشياء المُختلطَةِ تُرى في المنام؛ وقد شرحناها في يُوسَف[1]، وبعضُهم يقول: افتَرَاهُ، أي: اختَلقَهُ، وبعضُهم يقول: هو شاعرٌ فَلْيَأْتِنا بآيَةٍ كالناقةِ والعَصا، فاقترحوا الآياتِ التي لا إمهَالَ بعدَها.

قوله تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم﴾ يعني: مُشركي مكَّةَ ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ وَصَفَ القريةَ، والمرادُ أهلُها، والمعنى: أنَّ الأُمَمَ التي أُهلِكَتْ بتكذيب الآياتِ، لم يُؤمنوا بالآياتِ لمَّا أتَتْهُم، فكيف يُؤمنُ هؤلاء؟! وهذه إشارةٌ إلى أنَّ الآيَةَ لا تكون سبباً للإيمان، إلاَّ أنْ يشاءَ اللهُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا جوابُ قولهم: «هل هذا إلاَّ بَشَر مِثْلُكم». قوله تعالى: ﴿نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ قرأ الأكثرون: «يوحَى» بالياء. وروى حَفصٌ عن عَاصِمٍ: «نُوحي» بالنون. وقد شرحنا هذه الآيَةَ في النَّحل[2].

قوله تعالى؛ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ يعني الرُّسُلَ ﴿جَسَدًا﴾ قال الفَرَّاءُ: لم يَقُلْ: أجساداً، لأنه اسمُ الجنس. قال مُجاهِدٌ: وما جعلناهم جَسَداً ليس فيهم رُوحٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: ما جعلنا الأنبياءَ قبله أجساداً لا تأكلُ الطعامَ ولا تموت فنجعله كذلك. قال المُبَرِّدُ وثَعلَبُ جميعاً: العرب إذا جاءت بين الكلام بجَحدَيْنِ، كان الكلامُ إخباراً، فمعنى الآية: إنما جعلناهم جَسَداً ليأكلوا الطعامَ. قال قَتادَةُ: المعنى: وما جعلناهم جَسَداً إلاَّ ليأكلوا الطعامَ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ يعني: الأنبياء أنجزنا وَعدَهم الذي وَعَدْناهم بإنجائِهم وإهلاكِ مُكذِّبيهِم ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾ وهم الذين صَدَّقوهُم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: أهلَ الشِّركِ؛ وهذا

---

(١) سورة يوسف: ٤٤.
(٢) سورة النحل: ٤٣.

تخويفٌ لأهل مكّة. ثم ذَكَر مِنّتَهُ عليهم بالقرآن فقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، وفي ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: فيه شَرَفُكم، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فيه دِينُكم، قاله الحَسَنُ، يعني: فيه ما تحتاجون إليه مِنْ أمرِ دِينِكُم. **والثالث**: فيه تذكرةٌ لكم لِمَا تلقونَهُ مِنْ رَجعَةٍ أو عذابٍ، قاله الزَّجّاج. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضَّلْتُكم به على غيرِكم.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

ثم خوَّفهم فقال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ قال المُفسِّرون واللغويون: معناه: وكم أهلَكْنا، وأصلُ القَصْمِ: الكَسْرُ. قوله تعالى: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾؛ أي: كافرةً، والمراد: أهلُها. ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾ أي: رَأَوا عذابَنا بحَاسّةِ البَصرِ ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أي: يَعْدُون، وأصلُ الرَّكْضِ: تحريكُ الرِّجلَين، يقال: رَكَضْتُ الفَرَسَ: إذا أَعْدَيتُه بتحريكِ رِجلَيْكَ فعَدَا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟﴾ قال المُفسِّرون: هذا قولُ الملائكة لهم: ﴿وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾، أي: إلى نِعَمِكُم التي أترَفَتْكم، وهذا توبيخٌ لهم. وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: تُسألون مِنْ دُنياكم شيئاً، استِهزاءً بهم، قاله قَتادةُ. **والثاني**: تُسألون عن قَتْلِ نبيِّكم، قاله ابنُ السَّائِب. فلمَّا أيقَنوا بالعذاب ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بكُفرنا، ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: ما زالت تلك الكلمةُ التي هي «يا ويلنا إِنَّا كنَّا ظالمين» قولَهم يُرَدِّدونَها. ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ بالعذاب، وقيل: بالسيوف ﴿خَٰمِدِينَ﴾، أي: مَيِّتين كَخُمود النار إذا طُفِئَتْ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ أي: لم نَخلُق ذلك عَبَثاً، إنما خلقناهما دلالةً على قُدرَتِنا ووَحدانيَّتنا ليعتبرَ الناسُ بخَلْقِه، فيعلموا أنَّ العبادةَ لا تَصلُح إلاَّ لخالِقه، لِنُجازيَ أولياءَنا، ونُعذِّب أعداءَنا.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ في سبب نُزولها قولان: **أحدهما**: أنَّ المشركين لمَّا قالوا:

---

(١) قال الطبري ٩/٨: عنى بالذكر في هذا الموضع الشرف، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.

الملائكةُ بَناتُ اللهِ والآلِهةُ بناتُه، نزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ[١]. **والثاني**: أنَّ نصارى نَجْرانَ قالوا: إنَّ عيسى ابنُ اللهِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ[٢].

وفي المُراد باللَّهوِ ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: الوَلَدُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو أرَدْنا أنْ نتَّخِذَ وَلَداً ذا لَهْوٍ نُلْهَى به. **والثاني**: المرأةُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقتادةُ. **والثالث**: اللعِبُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ قال ابنُ جُريج: لاتَّخذنا نساءً ووَلَداً مِنْ أهل السماء، لا مِنْ أهلِ الأرض. قال ابنُ قُتيبة: وأصلُ اللَّهوِ: الجِماعُ، فكُنِّي عنه باللَّهوِ، كما كُنِّيَ عنه بالسِّرِّ، والمعنى: لو فعلنا ذلك لاتَّخذناهُ مِنْ عندنا، لأنكم تعلمون أنَّ وَلَد الرجل وزوجَتَهُ يكونان عنده، لا عندَ غيره. وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ ﴿إِن﴾ بمعنى «ما»، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وقتادةُ. **والثاني**: أنها بمعنى الشَّرطِ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: إنْ كُنَّا نفعلُ ذلك، ولَسنا ممَّنْ يفعله؛ قال: والقولُ الأولُ قولُ المُفسِّرين، والثاني: قولُ النَّحويين، وهم يستَجِيدونَ القولَ الأول أيضاً، لأنَّ «إنْ» تكون في موضعِ النَّفي، إلاَّ أنَّ أكثر ما تأتي مع اللام، تقول: إنْ كنتَ لَصَالحاً، معناه: ما كنتَ إلاَّ صالحاً.

قوله تعالى: ﴿بَلۡ﴾ أي: دَعْ ذاكَ الذي قالوا، فإنه باطلٌ ﴿نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: نُسلِّط الحقَّ وهو القرآن ﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ وهو كَذِبُهم ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: يكسِرُه، وأصلُ هذا إصابةُ الدِّماغ بالضَّربِ، وهو مَقْتَلٌ ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ أي: زائِلٌ ذاهبٌ. قال المُفسِّرون: والمعنى: إنَّا نُبطِلُ كذبَهم بما نُبيِّن مِنَ الحق حتى يضمَحِلَّ، ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: مِنْ وَصفِكُم الله بما لا يجوزُ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعني: هُمْ عَبيدُه ومُلْكه ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ يعني: الملائكة. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يَرجِعون، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لا يَنقطِعون، قاله مُجاهِدٌ. وقال ابنُ قُتيبةَ: لا يَعيَون، والحَسِرُ: المُنقَطِعُ الواقفُ إعياءً وكَلالاً. **والثالث**: لا يَملُّون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾ قال قَتادةُ: لا يسأمون. وسُئِلَ كَعبٌ: أما يشغلهم شأن؟ أمَا تَشغَلُهم حاجةٌ؟ فقال للسائلِ: يا ابنَ أخي، جُعِلَ لهم التَّسبيحُ كما جُعِلَ لكم النَّفَسُ، ألستَ تأكلُ وتشربُ وتقومُ وتَجلسُ وتجِيءُ وتَذهبُ وتتكلَّمُ وأنتَ تتنفَّسُ؟! فكذلك جُعِلَ لهم التَّسبيحُ. ثم إنَّ اللّهَ تعالى عادَ إلى توبيخ المشركين فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ لأنَّ أصنامَهُم مِنَ الأرض هي، سواءٌ كانت مِنْ ذَهبٍ أو فِضَّةٍ أو خشبٍ أو حِجارةٍ ﴿هُمۡ﴾ يعني: الآلِهَةَ ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يُحْيُون المَوتى. وقرأ الحسَنُ:

---

(١) لا يصح عن ابن عباس، أبو صالح ضعيف، وراويته الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.
(٢) باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، والسورة مكية، وإنما قدم نصارى نجران في المدينة.
(٣) قال الطبري رحمه الله ٩/١١: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولداً لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله، ولا ينبغي، لأنه لا يكون لله ولد ولا صاحبة. وقال ابن كثير رحمه الله ٢٢١/٣: فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقاً، لا سيما عما يقولون من الإفك والباطل، من اتخاذ عيسى، أو عزير، أو الملائكة سبحان الله عما يقولون علواً كبيراً.

«يَنشُرون» بفتح الياء وضمِّ الشين. وهذا استفهامٌ بمعنى الجَحْدِ، والمعنى: ما اتَّخذُوا آلهةً تَنشُر ميتاً. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ يعني: السماء والأرض ﴿ءَالِهَةٌ﴾ يعني: معبُودِين ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال الفَرَّاءُ: سِوى الله. وقال الزَّجَّاجُ: غيرَ اللهِ.

قوله تعالى: ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: لَخَربتَا وبطَلَتا وهَلكَ مَنْ فيهما، لِوجُود التَّمانُعِ بين الآلهةِ، فلا يجري أمرُ العالَمِ على النِّظام، لأنَّ كلَّ أمرٍ صَدَرَ عن اثنين فَصاعداً لم يَسْلَمْ مِنَ الخلافِ.

قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ أي: عمَّا يَحْكُم في عباده مِنْ هَدْيٍ وإضلالٍ، وإعزازٍ وإذلالٍ، لأنه المَالِكُ للخَلْقِ، والخَلْقُ يُسألون عن أعمالهم؛ لأنهم عبيدٌ يجب عليهم امتِثالُ أمرِ مَولاهُم. ولمَّا أبطَلَ عزَّ وجلَّ أن يكون آلِهٌ سواه مِنْ حيثُ العقلُ بقوله: ﴿لَفَسَدَتَا﴾، أبطَلَ ذلك مِنْ حيثُ الأمرُ فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ وهذا استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ما تقولون، ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ يعني: القرآن خَبَرُ مَنْ معي على دِيني ممَّنْ يَتَّبِعُني إلى يوم القيامة بما لَهُم مِنَ الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ يعني: الكُتُبَ المُنزَّلَةَ، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكُتبُ التي أُنزِلَتْ قبله، فانظروا هل في واحدٍ منها أنَّ اللَّهَ أمرَ باتِّخاذِ إلهٍ سِواه؟ فبطَلَ بهذا البيانِ جوازُ اتِّخاذ معبودٍ غيره مِنْ حيثُ الأمرُ به، قال الزَّجَّاجُ: قيلَ لهم: هاتوا بُرهانَكم بأنَّ رسولاً مِنَ الرُّسُلِ أخبَرَ أُمَّتَهُ بأنَّ لهم إلهاً غيرَ الله! قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: التوحيد، قاله مُقاتِلٌ ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن التَّفكُّرِ والتَّأمُّلِ وما يجب عليهم مِنَ الإيمان.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم: «إلا نوحي» بالنون؛ والباقون بالياء. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ في القائلين لهذا قولان: **أحدهما**: أنهم مُشركو قُريشٍ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال ابنُ إسحاقَ: القائِلُ لهذا النَّضرُ بنُ الحارثِ. **والثاني**: أنهم اليهود قالوا: إنَّ الله صَاهَرَ الجنَّ فكانت منهم الملائكةُ، قاله قَتادةُ. فعلى القولين، المراد بالوَلَدِ: الملائكةُ، وكذلك المُراد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، والمعنى: بل عبادٌ أكرمَهُم اللَّهُ واصطَفاهُم، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾، أي: لا يتكلَّمون إلاَّ بما يأمُرهم به. وقال ابنُ قُتيبةَ: لا يقولون حتى يقولَ، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتى يأمُرَهم. قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما قدَّموا مِنَ الأعمال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما هم عامِلُون، ولا يشفعون يومَ القيامة، وقيلَ: لا يستغفرون في الدنيا ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أي: لِمَن رَضِيَ عنه، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ أي: مِنْ خشيتِهم منه، فأُضِيفَ المصدرُ إلى المفعول، ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون. وقال الحسَنُ: يرتَعِدُون. ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: مِنَ الملائكة. قال الضَّحَّاكُ

في آخرين: هذه خاصةٌ لإبليس، لم يَدْعُ أحدٌ مِنَ الملائكة إلى عبادةِ نفسه سِواهُ؛ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وهذا قولُ مَنْ قال: إنه مِنَ الملائكة، فإنَّ إبليسَ قال ذلك للملائكة الذين هَبَطُوا معه إلى الأرض، ومَنْ قال: إنه ليس مِنَ الملائكة، قال: هذا على وَجْهِ التَّهديد، وما قال أحدٌ مِنَ الملائكة ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: أَوَلَمْ يعلموا. وقرأ ابنُ كَثير: «ألم ير الذين كفروا» بغيرِ واوٍ بينَ الألِفِ واللام، وكذلك هي في مصاحفِ أهلِ مكَّةَ، ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: السَّمواتُ جَمعٌ؛ والأرضُ واحدةٌ، فخرجت صفةُ لفظِ الجَمعِ على لفظِ صفةِ الواحدِ والعرب تفعلُ هذا إذا أشركُوا بينَ الجَمعِ وبين واحدٍ؛ والرَّتْقُ مصدرٌ يُوصَفُ به الواحدُ والاثنان والجمعُ والمذكَّرُ والمؤنثُ سواءٌ، ومعنى الرَّتْقِ: الذي ليس فيه ثُقْبٌ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: كانتا ذَواتَي رَتْقٍ، فجعلناهُما ذواتَ فَتْقٍ، وإنما لم يَقُلْ: «رَتْقَيْنِ» لأنَّ الرَّتْقَ مصدرٌ. وللمُفسِّرين في المراد به ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ السمواتِ كانت رَتْقاً لا تُمطِرُ، وكانت الأرض رَتْقاً لا تُنبِتُ، ففَتَقَ هذه بالمطرِ، وهذه بالنباتِ، رواه عبدُ الله بنُ دِينارٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ، وعِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ، والضَّحَّاكُ في آخرين. **والثاني**: أنَّ السمواتِ والأرضَ كانتا مُلتَصِقتَيْنِ، ففَتَقَهُما اللَّهُ تعالى، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، وسعيدُ بنُ جُبَير، وقَتادةُ. **والثالث**: أنه فَتَقَ مِنَ الأرضِ ستَّ أَرَضِينَ فصارت سبعاً، ومِنَ السماء ستَّ سمواتٍ فصارت سبعاً، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه، وابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ وقرأ معاذٌ القارئ وابنُ أبي عبلَةَ وحُميدُ بنُ قَيسٍ: «كلَّ شيءٍ حيّاً» بالنصب. وفي هذا الماء قولان: **أحدهما**: أنه الماءُ المعروف، والمعنى: جعلنا الماءَ سبباً لحياة كلِّ حَيٍّ، قاله **الأكثرون**. **والثاني**: أنه النُّطفَةُ، قاله أبو العَالِية.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ قد فسَّرناه في سُورةِ النَّحل[1]. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرَّواسي ﴿فِجَاجًا﴾، قال أبو عُبيدَةَ: هي المَسالِك. قال الزَّجَّاجُ: الفِجاجُ جمعُ فَجّ، وهو كلُّ مُنخَرِقٍ بين جبلين، ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ طُرُقاً. قال ابنُ عباسٍ: جعلنا مِنَ الجبال طُرُقاً كي تهتدوا إلى مقاصِدِكُم في الأسفارِ. قال المُفسِّرون. وقوله: ﴿سُبُلًا﴾ تفسيرٌ للفِجاج، وبيان أنَّ تلك الفِجاجَ نافذةٌ مَسلُوكَةٌ، فقد يكون الفَجُّ غيرَ نافذٍ. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ أي: هي للأرض كالسَّقفِ. وفي معنى ﴿مَّحْفُوظًا﴾ قولان: **أحدهما**: بالنُّجوم مِنَ الشياطين، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: محفُوظاً مِنَ الوقوعِ إلاَّ بإذن الله، قاله الزَّجَّاج.

---

(١) سورة النحل: ١٥.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي: شمسِها وقمرِها ونُجومِها، قال الفَرَّاءُ: وقرأ مُجاهِدٌ: «عن آيتها» فوحَّدَ، فجعلَ السماءَ بما فيها آيةً؛ وكلٌّ صوابٌ.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ يعني: الطوالع ﴿فِى فَلَكٍ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: الفَلَكُ: مَدارُ النجوم الذي يضمُّها، وسمَّاه فَلَكاً، لاستِدارَتِه، ومنه قيلَ: فَلْكَةُ المِغزَلِ، وقد فَلَك ثَدْيُ المرأةِ. قال أبو سُليمانَ: وقيل: إنَّ الفَلَكَ ـ كهيئَةِ السَّاقيَةِ مِنْ ماءٍ ـ مُستديرةٌ دونَ السماء وتحتَ الأرض، فالأرضُ وسطها والشمسُ والقمرُ والنجومُ والليلُ والنهارُ يَجرُون في الفَلَكِ، وليس الفَلَكُ يُديرُها. ومعنى «يَسْبَحون»: يَجرُون. قال الفَرَّاءُ: لمَّا كانت السِّباحةُ مِنْ أفعال الآدميين، ذُكِرَتْ بالنون، كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾(١) لأنَّ السُّجودَ مِنْ أفعال الآدميين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ سببُ نُزولها أنَّ ناساً قالوا: إنَّ محمَّداً لا يموتُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى الآيةِ ما خَلَّدنا قبلَكَ أحداً مِنْ بَني آدمَ؛ والخُلْدُ: البقاءُ الدَّائمُ. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ يعني مُشركي مكَّةَ، لأنهم قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾(٢). قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ قال ابنُ زيدٍ: نختبِرُكم بما تحبُّون لننظرَ كيف شُكرُكم، وبما تكرَهُون لننظرَ كيف صَبْرُكم. قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: «تَرجعون» بتاءٍ مفتوحةٍ. وروى ابنُ عباسٍ عن أبي عمرٍو: «يُرجعون» بياء مضمومةٍ. وقرأ الباقون تُرجعون بتاءٍ مضمومةٍ. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني المُستَهزئين، وقال السُّدِّيُّ: نزلت في أبي جهلٍ، مَرَّ به رسولُ الله، فضحكَ وقال: هذا نَبيُّ بَني عبدِ مَنافٍ. و ﴿إِن﴾ بمعنى «ما»، ومعنى ﴿هُزُوًا﴾ مَهزوءاً به ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يَعيبُ أصنامَكم، وفيه إضمارُ «يقولون»، ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرفُ الرَّحمنَ، فكفروا بالرَّحمنِ.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وقرأ أبو رَزينٍ العُقيلي، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ: «خَلَقَ الإنسانَ» بفتحِ الخاء واللام ونصبِ النون. وهذه الآيةُ نزلت حين استعجلَتْ قُريشٌ بالعذاب.

وفي المُراد بالإنسان هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: النضرُ بنُ الحارثِ، وهو الذي قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن

(١) سورة يوسف: ٤.
(٢) سورة الطور: ٣٠.

﴿كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[1]، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: آدَمُ عليه السَّلامُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والسُّدِّيُّ في آخرين. **والثالث**: أنه اسمُ جنسٍ، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوري؛ فعلى هذا يدخل النَّضرُ بنُ الحارثِ وغيرُه في هذا وإنْ كانت الآيةُ نزلت فيه.

فأمَّا مَنْ قال: أُرِيدَ به آدَمُ، ففي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنه خُلِقَ عَجُولاً، قاله الأكثرون. فعلى هذا يقول: لمَّا طُبِعَ آدمُ على هذا المعنى، وُجِدَ في أولاده، وأورثَهم العَجَلَ. **والثاني**: خُلِقَ بعَجَلٍ، استعجلَ بخَلقِه قبلَ غُروبِ الشمس مِنْ يوم الجُمعةِ، وهو آخرُ الأيام الستة، قاله مُجاهِدٌ. فأمَّا مَنْ قال: هو اسمُ جنسٍ، ففي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: خُلِق عَجُولاً؛ قال الزَّجَّاجُ: خوطِبَتِ العربُ بما تَعقِلُ، والعرب تقول للذي يَكثُر منه اللعبُ: إنما خُلِقْتَ مِنْ لَعِبٍ، يريدون المُبالغة في وصفه بذلك. **والثاني**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، والمعنى: خُلِقَت العَجلَةُ في الإنسان، قاله ابنُ قُتَيبة.

قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما أصابَ الأُمَمَ المُتقدِّمةَ؛ والمعنى: أنكم تُسافرون فترونَ آثارَ الهَلاكِ في المَاضِينَ، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني**: أنها القتلُ ببدرٍ، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ أثبتَ الياءَ في الحالَتين يعقوبُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ يعنُون: القيامة. ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جوابه محذوفٌ، والمعنى: لو علموا صِدْقَ الوعدِ ما استعجَلُوا، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ أي: لا يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ إذا دخلوا ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ﴾ لإحاطَتِها بهم ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ أي: يُمنَعون مما نَزلَ بهم، ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾ يعني: الساعة ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأةً ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ تُحيِّرهم؛ وقد شرحنا هذا عندَ قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾[2] ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي: صَرفَها عنهم، ولا هم يُمْهَلون لتوبةٍ أو معذرةٍ. ثم عَزَّى نَبيَّهُ، فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ أي: كما فعلَ بكَ قومُكَ ﴿فَحَاقَ﴾ أي نَزلَ ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم﴾ أي: مِنَ الرُّسُلِ ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ يعني: العذابَ الذي كانوا استهزؤوا به.

﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم﴾ المعنى: قُلْ لهؤلاء المُستعجِلين بالعذاب: مَنْ يحفظُكم مِنْ بأسِ الرَّحمن إنْ أراد إنزالَهُ بكم؟ وهذا استفهامُ إنكارٍ، أي: لا أحدَ يفعلُ ذلك، ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم﴾ أي: عن كلامه ومواعِظه ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ لا يتفكَّرون ولا يعتبرون. ﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن

---

(١) سورة الأنفال: ٣٢. (٢) سورة البقرة: ٢٥٨.

دُونِنَا﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: أَمْ لهم آلهةٌ مِنْ دُونِنا تمنَعُهم؟ وهاهنا تَمَّ الكلام. ثم وَصفَ آلِهَتَهُم بالضَّعف، فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ والمعنى: مَنْ لا يقدر على نَصْرِ نفسه عمَّا يُراد به، فكيف يَنصُرُ غيرَهُ؟! قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الكفَّارُ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم الأصنام، قاله قَتادَةُ. وفي معنى ﴿يُصْحَبُونَ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يُجَارُون، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: لا يُجيرُهم منَّا أحدٌ، لأنَّ المُجيرَ صاحبٌ لجَارِه. **والثاني**: يُمنَعُون، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: يُنصَرون، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: لا يُصحَبون بخيرٍ، قاله قَتادَةُ.

ثم بيَّن اغتِرَارَهُم بالإهمالِ، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ فاغترُّوا بذلك، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ قد شرحناه في الرَّعدِ[1] ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أي: مع هذه الحالِ، وهو نَقْصُ الأرض، والمعنى: ليسوا بغالِبين، ولكنَّهم المَغلُوبون. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم﴾ أي: أُخَوِّفكم ﴿بِٱلْوَحْيِ﴾ أي: بالقرآن، والمعنى: إنني ما جئتُ به مِنْ تلقاءِ نَفْسِي، إنما أُمِرْتُ فبلَّغتُ. ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «ولا تُسْمِعُ» بالتاءِ مضمومةً «الصُّمَّ» نصباً. وقرأ ابنُ يَعمُرَ، والحسَنُ: «ولا يُسْمَعُ» بضمِّ الياء وفتح الميم «الصُّمُّ» بضمِّ الميم. شبَّه الكفَّارَ بالصُّمِّ الذين لا يسمعون نداءَ مُنادِيهم؛ ووَجْهُ التشبيه أنَّ هؤلاءِ لم ينتفعوا بما سمعوا، كالصُّمِّ لا يُفيدهم صوتُ مُناديهم. ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾ أي: أصابَتْهُم ﴿نَفْحَةٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: طَرَفٌ. وقال الزَّجَّاجُ: المراد أدنى شيءٍ مِنَ العذاب، ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾ والوَيلُ يُنادي به كلُّ مَنْ وقعَ في هَلَكةٍ.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ونضعُ المَوازِينَ ذَواتَ القِسْطِ، والقِسْطُ: العدل، وهو مصدرٌ يُوصَفُ به، يُقال: ميزانٌ قِسْطٌ، وميزانان قِسْطٌ، ومَوازِينُ قِسْطٌ. قال الفَرَّاءُ: القِسطُ مِنْ صفة المَوازين وإنْ كان مُوَحَّداً، كما تقول: أنتم عَدْلٌ، وأنتم رِضىً. وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ و «في يوم القيامة» سواءٌ. وقد ذكرنا الكلامَ في المِيزان في أوَّلِ الأعراف[2]. فإنْ قيلَ: إذا كان المِيزانُ واحداً، فما المعنى بذِكرِ المَوازين؟ فالجواب: أنه لمَّا كانت أعمالُ الخَلائِق تُوزَنُ وَزْنَةً بعدَ وَزْنةٍ، سُمِّيت مَوازين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يُنقَصُ مُحسِنٌ مِنْ إحسانه، ولا يُزَادُ مُسِيءٌ على إساءَتِه ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي: وَزْنَ حَبَّةٍ. وقرأ نافعٌ: «مثقالُ» برفع اللام. قال الزَّجَّاجُ: ونصبُ «مثقالَ» على معنى: وإنْ كان العملُ مِثقَالَ حَبَّةٍ. وقال أبو عليٍّ الفَارسيُّ: وإنْ كان الظُّلامَةُ مِثقَالَ حَبَّةٍ، لقوله تعالى: «فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئاً». قال: ومَنْ رَفَعَ، أسندَ الفعلَ إلى المِثقَالِ، كما أُسنِدَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[3].

---

(١) سورة الرعد: ٤١. (٢) سورة الأعراف: ٨. (٣) سورة البقرة: ٢٨٠.

قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي: جئنا بها، وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وحُمَيدٌ: «آتينا بها» ممدودةً، أي: جَازَيْنَا بها. قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ قال الزَّجّاجُ: هو منصوبٌ على وَجْهَين أحدهما: التَّمييزُ؛ والثاني: الحَالُ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: التَّوراة التي فرَّقَ بها بين الحلالِ والحرام، قاله مُجاهِدٌ، وقتادَةُ. **والثاني**: البُرهانُ الذي فرَّقَ به بين حقِّ موسى وباطلِ فِرعونَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: النَّصرُ والنَّجاةُ لموسى، وإهلاكُ فِرعَونَ، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾ روى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ أنه كان يرى الواوَ زائدةً؛ قال الزَّجّاجُ: وكذلك قال بعضُ النَّحويين أنَّ المعنى: الفُرقانُ ضياءً، وعند البَصريِّين: أنَّ الواوَ لا تُزاد ولا تأتي إلاّ بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[(٢)] قال المُفسِّرون: والمعنى أنهم استَضاؤوا بالتَّوراة حتى اهتَدَوا بها في دِينِهم. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أنهم يذكُرونَهُ ويعملون بما فيه. ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يخافونَهُ ولم يَرَوهُ، قاله الجمهور. **والثاني**: يخشَون عذابَهُ ولم يَروهُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: يخافونَهُ مِنْ حيثُ لا يَراهُم أحدٌ، قاله الزَّجّاجُ. **والرابع**: يخافونَهُ إذا غابُوا عن أعيُنِ الناس كخَوفِهم له إذا كانوا بينَ الناس، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. ثم عاد إلى ذِكرِ القرآن، فقال: ﴿وَهَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿ذِكْرٌ﴾ لِمَنْ تذكَّرَ به، وعِظَةٌ لمَنْ اتعَّظَ ﴿مُّبَارَكٌ﴾ أي: كثيرُ الخيرِ ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ أي: جَاحِدُون؟! وهذا استفهامُ توبيخٍ.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ أي: هُداهُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[(٣)]:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٢٩: وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدي والضلال، والغيّ والرشاد، والحلال والحرام وعلى ما يحصّل نوراً في القلوب، وهداية وخوفاً وإنابة وخشية ولهذا قال: **﴿الفرقان وضياء وذكراً للمتقين﴾** أي: تذكيراً لهم وعظة.

(٢) سورة المائدة: ٤٤.

(٣) قال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٢٧: قال النحاس: ومن أحسن ما قيل في هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: **﴿نور على نور﴾** قال: كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه ازداد نوراً على نور، وكذا إبراهيم عليه السلام عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلائله، فعلم أن له =

أحدها: مِنْ قبلِ بُلوغِه، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: آتيناه ذلك في العِلْمِ السَّابقِ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: مِنْ قَبْلِ موسى وهارونَ، قاله الضَّحَّاكُ. وقد أشَرنا إلى قصة إبراهيمَ في الأنعام[١]. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: عَلِمْنَا أنه موضعٌ لإيتاءِ الرُّشدِ. ثم بيَّن متى آتاهُ فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يعني: الأصنام، والتِّمثَالُ: اسمٌ للشيءِ المَصنوعِ مُشَبَّهاً بِخَلْقٍ مِنْ خَلْقِ الله تعالى، وأصلُهُ مِنْ مثّلتُ الشيءَ بالشيءِ: إذا شبَّهتَهُ به، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا﴾ أي: على عبادَتِها ﴿عَٰكِفُونَ﴾ أي: مُقيمُونَ، فأجابوه أنهم رَأوا آباءَهم يعبدونها فاقتدوا بهم فأجابهم بأنهم فيما فعلوا وآباءهم في ضلالٍ مُبينٍ، ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾. يَنُون: أجادٌّ أنتَ، أَمْ لاعِبٌ؟! قوله تعالى: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ الكَيدُ: احتِيَالُ الكَائِد في ضرِّ المَكِيْدِ. والمُفسِّرون يقولون: لأكيدَنَّها بالكَسْرِ ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟﴾ أي: تذهبوا عنها، وكان لهم عِيدٌ في كلِّ سنةٍ يخرجون إليه ولا يخلِّفون بالمدينة أحداً، فقالوا لإبراهيمَ: لو خرجتَ معنا إلى عِيدِنا أعجَبَكَ دِيْنُنا، فخرجَ معهم، فلمَّا كان ببعض الطريق، قال: إنِي سَقيمٌ، وألْقَى نَفْسَهُ، وقال سِرّاً منهم: «وتالله لأكيدنَّ أصنامَكُم»، فسَمِعَهُ رجلٌ منهم، فأفشَاهُ عليه، فرجعَ إلى بيتِ الأصنام، وكانت ـ فيما ذكره مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ ـ اثنين وسبعين صَنَماً مِنْ ذهبٍ وفضَّةٍ ونُحَاس وحديدٍ وخشَبٍ، فكسَّرَهَا، ثم وضعَ الفأسَ في عُنُقِ الصَّنمِ الكبير، فذلك قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ قرأ الأكثرون: «جُذاذاً» بضمِّ الجيم. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ، وقَتادَةُ، وابنُ مُحيصِن، والأعمَشُ، والكِسَائيُّ: «جِذاذاً» بكسرِ الجيم. وقرأ أبو رَجَاءٍ العُطَارِدي، وأيُّوبُ السَّخْتِيَانيُّ، وعَاصِمٌ الجَحدَريُّ: «جَذاذاً» بفتح الجيم. وقرأ الضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «جَذاذاً» بفتحِ الجيم مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ معاذٌ القارئُ، وأبو حَيْوَةَ، وابنُ وَثَّابٍ: «جُذذاً» بضمِّ الجيم مِنْ غيرِ ألِفٍ. قال أبو عُبيدَةَ: أي: مُستأصَلِينَ، قال جَريرٌ:

بَـنِـي الـمُـهَـلَّـبِ جَـذَّ الـلـهُ دَابِـرَهُـم ... أَمْـسَـوْا رَمَـاداً فـلا أَصْـلٌ ولا طَـرَفُ[٢]

أي: لم يَبْقَ منهم شيءٌ، ولفظُ «جُذاذ» يقع على الواحدِ والاثنين والجميع مِنَ المُذكَّرِ والمؤنَّثِ. وقال ابن قتيبة: «جُذاذاً» أي: فُتاتاً، وكلُّ شيءٍ كَسرتَه فقد جَذَذْتَهُ، ومنه قيلَ للسَّويْقِ: الجَذِيْذ. وقرأ الكِسَائيُّ: «جِذاذاً» بكسرِ الجيم على أنه جمعُ جَذِيذٍ، مثل ثَقِيل وثِقَال، وخَفيف وخِفَاف. والجَذِيذُ بمعنى: المَجذُوذِ، وهو المَكسُور. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ أي: كَسَر الأصنامَ إلاَّ أكبرَها. قال الزَّجَّاجُ:

= رباً وخالقاً. وقال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٢٢٩: يخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم أنه آتاه رشده من قبل أي: من صغره ألهمه الحق والحجّة على قومه، كما قال ﴿**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**﴾ وقوله: ﴿**وكنا به عالمين**﴾ أي: وكان أهلاً لذلك. والرشد الذي أوتيه من صغره، الإنكار على قومه عبادة الأصنام من دون الله عز وجل. قال الزمخشري في «الكشاف» ٣/ ١٢٢: ومعنى علمه به: أنه علم منه أحوالاً بديعة وأسراراً عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها، حتى أهَّلَه لمخالّته ومخالصته. وفي قوله: ﴿**لقد كنتم أنتم وءاباؤكم في ضلال مبين**﴾ يقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، فما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادّون في نصرة مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم، وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم.

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

(٢) البيت في ديوانه: ٣٩٠ و «الكامل»: ٥١٠. وفي «اللسان»: طَرَفُ القوم: رئيسهم.

جائزٌ أن يكون أكبرَها في ذاتِه، وجائزٌ أن يكونَ أكبرَها عندَهم في تعظيمِهم إيَّاه، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الصَّنَم، ثم فيه قولان: **أحدهما**: لعلَّهم يرجِعون إليه فيُشاهِدُونَهُ، هذا قولُ مُقاتِلٍ. **والثاني**: لعلَّهم يرجِعون إليه بالتُّهمَةِ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والثاني**: أنها ترجع إلى إبراهيمَ. والمعنى: لعلَّهم يرجِعون إلى دِيْنِ إبراهيمَ بوجوبِ الحُجَّة عليهم، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

فلمَّا رَجعوا مِنْ عِيْدِهم ونظروا إلى آلهتِهم ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: قد فعل ما لم يكُنْ له فِعْلُه، فقال الذي سمعَ إبراهيمَ يقول: «لأكيدن أصنامكم»: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي يَعِيبُهم؛ تقول للرجل: لَئِنْ ذَكَرتَني لَتَندمنَّ، تريد: بسُوءٍ.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: بمَرْأَىً منهم[١]، لا تأتوا به خِفْيةً. قال أبو عُبيدَة: تقول العرب إذا أظهرَ الأمرُ وشُهِرَ: كان ذلك على أعيُنِ الناس.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: يشهدون أنه قال لآلِهَتنا ما قال، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ، وقَتادةُ. **والثاني**: يشهدون أنه فَعَلَ ذلك، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: يشهَدون عقابَهُ وما يُصنَع به، قاله محمَّدُ بنُ إسحاقَ.

قال المُفسِّرون: فانطلَقوا به إلى نُمْرُودَ، فقال له: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ غَضِبَ أنْ تُعبَدَ معه الصِّغار، فكَسرها، ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ مَنْ فعله بهم؟! وهذا إلزَامٌ للحُجَّةِ عليهم بأنهم جَمادٌ لا يقدرون على النُّطق.

واختلف العلماء في وَجهِ هذا القول مِنْ إبراهيمَ عليه السلام على قولَين: **أحدهما**: أنه وإنْ كان في صورة الكَذِبِ، إلاَّ أنَّ المراد به التَّنبيهُ على أنَّ مَنْ لا قُدرةَ له، لا يَصلُحُ أنْ يكونَ إلهاً، ومثله قولُ المَلَكين لدَاودَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[٣]، ولم يكُنْ له شيءٌ، فجرى هذا مَجْرَى التَّنبيه لداودَ على ما فعلَ، أنه هو المُرادُ بالفعل والمَثَلِ المَضروبِ؛ ومثلُ هذا لا تُسمِّيه العربُ كَذِباً. **والثاني**: أنه مِنْ مَعاريضِ الكلام؛ فرُوي عن الكِسائيِّ أنه كان يقفُ عند قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ ويقول: معناه: فَعلَهُ مَنْ فَعلَهُ، ثم يَبتَدِئُ ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾. قال الفَرَّاءُ: وقرأ بعضُهم: «بل فعلّه»

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٢٣١: وقوله: ﴿فأتوا به على أعين الناس﴾ أي: على رؤوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقولهم في عبادة هذه الأصنام، التي لا تدفع عن نفسها ضراً.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٦٢: ﴿لعلهم يشهدون﴾ طعنه على آلهتهم ليعلموا أنه يستحق العقاب. قلت: وفي هذا دليل على أنه كان لا يؤاخذ أحد بدعوى أحد.

(٣) سورة ص: ٢٣.

بتشديد اللام، يريد: بل فلعله كبيرُهم هذا. وقال ابنُ قُتيبةَ: هذا مِنَ المَعاريض، ومعناه: إنْ كانوا يَنطِقون، فقد فَعَلَهُ كبيرُهم، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[1] أي سَأسقَمُ، ومثلُه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾[2] أي: ستَموتُ، وقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[3] قال ابنُ عباسٍ: لم يَنْسَ، ولكنه مِنْ مَعاريضِ الكلام، والمعنى: لا تُؤاخِذْني بنِسيَاني، ومِنْ هذا قصةُ الخَصْمَينِ ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[4]، ومثله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾[5]، والعربُ تستعمل التَّعريضَ في كلامها كثيراً، فتَبلغُ إرادَتَها بوَجْهٍ هو ألطَفُ مِنَ الكَشفِ وأحسنُ مِنَ التَّصريح. ورُوي أنَّ قوماً مِنَ الأعراب خرجوا يمتَارُونَ، فلمَّا صَدرُوا، خالفَ رجلٌ في بعض الليل إلى عِكْمِ[6] صاحبه، فأخذَ مِنهُ بُرّاً وجعله في عِكْمِه، فلما أراد الرِّحلَة وقاما يتعاكَمانِ، رأى عِكْمَهُ يَشُولُ، وعِكْمَ صاحبهَ يثْقُلُ، فأنشأ يقول:

عِكْمٌ تَغشَّى بعضَ أعكَامِ القومِ ... لَمْ أرَ عِكْماً سَارِقاً قبلَ اليَومِ

فخوَّن صاحبَهُ بوَجْهٍ هو ألطَفُ مِنَ التَّصريح. قال ابنُ الأنباري: كلامُ إبراهيمَ كان صِدْقاً عند البحث، ومعنى قولِ النبيِّ ﷺ:

[٩٨٣] «كَذَبَ إبراهيمُ ثلاثَ كِذبَاتٍ»: قال قولاً يُشبه الكذبَ في الظاهر، وليس بكذبٍ، قال المُصنِّفُ: وقد ذهب جماعةٌ مِنَ العلماء إلى هذا الوَجْهِ، وأنه مِنَ المَعاريضِ، والمَعاريضُ لا تُذَمُّ، خصوصاً إذا احتِيْجَ إليها.

[٩٨٤] روى عمرانُ بنُ حُصَينٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في المَعاريضِ لَمَندُوحَةً عن

---

[٩٨٣] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٥٧ ومسلم ٢٣٧١ وأبو داود ٢٢١٢ وأحمد ٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ والترمذي ٣١٦٦ وابن حبان ٥٧٣٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات. ثنتين في ذات الله. قوله: إني سقيم. وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة. فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة. وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي. فإنك أختي في الإسلام. فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبّار. فأتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك. فأرسل إليها فأُتي بها. فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة. فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها. فقبضت يده قبضة شديدة. فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضُرُّك. ففعلت. فعاد. فقبضت أشد من القبضة الأولى. فقال لها مثل ذلك. ففعلت. فعاد. فقبضت أشدُّ من القبضتين الأوليين. فقال: ادعي الله أن يطلق يدي. فلك الله أن لا أضرك. ففعلت. وأطلقت يده. ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان. ولم تأتني بإنسان. فأخرجها من أرضي. وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي. فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف. فقال لها: مهيم؟ قالت: خيراً. كفّ الله يد الفاجر. وأخدم خادماً. قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. لفظ مسلم. وأخرجه البخاري ٣٣٥٨ و ٥٠٨٤ والبيهقي ٧/ ٣٦٦ عن أبي هريرة موقوفاً.

[٩٨٤] أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» ١٠١١ وأبو الشيخ في «الأمثال» ٢٣٠ والحافظ في «الفتح» ١٠/ ٥٩٤ =

---

(١) سورة الصافات: ٨٩. (٢) سورة الزمر: ٣٠. (٣) سورة الكهف: ٧٤.
(٤) سورة ص: ٢١. (٥) سورة سبأ: ٢٤.
(٦) في «اللسان»: العِكم: العِدل ما دام فيه المتاع، وعَكَم المتاع: شدّه بثوب وهو أن يبسطه ويجعل فيه المتاع ويشدّه، ويسمّى حينئذٍ عِكماً.

الكذبِ»، وقال عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه: ما يَسرُّني أنّ لي بما أعلمُ مِنْ معاريضِ القولِ مِثْلَ أهلي ومالي، وقال النَّخعيُّ، لهم كلامٌ يتكلَّمون به إذا خَشوا مِنْ شيءٍ يَدرَؤُونَ به عن أنفُسِهم. وقال ابنُ سِيرِينَ: الكلامُ أوسعُ مِنْ أنْ يكذبَ ظريفٌ.

[٩٨٥] وقد قال رسولُ الله ﷺ لعَجوزٍ: «إنَّ الجنَّةَ لا يدخُلها العَجائزُ»، أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾[1].

[٩٨٦] ورُوي عنه ﷺ أنه كان يُمازح بلالاً، فيقول: «ما أُختُ خالِكَ منكَ»؟

[٩٨٧] وقال لامرأةٍ: «مَنْ زَوجُكِ»؟ فسَمَّتْهُ له، فقال: «الذي في عينيهِ بَياضٌ»؟

[٩٨٨] وقال لرجلٍ: «إنَّا حامِلُوكَ على وَلَدِ ناقةٍ».

[٩٨٩] وقال العباسُ: ما ترجو لأبي طالبٍ؟ فقال: «كلَّ خيرٍ أرجُوهُ مِنْ ربِّي».

= وابن عدي في «الكامل» ٣/ ٩٦ والديلمي من حديث عمران بن حصين، وفيه داود بن الزبرقان قال عنه ابن عدي: هو من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم، وقال في موضع آخر: لا أعلم أحداً رفعه غير داود اهـ وقال الذهبي في «المغني»: هو متروك. وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٨٨٤ عن عمران موقوفاً، وعن عمر مثله، فالمرفوع وإن كان ضعيفاً إلا أنه يتقوى بالموقوف، والله أعلم، وانظر «المقاصد الحسنة» ٢٢٧. و «تفسير القرطبي» ٣٦٩٩.

[٩٨٥] ضعيف. بهذا اللفظ وذكر الآية. ورد من مرسل الحسن. وله ثلاث علل: الأولى: الإرسال، والثانية: المبارك بن فضالة غير قوي، والثالثة: مراسيل الحسن واهية لأنه كان يحدث عن كل أحد. أخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢٤٠ والبغوي في «الأنوار» ٣٢٠ والبيهقي في «البعث» ٣٨٢ عن ابن فضالة عن الحسن.

ـ وله شاهد من حديث عائشة: أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٥٥٤١ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٩١. من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن ابن طارق عن مسعدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة. واسم طارق عند الطبراني «أحمد» أما عند أبي نعيم «محمد». قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٤١٩ وفيه مسعدة بن اليسع، وهو ضعيف. قلت: بل هو ضعيف جداً. قال الذهبي في «الميزان» ٤/ ٩٨: هالك، كذبه أبو داود، وقال أحمد: خرقنا حديثه منذ دهر.

وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢/ ١٤٢ والبيهقي في «٣٧٩» وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» ١٨٦ من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة. وليث ضعيف. وذكر ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٤/ ٤٦٢ هذه الطرق وقال: كلها ضعيفة. وله شاهد من حديث أنس. أخرجه ابن الجوزي في «الوفاء» كما في «تخريج الإحياء» ٣/ ١٢٩. قال العراقي: وأسنده ابن الجوزي من حديث أنس بسند ضعيف. الخلاصة: لا يصح هذا الحديث بهذا اللفظ مع ذكر الآية الكريمة على أنه مرفوع، والله أعلم.

[٩٨٦] لم أره مسنداً بعدُ، فلينظر.

[٩٨٧] ضعيف، عزاه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» ٣/ ١٢٩ للزبير بن بكر في كتاب «الفكاهة والمزاح» عن زيد بن أسلم به، وهذا مرسل، فهو ضعيف.

[٩٨٨] صحيح، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٢٦٨ وأبو داود ٤٩٩٨ والترمذي ١٩٩٢ والبغوي في «الأنوار» ٣١٦ من حديث أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستحمله. فقال: «إنا حاملوك على ولد الناقة» قال: يا رسول الله! وما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق». وإسناده صحيح.

[٩٨٩] ضعيف. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٠٠ بسند حسن عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث به مرسلاً، =

---

(١) سورة الواقعة: ٣٥.

[٩٩٠] وكان أبو بكرٍ حين خرجَ مِنَ الغَارِ مع رسول الله ﷺ إذا سأله أحدٌ: مَنْ هذا بينَ يديكَ؟ يقول: هادٍ يَهدِيني.

[٩٩١] وكانت امرأةُ ابنِ رَواحةَ قد رَأَتْهُ مع جاريةٍ له، فقالت له: وعلى فِراشي أيضاً؟! فجحدَ، فقالت له: فاقرأ القرآنَ، فقال:

وفِينا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كتابَهُ ... إذا انشقَّ مشهورٌ مِنَ الصُّبحِ طالِعُ
يَبِيتُ يُجافي جنْبَه عن فِراشِهِ ... إذا استثْقَلَتْ بالكافرينَ المَضاجِعُ

فقالت: آمنتُ بالله وكذَّبتُ بَصَري، فأتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَهُ، فضحكَ وأعجبَهُ ما صنعَ.

وعَرضَ شُرَيحٌ ناقةً ليبيعَها فقال له المُشتَري: كيف لَبَنُها؟ قال: احلِبْ في أيِّ إناءٍ شِئتَ، قال: كيف الوِطَاءُ؟ قال: افرِشْ ونَمْ، قال: كيف نَجَاؤُها[1]؟ قال: إذا رأيتَها في الإبِلِ عرفتَ مكانَها، عَلِّقْ سَوطَكَ وسِرْ، قال: كيف قُوَّتُها؟ قال: احمِلْ على الحائطِ ما شِئتَ؛ فاشتَراها فلم يَرَ شيئاً ممَّا وصفَ، فرجعَ إليه، فقال: لَمْ أرَ فيها شيئاً ممَّا وصفتَها به، قال: ما كَذَبْتُكَ، قال: أَقِلْني، قال: نعم. وخرجَ شُرَيحٌ مِنْ عند زيادٍ وهو مريضٌ، فقيلَ له: كيف وجدتَ الأميرَ؟ قال: تركتُه يأمُرُ ويَنهى، فقيلَ له: ما معنى يأمرُ ويَنهى؟ قال: يأمرُ بالوَصيَّةِ، وينهى عن النَّوحِ. وأخذ محمَّدُ بنُ يوسفَ حِجْراً المداريَّ فقال: الْعَنْ عَلياً، فقال: إنَّ الأميرَ أَمرَني أَنْ أَلعَنَ علياً محمَّدَ بنَ يوسفَ، فالعَنُوه، لَعنَهُ اللهُ. وأمرَ بعض الأمراء صَعصَعَةَ بنَ صُوْحان بلَعْنِ عليّ، فقال: لَعنَ اللهُ مَنْ لَعنَ اللهُ ولَعنَ عليٌّ، ثم قال: إنَّ هذا الأميرَ قد أَبَى إلاَّ أنْ أَلعَنَ علياً، فالعَنُوهُ، لَعنَهُ اللهُ. وامتَحنَتِ الخَوارجُ رجلاً مِنَ الشِّيعةِ، فجعل يقول: أنا مِنْ عليّ ومِنْ عثمانَ بريءٌ. وخَطَبَ رجلٌ امرأةً وتحتَهُ أخرى، فقالوا: لا نُزوِّجكَ حتى تُطلِّقَ امرأتَكَ! فقال: اشهَدُوا أنّي قد طَلَّقتُ ثلاثاً، فزوَّجُوهُ، فأقام مع المرأة الأولى، فادَّعوا أنه قد طَلَّقَ، فقال: أمَا تعلمونَ أنه كان تحتِي فُلانةٌ فطلَّقتُها، ثم فلانة فطلَّقتها. ثم فُلانةٌ فطلَّقتُها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طَلَّقتُ ثلاثاً[2]. وحُكي أنَّ رجلاً عَثَرَ به الطَّائفُ ليلةً، فقال له: مَنْ أنتَ؟ فقال:

= والمرسل من قسم الضعيف.

[٩٩٠] ضعيف. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/٤٨٩ من طريق أبي معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة به مرفوعاً، وهو طرف حديث. وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر، واسمه نجيح السندي.

[٩٩١] لم أره مسنداً بهذا اللفظ.

---

(١) في «اللسان»: نَجأ الشيء: أصابه بالعين. والنَّجأة: شدة النظر.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٠/٣٧٨: مسألة: ولو قيل له: ألك امرأة؟ فقال: لا. وأراد به الكذب، لم يلزمه شيء. ولو قال: قد طلقتها. وأراد به الكذب، لزمه الطلاق. وقد طَلَقَتْ. لأن لفظ الطلاق صريح، يقع به الطلاق من غير نية. وإن قال خليتها أو أبنتها افتقر إلى النية؛ لأنه كناية لا يقع به الطلاق من غير نية. وإن قيل له: أطلقت امرأتك؟ فقال: نعم. أو قيل له: امرأتك طالق؟ فقال: نعم. طَلَقت امرأته، وإن لم ينو. وهذا الصحيح من مذهب الشافعي، واختيار المزني لأن نعم صريح الجواب. والجواب الصريح للفظ الصريح صريح. وإن قيل له: طلقت امرأتك؟ فقال: قد كان بعض ذلك. ثم قال: إنما أردت أني طلقتها في نكاح آخر. دِينَ فيما بينه وبين الله تعالى، فأما في الحكم، فإن لم يكن ذلك وُجِدَ منه، لم يُقبل، لأنه لا يحتمل ما قاله. وإن كان وجد، فعلى وجهين.

أنا ابنُ الذي لا يُنْزِلُ الدَّهرَ قِدرَهُ وإنْ نزلَتْ يوماً فسوفَ تعودُ
ترى النَّاسَ أفواجاً إلى ضوءِ نارِه فمِنهُم قيامٌ حولَها وقعودُ

فظنَّ الطَّائفُ أنه ابنُ بعض أشرافِ البَصرةِ، فلمَّا أصبحَ سأل عنه، فإذا هو ابنُ باقِلاَّني. ومثلُ هذا كثيرٌ.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: رَجعَ بعضُهم إلى بعض. **والثاني**: رَجعَ كلُّ منهم إلى نَفْسِه مُتفكراً.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: حين عَبدْتُم مَنْ لا يتكلَّمُ، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: حين تتركون آلهتَكم وحدَها، وتذهبون، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: في عبادة هذه الأصاغرِ مع هذا الكبيرِ، رُوي عن وَهْبٍ أيضاً. **والرابع**: لإبراهيمَ حين اتَّهمتُموه والفأسُ في يَدِ كبيرِ الأصنام، قاله ابنُ إسحاقَ، ومُقاتِلٌ. **والخامس**: أنتم ظالمون لإبراهيمَ حين سألتُموه، وهذه أصنامُكم حاضِرةٌ، فاسألُوها، ذكره ابنُ جرير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حَيْوَةَ: «نُكِّسوا» برفعِ النون وكسرِ الكاف مشدَّدةً. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ يَعمَرَ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «نَكَسوا» بفتحِ النون والكاف مُخفَّفةً. قال أبو عُبيدَةَ: «نُكِسوا»: قُلِبوا، تقول: نَكَسْتُ فلاناً على رأسه؛ إذا قَهرتَهُ وعَلَوتَهُ.

ثم في المراد بهذا الانقلابِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أدركتْهم حيرةٌ، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾، قاله قتادة. **والثاني**: رَجَعوا إلى أوَّلِ ما كانوا يعرفونَها به مِنْ أنها لا تَنْطِقُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثالث**: انقلَبوا على إبراهيمَ يحتجُّون عليه بعدَ أنْ أقَرُّوا به ولامُوا أنفُسَهم في تُهمَتِه، قاله أبو سُليمانَ.

وفي قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إضمارُ «قالوا»، وفي هذا إقرارٌ منهم بعَجزِ ما يعبدونه عن النُّطقِ، فحِينئذٍ توجَّهتْ لإبراهيمَ الحُجَّةُ، فقال مُوبِّخاً لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ﴾ أي: لا يرزقكم ولا يُعطيكُم شيئاً ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا لم تعبدُوه، وفي هذا حَثٌّ لهم على عبادةِ مَنْ يَملِكُ النَّفعَ والضُّرَّ، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: النَّتَنُ لكم؛ فلمَّا لَزِمَتْهُمُ الحُجَّةُ غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾. وذُكِرَ في التفسير أنَّ نُمرُودَ استَشارَهُم، بأيِّ عذابٍ أُعذِّبُه، فقال رجلٌ: حَرِّقوه، فخَسَفَ اللهُ به الأرضَ، فهو يتجلْجَلُ فيها إلى يومِ القيامةِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ٤١: وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك، لأن نكس الشيء على رأسه: قلبه على رأسه، وتصير أعلاه أسفله، ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رؤوسهم، وأنهم إنما نكست حجتهم، فأقيم الخبر عنهم، مقام الخبر عن حجتهم. فنكس الحجة لا شك، إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه بما هو حجة لخصمه.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقِه، لأنَّه يَعيبُها ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: ناصِرِيْهَا.

الإشارةُ إلى القصَّة

ذَكرَ أهلُ التفسير أنهم حَبَسُوا إبراهيمَ عليه السلام في بيتٍ ثم بَنَوا له حَيْراً طُولُ جدارِه ستون ذِراعاً إلى سَفْحِ جبلٍ مُنيفٍ، ونادى مُنادي المَلِكِ: أيُّها النَّاسُ احتطبوا لإبراهيمَ، ولا يَتخلَّفَنَّ عن ذلك صغيرٌ ولا كبيرٌ، فمَنْ تخلَّفَ أُلقِيَ في تلك النار، ففعلوا ذلك أربعينَ ليلةً، حتى إنْ كانت المرأةُ لَتقولُ: إنْ ظَفِرتُ بكذا لأَحتَطِبنَّ لِنارِ إبراهيمَ، حتى إذا كادَ الحَطَبُ يُساوي رأسَ الجِدارِ سَدُّوا أبوابَ الحَيْرِ وقَذَفوا فيه النار، فارتفعَ لَهَباً، حتى إنْ الطائرُ لَيمرُّ بها فيَحترِقُ مِنْ شدَّةِ حَرِّها، ثم بَنَوا بُنياناً شامِخاً، وبَنَوا فوقه مِنجَنيقاً، ثم رفعوا إبراهيمَ على رأسِ البُنيان، فرفعَ إبراهيمُ رأسَهُ إلى السماء، فقال: اللهُمَّ أنتَ الواحدُ في السماء، وأنا الواحدُ في الأرض، ليس في الأرض أحدٌ يعبُدُكَ غيري، حسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ؛ فقالت السماءُ والأرضُ والجبالُ والملائكةُ: رَبَّنا إبراهيمُ يُحرَقُ فيكَ، فائذَنْ لنا في نُصرَتِه؛ فقال: أنا أعلَمُ به، وإنْ دَعاكُم فأَغيثُوهُ؛ فقَذَفُوهُ في النار وهو ابنُ ستَّ عشرةَ سنةً، وقيل: ستٍ وعشرين، فقال: «حَسبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ». فاستقبلَهُ جِبريلُ، فقال: يا إبراهيمُ ألكَ حاجةٌ؟ قال: أمَّا إليكَ، فلا، قال جِبريلُ: فسَلْ ربَّكَ، فقال: «حَسْبِي مِنْ سُؤالي عِلْمُهُ بحَالي»[1]، فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، فلم تَبْقَ نارٌ على وَجْهِ الأرض يَومئذٍ إلاَّ طُفِئَتْ وظنَّتْ أنها عُنِيَتْ. وزعم السُّدِّيُّ أن جبريل هو الذي ناداها. وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها، قال السدي: فأخذت الملائكةُ بضَبْعَي[2] إبراهيمَ فأجلَسُوه على الأرضِ، فإذا عَيْنٌ مِنْ ماءٍ عَذْبٍ، ووَردٌ أحمرُ، ونَرجِسٌ، قال كَعبٌ ووَهْبٌ: فما أحرَقَتِ النارُ مِنْ إبراهيمَ إلاَّ وَثاقَهُ، وأقام في ذلك الموضع سبعةَ أيام، وقال غيرُهما: أربعينَ أو خمسينَ يوماً، فنزل جِبريلُ بقميصٍ مِنَ الجنة وطَنْفِسَةٍ[3] مِنَ الجنة، فألبسَهُ القميصَ، وأجلَسَهُ على الطَّنْفِسَةِ وقعدَ معه يُحدِّثُه. وإنَّ آزَرَ أتى نُمرُودَ فقال: ائذَنْ لي أنْ أُخرِجَ عظامَ إبراهيمَ فأدفِنَها، فانطلق نُمرُودُ ومعه الناسُ، فأمرَ بالحائطِ فنُقِبَ، فإذا إبراهيمُ في رَوضةٍ يهتَزُّ وثيابُه تَندَى، وعليه القميصُ وتحته الطَّنْفِسَةُ والمَلَكُ إلى جنبه، فناداه نُمرُودُ: يا إبراهيمُ إنَّ إلهكَ الذي بَلَغتْ قُدرَتُه هذا لَكبيرٌ، هل تستطيعُ أنْ تخرجَ؟ قال: نعم، فقام إبراهيمُ يمشي حتى خرجَ، فقال: مَنِ الذي رأيتُ معكَ؟ قال: مَلَكٌ أرسلَهُ إليَّ ربِّي لِيُؤنِسَني، فقال نُمرودُ: إني مُقَرِّبٌ لإلهكَ قُرباناً لِمَا رأيتُ مِن

(١) هذا من الإسرائيليات، وهو معارض بكتاب الله فإن الله أمر عباده أن يسألوه في السراء والضراء.
(٢) في «اللسان»: الضَّبع: وسط العَضد بلحمه يكون للإنسان وغيره.
(٣) في «اللسان» الطُّنفسة: النُّمرقة فوق الرجل، وقيل: البساط الذي له خمل رقيق.

قُدرته، فقال: إذَنْ لا يقبلُ اللهُ منكَ ما كنتَ على دِيْنِكَ، فقال: يا إبراهيمُ، لا أستطيعُ تَرْكَ مُلْكِي، ولكن سوفَ أذبَحُ له، فذبَح القُربانَ وكَفَّ عن إبراهيمَ.

قال المُفسِّرون: ومعنى: «كُوني بَرْداً» أي: ذاتَ بَرْدٍ، «وسلاماً» أي: سلامةً. ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ وهو التَّحريقُ بالنار ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ وهو أنَّ الله تعالى سَلَّطَ البَعوضَ عليهم حتى أكلَ لُحومَهُم وشَرِبَ دِماءَهُم، ودخلت واحدةٌ في دِماغِ نُمرودَ حتى أهلَكَتْهُ، والمعنى: أنهم كادُوه بسوءٍ. فانقلبَ السُّوءُ عليهم. قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ أي: مِنْ نُمرودَ وكَيدِه ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابنُ أخي إبراهيمَ، وهو لُوطُ بنُ هارَانَ بنِ تارخَ، وكان قد آمَنَ به، فهاجَرا مِنْ أرضِ العراقِ إلى الشَّام. وكانت سَارَةُ مع إبراهيمَ في قولِ وَهْبٍ. وقال السُّدِّيُّ: إنما هي ابنةُ مَلِكِ حَرَّانَ، لَقِيَها إبراهيمُ فتزَوَّجَها على أن لا يُغَيِّرَها، وكانت قد طَعَنَتْ على قومها في دِيْنِهم.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها قولان: **أحدهما**: أنها أرضُ الشَّام، وهذا قولُ الأكثرين. وبَركَتُها: أنَّ اللهَ تعالى بَعثَ أكثرَ الأنبياء منها، وأكثرَ فيها الخِصْبَ والثِّمارَ والأنهارَ. **والثاني**: أنها مكَّةُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. والأول أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ يعني: إبراهيمَ ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾. وفي معنى النَّافِلة قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى الزِّيادة، والمراد بها: يعقوبُ خاصَّةً، فكأنه سأَلَ واحداً، فأُعطِيَ اثنين، وهذا مذهبُ ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ، وابنِ زيدٍ، والفَرَّاءِ. **والثاني**: أنَّ النَّافِلةَ بمعنى العَطِيَّةِ، والمراد بها: إسحاقُ ويعقوبُ، وهذا مذهبُ مُجاهِدٍ، وعَطاءٍ. قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ يعني: إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ. قال أبو عُبيدَةَ: «كُلٌّ» يقعُ خَبرُه على لفظِ الواحدِ، لأنَّ لفظَهُ لفظُ الواحدِ، ويقع خَبرُهُ على لفظِ الجميع، لأنَّ معناه معنى الجميع.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: رُؤوساً يُقتَدَى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يَدْعونَ النَّاسَ إلى دِيْنِنا بأمرِنا إيَّاهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: شرائع النبوَّة. وقال مُقاتِلٌ: الأعمال الصالحة، ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: حَذْفُ الهاءِ مِنْ إقامة الصلاة قليلٌ في اللغة، تقول: أقامَ إقامةً، والحَذفُ جائزٌ، لأنَّ الإضافةَ عِوَضٌ مِنَ الهاء.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: انتصبَ «لوط» بفعلٍ مُضمَرٍ، لأنَّ قبلَه فِعلاً، فالمعنى: وأوحينا إليهم وآتينا لُوطاً. وذكر بعضُ النَّحويين أنه منصوبٌ على «واذكر لوطاً»، وهذا جائزٌ لأنَّ ذِكْرَ إبراهيمَ قد جرى، فحُمِلَ لُوطُ على معنى: واذكُرْ. قال المُفسِّرون: لمَّا هاجرَ لُوطُ مع إبراهيمَ، نزل إبراهيمُ أرضَ فلسطين ونزلَ لُوطُ بالمُؤتَفِكَةِ على مَسيرةِ يوم وليلةٍ أو نحو ذلك مِن إبراهيمَ، فبعثَهُ اللهُ نبياً. فأمَّا «الحُكم» ففيه قولان: **أحدهما**: أنه النبوَّةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الفَهْمُ والعَقلُ، قاله مُقاتِلٌ، وقد ذكرنا فيه أقوالاً في سُورةِ يُوسفَ[1]. وأمَّا «القرية» هاهنا، فهي سَدُومُ، والمراد أهلُها،

---

(١) سورة يوسف: ٢٢.

والخَبائِثُ: أفعالُهم المُنكَرَةُ، فمنها إتيانُ الذُّكُورِ، وقَطْعُ السبيل، إلى غيرِ ذلك ممَّا قد ذكره اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم في مَواضِعَ[1]. قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ﴾ أي: بإنجائِه مِنْ بينِهم.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾ المعنى: واذكرْ نُوحاً، وكذلك ما يأتيكَ مِنْ ذِكْرِ الأنبياء ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دَعَا على قومِه ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قبلِ إبراهيمَ ولُوطٍ. فأمَّا الكَرْبُ العظيمُ! فقال ابنُ عباسٍ: هو الغرقُ وتكذيبُ قومِه. قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: مَنعناهُ منهم أنْ يَصِلُوا إليه بِسُوءٍ، وقيل: «من» بمعنى «على».

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه كان عِنَباً، قاله ابنُ مسعودٍ، ومَسروقٌ، وشُرَيحٌ. **والثاني**: كان زَرْعاً، قاله قَتادةُ. ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: رَعَتْ ليلاً، يُقال: نَفَشَت الغَنَمُ بالليل، وهي إبلٌ نَفَشٌ ونُفَّاشٌ ونِفَاشٌ، والواحد: نَافِشٌ، وسَرَحَتْ وسَرَبَتْ بالنهار. قال قَتادةُ: النَّفَشُ بالليل، والهَمَلُ بالنهار. وقال ابنُ السِّكِّيتِ: النَّفَشُ: أنْ تنتشِرَ الغنمُ بالليل تَرعى بلا رَاعٍ.

الإشارةُ إلى القصَّة

ذكرَ أهلُ التَّفسير أنَّ رَجُلين كانا على عَهْدِ دَاودَ عليه السلام، أحدُهما صاحبُ حَرْثٍ، والآخرُ صاحبُ غَنَم، فتفلَّتَتِ الغَنَمُ فوقعت في الحَرْثِ فلم تُبْقِ منه شيئاً، فاختَصَما إلى داودَ، فقال لصاحبِ الحَرْثِ: لكَ رِقابُ الغَنَم، فقال سُليمانُ: أَوَ غيرَ ذلك؟ قال: ما هوَ؟ قال: ينطَلِقُ أصحابُ الحَرْثِ بالغَنَمِ فَيُصيبونَ مِنْ ألبانِهَا ومَنافِعِها، ويُقبِلُ أصحابُ الغَنَم على الكَرْمِ، حتى إذا كان كَلَيْلَةِ نَفَشَتْ فيه الغَنَمُ، دَفعَ هؤلاءِ إلى هؤلاءِ غَنمَهُم، ودفعَ هؤلاءِ إلى هؤلاءِ كَرْمَهُم، فقال داودُ: قد أَصَبْتَ القضاءَ، ثم حَكَمَ بذلك، فذلك قولُه: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ وفي المُشَارِ إليهم قولان: **أحدهما**: داودُ وسُليمانُ، فذكرهما بلفظِ الجمع، لأنَّ الاثنين جَمْعٌ، هذا قولُ الفَرَّاءِ. **والثاني**: أنهم داودُ وسُليمانُ والخُصومُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وكنا لِحُكمهما» على التثنية. ومعنى «شاهِدين»: أنه لم يَغِبْ عنَّا مِنْ أمرِهم شيءٌ. ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ يعني: القضيَّةَ والحُكُومةَ.

---

(١) في سورة هود: ٧٨، والحجر: ٦٩.

وإنما كَنَّى عنها، لأنه قد سَبَقَ ما يدلُّ عليها مِنْ ذِكْرِ الحُكْم، ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ وقد سبق بيانُه. قال الحسَنُ: لولا هذه الآيةِ لَرَأيتُ أنَّ القُضاةَ قد هَلَكُوا، ولكنه أَثْنَى على سُليمانَ لصَوابِه، وعَذَرَ داودَ باجتهادِه.

فصل: قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: كان قضاءُ داودَ وسُليمانَ جميعاً مِنْ طريق الاجتهادِ، ولم يكُنْ نَصّاً، إذ لو كان نَصّاً ما اختَلَفا. قال القاضي أبو يَعلَى: وقد اختلف الناسُ في الغَنَم إذا نَفَشَتْ ليلاً في زَرع رجلٍ فأفسَدَتْهُ، فمذهبُ أصحابنا أنَّ عليه الضَمانَ[1]، وهو قولُ الشَّافعيِّ، وقال أبو حَنيفةَ وأصحابُه: لا ضمانَ عليه ليلاً ونهاراً، إلاَّ أنْ يكونَ صاحبُها هو الذي أرسَلَها، فظاهرُ الآية يدلُّ على قولِ أصحابنا، لأنَّ داودَ حَكَمَ بالضَّمانِ، وشرعُ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لنا ما لم يَثْبُتْ نَسْخُه. فإنْ قيلَ: فقد ثَبَت نَسْخُ هذا الحُكم، لأنَّ داودَ حكَمَ بدَفعِ الغَنَم إلى صاحبِ الحَرْثِ، وحَكَمَ سليمانُ له بأولادِها وأصوافِها، ولا خَلافَ أنه لا يجبُ على مَنْ نَفشَتْ غَنمُهُ في حَرْثِ رجلٍ شيءٌ مِنْ ذلك؛ قيل: الآية تضَمَّنَتْ أحكاماً، منها وجوبُ الضَّمانِ وكيفيَّته، فالنَّسخُ حصلَ على كيفيَّته، ولم يحصلْ على أصلِه، فوَجَبَ التَّعلُّقُ به.

[٩٩٢] وقد روى حَرَامُ بنُ مُحَيِّصةَ عن أبيه: أنَّ ناقةً للبَراءِ دخلت حائِطَ رجلٍ فأفسَدَتْ، فقَضى رسولُ الله ﷺ على أهلِ الأموال حِفظَها بالنهار، وعلى أهل المَواشي حِفظَها بالليل.

---

[٩٩٢] صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٦ وابن أبي شيبة ٩/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ وابن الجارود ٧٩٦ والبيهقي ٨/ ٣٤٢ من طريق ابن عيينة عن الزهري عن ابن المسيب وحرام بن محيصة به. وأخرجه مالك ٢/ ٧٤٧ والشافعي ٢/ ١٠٧ والطحاوي ٣/ ٢٠٣ والدارقطني ٣/ ١٥٦ وابن ماجه ٢٣٣٢ كلهم عن الزهري عن حرام بن سعد بن محيصة به. وهو مرسل صحيح. وأخرجه الشافعي ٢/ ١٠٧ وأحمد ٤/ ٢٩٥ وأبو داود ٣٥٧٠ والطحاوي ٣/ ٢٠٣ والحاكم ٢/ ٤٧ والدارقطني ٣/ ١٥٥ والبيهقي ٨/ ٣٤١ من طرق عن الأوزاعي عن الزهري عن حرام بن محيصة عن البراء، وفيه إرسال لكن يشهد لمرسل ابن المسيب المتقدم، ويرقى به إلى درجة الحسن. وورد موصولاً، أخرجه عبد الرزاق ١٨٤٣٧ وأحمد ٥/ ٤٣٦ وأبو داود ٣٥٦٩ والدارقطني ٣/ ١٥٤ والبيهقي ٨/ ٣٤٢ كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حرام بن محيصة عن أبيه به. ورجاله ثقات، لكن أعله ابن عبد البر كما نقل ابن التركماني في «الجوهر النقي» ٨/ ٣٤٢ بأنه أُنكر على عبد الرزاق ذكره ـ عن أبيه ـ ونقل ابن عبد البر عن أبي داود قوله: لم يتابع عبد الرزاق على قوله: عن أبيه. والصحيح أنه توبع، فقد أخرجه الدارقطني ٣/ ١٥٥ من طريق الشافعي عن أيوب بن سويد عن الأوزاعي عن الزهري عن حرام عن أبيه.

الخلاصة: ورد موصولاً ومرسلاً، ومرسل ابن المسيب وحده يحتج به الأئمة الأربعة. كيف وقد توبع، تابعه حرام بن محيصة، وورد أيضاً موصولاً، فهو صحيح إن شاء الله تعالى، وقد صححه ابن العربي.

ـ وانظر ما ذكره الشيخ شعيب في «الإحسان» ١٣/ ٣٥٤ ـ ٣٥٧. وانظر «أحكام القرآن» ١٤٩٧ بتخريجنا.

---

(١) جاء في «المغني» مسألة: «وما أفسدت البهائم بالليل من الزرع فهو مضمون على أهلها، وما أفسدت من ذلك نهاراً، لم يضمنوه». قال العلامة الموفق في شرحه: يعني إذا لم تكن يد أحد عليها، فإن كان صاحبها معها أو غيره فعليه ضمان ما أتلفته من نفس أو مال، وإن لم تكن يد أحد عليها، فعلى مالكها ضمان ما أفسدته من الزرع ليلاً دون النهار. وهذا قول مالك والشافعي وأكثر فقهاء الحجاز، وقال الليث يضمن مالكها ما أفسدته ليلاً أو نهاراً بأقل الأمرين من قيمتها أو قدر ما أتلفته. وقال أبو حنيفة لا ضمان عليه بحال اهـ ملخصاً.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ تقدير الكلام: وسَخَّرْنا الجبالَ يُسبِّحن مع داودَ. قال أبو هُريرَة: كان إذا سَبَّحَ أجابَتْهُ الجبالُ والطَّيرُ بالتَّسبيح والذِّكْرِ، وقال غيرُه: كان إذا وَجَدَ فَتْرةً، أَمَرَ الجبالَ فسَبَّحتْ حتى يشتاقَ هو فيُسبِّحَ. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: لذلك. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وكُنَّا نَقدِرُ على ما نُريده.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ في المُراد باللَّبُوسِ قولان: **أحدهما**: الدُّرُوعُ، وكانت قبلَ ذلك صَفائِحَ، وكان داودُ أوَّلَ مَنْ صَنَعَ هذه الحَلَقَ وسَرَدَ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنَّ اللَّبُوسَ: السلاحُ كلُّه مِنْ دِرعٍ إلى رُمحٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفع: «لُبوس» بضم اللام. قوله تعالى: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «لِيُحْصِنَكُمْ» بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «لِتُحْصِنَكُمْ» بالتاء. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «لِنُحْصِنَكُمْ» بالنون خفيفَةً. وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وأبو حَيْوَةَ: «لِتُحَصِّنَكُمْ» بتاءٍ مرفوعةٍ وفتحِ الحاء وتشديدِ الصاد. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجَوزاءِ، وحُمَيدُ بنُ قيسٍ: «لِتَحَصَّنِكُمْ» بتاءٍ مفتوحةٍ مع فتحِ الحاء وتشديدِ الصاد مع ضمِّها. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وأبو المُتوكِّلِ، ومُجاهِدٌ: «لِنُحَصِّنَكُمْ» بنونٍ مرفوعةٍ وفتحِ الحاء وكسرِ الصاد مع تشديدِها. وقرأ مُعاذٌ القارئُ، وعِكرِمَةُ، وابنُ يَعمَرَ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «لِيُحْصِنَّكُمْ» بياءٍ مرفوعةٍ وسكونِ الحاء وكسرِ الصاد مُشدَّدةَ النون. فمَنْ قرأ بالياء، ففيه أربعةُ أوجُهٍ: قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أن يكون الفاعل اسم الله، لتقدم معناه ويجوز أنْ يكونَ اللباسَ، لأنَّ اللبُوسَ بمعنى اللِّباسِ مِنْ حيثُ كان ضَرْباً منه، ويجوز أن يكونَ داودَ، ويجوز أنْ يكون التَّعليمَ، وقد دَلَّ عليه «علَّمناه». ومَنْ قرأ بالتاء، حَمَلَهُ على المعنى، لأنه الدِّرعُ. ومَنْ قرأ بالنون، فَلِتَقدُّمِ قوله: «وعلَّمناه». ومعنى ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾: لِتُحرِزَكُم وتَمنَعكُم (مِنْ بأسكم) يعني: الحَرْبَ.

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِي، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وأبو حَيْوَةَ الحَضْرَميُّ: «الرِّياحُ» بألِفٍ مع رفع الحاء. وقرأ الحسَنُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزَاءِ: بالألِفِ ونصبِ الحاء، والمعنى: وسَخَّرنا لسُليمانَ الرِّيحَ ﴿عَاصِفَةً﴾ أي: شديدةَ الهُبوبِ ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يعني: بأمرِ سُليمانَ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرضُ الشَّام، وقد مَرَّ بيانُ بَرَكَتِها في هذه السُّورةِ[1] والمعنى: أنها كانت تَسيرُ به إلى حيثُ شاءَ، ثم تعودُ به إلى مَنْزِلِه بالشَّام.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ عَلِمْنا أنَّ ما نُعطي سُليمانَ يَدعُوه إلى الخُضوعِ لِرَبِّه. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: «مَنْ» تقعُ على الواحدِ والاثنين والجميعِ مِنَ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ. قال المُفسِّرون: كانوا يَغوصُونَ في البحر، فيستخرجُونَ الجَواهِرَ، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: سِوى ذلك: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أنْ يُفسِدُوا ما عَمِلُوا. وقال غيرُه: أنْ يَخرُجوا عن أمرِه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ

(١) سورة الأنبياء: ٧٢.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: دعا ربه ﴿أَنِّى﴾ وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني: «إني» بكسرِ الهمزة، ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ وقرأ حمزةُ: «مَسَّنِي» بتسكين الياء، أي: أصابَني الجَهْدُ، ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: أكثرُهم رَحمةً، وهذا تعرِيضٌ منه بسؤال الرَّحمة إذ أثنى عليه بأنه الأَرحَمُ وسَكَتَ.

الإشارةُ إلى قصّتِه

ذَكَرَ أهلُ التَّفسير[(١)] أنَّ أيوبَ عليه السلام كان أغنى أهلِ زمانِه، وكان كثيرَ الإحسَانِ. فقال إبليسُ: يا ربِّ سلِّطْنِي على ماله وولَدِه ـ وكان له ثلاثةَ عشرَ ولداً ـ فإنْ فعلتَ رأيته كيف يُطَيعُني ويَعصيك، فقيلَ له: قد سلَّطْتُكَ على ماله ووَلَدِه، فرجعَ إبليسُ فجمعَ شياطينَهُ ومَرَدَتَهُ، فبعثَ بعضَهم إلى دَوابِّه ورُعاتِه، فاحتَملُوها حتى قَذَفُوها في البحر، وجاء إبليسُ في صورة قَيِّمِه، فقال: يا أيوبُ ألَا أراكَ تُصَلِّي وقد أقبلَتْ ريحٌ عاصِفٌ فاحتَمَلَتْ دَوابَّكَ ورُعاتَها حتى قَذَفَتْها في البحر؟ فلم يَرُدَّ عليه شيئاً حتى فرغَ مِنْ صلاتِه، ثم قال: الحمدُ لله الذي رَزقَني ثم قَبِلَهُ مِنِّي، فانصرفَ خائباً، ثم أرسلَ بعضَ الشياطين إلى جِنَانِه وزُروعِه، فأحرَقُوها، وجاء فأخبرَهُ، فقال مثلَ ذلك، فأرسلَ بعضَ الشياطين فَزَلزَلُوا منازلَ أيوبَ وفيها وَلَدُه وخَدَمُه، فأهلَكُوهُم، وجاء فأخبرَهُ، فحَمِدَ اللَّهَ، وقال لإبليسَ وهو يظنُّه قَيِّمَهُ في ماله: لو كان فيكَ خيرٌ لَقَبضَكَ معهم، فانصرفَ خائباً، فقيل له: كيف رأيتَ عبدي أيوبَ؟ قال: يا ربِّ سَلِّطْنِي على جسدِه فسوفَ ترى، قيلَ له قد سَلَّطْتُكَ على جسده فجاء فَنَفَخَ في إبهامِ قدَمَيْهِ، فاشتعلَ فيه مثلُ النارِ، ولم يكن في زمانِه أكثرُ بكاءً منه خَوفاً مِنَ الله تعالى، فلمَّا نزلَ به البَلاءُ لم يَبْكِ مخافةَ الجَزَعِ، وبقيَ لِسانُه للذِّكرِ، وقلبُه للمعرفَةِ والشُّكرِ، وكان يرى أمعاءَهُ وعُروقَهُ وعظامَهُ، وكان مَرضُه أنه خرجَ في جميعِ جسدِه ثآليل كأليات الغنم ووقعت به حكَّةٌ لا يملِكُها، فحَكَّ بأظفارِه حتى سقطَتْ، ثم بالمُسُوحِ، ثم بالحجارة، فأنتَنَ جِسمُه وتقطَّعَ، وأخرجَهُ أهلُ القرية فجعلوا له عَريشاً على كُناسَةٍ، ورفَضَهُ الخَلْقُ سوى زوجَتِه، واسمُها رَحمَةُ بنتُ إفرَاييمَ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ، فكانت تختلفُ إليه بما يُصلِحُه. وروى أبو بكرٍ القُرشيُّ عن الليْثِ بنِ سَعدٍ، قال: كان مَلِكٌ يظلم الناسَ، فكلَّمه في ذلك جماعةٌ مِنَ الأنبياء، وسكَتَ عنه أيُوبَ لأجل خَيْلٍ كانت له في سُلطانه، فأوحَى اللَّهُ إليه: تركتَ كلامَهُ مِنْ أجل خَيْلِكَ؟! لأُطِيلَنَّ بلاءَكَ. واختلفوا في مُدَّةِ لُبثِه في البَلاءِ على أربعةِ أقوالٍ:

[٩٩٣] أحدها: ثماني عشرةَ سنةً، رواه أنسُ بنُ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ.

---

[٩٩٣] غريب. أخرجه البزار ٢٣٥٧ «كشف» وأبو يعلى ٣٦١٧ وابن حبان ٢٨٩٨ والحاكم ٢/ ٥٨١ والطبراني «الطوال» ٤٠ وأبو نعيم ٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ من حديث أنس، ورجاله رجال البخاري ومسلم، وقال الحاكم على شرطهما!، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي ١٣٨٠٠: رجال البزار رجال الصحيح اهـ. وقال أبو نعيم: غريب من حديث الزهري لم يروه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم. ومع ذلك استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ =

---

(١) هذا الخبر بطوله، من أساطير الإسرائيليين وترّهاتهم وافتراءاتهم، وكل ذلك باطل، وليعلم أن علماء العقيدة قد نصوا على أن الأنبياء لا يمرضون أمراضاً منفرة تحطّ من قدرهم، فهذه أخبار لو لم يذكرها المفسرون لكان أولى، فتنبه والله أعلم.

والثاني: سبعَ سنين، قاله ابنُ عباسٍ، وكَعبٌ، ويَحيى بنُ أبي كَثيرٍ. **والثالث**: سبعَ سنين وأشهرٍ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: ثلاثَ سنين، قاله وَهْبٌ.

وفي سبب سؤاله العافية ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اشتهى إدَاماً، فلم تُصِبْهُ امرأتُه حتى باعَتْ قُروناً مِنْ شَعرِها، فلما علم ذلك قال: «مسَّني الضُّر»، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ الله تعالى أنسَاهُ الدعاءَ مع كثرة ذِكْرِهِ الله، فلمَّا انتهى أجلُ البلاءِ، يَسَّرَ الله له الدعاءَ، فاستجابَ له، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ نَفراً مِنْ بَني إسرائيلَ مرُّوا به، فقال بعضُهم لبعضٍ: ما أصابَه هذا إلاّ بِذَنْبٍ عظيم، فعند ذلك قال: «مسَّني الضُّر»، قاله نَوفٌ البِكَاليُّ. فقال عبدُ الله بْنُ عُبيدِ بنِ عُمَيرٍ: كان له أخوانٌ، فأتياه يوماً فوَجَدا رِيحاً[1]، فقالا: لو كان اللَّهُ عَلِمَ منه خيراً ما بلغَ به كلَّ هذا، فما سمع شيئاً أشدَّ عليه مِنْ ذلك، فقال: اللهُمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنّي لم أبِتْ ليلةً شبعانَ وأنا أعلَمُ مكانَ جائعٍ فصَدِّقني، فصُدِّقَ وهما يسمعانِ، ثم قال: اللهُمَّ إنْ كنتَ تعلَمُ أنّي لم ألْبَسْ قميصاً وأنا أعلَمُ مكانَ عَارٍ فصَدِّقني، فصُدِّقَ وهما يسمعانِ، فخرَّ ساجداً، ثم قال: اللهُمَّ لا أرفعُ رأسي حتى تكشِفَ ما بي، فكشفَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ما به. **والرابع**: أنَّ إبليسَ جاء إلى زوجته بسَخْلَةٍ، فقال: لِيَذْبَحْ أيوبُ هذه لي وقد بَرَأَ، فجاءت فأخبَرتْهُ، فقال: لَئِنْ شَفَاني اللَّهُ لأجلِدَنَّكَ مائةَ جَلْدةٍ، أَمَرْتِني أنْ أذبحَ لغيرِ الله؟! ثم طَرَدَها عنه، فذهبتْ، فلمَّا رأى أنه لا طعامَ له ولا شرابَ ولا صَديقَ، خرَّ ساجداً وقال: «مسَّني الضُّر»، قاله الحسَنُ. **والخامس**: أنَّ اللَّهَ تعالى أوحى إليه وهو في عُنفُوانِ شبابه: إنِّي مُبتَلِيكَ، قال: يا ربِّ، وأينَ يكونُ قلبي؟ قال: عندي، فصَبَّ عليه مِنَ البلاءِ ما سمعتُم، حتى إذا بلغَ البلاءُ مُنتَهاهُ، أوحى إليه أني مُعافِيكَ، قال: يا ربِّ، وأينَ يكون قلبي؟ قال: عندكَ، قال: «مسَّني الضُّر»، قاله إبراهيمُ بنُ شَيبانَ القرميسي فيما حدَّثنا به عنه. **والسادس**: أنَّ الوَحيَ انقطع عنه أربعين يوماً، فخاف هُجرَانَ ربِّه، فقال: «مسَّني الضُّر»، ذكره المَاوَردِي.

فإنْ قيلَ: أينَ الصبرُ، وهذا لفظُ الشَّكوى؟ فالجواب: أنَّ الشكوى إلى الله لا تُنافي الصبرَ، وإنما المَذمُومُ الشَّكوى إلى الخَلْقِ، ألَمْ تسمعْ قولَ يعقوبَ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]. قال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ: وكذلك مَنْ شكا إلى الناس، وهو في شَكوَاهُ رَاضٍ بقضاء الله، لم يكُن ذلك جَزَعاً، ألَمْ تسمعْ قولَ رسولِ الله ﷺ لجبريلَ في مرضه:

[٩٩٤] «أجِدُني مَغمُوماً» و «أَجِدُني مَكرُوباً».

= ٢٣٩. وانظر «البداية والنهاية» ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ و «الإحسان» ٢٨٩٨. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٣٦ بتخريجنا، والراجح وقفه، والله أعلم.

[٩٩٤] ضعيف. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٩٨ ـ ١٩٩ والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ من طريقين عن جعفر بن محمد عن أبيه، وفي إسناد ابن سعد من لم يسمّ، وهو مرسل. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢١٠ ـ ٢١١ من طريق الحسن بن علي عن محمد بن علي مرسلاً. وأخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٨٩٠ من طريق علي بن الحسن عن أبيه. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٩/ ٣٤ ح ١٤٢٦١ وقال: وفيه عبد الله بن =

---

(١) هذا مفترى، قبح الله من وضعه، وهو من افتراءات اليهود.

(٢) سورة يوسف: ٨٦.

[٩٩٥] وقوله: «بَلْ أنا وَا رَأْسَاه».

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ يعني: أولادَهُ ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الله تعالى أحيا له أهلَهُ بأعيانِهم، وآتاهُ مِثلَهم معهم في الدنيا، قاله ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ. وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: كانت امرأتُه ولَدَتْ له سبعةَ بنينَ وسبعَ بناتٍ، فنُشِرُوا له، وولَدَتْ له امرأتُه سبعةَ بنِينَ وسبعَ بناتٍ. والثاني: أنهم كانوا قد غُيِّبوا عنه ولم يَموتوا، فآتاه إياهم في الدنيا ومِثلَهُم معهم في الآخرة، رواه هشامٌ عن الحسَنِ. والثالث: آتاه اللَّهُ أجورَ أهله في الآخرة، وآتاه مِثلَهم في الدنيا، قاله نَوْفٌ، ومُجاهِدٌ. والرابع: آتاه أهلَهُ ومِثلَهُم معهم في الآخرة، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ أي عِظَةً ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾ قال محمَّدُ بنُ كَعبٍ: مَنْ أصابه بَلاءٌ فليذكُرْ ما أصاب أيُوبَ، فليَقُلْ: إنه قد أصابَ مَنْ هو خيرٌ مني.

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اختلفوا هل كان نبيًا، أَمْ لا؟ على قولَين[1]: أحدهما: أنه لم يكن نبيًا، ولكنه كان عبداً صالحاً، قاله أبو موسى الأشعَرِيُّ، ومُجاهِدٌ. ثم اختلف أربابُ هذا القول في عِلَّة تسميَتِه بذي الكِفلِ على ثلاثةِ أقوالٍ: أحدها: أنَّ رجلاً كان يُصلِّي كلَّ يوم مائة صلاةٍ فتوفِّيَ، فكَفِلَ بصَلاتِه، فسُمِّي: ذا الكِفلِ، قاله أبو موسى الأشعَرِيُّ. والثاني: أنه تكَفَّلَ للنبيِّ بقومِه أنْ يكفِيَهُ أمرَهُم ويُقيمَهُ ويقضيَ بينهم بالعَدْلِ ففعلَ، فسُمِّي: ذا الكِفلِ، قاله مُجاهِدٌ. والثالث: أنَّ مَلِكاً قَتَلَ في يوم ثلاثمائةِ نبي، وفرَّ منه مائةُ نبيٍّ، فكفلهم ذو الكفل يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسمي ذا الكفل، قاله ابنُ السَّائبِ. والقول الثاني: أنه كان نبيًا، قاله الحسَنُ، وعطاءٌ. قال عطاءٌ: أوحى اللَّهُ تعالى إلى نبيٍّ مِنَ الأنبياء: إني أريدُ قَبْضَ رُوحِكَ، فاعرِضْ مُلكَكَ على بَني إسرائيلَ، فمَنْ تكفَّلَ لكَ بأنه يُصلِّي الليل

ميمون القداح، وهو ذاهب الحديث.

[٩٩٥] صحيح. أخرجه البخاري ٥٦٦٦ والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ١٦٨ من حديث عائشة. وأخرجه ابن ماجة ١٤٦٥ وأحمد ٦/ ٢٢٨ وعبد الرزاق ٩٧٥٤ وابن حبان ٦٥٨٦ والبيهقي ٣/ ٣٩٦ وفي «الدلائل» ٧/ ١٦٨ من وجه آخر من حديث عائشة أيضاً. وقال البوصيري في «الزوائد» إسناده رجال ثقات.
وتمامه في البخاري: قال القاسم بن محمد: قالت عائشة وارأساه فقال رسول الله ﷺ: «ذاكِ لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك» فقالت عائشة: واثكلياه والله إني لأظنك تحبُّ موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرِّساً ببعض أزواجك فقال النبي ﷺ: «أنا وارأساه لقد هممت ـ أو أردت ـ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون، أو يتمنّى المتمنّون، ثم قلت: يأبى الله ويدفعُ المؤمنون ـ أو يدفعُ الله ويأبى المؤمنون ـ».

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ٧٤: وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه به بما وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضباً لقومه، لأن ذهابه عن قومه مغاضباً لهم، وقد أمره الله تعالى بالمُقام بين أظهرهم، ليبلغهم رسالته، ويحذّرهم بأسه وعقوبته، على تركهم الإيمان به، والعمل بطاعته لا شك أن فيه ما فيه، ولولا أنه قد كان أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه، ويصفه بالصفة التي وصفه بها، فيقول لنبيه ﷺ **﴿ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾**.

لا يَفْتُرُ، ويصومُ النهارَ لا يُفطِرُ، ويقضي بين الناس ولا يَغضَبُ، فادفَعْ مُلكَكَ إليه، ففعلَ ذلك، فقام شابٌّ فقال: أنا أتكفَّلُ لكَ بهذا، فتكفَّلَ به، فوفَى، فشكرَ اللّهُ له ذلك، ونبَّأه، وسُمِّي: ذا الكِفْلِ.

[٩٩٦] وقد ذكرَ الثَّعلبيُّ حديثَ ابنِ عمرَ عن رسولِ الله ﷺ في الكِفْلِ: «أنه كان رجلاً لا يَنزِعُ عن ذَنْبٍ، وأنه خَلاَ بامرأةٍ ليَفجُرَ بها، فبكتْ، وقالت: ما فعلتُ هذا قطُّ، فقامَ عنها تائباً، وماتَ مِنْ ليلَتِه، فأصبحَ مكتوباً على بابه: قد غفرَ اللّهُ للكِفْلِ»؛ والحديثُ معروفٌ، وقد ذكرتُه في «الحدائق»، فجعله الثَّعلبيُّ أحدَ الوجوه في بيان ذي الكِفْلِ، وهذا غلطٌ، لأنَّ ذلك اسمه الكِفْلُ، والمذكورُ في القرآن: ذو الكِفْلِ، ولأنَّ الكِفْلَ مات في ليلَتِه التي تابَ فيها، فلم يَمْضِ عليه زمانٌ طويلٌ يُعالج فيه الصبرَ عن الخطايا، وإذا قلنا: إنه نبيٌّ، فإنَّ الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحَالِ. وذكرتُ هذا لشيخنا أبي الفَضْلِ بنِ ناصرٍ، فوافقني، وقال: ليس هذا بذاكَ.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ أي: على طاعةِ الله وتَرْكِ معصيَتِه، ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في هذه الرَّحمةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الجنةُ، وقاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: النبوَّةُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: النِّعمةُ والمُوالاةُ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ يعني: يُونسَ بنَ مَتَّى. والنُّونُ: السَّمكةُ؛ أُضيفَ إليها لابتلاعِها إيَّاهُ.

قوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: المُغاضَبة: مُفاعَلة، وأكثرُ المُفاعَلة مِن اثنين، كالمُناظَرةِ

---

[٩٩٦] ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٤٩٦ وأحمد ٢/ ٢٣ والحاكم ٤/ ٢٥٤ ح ٧٦٥١ من حديث ابن عمر. صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وكذا صححه أحمد شاكر في «المسند»!
مع أن مداره على سعد مولى طلحة، وهو مجهول كما في «التقريب».
وأخرجه ابن حبان ٣٨٧ عن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهذا إسناد ظاهره الحسن، لكنه معلول. وقال الترمذي عقب روايته: حديث حسن، ورواه غير واحد عن الأعمش فرفعوه.
ورواه بعضهم فلم يرفعه، ورواه أبو بكر بن عياش فأخطأ فيه، فقال: عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهو غير محفوظ اهـ. وهو كما قال الترمذي رحمه الله. وهذا الحديث إنما يعرف بسعد مولى طلحة، وهو مجهول. وهناك علة أخرى، وهي الاضطراب في المتن. ففي «مسند أحمد» و «سنن الترمذي» و «المستدرك»، «كان الكفل»، وعند ابن حبان «كان ذو الكفل» وعند ابن حبان «سمعته أكثر من عشرين مرة» وعند غيره «سبع مرات» وهذه الرواية تدل على وهنه. فلو كرره النبي ﷺ عشرين مرة أو سبع مرات لرواه عدد من الصحابة. ولحمله جماعة من التابعين. كيف ولم يروه سوى رجل مجهول. فالخبر واه، وقد استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٤١ لكنه ذكر أنه لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة، والصواب أن الترمذي قد رواه كما تقدم. وقال الحافظ ابن كثير في «تاريخه» ١/ ٢٢٦: غريب جداً. وفي إسناده نظر، فإن سعداً قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد. ووثقه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد الله الرازي اهـ. وقد ورد نحو هذه القصة في خبر الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار. ومما يدل على وهن هذا الحديث أن الكفل هذا أو «ذا الكفل» مات في الليلة التي تاب فيها، فكيف ذلك والآية وصفت إياه بالصبر؟! فتنبه والله أعلم. وانظر «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية بتخريجي، وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٣٧ بتخريجنا. والله الموفق.

والمُجادَلَةِ والمُخاصَمةِ، وربما تكون مِنْ واحدٍ، كقولكَ: سافرتُ، وشَارَفْتُ الأمرَ، وهي ها هنا مِنْ هذا الباب. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «مُغْضَباً» بإسكانِ الغين وفتحِ الضاد مِنْ غيرِ ألِفٍ.

واختلفوا في مُغاضَبَتِه لِمَنْ كانت؟ على قولَين[١]: **أحدهما**: أنه غَضِبَ على قومه، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. وفي سبب غَضَبِه عليهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الله تعالى أوحَى إلى نبيٍّ يُقال له: شَعْيا: أنِ ائتِ فلاناً المَلِكَ، فقُلْ له يبعثْ نبيًّا أميناً إلى بَني إسرائيلَ، وكان قد غزا بَني إسرائيلَ مَلِكٌ، وسَبَا منهم الكثيرَ، فأراد النبيُّ والمَلِكُ أن يبعثا يُونسَ إلى ذلك المَلِكِ لِيُكلِّمَه حتى يُرسِلَهُم، فقال يُونسُ لِشَعْيا: هل أمرَكَ اللّهُ بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سَمَّاني لكَ؟ قال: لا، قال: فها هنا غيري مِنَ الأنبياء، فألَحُّوا عليه، فخرجَ مُغاضِباً للنبيِّ والمَلِكِ ولقومِه، هذا مرويٌّ عن ابنِ عباسٍ؛ وقد زِدناهُ شَرحاً في سُورةِ يُونسَ[٢]. **والثاني**: أنه عَانَى مِنْ قومه أمراً صعباً مِنَ الأذى والتَّكذيب، فخرجَ عنهم قبل أنْ يُؤمنوا ضَجِراً، وما ظَنَّ أنَّ هذا الفعلَ يُوجبُ عليه ما جرى مِنَ العقوبة، ذكره ابنُ الأنباري. وقد رُوي عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قال: لمَّا حُمِلَتْ عليه أثقالُ النبوَّة، ضاقَ بها ذَرْعاً ولم يَصبِرْ، فقذفَها مِنْ يَدِه وخرجَ هارباً. **والثالث**: أنه لمَّا أوعدَهُم العذابَ، فتابُوا ورُفِعَ عنهم، قيلَ له: ارجِعْ إليهم، فقال: كيف أرجِعُ فيَجِدُوني كاذباً؟ فانصرفَ مُغاضِباً لقومه، عاتِباً على ربِّه. وقد ذكرنا هذا في سُورةِ يُونسَ.

والثاني: أنه خرجَ مُغاضِباً لربِّه، قاله الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والشَّعبيُّ، وعُروَةُ، وقال: المعنى: مُغاضِباً مِنْ أجل ربِّه، وإنما غَضِبَ لأجل تَمرُّدِهم وعِصيانِهم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: كان مَغِيظاً عليهم لِطُولِ ما عاناهُ مِنْ تكذيبِهم، مُشتهياً أنْ ينزلَ العذابُ لهم فعاقبَهُ اللّهُ على كَراهِيَتِه العَفْوَ عن قومِه.

قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ وقرأ يَعقوبُ: «يُقَدَّر عليه» بضمِّ الياء وتشديدِ الدال وفتحِها. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ أبي لَيلى: «يُقْدَرَ» بياءٍ مرفوعةٍ مع سكون القافِ وتخفيفِ الدالِ وفتحِها. وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني: «يَقْدِرَ» بياءٍ مفتوحةٍ وسكونِ القافِ وكسرِ الدالِ خفيفةً. وقرأ الزُّهريُّ، وابنُ يَعمُرَ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «نُقَدِّر» بنونٍ مرفوعةٍ وفتحِ القاف وكسرِ الدال وتشديدِها. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ لنْ نقضِيَ عليه بالعقوبة، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقتادةُ، والضَّحَّاكُ. قال الفرَّاءُ: معنى الآية: فظَنَّ أنْ لنْ نُقَدِّرَ عليه ما قَدَّرْنا مِنَ العقوبة، والعرب تقول: قَدَرَ، بمعنى: قَدَّرَ، قال أبو صَخرٍ:

ولا عَـائِـداً ذاكَ الـزَّمـانُ الـذي مَـضَـى ... تَـبارَكـتَ مَا تَقْدِرْ يَكُنْ ولكَ الشُّكْرُ[٣]

أراد: ما تُقَدِّرْ، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/٧٦: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي، قول من قال: عني به: فظنّ يونس أن لن نحبسه ونضيّق عليه عقوبة له على مغاضبة ربه وذلك من قولهم قدرت على فلان: إذا ضيقت عليه، كما قال الله جل ثناؤه **﴿ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾**.
وافقه ابن كثير في «تفسيره» ٣/٢٤٢.

(٢) سورة يونس: ٩٨.

(٣) البيت في «شرح أشعار الهزليين» ٢/٩٥٨.

والثاني: فظَنَّ أنْ لنْ نُضيِّقَ عليه، قاله عطاء. قال ابن قتيبة: يقال فلان مُقَدَّرٌ عليه، ومُقتَّرٌ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾[1] أي ضَيَّقَ عليه فيه. قال النقاش: والمعنى فظن أن يضيقه عليه الخُروجَ، فكأنَّه ظَنَّ أنَّ اللَّهَ تعالى قد وَسَّعَ عليه إنْ شاءَ أنْ يُقيمَ وإنْ شاء أنْ يخرجَ، ولم يُؤذَنْ له في الخروجِ. **والثالث**: أنَّ المعنى: أَفظَنَّ أنه يُعجِزُ ربَّهُ فلا يَقْدِرُ عليه، رواه عَوفٌ عن الحسَنِ. وقال ابنُ زيدٍ وسُليمانُ التَّيمِيُّ: المعنى أفظَنَّ أنْ لنْ نَقدِرَ عليه؛ فعلى هذا الوَجهِ يكون استفهاماً قد حُذفَتْ ألِفُه؛ وهذا الوجهُ يدلُّ على أنه مِنَ القُدرةِ، ولا يُتَصوَّرُ إلاَّ مع تقديرِ الاستفهام، ولا أعلَمُ له وَجهاً إلاَّ أنْ يكونَ استفهامَ إنكارٍ تقديره: ما ظَنَّ عَجزَنا فأينَ يهربُ مِنَّا؟!

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه ظُلمَةُ البحر، وظُلمَةُ بَطنِ الحُوتِ وظُلمَةُ الليل، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ وقَتادَةُ والأكثرون. **والثاني**: أنَّ حُوتاً جاء فابتَلَعَ الحُوتَ الذي هو في بطنِه فنادى في ظُلمةِ حُوتٍ ثم في ظُلمةِ حُوتٍ ثم في ظُلمةِ البحر، قاله سالمُ بنُ أبي الجَعْدِ. **والثالث**: أنها ظُلمةُ الماء وظُلمةُ مِعَىٰ السَّمكة وظُلمةُ بطنِها، قاله ابنُ السَّائبِ.

[٩٩٧] وقد رَوى سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنِّي لأَعلَمُ كلمةً لا يقولُها مَكرُوبٌ إلاَّ فَرَّجَ اللَّهُ عنه، كلمةُ أخي يُونسَ: فنادى في الظُّلُماتِ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنتَ، سُبحانَكَ إنِّي كنتُ مِنَ الظَّالمين». قال الحسَنُ: وهذا اعترافٌ مِنْ يُونسَ بذَنْبِه وتوبةٌ مِنْ خطيئته.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: أجبناهُ ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي: مِنَ الظُّلماتِ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا دَعونا. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ أنه قرأ: «نُجِّي المؤمنين» بنونٍ واحدةٍ مُشدَّدةِ الجيم؛ قال الزَّجَّاجُ: وهذا لَحنٌ لا وجهَ له، وقال أبو عَليٍّ الفارسيُّ: غَلِطَ الرَّاوي عن عاصِمٍ، ويدلُّ على هذا إسكانُه الياءَ مِنْ «نُجِّي» ونصبُ «المؤمنين» ولو كان على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه ما سَكَّنَ الياءَ، ولَرَفعَ «المؤمنين».

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

[٩٩٧] حسن. أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» ٦٦٠ وابن السني ٣٤٥ بإسناد ضعيف. وأخرجه الترمذي ٣٥٠٥ والحاكم ١/ ٥٠٥ من حديث سعد بن أبي وقاص، من وجه آخر، وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في صحيح سنن الترمذي، وورد من وجه آخر مطولاً وله قصة أخرجه أحمد ١٤٦٤ وقال الهيثمي ١١١٧٦: رجاله رجال الصحيح سوى إبراهيم بن محمد، وهو ثقة. فهذه الطرق تتأيد بمجموعها. فالحديث حسن إن شاء الله. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٣٨ بتخريجنا.

(١) سورة الفجر: ١٦.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٧٧: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات، ولا شك أنه قد عني بإحدى الظلمات: بطن الحوت وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، ولا دليل يدلّ على أي ذلك من أي، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل.

وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي: وحيداً بلا وَلَدٍ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: أفضلُ مَنْ بقيَ حيًا بعدَ ميتٍ. قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أصلِحَتْ للولَدِ بعد أن كانت عقيماً، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنه كان في لسانها طُولٌ، وهو: البِذَاءُ، فأُصلِحَتْ، قاله عطاءٌ وقال السُّدِّيّ: كانت سليطةً فَكَفَّ عنه لسانَها. **والثالث**: أنه كان خُلُقها سيِّئاً، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: يُبادرون في طاعة الله. وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: زكريًا، وامرأتُه، ويَحيى. **والثاني**: جميعُ الأنبياء المذكورون في هذه السُّورةِ. قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «ويدعونا» بنونٍ واحدةٍ. قوله تعالى: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: رَغَباً فيما عندنا، ورَهَباً منّا؛ وقرأ الأعمَشُ: «رُغْباً ورُهْباً» بضم الرّاءَين وجَزْمِ الغينِ والهاءِ، وهما لُغتان مثل النّخل، والنَّحل، والسُّقْم، والسَّقَم ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي: مُتواضِعين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مَخرجُ الوَلدِ، والمعنى مَنَعْتُه مما لا يَحِلُّ. وإنما وُصِفَتْ بالعَفافِ لأنها قُذِفَتْ بالزِّنا. **والثاني**: أنه جَيْبُ دِرعِها. ومعنى الفَرْج في اللغة: كلُّ فُرجَةٍ بين شيئين، وموضعُ جَيْبِ دَرْعِ المرأة مَشقوقٌ، فهو يُسمَّى فَرْجاً. وهذا أبلغُ في الثناءِ عليها، لأنها إذا مَنعَتْ جَيْبَ دَرْعِها، فهي لنفسها أمنَعُ.

قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي: أمَرنا جبريلَ، فنفخَ في دَرْعِها، فأجرَينا فيها رُوحَ عيسى كما تجري الريحُ بالنَّفخِ. وأضافَ الرُّوحَ إليه إضافةَ المُلْكِ، للتَّشريفِ والتَّخصيصِ ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾ قال الزَّجّاجُ: لمّا كان شأنُهما واحداً، كانت الآيةُ فيهما آيةً واحدةً، وهي وِلادةٌ مِن غير فَحْلٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ وابنُ أبي عبلَةَ: «آيتين» على التثنية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: المُراد بالأُمَّةِ هاهنا: الدِّينُ، وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ وهو معنى قولِ مُقاتِلٍ. **والثاني**: أنهم الأنبياءُ عليهم السلام، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. ثم ذَكرَ أهلَ الكتابِ، فذمَّهُم بالاختلافِ، فقال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفوا في الدِّين، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: شيئاً مِنَ الفرائضِ وأعمالِ البِرِّ ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي: لا نَجحَدُ ما عَمِلَ، قاله ابنُ قُتيبةَ، والمعنى: أنه يُقْبَلُ منه ويُثابُ عليه

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/٧٩: والصواب أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه بأن جعلها ولوداً حسنة الخلق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جلّ ثناؤه بذلك في كتابه ولا على لسان رسوله، فهو على العموم. واختار ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/٢٤٤ الأول وقال: وهو الأظهر من السياق.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ ذلك بأمرِ الحفظةِ أنْ يكتُبوه ليُجازيَهُ به.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحَفْصٌ عن عاصِم: «وحرام» بألِفٍ. وقرأ حمزَةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصم: «وحِرْم» بكسرِ الحاء مِنْ غير ألِفٍ، وهما لُغتانِ. يُقال: حِرْم وحَرَام. وقرأ مُعاذُ القارئُ وأبو المُتوكِّلِ وأبو عِمرَانَ الجَوْني: «وحَرْمٌ» بفتح الحاء وسكونِ الراء مِنْ غير ألِفٍ والميمَ مرفوعةً مُنوَّنةً. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «وحَرْمَ» بفتحِ الحاء وسكونِ الراء وفتحِ الميم وكسرِ الراء مِنْ غير تنوينٍ ولا ألِفٍ. وقرأ سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ وأبو مِجْلَزٍ وأبو رَجَاءٍ: «وحَرُمَ» بفتحِ الحاء وضمِّ الراء ونصبِ الميم مِنْ غير ألِفٍ. وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ قولان: **أحدهما**: واجبٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وأنشدوا في معناه:

فَـإِنَّ حَـرَامـاً لا أَرَى الـدَّهْـرَ بـاكِـيـاً ... عَلَى شَجْوِهِ إلاَّ بَكَيْتُ على عَمْرو[1]

أي: واجبٌ. **والثاني**: أنه بمعنى العَزمِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقال عطاءٌ: حَتْمٌ مِنَ الله، والمراد بالقرية: أهلُها.

ثم في معنى الآية أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: واجبٌ على قريةٍ أهلَكنَاها أنهم لا يَتوبُون، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: واجبٌ عليها أنها إذا أُهلِكَتْ لا ترجِعُ إلى دُنياها، هذا قولُ قَتادَةَ؛ وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ نحوه. **والثالث**: أنَّ «لا» زائدةٌ؛ والمعنى: حرامٌ على قريةٍ مُهلَكَةٍ أنهم يَرجعون إلى الدنيا، قاله ابنُ جُرَيجٍ، وابنُ قُتَيبةَ في آخَرِين. **والرابع**: أنَّ الكلامَ مُتعلِّقٌ بما قبلَهُ، لأنه لمَّا قال: «فلا كفران لسعيه» أعلَمَنا أنه قد حَرَّمَ قَبولَ أعمالِ الكفَّارِ؛ فمعنى الآية: وحَرامٌ على قريةٍ أهلكناها أنْ يُتقبَّلَ منهم عَملٌ، لأنهم لا يتوبون، هذا قولُ الزَّجَّاجِ.

فإنْ قيلَ: كيف يصحُّ أنْ يُحَرَّمَ على الإنسان ما ليس مِنْ فِعْلِه، ورُجوعُهم بعدَ الموتِ ليس إليهم؟

---

(١) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي الجاهلي. كما في «اللسان» ـ حرم ـ.
ونُسب للخنساء في «البحر المحيط» ٦/ ٣١٤ و«تفسير القرطبي» ١١/ ٢٩٧ ولا يوجد البيت في ديوانها.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٩٨: قال النحاس: والآية مشكلة ومن أحسن ما قيل فيها وأجلّه ما رواه عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل: **﴿وحرام على قرية أهلكناها﴾** قال وجب أنهم لا يرجعون؛ قال لا يتوبون. قال أبو جعفر: واشتقاق هذا بيّن في اللغة وشرحه: أن معنى حُرّم الشيء حُظِر ومُنع منه، كما أن معنى أحل أبيح ولم يمنع منه. وقيل: في الكلام إضمار أي وحرام على قرية حكمنا باستئصالها، أو بالختم على قلوبها أن يتقبل منها عمل لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، قاله الزجاج وأبو علي، وهذا هو معنى قول ابن عباس.

فالجواب: أنَّ المعنى: مُنِعوا مِنْ ذلك فلا يقدرون عليه كما يُمنَعُ الإنسانُ مِنَ الحَرامِ وإنْ قَدرَ عليه، فكان التَّشبيهُ بالتَّحريم للحالَتين مِنْ حيثُ المَنْعُ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «فُتِّحت» بالتشديد، والمعنى: فُتِحَ الرَّدْمُ عنهم ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: مِنْ كلِّ نَشْزٍ مِنَ الأرض وأَكَمَةٍ ﴿يَنسِلُونَ﴾ مِنَ النَّسَلانِ: وهو مُقارَبةُ الخَطْوِ مع الإسراع كمَشْيِ الذِّئبِ إذا بادَرَ، والعَسَلانُ مِثلُه. وقال الزَّجَّاجُ: الحَدَبُ: كلُّ أكَمَةٍ، و«يَنسِلون» يُسرِعون. وقرأ أبو رَجَاءٍ العُطَارديُّ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ: «يَنسُلون» بضمِّ السين. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُم﴾ قولان: **أحدهما**: أنه إشارةٌ إلى يأجوجَ ومأجوجَ، قاله الجمهور. **والثاني**: إلى جميع الناس، فالمعنى: وهم يُحشَرون إلى المَوقفِ، قاله مُجاهِدٌ. والأوَّلُ أصحُّ.

فإنْ قيلَ: أينَ جوابُ «حتى»؟ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ والواو في قولِه تعالى: «واقترب» زائدةٌ، قاله الفرَّاءُ. قال: ومثله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾[2]، المعنى: ناديناه. وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: الساعةُ مِنَ الناس بعدَ يأجوجَ ومأجوجَ، كالحامِلِ المُتِمِّ، لا يدري أهلُها متى تَفْجَؤُهم بوَلَدِها ليلاً أو نهاراً. **والثاني**: أنه قولٌ محذوفٌ في قوله: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾، فالمعنى: حتى إذا فُتِحَتْ يأجوجُ ومأجوجُ واقتربَ الوَعدُ، قالوا: يا وَيْلَنا. قال الزَّجَّاجُ: هذا قولُ البَصريِّينَ. فأمَّا ﴿ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ فهو القيامة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ في «هي» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ «هي» كنايةٌ عن الأبصَارِ، والأبصارُ تفسيرٌ لها، كقول الشاعر:

لَعَمْرُو أَبِيهَا لا تَقُولُ ظَعِينَتِي ... أَلاَ فَرَّ عَنِّي مالِكُ بنُ أبي كَعْبِ

فذكَر الظَّعينَةَ، وقد كَنَّى عنها في «لعمرو أبيها». **والثاني**: أنَّ «هي» ضمير فصل وعِمَادٌ، ويَصلُحُ في موضِعها «هو»، ومِثلُه قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[3] وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[4]، وأنشدوا:

بِثَوبٍ ودِينَارٍ وشَاةٍ ودِرْهَمِ ... فَهَلْ هوَ مَرفوعٌ بِما هاهُنا رَأسْ

ذكرهما الفَرَّاءُ. **والثالث**: أنْ يكونَ تمامُ الكلامِ عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزةٌ واقِفةٌ، يعني: مِنْ قُربِها، كأنها آتيةٌ حاضرةٌ، ثم ابتدأ فقال: ﴿شَٰخِصَةٌ﴾، ذكره الثَّعلبيُّ. **والرابع**: أنَّ «هي» كِنايةٌ عن القصة، والمعنى: القصةُ أنَّ أبصارَهم شَاخِصَةٌ في ذلك اليوم، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيْسَابوريُّ.

قال المُفسِّرون: تَشخَصُ أبصارُ الكفار مِنْ هَولِ يوم القيامة، ويقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ أي: عن هذا ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسَنا بكُفرِنا ومَعاصِينا. ثم خاطبَ أهلَ مكَّةَ، فقال: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وأبو العَاليةِ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: «حَطَب» بالطاءِ. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعائشةُ وابنُ

---

(١) سورة الزمر: ٧٣.
(٢) سورة الصافات: ١٠٣ و ١٠٤.
(٣) سورة النمل: ٩.
(٤) سورة الحج: ٤٦.

السَّمَيْفع: «حَضَب» بالضادِ المُعجمَةِ المفتوحةِ. وقرأ عُروةُ، وعِكرمَةُ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «حَضْب جهنم» بإسكانِ الضادِ المُعجمَةِ. وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو حَيْوَة، ومعاذٌ القارئُ «حِضب» بكسرِ الحاء مع تسكينِ الضاد المُعجمَةِ. وقرأ أبو مِجْلَز، وأبو رَجاءٍ، وابنُ مُحَيصِين: «حَصْب» بفتح الحاء وبصادٍ غيرِ مُعجمَةٍ ساكنةٍ. قال الزَّجّاجُ: مَنْ قرأ «حصَب جهنم» فمعناه: كلُّ ما يُرمى به فيها، ومَنْ قرأ «حطب» فمعناه: ما تُوقَدُ به، ومَنْ قرأ بالضاد المُعجمَةِ، فمعناه: ما تَهيجُ به النارُ وتُذكَى به، قال ابنُ قُتيبةَ: الحَصَبُ: ما أُلقِيَ فيها، وأصلُه مِنَ الحَصْباء، وهو الحَصى، يقال: حَصَبْتُ فُلاناً؛ إذا رَمَيتَهُ حَصْباً، بتسكينِ الصادِ، وما رَمَيْتَ به فهو حَصَبٌ، بفتح الصاد.

قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ﴾ يعني: العابِدِينَ والمَعبُودِين ﴿لَهَا وَارِدُونَ﴾ أي: دَاخِلُون. ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: الأصنام ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقة ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إشارة إلى الأصنام، والمعنى: لو كانوا آلهةً ما دَخَلُوا النارَ. **والثاني**: أنه إشارةٌ إلى عابِديها، فالمعنى: لو كانت الأصنامُ آلهةً، مَنَعَتْ عابِديها دخولَ النارِ. **والثالث**: أنه إشارةٌ إلى الآلهَةِ وعابِدِيها، بدليلِ قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني: العابِدَ والمَعبُودَ.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ قد شرحنا معنى الزَّفيرِ في سُورةِ هُودٍ[1] وفي عِلَّةِ كونِهم لا يسمعون ثلاثةُ أقوالٍ:

[٩٩٨] **أحدها**: أنه يُوضع في مسَامِعهم مَسامِيرُ مِنْ نارٍ، ثم يُقذَفونَ في تَوابِيتَ مِنْ نارٍ مُقْفَلَةٍ عليهم، رواه أبو أُمامَةَ عن رسول الله ﷺ في حديثٍ طويلٍ. وقال ابنُ مسعودٍ: إذا بقيَ في النار مَنْ يُخلَّدُ فيها جُعِلوا في توابِيتَ مِنْ نارٍ، ثم جُعِلَتْ تلك التَّوابيتُ في توابيتَ أُخرى، فلا يسمعون شيئاً، ولا يَرى أحدُهم أنَّ في النار أحداً يُعذَّب غيرُه.

والثاني: أنَّ السَّماعَ أُنسٌ، واللهُ لا يحبُّ أن يُؤنِسَهم، قاله عَونُ بنُ عُمارَةَ.

والثالث: إنما لم يسمعوا لشِدَّةِ غليانِ جهنَّمَ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

---

[٩٩٨] لم أقف عليه، وهو واهٍ، فالمتن منكر، لا يصح مرفوعاً. وورد عن سويد بن غَفَلَة موقوفاً، أخرجه البيهقي في «البعث» ٥٩٢. وورد عن ابن مسعود قوله أيضاً، وهو اللفظ الآتي. أخرجه الطبري ٢٤٨٢٩.
الخلاصة: المرفوع لا يصح، والصحيح موقوف.

---

(١) سورة هود: ١٠٦.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾

[٩٩٩] سببُ نُزولها أنه لمَّا نزلت: «إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم» شقَّ ذلك على قُريشٍ، وقالوا: شَتَمَ آلِهَتَنا، فجاءَ ابنُ الزِّبَعْرَى، فقال: ما لَكُم؟ قالوا: شَتَم آلِهَتَنا، قال: وما قال؟ فأخبَرُوه، فقال: ادعُوهُ لي، فلمَّا دُعِيَ رسولُ الله ﷺ، قال: يا محمَّدُ، هذا شيءٌ لآلِهَتِنا خاصَّةً، أَوْ لكلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دونِ الله؟ قال: «لا، بل لكلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دونِ الله»، فقال ابنُ الزِّبَعْرَى: خُصِمْتَ وربِّ هذا البيتِ، ألستَ تزعمُ أنَّ الملائكةَ عِبادٌ صالحُونَ، وأنَّ عيسى عبدٌ صالحٌ، وأنَّ عُزَيراً عبدٌ صالحٌ، فهذه بَنُو مليح يَعبدُون الملائكةَ، وهذه النَّصارَى تَعبدُ عيسى، وهذه اليَهودُ تَعبدُ عُزَيراً، فضَجَّ أهلُ مكَّةَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الحُسَينُ بنُ الفَضْلِ: إنما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنامَ دونَ غيرِها، لأنه لو أرادَ الملائكةَ والناسَ، لَقالَ: «ومَنْ» وقيل: «إنَّ» بمعنى: «إلاَّ»، فتقديره: إلاَّ الذين سَبقَتْ لهم مِنَّا الحُسنى، وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ، وأبي نَهِيكٍ، فإنهما قرآ: «إلا الذين». ورُوِي عن عليِّ بنِ أبي طَالبٍ أنه قرأ هذه الآيَةَ، فقال: أنا منهم، وأبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وطَلحةُ، والزُّبيرُ، وسعدٌ، وعبدُ الرحمن.

وفي المراد «بالحسنى» قولان: أحدهما: الجنَّةُ، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ. والثاني: السعادةُ، قاله ابنُ زيدٍ. قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا﴾ أي: عن جهنَّم، وقد تقدَّمَ ذِكرُها ﴿مُبْعَدُونَ﴾ والبُعْدُ: طُولُ المسافة، والحَسِيسُ: الصوتُ تسمعه مِنَ الشيءِ إذا مَرَّ قريباً منكَ، قال ابنُ عباسٍ: لا يسمع أهلُ الجنة حَسِيسَ أهلِ النار إذا نزلوا منازلَهُم مِنَ الجنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ وقَتادةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وأبو جعفرٍ الشَّيْزَرِيّ عن الكِسَائيِّ: «لا يُحْزِنُهم» بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي.

وفي الفَزَعِ الأكبرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النَّفْخَةُ الآخِرةُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ؛ وبهذه النَّفْخَةِ يقوم النَّاسُ مِنْ قبورِهم، ويدلُّ على صحة هذا الوَجه قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. **والثاني**: أنه إطبَاقُ النار على أهلها، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه ذَبْحُ الموتِ بين الجنة والنار، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال ابنُ جِرَيجٍ. **والرابع**: أنه حين يُؤمَرُ بالعبدِ إلى النار، قاله الحَسنُ البَصريُّ.

وفي مكان تَلقِّي الملائكةِ لهم قولان: **أحدهما**: إذا قاموا مِنْ قبورهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: على أبواب الجنة، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ فيه إضمارٌ: «يقولون» هذا يومُكم ﴿ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه

---

[٩٩٩] أخرجه الواحدي ٦١٦ والطبراني ١٢/١٥٣ عن ابن عباس، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو صدوق يخطئ.
وأخرجه الطبري ٢٤٨٣٥ مطولاً عن ابن إسحاق مرسلاً. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٥١: وهذا الذي قاله ابن الزبعرى خطأ كبير، لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك تقريعاً وتوبيخاً لعابديها، ولهذا قال: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾ فكيف يورد على المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح، ولم يرض بعبادة من عبده، وعوّل ابن جرير في «تفسيره» في الجواب على أن «ما» لما لا يعقل عند العرب. وقد أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك.

الجنَّةَ. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ وقرأ أبو العَالِية، وابنُ أبي عَبلَة، وأبو جعفرَ: «تُطوى» بتاءٍ مضمومةٍ «السماءُ» بالرفع؛ وذلك بمَحْوِ رُسومِها، وتكديرِ نجُومِها، وتكويرِ شمسِها، ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قرأ الجمهور: «السِّجِل» بكسرِ السين والجيم وتشديدِ اللام. وقرأ الحسَنُ، وأبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزَاءِ، ومَحبُوبٌ عن أبي عمروٍ: «السِّجْلِ» بكسرِ السين وإسكانِ الجيم خفيفةً. وقرأ أبو السَّمّال كذلك، إلاَّ أنه فَتَحَ الجيمَ. قوله تعالى: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «للكتاب». وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «للكُتب» على الجمع.

وفي السِّجِلِّ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه مَلَكٌ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عمرَ، والسُّدِّيُّ.

[١٠٠٠] **والثاني**: أنه كاتِبٌ كان لرسول الله ﷺ، رواه أبو الجَوزَاءِ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنَّ السِّجِلَّ بمعنى: الرجل، روى أبو الجَوزَاءِ عن ابنِ عباسٍ، قال: السِّجِلُّ: هو الرجل. قال شيخنا أبو منصورٍ اللغوي: وقد قيلَ: «السِّجِلُّ» بلغة الحَبَشَةِ: الرجل.

والرابع: أنه الصَّحِيفَةُ. رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والفَرَّاءُ وابنُ قُتَيبة. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ، قال: قال أبو بكرٍ، يعني ـ ابنَ دُرَيدٍ ـ: السِّجِلُّ: الكتابُ، واللهُ أعلمُ؛ ولا ألتفِتُ إلى قولِهم: إنه فارسيٌّ مُعرَّبٌ، والمعنى: كما يُطوَى السِّجِلُّ على ما فيه مِنْ كتابٍ. و «اللام» بمعنى «على». وقال بعضُ العلماء: المراد بالكتاب: المَكتوبُ، فلمَّا كان المكتوبُ ينطوي بانطِوَاءِ

[١٠٠٠] باطل، أخرجه أبو داود ٢٩٣٥ والنسائي ٣٥٥ والطبري ٢٤٨٤٩ والبيهقي ١٠/ ١٢٦ كلهم عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف يزيد بن كعب مجهول، قال الذهبي في «الميزان» لا يدرى من ذا أصلاً. وأبو الجوزاء أوس بن عبد الله ثقة لكنه يرسل كثيراً، ولم يصرّح بسماع أو تحديث. وأخرجه ابن عدي ٧/ ٦٦٢ والبيهقي ١٠/ ١٢٦ والطبراني ٢/ ١٧٠ ح ١٢٧٩٠ من طريق يحيى بن عمرو بن مالك عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً. لأجل يحيى بن عمرو، فقد كذبه حماد بن زيد. وأخرجه النسائي ٣٥٦ عن نوح عن عمر بن مالك به، وهو منقطع بين نوح وعمرو، ولعل نوحاً أسقطه عمداً. وبكل حال الخبر واهٍ جداً وليس بشيء. أخرجه الخطيب ٨/ ١٧٥ من حديث حمدان بن سعيد عن عبد الله بن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر به. وهذا خبر باطل لا أصل له، والحمل فيه على حمدان بن سعيد، فقد اتهمه الذهبي بهذا الحديث، فقال: أتى بخبر كذب اهـ.

ومما يدل على أنه كذب هو كون من فوقه رجال البخاري ومسلم. فلو كان هذا الحديث عن نافع أو عبيد الله لرواه مالك والبخاري وغيرهم من الأئمة. لكنه إسناد مصنوع مركب. وقد حكم بوضع هذا الحديث كل من الإمام المزي والذهبي وابن كثير وسبقهم الطبري. وليس في الصحابة من اسمه «السجل» وإن أورده أبو نعيم وابن منده فإنهما يرويان الموضوع وكتبهما مشحونة بذلك، وممن حكم بوضعه شيخ الإسلام ابن تيمية، ووافقه الإمام ابن القيم. راجع عون المعبود ٨/ ١٥٤ وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٢ و «تفسير الشوكاني» ١٦٤٧ و ١٦٤٨ و ١٦٤٩ بتخريجنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٩٥: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: السّجل في هذا الموضع: الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه. وكتّاب النبي ﷺ كانوا معروفين. ووافقه ابن كثير وقال: وقد صدق رحمه الله في ذلك، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث.

الصَّحيفةِ، جعلَ السِّجِلَ كأنه يَطوي الكتابَ.

ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الخَلْقُ هاهنا مصدرٌ، وليس بمعنى المَخلُوقِ. وفي معنى الكلام أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: كما بدأناهُم في بُطونِ أُمَّهاتِهم حُفاةً عُراةً غُرْلاً، كذلك نُعيدهم يومَ القيامة.

[١٠٠١] رُوي عن ابن عباسٍ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامة عُراةً حُفاةً غُرْلاً كما خُلِقوا، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ وإلى هذا المعنى ذهبَ مُجاهِدٌ.

والثاني: أنَّ المعنى: إنا نُهلِكُ كلَّ شيءٍ كما كان أَوَّلَ مرَّةٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنَّ السماء تُمطِرُ أربعين يوماً كَمَنِيِّ الرجال، فيَنبتُونَ بالمطر في قبورِهم، كما يَنبتُون في بطُونِ أُمَّهاتِهم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنَّ المعنى: قُدرَتُنا على الإِعادة كقُدرَتِنا على الابتدَاءِ، قاله الزَّجّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَعْدًا﴾ قال الزَّجّاجُ: هو منصوبٌ على المصدرِ، لأنَّ قولَه تعالى: «نعيده» بمعنى: وَعَدْنا هذا وَعداً، ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على فِعْلِ ما نشاء. وقال غيرُه: إِنَّا كُنَّا فاعلين ما وَعَدْنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[١]:

أحدها: أنَّ الزَّبورَ جميعُ الكُتُبِ المُنزَلَةِ مِنَ السماء، و«الذِّكر»: أُمُّ الكتاب الذي عندَ الله، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ، وهذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ في روايةِ ابنِ جُبَيرٍ، فإنه قال: الزَّبُورُ: التَّوراةُ والإِنجيلُ والقرآنُ، والذِّكرُ: الذي في السماء. **والثاني**: أنَّ الزَّبُورَ: الكُتُبُ، والذِّكرُ: التَّوراة، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباس. **والثالث**: أنَّ الزَّبُورَ: القرآن، والذِّكرُ: التَّوراةُ والإِنجيلُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ. **والرابع**: أنَّ الزَّبُورَ: زَبورُ داودَ، والذِّكْرُ: ذِكْرُ موسى، قاله الشَّعبيُّ.

وفي الأرض المذكورةِ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها أرضُ الجنة، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الأكثرون. **والثاني**: أرضُ الدنيا، وهو مَنقولٌ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: الأرضُ المقدَّسةُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

[١٠٠١] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٤٩ و ٤٦٢٥ و ٤٦٢٦ و ٤٧٤٠ ومسلم ٢٨٦٠ ح ٥٨ والترمذي ٢٤٢٥ والنسائي ٤/ ١١٤ و ١١٧ وأحمد ١/ ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٣٥ و ٢٥٣ والدارمي ٢/ ٣٢٦ وأبو يعلى ٢٥٧٨ من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً». ثم قرأ: **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده، وعداً علينا، إنا كنا فاعلين﴾** وأول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم. وإن أناساً من أصحابي أخذ بهم ذات الشمال، **فأقول**: أصحابي، أصحابي. فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، **فأقول** لكم كما قال العبد الصالح: **﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾** إلى قوله **﴿الحكيم﴾**.

---

(١) **قال الطبري رحمه الله ٩/ ٩٨: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك: ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد،** ومن قال بقولهما في أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه، قبل خلق السموات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب. يقال منه: زبرت الكتاب وزبرته: إذا كتبته، وإن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه فهو ذكر.

وفي قوله تعالى: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ. وفي روايةٍ: تَرِثُ أُمَّةُ محمَّدٍ أرضَ الدنيا بالفُتوحِ. **والثاني**: بَنو إسرائيلَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أنه عامٌّ في كلِّ صالحٍ، قاله بعضُ فقهاء المُفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ أي: لَكِفايَةٍ؛ والمعنى: أنَّ مَن اتَّبعَ القرآن وعَمِلَ به، كان القرآن بَلاغَهُ إلى الجنة. وقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ قال كعب: هم أُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ الذين يُصلُّون الصَّلواتِ الخَمْسَ ويصومون شهرَ رمضانَ. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هذا عامٌّ للبَرِّ والفاجِرِ، فمَنْ آمنَ به تَمَّتْ له الرَّحمةُ في الدنيا والآخرة، ومَنْ كفرَ به صُرِفَتْ عنه العقوبةُ إلى الموتِ والقيامة. وقال ابنُ زيدٍ: هو رحمةٌ لمَنْ آمنَ به خاصَّةً.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: فهل أنتم مُخلِصون له العبادةَ؟ قال أهلُ المعاني: هذا استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرَضوا ولم يُؤمِنوا ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: نابَذْتُكم وعادَيتُكم وأعلَمْتُكم ذلك، فصِرتُ أنا وأنتم على سواءٍ قد استوَينا في العِلْم بذلك، وهذا مِنَ الكلام المُختَصَرِ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: أعلَمتُكم بالوَحي إليَّ لِتَستَوُوا في الإيمانِ به، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ أي: وما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ بِنُزولِ العذاب بكم. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ وهو ما يقولونه للنبيِّ ﷺ ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾[1]، و ﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ إسرارُهم أنَّ العذابَ لا يكون.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾ في هاء «لَعَلَّه» قولان[2]: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى ما آذَنَهم به، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: إلى العذاب؛ فالمعنى: لعلَّ تأخيرَ العذاب عنكم فِتنَةٌ، قاله ابنُ جَرير، وأبو سُليمانَ الدِّمشقي. ومعنى الفِتنَةِ هاهنا: الاختبارُ، ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: تستَمتِعونَ إلى انقضاءِ آجالِكم. ﴿وَقُلْ رَبِّ﴾ وروى حَفصٌ عن عاصِمٍ: «قال رَبِّ» ﴿احْكُمْ﴾ قرأ أبو جعفرَ: «ربُّ احكم» بضمِّ الباء.

---

(١) سورة يس: ٤٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٥٥: وقوله: **﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾**، أي: هو واقع لا محالة، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده، وقوله **﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾** أي: وما أدري لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين. قال ابن جرير: لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم، ومتاع إلى أجل مسمّى. وحكاه عن ابن عباس والله أعلم. **﴿قال رب احكم بالحق﴾** أي: افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق وقوله **﴿وربنا المستعان على ما تصفون﴾** على ما يقولون ويفترون من الكذب، ويتنوعون في مقامات التكذيب والإفك والله المستعان عليكم في ذلك.

وروى زيدٌ عن يعقوبَ: «رَبِّيَ» بفتحِ الياء «أَحْكَمُ» بقطعِ الهمزة وفتح الكاف ورفعِ الميم. ومعنى «احكم بالحق» أي: بعذاب كفَّارِ قومي الذي نُزولُه حَقٌّ، فحَكَمَ عليهم بالقتل في يومِ بَدْرٍ وفيما بعدَهُ مِنَ الأيام؛ والمعنى على هذا: افْصِلْ بيني وبين المشركين بما يظهرُ به الحقُّ. ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: مِنْ كَذِبِكُم وباطِلِكُم. وقرأ ابنُ عامرٍ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم: «يصفون» بالياء. فإِنْ قيلَ: فهل يجوز على الله أنْ يَحكُمَ بغير الحقِّ؟ فالجواب: أنَّ المعنى: احكُمْ بحُكمِكَ الحقَّ، كأنه استَعجَلَ النَّصرَ عليهم، واللهُ أعلَمُ بالصواب.

سورة الحج

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

فصلٌ في نزولها[١]: روى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ أنها مكيَّةٌ كلُّها، غيرَ آيتَين نزلَتا بالمدينةِ: قولُه سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، والتي تليها[٢] وفي روايةٍ أخرى عن ابنِ عباسٍ أنها مَدنيَّةٌ إلاَّ أربعَ آياتٍ نزلت بمكَّةَ، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخرِ الأربعِ[٣]. وقال عطاءُ بنُ السَّائبِ: نزلت بمكَّةَ إلاَّ ثلاثَ آياتٍ منها نزلت بالمدينةِ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ واللَّتَان بعدَها[٤] وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: أوَّلُها مَدنيٌّ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥] وسائرُها مكِّيٌّ. وقال الثَّعلبيُّ: هي مكيَّةٌ غيرَ ستِ آياتٍ نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾[٦]. وقال هِبَةُ الله بنُ سَلامَة: هي مِنْ أعاجيب سُورِ القرآن، لأنَّ فيها مكيّاً، ومدنيّاً، وحَضَريّاً، وَسَفَريّاً، وحَرْبِيّاً، وسِلْميّاً، ولَيْليّاً، ونهاريّاً، وناسِخاً، ومَنسُوخاً. فأمَّا المكِّيُّ، فمِنْ رأس الثلاثين منها إلى آخرِها. وأما المَدنيُّ، فمِنْ رأس خمسٍ وعشرين إلى رأسِ ثلاثين. وأما الليليُّ، فمِنْ أوَّلها إلى آخرِ خمسِ آياتٍ. وأما النَّهاريُّ، فمِنْ رأس خمس آيات. إلى رأس تسعٍ. وأما السَّفريُّ، فمِنْ رأس تسعٍ إلى اثنتي عشرةَ. وأما الحَضَريُّ، فإلى رأسِ العشرين، نُسِبَ إلى المدينةِ، لقُربِ مُدَّتِه.

قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ أي: احذَرُوا عقابَهُ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الزَّلزَلَةُ: الحركةُ على الحالَةِ الهائلَةِ. وفي وقت هذه الزَّلزَلَةِ قولان[٧]: **أحدهما**: أنها يومَ القيامة بعد النُّشور.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٥: وقال الجمهور: السورة مختلطة، منها مكي ومنها مدني. وهذا هو الأصح، لأن الآيات تقتضي ذلك، لأن «يا أيها الناس» مكي و «يا أيها الذين آمنوا» مدني.

(٢) سورة الحج: ١٢، ١٣. (٣) سورة الحج: ٥٣ ـ ٥٧. (٤) سورة الحج: ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) سورة الحج: ٢٤، ٢٥. (٦) سورة الحج: ٣٨.

(٧) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٠٥: والصواب من القول في ذلك: ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ ـ وهو حديث أبي سعيد الخدري ـ.

[١٠٠٢] روى عِمرَانُ بنُ حُصَينٍ عن رسولِ الله ﷺ أنه قرأ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقال: «تدرونَ أيَّ يومٍ ذلك؟ فإنه يومَ يُنادي الرَّبُّ عزَّ وجلَّ آدمَ عليه السلامُ: ابعثْ بَعْثاً إلى النار» فذكرَ الحديثَ.

[١٠٠٣] وروى أبو سعيدٍ الخُدريُّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول اللّهُ تعالى يومَ القيامة لآدمَ: قُمْ، فابعَثْ بَعْثَ النار، فيقول: يا رَبِّ، وما بَعْثُ النار؟ قال: مِنْ كلِّ ألفٍ تسعمائةً وتسعةً وتسعين إلى النار، فحِينئذٍ يَشِيبُ المولودُ، وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَملَهَا»، وقرأ الآيةَ. وقال ابنُ عباسٍ: زَلْزَلَةُ الساعة: قِيَامُها، يعني أنها تُقارِب قيامَ الساعةِ، وتكون معها. وقال الحسَنُ، والسُّدِّيُّ: هذه الزَّلزَلَةُ تكون يومَ القيامة.

والثاني: أنها تكون في الدنيا قبلَ القيامة، وهي مِنْ أشرَاطِ الساعة، قاله عَلقَمةُ، والشَّعبيُّ، وابنُ جُرَيج. وروى أبو العَالية عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ، قال: ستُّ آياتٍ قبلَ القيامة، بينما الناسُ في أسواقِهم إذ ذهبَ ضوءُ الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثَرَتِ النُّجومُ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبالُ على وَجْهِ الأرض، فتحرَّكَتْ، واضطَربتْ، ففَزِعَ الجنُّ إلى الإنسِ، والإنسُ إلى الجنِّ، فاختلَطَتِ الدَّوَابُّ، والطَّيرُ، والوَحشُ، فمَاجَ بعضُهم في بعضٍ، فقالت الجنُّ للإنسِ: نحن نأتيكُم بالخَبرِ، فانطلَقُوا إلى البُحورِ، فإذا هي نارٌ تأجَّجُ، فبينما هم كذلك إذ تصدَّعتِ الأرضُ إلى الأرضِ السابعةِ، والسماءُ إلى

[١٠٠٢] حسن، أخرجه الترمذي ٣١٦٨ من حديث عمران بن حصين، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان. وزاد في هذا الحديث «فأنشأ المؤمنون يبكون...» و «فإنها لم تكن نبوة قط...» وأخرجه الطبري ٢٤٩٠٦ عن الحسن بهذا السياق. وقد رواه غير واحد بدون هذه اللفظة. وأخرجه الترمذي ٣١٦٩ والنسائي في «الكبرى» ١٣٤٠ والحاكم ٢/ ٣٨٥ و ٤/ ٥٦٧ والطبري ٢٤٩٠٤ عن الحسن عن عمران بن حصين، ورجاله ثقات كلهم لكن في سماع الحسن من عمران كلام.
وقد أنكره أبو حاتم في «المراسيل» ص ٤٠ ومع ذلك قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم، وقال: أكثر أئمة البصرة على أن الحسن سمع من عمران، ووافقه الذهبي، ولأكثره شواهد ولذا صححه الألباني في صحيح الترمذي. وورد من حديث أنس أخرجه أبو يعلى ٣١٢٢ وابن حبان ٧٣٥٤ والحاكم ١/ ٢٩ و ٤/ ٥٦٦ من حديث أنس، وصححه الحاكم على شرطهما، لكن أعله بقوله: قال محمد بن يحيى الذهلي: هذا الحديث عندنا غير محفوظ عن أنس، ولكن المحفوظ عندنا عن قتادة عن الحسن عن عمران اهـ وسكت الذهبي، ولأكثره شواهد ومنها الآتي، فالحديث حسن إن شاء الله. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٥٩ و ١٦٦٠ و «تفسير القرطبي» ٤٣٦٧ و ٤٣٦٨ و ٤٣٦٩ بتخريجنا. ولله الحمد والمنة.

[١٠٠٣] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٤٨ و ٤٧٤١ و ٦٥٣١ ومسلم ٢٢٢ وأحمد ٣/ ٣٢ و ٣٣ والطبري ٢٤٩٠٧ و ٢٤٩٠٨ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٧١ والبغوي ٤٢٢٠ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد». قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف». ثم قال: «والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبّرنا فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثورٍ أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثورٍ أسود». لفظ البخاري.

السماءِ السابعةِ، فبينما هم كذلك إذ جاءتْهُمُ الرِّيحُ فماتُوا. وقال مُقاتِلٌ: هذه الزَّلزلَةُ قبلَ النَّفخَةِ الأولى، وذلك أنَّ مُنادياً يُنادي مِنَ السماء: يا أيُّها الناسُ أتى أمرُ الله فيَفزَعُونَ فَزَعاً شديداً فيَشِيبُ الصغيرُ، وتضعُ الحَوامِلُ.

قوله تعالى: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لا يُوصف لعِظَمِه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني: الزَّلزلَة ﴿تَذْهَلُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تَسلُو عن ولَدِها، وتترُكه، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: تُشغَلُ عنه، قاله قُطْربُ، ومنه قولُ ابنِ رَواحةَ:

ويَـذْهَـلُ الـخَـلِـيـلُ عـن خَـلـيـلِـهِ

وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تُذهِل» برفع التاء وكسرِ الهاء «كلَّ» بنصبِ اللام. قال الأخفشُ: وإنَّما قال: «مُرضِعة»، لأنه أراد ـ واللَّهُ أعلمُ ـ الفِعلَ، ولو أراد الصِّفةَ فيما نرى، لَقالَ: «مُرضِع». قال الحسَنُ: تَذهَلُ المُرضِعَةُ عن وَلَدِها لغير فِطَام، وتضع الحَاملُ ما في بطنها لغيرِ تمامٍ، وهو يدلُّ على أنَّ الزَّلزَلَةَ تكون في الدنيا، لأنَّ بعدَ البَعثِ لا تكون حُبلى.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ وقرأ عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ، «وتُرى» بضمِّ التاء. ومعنى «سكارى»: مِنْ شدَّة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ مِنَ الشراب، والمعنى: ترى الناسَ كأنهم سُكارَى مِنْ ذُهولِ عقولِهم، لشدَّة ما يَمرُّ بهم، يضطَربون اضطِرابَ السَّكْرانِ مِنَ الشراب. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «سَكْرى وما هم بسَكْرى» وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ. قال الفرَّاءُ: وهو وَجهٌ جيدٌ، لأنه بمنزلة الهَلْكى والجَرْحَى. وقرأ عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ السَّمَيْفع: «سَكارى وما هم بسَكارى» بفتحِ السين والراء وإثباتِ الألف، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فيه دليلٌ على أنَّ سُكرَهُم مِنْ خوفِ عذابِه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ قال المُفسِّرون: نزلت في النَّضرِ بنِ الحَارثِ. وفيما جَادَلَ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان كلَّما نزلَ شيءٌ مِنَ القرآن كذَّبَ به، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه زعمَ أنَّ الملائكة بناتُ الله، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه قال: لا يَقدِرُ اللَّهُ على إحياءِ المَوتى، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: إنما يقوله بإغواءِ الشَّيطانِ، لا بعلم ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ ما يُسوِّل له ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ وقد ذكرنا معنى «المَريد» في سُورةِ النساء[1]. قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ «كُتب» بمعنى: قُضِيَ. والهاءُ في «عليه» وفي «تولاه» كنايةٌ عن الشيطان. ومعنى الآية: قُضِيَ على الشيطان أنه يُضِلُّ مَنِ اتَّبعَه. وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني: «كَتَب» بفتحِ الكاف «أنه» بفتح الهمزة «فإنه» بكسرِ الهمزة وقرأ أبو مِجلَز، وأبو العَالية، وابنُ أبي لَيلى، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «إنه» «فإنه» بكسرِ الهمزة فيهما. وقد بيَّنَّا معنى «السَّعير» في سُورةِ النِّساء[2].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

(١) سورة النساء: ١١٧. (٢) سورة النساء: ١٠.

﴿طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: في شَكٍّ مِنَ القيامة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني: خَلْقَ آدمَ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني: خَلْقَ وَلَدِه، والمعنى: إنْ شَكَكْتُم في بَعْثِكُم فتدبَّروا أمرَ خَلْقِكُم وابتدائِكُم، فإنكم لا تجدون في القُدرةِ فَرْقاً بين الابتداء والإعادة. فأمَّا النُّطفةُ، فهي المَنِيُّ. والعَلَقَةُ: دمٌ عَبِيطٌ جامدٌ. وقيلَ: سُمِّيتْ عَلَقةً لرُطُوبَتِها وتَعلُّقِها بما تَمرُّ به، فإذا جَفَّتْ فليست عَلَقَةً. والمُضْغَةُ: لَحمةٌ صغيرةٌ. قال ابنُ قُتيبةَ: وسُمِّيت بذلك، لأنها بقَدْرِ ما يُمضَغُ، كما قيلَ: غُرْفَة لقَدْرِ ما يُغرَفُ.

قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنَّ المُخلَّقةَ: ما خُلِقَ سَوِيًا، وغير المُخلَّقةِ: ما ألقَتْهُ الأرحامُ مِنَ النُّطَفِ، وهو دَمٌ قبل أن يكونَ خَلْقاً، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: أنَّ المُخلَّقةَ: ما أُكمِلَ خَلْقُه بنَفخِ الرُّوح فيه، وهو الذي يُولَدُ حيًا لتمام، وغيرَ المُخلَّقةِ: ما سقطَ غيرَ حيٍّ لم يَكمُل خَلْقُه بنفخِ الرُّوح فيه، هذا معنى قولِ ابنِ عباس. **والثالث**: أنَّ المُخلَّقةَ: المُصوَّرةُ، وغيرَ المُخلَّقة: غيرُ مُصوَّرةٍ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: أنَّ المُخلَّقَةَ وغيرَ المُخلَّقةِ: السِّقْطُ، تارةً يَسقطُ نُطفَةً وعَلقَةً، وتارةً قد صُوِّر بعضُه، وتارةً قد صُوِّر كلُّه، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: أنَّ المُخلَّقَةَ: التَّامةُ، وغيرَ المُخلَّقةِ: السِّقْطُ، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ.

قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: خلقناكُم لِنُبيِّنَ لكم ما تأتونَ وما تذَرُونَ. **والثاني**: لِنُبيِّنَ لكم في القرآن بُدُوَّ خَلْقِكُم، وتَنقُّلَ أحوالِكُم. **والثالث**: لِنُبيِّنَ لكم كمالَ حِكمتِنا وقُدرتِنا في تقليبِ أحوالِ خَلْقِكُم. **والرابع**: لنُبيِّنَ لكم أنَّ البعثَ حقٌّ.

وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني، وابنُ أبي عبلَةَ: «ليبيِّن لكم» بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءٍ: «ويُقَرُّ» بياءٍ مرفوعةٍ وفتحِ القاف ورفعِ الراء. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو إسحاقَ السَّبِيعيُّ: «ويُقِرَّ» بياءٍ مرفوعةٍ وبكسرِ القاف ونصبِ الراء. والذي يُقَرُّ في الأرحام، هو الذي لا يكون سِقْطاً، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجلُ الولادة ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هو في موضعِ أطفال، والعرب قد تضع لفظَ الواحدِ في معنى الجميع، قال اللّهُ تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٢] أي: ظُهَراءُ، وأنشد:

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١١١: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: المخلّقة: المصورة خلقاً تاماً، وغير مخلّقة: السقط قبل تمام خلقه، لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتى تصير خلقاً سوياً إلا التصوير.

(٢) سورة التحريم: ٤.

فَقُلْنا أسلِموا إنّا أخوكم فقد بَرِئَتْ مِنَ الإحَنِ الصُّدور[١]

وأنشد أيضاً:

في خَلْقِكم عِظَمٌ وقد شَجِينا

وقال غيره: إنما قال: «طفلاً» فوحَّدَ، لأنَّ الميمَ في قوله تعالى: ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ قد دلَّت على الجميع، فلم يَحتَجْ إلى أن يقولَ: أطفالاً. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟﴾ فيه إضمارٌ، تقديره: ثم نعمِّركم لِتبلُغوا أشُدَّكم، وقد سبق معنى «الأشد»[٢]، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ مِنْ قبل بُلوغِ الأشُدِّ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ وقد شرحناه في النَّحل[٣].

ثم إنَّ الله تعالى دَلَّهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: ميتةً يابسةً، ومثله: هَمدَتِ النارُ: إذا طُفِئَتْ فذهبت. قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ يعني: المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحرَّكت للنَّباتِ، وذلك أنها ترتفع عن النَّباتِ إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى ﴿وَرَبَتْ﴾ أي ارتفعَتْ وزادَتْ. وقال المُبَرِّدُ: أراد: اهتزَّ نباتُها وربَا، فحذف المضاف. قال الفَرَّاءُ: وقرأ أبو جعفرَ المَدنيُّ: «وربأت» بهمزةٍ مفتوحةٍ بعد الباء. فإنْ كان ذهب إلى الرَّبيئَة الذي يَحرسُ القومَ، أي: أنه يرتفع، وإلاَّ، فهو غَلطٌ. قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: مِنْ كلِّ جنسٍ حَسَنٍ يُبهِجُ، أي: يَسُرُّ، وهو فعِيلٌ في معنى فاعِلٍ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمرُ ذلك كما وَصفَ لكم. والأجوَدُ أن يكونَ موضعُ «ذلك» رفعاً، ويجوز أن يكونَ نصباً على معنى: فَعلَ اللَّهُ ذلك بأنه هو الحقُّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: ولِتعلَموا أنَّ الساعة ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ قد سبق بيانُه. وهذا ممَّا نزلَ في النَّضرِ أيضاً. والهدى: البيانُ والبُرهانُ. قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ العِطْفُ: الجانِب. وعِطْفَا الرجل: جانِبَاهُ عن يمينٍ وشمالٍ، وهو الموضع الذي يَعطِفُه الإنسانُ ويَلْويه عند إعراضِه عن المَشْي. قال الزَّجَّاجُ: «ثانيَ» منصوبٌ على الحالِ، ومعناه: التَّنوين، معناه: ثانياً عِطْفَهُ. وجاء في التفسير: أنَّ معناه: لاَوِياً عُنقَهُ، وهذا يُوصَفُ به المُتكبِّرُ، والمعنى: ومِنَ الناس مَنْ يُجادلُ بغير عِلْم مُتكبِّراً. قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ أي: ليَصيرَ أمرُهُ إلى الضَّلال، فكأنَّه وإنْ لم يُقدِّر أنه يَضِلُّ، فإنَّ أمرَهُ يصيرُ إلى ذلك. ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ وهو ما أصابه يومَ بدرٍ، وذلك أنه قُتِلَ. وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ وفي سبب نزول هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنَّ ناساً مِنَ العرب كان يأتُون

---

(١) البيت لعباس بن مرداس، كما في «الخزانة» ١/ ٧٣ و «الأغاني» ١/ ٧٣.
(٢) سورة الأنعام: ١٥٣. (٣) سورة النحل: ٧٠. (٤) سورة يونس: ٧٠.

رسولَ الله ﷺ، فيقولون: نحنُ على دِينِكَ، فإنْ أصابُوا معيشةً، ونُتِجَتْ خَيْلُهم، وَوَلَدَتْ نساؤهم الغِلمانَ اطمأنُّوا وقال: هذا دِينُ حقٍّ، وإنْ لم يَجْرِ الأمرُ على ذلك قالوا: هذا دِينُ سُوءٍ، فينقلبون عن دِينِهم، فنزلت هذه الآيةُ، هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ، وبه قال الأكثرون(١).

[١٠٠٤] **والثاني**: أنَّ رجلاً مِنَ اليهود أسلَمَ فذهب بصَرُه ومالُهُ وولَدُهُ، فتشاءَمَ بالإسلام، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: أقِلْنِي، فقال: «إنَّ الإسلامَ لا يُقالُ». فقال: إنِّي لم أُصِبْ في دِيني هذا خيراً، أذهَبَ بصري ومالي وولَدِي، فقال: «يا يهوديُّ: إنَّ الإسلامَ يَسْبِكُ الرِّجالَ كما تَسْبِكُ النارُ خَبَثَ الحديدِ والفِضَّةِ والذَّهبِ»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عطيَّةُ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ: «على شكٍّ»، قال أبو عُبيدَةَ: كلُّ شاكٍّ في شيءٍ فهو على حَرْفٍ لا يثبتُ ولا يَدومُ. وبيانُ هذا أنَّ القائمَ على حَرْفِ الشيءِ غيرُ مُتمكِّنٍ منه فشُبِّه به الشَّاكُّ، لأنه قَلِقٌ في دِينِه على غيرِ ثباتٍ، ويُوضحُه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ أي: رَخاءٌ وعافيةٌ ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ على عبادةِ الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبارٌ بجَدْبٍ وقِلَّةِ مالٍ ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: رجعَ عن دِينِه إلى الكُفرِ. والمعنى: انصرفَ إلى وجهه الذي توجَّهَ منه، وهو الكُفرُ، ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ حيث لم يظفَرْ بما أراد منها، ﴿وَ﴾ خسر ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بارتدادِه عن الدِّينِ. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقيليُّ، وأبو مِجلَزٍ، ومُجاهِدٌ، وطَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «خاسِرَ الدنيا» بألِفٍ قبلَ السين، وبنصبِ الراء «والآخرةِ» بخفضِ التاء. ﴿يَدْعُوا۟﴾ هذا المُرتَدُّ، أي: يَعبدُ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إنْ لم يَعبُدْهُ و ﴿لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إنْ أطاعَهُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الحقِّ ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ قال بعضُهم: اللامُ صِلَةٌ، والمعنى: يدعو مَنْ ضَرُّهُ. وحكى الزَّجَّاجُ عن البَصريِّين والكُوفيِّين أنَّ اللامَ معناها التأخيرُ، والمعنى: يَدْعُو مَنْ لَضَرُّهِ ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾، قال: وشرحُ هذا أنَّ اللامَ لليَمِينِ والتَّوكيدِ،

[١٠٠٤] ضعيف ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٨ عن عطية العوفي عن أبي سعيد وعطية هو ابن سعد الكوفي، وهو ضعيف واهٍ. وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٤/ ٦٢٤ من طريق عطية عن أبي سعيد به. وله شاهد من حديث جابر، أخرجه العقيلي ٣/ ٣٦٨، وفيه عنبسة بن سعيد، وهو ضعيف متروك. ثم إن السورة مكية في قول الجمهور، وأخبار يهود مدنية. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٦٣ بتخريجي.

---

(١) **موقوف، صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٤٢ عن ابن عباس قال: ومن الناس من يعبد الله على حرف قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء. ولم يذكر سبب نزول الآية: وذكره بنحوه الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٧ وفيه سبب نزول الآية.**

فحَقُّها أن تكونَ أولَ الكلام، فقدمت لِتُجعلَ في حقِّها. قال السُّدِّيُّ: ضَرُّهُ في الآخرة بعبادَتِهِ إِيَّاهُ أقربُ مِنْ نَفْعِهِ.

فإنْ قيلَ: فهل للنَّفع مِنْ عبادة الصَّنَم وَجْهٌ؟ فالجواب: أنه لا نَفْعَ مِنْ قِبَلِه أصلاً، غيرَ أنه جاء على لُغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيدٌ.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المَولَى: الوَلِيُّ. والعَشِيرُ: الصاحبُ، والخَلِيلُ.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في نَفَرٍ مِنْ أَسَدٍ، وغَطَفانَ، قالوا: إنَّا نخافُ أنْ لا يُنْصَرَ محمَّدٌ، فينقَطِعَ الذي بيننا وبين حُلفائنا مِنَ اليهود، وإلى نحو هذا ذهب أبو حمزةَ الثُّماليُّ، والسُّدِّيُّ[(١)]. وحكى أبو سُليمانَ الدِّمشقي أنَّ الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن رسولِ الله لأنَّ أرزاقَهم ما اتَّسعتْ، وقد شرحنا القصَّةَ في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[(٢)]. وفي هاءِ «ينصره» قولان[(٣)]: **أحدهما**: أنها ترجعُ على «مَن»، والنَّصْرُ: بمعنى الرِّزقِ، هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ في رواية عطاءٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. قال أبو عُبيدَةَ: وَقَفَ علينا سائلٌ مِنْ بَني بَكْرٍ، فقال: مَنْ يَنصُرني نَصَرَهُ اللَّهُ، أي: مَنْ يُعطيني أعطَاهُ اللَّهُ، ويُقال: نَصرَ المطرُ أرضَ كذا، أي: جَادَهَا، وأحيَاهَا، قال الرَّاعي:

وانـــــصُـــــرِي أرْضَ عَـــامِـــــرِ[(٤)]

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فهذا الخبر لا شيء.
وذكره الطبري ٩/ ٢٠ بدون إسناد، ومن غير عزو لأحد.

(٢) سورة الحج: ١١.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١٢٠: وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله ﷺ ودينه، وذكر هذه الآية توبيخاً لمن ارتدوا عن دينهم، وشكوا فيه، استبطاءً منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق، فمن كان يحسب أن لن يرزق الله محمداً ﷺ وأمته في الدنيا فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره، مما يعلق به السبب من فوقه ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجّل قبل حينه. ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٦٤ وقال: وهو الأولى والأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم، فإن المعنى: من ظن أن الله ليس بناصر محمداً ﷺ وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه، إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصرهُ لا محالة، قال تعالى: ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾. ولهذا قال: ﴿**فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ**﴾.

(٤) هو جزء من عجز بيت وتمامه: =

والثاني: أنها ترجعُ إلى رسولِ الله ﷺ، فالمعنى: مَنْ كان يظنُّ أنْ لنْ يَنْصرَ اللّهُ محمَّداً، رواه التَّميميُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ، وقتادةُ. قال ابنُ قُتيبةَ: وهذه كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ، وكان قومٌ مِنَ المسلمين لشدَّة حَنَقِهم على المشركين يَستَبْطِئونَ ما وَعَدَ اللّهُ رسولَهُ مِنَ النَّصرِ، وآخرون مِنَ المشركين، يُريدون اتِّباعَهُ، ويَخشَوْنَ أنْ لا يتِمَّ أمرُهُ، فقال هذه الآيةَ للفريقين. ثم في معنى هذا النَّصرِ قولان: **أحدهما**: أنه الغَلَبَةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: أنه الرِّزقُ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ في المُرادِ بالسماءِ قولان: **أحدهما**: سَقْفُ بيتِه، والمعنى: فليَشْدُدْ حبْلاً في سَقفِ بيتِه، فليَخْتَنِقْ به ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ الحَبْلَ ليموتَ مُختَنِقاً، هذا قولُ الأكثرين. ومعنى الآية: لِيُصوِّرْ هذا الأمرَ في نفسه لا أنه يَفعَلُه، لأنه إذا اختنَقَ لا يُمكِنُه النَّظَرُ والعِلْمُ. **والثاني**: أنها السماءُ المعروفةُ، والمعنى: فلْيَقطَعِ الوَحيَ عن رسولِ الله ﷺ إنْ قَدِرَ، قاله ابنُ زيدٍ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ قرأ أبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «ثم لِيقطع» «ثم لِيقضوا»[1] بكسرِ اللام. زاد ابنُ عامرٍ «ولِيوفوا»[2] «ولِيطوفوا»[3] بكسرِ اللام أيضاً. وكَسَرَ ابنُ كثيرٍ لامَ «ثم لِيقضوا» فحَسْبُ. وقرأ عَاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بسكون هذه اللاماتِ، وكذلك في كلِّ القرآن إذا كان قبلَها واوٌ أو فاءٌ أو ثم، قال الفَرَّاءُ: مَنْ سَكَّنَ فقد خَفَّفَ، وكلُّ لامِ أمرٍ وصِلَتْ بواوٍ أو فاءٍ، فأكثر كلام العرب تَسكِينُها، وقد كَسرَها بعضُهم. قال أبو عليٍّ: الأصل الكَسْرُ، لأنكَ إذا ابتدأتَ قلتَ: لِيَقُمْ زيدٌ. قوله تعالى: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: هل تُذهِبَنَّ حِيلَتُه غَيْظَهُ، والمعنى: لِيَجْهَدْ جُهْدَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدَّمَ مِنَ آياتِ القرآن ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يقضي ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بينهم بإدخالِ المؤمنين الجنَّة والآخرين النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ أعمالِهم ﴿شَهِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: ألَمْ تعلَمْ. وقد بيَّنَّا في سُورةِ النَّحل[4] معنى السُّجودِ[5] في حَقِّ مَنْ يَعقِل، ومَنْ

= إذا أدبر الشهر الحرام فودعي ... بلاد تميم وانصري أرض عامر

(١) سورة الحج: ٢٩.
(٢) سورة الحج: ٢٩.
(٣) سورة الحج: ٢٩.
(٤) سورة النحل: ٤٩.
(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٦٥: يخبر الله تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، وسجود كل شيء مما يختص به، كما قال: ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ فأخبر أن كل ماله ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال أي ـ بكرة وعشياً ـ فإنه ساجد بظله لله تعالى وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه. =

لا يَعقِلُ. قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: المؤمنين الذين يَسجُدونَ للَّهِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم الكفَّارُ، وهم يَسجُدونَ، وسُجودُهم سجودُ ظِلِّهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم لا يَسجُدون؛ والمعنى: وكثيرٌ مِنَ الناس أَبى السُّجودَ، فحَقَّ عليه العذابُ، لِتَركِهِ السُّجودَ، هذا قولُ الفرَّاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي: مَنْ يُشقِه اللهُ فما له مِنْ مُسْعِدٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ في خَلقِه مِنَ الكرَامَةِ والإهانَةِ.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ[١]:

[١٠٠٥] **أحدها**: أنها نزلت في النَّفَرِ الذين تبارزوا للقتال يومَ بدرٍ، حمزَةُ، وعليٌّ، وعُبيدَةُ بنُ الحَارثِ، وعُتبَةُ وشَيبَةُ ابنَي رَبيعَةَ، والوليدُ بنُ عُتبَةَ، هذا قول أبي ذَرٍّ.

[١٠٠٦] **والثاني**: أنها نزلت في أهلِ الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحنُ أَولَى بالله، وأقدَمُ منكم كِتاباً، ونَبيُّنا قبلَ نبيِّكم، وقال المؤمنون: نحنُ أحقُّ باللَّهِ، آمَنَّا بمحمَّدٍ، وآمَنَّا بنَبيِّكم وبما أنزلَ اللَّهُ مِنْ كتابٍ، وأنتم تعرفون نبينا ثم كَفَرتُم به حَسَداً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ.

والثالث: أنها في جميع المؤمنين والكفَّارِ، وإلى هذا المعنى ذهب الحسَنُ وعطاءٌ، ومُجاهِدٌ.

والرابع: أنها نزلت في اختِصَامِ الجنَّةِ والنَّارِ، فقالت النَّارُ: خَلَقَني اللَّهُ لِعقوبَتِه، وقالت الجنَّةُ: خَلَقَني اللَّهُ لِرَحمَتِه، قاله عِكرمَةُ.

فأما قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ وابنُ جُبيرٍ ومُجاهِدٌ وعِكرمَةُ وابنُ كَثيرٍ: «هاذانّ» بتشديدِ النون «خصمان»، فمعناه: جَمْعَانِ وليسا برَجُلَين، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ ولم يَقُلْ:

[١٠٠٥] صحيح. أخرجه البخاري ٨/٣٩٦ و ٣٩٦٩ و ٣٩٦٦ ومسلم ٣٠٣٣ والنسائي في «التفسير» ٣٦١ وابن ماجه ٢٨٣٥ والطبري ٢٤٩٧٩ والواحدي في «أسباب النزول» ٦١٩ والبغوي ٢٧٠١ من حديث أبي ذر.

[١٠٠٦] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٤٩٨٤ عن ابن عباس برواية العوفي عنه، وهي رواية واهية، العوفي واسمه عطية بن سعد وهو واهٍ، وعنه مجاهيل.

= وروى أحمد في حديث الكسوف: «إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله إذا تجلّى لشيء من خلقه خشع له».

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١٢٤: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية: قول من قال: عني بالخصمين: جميع الكفار من أي أصناف الكفار كانوا، وجميع المؤمنين ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٦٧ وقال: وهذا اختيار ابن جرير، وهو حسن ويشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها، فالمؤمنون يريدون نصرة دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل.

اختصَما؛ على أنه قرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «اختصما».

وفي خُصومَتِهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: في دِينِ رَبِّهم، وهذا على القولَين تبقىٰ كما هي. **والثاني**: في البَعثِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه خِصامُ مُفاخَرةٍ، على قولِ عِكرِمَةَ.

قوله تعالى: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: سُوِّيتْ وجُعِلَتْ لِباساً. قال ابنُ عباسٍ: قُمُصٌ مِن نارٍ، وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: المراد بالنار ها هنا: النُّحاسُ. فأمَّا «الحَميم» فهو الماءُ الحارُّ ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ قال الفَرَّاءُ: يُذابُ به، يُقالُ: صَهرتُ الشَّحمَ بالنارِ. قال المُفسِّرون: يُذابُ بالماءِ الحارِّ ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ من شحم أو مِعىً حتى يخرج من أدبارهم، وتنضج الجلود فتتساقط من حرِّه، ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ﴾ قال الضَّحَّاكُ: هي المَطارِقُ. وقال الحَسَنُ: إنَّ النَّارَ ترمِيهِم بلَهَبِها، حتى إذا كانوا في أعلاها، ضُربوا بمَقامِعَ فهَوَوْا فيها سبعينَ خريفاً، فإذا انتهَوا إلى أسفَلِها، ضَرَبَهُم زَفيرُ لَهَبِها، فلا يستقرُّون ساعةً. قال مُقاتِلٌ: إذا جاشَتْ جهنَّمُ، ألقتْهم في أعلاها، فيُريدونَ الخُروجَ، فتتَلقَّاهُم خَزَنَةُ جهنَّمَ بالمَقامِعِ، فيَضربُونَهُم، فيَهْوِي أحدُهم مِنْ تلك الضَّربَةِ إلى قَعْرِها. وقال غيرُه: إذا دَفعَتْهُمُ النارُ، ظَنُّوا أنها سَتَقذِفُهم خارِجاً منها، فتُعيدُهُم الزَّبانيَةُ بمقامِعِ الحديدِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «ولؤلؤٍ» بالخَفضِ. وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ولؤلؤاً» بالنصبِ. قال أبو عليٍّ: مَنْ خفضَ، فالمعنى: يُحَلَّون أساورَ مِنْ ذَهبٍ ومِنْ لُؤلؤٍ؛ ومَنْ نصَبَ قال: ويُحلَّون لُؤلُؤاً قال الزَّجَّاجُ: واللؤلُؤُ اسمٌ جامعٌ للُحبِّ الذي يخرج مِنَ البحر. قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟﴾ أي: أُرشِدوا في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه «لا إلَه إلاَّ اللهُ، والحمدُ للهِ» قاله ابنُ عباسٍ. وزاد ابنُ زيدٍ: «واللهُ أكبرُ». **والثاني**: القرآن، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: الأمرُ بالمَعروفِ، والنَّهيُ عن المُنكرِ، حكاه المَاوَردِي. فأما «صراط الحميد» فقال ابنُ عباسٍ: هو طريقُ الإسلامِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يَمنَعونَ الناسَ مِنَ الدُّخولِ في الإسلام. قال الزَّجَّاجُ: ولفظُ «يصدون» لفظُ مُستقبَلٍ عُطِفَ به على لفظِ الماضي، لأنَّ معنى «الذين كفروا»: الذين هُم كافرون، فكأنَّه قال: إنَّ الكافرين والصَّادِّين؛ فأمَّا خبرُ «إنَّ» فمَحذوفٌ، فيكون المعنى: إنَّ الذين هذه صِفَتُهم هَلَكوا.

وفي «المسجد الحرام» قولان: **أحدهما**: جميعُ الحَرَمِ. روى سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: كانوا يَرونَ الحَرَمَ كُلَّه مَسجداً. **والثاني**: نَفسُ المَسجِدِ، حكاه المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ هذا وَقْفُ التَّمامِ. وفي معناه قولان: **أحدهما**: جعلناه للنَّاسِ كُلِّهِم، لم نَخُصَّ به بعضَهم دونَ بعضٍ، هذا على أنه جميعُ الحَرَمِ. **والثاني**: جعلناه قِبْلَةً لِصَلاتِهم، ومَنْسَكاً لِحَجّهم، وهذا على أنه نَفْسُ المسجد. وقرأ ابراهيمُ النَّخَعيُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «سواءً» بالنصب، فيتوجَّهُ الوَقْفُ على «سواء»، وقد وَقَفَ بعضُ القُرَّاءِ كذلك. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أبدَلَ العاكِفَ والبَادِي مِنَ الناس مِنْ حيثُ كانا كالشَّامِلِ لهم، فصارَ المعنى: الذي جعلناه للعَاكِفِ والبَادِي سواءً. فأمَّا العَاكِفُ: فهو المُقيم، والبَادِي: الذي يأتيه مِنْ غيرِ أهلِه، وهذا مِنْ قولهم: بَدَا القومُ: إذا خرجوا مِنَ الحَضَرِ إلى الصحراء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «البَادِي» بالياء، غيرَ أنَّ ابنَ كَثيرٍ، وَقَفَ بياءٍ، وأبو عمروٍ بغير ياءٍ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، والمُسَيَّبي عن نافعٍ بغير ياء في الحالَتَين.

ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنَّ العَاكِفَ والبَادي يستويان في سُكنَى مكَّةَ والنُّزولِ بها، فليس أحدُهما أحقَّ بالمنزل مِنَ الآخر، غير أنه لا يُخرَجُ أحدٌ مِنْ بيته، هذا قولُ ابنِ عباسٍ، وسعيدِ بن جُبَيرٍ، وقَتادَةَ؛ وإلى نحوِ هذا ذهب أبو حَنيفَةَ، وأحمدُ؛ ومذهبُ هؤلاءِ أنَّ كِراءَ دُورِ مكَّةَ وبَيْعَها حرامٌ[1]، هذا على أنَّ المسجدَ: الحَرَمُ كُلُّه. **والثاني**: أنها يستويان في تفضيلِه وحُرمَتِه وإقامةِ المَناسِكِ به، هذا قولُ الحسَنِ، ومُجاهِدٍ. ومنهم مَنْ أجازَ بيعَ دُورِ مكَّةَ، وإليه يذهب الشَّافعيُّ. وعلى هذا يجوز أنْ يُرادَ بالمسجدِ الحَرامِ، ويجوز أنْ يُرادَ نفسُ المسجدِ.

قوله تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ الإلحَادُ في اللغة: العُدُولُ عن القَصْدِ، والباءُ زائدةٌ، كقوله

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦: واختلفت الرواية في بيع رباع مكة، وإجارة دورها. فروي أن ذلك غير جائز. وهو قول أبي حنيفة، ومالك، والثوري، وأبي عبيد.
وكرهه إسحاق لما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «مكة حرام بيع رباعها، حرام إجارتها» رواه سعيد بن منصور، كسائر الأرض التي فتحها المسلمون عنوة، ولم يقسموها والدليل على أن مكة فتحت عنوة، قوله ﷺ: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلّط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار» متفق عليه. ولذلك أمر النبي ﷺ، بقتل أربعة، فقتل منهم ابن خطل، ومقيس بن صبابة، وهذا يدل على أنها فتحت عنوة.
والرواية الثانية، أنه يجوز بيع رباعها، وإجارة بيوتها. روي ذلك عن طاوس وعمرو بن دينار وهذا قول الشافعي وابن المنذر. وهو أظهر في الحجة، لأن النبي ﷺ لما قيل له: أين ننزل غداً؟ قال: «وهل ترك لنا عقيل من رباع؟» متفق عليه يعني أن عقيلاً باع رباع أبي طالب، لأنه ورثه دون إخوته، لكونه كان على دينه دونهما، فلو كانت غير مملوكة، لما أثر بيع عقيل شيئاً، ولأن أصحاب النبيّ ﷺ كانت لهم دور بمكة لأبي بكر، والزبير، وحكيم، فمنهم من باع ومنهم من ترك داره، فهي في يد أعقابهم ولم يزل أهل مكة يتصرفون في دورهم تصرف الملاّك بالبيع وغيره، ولم ينكره منكر، فكان إجماعاً. وكونها فتحت عنوة، الصحيح الذي لا يمكن دفعه إلا أنّ النبي ﷺ أقر أهلها فيها على أملاكهم ورباعهم. وعلى القول الأول: إن سكن بأجرة فأمكنه أن لا يدفع إليهم الأجرة، جاز له ذلك وقد روي أن سفيان سكن في بعض رباع مكة، وهرب، ولم يعطهم أجرة فأدركوه فأخذوها منه. وذُكر لأحمد فعل سفيان، فتبسم، فظاهر هذا، أنه أعجبه. قال ابن عقيل: والخلاف في غير مواضع المناسك، أما بقاع المناسك كموضع السعي والرمي فحكمه حكم المساجد، بغير خلاف.

تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[١]، وأنشدوا:

بِـوَادٍ يَـمَـانٍ يُـنْـبِـتُ الـشَّـثَّ صَـدْرُهُ وأسْـفَـلُـهُ بـالـمَـرْخِ والـشَّـبَـهـانِ[٢]

المعنى: وأسفَلُهُ يُنبِتُ المَرْخَ؛ وقال آخر:

هُـنَّ الـحَـرائِـرُ لاربَّـاتُ أخْـمِـرَةٍ سُـودُ الـمَحَاجِـرِ لا يَـقْـرأنَ بـالـسُّـوَرِ[٣]

وقال آخرُ:

نـحـنُ بَـنُـو جَـعْـدَةَ أربَـابُ الـفَـلَـج نَـضـرِبُ بـالـسَّـيـفِ ونَـرجُـو بـالـفَـرَج[٤]

هذا قولُ جمهور اللغويين. قال ابنُ قُتَيبةَ: والباءُ قد تُزادُ في الكلام، كهذه الآيةِ، وكقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[٥] ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[٦] ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝﴾[٧] ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[٨] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾[٩] أي: يشربُها؛ وقد تُزاد «من»، كقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾[١٠]، وتُزاد «اللام» كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[١١]، والكاف، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١٢]، و«عن»، كقوله تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[١٣]، و«إنَّ»، كقوله تعالى ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[١٤] و«إنْ» الخفيفة، كقوله تعالى: ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾[١٥]، و«ما»، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[١٦]، و«الواو»، كقوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ﴾[١٧].

وفي المراد بهذا الإلحَادِ خمسةُ أقوالٍ[١٨]: **أحدها**: أنه الظُّلمُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: هو عملُ سيئةٍ؛ فعلى هذا تدخلُ فيه جميعُ المعاصي، وقد رُوي عن عمرَ بنِ الخطَّابِ أنه قال: لا تَحتكِروا الطعامَ بمكَّةَ، فإنَّ احتِكَارَ الطعام بمكَّةَ إلحَادٌ بظُلم. **والثاني**: أنه الشِّركُ، رواه ابنُ أبي طلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال الحَسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: الشِّركُ والقَتْلُ، قاله عطاءٌ. **والرابع**: أنه استِحلالُ محظُوراتِ الإحرَامِ، وهذا المعنى مَحكِيٌّ عن عطاءٍ أيضاً. **والخامس**: استِحلالُ الحَرامِ تعمُّداً، قاله ابنُ جُريجٍ.

---

(١) سورة المؤمنون: ٢٠.

(٢) البيت: للأحول اليشكري واسمه يعلى كما في «اللسان» ـ شث ـ و «مجاز القرآن» ٢/ ٤٨ والشّث: شجر طيب الريح، مُرُّ الطعم يدبغ به. والمرخ: شجر كثير الوَرْي سريعه، وفي المثل: في كل شجرٍ نار، واستمجد المَرْخ والعفار واستمجد: استفضل، ومنه الزناد الذي يقتدح به. والشبهان: نبت يشبه الثُّمام.

(٣) البيت في «اللسان» ـ سور ـ و «مجاز القرآن» ١/ ٤ و «الخزانة» ٣/ ٦٦٨.

(٤) البيت لراجز من بني جعدة كما في «الخزانة» ٤/ ١٥٩.

(٥) سورة العلق: ١. (٦) سورة مريم: ٢٤. (٧) سورة القلم: ٦.

(٨) سورة الممتحنة: ١. (٩) سورة الإنسان: ٦. (١٠) سورة الذاريات: ٥٧.

(١١) سورة الأعراف: ١٥٤. (١٢) سورة الشورى: ١١. (١٣) سورة النور: ٦٣.

(١٤) سورة الجمعة: ٨. (١٥) سورة الأحقاف: ٢٦. (١٦) سورة المؤمنون: ٤٠.

(١٧) سورة الصافات: ١٠٣، ١٠٤.

(١٨) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٣٢: وأولى الأقوال بالصواب قول ابن عباس وابن مسعود: من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عمّ بقوله ﴿ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم﴾ ولم يخصص، فهو على عمومه.

فإن قيل: هل يُؤاخَذُ الإنسانُ إنْ أراد الظُّلمَ بمكَّةَ، ولم يفعَلْهُ؟ فالجواب مِنْ وجهين: **أحدهما**: أنه إذا هَمَّ بذلك في الحَرم خاصَّةً، عُوقِبَ، هذا مذهبُ ابنِ مسعودٍ، فإنه قال: لو أنَّ رجلاً هَمَّ بخطيئةٍ، لم تُكتَبْ عليه ما لم يعمَلْهَا، ولو أنَّ رجلاً هَمَّ بقتلِ مؤمنٍ عند البيت، وهو بـ «عَدَنِ أَبْيَن»، أذاقَهُ اللهُ في الدنيا مِنْ عذابٍ أليم. وقال الضَّحَّاكُ: إنَّ الرجلَ لَيهمُّ بالخطيئةِ بمكَّةَ وهو بأرضٍ أخرى، فتُكتَبُ عليه ولم يعمَلْها. وقال مُجاهِدٌ: تُضاعَفُ السيئاتُ بمكَّةَ، كما تُضاعَفُ الحسناتُ. وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ: هل تُكتَبُ السيئةُ أكثرَ مِنْ واحدةٍ؟ فقال: لا، إلاَّ بمكَّةَ لتعظيم البلدِ. وأحمدُ على هذا يرى فضيلةَ المُجاورةِ بها؛ وقد جاورَ جابرُ بنُ عبدِ الله، وكان ابنُ عمرَ يُقيم بها[1]. **والثاني**: أنَّ معنى: «ومَنْ يُرِدْ»: مَنْ يعمَلْ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: هذا قولُ سائرِ مِنْ حَفِظْنا عنه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: جعلنا. وقال مُقاتِلٌ: دَلَلْناهُ عليه، وقال ثَعلَبُ: وإنما أدخلَ اللامَ، على أنَّ «بوَّأنا» في معنى: جَعلنا، فيكون بمعنى «رَدِفَ لكم»[2] أي: رَدِفَكم. وقد شرحنا كيفيةَ بناءِ البيتِ في سُورةِ البقرة[3]. قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ حرَّكَ هذه الياءَ، نافعٌ وحَفصٌ عن عاصِمٍ. وقد شرحنا الآيةَ في البَقرة[4]. وفي المُراد بـ «القائمين» قولان: **أحدهما**: القائمون في الصَّلاةِ، قالهُ عطاءٌ، والجمهور. **والثاني**: المُقيمون بمكَّةَ، حُكيَ عن قَتادَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا فَرَغَ إبراهيمُ مِنْ بناءِ البيت، أمَرَهُ اللهُ تعالى أنْ يُؤذِّنَ في الناس بالحَجِّ، فقال إبراهيمُ: يا ربِّ، وما يَبلُغُ صوتي؟ قال: أذِّنْ، وعليَّ البَلاغُ، فَعلا على جبلِ أبي قُبَيسٍ، وقال: يا أيُّها الناسُ: إنَّ ربَّكُم قد بَنَى بيتاً، فحُجُّوه، فأسمَعَ مَنْ في أصلابِ الرجال وأرحامِ النساءِ مِمَّنْ سبقَ في عِلمِ الله أنْ يَحُجَّ، فأجابُوه: لَبَّيكَ اللهُمَّ لَبَّيك. والأذانُ بمعنى النِّداءِ والإعلام، والمأمورُ بهذا الأذانِ، إبراهيمُ في قولِ الجمهور، إلاَّ ما رُويَ عن الحسَنِ أنه قال: المأمورُ به محمَّدٌ ﷺ والناسُ ها هنا: اسمٌ يعُمُّ جميعَ بني آدمَ عند الجمهور، إلاَّ ما رَوى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ أنه

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ٤٦٤: قال أحمد: كيف لنا بالجوار بمكة! قال النبي ﷺ: «إنك لأحب البقاع إلى الله عز وجل، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». وإنما كره الجوار بمكة لمن هاجر منها، وجابر بن عبد الله جاور بمكة، وجميع أهل البلاد ليس بمنزلة من يخرج ويهاجر. أي لابأس به. وكان ابن عمر يقيم بها. قال: والمقام بالمدينة أحب إلي من المقام بمكة لمن قوي عليه، لأنها مهاجر المسلمين. وقال النبي ﷺ: «لا يصبر أحد على لأوائها وشدّتها إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة».

(٢) سورة النمل: ٧٢. (٣) سورة البقرة: ١٢٩. (٤) سورة البقرة: ١٢٥.

قال: عَنَى بالناس أهلَ القِبْلَةِ.

واعلَمْ أنَّ مَنْ أتى البيتَ الذي دَعا إليه إبراهيمُ، فكأنه قد أتى إبراهيمَ، لأنه أجابَ نداءَهُ. وواحدُ الرجال ها هنا: رَاجِلٌ، مثل صاحب، وصِحَاب، والمعنى: يأتوكَ مُشَاةً. وقد رُوي أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ حَجَّا ماشِيَيْنِ، وحَجَّ الحسَنُ بنُ عليٍّ خمساً وعشرين حِجَّةً ماشياً مِنَ المدينة إلى مكَّةَ، والنَّجَائبُ تُقَادُ معه. وحجَّ الإمامُ أحمدُ ماشياً مرَّتين أو ثلاثاً[١].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: رُكبَاناً على ضُمَّرٍ مِنْ طُولِ السفر. قال الفَرَّاءُ: «ويأتين» فِعلٌ للنُّوقِ. وقال الزَّجَّاجُ: «يأتين» على معنى الإبلِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلَةَ: «يأتون» بالواو.

قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريقٍ بعيدٍ. وقد ذكرنا تفسيرَ الفَجّ عندَ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ أي: لِيَحضُروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: التِّجارة، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: منافعُ الآخرة، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، والزَّجَّاجُ في آخرين. **والثالث**: منافع الدَّارَيْنِ جميعاً، قاله مُجاهِدٌ. وهو أصحُّ، لأنه لا يكون القَصْدُ للتجارة خاصَّةً، وإنما الأصل قَصْدُ الحَجِّ؛ والتجارةُ تَبَعٌ.

وفي الأيام المَعلوماتِ ستةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنها أيامُ العَشْرِ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عمرَ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وعطاءٌ، وعِكرمَةُ ومُجاهِدٌ، وقتادَةُ والشَّافعيُّ. **والثاني**: تسعةُ أيامٍ مِنَ العَشرِ، قاله أبو موسى الأشعَريُّ. **والثالث**: يوم الأضحى وثلاثةُ أيام بعدَهُ، رواه نافعٌ عن ابنِ عمرَ، ومِقْسَمٌ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنها أيامُ التَّشريقِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ الخُراسَانيُّ، والنَّخعيُّ، والضَّحَّاكُ. **والخامس**: أنها خمسةُ أيام، أوَّلُها يومُ التَّرويَةِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والسادس**: ثلاثة أيام، أوَّلُها يومُ عَرفَةَ، قاله مالكُ بنُ أنس. وقيلَ: إنما قال: «معلومات»، لِيُحرَصَ على عِلمِها بحسَابِها مِنْ أجل وقتِ الحَجِّ في آخرِها. قال الزَّجَّاجُ: والذِّكرُ هاهنا يدلُّ على التسمية على ما يُنحَرُ، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ قال القاضي أبو يعلَى: ويحتمل أنْ يكونَ الذِّكرُ المذكورُ هاهنا: هو الذِّكرُ على الهَدَايا الواجبة، كالدَّم الواجبِ لأجلِ التَّمتُّعِ والقرآن، ويحتمل أنْ يكونَ الذِّكرُ المفعولُ عند رَمي الجِمَارِ وتكبيرِ التَّشريقِ، لأنَّ الآيَةَ عامَّةٌ في ذلك.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٣٩: لا خلاف في جواز الركوب والمشي. واختلفوا في الأفضل منهما فذهب مالك والشافعي في آخرين إلى أن الركوب أفضل، اقتداء بالنبي ﷺ، ولكثرة النفقة ولتعظيم شعائر الحج بأهبة الركوب.

(٢) قال أبو جعفر رحمه الله في «تفسيره» ٢/٣١٧: وصف الله جلّ ذكره ﴿المعلومات﴾ بأنها أيام يذكر اسم الله على بهائم الأنعام. فكان معلوماً، إذ قال ﷺ لأيام التشريق إنها أيام أكل وشرب وذكر الله فأخرج قوله: «وذكر الله» مطلقاً بغير شرط، ولا إضافة إلى أنه الذكر على بهائم الأنعام، أنه عنى بذلك الذكر الذي ذكره الله في كتابه، فأوجبه على عباده مطلقاً بغير شرط، ولا إضافة إلى معنى في «الأيام المعدودات». ويعني جل ذكره: اذكروا الله بالتوحيد والتعظيم في أيام محصيات، وهي أيام رمي الجمار. وإنما قلنا إن «الأيام المعدودات» هي أيام منى وأيام رمي الجمار، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول فيها: إنها أيام ذكر الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يعني: الأنعامُ التي تُنحرُ؛ وهذا أمرُ إباحَةٍ. وكان أهلُ الجاهليَّةِ لا يستَحِلُّون أكْلَ ذبائِحِهم، فأعلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ ذلك جائزٌ[1]، غيرَ أنَّ هذا إنما يكون في الهَدْيِ المُتطوَّعِ به، فأمَّا دم التمتُّعُ والقِرَانُ فعندنا أنه يجوز أن يأكلَ منه، وقال الشَّافعيُّ: لا يجوز، وقد رَوى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: مِنْ كلِّ الهَدْيِ يُؤكَلُ، إلاَّ ما كان مِنْ فِدَاءٍ أو جَزاءٍ أو نَذْرٍ. فأما «البائس» فهو ذو البُؤسِ، وهو شدَّةُ الفقر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: حَلْقُ الرأس، وأخذُ الشَّارِبِ، ونَتفُ الإبطِ، وحَلقُ العَانَةِ، وقصُّ الأظفَارِ، والأخذُ مِنَ العارِضَيْنِ، ورَميُ الجِمَارِ، والوقوفُ بعرَفَةَ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مناسِكُ الحَجِّ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وهو قولُ ابنِ عمرَ. **والثالث**: حَلْقُ الرأس، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: الشَّعرُ، والظُّفرُ، قاله عِكرمَةُ.

والقول الأول أصحُّ، لأنَّ التَّفَثَ: الوَسخُ، والقَذارَةُ: مِنْ طولِ الشَّعرِ والأظفَارِ والشَّعَثِ. وقضاؤه: نَقضُه، وإذهابُه، والحاجُّ مُغبَرٌ شَعثٌ لم يدَّهِنْ، ولم يَستَحِدَّ، فإذا قَضى نُسكَهُ، وخرج مِنْ إحرامِهِ بالحَلْقِ، والقَلْمِ، وقصِّ الأظفَارِ، ولبسِ الثياب، ونحوِ ذلك، فهذا قضاءُ تَفَثِه. قال الزَّجَّاجُ: وأهل اللغة لا يعرفون التَّفَثَ إلاَّ مِنَ التفسير، وكأنه الخُروجُ مِنَ الإحرام إلى الإحلالِ.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ولْيوفّوا» بتسكينِ اللام وتشديدِ الفاء. وقال ابنُ عباسٍ: هو نَحْرُ ما نَذَروا مِنَ البُدْنِ. وقال غيرُهُ: ما نَذَروا مِنْ أعمالِ البِرِّ في أيام الحَجِّ، فإنَّ الإنسان ربَّما نَذَرَ أنْ يتصدَّقَ إنْ رزقَهُ رُؤيَةَ الكعبةِ، وقد يكون عليه نُذورٌ مُطلَقَةٌ، فالأفضل أنْ يُؤدِّيَها بمكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هذا هو الطَّوافُ الواجبُ، لأنه أُمِرَ به بعد الذَّبحِ، والذبح إنما يكون في يوم النَّحرِ، فدَلَّ على أنه الطَّوافُ المَفروضُ.

وفي تسمية البيت عَتيقاً أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأنَّ الله تعال أعتقَهُ مِنَ الجَبابرَةِ.

[١٠٠٧] روى عبدُالله بنُ الزُّبيرِ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنما سمَّى اللهُ البيتَ: العَتِيقَ، لأنَّ الله

[١٠٠٧] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٧٠ والحاكم ٢/ ٣٨٩/ ٣٤٦٥ والطبري ٢٥١١٧ من حديث عبد الله بن الزبير. صححه الحاكم على شرط البخاري، وقال الترمذي: حسن صحيح.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٣٧٩: والاستحباب أن يأكل ثلث أضحيته، ويهدي ثلثها، ويتصدق بثلثها، ولو أكل أكثر جاز. والأمر للاستحباب في قوله: **﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾** قال أحمد: نحن نذهب إلى حديث عبد الله: يأكل هو الثلث، ويطعم من أراد الثلث، ويتصدق على المساكين بالثلث. قال علقمة: بعث معي عبد الله بهديةٍ فأمرني أن آكل ثلثاً، وأن أرسل إلى أخيه بثلث، وأن أتصدق بثلث. وعن ابن عمر قال: الضحايا والهدايا ثلث لك، وثلث لأهلك، وثلث للمساكين، وهذا قول إسحاق، وأحد قولي الشافعي. وقال في آخر: يجعلها نصفين، يأكل نصفاً ويتصدّق بنصف. وقال أصحاب الشافعي: يجوز أكلها كلها. وقال أصحاب الرأي: ما كثر من الصدقة فهو أفضل، لأن النبي ﷺ أهدى مائة بدنة، وأمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، فأكل هو وعليٌّ من لحمها، وحسيا من مرقها. ونحر خمس بدنات أو ست بدنات، وقال: «من شاء فليقتطع». ولم يأكل منهن شيئاً. لأنها ذبيحة يتقرب إلى الله تعالى بها، فلم يجب الأكل منها. والأمر للاستحباب أو للإباحة.

أعتقَهُ مِنَ الجَبابِرةِ، فلم يَظْهَرْ عليه جبّارٌ قطُّ» وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وقَتادَةَ.

والثاني: أنَّ معنى العَتِيق: القدِيم، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: لأنه لم يُملَكْ قَطُّ، قاله مجاهِدٌ في روايةٍ، وسُفيانُ بنُ عُيينَةَ. **والرابع**: لأنه أُعتِقَ مِنَ الغرَقِ زمانَ الطُّوفان، قاله ابنُ السَّائبِ، وقد تكلَّمنا في هذه السُّورةِ في «لِيَقضوا» «وليُوفوا» «وليُطوفوا».

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك، يعني: ما ذكرَ مِنْ أعمال الحجِّ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فيجتنبَ ما حرَّمَ اللهُ عليه في الإحرَام تعظيماً لأمرِ اللهِ. قال اللَّيْثُ: الحُرمَةُ: ما لا يَحِلُّ انتهاكُه. وقال الزَّجَّاجُ: الحُرمَةُ: ما وَجبَ القِيامُ به، وحَرُمَ التَّفريطُ فيه. قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعني: التَّعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وقد سبقَ بيانُها[1] ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمُه، يعني به: ما ذُكِرَ في سُورةِ المائِدة من المنخنقة وغيرها. وقيل: وأحلت لكم الأنعام في حالِ إحرَامِكم، إلاَّ ما يُتلى عليكم في الصَّيدِ، فإنه حَرامٌ. قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: دَعُوهُ جانباً، قال الزَّجَّاجُ: و«مِن» ها هنا، لِتَخليص جنسٍ مِنَ الأجناس، المعنى: فاجتنِبُوا الرِّجسَ الذي هو وَثَنٌ. وقد شرحنا معنى الرِّجسِ في المائِدة[2]. وفي المراد بقول الزُّورِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: شهادةُ الزورِ، قال ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: الكذبُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الشِّركُ، قاله أبو مالكٍ. **والرابع**: أنه قولُ المشركين في الأنعَام: هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ، قاله الزَّجَّاجُ، قال: وقوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ منصوبٌ على الحالِ، وتأويلُه: مسلمين لا يُنسَبون إلى دِينٍ غيرِ الإسلام. ثم ضربَ اللهُ مَثَلاً للمُشرِكِ، فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَحِيقٍ﴾، والسَّحِيقُ: البعيد.

واختلفوا في قراءة «فتخطَفُه» فقرأ الجمهورُ: «فتخطَفُه» بسكونِ الخاء مِنْ غير تشديدِ الطاء. وقرأ نافعٌ: بتشديدِ الطاء، وقرأ أبو المُتوكِّلِ، ومعاذٌ القارئ: بفتح التاء والخاء وتشديدِ الطاء ونصبِ الفاء. وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني: بكسرِ التاء والخاء وتشديدِ الطاء ورفعِ الفاء. وقرأ

= وقد روي عن الزهري مرسلاً. ومرسل الزهري أخرجه الطبري ٢٥١١٨ والمرفوع المتصل ضعيف، لأن مداره على عبد الله بن صالح كاتب الليث، وقع له مناكير بسبب جار له، كان يدس في كتبه. كما قال العلماء، راجع «الميزان». وذكر ابن كثير الاختلاف فيه، فروي متصلاً ومرسلاً وموقوفاً على ابن الزبير وموقوفاً على مجاهد، فالحديث ضعيف، والأشبه أن يكون موقوفاً، ولو صح ما اختلفوا في سبب تسميته والله أعلم. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٤١٨ بتخريجنا.

---

(١) في سورة المائدة: ١.
(٢) سورة المائدة: ٩٠.

الحَسنُ، والأعمَشُ: بفتح التاء وكسرِ وتشديدِ الطاء ورفع الفاء. وكُلُّهم فَتَحَ الطاءَ. وفي المراد بهذا المَثَلِ قولان: **أحدهما**: أنه شَبَّه المُشركَ بالله في بُعدِه عن الهُدى وهَلاكِه، بالذي يَخِرُّ مِنَ السماء، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه شَبَّهَ حالَ المُشركِ في أنه لا يَملكُ لنفسه نَفْعاً ولا دَفعَ ضُرٍّ يومَ القيامة، بحالِ الهَاوِي مِنَ السماء، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذكرناهُ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قد شرحنا معنى الشَّعائِر في البقرة[1]. وفي المُراد بها هاهنا قولان: **أحدهما**: أنها البُدْنُ. وتعظيمُها: استحسانها واستِسمَانُها ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ قبل أنْ يُسمِّيَها صاحبُها هَدْياً، أو يُشعِرَها ويُوجِبَها، فإذا فعل ذلك، لم يكُنْ له مِنْ منافعها شيءٌ، روى هذا المعنى مِقْسَمٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. وقال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ: لكم في هذه الهَدايا منافعُ بعد إيجابِها وتسميتِها هدايَا إذا احتَجْتُم إلى شيءٍ مِنْ ذلك أو اضطُرِرتُم إلى شُربِ ألبانِها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أنْ تُنحَرَ. **والثاني**: أنَّ الشعائِرَ: المَناسك ومَشاهِدُ مكَّةَ؛ والمعنى: لكم فيها منافعُ بالتجارة إلى أجَلٍ مُسمَّىً، وهو الخروجُ مِنْ مكَّةَ، رواه أبو رَزِينٍ عن ابنِ عباسٍ. وقيلَ: لكم فيها منافعُ مِنَ الأجْرِ، والثوابِ في قضاءِ المَناسِكِ إلى أجَلٍ مُسَمّىً، وهو انقضاءُ أيامِ الحَجِّ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ يعني الأفعالَ المذكورة، مِن اجتِنابِ الرِّجسِ وقولِ الزُّورِ، وتعظيم الشعَائِرِ. وقال الفَرَّاءُ: «فإنها» يعني الفِعْلَةَ ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، وإنما أضافَ التقوى إلى القلوب، لأنَّ حقيقةَ التقوى تقوى القلوب. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: حيثُ يَحِلُّ نحرُها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: عندَ البيت، والمراد به: الحَرَمُ كُلُّه[2]، لأنَّا نعلَمُ أنها لا تُذبَحُ عندَ البيت، ولا في المَسجدِ، هذا على القولِ الأوَّلِ، وعلى الثاني، يكون المعنى: ثمَّ مَحِلُّ الناس مِنْ إحرامِهم إلى البيتِ، وهو أنْ يَطُوفوا به بعدَ قضاءِ المَناسِكِ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ، وبعضُ أصحاب أبي عمروٍ بكسرِ السين، وقرأ الباقون بفتْحِها: فمَنْ أراد المَصدَرَ، مِنْ نَسَكَ يَنْسُكُ، ومَنْ كَسرَ أراد مكانَ النَّسْكِ كالمَجلِسِ والمَطْلِعِ. ومعنى الآية: لكلِّ جماعةٍ مؤمنةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّالفَةِ جعلنا ذَبحَ القَرابين ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾، وإنما خَصَّ بهيمةَ الأنعام، لأنها المَشروعَةُ في القُرَبِ. والمراد مِنَ الآية: أنَّ الذبائحَ ليست مِنْ خصائص هذه الأمَّةِ، وأنَّ التَّسميةَ عليها كانت مشروعةً قبلَ هذه الأمَّةِ. قوله تعالى: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: لا ينبغي أنْ تَذكُروا على ذَبائِحِكُم سِواهُ ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي: انقَادُوا واخضَعُوا. وقد ذكرنا معنى الإخبَاتِ في سُورةِ هودٍ[3]. وكذلك ألفاظُ الآيةِ التي تَلِي هذه.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٨.

(٢) تقدم الكلام عن محل الذبح في سورة المائدة.

(٣) سورة هود: ٢٣.

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى؛ ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ وقرأ الحسَنُ، وابنُ يعمَرَ برفع الدال. قال الفَرَّاءِ: يُقال: بُدْن وبُدُن، والتخفيفُ أجوَدُ وأكثرُ، لأنَّ كلَّ جمعٍ كان واحدُهُ على «فَعلَة» ثم ضُمَّ أولُ جمعِه، خُفِّفَ، مثل: أَكَمَة وأُكْم، وأَجَمَة وأُجْم، وخَشَبَة وخُشْب. وقال الزَّجَّاجُ: «البُدْنَ» منصوبةٌ بفعلٍ مُضمَرٍ يفسِّرُهُ الذي ظهرَ، والمعنى: وجعلنا البُدْنَ؛ وإنْ شئتَ رَفعتَها على الاستِئنَافِ، والنَّصبُ أحسنُ؛ ويُقال: بُدْن وبُدُن وبَدَنَة، مثل قولك: ثُمْر وثُمُر وثَمَرة؛ وإنما سُمِّيَتْ بَدَنَة، لأنها تَبْدُنُ، أي: تَسْمُنُ.

وللمفسِّرين في البُدْنِ قولان: **أحدهما**: أنها الإبِلُ والبَقَرُ، قاله عطاءٌ. **والثاني**: الإبلُ خاصَّةً، حكاه الزَّجَّاجُ، وقال: الأولُ قولُ أكثرِ فقهاء الأمصَارِ. قال القاضي أبو يَعلَى: البُدْنَةُ: اسمٌ يختصُّ الإبلَ في اللغة، والبقرةُ تقوم مقامَها في الحُكم.

[١٠٠٨] لأنَّ النبيَّ ﷺ جعلَ البدنَة عن سبعةٍ والبقرةَ عن سبعةٍ.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: جعلنا لكم فيها عبادةَ الله، مِنْ سَوْقِها إلى البيت، وتقليدِها، وإشعَارِها[١]، ونَحرِها، والإطعام منها، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ وهو النَّفعُ في الدنيا والأجرُ في الآخرة، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: على نَحرِها، ﴿صَوَآفَّ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وقتادةُ: «صَوافِن» بالنون. وقرأ الحسَنُ، وأبو مِجلَز، وأبو العَالِيةِ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يعمَرَ: «صَوافي» بالياء. وقال الزَّجَّاجُ: «صَوافَّ» منصوبةٌ على الحَالِ، ولكنها لا تُنوَّنُ لأنها لا تَنصرِفُ؛ أي: قد صُفَّتْ قوائِمُها[٢]، والمعنى: اذكرُوا اسمَ الله عليها في حالِ نَحرِها[٣]؛ والبَعيرُ يُنحَرُ قائماً، وهذه الآيةُ تدلُّ

[١٠٠٨] صحيح. أخرجه مسلم ١٣١٨ ح ٣٥٠ وأبو داود ٢٨٠٩ والترمذي ٩٠٤ وابن ماجه ٣١٣٢ والبغوي ١١٣٠ وابن حبان ٤٠٠٦ والبيهقي ٥/ ١٦٨ ـ ١٦٩ و ٢١٦ و ٢٣٤ و ٩/ ٢٩٤ من حديث جابر أنه قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية البقرة عن سبعة، والبدنة عن سبعة. لفظ مسلم.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ٤٥٥ فصل: ويسن إشعار الإبل والبقر، وهو أن يشق صفحة سنامها الأيمن حتى يدميها في قول عامة أهل العلم، وقال أبو حنيفة: هذا مثله غير جائز لأن النبي ﷺ نهى عن تعذيب الحيوان، ولأنه إيلام، فهو كقطع عضو منه. وقال مالك: إن كانت البقرة ذات سنام، فلابأس بإشعارها، وإلا فلا، ولنا ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: فتلت قلائد هدي النبي ﷺ ثم أشعرها وقلدها. متفق عليه، ورواه ابن عباس وغيره، وفعله الصحابة، فيجب تقديمه على عموم ما احتجوا به. . . إذا ثبت هذا فالسنة الإشعار في صفحتها اليمنى، وبهذا قال الشافعي وأبو ثور، وقال مالك وأبو يوسف: بل تشعر في صفحتها اليسرى وعن أحمد مثله.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ٢٩٨: والسنة نحر الإبل قائمة معقولة يدها اليسرى، فيضربها بالحربة في الوهدة التي بين أصل العنق والصدر. وممن استحب ذلك مالك، والشافعي وإسحاق، وابن المنذر. واستحب عطاء نحرها باركة. وجوّز الثوري وأصحاب الرأي كل ذلك. ولنا، ما روى زياد بن جبير، =

على ذلك. ومَنْ قرأ: «صوافن» فالصَّافِنُ: التي تقوم على ثلاثٍ، والبَعيرُ إذا أرادوا نَحرَهُ، تُعقَلُ إحدى يديه، فهو الصَّافِنُ، والجميع: صَوَافِنُ. هذا ومَنْ قرأ: «صوافي» بالياء وبالفتح بغير تنوين، فتفسيرُه: خَوالِصُ، أي: خالصَةٌ لله لا تُشرِكوا به في التَّسميةِ على نَحرِها أحداً. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: إذا سقطَتْ إلى الأرض، يُقال: وَجَبَ الحائِطُ وَجْبَةً، إذا سقطَ. ووجَبَ القلبُ وَجيباً: إذا تحرَّكَ مِنْ فَزَعٍ. واعلَمْ أنَّ نحرَها قياماً سُنَّةٌ، والمُراد بوقُوعِها على جنُوبِها: مَوتُها، والأمرُ بالأكْلِ منها أمرُ إباحَةٍ، وهذا في الأضاحِي.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ وقرأ الحَسنُ: «والمُعْتَرِ» بكسرِ الراء خفيفةً. وفيهما ستةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنَّ القَانِع: الذي يَسألُ، والمُعْتَرّ السَّائلُ الذي يتعرَّضُ ولا يسألُ، رواه بكرُ بنُ عبدالله

= قال: رأيت ابن عمر أتى على رجلٍ أناخ بدنته لينحرها، فقال: ابعثها قياماً مقيّدة، سنة محمد ﷺ. متفق عليه. وفي قوله تعالى: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ دليل على أنها تنحر قائمة. وتجزئه كيفما نحر. قال أحمد: ينحر البُدن معقولةً على ثلاث توائم، وإن خشي عليها أن تنفر أناخها. وقال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ٩/ ٦٩: يستحب نحر الإبل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى. وأما البقر والغنم فيستحب أن تذبح مضطجعة على جنبها الأيسر، وتترك رجلها اليمنى، وتشد قوائمها الثلاث، وهو مذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور، وقال أبو حنيفة والثوري: يستوي نحرها قائمة وباركة، وحكى القاضي ـ عياض ـ عن طاوس أن نحرها باركة أفضل، وهذا مخالف للسنة، والله أعلم.

(٣) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٣/ ٣٨٤: وإذا مضى من نهار يوم الأضحى مقدار صلاة العيد وخطبته، فقد حل الذبح، ولا يعتبر نفس الصلاة، ولا فرق في هذا بين أهل المصر وغيرهم. وهذا مذهب الشافعي، وابن المنذر، وظاهر كلام أحمد، وروي نحو هذا عن الحسن وقال أبو حنيفة: أما غير أهل الأمصار فأول وقتها في حقهم إذا طلع الفجر الثاني. ولنا لما روى البراء، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول نسكنا في يومنا هذا الصلاة، ثم الذبح، فمن ذبح قبل الصلاة، فتلك شاة لحم قدمها لأهله، ليس من النسك في شيء». ولنا آخر الذبح إلى آخر يومين من أيام التشريق نهاراً. لأن النبي ﷺ نهى عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث. ولا يجوز الذبح في وقت لا يجوز ادخار الأضحية إليه. ولأن اليوم الرابع لا يجب الرمي فيه، فلم تجز التضحية فيه، كالذي بعده. وممن قال بهذا القول من الصحابة ـ عمر، وعلي، وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة، وأنس وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة. ورُوي عن علي، آخره آخر أيام التشريق. وهو مذهب الشافعي، وقول عطاء، والحسن، لأنه رُوِي عن جبير بن مطعم، أن النبي ﷺ قال: «أيام منى كلها منحر». ولأنها أيام تكبير وإفطار، فكانت محلاً للنحر كالأولين. ويجوز الذبح ليلاً. وهو قول أصحابنا المتأخرين، وقول الشافعي وإسحاق، وأبي حنيفة وأصحابه. لأن الليل زمن يصح فيه الرمي، فأشبه النهار. وفي رواية عن أحمد لا يجوز الذبح في الليل وهو قول مالك، فعلى هذا إن ذبح ليلاً لم يجزئه عن الواجب، ولم تكن أضحية، فإن فرقها حصلت القربة بتفريقها، دون ذبحها.

(فائدة) قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ١١/ ١٣٤ عقب الحديث عن ثوبان قال: ذبح رسول الله ﷺ ضحيته ثم قال: «يا ثوبان أصلح لحم هذا» فلم أزل أطعمه منها حتى قدم المدينة:

فيه تصريح بجواز ادخار لحم الأضحية فوق ثلاث، وجواز التزود منه، وفيه أن الادخار والتزود في الأسفار لا يقدح في التوكل، ولا يخرج صاحبه عن التوكل، وفيه أن الضحية مشروعة للمسافر كما هي مشروعة للمقيم، وهذا مذهبنا، وبه قال جماهير العلماء، وقال النخعي وأبو حنيفة: لا ضحية على المسافر وروي هذا عن علي، وقال مالك وجماعة: لا تشرع للمسافر بمنى ومكة.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٥٩: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال عني بالقانع: السائل، لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال، والمعتر من الاعترار وهو الذي يتعرض لأكل اللحم، فيأتيك معتراً بك =

عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ، واختاره الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنَّ القَانِعَ، المُتَعفِّفُ، والمُعْتَرّ: السَّائل، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والنَّخعيُّ. وعن الحَسنِ كالقولَين. **والثالث**: أنَّ القَانِعَ: المُستَغني بما أعطَيتَهُ وهو في بيتِه؛ والمُعْتَرُّ: الذي يتعرَّضُ لكَ ويُلِمُّ بكَ ولا يسأَلُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: القَانِعُ: جارُكَ الذي يقنَعُ بما أعطَيْتَهُ، والمُعْتَرُّ: الذي يَتعرَّضُ ولا يسأَلُ، وهذا مذهبُ القُرَظيِّ. فعلى هذا يكون معنى القَانِع: أنْ يقنَعَ بما أُعطِيَ. ومَنْ قال: هو المُتعفِّفُ، قال: هو القَانِعُ بما عنده. **والرابع**: القَانِعُ: أهلُ مكَّةَ، والمُعْتَرُّ: الذي يَعتَرُّ بهم مِنْ غير أهلِ مكَّةَ، رواه خُصَيفٌ عن مُجاهِدٍ. **والخامس**: القَانِعُ: الجَارُ وإنْ كان غنيًّا، والمُعتَرُّ الذي يَعتَرُّ بكَ، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ. **والسادس**: القَانِعُ: المِسكينُ السَّائلُ، والمُعْتَرُّ: الصَّديقُ الزَّائرُ، قاله زيدُ بنُ أسلَمَ. قال ابنُ قُتيبةَ: يُقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً: إذا سأَلَ، وقَنِعَ يَقْنَع قَناعةً: إذا رَضِيَ، ويُقال في المُعْتَرِّ: اعترَّني واعترَاني وعَرَاني. وقال الزَّجَّاجُ: مذهبُ أهلِ اللغة أنَّ القَانِعَ: السَّائلُ، يُقال: قَنَع يَقْنَع قُنُوعاً: إذا سَأَلَ، فهو قَانِعٌ، قال الشَّمَّاخُ.

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ[1]

أي: مِنَ السُّؤالِ؛ ويُقال: قَنِعَ قَنَاعةً: إذا رَضِيَ، فهو قَنِعٌ، والمُعْتَرُّ والمُعتَرِي واحدٌ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلَ ما وَصَفنا مِنْ نَحرِها قائمةً ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ نِعمَةً مِنَّا عليكم لِتتمكَّنوا مِنْ نَحرِها على الوَجْهِ المَسنُونِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لِكَي تَشكُروا.

قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ وقرأ عاصِمٌ الجَحدَريُّ، وابنُ يعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ، ويعقوبُ: «لن تنال الله لحومُها» بالتاء «ولكن تناله التقوى» بالتاء أيضاً. سببُ نُزولِها أنَّ المشركين كانوا إذا ذَبحوا استقبَلُوا الكعبةَ بالدِّماء يَنضَحُونَ بها نحوَ الكَعبةِ، فأراد المسلمون أنْ يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ[2]. قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: لن تُرفعَ إلى الله لُحومُها ولا دِماؤُها، وإنما يُرفَعُ إليه التَّقوى؛ وهو ما أُرِيدَ به وَجهُه منكم، فمن قرأ «تناله» بالتاء فإنه أنَّثَ للفظ التقوى ومَنْ قرأَ «يناله» بالياء، فلأنَّ التقوى والتُّقى واحدٌ. والإشارةُ بهذه الآيةِ إلى أنه لا يَقبَلُ اللحومَ والدِّماءَ إذا لم تكُن صَادِرةً عن تقوى الله، وإنما يَتقبَّلُ ما يَتَّقُونَهُ به، وهذا تنبيهٌ على امتِناعِ قَبولِ الأعمال إذا عَريَتْ عن نيَّةٍ صحيحةٍ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا﴾ قد سبقَ تفسيرُه ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: على ما بَيَّنَ لكم وأرشَدَكُم إلى مَعالِمِ دِينِه ومناسِك حَجِّهِ، فذلك أنْ تقولَ: اللَّهُ أكبرُ على ما هَدَانا، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: المُوحِّدين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ

= لتعطيه وتطعمه. ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٠.

(١) في «اللسان» مفاقره: أي وجوه فقره، ويقال: سد الله مفاقره أي أغناه وسدّ وجوه فقره.

(٢) عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، ورواية أبي صالح الكلبيُّ، وهو كذاب.
وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر» ٤/ ٦٥٤ عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح.

ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ
وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألف وهذا على مصدر «دفع» وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «إن الله يدافع» بألِفٍ «ولولا دفع» بغيرِ ألِفٍ، وهذا على مصدَرِ «دافعَ» والمعنى: يَدفَعُ عن الذين آمنوا غائِلَةَ المشركين بمَنْعِهم منهم ونَصْرِهم عليهم. قال الزَّجّاجُ: والمعنى: إذا فَعلتُم هذا وخَالَفتُم الجاهليَّةَ فيما يفعلُونَهُ مِنْ نَحرِهم وإشرَاكِهم، فإنَّ الله يَدفعُ عن حِزْبِه، والـ «خَوَّان» فَعَّال مِنَ الخِيانَةِ، والمعنى: أنَّ مَنْ ذَكَرَ غيرَ اسمِ الله، وتَقرَّبَ إلى الأصنام بذَبيحَتِه، فهو خَوَّانٌ.

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «أَذِنَ» بفتحِ الألف. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «أُذِنَ» بضمِّها. قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بكسرِ التاء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: بفَتْحِها.

[١٠٠٩] قال ابنُ عباسٍ: كان مُشركو أهلِ مكَّةَ يُؤذونَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ فيقول لهم: «اصبِرُوا، فإنِّي لم أُومَرْ بالقتالِ» حتى هاجرَ رسولُ الله ﷺ، فأنزلَ اللَّهُ هذه الآيَةَ، وهي أولُ آيَةٍ أُنزِلت

[١٠٠٩] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٢١ وفي الوسيط ٣/ ٢٧٣ نقلاً عن المفسرين. ولم أره مرفوعاً صريحاً. وقال الحافظ في «تخريجه» ٣/ ١٦٠: لم أجده هكذا، وعزاه الواحدي في الوسيط للمفسرين اهـ. فالمراد بقول ابن حجر: «لم أجده هكذا» أي مسنداً. وقد ورد نحوه من مرسل قتادة أخرجه الطبري ٢٥٢٦١. وورد نحوه من مرسل مقاتل بن حيان أخرجه ابن أبي حاتم كما قال الحافظ في «تخريجه» ٣/ ١٦٠، فهذه الروايات واهية لا يحتج بشيء منها، والصواب أن الآية مدنية. والحديث الصحيح يؤيد ذلك. وهو ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم لَيَهْلكن فأنزل الله **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾** الآية فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال. أخرجه الترمذي ٣١٧١ والنسائي في «السنن» ٦/ ٥٢ و «التفسير» ٣٦٥ وأحمد ١/ ٢١٦ والحاكم ٢/ ٦٦ ـ ٩٤٦ ـ ٣٩٠ والطبري ٢٥٢٥٤ و ٢٥٢٥٥ والطبراني ١٢٣/١٧ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٩٤ من طرق عن الثوري عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وهذا إسناد على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه الطبري ٢٥٢٥٦ من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش به. وأخرجه الحاكم ٣/ ٧ من طريق شعبة عن الأعمش به. فهذه ثلاث طرق عن الأعمش فيها وصل الخبر. وورد مرسلاً، أخرجه الترمذي ٣١٧٢ والطبري ٢٥٢٥٣ عن الثوري عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير، وهذا مرسل، لكن القول قول من وصله لأنه زيادة جماعة الثقات. والموصول صححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وله شواهد مراسيل تعضده. فقد أخرجه الطبري ٢٥٢٥٩ و ٢٥٢٦٠ عن مجاهد مرسلاً. وورد من مرسل قتادة، أخرجه برقم ٢٥٢٦٢، فهذه الروايات تشهد لأصل الموصول المتقدم. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ١٦٧٩ و «أحكام القرآن» لابن العربي ١٥١٣.

في القتال. وقال مُجاهِدٌ: هم ناسٌ خرجوا مِنْ مكّةَ مُهاجرينَ، فأدركَهُم كفّارُ قُريشٍ، فأُذِنَ لهم في قِتالِهم. قال الزَّجّاجُ: معنى الآية: أُذِنَ للذين يُقاتَلُون أنْ يُقاتِلوا. ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي: بسبب ما ظَلَموا. ثم وَعدَهُمُ النَّصرَ بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ولا يجوز أنْ تقرأ بفتح «إن» هذه مِنْ غير خلافٍ بين أهلِ اللغة، لأنَّ «إنَّ» إذا كانت معها اللامُ، لم تُفتَحْ أبداً، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ معناه: أُخرِجوا لتوحِيدِهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ قد فسَّرناهُ في سُورةِ البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ: «لَهُدِمَتْ» خفيفةً، والباقون بتشديدِ الدَّالِ.

فأمَّا الصَّوامِعُ، ففيها قولان[2]: **أحدهما**: أنها صَوامِعُ الرُّهبانِ، قاله ابنُ عباسٍ، وأبو العَاليةِ، ومُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنها صَوامِعُ الصَّابِئِينَ، قاله قَتادَةُ، وابنُ قُتَيبةَ.

فأمَّا البِيَعُ، فهي جمعُ بِيعَةٍ، وهي بِيَعُ النَّصارى.

وفي المراد بالصَّلواتِ قولان: **أحدهما**: مَواضعُ الصَّلواتِ. ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنها كنائسُ اليهود، قاله قَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغويِّ، قال: قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ هي كَنائِسُ اليهود، وهي بالعِبرانيَّةِ «صلوثا». **والثاني**: أنها مساجدُ الصَّابِئين، قاله أبو العَالِيةِ. **والقول الثاني**: أنها الصَّلواتُ حقيقةً، والمعنى: لولا دَفْعُ الله عن المسلمين بالمُجاهِدِين؛ لانقطَعَتِ الصَّلواتُ في المساجِد، قاله ابنُ زيدٍ.

فأمَّا المساجدُ، فقال ابنُ عباسٍ: هي مساجدُ المسلمين. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: لولا دَفْعُ بعضِ الناس ببعضٍ لَهُدِّمَتْ في زمانِ موسى الكنائِسُ، وفي زمانِ عيسى الصَّوامِعُ والبِيَعُ، وفي زمانِ محمَّدٍ المساجدُ.

وفي قوله تعالى: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ قولان: **أحدهما**: أن الكناية ترجع إلى جميعُ الأماكِنِ المَذكُوراتِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: إلى المساجِدِ خاصَّةً، لأنَّ جميعَ المَواضعِ المذكورة، الغَالبُ فيها الشِّركُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ وشَرعَهُ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذه صفةُ ناصِرِيه. قال المُفسِّرون: التَّمكينُ في الأرض: نَصرُهُم على عَدُوِّهم، والمعروفُ: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، والمُنكَرُ: الشِّركُ. قال الأكثرون: وهؤلاءِ أصحابُ رسولِ الله ﷺ وقال القُرَظيُّ: همُ الوُلاةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إليه مَرجِعُها، لأنَّ كلَّ مُلكٍ يَبْطُل سِوى مُلكِه.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٦٦: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: لهدمت صوامع الرهبان، وبيع النصارى، وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً. لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب.
وافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٤ وقال: وقال بعض العلماء: هذا ترقٍّ من الأقل إلى الأكثر إلى أن ينتهي إلى المساجد، وهي أكثر عمّاراً وأكثر عبّاداً، وهم ذوو القصد الصحيح.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أي: بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أثبتَ الياءَ في «نكير» يعقوبُ في الحالَيْن، ووافقَهُ وَرْشٌ في إثباتِها في الوَصْلِ، والمعنى: كيف أنكرتُ عليهم ما فعلوا مِنَ التَّكذيبِ بالإهلاكِ؟! والمعنى: إنّي أنكرتُ عليهم أبلغَ إنكارٍ، وهذا استفهامٌ معناه التَّقرير.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ قرأ أبو عَمرٍو: «أهلكتها» بالتاء، والباقون: «أهلكناها» بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عمرَ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ: «وبئر» مهموزٌ، وروى وَرْشٌ عن نافع بغير هَمزٍ، والمعنى: وكم بئرٍ مُعطَّلةٍ، أي: مَترُوكةٍ[1] ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مُجصَّصٌ، قاله ابنُ عباسٍ وعِكرمَةُ. قال الزَّجّاجُ: أصلُ الشِّيدِ الجَصُّ والنُّورَةُ، وكلُّ ما بُنِيَ بهما أو بأحدِهما فهو مَشِيدٌ. **والثاني**: طويلٌ، قاله الضَّحّاكُ ومُقاتِلٌ. وفي الكلام إضمارٌ، تقديره: وقَصْرٍ مَشِيدٍ مُعطَّلٍ أيضاً ليس فيه ساكِنٌ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ قال المُفسِّرون: أفلَمْ يَسِرْ قومُك في أرضِ اليَمنِ والشّام ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ إذا نَظروا آثارَ مَنْ هلَكَ ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارَ الأُمَمِ المُكذِّبَةِ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ﴾ قال الفَرّاءُ: الهاءُ في قوله: «فإنها» عِمادٌ، والمعنى: أنَّ أبصارَهُم لم تَعْمَ، وإنما عَمِيَتْ قلوبُهم[2]. فأمّا قوله تعالى: ﴿الَّتِى فِى الصُّدُورِ﴾ فهو توكيدٌ، لأنَّ القلب لا يكون إلاّ في الصَّدرِ، ومثله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[3] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[4]، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾[5]. قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٦: وقوله تعالى: **﴿وبئر معطلة﴾** أي لا يستقى منها، ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها. **﴿وقصر مشيد﴾** قيل المنيف المرتفع وقيل الشديد المنيع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه، ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله به، كما قال تعالى: **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾**، النساء: ٧٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٦: «وقال ابن أبي الدنيا: قال بعض الحكماء: أحي قلبك بالمواعظ، ونوره بالفكر، وموّته بالزهد، وقوّه باليقين وذلّله بالموت وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله، وسر في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا، وأين حلوا وعمّ انقلبوا». وقوله تعالى: **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾** أي: ليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر، ولا تدري ما الخبر.

(٣) سورة البقرة: ١٩٦. (٤) سورة الأنعام: ٣٨. (٥) سورة آل عمران: ١٦٧.

قال مُقاتِلٌ: نزلت في النَّضرِ بن الحارثِ القُرشيِّ. وقال غيرُه: هو قولُهم له: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾[1] ونحوه مِن استعجَالِهم، ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ في إنزالِ العذابِ بهم في الدنيا، فأنزلَهُ بهم يومَ بَدرٍ، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: مِنْ أيامِ الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ مِنْ أيامِ الدنيا، قرأ عاصِمٌ، وأبو عمرٍو، و ابنُ عامرٍ: «تَعُدُّون» بالتاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يَعُدُّون» بالياء.

فإنْ قيلَ: كيف انصرفَ الكلامُ مِنْ ذِكرِ العذاب إلى قوله: «وإنَّ يوماً عند ربِّك»؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنهم استعجَلُوا العذابَ في الدنيا، فقيلَ لهم: لنْ يُخلِفَ اللَّهُ وعدَهُ في إنزالِ العذاب بكم في الدنيا. وإنَّ يوماً مِنْ أيامِ عذابِكُم في الآخرة كألفِ سنةٍ مِنْ سِنِي الدنيا، فكيف تستعجلون بالعذاب؟! فقد تضمَّنتِ الآيةُ وعَدَهُم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قولُ الفَرَّاءِ. **والثاني**: وإنَّ يوماً عند الله وألفَ سنةٍ سواءٌ في قُدرَتِه على عذابِهم، فلا فرقَ بين وقوعِ ما يستعجلُونَهُ وبين تأخيرِه في القُدرة، إلاّ أنَّ اللَّهَ تفضَّل عليهم بالإمهالِ، هذا قولُ الزَّجّاجِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني به الرزق الحَسَن في الجنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: عملوا في إبطَالِها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ قرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «مُعجزين» بغيرِ ألِفٍ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «مُعاجِزين» بألف قال الزَّجَّاجُ: «مُعاجِزين» أي: ظانِّين أنهم يُعجِزونَنا، لأنهم ظَنُّوا أنهم لا يُبعَثُون وأنه لا جنَّةَ ولا نارَ. قال: وقيلَ في التَّفسير: مُعاجِزين: مُعانِدين، وليس هو بخارجٍ عن القولِ الأوَّلِ؛ و «معجزين» تأويلُها: أنهم كانوا يُعجِّزون مَنِ اتَّبعَ النبيَّ ﷺ ويُثبِّطونَهم عنه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ الآية.

[١٠١٠] قال المُفسِّرون: سببُ نُزولِها أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا نزلت عليه سورةُ النَّجم قرأها حتى

[١٠١٠] موضوع مفترى. بأسانيد واهية. ورد عن محمد بن كعب القرظي، أخرجه الطبري ٢٥٣٢٨ وله علل ثلاث: الأولى الإرسال، والثانية عنعنة ابن إسحاق، والثالثة فيه يزيد بن زياد المدني، قال البخاري: لا يتابع على حديثه. وكرره الطبري ٢٥٣٢٧ من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس معاً. وهذا مرسل =

---

(١) سورة الملك: ٢٥.

....

= أيضاً، وأبو معشر اسمه نجيح ضعفه النسائي والدارقطني، وقال البخاري: منكر الحديث، وضعفه يحيى بن سعيد جداً. وورد من مرسل أبي العالية، أخرجه الطبري ٢٥٣٣٠. وورد من مرسل سعيد بن جبير، أخرجه الطبري ٢٥٣٣١ و ٢٥٣٣٢. وورد من مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٢٥٣٣٤. وورد من مرسل عروة بن الزبير، أخرجه الطبراني ٥٠٧٨، ومع إرساله فيه ابن لهيعة.

قال الهيثمي في «المجمع» ١١١٨٦: فيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة اهـ. أي لنكارة المتن الذي ساقه، فإن فيه رجوع بعض من هاجر إلى الحبشة إلى المدينة بسبب هذا الخبر.

ـ وورد عن ابن عباس من طرق ثلاث: الأول: أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه. وهذا إسناد ساقط مصنوع، فقد روى الكلبي وأبو صالح عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً، وقد أقرّا بالوضع والكذب على ابن عباس. الثاني: أخرجه الطبري ٢٥٣٣٣ بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو ضعيف عن ابن عباس، فهذا إسناد ساقط لا يُفرح به. الثالث: أخرجه البزار ٢٢٦٣ «كشف» والضياء في «المختارة» ١٢٠/٢ ـ والطبراني ١٢٤٥٠ وفيه أمية بن خالد، وهو وإن وثقه غير واحد، فقد نقل الذهبي في «الميزان» ١٠٢٩ عن أحمد أنه لم يحمده، وذكره العقيلي في «الضعفاء» اهـ. وقد روى هذا الحديث غير واحد عن ابن جبير ليس فيه ذكر ابن عباس، وللحديث علة أخرى، وهي ما قاله البزار حيث قال عقبه: لا نعلمه يروى بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، وأمية بن خالد ثقة مشهور، وإنما يعرف هذا من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس اهـ. والكلبي متروك متهم، وأبو صالح ساقط، ولم يدرك ابن عباس، فلم يصح هذا الطريق عن ابن عباس أيضاً، وعامة روايات هذا الخبر مراسيل لا يحتج بها، والظاهر أن بعضهم أخذه من بعض لغرابته، فحدثوا به واشتهر، وهو خبر باطل مصنوع، ولو صح لرواه واحد من أصحاب الكتب المعتبرة، والمسانيد المشتهرة، ولكن كل ذلك لم يكن وقد اضطربوا في ألفاظه اضطراباً كبيراً، وزادوا فيه ونقصوا، وكل ذلك دليل على بطلانه.

وقد ذهب الحافظ ابن حجر في تخريج «الكشاف» ٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥ إلى تقوية هذا الحديث، وكذا السيوطي في «الدر» ٤/ ٦٦١، وليس كما قالا، وقد خالفهما أئمة ثقات أثبات في ذلك. وإليك بيانه: قال الإمام أبو حيان في «البحر» ٦/ ٣٥٢: سئل ابن إسحاق ـ جامع السيرة النبوية ـ عن هذه القصة، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتاباً.

وقال الإمام البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ورواتها مطعون عليهم، وليس في الصحاح ولا التصانيف الحديثية شيء مما ذكروه، فوجب اطّراحه، ولذا نزهت كتابي عن ذكره فيه. اهـ ملخصاً.

وقال الحافظ ابن كثير ٣/ ٢٨٨: وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح.

وقال العلامة الآلوسي في «روح البيان» ١٧/ ١٨٢ ما ملخصه: قال أبو منصور الماتريدي: هذا الخبر من إيحاء الشيطان إلى أوليائه الزنادقة، والرسالة بريئة من هذه الرواية.

وقال القاضي عياض: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواة ثقة بسند سليم متصل.

وقال العلامة الآلوسي: ويكفي في ردها قول الله تعالى في وصف القرآن **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾** اهـ.

وقال الإمام الشوكاني في «فتح القدير» ٣/ ٥٤٦: قال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

وقال القاضي عياض في «الشفا»: إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً.

وقد جمع الألباني رسالة في ذلك وسماها «نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق». =

بلغ قولَه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[١] فألقى الشيطانُ على لسانِه: تلكَ الغَرانِيقُ العُلَى، وإنَّ شَفاعَتهُنَّ لَتُرتَجى؛ فلمَّا سمعَتْ قريشٌ بذلك فَرِحوا، فأتاهُ جِبريلُ، فقال: ماذا صنعتَ؟ تَلَوتَ على الناس ما لَمْ آتِكَ به عن الله، فحزِنَ رسولُ الله ﷺ حُزناً شديداً، فنزلت هذه الآيةُ تطييباً لِقلبِه، وإعلاماً له أنَّ الأنبياءَ قد جرى لهم مثلُ هذا. قال العلماءُ المُحقِّقون: وهذا لا يَصِحُّ، لأنَّ رسولَ الله ﷺ معصُومٌ عن مثلِ هذا، ولو صَحَّ، كان المعنى أنَّ بعضَ شياطين الإنسِ قال تلكَ الكلماتِ[٢]، فإنَّهم كانوا إذا تَلا لَغَطُوا، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾[٣].

قال: وفي معنى «تَمنَّى» قولان[٤]:

= ـ وانظر «فتح القدير» ١٦٨١ و «أحكام القرآن» ١٥١٧ وابن كثير عند هذه الآية.
أخيراً: أورد لك الوجه الصحيح في قصة سورة النجم، والسجود فيها. وقد ورد في ذلك حديثان الأول حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ سجد في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.
وهذا ثابت عن ابن عباس، أخرجه البخاري ١٠٧١ و ٤٨٦٢ والترمذي ٥٧٥ وابن حبان ٢٧٦٣ والدارقطني ١/ ٤٠٩. وحديث ابن مسعود، أخرجه البخاري ١٠٦٧ و ١٠٧٠ و ٣٨٥٣ و ٣٩٧٢ ومسلم ٥٧٦ وأبو داود ١٤٠٦ والنسائي ٢/ ١٦٠ والدارمي ١/ ٣٤٢ وابن حبان ٢٧٦٤ وحديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد فما بقي أحد من القوم إلا سجد إلا رجل واحد أخذ كفاً من حصًى، فوضعه على جبهته، وقال: يكفيني. قال عبد الله: فلقد رأيته بعدُ قتل كافراً. فالوارد الصحيح عن ابن عباس هو المتقدم عنه لا ما رواه عنه الضعفاء والهلكى من ذكر الغرانيق. . .
هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فالصحيح في هذا المقام هو الوارد عن ابن مسعود فإنه قد أدرك الحادثة وهي مكية، بخلاف ابن عباس، فإنه ما حضرها ولا أدركها، فالصحيح في هذا ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أحد السابقين الأعلام، وأما ما رواه جماعة من التابعين، فإنما تلقاه بعضهم عن بعض واشتهر بسبب غرابته، وكان الأصلح لهؤلاء رحمهم الله أن يأخذوا ذلك عن ابن مسعود، فتنبه والله الموفق، وهو حسبنا، ونعم الوكيل.

---

(١) سورة النجم: ١٩ ـ ٢٠.
(٢) قلت الصواب أن النبي ﷺ ما قال ذلك، ولا زاده الشيطان أيضاً بل لا سلطان للشيطان في شيء من ذلك، حاشا الله أن يكون للشيطان مدخل على القرآن أو في حال تبليغه، وما هي إلا روايات عامتها مراسيل، وكأن بعض الزنادقة حدث بها في عهد التابعين، فأولع بها هؤلاء فرووها وانتشرت، والدليل على أن مصدرها رجال مجاهيل لا يعرفون، هو أنها وردت عن عشرة أو أكثر من التابعين، ولم يذكر عامتهم من حدثه بها، فهذا دليل على أن لا أصل لها، وأنه مفتعلة مصنوعة مزورة، تروج على من لا علم له ولا دراية، وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.
(٣) سورة فصلت: ٢٦.
(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٧٨: التمني يعني التلاوة والقراءة قاله الضحاك. وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيله، فمَعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.
فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ، أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم **﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾** يقول الله تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.

أحدهما: تَلاَ، قاله الأكثرون، وأنشدوا:

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ الـلَّـهِ أوَّلَ لَـيْـلَـةٍ وآخِـرَهُ لاقَـى حِـمَـامَ الـمَـقَـادِرِ

وقال آخرُ:

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ اللهِ آخِـرَ لَـيْـلِـهِ تَـمَـنِّـيَ داودَ الـزَّبُـورَ عـلـى رِسْـلِ

والثاني: أنه مِنَ الأُمنِيَةِ، وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ تمنَّى يوماً أنْ لا يأتيَهُ مِنَ الله شيءٌ يَنفُرُ عنه به قومُه، فألقى الشيطانُ على لسانِه لِمَا كان قد تَمنَّاهُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظي.

قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي يُبطِلُه ويُذهِبُه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ قال مُقاتِلٌ: يُحكِمُها مِنَ الباطل. قوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ اللامُ مُتعلِّقةٌ بقوله: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والفِتنَةُ ها هنا بمعنى البَلِيَّةِ والمِحنَةِ. والمَرضُ: الشَّكُّ والنِّفاقُ. ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: الجَافِيَة عن الإيمان. ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شِقَاقٍ دائم، والشِّقاقُ: غايةُ العَداوَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو التَّوحيدُ والقرآنُ، وهم المؤمنون. وقال السُّدِّيُّ: التَّصديقُ بنَسْخِ الله. قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ إشارةٌ إلى نَسْخِ ما يُلقي الشيطانُ؛ فالمعنى: لِيَعلَمُوا أنَّ نَسْخَ ذلك وإبطالَهُ حقٌّ مِنَ الله ﴿فَيُؤْمِنُوا۟﴾ بالنَّسخِ ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي تَخْضَعُ وتَذِلُّ. ثم بَيَّنَ بباقي الآيَة أنَّ هذا الإيمانَ والإخبَاتَ إنما هو بلُطفِ الله وهِدايَتِه..

قوله تعالى: ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شَكٍّ. وفي هاءِ «منه» أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى قوله: تلكَ الغَرَانِيقُ العُلَى. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى سُجودِه في سُورةِ النَّجم. والقولان عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، فيكون المعنى: إنهم يقولون: ما بَالُهُ ذَكَرَ آلهتَنا ثم رجعَ عن ذِكرِها؟! **والثالث**: أنها ترجعُ إلى القرآنِ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والرابع**: أنها ترجعُ إلى الدِّينِ، حكاه الثَّعلبيُّ. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: القيامة تأتي مَنْ تقومُ عليه مِنَ المشركين، قاله الحسَنُ. **والثاني**: ساعةُ موتِهم، ذكره الوَاحِدي. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فيه قولان[٢]: **أحدهما**: أنه يومُ بَدرٍ، رُوي عن ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، والسُّدِّيِّ. **والثاني**: أنه يومُ القيامة، قاله عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ. وأصل العُقم في الوِلادَةِ، يُقال: امرأةٌ عَقِيمٌ لا تَلِدُ، ورجلٌ عَقِيمٌ لا يُولَدُ له؛ وأنشدوا:

عُـقِـمَ الـنِّـسَـاءُ فـلا يَـلِـدْنَ شَـبِـيـهَـهُ إنَّ الـنِّـسَـاءَ بِـمِـثْـلِـهِ عُـقْـمُ

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٨٠: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾** أقرب منه من ذكر قوله **﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾** والهاء في قوله أنه من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في قوله **﴿في مرية منه﴾** بالهاء من قوله **﴿أنه الحق من ربك﴾** أولى من إلحاقها بما التي في قوله **﴿ما يلقي الشيطان﴾** مع بُعد ما بينهما.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٨١: والقول الأول: أنه يوم بدرٍ أولى بتأويل الآية، لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة، وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضاً هو يوم القيامة، فإنما معناه تكرير الساعة مرتين، باختلاف الألفاظ، وذلك لا معنى له فأولى التأولين أصحهما معنى، وهو ما ذكرنا. فتأويل الكلام: أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم، فلا يُنظر وافيه إلى الليل، ولا يؤخروا فيه إلى المساء لكنهم يقتلون قبل المساء.

وسمِّيَتِ الرِّيحُ العَقِيمُ بهذا الاسم، لأنها لا تأتي بالسَّحابِ المُمطِرِ، فقيل لهذا اليوم: عَقِيم، لأنه لم يأتِ بخيرٍ.

فعلى قولِ مَنْ قال: هو يومُ بدرٍ في تسميته بالعَقِيم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لم يكُنْ فيه للكفار بَركَةٌ ولا خيرٌ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: لأنهم لم يُنْظَروا فيه إلى الليل، بل قُتِلوا قبلَ المساءِ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والثالث**: لأنه لا مِثْلَ له في عِظَمِ أمرِه، لقتالِ الملائكةِ فيه، قاله يَحيى بنُ سَلام. وعلى قولِ مَنْ قال: هو يومُ القيامة، في تسميته بذلك قولان: **أحدهما**: لأنه لا ليلةَ له، قاله عِكرِمَةُ. **والثاني**: لأنه لا يأتي المشركين بخيرٍ ولا فَرَجٍ، ذكره بعضُ المُفسِّرين.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ مِنْ غير مُنازعٍ ولا مُدَّعٍ ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين المسلمين والمشركين؛ وحُكمُهُ بينهم بما ذَكرَهُ في تمامِ الآيةِ وما بعدَها. ثم ذَكرَ فضلَ المهاجرين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ مكَّةَ إلى المدينة. وفي الرِّزقِ الحسَنِ قولان: **أحدهما**: أنه الحَلالُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: رِزقُ الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «قُتِّلوا» بالتَّشديدِ قوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ وقرأ نافعٌ بفتحِ الميم ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ يعني: الجنَّةَ. والمُدخَلُ يجوز أن يكونَ مصدراً، فيكونَ المعنى: لَيُدخِلنَّهم إدخالاً يُكرَّمون به فيَرضَونَهُ؛ ويجوز أنْ يكونَ بمعنى المكان. و «مَدخلاً» بفتحِ الميم على تقدير: فيَدخُلونَ مَدخَلاً. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنيَّاتِهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عنهم.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمرُ ذلك، أي: الأمرُ ما قَصصْنا عليكم ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ والعقوبةُ: الجَزاءُ؛ والأول ليس بعقوبةٍ، ولكنه سُمِّيَ عُقوبةً، لاستِواءِ الفِعلَينِ في جنسِ المَكروهِ، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[1] لمَّا كانت المُجازاةُ إساءةً بالمفعولِ به سُمِّيتْ سَيِّئةً، ومثله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[2] قاله الحسَنُ، ومعنى الآية: مَنْ قاتَلَ المشركين كما قاتَلوه ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظُلِمَ بإخراجِه عن منزله. وزَعَم مُقاتِلٌ أنَّ سببَ نُزولِ هذه الآيةِ أنَّ مُشركي مكَّةَ لَقُوا المسلمين لِليلةٍ بقيَتْ مِنَ المُحرَّمِ، فقاتَلوهم، فناشَدَهُمُ المسلمون أنْ لا يُقاتِلُوا في الشهرِ الحَرامِ، فأَبَوا إلاَّ القتالَ،

(١) سورة الشورى: ٤٠. (٢) سورة البقرة: ١٥.

فثَبَتَ المسلمون، ونَصرَهم اللّهُ على المشركين، ووقعَ في نفوسِ المسلمين مِنَ القتال في الشَّهرِ الحَرام، فنزلت هذه الآيةُ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عنهم ﴿غَفُورٌ﴾ لقتالِهم في الشهرِ الحَرام[١].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ القادر على ما يشاء، فمن قدرته أنه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لِدُعاءِ المؤمنين ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم حيثُ جعلَ فيهم الإيمانَ والتَّقوى، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلَ مِنْ نَصْرِ المؤمنين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: هو الإلهُ الحقّ ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم: «يدعون» بالياء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: بالتاء، والمعنى: وأنَّ ما يَعبدُونَ ﴿مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطر ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنَّبات. وحكَى الزَّجّاجُ عن الخَليلِ أنه قال: معنى الكلام التَّنبيهُ، كأنه قال: أتسمع، أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا. وقال ثَعلَبُ: معنى الآية عند الفَرَّاءِ خبرٌ، كأنه قال: اعلَمْ أنَّ الله يُنزِلُ مِنَ السماء ماءً فتُصْبِحُ، ولو كان استفهاماً والفاءُ شرطاً لنَصبَهُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: باستخراج النَّباتِ مِنَ الأرض رِزقاً لِعبادِه ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخيرِ المطرِ. وقد سَبقَ معنى الغَنِيِّ الحَميدِ في سُورةِ البقرة[٢].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريد البهائِمَ التي تُركَبُ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾ قال الزَّجّاجُ: كراهَةَ أنْ تقعَ. وقال غيرُه: لِئلاً تقعَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فيما سَخَّرَ لهم وفيمَا حَبَسَ عنهم مِنْ وقوعِ السماء عليهم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أنْ كُنتُم نُطَفاً ميتةً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند آجالِكُم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعثِ والحِساب ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: المُشرِكَ ﴿لَكَفُورٌ﴾ لِنِعَمِ الله إذ لم يُوَحِّدْهُ.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

(١) واهٍ بمرة. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٤/ ٦٦٥ عن مقاتل مرسلاً. ومقاتل واهٍ.
(٢) سورة البقرة: ٢٦٧.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قد سبق بيانه في هذه السُّورةِ ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: في الذَّبائحِ، وذلك أنَّ كفَّارَ قُريشٍ وخُزاعةَ خاصَمُوا رسولَ الله ﷺ في أمرِ الذَّبيحةِ، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتلَهُ الله؟! يعنُون: المَيْتَةَ.

فإنْ قيلَ: إذا كانوا هم المُنَازِعين له، فكيف قيلَ: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾؟

فقد أجابَ عنه الزَّجَّاجُ، فقال: المُراد: النَّهيُ له عن مُنازَعَتِهم، فالمعنى: لا تُنَازِعَنَّهم، كما تقول للرجل: لا يُخاصِمَنَّكَ فلانٌ في هذا أبداً، وهذا جائزٌ في الفعل الذي لا يكون إلاَّ مِن اثنين، لأنَّ المُجادَلَةَ والمُخاصَمَة لا تَتِمُّ إلاَّ باثنين، فإذا قلتَ: لا يُجادِلَنَّكَ فُلانٌ، فهو بمنزلة: لا تُجادِلَنَّهُ، ولا يجوز هذا في قولِكَ: لا يَضرِبَنَّكَ فُلانٌ وأنتَ تريد: لا تَضرِبَنَّهُ، ولكن لو قلتَ: لا يُضَارِبَنَّكَ فلانٌ، لَكانَ كقولك: لا تُضَارِبَنَّ، ويدلُّ على هذا الجواب قوله: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى دِينه والإيمانِ به. و«جادلوك» بمعنى: خاصَمُوكَ في أمرِ الذَّبائح، ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ التَّكذيبِ، فهو يُجازيكُم به. ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يَقضي بينكم ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِنَ الدِّين، أي: تذهبون إلى خِلافِ ما ذهبَ إليه المؤمنون وهذا أدبٌ حسنٌ عَلَّمَهُ الله عِبادَهُ لِيَرُدُّوا به مَنْ جادَلَ على سبيل التَّعنُّتِ، ولا يُجيبُوه، ولا يُناظِرُوه.

فصل: قال أكثرُ المُفسِّرين: هذا نَزلَ قبلَ الأمرِ بالقتال، ثم نُسِخَ بآية السَّيفِ. وقال بعضُهم: هذا نَزلَ في حقِّ المنافقين، كانت تظهرُ مِنْ أقوالِهم وأفعالِم فَلَتاتٌ تدلُّ على شِركِهم، ثم يُجادِلون على ذلك، فوَكَلَ أمرَهُم إلى الله تعالى، فالآيةُ على هذا مُحكَمَةٌ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا استفهامٌ يرادُ به التَّقريرُ؛ والمعنى قد عَلِمْتَ ذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني ما يجري في السَّمواتِ والأرض ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ يعني: اللَّوحَ المَحفوظَ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: عِلْمَ الله بجميع ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سَهلٌ لا يَتعذَّرُ عليه العِلْمُ به.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حُجَّةً ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنه إلهٌ، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾، يعني: المشركين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: مانعٌ مِنَ العذاب. ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ يعني القرآن؛ والمُنْكَرُ هاهنا بمعنى الإنكَارِ، فالمعنى: أثَرُ الإنكارِ مِنَ الكراهة، وتعبيسُ الوجوه، معروفٌ عندهم. ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ أي: يَبطِشُونَ ويُوقِعون بمَنْ يتلُو عليهم القرآنَ مِن شِدَّة الغَيظ، يقال: سَطَا عليه، وسَطَا به: إذا تناولَهُ بالعُنفِ والشِّدةِ. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: بأشَدَّ عليكم وأكرَهَ إليكم مِنْ سماع القرآن، ثم ذكرَ ذلك فقال: ﴿ٱلنَّارُ﴾ أي: هو النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟

﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ قال الأخفش: إنْ قيلَ: أينَ المَثَلُ؟

فالجواب: أنه ليس هاهنا مَثَلٌ، وإنما المعنى: يا أيُّها الناسُ ضُرِبَ مَثَلٌ، أي: شُبِّهَتْ بي الأوثانُ ﴿فَٱسْتَمِعُواْ﴾ لهذا المَثَلِ. وتأويلُ الآية: جَعلَ المشركون الأصنامَ شُركائي فعَبدُوها معي فاستَمِعُوا حالَها؛ ثم بَيَّنَ ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِين، وابنُ أبي عَبلَةَ: «يدعون» بالياء المفتوحةِ. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع، وأبو رَجاءٍ وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «يُدْعون» بضمِّ الياء وفتحِ العين، يعني: الأصنام، ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ والذُّبابُ واحدٌ، والجمعُ القليل: أذِبَّةٌ، والكثيرُ: الذِّبَّانُ، مثل: غُراب وأغرِبَة وغِرْبان؛ وقيل: إنما خَصَّ الذُّبابَ لِمَهانتِه واستِقذارِه وكثرتِه. ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ﴾ يعني: الأصنام؛ ﴿لَهُۥ﴾ أي: لخلقه، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾ يعني: الأصنام. قال ابنُ عباسٍ: كانوا يَطلُون أصنامَهم بالزَّعفرانِ فيَجِفّ، فيأتي الذُّبابُ فيَختَلِسَهُ. وقال ابنُ جُريج: كانوا إذا طَيَّبوا أصنامَهم عَجَنوا طِيبَهُم بشيءٍ مِنَ الحَلْواءِ، كالعَسلِ ونحوه، فيقع عليها الذباب فيسلبُها إيَّاهُ، فلا تستطيعُ الآلهةُ ولا مَنْ عَبَدَها أنْ يمنعهُ ذلك. وقال السُّدِّيُّ: كانوا يجعلون للآلهةِ طعاماً، فيقعُ الذُّبابُ عليه فيأكل منه قال ثَعلَبُ: وإنما قال: ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ فجعلَ أفعالَ الآلهةِ كأفعالِ الآدميين، إذا كانوا يُعظِّمونها ويَذبحونَ لها وتُخاطَبُ، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[1] لمَّا خاطَبَهُم جعلَهُم كالآدميين، ومثله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾[2]، وقد بيَّنَّا هذا المعنى في (الأعراف) عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[3]. قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: أنَّ الطَّالِبَ: الصَّنمُ، والمَطلوبُ: الذُّبابُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الطَّالِبُ: الذُّبابُ يطلب ما يَسلُبُه مِنَ الطِّيبِ الذي على الصَّنم، والمَطلوبُ: الصَّنمُ يطلبُ الذُّبابَ منه سَلْبَ ما عليه، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: الطَّالِبُ: عابِدُ الصَّنمِ يطلب التَّقرُّبَ بعبادته، والمَطلُوبُ: الصَّنمُ، هذا معنى قولِ الضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ.

قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عَظَّموه حقَّ عَظَمَتِه، إذ جعلوا هذه الأصنامَ شُركاءَ له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ لا يُقْهَرُ ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يُرامُ.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ومَلَكِ الموتِ، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الأنبياءَ المُرسلين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمَقالَةِ العِبادِ ﴿بَصِيرٌ﴾ بمَنْ يتَّخِذُهُ رسولاً.

---

(١) سورة النمل: ١٨. (٢) سورة يوسف: ٤. (٣) الأعراف: ١٩١.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٨٩: والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة. أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه، والمطلوب: الذباب.
وواففه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٩٦ وقال: اختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق.

وزعمَ مُقاتِلٌ أنَّ هذه الآيةَ نزلت حين قالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الإشارةُ إلى الذين اصطَفاهم؛ وقد بيَّنَّا معنى ذلك في آيةِ الكُرسِي[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ قال المُفسِّرون: المراد: صَلُّوا، لأنَّ الصلاةَ لا تكون إلاَّ بالرُّكوعِ والسُّجودِ، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي: وَحِّدُوه ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ يريد: أبوابَ المَعروفِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: لِكي تَسْعَدُوا وتَبقُوا في الجنَّةِ.

فصل: لم يختلف أهلُ العِلمِ في السَّجدةِ الأُولى مِنَ الحَجِّ واختلفوا في هذه السَّجدةِ الأخيرة؛ فرُوِي عن عمرَ، وابنِ عمرَ، وعمَّارٍ، وأبي الدَّرداءِ، وأبي موسى، وابنِ عباسٍ، أنهم قالوا: في الحَجِّ سَجدَتانِ، وقالوا: فُضِّلَتْ هذه السُّورةُ على غيرها بسَجدَتَيْنِ، وبهذا قال أصحابُنا، وهو مذهبُ الشَّافعيِّ رضي الله عنه. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: في الحَجِّ سجدةٌ، وبهذا قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وإبراهيمُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وأبو حَنيفَةَ وأصحابُه، ومالكٌ؛ ويدلُّ على الأوَّلِ.

[١٠١١] ما رَوى عُقبَةُ بنُ عامرٍ، قال: قلت: يا رسولَ الله أفي الحَجِّ سَجدَتانِ؟ قال: «نَعَم، ومَن

[١٠١١] صدره حسن، وعجزه ضعيف. أخرجه أبو داود ١٤٠٢ والترمذي ٥٧٨ والدارقطني ١/ ٤٠٨ والحاكم ١/ ٢٢١ وأحمد ٤/ ١٥١ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٢٨١ والبيهقي ٢/ ٣١٧ والبغوي في «التفسير» ٣/ ٢٩٩ من طرق عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر به. وإسناده ضعيف، وله علتان: ضعف ابن لهيعة، وشيخه مشرح قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول. وقال الذهبي في «الميزان» ٤/ ١١٧: صدوق لينه ابن حبان، وقال عثمان بن سعيد عن ابن معين: ثقة، وقال ابن حبان: يروي عن عقبة مناكير، لا يتابع عليها، فالصواب ترك ما انفرد به اهـ. وعجزه ضعيف، وهو قوله «فمن لم يسجدها فلا يقرأها» بل هو منكر، وهو إما من مناكير ابن لهيعة حيث اختلط، أو من شيخه مشرح، حيث إن الراوي عنه عند أبي داود ابن وهب، وهو أحد العبادلة وأيّاً كان فعجز الحديث ضعيف منكر، وقد ضعفه الترمذي بقوله: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي.
ـ وعارضه أحمد شاكر رحمه الله فقال: بل هو حديث صحيح، فإن ابن لهيعة ومشرح ثقتان. . .؟!
ـ وأما الألباني فذكر الحديث في «ضعيف أبي داود» ٣٠٣، وفي ذلك نظر، فإن لصدره شواهد منها:
ـ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أخرجه أبو داود ١٤٠١ وابن ماجه ١٠٥٧ والحاكم ١/ ٢٢٣ والبيهقي ٢/ ٧٩ وإسناده ضعيف، فيه عبد الله بن منين مجهول، وعنه الحارث بن سعيد العتكي، لا يعرف. وقال الحاكم عقبه: رواته مصريون، واحتج الشيخان بأكثر الرواة! وسكت الذهبي! وقال الزيلعي في «نصب الراية» ٢/ ١٨٠: قال عبد الحق: ابن منين، لا يحتج به. قال ابن القطان: وذلك لجهالته اهـ. ومع ذلك يصلح شاهداً لما قبله، فليس بشديد الضعف، حيث فيه الجهالة فقط، ومع ذلك فقد أدخله الألباني في «ضعيف سنن =

---

(١) سورة ص: ٨٠. (٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

لم يَسجُدْهما فلا يَقرَأْهما».

فصل(١): واختلفَ العلماء في عدد سُجودِ القرآن، فرُويَ عن أحمدَ رِوايتان، إحداهما: أنها أربعَ عشرةَ سجدةً. وبه قال الشَّافعيُّ، والثانية: أنها خَمسَ عشرةَ، فزادَ سَجدة (ص). وقال أبو حَنيفةَ: هي أربعَ عشرةَ، فأخرجَ التي في آخرِ (الحَجّ) وأبدَلَ منها سَجدَة ص.

فصل(٢): وسجودُ التِّلاوة سُنَّةٌ، وقال أبو حَنيفةَ: واجبٌ. ولا يصِحُّ سجودُ التِّلاوة إلاَّ بتكبيرةِ الإحرامِ والسَّلام، خِلافاً لأصحاب أبي حَنيفةَ وبعضِ أصحاب الشَّافعيِّ. ولا يُجزئُ الرُّكوع عن سجودِ التلاوةِ، وقال أبو حَنيفةَ: يُجزئُ. ولا يَسجدُ المُستَمِعُ إذا لم يَسجُدِ التَّالي، نصَّ عليه أحمدُ رضي الله عنه. وتُكرَهُ قراءةُ السَّجدَةِ في صلاةِ الإخفَاتِ، خِلافاً للشَّافعيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ في هذا الجهاد ثلاثةُ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنه فِعلُ جميع الطاعات،

= أبي داود» ١٣٠١؟!

وله شاهد مرسل، أخرجه أبو داود في «المراسيل» ص ١١٣ عن خالد بن معدان، ومن طريق أبي داود، أخرجه البيهقي ٢/٣١٧ ونقل عن أبي داود قوله: وقد أسند هذا الحديث، ولا يصح اهـ ومراده والله أعلم، أن هناك من وصل مرسل ابن معدان، والصواب إرساله. ومع ذلك يصلح شاهداً للموصول المتقدم، وما قبله.

وقد ورد موقوفاً عن جماعة من الصحابة، أسند ذلك كله الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩١ والبيهقي ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨ وكذا الدارقطني ١/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٠.

فهذه الموقوفات مع المرسل مع الموصول المتقدم تشهد لصدر حديث عقبة دون عجزه، وترقى به إلى درجة الحسن والله تعالى أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ١٥١٩ بتخريجنا.

---

(١) قال الترمذي عقب الحديث ٢/ ٤٧٢: واختلف أهل العلم في هذا، فروي عن عمرو وابنه أن سورة الحج فضلت بسجدتين. وبه يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، ورأى بعضهم فيها سجدة، وهو قول الثوري ومالك وأهل الكوفة اهـ. والمذهب الأول هو الراجح فإن مستندهم حديثان موصولان يقوي أحدهما الآخر مع مرسل أضف إلى ذلك موقوفات عن جماعة من الصحابة، والله الموفق.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/ ٣٥٩: سجود التلاوة سنة مؤكدة، وليس بواجب ومن ترك فلا شيء عليه وإذا سجد للتلاوة فعليه التكبير للسجود والرفع منه سواء كان في صلاة أو في غيرها وقال الشافعي: إذا سجد خارج الصلاة كبّر واحدةً للافتتاح وأخرى للسجود، ويرفع يديه عند تكبيرة الابتداء إن كان في غير صلاة وهو قول الشافعي. قال القاضي: وقياس المذهب لا يرفع ويقول في سجوده ما يقول في سجود صلاته. ويسلّم إذا رفع ورأى أحمد أنه واجب وفي رواية ثانية، لا تسليم فيه، وبه قال النخعي، والحسن، وسعيد بن جبير ويحيى بن وثاب. وروي ذلك عن أبي حنيفة. واختلف قول الشافعي فيه. ويسن السجود للتالي والمستمع، لا نعلم في هذا خلافاً. ويشترط لسجود المستمع أن يكون التالي ممن يصلح أن يكون له إماماً. وقال أبو حنيفة: إذا امتنع من السجود لمعارض، فإذا زال المعارض يسجد. ولا يقوم الركوع مقام السجود، وقال أبو حنيفة: يقوم مقامه استحباباً. وإذا قرأ السجدة على الراحلة في السفر أومأ بالسجود حيث كان وجهه، وإن كان ماشياً سجد على الأرض. ولا يسجد إلا وهو طاهر ويعتبر للسجود من الشروط ما يشترط لصلاة النافلة. ولا نعلم في ذلك اختلافاً. ويكره اختصار السجود، وهو أن ينتزع الآيات التي فيها سجود فيقرأها ويسجد فيها أو يقرأ القرآن إلا آيات السجود.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١٩١: والصواب من القول في ذلك: عني به الجهاد في سبيل الله لأن المعروف من =

هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنه جهادُ الكفَّارِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه جهادُ النَّفْسِ والهَوَى، قاله عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ. فأمَّا حقُّ الجهاد، ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه الجِدُّ في المُجاهَدةِ، واستِيفاءُ الإمكَانِ فيها. **والثاني**: أنه إخلاصُ النيَّة لله عزَّ وجلَّ. **والثالث**: أنه فِعلُ ما فيه وَفاءٌ لحقِّ الله عزَّ وجلَّ.

فصل: وقد زعمَ قومٌ أنَّ هذه الآيةَ منسُوخَةٌ، واختلفوا في نَاسِخِها على قولَين: **أحدهما**: قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]. **والثاني**: قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2] وقال آخرون: بل هي مُحْكَمَةٌ، ويُؤكِّدُه القولان الأوَّلان في تفسيرِ حقِّ الجهاد، وهو الأصحُ، لأنَّ الله تعالى لا يُكلِّف نفساً إلا وُسعَها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي: اختارَكُم واصطَفَاكُم لدِيْنِه. والحَرَجُ: الضِّيقُ، فما مِنْ شيءٍ وقعَ الإنسانُ فيه إلاَّ وَجَد له في الشَّرعِ مَخرَجاً بتوبةٍ أو كفَّارةٍ أو انتقالٍ إلى رُخصَةٍ ونحو ذلك. ورُوِي عنِ ابنِ عباسٍ أنه قال: الحَرَجُ: ما كان على بَني إسرائيلَ مِنَ الإصْرِ والشَّدائِدِ، وَضَعَهُ الله عن هذه الأُمَّةِ. قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ قال الفرَّاءُ: المعنى: وَسَّعَ عليكم كَمِلَّةِ أبيكم، فإذا ألقيْتَ الكاف نصبتَ، ويجوز النَّصبُ على معنى الأمرِ بها، لأنَّ أولَ الكلام أمرٌ، وهو قوله تعالى؛ ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ والزمُوا مِلَّةَ أبيكم.

فإنْ قيلَ: هذا الخطابُ للمسلمين، وليس إبراهيمُ أبَاً لكُلِّهم. فالجواب: أنه إنْ كان خِطاباً عامَّاً للمسلمين، فهو كالأبِ لهم، لأنَّ حُرمَتَهُ وحَقَّه عليكم كحَقِّ الوَالِد، وإنْ كان الخِطابُ للعرب خاصَّةً، فإبراهيمُ أبو العرب قاطِبَةً، هذا قولُ المُفسِّرين. والذي يقعُ لي أنَّ الخِطابَ لرسولِ الله ﷺ، لأنَّ إبراهيمَ أبوهُ، وأُمَّةُ رسولِ الله ﷺ داخلةٌ فيما خُوطِبَ به رسولُ الله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ في المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهور؛ فعَلَى هذا في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ قولان. أحدُهما: مِنْ قبلِ القرآن سَمَّاكُم بهذا في الكُتب التي أنْزَلها. والثاني: «مِنْ قَبْلُ» أي: في أُمِّ الكتاب، وقوله تعالى: ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ أي: في القرآن. **والثاني**: أنه إبراهيمُ عليه السَّلامُ حينَ قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[3]؛ فالمعنى: مِنْ قبل هذا الوقتِ، وذلك في زمان إبراهيم عليه السلام وفي هذا الوقت حين قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾، هذا قولُ ابنِ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ المعنى: اجتباكُم وسَمَّاكُم ليكونَ الرَّسولُ يعني محمَّداً ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يومَ القيامة أنه قد بلَّغَكُم؛ وقد شرحنا هذا المعنى في البقرة[4] إلى قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: سَلُوهُ أنْ يَعْصِمَكُم مِنْ كلِّ ما يُسخطُ. ويُكرَهُ. وقال الحسَنُ: تمسَّكوا بدِيْنِ الله. وما بعدَ هذا مشروحٌ في الأنفال[5].

= الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله، وحق الجهاد: استفراغ الطاقة فيه.

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.
(٢) سورة التغابن: ١٦.
(٣) سورة البقرة: ١٢٨.
(٤) سورة البقرة: ١٤٣.
(٥) سورة الأنفال: ٤٠.

ترتيبها ٢٣ — سُورَةُ المُؤْمِنُون — آياتها ١١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ
هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ⑪﴾

سورة المؤمنين مكيَّةٌ في قولِ الجميع.

[١٠١٢] روى عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لقد أُنزِلَتْ علينا عشرُ آياتٍ مَن أقامَهُنَّ دخلَ الجنَّةَ، ثمَّ قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ①﴾ إلى عشرِ آياتٍ»، رواه الحاكمُ أبو عبدِالله في «صحيحِه».

[١٠١٣] وروَى أبو سعيدٍ الخُدريُّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الله تعالى حَاطَ حَائِطَ الجنَّةِ

[١٠١٢] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٧٣ والنسائي في «الكبرى» ١٤٣٩ وأحمد ١/ ٣٤ والحاكم ٢/ ٣٩٢/ ٣٤٧٩ والعقيلي ٤/ ٤٦٠ ـ ٤٦١ والواحدي ٣/ ٢٨٣ من حديث عمر، ومداره على يونس بن سُليم، وهو مجهول، فالإسناد ضعيف، وصوب الترمذي كونه من مرسل الزهري، وأنه الصحيح. ومع ذلك صححه الحاكم! لكن تعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه يونس هذا فقال: لا أظنه شيء، وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة يونس: حدث عنه عبد الرزاق، ولم يعتمده في الرواية. وأعله العقيلي به، وقال: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به. وقال النسائي: هذا حديث منكر. انظر «أحكام القرآن» ١٥٢٢ بتخريجنا.

[١٠١٣] ضعيف. أخرجه البزار ٣٥٠٨ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/ ٢٠٤ وفي «صفة الجنة» ١/ ١٣٧/ ١٤٠ والبيهقي في «البعث» ٢٣٦ من حديث أبي سعيد وضعفه البزار بقوله: لا نعلم رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وكذا ضعفه البيهقي. وجاء في «الميزان»: عدي بن الفضل، قال ابن معين وأبو حاتم: متروك الحديث، وقال يحيى: لا يكتب حديثه، وقال غير واحد: ضعيف اهـ. فالرجل ضعيف جداً. وله شاهد: أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٢ والبيهقي في «الصفات» ٢/ ٤٧ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٧ من حديث أنس، وإسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم الواسطي. وذكره الذهبي في «الميزان» بهذا الحديث وحديث آخر، وقال: هذان باطلان اهـ. والحديث صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: بل ضعيف اهـ. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه الطبراني في ١١٤٣٩ وفي «الأوسط» ٤٧٦ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٦. =

لَبِنَةً مِنْ ذهبٍ ولَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وغرسَ غَرسَها بيدِه فقال لها: تَكَلَّمِي، فقالت: قد أفلَحَ المؤمنون، فقال لها: طُوبَى لَكِ مَنزِلَ المُلُوكِ».

قال الفَرَّاءُ: «قد» ها هنا يجوزُ أنْ تكونَ تأكيداً لفَلاحِ المؤمنين. ويجوز أنْ تكونَ تقريباً للماضي مِنَ الحالِ، لأنَّ «قد» تُقرِّبُ الماضي مِنَ الحالِ حتى تُلْحِقَه بحُكمِه، ألاَ تراهُم يقولون: قد قامتِ الصَّلاةُ، قبلَ حالِ قيامِها، فيكون معنى الآيةِ: إنَّ الفَلاحَ قد حصلَ لهم وإنهم عليه في الحَالِ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعِكرِمَةُ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وطَلحة بن مُصَرِّفٍ: «قد أُفلِحَ» بضمِّ الألِفِ وكسرِ اللام وفتحِ الحاء، على ما لم يُسمَّ فاعِلُه. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الآية: قد نَالَ المؤمنون البقاءَ الدائمَ في الخيرِ. ومَنْ قرأ: «قد أُفلِحَ» بضمِّ الألِفِ، كان معناه: قد أُصِيرُوا إلى الفَلاحِ. وأصلُ الخُشوعِ في اللغة: الخُضوعُ والتَّواضُعُ. وفي المراد بالخُشوعِ في الصَّلاةِ أربعةُ أقوالٍ:[1] **أحدها**: أنه النَّظَرُ إلى موضعِ السُّجودِ.

[١٠١٤] روى أبو هُريرةَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صَلَّى رَفَع بصرَهُ إلى السماء، فنزلَتْ: «الذين هم في صلاتهم خاشعون» فنَكَسَ رأسَهُ. وإلى هذا المعنى ذهب مُسلِمُ بنُ يَسَارٍ، وقَتَادَةُ. **والثاني**: أنه تَرْكُ الالتِفَاتِ في الصَّلاةِ، وأنْ تُلَيِّنَ كَنَفَكَ للرجل المُسلِمِ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ.

= وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٥٤٦٨: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد. وتبعه على ذلك الهيثمي في «المجمع» ١٨٦٣٩، وأما ابن كثير ـ رحمه الله ـ فأعلّه بضعف رواية بقية عن الحجازيين والمعروف أن إسماعيل بن عياش هو الذي بهذه الصفة، وإنما علّة الحديث هي أن بقية مدلس، وقد عنعن، قال أحمد: توهمت أن بقية، لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير. وللحديث علة أخرى ابن جريج أيضاً مدلس، وقد عنعن، لكن الحمل فيه على بقية أولى. والله أعلم.

تنبيه: وقع في الأوسط تصريح بقية بالتحديث، وهو خطأ من شيخ الطبراني أو من هشام بن خالد فإنه كان يجعل ما رواه بقية بـ «عن» «حدثنا» توهماً، راجع ذلك في الميزان، وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٩٩ والشوكاني ١٦٨٩ بتخريجنا.

[١٠١٤] ضعيف. أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٣ والواحدي في «أسباب النزول» ٦٢٦ كلاهما عن ابن سيرين عن أبي هريرة، وهو حديث ضعيف. ففي الإسناد أبو شعيب الحراني عن أبيه، ولم أجد لهما ترجمة. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد، فقد قيل عنه مرسلاً. وصوب الذهبي الإرسال، وهو كما قال كذا رواه الثقات عند الطبري، ومع ذلك لا يصح رفعه. فقد أخرجه الطبري ٢٥٤١٥ بإسناد صحيح عن ابن سيرين قال: كان أصحاب النبي ﷺ... ليس فيه ذكر النبي ﷺ، فالصواب موقوف. وأخرجه الطبري ٢٥٤١٤ بسند صحيح عن ابن سيرين مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وكرره ٢٥٤١٦ من وجه آخر عن ابن سيرين قال: نُبئت أن رسول الله ﷺ... وهذا ضعيف لجهالة المنبئ لابن سيرين. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٢٣، و «تفسير الشوكاني» ١٦٩٣، والله الموفق.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١٩٨: الخشوع: التذلل والخضوع، ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر، فكان معلوماً أن معنى مراده من ذلك العموم، وتأويل الكلام على ذلك أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه، وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها.

والثالث: أنه السُّكونُ في الصَّلاةِ، قاله مُجاهِدٌ، وإبراهيمُ، والزُّهرِي. **والرابع**: أنه الخَوفُ، قاله الحَسَنُ. وفي المراد باللَّغوِ ها هنا خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشِركُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الباطلُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: المعاصي، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: الكذب: قاله السدي. **والخامس**: الشَّتمُ والأذى الذي كانوا يسمعونَهُ مِنَ الكفَّارِ، قاله مُقاتِلٌ. قاله الزَّجَّاجُ: واللغو: كلُّ لَعبٍ ولَهوٍ، وكلُّ معصيةٍ فهي مُطَّرَحَةٌ مُلغَاةٌ. فالمعنى؛ شَغَلَهُم الجِدُّ فيما أمرَهُم الله به عن اللغو.

قوله تعالى: ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾ أي: مُؤَدُّون[1]، فعَبَّر عن التَّأديَةِ بالفِعلِ، لأنه فِعلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ قال الفَرَّاءُ: «على» بمعنى «مِنْ». وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنهم يُلامُونَ في إطلاقِ ما حُظِرَ عليهم وأُمِرُوا بحِفظِهِ[2]، إلاَّ على أزواجِهِم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ فإنهم لا يُلامُونَ. قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾ أي: طَلَبَ ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: سِوى الأزواجِ والمَملُوكاتِ ﴿فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ يعني الجَائِرينَ الظَّالمينَ، لأنهم قد تجاوَزُوا إلى ما لا يَحِلُّ، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «لأ مانتهم» وهو اسمُ جنسٍ، والمعنى: للأمانَاتِ التي ائتُمِنُوا عليها، فتارَةً تكون الأمانةُ بين العبدِ وبين رَبِّه، وتارَةً تكون بينه وبين جنسه، فعَلَيهِ مُراعاةُ الكُلِّ. وكذلك العَهدُ. ومعنى ﴿رَٰعُونَ﴾: حافِظون. قال الزَّجَّاجُ: وأصلُ الرَّعيِ في اللغة: القيامُ على إصلاح ما يَتولاَّهُ الرَّاعي مِنْ كلِّ شيءٍ. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «صلواتِهم» على الجَمعِ. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: «صلاتِهم» على التَّوحيدِ، وهو اسمُ جنسٍ. والمُحافَظَةُ على الصَّلواتِ: أداؤها في أوقاتِها. قوله تعالى: ﴿أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ ذَكَرَ السُّدِّيُّ عن أشياخه أنَّ الله تعالى يرَفعُ للكفَّارِ الجنَّةَ، فينظرونَ إلى بُيوتِهم فيها لو أنهم أطاعوا، ثم تُقسَمُ بين المؤمنين فيَرثُونَهُم، فذلك قوله: «أولئك هم الوارثون». وقد شرحنا هذا في الأعراف[3] عند قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾، وشرحنا معنى الفِردَوسِ في الكهف[4].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٠٠: وقوله: **﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾** الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات الأنصبة. والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية **﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾**. وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله: **﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾** وكقوله **﴿وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة﴾** فصلت: ٦ على أحد القولين في تفسيرها، وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٠٠: والذين حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلّها الله لهم، وما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج، وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة، قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال: **﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾**.

(٣) سورة الأعراف: ٤٣. (٤) سورة الكهف: ١٠٧.

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه آدمُ عليه السَّلامُ. وإنما قيلَ: «مِنْ سُلالة» لأنه استُلَّ مِنْ كلِّ الأرض، هذا مذهبُ سَلمانَ الفارسيِّ، وابنِ عباسٍ في روايةٍ، وقَتادَةَ. **والثاني**: أنه ابنُ آدمَ، والسُّلالَةُ: النُّطفَةُ استُلَّتْ مِنَ الطِّين، والطِّينُ: آدمُ عليه السَّلامُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال الزَّجَّاجُ: والسُّلالَةُ: فُعالَة، وهي القليلُ ممَّا يُنسَلُ، وكلُّ مبنيّ على «فُعالَة» يُراد به القليلُ، مِنْ ذلك: الفضالَة، والنُّخالَة، والقُلامَة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني: ابنَ آدمَ ﴿نُطْفَةً فِى قَرَارٍ﴾ وهو الرَّحِمُ ﴿مَّكِينٍ﴾ أي: حَرِيز، قد هُيِّئ لاستِقرارِه فيه. وقد شرحنا في سُورة الحَجِّ[1] معنى النُّطفَةِ والعَلقَةِ والمُضغَةِ.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «عظاماً فكسونا العظام» على الجَمعِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «عَظْما فسكونا العَظْم» على التَّوحيدِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ هذه الحالَةُ السَّابعَةُ. قال عليٌّ رضي الله عنه لا تكون مَوْؤدَةً حتى تَمُرَّ على التَّاراتِ السَّبع. وفي مَحَلِّ هذا الإنشاءِ قولان: **أحدهما**: أنه بَطنُ الأمِّ. ثم في صِفةِ الإنشاءِ قولان: **أحدهما**: أنه نَفْخُ الرُّوح فيه، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو العَاليَة، والشَّعبيُّ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ في آخرين. **والثاني**: أنه جَعَلَهُ ذكراً أو أُنثى، قاله الحَسنُ. **والقول الثاني**: أنه بعدَ خُروجِه مِنْ بطنِ أُمِّهِ. ثم في صِفَةِ هذا الإنشاءِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ ابتداءَ ذلك الإنشاءِ أنه استُهِلَّ، ثم دُلَّ على الثَّدي، وعُلِّمَ كيف يَبسُطُ رِجلَيْهِ إلى أنْ قَعَدَ، إلى أنْ قامَ على رجلَيْهِ، إلى أنْ مَشى، إلى أنْ فُطِمَ، إلى أنْ بَلَغَ الحُلُمَ، إلى أنْ تقلَّبَ في البلاد، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه استِواءُ الشباب، قاله ابنُ عمرَ، ومُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه خُروجُ الأسنانِ والشَّعرِ، قاله الضَّحَّاكُ، فقيلَ له: أليس يُولَدُ وعلى رأسِه الشَّعرُ؟ فقال: وأينَ العَانَةُ والإبْطُ؟. **والرابع**: أنه إعطاءُ العَقلِ والفَهمِ، حكاه الثَّعلبي.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: استَحقَّ التَّعظيم والثَّناءَ. وقد شرحنا معنى «تَبارَكَ» في الأعراف[2] ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: المُصَوِّرين والمُقَدِّرين. والخَلْقُ في اللغة: التَّقديرُ. وجاء في الحَديث.

[١٠١٥] أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآيَةَ وعندَهُ عمرُ، إلى قوله تعالى: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فقال عمرُ: فتَبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخَالِقِينَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد خُتِمَتْ بما تكلَّمْتَ به يا ابنَ الخَطَّابِ».

[١٠١٥] ضعيف. أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح أبي الخليل كما في «الدر» ٥/ ١١، وصالح أبو الخليل في عداد تابع التابعين، فالخبر واهٍ. وأخرجه الطيالسي ٤١ ومن طريقه الواحدي ٦٢٧ وابن =

---

(١) سورة الحج: ٥.
(٢) سورة الأعراف: ٥٤.

فإنْ قيلَ: كيف الجمعُ بين قوله: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾(١).
فالجواب: أنَّ الخلْقَ يكون بمعنى الإيجادِ، ولا مُوجِدَ سِوى الله، ويكون بمعنى التَّقديرِ، كقول زُهيرٍ:

وبعضُ القومِ يَخْلُقُ ثمَّ لا يَفْري(٢)

فهذا المُرادُ ها هنا، أنَّ بَني آدمَ قد يُصوِّرون ويُقدِّرون ويَصنَعُون الشيءَ، فاللهُ خيرُ المُصوِّرين والمُقدِّرين. وقال الأخفشُ: الخَالِقُون ها هنا همُ الصَّانِعون، فاللهُ خيرُ الخالِقينَ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدما ذُكِرَ مِنْ تمام الخَلْقِ ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ عند انقضاءِ آجالِكُم. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وعِكرمَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لَمَائتون» بألِفٍ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تقول لِمَنْ لم يَمُتْ: إنكَ مائِتٌ عن قليلٍ، ومَيتٌ، ولا يقولون للمَيتِ الذي قد ماتَ: هذا مائِتٌ، إنما يُقال في الاستقبال فقط، وكذلك يُقال: هذا سيِّدُ قومه اليومَ، فإذا أخبرتَ أنه يَسُودُهم عن قليلٍ، قلتَ: هذا سائِد قومه عن قليل، وكذلك هذا شريفُ القوم، وهذا شَارِفٌ عن قليلٍ؛ وهذا البابُ كلُّه في العربية على ما وَصَفتُ لكَ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ يعني: السَّمواتِ السَّبع، قال الزَّجَّاجُ: كلُّ واحدةٍ طَرِيقَةٌ. وقال ابنُ قُتَيبة: إنما سُمِّيَتْ «طَرائق» بالتَّطارُقِ، لأنَّ بعضَها فوقَ بعضٍ، يُقال: طَارقتُ الشيءَ: إذا جَعلتَ بعضَه فوقَ بعضٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما غَفلنا عنهم إذ بَنَيْنا فوقَهُم سماءً أطلَعْنا فيها الشمسَ والقمرَ والكواكبَ. **والثاني**: ما كُنَّا تاركينَ لهم بغيرِ رزقٍ، فأنزلنا المطرَ. **والثالث**: لم نَغفَلْ عن حِفظِهم مِنْ أنْ تسقُطَ السماءُ عليهم فتُهلِكَهُم. قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ يَعلَمه اللَّهُ، وقال مُقاتِلٌ: بقَدْرِ ما يَكفِيهم للمَعيشَةِ.

= أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٣٠٤ عن أنس عن عمر به، من حديثه. «وافقت ربي في أربع...» فذكره منها والوهن فيه فقط في الفقرة الأخيرة وهي ما يتعلق بهذه الآية. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف روى مناكير كثيرة، ولا يحتج بما ينفرد به.
وأصل الحديث في الصحيحين دون الموافقة المذكورة في هذه الآية. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٠٠ و «تفسير ابن كثير» ٣/ ٣٠٤ و «تفسير القرطبي» ٤٤٦٠ جميعاً بتخريجنا، ولله الحمد والمنة.

(١) سورة فاطر: ٣.
(٢) هو جزء من بيت لزهير بن أبي سلمى وتمامه:
ولأنتَ تفري ما خلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري
وهو في «اللسان» ـ خلق ـ و «شرح ديوان زهير» ٩٤.

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً﴾ هي معطوفةٌ على قوله: ﴿جَنَّٰتٍ﴾. وقرأ أبو مِجْلَز، وابنُ يَعمُرَ، وإبراهيمُ النَّخَعيُّ: «وشجرةٌ» بالرفع. والمُراد بهذه الشَّجرةِ: شجرةُ الزَّيتونِ.

فإنْ قيلَ: لماذا خَصَّ هذه الشجرةَ مِنْ بين الشَّجرِ؟ فالجواب مِنْ أربعةِ أوجُهٍ:

أحدها: لِكثرةِ انتفاعِهم بها، فذَكَّرهم مِنْ نِعَمِهِ ما يعرفون، وكذلك خَصَّ النَّخيلَ والأعنابَ في الآيةِ الأُولى، لأنهما كانا جُلَّ ثمارِ الحِجازِ وما وَالاَها، وكانت النَّخيلُ لأهلِ المدينة، والأعنابُ لأهلِ الطَّائفِ. **والثاني**: لأنهم لا يكادون يَتعاهَدُونَها بالسَّقي، وهي تُخرِجُ الثَّمرةَ التي يكون منها الدُّهنُ. **والثالث**: أنها تَنبُتُ بالماء الذي هو ضِدُّ النار، وفي ثَمرَتِها حياةٌ للنار ومادَّةٌ لها. **والرابع**: لأنَّ أوَّلَ زيتونةٍ نَبتَتْ بذلك المكانِ فيما زعمَ مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، «طور سِيناء» مكسورةَ السينِ، وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، مفتوحةَ السينِ، وكلُّهم مَدَّها. قال الفَرَّاءُ: العرب تقول: سَيْناء، بفتحِ السين في جميع اللغات، إلاَّ بَني كِنانَةَ، فإنهم يكسِرُونَ السِّينَ. قال أبو عليٍّ: ولا تَنصَرِفُ هذه الكلمةُ، لأنها جُعِلتْ اسماً لبُقعَةٍ أو أرضٍ، وكذلك «سِينين» ولو جُعِلَتْ اسماً للمنزِلِ أو للمكان أو نحوِ ذلك مِنَ الأسماء المُذكَّرة لصُرِفتْ، لأنكَ كنتَ قد سَمَّيتَ مُذكَّراً بمُذكَّرٍ. والطُّورُ: الجَبلُ. وفي معنى «سَيْناء» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى الحَسَنِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقال الضَّحَّاكُ: «الطُّور»: الجَبلُ بالسّريانيَّةِ، و «سَيْناء»: الحَسَنُ بالنَّبطِيَّةِ. وقال عَطاءٌ: يُريد: الجَبلَ الحَسَنَ. **والثاني**: أنه المُبارَكُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه اسمُ حجارةٍ بعينها، أضيفَ الجَبلُ إليها لوجُودِها عندَهُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أن طُورَ سَيْناءَ: الجَبلُ المُشَجَّرُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: أنَّ سَيْناءَ: اسمُ المكان الذي به هذا الجَبلُ، قاله الزَّجَّاج؛ قال الوَاحِدي: وهو أصحُّ الأقوال[1]؛ قال ابنُ زيدٍ: وهذا هو الجَبلُ الذي نُودِيَ منه موسى، وهو بينَ مِصْرَ وأيلَةَ.

قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «تُنْبِت» برفعِ التاء وكسرِ الباء. وقرأ نافعٌ وعاصِمٌ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ بفتح التاء وضمِّ الباء. قال الفَرَّاءُ: وهُما لُغتَانِ: نَبتَتْ وأَنبَتَتْ، وكذلك قال الزَّجَّاجُ: يُقال: نَبتَ الشَّجرُ وأَنبتَ في معنىً واحدٍ، قال زُهيرٌ:

رأيتُ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِم ... قَطِيناً لَهُم حتى إذا أَنبَتَ البَقْلُ[2]

قال: ومعنى «تَنبُتُ بالدُّهن»: تَنبُتُ ومعها دُهنٌ، كما تقول: جاءني زيدٌ بالسَّيفِ، أي: جاءني ومعه السَّيفُ. وقال أبو عُبيدَةَ: معنى الآية: تُنبِتُ الدُّهنَ، والباء زائدةٌ، كقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾[3] وقد بَيَّنَّا هذا المعنى هناك.

قوله تعالى: ﴿وَصِبۡغٖ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ يَعمُرَ، وإبراهيمُ النَّخَعيُّ، والأعمَشُ: «وصِبْغاً» بالنَّصبِ. وقرأ ابنُ السَّمَيْفعِ: «وصِباغ» بألِفٍ مع الخَفضِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: الصِّبْغُ مِثْلُ الصِّباغِ، كما يُقال: دِبْغ ودِبَاغ، ولِبْس ولِبَاس. قال المُفسِّرون: والمراد بالصِّبْغِ هاهنا: الزَّيتُ، لأنه

---

(١) وهو اختيار الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/٢٠٨ وقال: إنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء معنى مبارك.

(٢) في «اللسان»: القطينة، سَكَنُ الدار.

(٣) سورة الحج: ٢٥.

يُلوِّنُ الخبزَ إذا غُمِسَ فيه، والمُراد أنه إدامٌ يُصبَغُ به.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ﴾ وقرأ نافع، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصم: «نَسْقيكم» بفتح النون. وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصِم: بضمِّها. وقد شرحنا هذا في النَّحل[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ يعني: في ظُهورِها وألبانِها وأولادِها وأصوافِها وأشعارِها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مِنْ لُحومِها وأولادِها والكَسْبِ عليها. قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني: الإبلَ خاصَّةً ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ فالإبلُ تحمِلُ في البَرِّ والسُّفُنُ تحمِلُ في البحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا
سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ
فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ
ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ
بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ
الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا
مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ
رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً
فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ
﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ قال المُفسِّرون: هذا تعزيةٌ لرسولِ الله ﷺ بذكرِ هذا

(١) سورة النحل: ٦٦.

الرَّسولِ الصَّابرِ لِيَتأسَّى به في صَبرِه، وليعلَمَ أنَّ الرُّسُلَ قبلَهُ قد كُذِّبوا.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يَعلوكُم بالفَضِيلَةِ، فيَصِيرَ مَتبوعاً، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أنْ لا يُعبَدَ شيءٌ سِواهُ ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ تُبَلِّغُ عنه أمرَهُ، لَمْ يُرسِلْ بَشَراً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يدعونا إليه نُوحٌ مِنَ التَّوحيدِ ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾. فأمَّا الجِنَّةُ فمعناها: الجُنونُ.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الموت، فتقديره: انتَظِرُوا موتَهُ. **والثاني**: أنه وقتٌ مُنكَّرٌ. قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ وقرأ عِكرِمَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «قال ربُّ» بضمِّ الباء، وفي القصَّة الأخرى. قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ وقرأ يعقوبُ: «كذَّبوني» بياءٍ، وفي القصة التي تلِيها أيضاً: «فاتقوني» «أن يَحْضرونِي» «ربِّ ارجِعوني» «ولا تكلِّموني» أثبتهنَّ في الحالَين يعقوبُ، والمعنى: انصُرني بتكذِيبِهم، أي: انصُرني بإهلاكِهم جزاءً لهم بتكذيبِهم. ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قد شرحناه في هود[1] إلى قوله: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أَدْخِلْ في سفينَتِكَ ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «من كلِّ» بكسرِ اللام مِنْ غير تنوينٍ. وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين. قال أبو عليٍّ: قراءةُ الجمهور إضافةُ «كلّ» إلى «زوجين» وقراءةُ حَفصٍ تَؤُولُ إلى زَوجَينِ، لأنَّ المعنى: مِنْ كلِّ الأزواجِ زَوجَين. قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «مُنْزَلاً» بضمِّ الميم. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ فَتْحَها. والمَنْزِلُ، بفتحِ الميم: اسمٌ لكلِّ ما نزلتَ به، والمُنْزَلُ، بضمِّها: المصدرُ: بمعنى الإنزالِ، تقول: أنزلتُه إنزالاً ومُنْزَلاً. وفي الوقت الذي قال فيه نوحٌ ذاكَ قولان: **أحدهما**: عندَ نزولِه في السفينة. **والثاني**: عندَ نزولِه مِنَ السفينة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في قصة نُوحٍ وقومه ﴿لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا﴾ أي: وما كنَّا ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: لَمُختبِرين إيَّاهُم بإرسالِ نُوحٍ إليهم. ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني عاداً ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وهو هُودُ، هذا قول الأكثرين؛ وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: هم ثمودُ، والرسولُ صالحٌ. وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: موضعُ «أنَّكم» نصبٌ على معنى: أَيَعِدُكُم أنَّكم مُخرَجُون إذا مِتُّم فلمَّا طالَ الكلامُ أُعيدَ ذِكْرُ «أنَّ» كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بفتحِ التاء فيهما في الوَصْلِ، وإسكانِها في الوَقْفِ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وهارونُ عن أبي عمرٍو: «هيهاتاً هيهاتاً» بالنَّصبِ والتنوينِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ، وأبو حَيْوَةَ الحَضرميُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «هيهاتٌ هيهاتٌ» بالرفعِ والتنوينِ. وقرأ أبو العَالِيةِ، وقَتادَةُ: «هيهاتٍ هيهاتٍ» بالخَفضِ والتنوينِ. وقرأ أبو جعفرَ: «هيهاتِ هيهاتِ» بالخَفضِ مِنْ غير تنوينٍ، وكان يَقِفُ بالهاء. وقرأ أبو المُتوكِّلِ النَّاجي، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وعِكرِمَةُ: «هيهاتُ هيهاتُ» بالرفع مِنْ غير تنوينٍ، وقرأ معاذُ القارئُ، وابنُ يَعمُرَ، وأبو رَجاءٍ، وخارِجَةُ عن أبي عمرٍو: «هيهاتْ هيهاتْ»

---

(١) سورة هود: ٣٧. (٢) سورة التوبة: ٦٣.

بإسكانِ التاء فيهما. وفي «هيهات» عشرُ لُغاتٍ قد ذكرنا منها سبعةً عن القُرَّاءِ، والثامنةُ: «إيهات»، والتاسعةُ: «إيهان» بالنون، والعاشرةُ: «إيها» بغير نونٍ، ذكرَهنَّ ابنُ القاسِمِ؛ وأنشد الأحوَصُ في الجَمعِ بين لُغتَينِ منهنَّ:

تَـذَكَّـرُ أيـامـاً مَـضَـيْـنَ مِـنَ الـصِّـبَـا ... وهَـيـهَـاتِ هَـيْـهَـاتـاً إلـيـكَ رُجـوعُـهـا

قال الزَّجَّاجُ: فأمَّا الفتحُ، فالوَقْفُ فيه بالهاء، تقول: «هيهاه» إذا فَتحْتَ ووقفتَ بعد الفتحِ، فإذا كَسَرتَ ووقفتَ على التاء كنت ممَّنْ يُنَوِّنُ في الوَصْلِ، أو كنتَ ممن لا يُنَوِّن. وتأويلُ «هيهات»: البُعدُ لِمَا تُوعَدُون. وإذا قلتَ: «هيهات ما قلتَ» فمعناه: بعيدٌ ما قُلتَ. وإذا قلتَ: «هيهات لِمَا قُلتَ»، فمعناه: البُعدُ لِما قُلتَ. ويقال: «أيهات» في معنى «هيهات»، وأنشدوا:

وأَيْـهَـاتَ أَيْـهَـاتَ الـعَـقِـيـقُ ومَـنْ بِـهِ ... وأَيْـهَـاتَ وَصْـلٌ بـالـعَـقِـيـقِ نُـواصِـلُـه

قال أبو عمرِو بنِ العلاءِ: إذا وقفتَ على «هيهات» فقُلْ: «هيهاه» وقال الفَرَّاءُ: الكِسَائيُّ يختارُ الوَقْفَ بالهاء، وأنا أختارُ التاءَ.

قوله تعالى: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ما تُوعَدُون» بغيرِ لامٍ. قال المُفسِّرون: استَبعَدَ القومُ بَعثَهُم بعدَ الموت إغفَالاً منهم للتَّفكُّرِ في بُدوِّ أمرِهم وقُدرةِ الله على إيجَادِهم، وأرادوا بهذا الاستبعادِ أنه لا يكون أبداً، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ يَعنُونَ: ما الحياةُ إلاَّ ما نحنُ فيه، وليس بعد الموت حياةٌ. فإنْ قِيلَ: كيف قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ وهم لا يُقرُّون بالبَعثِ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ ذكرها الزَّجَّاجُ: **أحدها**: نموت ويَحيا أولادُنا، فكأنهم قالوا: يموتُ قومٌ ويَحيا قومٌ. **والثاني**: نَحيا ونَموتُ، لأنَّ الواوَ للجمعِ، لا للتَّرتيبِ. **والثالث**: ابتِداؤنا مَواتٌ في أصلِ الخِلْقَةِ، ثم نَحيا، ثم نموتُ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يَعنونَ الرسولَ. وقد سبق تفسيرُ ما بعد هذا[1] إلى قوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: عن قليلٍ، و «ما» زائدةٌ بمعنى التَّوكيدِ.

قوله تعالى: ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ أي: على كُفرِهم، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: باستِحقَاقِهم العذاب بكُفرِهم. قال المُفسِّرون: صَاحَ بهم جِبريلُ صيحةً رَجَفَتْ لها الأرضُ مِنْ تحتِهم، فصاروا لِشدَّتها غُثَاءً. قال أبو عُبيدَةَ: الغُثَاءُ: ما أشبَهَ الزَّبَدَ وما ارتفع على السَّيلِ ونحو ذلك مما لا يُنتفَعُ به في شيءٍ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: المعنى: فجعلناهم هَلْكَى كالغُثَاءِ، وهو ما عَلاَ السَّيلَ مِنَ الزَّبَد والقَمْشِ[2]، لأنه يذهبُ ويتفرَّقُ. وقال الزَّجَّاجُ: الغُثَاءُ: الهَالِكُ والبَالِي مِنْ وَرقِ الشجر الذي إذا جرى السَّيلُ رأيتَهُ مُخالِطاً زَبَدَهُ. وما بعدَ هذا قد سبقَ شرحُه[3] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرَ: «تترىً كلَّما» منوَّنةً والوَقْفَ بالألِفِ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: بلا تنوينٍ، والوَقْفُ عند نافعٍ وابنِ عامرٍ، بألِفٍ. وروى هُبَيرةُ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ، أنه

(١) سورة هود: ٧، والنحل: ٣٨.
(٢) في «اللسان» القَمْشُ: الرديء من كل شيء، والجمع قُماش: وهو ما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لرذالة الناس: قُماش. وقُماش كل شيء: فتاته.
(٣) سورة الحجر: ٥.

يقفُ بالياء؛ قال أبو عليٍّ: يعني بقوله: يَقِفُ بالياء، أي: بألِفٍ مُمالَةٍ. قال الفَرَّاءُ: أكثر العرب على تَرْكِ التنوين، ومنهم مَنْ نوَّنَ، قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: نُتَابع بفترةٍ بين كلِّ رَسُولَين، وهو مِنَ التَّواتُر، والأصلُ: وتْرَى، فقُلبت الواوُ تاءً كما قَلَبُوها في التَّقوى والتُّخَمَة. وحكى الزَّجَّاجُ عن الأصمَعِي أنه قال: معنى واتَرْتُ الخبَرَ: أتْبَعْتُ بعضَهُ بعضاً، وبينَ الخَبرَين هُنيَّة. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: ومِمَّا تَضَعُهُ العامَّةُ غيرَ موضِعه قولُهم: تواتَرتْ كُتبي إليكَ، يَعنُونَ: اتَّصَلَتْ من غير انقطاعٍ، فيضعونَ التَّواتُرَ في موضعِ الاتِّصال، وذلك غَلَطٌ، إنما التَّواتُرُ مجيءُ الشيءِ ثم انقطاعُه ثم مَجيئُه، وهو التَّفاعلُ مِنَ الوِتْرِ، وهو الفَرْدُ، يُقال: وَاتَرتُ الخبرَ، أتْبعتُ بعضَه بعضاً، وبين الخَبَرين هُنيهَةٌ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أصلُها «وتْرى» مِنَ المُواتَرةِ فأُبدِلت التاءُ مِنَ الواو، ومعناه: مُنقَطِعةً مُتفاوِتَةً، لأنَّ بين كلِّ نَبيَّين دَهراً طويلاً، وقال أبو هُريرةَ: لا بأس بقضاءِ رمضانَ تَتْرَى، أي: مُنقَطِعاً، فإذا قيلَ: وَاتَرَ فلانٌ كُتبَهُ، فالمعنى: تَابَعَها، وبينَ كلِّ كتابَيْنِ فَترةٌ.

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: أهلَكْنا الأُمَمَ بعضَهم في إثْرِ بعضٍ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي يُتَمثَّلُ بهم في الشرِّ، ولا يُقال في الخيرِ: جَعلتُه حديثاً.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: عن الإيمان بالله وعبادتِه ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: قاهِرينَ للناس بالبَغي والتَّطاولِ عليهم. قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ أي: مُطيعُونَ. قال أبو عُبيدَةَ: كلُّ مَنْ دَانَ لِمَلِكٍ فهو عابدٌ له.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراةَ، أُعطِيَها جُملةً واحدةً بعد غَرَقِ فِرعونَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعني: بَني إسرائيلَ، والمعنى: لكي يهتَدُوا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «آيتين» على التَّثنية، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾[1] وقد سبقَ شرحُه.

قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ أي: جعلناهما يأوِيانِ ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «رُبوة» بضمِّ الراء، وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: بفَتْحِها. وقد شرحنا معنى الرَّبْوَةِ في البقرة[2]، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مُستويةٍ يستقرُّ عليها سَاكِنُوها، والمعنى: ذات موضعِ قرارٍ. وقال الزَّجَّاجُ: أي: ذات مُستَقَرٍّ ﴿وَمَعِينٍ﴾ وهو الماءُ الجاري مِنَ العيون. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «ذاتَ قرار» أي: يُستقَرُّ بها للعِمَارَةِ «ومَعِينٍ» هو الماءُ الظاهرُ، ويُقال: هو مَفعُول مِنَ العَيْنِ، كأنَّ أصلَهُ مَعْيُون، كم يُقال: ثوبٌ

---

(١) سورة الأنبياء: ٩١. (٢) سورة البقرة: ٢٦٥.

مَخِيطٌ، وبُرٌّ مَكِيلٌ. واختلف المُفسِّرون في موضع هذه الرَّبوَةِ المَوصُوفَةِ على أربعةِ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها دمشقُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عبدُ الله بنُ سَلاَم، وسعيدُ بنُ المُسَيِّب. **والثاني**: أنها بيتُ المَقدِسِ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. وعن الحَسنُ كالقولَين. **والثالث**: أنها الرَّمْلَةُ مِنْ أرض فلسطين، قاله أبو هُريرَةَ. **والرابع**: مِصرُ، قاله وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ، وابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائبِ. فأمَّا السببُ الذي لأجلِهِ أوَيَا إلى الرَّبوَةِ، فقال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: فَرَّتْ مريمُ بابنِها عيسى مِنْ مَلِكِهِم، ثم رجعت إلى أهلها بعد اثنتي عشرةَ سنةً. قال وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ: وكان المَلِكُ أراد قَتْلَ عيسى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ قال ابنُ عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ في آخَرين: يعني بالرُّسُلِ ها هنا محمَّداً ﷺ وَحدَهُ، وهو مذهبُ العرب في مُخاطبَةِ الواحدِ خِطابَ الجميعِ، ويتضمَّنُ هذا أنَّ الرُّسُلَ جميعاً كذا أُمِروا، وإلى هذا المعنى ذهبَ ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ، والمُراد بالطَّيِّبات: الحَلالُ. قال عمرُو بنُ شُرَحبيل: كان عيسى عليه السلام يأكلُ مِنْ غَزْلِ أُمِّه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «وأنَّ» بالفَتح وتشديدِ النونِ. وَافَقَ ابنُ عامرٍ في فَتح الألِفِ، لكنه سَكَّنَ النونَ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «وإنَّ» بكسرِ الألِفِ وتشديدِ النون. قال الفَرَّاءُ: مَنْ فتحَ، عَطفَ على قوله: «إني بما تعملون عليم» وبأنَّ هذه أُمَّتُكُم، فمَوضِعُها خَفضٌ لأنها مَردودَةٌ على «ما»، وإنْ شئتَ كانت منصوبةً بفِعلٍ مُضمَرٍ، كأنكَ قلتَ: و اعلموا هذا؛ ومَنْ كَسَرَ استأنَفَ. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: وأما ابنُ عامرٍ، فإنه خَفَّفَ النونَ المُشدَّدةَ، وإذا خُفِّفت تعلَّقَ بها ما يَتعلَّقُ بالمُشدَّدةِ. وقد شرحنا معنى الآيَة والتي بعدَها في الأنبياء[٢] إلى قوله: ﴿زُبُرًا﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ: «زُبَراً» برفعِ الزاي وفتح الباء. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «زُبْراً» برفعِ الزاي وإسكانِ الباء. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «زُبُراً» بضمِّ الباء، فتأويلُه: جَعَلُوا دِينَهُم كُتُباً مختلفةً، جمعُ زَبُورٍ. ومَنْ قرأ «زُبَراً» بفتح الباء، أراد قِطَعاً. قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: بما عندهم مِنَ الدِّين الذي ابتَدَعُوهُ مُعْجَبون، يَرونَ أنهم على الحقِّ. وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ الكِتاب، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنهم أهلُ الكِتاب ومُشركو العرب، قاله ابنُ السَّائبِ.

---

(١) الصواب أنها بيت المقدس، ولا يعني اشتهار موضع في دمشق بـ«الربوة» أن يكون هو ذلك الموضع، لأن الربوة تطلق على كل ما ارتفع من الأرض، وقد وصف الله تلك الربوة بأنها ذات قرار أي صالحة للاستقرار. و «معين» أي فيها نبع ماء صالحة للشرب، وليس بالأمر اليسير انتقال مريم عليها السلام من بيت المقدس إلى دمشق، ومن ذا الذي يوصلها إليه. فالصحيح أن ذلك كان في بيت المقدس أو في بيت لحم، وغير ذلك بعيد غريب، والله أعلم. فالصواب أنها لم تفارق موطنها الأصلي فلسطين، وبقيت في قومها وزكريا يحوطها ويرعاها، والله أعلم.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٢.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ: «في غمراتهم» على الجَمع. قال الزَّجَّاجُ: في عَمايَتِهم وحَيْرَتِهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حينِ يأتيهُم ما وُعِدُوا به من العذاب. قال مُقاتِلٌ: يعني كفَّارَ مكَّةَ.

فصل: وهل هذه الآيةُ مَنسُوخَةٌ، أَمْ لا؟ فيها قولان: **أحدهما**: أنها مَنسُوخَةٌ بآية السَّيفِ. **والثاني**: أنَّ معناها التَّهديدُ، فهي مُحكَمَةٌ.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ وقرأ عِكرمَةُ، وأبو الجَوزاءِ: «يُمِدُّهم» بالياء المرفوعةِ وكَسْرِ الميم. وقرأ أبو عِمرَانَ الجَوْني: «نَمُدُّهُم» بنونٍ مفتوحةٍ ورفعِ الميم. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أيَحسَبونَ أنَّ الذي نُمِدُّهم به ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ مُجازاةٌ لهم؟! إنما هو استِدراجٌ، ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: نُسارِعُ لهم به في الخَيراتِ. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، وأيوبُ السَّختِيانيُّ: «يُسَارِعُ» بياءٍ مرفوعةٍ وكَسرِ الراء. وقرأ معاذُ القارئُ، وأبو المُتوكِّلِ مثله، إلاَّ أنهما فَتَحا الراءَ وقرأ أبو عِمرَانَ الجَوْني، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُسْرَعُ» بياءٍ مرفوعةٍ وسكونِ السين ونصبِ الراء مِنْ غيرِ ألِفٍ. قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنَّ ذلك استِدراجٌ لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

ثم ذَكَرَ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ وقد شَرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ وقرأ عاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «يأتون ما أتوا» بقَصْرِ همزةِ «أتوا».

[١٠١٦] وسألَتْ عائشةُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآيةِ فقالت: يا رسولَ الله، أَهُمُ الذين يُذنِبون وهم مُشفِقونَ؟ فقال: «لا، بل هُمُ الذين يُصَلُّون وهُم مُشفِقُونَ، ويَصومُونَ وهُمْ مُشفِقونَ، ويَتصَدَّقونَ

[١٠١٦] حسن. أخرجه الترمذي ٣١٧٥ وابن ماجه ٤١٩٨ وأحمد ٦/ ٢٠٥ والطبري ٢٥٥٦٠ و ٢٥٥٦٢، والحاكم ٢/ ٣٩٤ والبيهقي في «الشعب» ٧٦٢ من طريق عبد الرحمن بن سعيد الهمداني عن عائشة به. وإسناده ضعيف، رجاله رجال مسلم، إلا أنه منقطع، عبد الرحمن لم يدرك عائشة. وجرى الحاكم على ظاهره، فصححه! وسكت الذهبي! ووصله الطبري، فقد أخرجه ٢٥٥٥٩ من طريق عمر بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن عائشة، وإسناده ضعيف لضعف عمر بن قيس. وكرره ٢٥٥٦١ من وجه آخر عن ليث عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسمّ. وكرره ٢٥٥٦٣ من طريق ليث وهشيم عن العوام بن حوشب عن عائشة، وهو ضعيف لانقطاعه بين عائشة والعوام. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٢٩٣ عن ليث عن عمرة عن عائشة، وإسناده ضعيف لضعف ليث، وهو ابن أبي سُليم.

الخلاصة: هو حديث حسن صحيح، بمجموع طرقه، والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٨.

وهُمْ مُشفِقونَ أنْ لا يُتقبَّلَ منهم». قال الزَّجَّاجُ: فمعنى: «يؤتون»: يُعطون ما أعْطَوا وهم يَخافونَ أنْ لا يُتقبَّلَ منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ أي: لأنهم يُوقِنونَ أنهم يَرجِعون. ومعنى «يأتون»: يعملون الخَيراتِ وقلوبُهم خائفةٌ أنْ يكونوا مع اجتهادِهم مُقصِّرين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُسْرِعون» برفع الياء وإسكانِ السين وكسرِ الراء مِنْ غيرِ ألِفٍ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: أسرَعتُ وسارَعتُ في معنىً واحدٍ، إلاَّ أنَّ «سَارَعْتُ» أبلغُ مِنْ «أسرعْتُ»، ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: مِنْ أجلِها، وهذا كما تقول: أنا أُكرِمُ فُلاناً لكَ، أي: مِنْ أجلِكَ. وقال بعضُ أهلِ العِلْمِ: الوَجَلُ المذكورُ هاهنا واقعٌ على مُضمَرٍ.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: اللَّوحَ المَحفوظَ ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ قد أُثبِتَ فيه أعمالُ الخَلقِ، فهو يَنطِقُ بما يعملون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يُنْقَصُونَ مِنْ ثوابِ أعمالِهم. ثم عادَ إلى الكفَّارِ، فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ قال مُقاتِلٌ: في غفلَةٍ عن الإيمانِ بالقرآن. وقال ابنُ جريرٍ: في عَمىً عن هذا القرآن. قال الزَّجَّاجُ: يجوزُ أنْ يكونَ إشارةً إلى ما وَصَفَ مِنْ أعمالِ البرّ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، فيكون المعنى: بل قلوبُ هؤلاءِ في عِمَايَةٍ من هذا؛ ويجوزُ أنْ يكوَ إشارةً إلى الكتاب، فيكون المعنى: بل قلوبُهم في غمرةٍ مِنَ الكتاب الذي يَنطِقُ بالحقّ وأعمالُهم مُحصَاةٌ فيه. فخرجَ في المُشارِ إليه بـ «هذا» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: القرآن. **والثاني**: أعمالُ البرّ. **والثالث**: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعمالٌ سيِّئةٌ دونَ الشركِ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: خطايا مِنْ دونِ ذلك الحقّ، قاله مُجاهِدٌ. وقال ابنُ جريرٍ: مِنْ دون أعمالِ المؤمنين و أهلِ التقوى والخَشيَةِ. **والثالث**: أعمالٌ غيرُ الأعمالِ التي ذُكِروا بها سيعمَلُونها، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: أعمالٌ ـ مِنْ قبلِ الحِينِ الذي قدَّر الله تعالى أنه يُعذِّبُهم عند مَجيئِه ـ مِنَ المعاصي، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ إخبارٌ بما سيعمَلُونَهُ مِنْ أعمالِهم الخَبيثَةِ التي كُتِبَتْ عليهم لا بدَّ لهم مِنْ عَمَلِها.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أي: أغنياءَهُم ورؤساءَهم، والإشارةُ إلى قُريشٍ. وفي المُرادِ «بالعذاب» قولان: **أحدهما**: ضَربُ السيوفِ يومَ بَدرٍ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: الجوعُ الذي عُذِّبُوا به سبعَ سنينَ، قاله ابنُ السَّائب. و﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ بمعنى: يَصيحُون. ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: لا تَستغيثوا مِنَ العذاب ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تُمنَعون مِنْ عذابِنا. ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ أي: ترجِعون وتتأخَّرون عن الإيمان بها، ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ منصوبٌ على الحالِ. وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ الكنايةُ عن البيتِ الحَرام، وهي كِنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ؛ والمعنى: إنَّكم تستَكبِرونَ وتفتخِرون بالبيتِ والحَرَم، لأمنِكُم فيه مع خوفِ سائرِ الناسِ في

مَواطِنِهم. تقولون: نحن أهلُ الحَرَم فلا نخافُ أحداً، ونحنُ أهلُ بيتِ الله وَوُلاتُه، هذا مذهبُ ابنِ عباسٍ وغيرِه. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ تكونَ الهاءُ في «به» للكِتَاب، فيكون المعنى: تُحدِثُ لكم تِلاوتُه عليكم استِكباراً. قوله تعالى: ﴿سَٰمِرًا﴾ قال أبو عُبيدَة: معناه: تَهجُرون سُمَّاراً، والسَّامِرُ بمعنى السُّمَّارِ، بمنزلة طِفْل في موضع أطْفَال، وهو مِنْ سَمَر الليلِ. وقال ابنُ قُتَيبة: «سامراً» أي: مُتحدِّثين ليلاً، والسَّمَرُ: حديثُ الليل. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو العَالِية، وابنُ مُحَيصِنٍ: «سُمَّراً» بضمِّ السين وتشديدِ الميم وفَتْحِها، جمعُ سَامِرٍ. قرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجَاءٍ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «سُمَّاراً» برفعِ السين وتشديدِ الميم وألِفٍ بعدَها. قوله تعالى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «تَهجُرون» بفتحِ التاء وضمِّ الجيم. وفي معناها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: تَهجُرونَ ذِكْرَ الله والحَقِّ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: تَهجُرونَ كتابَ الله تعالى ونبيَّه ﷺ، قاله الحَسنُ. **والثالث**: تَهجُرونَ البيتَ، قاله أبو صالح. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: كانت قُرَيشٌ تَسْمرُ حولَ البيت، وتَفتخِرُ به ولا تَطوفُ به. **والرابع**: تقولونَ هُجْراً مِنَ القولِ، وهو اللَّغْو والهَذَيانُ، قاله ابنُ قُتَيبة. قال الفَرَّاءُ: يُقال: قد هَجَرَ الرجلُ في منامِه: إذا هَذَى، والمعنى: إنَّكم تقولون في رسولِ الله ﷺ ما ليس فيهِ وما لا يَضُرُّه. وقرأ ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وَقتادَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ، ونافعٌ: «تُهجِرُون» بضمِّ التاء وكَسرِ الجيم. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وهذا مِنَ الهُجْرِ، وهو السَّبُّ والإفحَاشُ مِنَ المَنطِقِ، يريد سَبَّهم للنبيِّ ﷺ ومَنِ اتَّبعهُ. وقرأ أبو العَالِية، وعِكرمَةُ، وعاصِمٌ الجَحدريُّ، وأبو نَهِيكٍ: «تُهَجِّرون» بتشديدِ الجيم ورفعِ التاء؛ قال ابنُ الأنباري: ومعناها معنى قراءةِ ابنِ عباسٍ.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ يعني: القرآن، فيَعرِفوا ما فيه مِنَ الدَّلالاتِ والعِبَرِ على صِدْقِ رَسولِهم ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: أليس قد أُرسِلَ الأنبياءُ إلى أُمَمِهم كما أُرسِلَ محمَّدٌ ﷺ؟! ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ هذا توبيخٌ لهم، لأنهم عَرَفوا نَسَبَهُ وصِدقَهُ وأمانَتَهُ صغيراً وكبيراً ثم أعرَضوا عنه. والجِنَّةُ: الجنونُ، ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ يعني القرآن.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في المُراد بالحقّ قولان: **أحدهما**: أنه الله عزَّ وجلَّ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ جُرَيجٍ، والسُّدِّيُّ في آخرين. **والثاني**: أنه القرآن، ذكره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. فعلى القولِ الأول يكون المعنى: لو جَعلَ اللهُ لِنَفسِه شريكاً كما يُحبُّون. وعلى الثاني: لو نَزَّلَ القرآن بما يُحبُّون مِنْ جَعلِ شريكٍ لله ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: فما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: قد تَولَّوا عما جاءَهُم مِنْ شَرَفِ الدنيا والآخرة. وقرأ ابنُ

مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعب، وأبو رَجاءٍ، وأبو الجَوزاءِ: «بل أتيناهم بذِكرَاهُم فَهُم عن ذِكرَاهُم مُعْرُضون» بألِفٍ فيهما. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ عمَّا جئتَهُم به ﴿خَرْجًا﴾ قرأ ابنُ كَثير، ونافعٌ، وأبو عَمرو، وعاصِمٌ: «خَرْجاً» بغير أَلِفٍ «فخراج» بألِفٍ. وقرأ ابن عامر: «خرجاً» «فخرجُ» بغير ألف في الحرفين. وقرأ حمزة والكسائي «خراجاً» بألف «فخراج» بألف في الحَرفَين. ومعنى «خَرجاً»: أجراً ومالاً، ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أي؛ فما يُعطيكَ ربُّك مِنْ أجرِهِ وثوابه ﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ﴾ أي: أفضلُ مَنْ أعطى؛ وهذا على سبيل التَّنبيهُ لهم أنه لم يسألْهُم أجراً، لا أنه قد سألَهُم. والنَّاكِبُ: العَادِلُ؛ يُقال: نَكَبَ عن الطريق، أي: عَدَلَ عنه.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾.

[١٠١٧] قال ابنُ عباسٍ: الضُّرُّ هاهنا: الجوع الذي نَزلَ بأهلِ مكَّةَ حين دَعَا عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «اللهُمَّ أعِنِّي على قُريشٍ بسِنينَ كَسِنِي يُوسفَ»، فجاء أبو سُفيانَ إلى رسولِ الله ﷺ فشكَا إليه الضُّرَّ، وأنهم قد أكَلُوا القِدَّ[1] والعِظَامَ، فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها، وهو العذابُ المذكور في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يومُ بَدرٍ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّهُ الجوعُ الذي أصابهُم، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: بابٌ مِنْ عذاب جهنَّم في الآخرة، حكاه المَاوردي.

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو نَهيكٍ، ومعاذٌ القارئُ: «مبلَسون» بفتحِ اللام. وقد شرحنا معنى المُبْلِسِ في سُورةِ الأنعام.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا

[١٠١٧] أخرجه الطبري ٢٥٦٣٣ عن ابن عباس به، وفيه يحيى بن واضح، وفيه كلام، وعبد المؤمن بن عثمان غير قوي. وورد من وجه آخر بنحوه عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز ـ يعني الوبر، والدم ـ فأنزل الله ﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب. . .**﴾.
أخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٣٥٢ وفي «التفسير» ٣٧٢ والطبري ٢٥٦٣٢ والواحدي ٦٢٩ والطبراني ١١/ ٣٧٠ ح ١٢٠٣٨ والحاكم ٢/ ٣٩٤ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٩٠ من وجوه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس به، وهو حديث حسن بطرقه. ويشهد لأصله ما أخرجه البخاري ٤٨٢٤ ومسلم ٢٧٩٨ والترمذي ٣٢٥٤ وأحمد ١/ ٣٨٠ من حديث ابن مسعود وفيه « . . . اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف. . .».

---

(١) في «اللسان»: القِدُّ: السير الذي يُقَدُّ من الجلد.

قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ قال المفسرون: يريد أنهم لا يشكرون أصلاً.

قوله تعالى: ﴿ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: هو الذي جعَلَهما مُختلِفين يَتعاقَبانِ ويَختلِفانِ في السَّوادِ والبَياضِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مال ترونَ مِنْ صُنعِه؟! وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: قُلْ لأهلِ مكَّةَ المُكَذِّبين بالبَعثِ: لِمَن الأرضُ ﴿وَمَن فِيهَآ﴾ مِنَ الخَلْقِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بحَالِها، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمروٍ: «لله» بغيرِ ألِفٍ هاهنا، وفي اللَّذَيْنِ بعدَها بألِفٍ. وقرأ الباقون: «لله» في المَواضعِ الثلاثةِ. وقراءة أبي عمروٍ على القياس. قال الزَّجاجُ: ومَنْ قرأ: «سيقولون الله» فهو جوابُ السؤال، ومَنْ قرأ «لله» فجيّدٌ أيضاً، لأنكَ إذا قلتَ؛ مَنْ صاحبُ هذه الدَّارِ؟ فقيلَ: لزَيدٍ، جازَ، لأنَّ معنى «مَن صاحبُ هذه الدَّارِ؟»: لِمَنْ هي؟ وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: مَنْ قرأ «لله» في المَوضِعينِ الآخَرَيْنِ، فقد أجابَ على المعنى دونَ ما يقتضيه اللفظُ. وقرأ سعيدُ بنُ جُبيرٍ، وأبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزاءِ: «سيقولون الله» «الله» «الله» بألِفٍ فيهنَّ كلِّهنَّ. قال أبو عليٍّ الأهوازي: وهو في مصاحفِ أهلِ البَصرةِ بألِفٍ فيهنَّ. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمونَ أنَّ مَنْ قَدر على خَلْقِ ذلك ابتداءً، أقدَرُ على إحياءِ الأمواتِ؟!

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تَتَّقونَ عِبادةَ غيرِه. **والثاني**: تَخشَونَ عذابَهُ. فأمَّا المَلَكوتُ، فقد شرحناه في سُورةِ الأنعام(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يَمنعُ مِنَ السُّوءِ مَنْ شاءَ، ولا يَمنعُ منه مَنْ أراده بسُوءٍ، يُقال: أجَرْتُ فُلاناً: أي: حَمَيْتُه، وأجرتُ عليه: أي: حَمَيْتُ عنه.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أنَّى تُخْدَعون وتُصْرَفون عن هذا؟!.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

---

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالتَّوحيد والقرآن ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما يُضيفون إلى الله مِنَ الوَلَدِ والشَّريك؛ ثم نَفاهما عنه بما بعدَ هذا إلى قوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفردَ بخلْقِه ولم يَرْضَ أنْ يُضافَ خَلْقُه وإنعامُه إلى غيره، ولَمنَعَ الإلهُ الآخرَ عن الاستيلاءِ على ما خَلَقَ ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: غَلَبَ بعضُهم بعضاً. قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «عالمِ» بالخَفضِ. وقرأ نافعٌ وحَمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «عالمُ» بالرَّفع. قالَ الأخفشُ: الجرُّ أجودُ ليكونَ الكلامُ مِنْ وَجهٍ واحدٍ، والرَّفعُ على أنْ يكون خَبرَ ابتداءٍ محذوفٍ. ويُقوِّيه أنَّ الكلام الأولَ قد انقطَعَ.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ وقرأ أبو عِمرانَ الجَوني، والضَّحَّاكُ: «تُرئَنّي» بالهَمزِ بين الراء والنون مِنْ غيرِ ياءٍ. والمعنى: إنْ أريتَني ما يُوعَدون مِنَ القَتلِ والعذاب، فاجعَلْني خارِجاً عنهم ولا تُهلِكْني بهَلاكِهم؛ فأرَاهم الله تعالى ما وَعدَهم ببَدرٍ وغيرِها، ونجَّاهُ ومَنْ معه.

قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ادفَعْ إساءةَ المُسيءِ بالصَّفحِ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: ادفَعِ الفُحشَ بالسَّلام، قاله عطاءٌ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: ادفَعِ الشِّركَ بالتوحيدِ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: ادفعِ المُنكرَ بالمَوعظَةِ، حكاه المَاوَردِي. وذكر بعضُ المُفسِّرينَ أنَّ هذا مَنسوخٌ بآية السيفِ(١).

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يقولون مِنَ الشِركِ والتَّكذيبِ؛ والمعنى: إنَّا نُجازيهم على ذلك. ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أي: ألجأُ وأمتنِعُ ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: هو نَخْسُها وطعْنُها، ومنه قيلَ للعائِبِ: هُمَزَةٌ، كأنه يَطعَنُ ويَنْخَسُ إذا عابَ. وقال ابن فارس: الهَمْزُ كالعَصْر، يقال: هَمَزتُ الشيءَ في كَفِّي، ومنه الهَمْزُ في الكلام، لأنه كأنه يَضغَطُ الحَرفَ، وقال غيرُه: الهَمْزُ في اللغة: الدَّفْعُ، وهَمَزاتُ الشَّياطِينِ: دَفْعُهُم بالإغواءِ إلى المعاصي.

قوله تعالى: ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ أي: أنْ يَشْهَدُون؛ والمعنى: أنْ يُصيبُوني بسُوءٍ، لأنَّ الشيطانَ لا يَحضُرُ ابنَ آدمَ إلاَّ بسُوءٍ. ثم أخبرَ أنَّ هؤلاءِ الكفار المُنكرينَ للبَعثِ يسألون الرَّجعَةَ إلى الدنيا عند الموت بالآيةِ التي تَلِي هذه، وقيلَ: هذا السؤالُ منهم للمَلائكةِ الذين يَقبِضونَ أرواحَهُم.

فإنْ قيلَ: كيفَ قال: «ارجِعُونِ» وهو يريد: «ارجِعْني»؟

فالجواب: أنَّ هذا اللفظَ تعرفه العربُ للعظيمِ الشَّأنِ، وذلك أنه يُخبِرُ عن نفسه فيه بما تُخبِرُ به الجماعةُ، كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾(٢)، فجاء خِطابُه عن نفسه، هذا قولُ الزَّجَّاجِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ

---

(١) وهي مطلع سورة براءة ـ التوبة.
(٢) سورة ق: ٤٣.

قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: فيما مَضى مِن عُمُري؛ وقال مُقاتِلٌ: فيما تركتُ مِنَ العملِ الصَّالح. قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يَرجعُ إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: مَسألَتَهُ الرجعَةَ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي: هو كلامٌ لا فائدةَ له فيه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: أمامَهُم وبينَ أيديهِم ﴿بَرْزَخٌ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: البَرْزَخُ: ما بينَ الدنيا والآخرة، وكلُّ شيءٍ بينَ شيئين فهو بَرزَخٌ. وقال الزَّجَّاجُ: البَرزَخُ في اللغة: الحَاجِزُ، وهو هاهنا: ما بينَ مَوتِ الميتِ وبَعثِه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ في هذه النَّفخةِ قولان: **أحدهما**: أنها النَّفخَةُ الأولى، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها الثانيةُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في الكلامِ مَحذوفٌ، تقديره: لا أنسَابَ بينَهم يومَئذٍ يَتفاخرونَ بها أو يَتقاطَعونَ بها، لأنَّ الأنسَابَ لا تنقطِعُ يومَئذٍ، إنما يُرفَعُ التَّواصُلُ والتَّفاخرُ بها.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يَتساءَلُونَ بالأنسابِ أنْ يَتركَ بعضُهم لبعضٍ حَقَّه. **والثاني**: لا يسألُ بعضُهم بعضاً عن شأنِه، لاشتغالِ كلِّ واحدٍ بنفسه. **والثالث**: لا يسألُ بعضُهم بعضاً مِنْ أيِّ قبيلٍ أنتَ، كما تفعلُ العرب لِتعرَفَ النَّسَبَ فتعرف قَدْرَ الرَّجُلِ. وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه إلى قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: تَلفَحُ وتَنفَحُ بمعنًى واحدٍ، إلاَّ أنَّ اللفحَ أعظمُ تأثيراً، والكَالِحُ: الذي قد تَشَمَّرَتْ شَفَتُه عن أسنانِه، نحو ما ترى مِنْ رُؤوسِ الغَنمِ إذا بَرزتِ الأسنانُ وتَشمَّرتِ الشِّفاهُ. وقال ابنُ مسعودٍ: قد بَدَتْ أسنانُهم وتقلَّصتْ شِفاهُم كالرأس المَشِيطِ بالنار.

[١٠١٨] وروى أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ في («صحيحه») مِنْ حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال في هذه الآيةِ: «تَشويهِ النَّارُ فتُقلِّصَ شَفتَهُ العُليا حتى تبلُغَ وَسْطَ رأسِه وتَسترخي شَفَتُهُ السُّفلى حتى تَبلُغ سُرَّتَهُ».

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

[١٠١٨] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٧٦ والحاكم ٢/ ٣٩٥ من حديث أبي سعيد، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم! واعترضه الذهبي على أن الكلام على إسناده تقدم اهـ. وإسناده ضعيف لأجل دراج، فإنه روى عن أبي الهيثم أحاديث مناكير، كما ذكر العلماء وهذا منها. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٤٨٠ بتخريجنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ المعنى: ويُقال لَهُمْ: أَلَمْ تَكُنْ ﴿ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «شِقوتُنا» بكسرِ الشين مِنْ غيرِ ألِفٍ، وقرأ عمرُو بنُ العَاصِ، وأبو رَزِينٍ العُقَيلي، وأبو رَجاءِ العُطَارِدِي كذلك، إلاَّ أنه بفَتْحِ الشينِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي، والحَسنُ، والأعمَشُ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «شَقَاوتُنا» بألِفٍ مع فَتْحِ الشينِ والقاف؛ وعن الحَسنِ، وقَتادةُ كذلك، إلاَّ أنَّ الشينَ مكسورةٌ. قال المُفسِّرون: أقرَّ القومُ بأنَّ ما كُتِبَ عليهم مِنَ الشَّقاءِ مَنعَهُم الهُدَى. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: مِنَ النَّارِ. قال ابنُ عباسٍ: طَلَبُوا الرُّجوعَ إلى الدنيا ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: إلى الكُفرِ والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿اخْسَـُٔوا۟﴾ قال الزَّجَّاجُ: تَباعَدُوا تَباعُدَ سَخَطٍ، يقال: خَسَأْتُ الكلبَ أَخْسَؤهُ: إذا زَجرتَهُ ليتباعَدَ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رَفعِ العذاب عنكم. قال عبدُ الله بنُ عمرٍو: إنَّ أهلَ جهنَّم يَدعُونَ مالِكاً أربعينَ عاماً، فلا يُجيبُهم، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[1]، ثم يُنادونَ ربَّهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فَيَدَعُهم مثلَ عُمُرِ الدنيا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ ثم يُنادُون ربَّهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فَيَدَعُهم مثلَ عُمُرِ الدنيا، ثم يَرِدُّ عليهم: ﴿اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فما يَنبِسُ القومُ بعد ذلك بكَلِمةٍ إنْ كان، إلاَّ الزَّفيرِ والشَّهيقِ.

ثم بيَّن الذي لأجلِه أخسَأَهُم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «أنَّه» بفتحِ الهمزة ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد المُهاجرين.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الأجودُ إدغامُ الذال في التاءِ لِقُربِ المَخرَجين، وإنْ شئتَ أظهرتَ، لأنَّ الذالَ مِنْ كلمةٍ والتاءَ مِنْ كلمةٍ، وبين الذال والتاء في المَخرجِ شيءٌ مِنَ التباعُدِ. قوله تعالى: ﴿سِخْرِيًّا﴾ قرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو حاتِم عن يعقوبَ: «سُخريّاً» بضمِّ السين هاهنا وفي سُورة ص[2]، تابَعَهُم المُفَضَّلُ في ص. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: بكسرِ السين في السُّورتين. ولم يختلف في ضمِّ السينِ في الحرفِ الذي في الزُّخرُف. واختار الفرَّاءُ الضمَّ، والزَّجَّاجُ الكَسرَ. وهل هما بمعنىً؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما لُغتانِ ومعناهما واحدٌ، قاله الخليلُ، وسِيبَويه، ومثلُه قولُ العربِ: بَحرٌ لُجيٌّ ولِجيٌّ، وكَوكبٌ دُرّيٌّ ودِرّيٌّ. **والثاني**: أنَّ الكَسرَ بمعنى الهَمزِ، والضمَّ بمعنى السُّخرة والاستعبادِ، قاله أبو عُبيدَةَ، وحكاه الفرَّاءُ، وهو مرويٌّ عن الحَسنِ، وقَتادَةَ. قال أبو عليٍّ: قراءةُ مَنْ كَسرَ أرجحُ مِنْ قراءة مَنْ ضَمَّ، لأنه مِنَ الهزء، والأكثرُ في الهزء كَسرُ السين.

[١٠١٩] قال مُقاتِلٌ: كان رُؤوسُ كفارِ قريشٍ كأبي جَهلٍ وعُقبَةَ والوَليدِ قد اتَّخذوا فقراءَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ كعمَّارٍ وبلالٍ وخَبَّابٍ وصُهَيبٍ سِخرِيّاً يستهزئون بهم ويضحكون منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ أي: أنساكُم الاشتِغَالَ بالاستهزاءِ بهم ذِكْرِي، فنَسَبَ الفعلَ إلى

[١٠١٩] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر لا شيء.

---

(١) سورة الزخرف: ٧٧. (٢) سورة ص: ٦٣.

المؤمنين وإنْ لم يَفعلوهُ، لأنهم كانوا السَّببَ في وجُودِه، كقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[١].
قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ أي على أذاكم واستهزائكم ﴿أَنَّهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وعاصِمٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ: «أنَّهم» بفتحِ الألفِ. وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: «إنَّهم» بكسرِها. فمَنْ فَتَحَ «أنَّهم» فالمعنى: جَزَيتُهم بصَبْرِهم الفور، ومَنْ كَسرَ «إنهم»، استأنفَ.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «قال كم لبثتم» وهذا سؤالُ الله تعالى للكافرين. وفي وَقْتِهِ قولان: **أحدهما**: أنه يسألُهم يومَ البَعثِ. **والثاني**: بعد حُصولِهم في النار. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «قُلْ كم لبثتم» وفيها قولان: **أحدهما**: أنه خِطابٌ لكلِّ واحدٍ منهم، والمعنى: قلْ يا أيُّها الكافرُ. **والثاني**: أنَّ المعنى: قولوا، فأخرَجَهُ مخرجَ الأمرِ للواحدِ، والمُرادُ الجماعةُ، لأنَّ المعنى مفهومٌ. وأبو عَمرٍو، وحَمزةُ، والكِسائيُّ يُدغِمُونَ ثاءَ «لبثتم»، والباقون لا يُدغِمُونَها؛ فمَنْ أدغَمَ، فلِتَقارُبِ مَخرجِ الثاءِ والتاءِ، ومَنْ لم يُدغِمْ، فلِتَبايُنِ المَخرجَيْنِ.

وفي المُرادِ بالأرض قولان: **أحدهما**: أنها القُبورُ. **والثاني**: الدنيا. فاحتقَرَ القوم ما لَبِثُوا لِمَا عَايَنُوا مِنَ الأهوالِ والعذاب فقالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال الفَرَّاءُ: والمعنى: لا ندري كم لَبِثْنا.
وفي المُرادِ بالعَادِّينَ قولان: **أحدهما**: الملائكةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: الحُسَّابُ، قاله قَتادةُ. وقرأ الحسَنُ، والزُّهريُّ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وابنُ يَعمُرَ: «العادِين» بتخفيفِ الدَّالِ.

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «قال إنْ لَبِثتم». وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «قُلْ إنْ لَبِثتم» على معنى: قُلْ أيُّها السَّائلُ عن لُبْثِهم. وزعموا أنَّ في مصحَفِ أهلِ الكوفةِ «قل» في المَوضِعين، فقرأهُما حَمزةُ، والكِسائيُّ على ما في مصاحِفِهم، أي: ما لَبِثتم في الأرضِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأنَّ مُكثَهم في الأرض وإنْ طالَ، فإنه مُتَناهٍ، ومُكثُهم في النارِ لا يتناهَى.
وفي قوله: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لو عَلِمتُم قَدْرَ لُبثِكم في الأرض. **والثاني**: لو عَلِمتُم أنكم إلى الله تَرجِعُون، فعَمِلتُم لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أي: أفظَننتم ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ أي: للعَبَثِ؛ والعَبَثُ في اللغة: اللَّعِبُ، وقيلَ: هو الفعلُ لا لغَرضٍ صحيحٍ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصِمٌ: «لا تُرجَعون» بضمِّ التاءِ. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ بفتْحِها. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عمَّا يَصِفُه به الجاهلون مِنَ الشِّركِ والوَلَدِ، ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ قال الخَطَّابي: هو التَّامُّ المُلْكِ الجَامعُ لأصنافِ المَمْلوكاتِ.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٦.

وأمَّا المَالِكُ: فهو الخَالِصُ المُلْكِ. وقد ذكرنا معنى «الحَقّ» في سُورةِ يُونس[١].

قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ والكريمُ في صفةِ الجَمادِ بمعنى: الحَسَن. وقرأ ابنُ مُحَيصِنٍ: «الكريمُ» برفع الميم، يعني الله عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا حُجَّة له به ولا دليلَ؛ وقال بعضُهم: معناه: فلا بُرهانَ له به. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: جَزاؤهُ عندَ ربِّه.

(١) سورة يونس: ٣٢.

سُورَةُ النُّور

ترتيبها ٢٤ — آياتها ٦٤

وهي مَدنيّةٌ كلُّها بإجمَاعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

[١٠٢٠] روى أبو عبدِ اللَّهِ الحاكِمُ في صحيحه مِنْ حديث عائشةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لا تُنزِلُوهنَّ الغُرَفَ ولا تُعَلِّمُوهنَّ الكتابةَ، وعلِّمُوهنَّ الغزلَ وسُورةَ النُّورِ»، يعني: النِّساء.

قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ﴾ قرأ الجمهورُ بالرَّفع. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وابنُ أبي عَبلَةَ، ومَحبُوبٌ عن أبي عمرٍو: «سورةً» بالنصب. قال أبو عُبيدَةَ: مَنْ رَفعَ، فعلى الابتداءِ. وقال الزَّجَّاجُ: هذا قبيحٌ، لأنها نَكِرةٌ، و ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ صِفَةٌ لها، وإنما الرَّفعُ على إضمَارِ: هذه سُورةٌ، والنَّصبُ على وجهين: أحدُهما على معنى: أنزلنا سُورةً والثاني على معنى: أُتلُ سُورةً.

قوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو بالتشديد. وقرأ ابنُ مسعودٍ وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي والحسَنُ وعِكرمَةُ والضَّحَّاكُ والزُّهري ونَافعٌ وابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحَمزَةُ والكِسَائيُّ وأبو جعفرَ وابنُ يَعمَرَ والأعمَشُ وابنُ أبي عَبلَةَ بالتَّخفيف. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالتشديد فعَلَى وجهين: **أحدهما**: على معنى التَّكثير، أي إنَّنا فَرضنَا فيها فُروضاً. **والثاني**: على معنى: بَيَّنَّا وفَصَّلنا ما فيها مِنَ الحَلالِ والحَرام؛ ومَنْ قرأ بالتَّخفيف، فمعناه: أَلزَمناكُمُ العملَ بما فُرِضَ فيها. وقال غيرُه: مَنْ شدَّد، أراد: فَصَّلنا فرَائِضَها، ومَنْ خفَّف، فمعناه: فَرضْنَا ما فيها.

قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ القراءةُ المشهورةُ بالرَّفعِ. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وأبو الجَوزَاءِ، وابنُ

[١٠٢٠] موضوع. أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٦ والبيهقي في «الشعب» ٢٤٥٣ من حديث عائشة وفيه عبد الوهّاب بن الضحاك، وهو متروك متهم، ومع ذلك، صححه الحاكم! لكن تعقبه الذهبي بقوله: بل موضوع، وآفته عبد الوهّاب. قال أبو حاتم: كذاب اهـ. وأخرجه الخطيب ١٣/ ٢٢٤ ومن طريقه ابن الجوزي والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٠٢ والبغوي في «التفسير» ٣/ ٣٦٠ من طريقين عن محمد بن إبراهيم الشامي، وإسناده ساقط، فيه محمد بن إبراهيم الشامي، قال عنه الذهبي في «الميزان» ٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦: قال الدارقطني: كذاب، وقال ابن حبان: يضع الحديث، ثم ذكر الذهبي أحاديث ومنها حديث الباب هذا، وقال: صدق الدارقطني. وورد من حديث ابن عباس أخرجه ابن عدي ٢/ ١٥٣ ومن طريقه ابن الجوزي ٢/ ٢٦٨ وفيه جعفر بن نصر أعله ابن عدي به، وقال: حدّث عن الثقات بالبواطل، وله موضوعات. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٢٤ بتخريجنا.

أبي عَبلَةَ، وعيسى بنُ عمرَ: «الزانيةَ» بالنَّصبِ. واختاره الخَليلُ وسِيبَويه والرَّفعُ اختيارُ الأكثرين. قال الزَّجَّاجُ: والرَّفعُ أقوى في العربية، لأنَّ معناه: مَنْ زَنَى فاجلِدُوه، فتأويلُه الابتداءُ، ويجوز النَّصبُ على معنى: اجلِدُوا الزَّانيةَ. فأمَّا الجَلْدُ، فهو ضَربُ الجِلْدِ، يُقال: جَلَدَه: إذا ضَربَ جِلْدَهُ، كما يُقال: بَطَنَه: إذا ضَرَب بَطْنَهُ. قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: الزَّانيةُ والزَّاني إذا كانا حُرَّينِ بالِغَينِ بِكْرَيْنِ، ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾.

فصل: قال شيخُنا عليُّ بنُ عُبيدِ الله: هذه الآيةُ تقتضي وجوبَ الجَلْدِ على البِكْرِ والثَّيِّبِ(١). وقد رُوي عن رسول الله ﷺ في حقِّ البِكْرِ زيادة على الجَلْدِ بتَغريبِ عامٍ، وفي حقِّ الثَّيِّب زيادةً على الجَلْدِ بالرَّجْمِ بالحِجارة.

[١٠٢١] فروى عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائةٍ وتَغريبُ عامٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ ورَجْمٌ بالحِجارَةِ». وممَّنْ قال بوجُوبِ النَّفي في حقِّ البِكْرِ: أبو بكرٍ،

[١٠٢١] تقدم في سورة النساء: عند الآية ١٥ و ١٦ وقد خرّجه مسلم وغيره.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٣٧٠: الزنى حرام، وهو من الكبائر العظام وقد كان حد الزاني في صدر الإسلام الحبس للثيب، والأذى بالكلام من التقريع والتوبيخ للبكر. ثم نسخ بما روى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ، وقد ذهب بعض أصحابنا بجواز نسخ القرآن بالسنة ومن منع ذلك قال: ليس هذا نسخاً، وإنما هو تفسير للقرآن وتبيين له. ويمكن أن يقال إن نسخه حصل بالقرآن، فإن الجلد في كتاب الله تعالى، والرجم كان فيه، فنسخ رسمه، وبقي حكمه. وإذا زنى الحر المحصن، أو الحرة المحصنة، جلدا ورجما حتى يموتا، في إحدى الروايتين عن أبي عبد الله رحمه الله، والرواية الأخرى، يرجمان ولا يجلدان.
وفي وجوب الرجم على الزاني المحصن، رجلاً كان أو امرأة قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار ولا نعلم فيه مخالفاً إلا الخوارج، فإنهم قالوا: الجلد للبكر والثيب، ولا يجوز ترك كتاب الله تعالى الثابت بطريق القطع واليقين بخبر الآحاد.
والرد عليهم ـ لقد ثبت الرجم عن رسول الله ﷺ بقوله وفعله، في أخبار تشبه التواتر وأجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأتها وعقلتها ووعيتها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى، فالرجم حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل، أو الاعتراف وقد قرأتها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» متفق عليه.
وأما الجلد فنقول بها، إن الزاني يجب جلده، فإن كان ثيباً رجم مع الجلد والآية لم تتعرض لنفيه. في إحدى الروايتين، فعل ذلك علي رضي الله عنه، وبه قال ابن عباس وأبي بن كعب وأبو ذر وفي الرواية الثانية، يرجم ولا يجلد. روي عن عمر وعثمان وابن مسعود، والنخعي، والزهري والأوزاعي ومالك، والشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي.
وإذا زنى الحر البكر، جلد مائة، وغرّب عاماً. ولا خلاف في وجوب الجلد على الزاني ويجب مع الجلد تغريبه عاماً في قول جمهور العلماء. وقال مالك والأوزاعي: يغرّب الرجل دون المرأة، لأنها إن غرّبت بمحرم، أفضى إلى تغريب من ليس بزان، ونفي من لا ذنب له، وإن كلفت أجرته ففي ذلك زيادة على عقوبتها بما لم يرد الشرع به، ويلزم منه الزيادة على ذلك. وفوات حكمته. وفي تغريبها إغراء به، وتمكين منه. وقال أبو حنيفة ومحمد بن الحسن: لا يجب التغريب وقول مالك فيما يقع لي، أصح الأقوال وأعدلها.

وعمرُ، وعُثمانُ، وعليٌّ، وابنُ عمرَ، وممن بعدَهم عَطاءٌ، وطَاوسٌ، وسُفيَانُ، ومالكٌ، وابنُ أبي لَيلى، والشَّافعيُّ، وأحمدُ، وإسحَاقُ، وممَّن قال بالجَمعِ بين الجَلْدِ والرَّجْمِ في حقِّ الثَّيِّبِ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، والحَسَنُ البَصريُّ، والحَسنُ بنُ صالحٍ، وأحمدُ، وإسحَاقُ. قال: وذهب قومٌ مِنَ العلماء إلى أنَّ المراد بالجَلْدِ المذكورِ في هذه الآية: البِكْرُ، فأمَّا الثَّيِّبُ، فلا يجب عليه الجَلْدُ، وإنما يجبُ الرَّجمُ، رُوي عن عمرَ، وبه قال النَّخعيُّ والزُّهري والأوزاعي والثَّوري وأبو حَنيفَةَ ومالكٌ، ورُوي عن أحمدَ روايةٌ مثلُ قول هؤلاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي وأبو رَزِينٍ والضَّحَّاكُ وابنُ يَعمَرَ والأعمَشُ: «يأخُذكُمْ» بالياء ﴿بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قرأ نافعٌ وأبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحمزَةُ والكِسَائيُّ: «رَأْفَةٌ» بإسكانِ الهمزة. وقرأ أبو المُتوكِّلِ ومُجاهِدٌ وأبو عِمرَانَ الجَوْني وابنُ كَثيرٍ: بفتح الهمزة وقَصْرِها على وزن رَعَفَة. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ والضَّحَّاكُ وأبو رَجَاءٍ العُطَاردي: «رَآفَةٌ» مثل سَآمة وكَآبة، وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: لا تأخُذكُم بهما رَأفَةٌ، فَتخففُوا الضَّربَ، ولكنْ أوجِعُوهُما، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ والحسَنُ والزُّهري وقَتادَةُ. **والثاني**: لا تأخُذكُم بهما رَأفَةٌ فتُعَطِّلوا الحُدودَ ولا تُقيموها، قاله مُجاهِدٌ والشَّعبيُّ وابنُ زيدٍ في آخَرِين.

فصل: واختلف العلماءُ في شدَّةِ الضَّربِ في الحُدودِ، فقال الحسَنُ البَصريُّ: ضَربُ الزِّنا أشدُّ مِنَ القَذفِ، والقَذفُ أشدُّ مِنَ الشُّرْب، ويُضرَبُ الشَّارِبُ أشدَّ مِنْ ضَربِ التَّعزيرِ، وعلى هذا مذهبُ أصحابنا، وقال أبو حَنيفَةَ: التَّعزيرُ أشدُّ الضَّربِ، وضَربُ الزِّنى أشدُّ مِنْ ضَربِ الشَّارِبِ، وضَربُ الشَّارِبِ أشدُّ مِنْ ضَربِ القَذْفِ. وقال مالكٌ: الضَّربُ في الحُدودِ كلِّها سَواءٌ غيرُ مُبَرِّحٍ.

فصل: فأمَّا ما يُضرَبُ مِنَ الأعضاء، فنَقلَ المَيمُوني عن أحمدَ في جَلْدِ الزَّاني، قال: يُجرَّدُ، ويُعطى كلُّ عُضوٍ حَقَّهُ، ولا يُضرَب وَجهُه ولا رَأسُه. ونقلَ يعقوبُ بن بختان: لا يُضرَبُ الرَّأسُ ولا الوَجهُ ولا المَذاكِيرُ، وهو قولُ أبي حَنيفةَ. وقال مالكٌ: لا يُضرب إلاَّ في الظَّهرِ. وقال الشَّافعيُّ: يُتَّقى الفَرْجُ والوجهُ.

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: في حُكمِه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: في طاعة الله، ذكره المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: القِراءةُ بإسكانِ اللام، ويجوز كَسْرُها، والمراد بعذابِهِما ضَربُهما، وفي المراد بالطَّائفة ها هنا خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: الرجلُ فما فوقَهُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. وقال النَّخعيُّ: الواحدُ طَائِفةٌ. **والثاني**: الاثنان فصَاعِداً، قاله

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٢٦٠: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قول: أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعداً، وذلك أن الله عمّ بقوله **﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾** والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعداً، غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس، عدد من تقبل شهادته على الزنا لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك وهم فيما دون ذلك مختلفون.

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعطاءٌ؛ وعن عِكرِمَةَ كالقولَين. قال الزَّجّاجُ: والقولُ الأولُ على غير ما عند أهل اللغة، لأنَّ الطَّائفةَ في معنى جماعةٍ، وأقلُّ الجماعة اثنان. **والثالث**: ثلاثةٌ فصَاعِداً، قاله الزُّهري. **والرابع**: أربعةٌ، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: عشرةٌ، قاله الحسَنُ البَصْريُّ.

قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.

[١٠٢٢] قال عبدُ الله بنُ عمرٍو: كانت امرأةٌ تُسافِحُ، وتشترطُ للذي يتزوجها أنْ تكفِيَهُ النَّفقة فأراد رجلٌ مِنَ المسلمين أنْ يتزوَّجها، فذكرَ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٠٢٣] وقال عِكرِمَةُ: نزلت في بَغَايا، كُنَّ بمكَّةَ، ومنهنَّ تِسعُ صَواحِبَ رَاياتٍ، وكانت بيوتُهنَّ تُسمَّى في الجاهليَّةِ: المَواخِيرُ، ولا يدخلُ عليهنَّ إلاَّ زَانٍ مِنَ أهل القِبْلَةِ، أو مُشرِكٌ مِنَ أهل الأوثانِ، فأراد ناسٌ مِنَ المسلمين نِكاحَهنَّ، فنزلت هذه الآيةُ. قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: الزَّاني مِنَ المسلمين لا يتزوَّجُ مِنْ أولئكَ البَغَايا إلاَّ زَانِيَةً ﴿أَوْ مُشْرِكَةً﴾ لأنهنَّ كذلك كُنَّ ﴿وَالزَّانِيَةُ﴾ منهنَّ ﴿لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾، ومذهبُ أصحابنا[١] أنه إذا زَنَى بامرأةٍ، لم يَجُزْ له أنْ يتزوَّجها إلاَّ بعدَ التَّوبةِ منهما.

[١٠٢٢] حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٣٧٩ وأحمد ٢/ ١٥٩ ـ ٢٢٥ والحاكم ٢/ ١٩٣ والطبري ٢٥٧٤٢ والواحدي في «الأسباب» ٦٣٢ والبيهقي ٧/ ١٥٣ كلهم من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص به مع اختلاف يسير في ألفاظهم. وإسناده ضعيف لجهالة الحضرمي هذا، وقد وثقه ابن حبان وحده. واعتمده الهيثمي، فقال في «المجمع» ٧/ ٧٤: رجال أحمد ثقات! وكذا صححه الحاكم! ووافقه الذهبي. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٩١ من طريق هُشيم عن سليمان التيمي عن القاسم عن عبد الله بن عمرو به، وإسناده ضعيف، فقد سقط منه الحضرمي، ولعل ذلك بسبب عنعنة هشيم، فإنه مدلس، وقد جرى الحاكم على ظاهره، فصححه على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي! وليس كما قالا. وله شاهد من مرسل مجاهد، أخرجه الطبري ٢٥٧٤٩ ومع إرساله فيه راو لم يسم، ومع ذلك هذه الروايات تشهد للحديث الآتي وليست مخالفة له، والله أعلم فقد تكون الحادثة مكررة والسبب واحد. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٤٩.

[١٠٢٣] مرسل. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٣١ عن عكرمة بدون إسناد. وانظر ما قبله.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٩/ ٥٦١: إذا زنت المرأة، لم يحل ذلك نكاحها إلا بشرطين: **أحدهما**: انقضاء عدتها ولا يحل نكاحها قبل وضع حملها. وبهذا قال مالك وأبو يوسف وهو إحدى الروايتين عن أبي حنيفة، وفي الأخرى قال: يحل نكاحها ويصح. وهو مذهب الشافعي لأنه وطء لا يلحق به النسب فلم يحرّم النكاح، كما لو لم تحمل. **والثاني**: أن تتوب من الزنى. وبه قال قتادة، وأبو عبيد، وإسحاق وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: لا يشترط ذلك. وإذا وجد الشرطان حل نكاحها للزاني وغيره في قول أكثر العلم. وروي عن ابن مسعود وعائشة والبراء: أنها لا تحل للزاني بحال، قالوا: لا يزالان زانيين ما اجتمعا، ويحتمل أنهم أرادوا بذلك ما كان قبل التوبة. أو قبل استبرائها فيكون كقولنا. أما تحريمها على الإطلاق فلا يصح. هذا وإن عدة الزانية كعدة المطلقة، لأنه استبراء لحرة، فأشبه عدة الموطوءة بشبهة. وحكى ابن أبي موسى، أنها تستبرأ بحيضة. وأما التوبة، فهي الاستغفار والندم والإقلاع عن الذنب، كالتوبة من سائر الذنوب. وهو الصحيح. وروي عن ابن عمر، أنه قيل له: كيف تعرف توبتها؟ قال يريدها على ذلك، فإن طاوعته لم تتب وإن أبت فقد تابت. فصار أحمد إلى قول ابن عمر اتباعاً له. والصحيح الأول، فإنه لا ينبغي لمسلم أن يدعو امرأة إلى الزنا، ويطلبه منها، ولا تحل الخلوة بأجنبية ولو كان في تعليمها القرآن. فلا يحل التعرض لمثل هذا. قال الطبري رحمه الله ٩/ ٢٦٤: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني =

قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ وقرأ أُبيّ بنُ كَعبٍ وأبو المُتوكِّلِ وأبو الجَوزاءِ: «وحَرَّم الله ذلك» بزيادةِ اسم اللهِ تعالى مع فَتْح حروفِ «حرَّم». وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ: «وحَرُمَ ذلك» بفتح الحاء وضمِّ الراء مُخففة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه نِكاحُ الزَّواني، قاله مُقاتِلٌ. والثاني: الزِّنا، قاله الفَرَّاءُ.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ شَرائِطُ الإحصَانِ في الزنا الموجب للرجم عندنا أربعةٌ: البُلوغُ، والحُريَّةُ، والعقلُ، والوَطءُ في نِكاحٍ صحيحٍ. فأمَّا الإسلامُ، فليس بشَرطٍ في الإحصَانِ، خلافاً لأبي حَنيفَةَ، ومالكٍ. ومعنى الآية: يَرمُونَ المُحصَنَاتِ بالزِّنا، فاكتفَى بذِكْرِه المُتقدِّم عن إعادَتِه ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾ على ما رمَوْهُنَّ به ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ عُدولٍ يَشهدونَ أنهم رَأوهُنَّ يفعَلْنَ ذلك ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ يعني القَاذِفِين.

فصل: وقد أفادَت هذه الآيةُ أنَّ على القَاذِفِ إذا لم يُقِم البيِّنَةَ، الحَدَّ، ورَدَّ الشهادةِ وثُبوتَ الفِسْق، واختلفوا هل يُحكَمُ بفِسقِهِ وردِّ شهادَتِه بنَفْسِ القَذْفِ، أمْ بالحَدِّ؟ فعلى قولِ أصحابنا: إنه يُحكَمُ بفِسقه وردِّ شهادَتِه إذا لم يُقِم البَيِّنَةَ، وهو قولُ الشَّافعيِّ. وقال أبو حَنيفَةَ ومالكٌ: لا يُحكَمُ بفِسقِهِ، وتُقبَلُ شهادَتُه ما لم يُقَم الحَدُّ عليه.

فصل: والتَّعريضُ بالقَذفِ ـ كقوله لِمَنْ يُخاصِمُه: ما أنتَ بزانٍ، ولا أُمُّكَ زانيَةٌ ـ يُوجِبُ الحَدَّ في المشهور مِنْ مذهبنا. وقال أبو حَنيفَةَ: لا يُوجبُ الحَدَّ. وحَدُّ العبدِ في القَذفِ نصفُ حَدِّ الحُرِّ، وهو أربعونَ، قاله الجماعةُ، إلاَّ الأوزاعيَّ فإنه قال: ثمانونَ. فأمَّا قَاذِفُ المجنونِ، فقال الجماعةُ: لا يُحَدُّ. وقال اللَّيثُ: يُحَدُّ. فأمَّا الصَّبيُّ، فإنْ كان مِثلُه يُجامِعُ أو كانت صَبيَّةً مثلُها يُجامَعُ، فعلى القَاذِفِ الحَدُّ. وقال مالكٌ: يُحَدُّ قَاذِفُ الصَّبيَّةِ التي يُجَامَع مثلُها، ولا يُحَدُّ قاذِفُ الصَّبيِّ. وقال أبو حَنيفة، والشَّافعيُّ: لا يُحَدُّ قَاذِفُهما. فإنْ قَذفَ رجلٌ جماعةً بكلمةٍ واحدةٍ، فعليه حَدٌّ واحدٌ، وإنْ أفرَدَ كلَّ واحدٍ بكلمةٍ، فعليه لكلِّ واحدٍ حَدٌّ، وهو قولُ الشَّعبيِّ، وابنِ أبي لَيلى؛ وقال أبو حَنيفَةَ وأصحابه: عليه حَدٌّ واحدٌ، سواءٌ قَذَفَهُم بكلمةٍ أو بكلماتٍ.

فصل: وحدُّ القَذفِ حقٌّ لآدَميٍّ، يصِحُّ أنْ يُبرِئَ منه، ويَعفُوَ عنه، وقال أبو حَنيفَةَ: هو حقُّ الله عزَّ وجلَّ وعندنا أنه لا يُستوفى إلاَّ بمُطالبة المَقذوفِ، وهو قولُ الأكثرين. وقال ابنُ أبي لَيلى: يَحدُّه

= بالنكاح في هذا الموضع: الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات وإنه لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة. وإذا كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا، أو بمشركة تستحله. وقوله ﴿وحرّم ذلك على المؤمنين﴾ يقول: وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله، وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾. ووافقه ابن كثير رحمه الله ٣/ ٣٢٩ وقال: وهذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة، أي: لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة، لا ترى حرمة ذلك وكذلك: ﴿الزانية لا ينكحها إلا زان﴾ أي: عاص بزناه ﴿أو مشرك﴾ لا يعتقد تحريمه.

الإمامُ وإن لم يُطالِب المَقذوفَ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي: مِنَ القَذفِ ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ قال ابنُ عباسٍ: أظهرُوا التَّوبةَ؛ وقال غيرُه: لم يَعودوا إلى قَذفِ المُحصَناتِ، وفي هذا الاستثناءِ قولان: **أحدهما**: أنه نَسَخَ حدَّ القَذفِ وإسقاطُ الشَّهادةِ معاً، وهذا قولُ عِكرمَةَ، والشَّعبيِّ، وطَاوسٍ، ومُجاهِدٍ، والقاسم بنِ محمَّدٍ، والزُّهري، والشَّافعيِّ، وأحمدَ. **والثاني**: أنه يعود إلى الفِسْقِ فقط، وأمَّا الشَّهادةُ، فلا تُقبَلُ أبداً، قاله الحَسنُ، وشُرَيحٌ، وإبراهيمُ، وقَتادةُ. فعلى هذا القول انقطعَ الكلامُ عند قوله: «أبداً»؛ وعلى القولِ الأول وقعَ الاستثناءُ على جميعِ الكلامِ، وهذا أصحُّ، لأنَّ المتكلِّمَ بالفاحِشَةِ لا يكون جُرماً مِنْ رَاكِبِها، فإذا قُبِلَتْ شهادةُ المَقذوفِ بعدَ ثُبوتِه، فالرَّامي أيسَرُ جُرماً، وليس القَاذفُ بأشدَّ جُرماً مِنَ الكافرِ، فإنه إذا أسْلَمَ قُبِلَتْ شهادَتُه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾.

[١٠٢٤] سببُ نُزولِها أنَّ هِلالَ بنَ أُميَّةَ وجدَ عند أهله رجلاً، فرأى بعَينِه وسَمعَ بأُذُنِه، فلم يُهِجْهُ حتى أصبَحَ، فغَدَا على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله: إنِّي جِئتُ أهلي، فوجَدتُ عندها رجلاً، فرأيتُ بعَيني وسَمِعتُ بأُذُني، فَكرِهَ رسولُ الله ﷺ ما جاء به، واشتَدَّ عليه، فقال سَعدُ بنُ عُبادَةَ: الآن يَضربُ رسولُ الله هِلالاً ويُبطِلُ شهادَتَه، فقال هِلالٌ: واللهِ إنِّي لأرجُو أنْ يجعلَ اللَّهُ لي منها مَخرَجاً، فَواللَّهِ إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يريد أنْ يأمُرَ بضَربِه إذ نَزلَ عليه الوَحيُ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

[١٠٢٥] وفي حديثٍ آخَرَ، أنَّ الرجلَ الذي قَذفَها به شريك بنُ سَحْماء، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قال

[١٠٢٤] أخرجه أحمد ١/٢٣٨ والطبري ٢٥٨٢٨ من طريق عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس. وإسناده ضعيف لأجل عباد بن منصور، لكن أصله محفوظ، أخرجه البخاري وغيره. وانظر ما بعده وانظر «أحكام القرآن» ١٥٥٥.

[١٠٢٥] صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٧١ و ٤٧٤٧ وأبو داود ٢٢٥٤ والترمذي ٣١٧٩ وابن ماجه ٢٠٦٧ والبيهقي ٧/٣٩٣ والبغوي ٢٣٧٠ كلهم من حديث ابن عباس، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدّ في ظهرك» فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد. فنزل جبريل وأنزل عليه **﴿والذين يرمون أزواجهم﴾** فقرأ حتى بلغ **﴿إن كان من الصادقين﴾**، فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها. فجاء هلال فشهد. والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟» ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت. فقال =

لهلالٍ حين قَذفَها: «ائتِني بأربعةِ شُهداء، وإلاّ فَحَدٌّ في ظَهرِكَ»، فنزلت هذه الآيةُ، فنُسِخَ حُكمُ الجَلْدِ في حقِّ الزوجِ القَاذفِ.

فصل في بيان حكم الآية: إذا قَذفَ الرجلُ زوجَتَهُ بالزِّنا، لَزِمهُ الحَدُّ، وله التَّخلُّصُ منه بإقامة البَيِّنةِ، أو باللِّعَانِ، فإنْ أقامَ البَيِّنةَ لَزِمَها الحَدُّ، وإنْ لاعَنَها، فقد حقَّقَ عليها الزِّنا، ولها التَّخليصُ منه باللِّعَانِ، فإنْ نَكَلَ الزَّوجُ عن اللِّعَانِ، فعليه حَدُّ القَذفِ، وإنْ نَكَلَتِ الزوجةُ، لم تُحَدّ، وحُبِسَتْ حتى تُلاعِنَ أو تُقِرَّ بالزِّنا في إحدى الروايتين، وفي الأُخرى: يُخلَّى سبيلُها، وقال أبو حَنيفَةَ: لا يُحَدُّ واحدٌ منهما، ويُحبَسُ حتى يُلاعِنَ. وقال مالكٌ، والشَّافعيُّ: يَجِبُ الحَدُّ على النَّاكِلِ منهما.

فصل: ولا تَصِحُّ المُلاعَنَةُ إلاّ بحضرةِ الحَاكِمِ. فإنْ كانتِ المرأةُ خَفِرةً، بَعثَ الحاكِمُ مَنْ يُلاعِنُ بينهما. وصِفَةُ اللِّعَانِ أنْ يبدأَ الزَّوجِ فيقول: أشهدُ باللَّهِ إنّي لَمِنَ الصَّادِقِين فيما رَمَيتُها به مِنَ الزِّنا، أربعَ مرَّاتٍ، ثم يقولُ في الخامسةِ: ولَعنَةُ اللَّهِ عليه إنْ كان مِنَ الكَاذِبِين، ثم تقولُ الزَّوجةُ أربعَ مراتٍ: أشهدُ باللَّهِ لقد كَذَبَ فيما رَمَاني به مِنَ الزِّنا، ثم تقول: وغَضِبَ اللَّهُ عليها إنْ كان مِنَ الصَّادِقين. والسُّنةُ أنْ يَتلاعَنَا قِياماً، ويُقالُ للزَّوجِ إذا بلغَ اللعنَةَ: اتَّقِ اللَّهَ فإنها المُوجِبَةُ، وعذابُ الدنيا أهونُ مِنْ عذاب الآخرة، وكذلك يُقال للزَّوجَةِ إذا بَلَغَتْ إلى الغَضَبِ. فإنْ كان بينهما وَلَدٌ، افتقَرَ نَفيُهُ عن الأبِ إلى ذِكْرِه في اللِّعَانِ، فيزيدُ في الشَّهادةِ: وما هذا الوَلَدُ وَلَدِي، وتَزيدُ هي: وإنَّ هذا الولَدَ وَلَدُهُ.

فصل: واختلفَ الفقهاءُ في الزَّوجين اللَّذَيْنِ يجري بينهما اللِّعَانُ، فالمشهورُ عن أحمدَ أنَّ كلَّ زوجٍ صحَّ قَذفُهُ صحَّ لِعَانُه، فيدخلُ تحتَ هذا المُسلمُ والكافرُ والحُرُّ والعَبدُ، و كذلك المرأةُ، وهذا قولُ مالكٍ، والشَّافعيِّ. وقال أبو حَنيفةَ: لا يجوز اللِّعَانُ بين الحُرِّ والأَمَةِ، ولا بين العَبدِ والحُرَّةِ، ولا بين الذِّمِّيَّيْنَ، أو إذا كان أحدُهما ذِمِّيًّا؛ ونقلَ حَربٌ عن أحمدَ نحوَ هذا، والمذهبُ هو الأولُ. ولا تختلف الرواية عن أحمدَ أنَّ فُرقَةَ اللِّعَانِ لا تقعُ بلِعَانِ الزوجِ وحدَهُ. واختلَفَتْ هل تقعُ بلِعَانِهما مِنْ غيرِ فُرقَةِ الحاكِمِ على روايتين. وتحريمُ اللِّعَانِ مُؤبَّدٌ، فإنْ أكذبَ المُلاعِنُ نفسَهُ لم تَحِلَّ له زوجَتُه أيضاً، وبه قال عمرُ، وعليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وعن أحمدَ روايتان، أصحُّهما: هذا، والثانية: يجتمعان بعد التَّكذيبِ، وهو قولُ أبي حَنيفَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ وقرأ أبو حَنيفةَ وأبو المُتوكِّلِ. وابنُ يَعمُرَ، والنَّخعيُّ: «تكن» بالتاء. قوله تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «أربعَ» بفتح العين. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: برفعِ العينِ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ رَفَعَ «أربعُ» فالمعنى: فشهادةُ أحدِهم التي تَدْرأُ حَدَّ القَذفِ أربعُ؛ ومَنْ نَصَبَ، فالمعنى: فعلَيْهِم أنْ يشهَدَ أحدُهم أربعَ. قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ قرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ: «والخامسةَ» نصباً، حَمْلاً على نصبِ «أربعَ شهادات». قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قرأ نافعٌ، ويعقوبُ، والمُفضَّلُ:

= النبي ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلّج الساقين فهو لشريك بن سمحاء» فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». لفظ البخاري. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٥٣ بتخريجنا.

«أن لعنةُ الله» و «أن غضبُ الله» بتخفيفِ النُّونِ فيهما وسُكونهما ورفع الهاءِ من «لعنةُ» والباءِ من «غضبُ»، إلاَّ أنَّ نافعاً كَسرَ الضادَ مِنْ «غَضِب» وفتحَ الباءَ. قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا﴾ أي: ويدفع عنها ﴿الْعَذَابَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه الحد. **والثاني**: الحبس ذكرهما ابن جرير. **والثالث**: العار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: سِترُهُ ونِعمتُه. قال الزَّجَّاجُ: وجوابُ «لولا» ها هنا متروك، والمعنى: لولا ذلك لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيمٌ، وقال غيرُه: لولا فَضْلُ اللهِ لَبيَّنَ الكاذبَ مِنَ الزَّوجين فأُقيمَ عليه الحدُّ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يعود على مَنْ رجعَ عن المعاصي بالرَّحمة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما فَرضَ مِنَ الحُدودِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾ أجمعَ المُفسِّرون؛ أنَّ هذه الآيةَ وما يتعلَّقُ بها بعدَها نزلت في قصة عائشةَ رضي الله عنها، وفي حديثِ الإفكِ أنَّ هذه الآيةَ إلى عَشرِ آياتٍ نزلت في قصة عائشةَ. وقد ذكرنا حديثَ الإفكِ في كتاب «الحدائق» وفي كتاب «المغني في التفسير» فلم نُطِلْ بذكرِه، لأنَّ غَرضَنا اختصارُ هذا الكتاب ليُحفظَ. فأمَّا الإفكُ، فهو الكَذِبُ، والعُصبَةُ: الجماعةُ. ومعنى قوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: مِنَ المؤمنين.

[١٠٢٦] وروى عُروةُ عن عائشةَ أنها قالت: هم أربعةٌ: حسَّانُ بنُ ثابتٍ، وعبدُ الله بنُ أُبيّ بن سلول ومِسطَحُ بنُ أُثاثَةَ وحَمْنَةُ بنتُ جَحشٍ، وكذلك عَدَّهم مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ قال المُفسِّرون: هذا خطابٌ لعائشةَ وصفوانَ بن المُعطِّلِ،

[١٠٢٦] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٧٠ ح ٥٨ والترمذي ٣١٨٠ من طريق أبي أسامة عن هشام عن عروة عن عائشة، وهو طرف حديث. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٦٦ بتخريجنا. وحديث الإفك، حديث صحيح مشهور. أخرجه البخاري ٢٦٦١ و ٤١٤١ و ٤٧٥٠، و ٦٦٧٩ ومسلم ٢٧٧٠ وأبو داود ٤٧٣٥ والترمذي ٣١٨٠ والنسائي في «عشرة النساء» ٤٥ وعبد الرزاق ٩٧٤٨ وأحمد ٦/ ١٩٧ وأبو يعلى ٤٩٢٧ و ٤٩٣٣ وابن حبان ٤٢١٢ والطبراني ٢٣/ ١٣٤ والبيهقي ٧/ ٣٠٢ من طرق كلهم من حديث عائشة.

وقيلَ: لرسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعائشةَ؛ والمعنى: إنكم تُؤجَرُونَ فيه، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ يعني: مِنَ العُصبَةِ الكاذبةِ ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي: جزاءَ ما اجترَحَ مِنَ الذَّنبِ على قَدْرِ خوضِه فيه، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وعِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ وابنُ أبي عَبلَةَ، والحسن، ومحبوب عن أبي عمرو ويعقوب: «كُبره» بضم الكاف. قال الكسائي: وهما لغتان. وقال ابنُ قُتيبةَ: كِبْرُ الشيءِ: مُعْظَمُه، ومنه هذه الآيةُ. قال قيسُ بنُ الخَطيم يذكرُ امرأةً:

تَنَامُ عن كِبْرِ شَأنِهَا فإذا قامَتْ رُوَيْداً تكادُ تَنغَرِفُ[1]

وفي المُتولِّي لذلك قولان:[2] **أحدهما**: أنه عبدُ الله بنُ أُبيّ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وعُروَةُ عن عائشةَ، وبه قال مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ. قال المُفسِّرون: هو الذي أشاعَ الحديثَ، فله عذابٌ عظيمٌ بالنارِ. وقال الضَّحَّاكُ: هو الذي بدأ بذلك. **والثاني**: أنه حسَّانُ.

[١٠٢٧] روى الشَّعبيُّ أنَّ عائشةَ قالت: ما سمعتُ أحسنَ مِنْ شعرِ حسَّانَ، وما تمثَّلتُ به إلاَّ رَجَوتُ له الجنَّةَ؛ فقيل: يا أمَّ المؤمنين، أليس الله يقول: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فقالت: أليس قد ذهبَ بَصَرُه؟

[١٠٢٨] وروى عنها مَسرُوقٌ أنها قالت: وأيُّ عذابٍ أشدُّ مِنَ العَمى، ولعلَّ الله أن يجعلَ ذلكَ العذابَ العظيمَ، ذهابَ بَصَرِه، تعني: حسَّانَ بنَ ثابتٍ.

ثم إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنكَرَ على الخائضِينَ في الإفكِ بقوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: هَلاَّ إذ سَمِعتُم أيَّتُها العُصْبَةُ الكاذبةُ قَذْفَ عائشةَ ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مِنَ العُصْبَةِ الكاذبةِ، وهم حسَّانُ ومِسْطَحٌ

[١٠٢٧] أخرجه الطبري ٢٥٨٤٣ عن الشعبي عن عائشة، وهذا منقطع، وانظر ما بعده.

[١٠٢٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤١٤٦ و ٤٧٥٥ و ٤٧٥٦ ومسلم ٢٤٨٨ والطبري ٢٥٨٤٥ من طريق مسروق به.

قال مسروق، دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشبب بأبيات له وقال:

حصان رزان ما تُزَنُّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك. قال مسروق: فقلت لها: لِمَ تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ فقالت: وأي عذاب أشد من العمى؟ قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ. ومعنى: حصان: عفيفة، رزان: ذات ثبات ووقار وعفة، ما تزن: ما تتهم، غرثى: جائعة.

---

(١) في «اللسان»: الغَرْفُ: التثني والانقصاف، وقال يعقوب: معناه تتثنى وقيل: معناه: تنقصف من دقة خصرها.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٤٠: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾. ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي ابن سلول ـ قبّحه الله ولعنه ـ وقولهم: حسان بن ثابت. وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده فائدة، فإنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن محاسنه أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ بشعره، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: هاجم وجبريل معك ـ ولقد وافقه الطبري ـ.

وقال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٢٧٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك لأنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي ابن سلول وفعله ذلك كان توليه كبر ذلك الأمر.

﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ وهي: حَمْنَةُ بنتُ جَحْشٍ ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بأُمَّهاتِهم. **والثاني**: بأخَواتِهم. **والثالث**: بأهلِ دِينِهم، لأنَّ المؤمنين كنَفْسٍ واحدةٍ، ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كَذِبٌ بَيِّنٌ. وجاء في التفسير أنَّ أبا أيوبَ الأنصاريَّ قالت له أُمُّه:

[١٠٢٩] ألاَ تسمعُ ما يقولُ الناسُ في أمرِ عائشةَ؟! فقال: هذا إفكٌ مُبينٌ، أكُنتِ يا أمَّاهُ فاعِلتَهُ؟ فقالت: مَعاذَ اللهِ، قال: فعَائشةُ واللهِ خيرٌ مِنكِ؛ فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو﴾ أي: هلاَّ جاءت العُصْبَةُ الكاذبةُ على قَذْفِهم عائشةَ ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ وقرأ الضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ: «بأربعةٍ» مُنوَّنَةً؛ والمعنى: يَشهدُونَ بأنهم عايَنُوا ما رَمَوْها به ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حُكمِه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾. ثم ذَكَرَ القاذِفِينَ فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: لولا ما مَنَّ الله به عليكم، ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ أي: لأصابَكم ﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أي: أخَذْتُم وخُضْتُم ﴿فِيهِ﴾ مِنَ الكذبِ والقَذْفِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة. ثم ذَكَرَ الوقتَ الذي لولا فَضْلُه لأصابَهُم فيه العذابُ فقال ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ وكان الرجلُ منهم يَلْقَى الرَّجلَ فيقول: بَلَغني كذا، فيَتَلَقَّاهُ بعضُهم مِنْ بعضٍ. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ: «إذ تُلْقُونَه» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مرفوعةٍ وإسكانِ اللامِ وَقافٍ منقوطَةٍ بنُقطتين مرفوعةٍ خفيفةٍ؛ وقرأ مُعاويَةُ، وابنُ السَّمَيْفَعِ مِثْلَهُ، إلاّ أنهما فَتَحا التاءَ والقافَ. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «تَتَلَقَّوْنَهُ» بتاءَين مفتوحَتَيْنِ مع نصبِ اللامِ وتشديدِ القاف. وقرأ أُبَيُّ بنُ كعبٍ، وعائشةُ، ومُجاهِدٌ، وأبو حَيْوَةَ: «تَلِقُونَه» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مفتوحةٍ وكَسْرِ اللامِ ورفعِ القاف. وقال الزَّجَّاجُ: «تَلْقُونَه»: يُلْقِيهِ بعضُكم إلى بعضٍ وتِلقُونه؛ معناه: إذ تُسرِعون بالكَذبِ، يقالُ: قد وَلَقَ يَلِقُ: إذا أسرعَ في الكَذِبِ وغيرِهِ، قال الشاعر:

جـاءَتْ بـهِ عَـنْـسٌ مِـنَ الـشَّـامِ تَـلِـق

أي: تُسرِعُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «تَلَقَّوْنَهُ» أي: تَقبَلُونه، ومَنْ قرأ: «تَلِقُونه» أخَذَهُ مِنَ الوَلْقِ، وهو الكَذِبُ.

قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: مِنْ غيرِ أن تعلَمُوا أنه حقٌّ ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾ يعني: ذلك القَذْفَ ﴿هَيِّنًا﴾ أي: سهلاً لا إثمَ فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوِزْرِ. ثم زادَ عليهم في الإنكارِ فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ أي: ما يَحِلُّ وما ينبغي لنا ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ وهو يحتملُ التَّنزيهَ والتَّعجُّبَ. ورَوَتْ عائشةُ أنَّ امرأةَ أبي أيوبَ الأنصاريِّ قالت له: ألَمْ تسمَعْ ما يتحدَّثُ الناسُ؟! فقال: «ما يكونُ لنا أنْ نتكلَّمَ بهذا. .» الآية، فنزلت الآيةُ، وقد رَوينا آنفاً أنَّ أُمَّهُ ذكرَتْ له ذلك، فنزلت الآيةُ المُتقدِّمَةُ، ورُوي عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ أنَّ سعدَ بنَ مُعاذٍ لمَّا سمعَ ذلك قال سُبحانَكَ هذا بُهتانٌ عظيمٌ، فقيلَ للناسِ: هَلاَّ قُلتُم كما قال سعدٌ؟!

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يَنهاكُمُ اللهُ ﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ أي: إلى مِثْلِه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[١٠٢٩] أخرجه الطبري ٢٥٨٥٩ من طريق محمد بن إسحاق به، عن بعض رجال بني النجار، فهذا إسناد ضعيف.
وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦٣٦ عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حدثته بحديث الإفك وقالت فيه: وكان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته. . . وذكر الحديث وفي إسناده عطاء الخراساني، وهو ضعيف.

لأنَّ مِن شرطِ الإيمان تَرْكُ قَذفِ المُحصنَةِ ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ في الأمرِ والنَّهي.

ثم هَدَّدَ القاذِفِينَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: يُحبُّون أنْ يَفشوَ القَذفُ بالفاحشةِ، وهي الزِّنا ﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: الجَلْدَ ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ عذابُ النار.

[١٠٣٠] ورَوَتْ عَمرةُ عن عائشةَ قالت: لمَّا نزلَ عُذري قامَ رسولُ الله ﷺ على المِنبرِ، فذَكر ذلك، وتَلا القرآنَ، فلمَّا نزلَ أمَرَ برَجُلين وامرأةٍ، فضُرِبوا حَدَّهُم.

[١٠٣١] وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ جَلَدَ عبدَالله بنَ أُبيٍّ، ومِسْطَح ابنَ أُثاثة، وحَسَّانَ بنَ ثابتٍ، وحَمْنَةَ، فأمَّا الثلاثةُ فتابوا، وأمَّا عبدُ الله فمات مُنافقاً؛ وبعضُ العلماء يُنكِرُ صِحَّةَ هذا، ويقول: لم يَضرِبْ أحداً.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شرَّ ما خُضتُم فيه وما يتضمَّنُ مِن سَخطِ الله ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ جوابُه محذوفٌ، تقديره: لَعاقَبكُم فيما قُلتُم لعائشةَ. قال ابنُ عباسٍ: يريد: مِسْطَحاً، وحسَّاناً، وحَمْنَةَ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: تَزيينَهُ لكم قَذفَ عائشةَ. وقد سبقَ شرحُ «خُطوات الشيطان» وبيانُ «الفَحشاءِ والمُنكرِ»[1]. قوله تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ وقرأ الحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ: «ما زكّى» بتشديدِ الكافِ. وفيمَنْ خُوطِبَ بهذا قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ في الخَلْقِ. **والثاني**: أن خاصٌّ للمُتكلِّمين في الإفْكِ. ثم في معناه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما اهتَدَى، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ما أسلَمَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: ما صَلَحَ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: ما ظَهرَ، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

[١٠٣٠] غير قوي. أخرجه أبو داود ٤٤٧٤ والترمذي ٣١٨١ وابن ماجه ٢٥٦٧ وأحمد ٦/ ٣٥ والطحاوي في «المشكل» ٢٩٦٣ والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٧٤ وفي «السنن» ٨/ ٢٥٠ من طرق عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة قالت: «لما نزل عذري قام النبي ﷺ على المنبر فذكر ذاك، وتلا ـ تعني القرآن ـ فلما نزل المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم».
وفي رواية الطحاوي «فأمر برجلين وامرأة، فضربوا حدهم ثمانين ثمانين». وفي إسناده محمد بن إسحاق، وهو مدلس، لكن صرّح بالتحديث في رواية الطحاوي والبيهقي. وأخرجه أبو يعلى ٤٩٣٢ عن عروة مرسلاً. وأخرجه عبد الرزاق ٩٧٥٠ عن الزهري مرسلاً. وأخرجه أبو داود ٤٤٧٥ عن محمد بن إسحاق مرسلاً. وأخرجه عبد الرزاق ٩٧٤٩ من طريق ابن أبي يحيى عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة. وإسناده ضعيف جداً، فيه ابن أبي يحيى، وهو إبراهيم بن محمد، وهو متروك. فلا يقطع بصحة هذا الخبر بمثل هذه الروايات، والله أعلم.

[١٠٣١] لم يثبت أن ابن سلول، قد حدّ البتة، وأصح شيء ورد في ذلك هو ما تقدم. وهذا الطريق عن أبي صالح عن ابن عباس، ليس بشيء. لأن أبا صالح واهٍ في ابن عباس، وراويته الكلبيُّ، وهو ممن يضع الحديث.

---

(١) في سورة البقرة عند الآيتان: ١٦٨ و ١٦٩.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُطَهِّرُ مَنْ يشار مِنَ الإثم بالتَّوبةِ والغُفرانِ؛ فالمعنى: وقد شِئتُ أنْ أتوبَ عليكم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ عَلِمَ ما في نُفوسِكم مِنَ التَّوبةِ والنَّدامةِ.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ وقرأ الحسنُ، وأبو العَالِية، وأبو جعفر، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لا يَتَألَّ» بهمزةٍ مفتوحةٍ بين التاء واللام وتشديدِ اللام على وَزنِ يَتَعَلَّ.

[١٠٣٢] قال المُفسِّرون: سببُ نُزولِها أنّ أبا بكرِ الصِّدِّيقَ كان يُنفِقُ على مِسْطَح لقرابَتِه وفَقرِه، فلَمّا خاضَ في أمرِ عائشةَ قال أبو بكرٍ: واللهِ لا أُنفِقُ عليه شيئاً أبداً، فنزلت هذه الآيةُ، فأمّا الفَضْلُ، فقال أبو عُبيدَةَ: هو التَّفضُّلُ والسَّعةُ. الجِدَةُ. قال المُفسِّرون: والمُرادُ به: أبو بكرٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ قال ابنُ قُتَيبَةَ: معناه: أنْ لا يُؤتُوا، فحَذفَ «لا». فأمّا قوله تعالى: ﴿أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فإنه يعني مِسطَحاً، وكان ابنَ خالَةِ أبي بكرٍ، وكان مسكيناً، وكان مُهاجراً. قال المُفسِّرون: فلمّا سمعَ أبو بكرٍ ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: بلى يا ربِّ، وأعادَ نَفَقتَهُ على مِسْطَحٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعني: العفائِفَ ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفَواحِشِ، ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي: عُذِّبوا بالجَلدِ، وفي الآخرة بالنَّارِ.

واختلفَ العلماءُ فيمَنْ نزلت هذه الآيةُ على أربعةِ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنها نزلت في عائشةَ خاصَّةً. قال خُصَيفٌ: سألتُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ عن هذه الآيةِ، فقلتُ: مَنْ قَذفَ مُحصَنةً لَعنَهُ اللهُ؟ قال: لا، إنما أُنزِلَتْ هذه الآيةُ في عائشةَ خاصَّةً. **والثاني**: أنها في أزواجِ النبيِّ ﷺ خاصَّةً، قاله الضَّحّاكُ. **والثالث**: أنها في المُهاجِراتِ. قال أبو حمزةَ الثُّماليِّ: بَلَغنا أنَّ المرأةَ كانت إذا خرجَتْ إلى المدينةِ مُهاجرةً، قَذَفَها المشركون مِنْ أهلِ مكَّةَ، وقالوا: إنما خرجَتْ تَفجُرُ، فنزلت هذه الآيةُ. **والرابع**: أنها عامَّةٌ في أزواجِ النبيِّ ﷺ وغيرِهنَّ، وبه قال قَتادةُ، وابنُ زيدٍ.

فإنْ قيلَ: لِمَ اقتصرَ على ذِكرِ المُحصَناتِ دون الرِّجالِ؟

[١٠٣٢] هو طرف حديث الإفك المتقدم برقم ١٠٤٥، وهو عند الطبري ٢٥٨٧٥ من طريق ابن إسحاق عن الزهري، وقد عنعن. لكن الحجة بما تقدم، ذكره البخاري ٤٧٥٧ من وجه آخر تعليقاً، ووصله أحمد ٦/ ٥٩ والطبري ٢٥٢٥٧. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٧١ بتخريجنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٢٩٢: وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه بها فيها.

فالجواب: أنَّ مَنْ رَمى مؤمنةً فلا بدَّ أنْ يَرمي معها مؤمناً، فاستُغنِيَ عن ذِكْرِ المؤمنين، ومِثْله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾(١) أراد: والبَرْدَ، قاله الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلفٌ: «يشهد» بالياء؛ وهو إقرارُها بما تكلَّموا به مِنَ الفِرْيَةِ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وهؤلاءِ غيرُ الذين يُختَمُ على أفواهِهم. وقال ابنُ جريرٍ: المعنى: أنَّ ألسنَةَ بعضِهم تشهَدُ على بعضٍ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: حِسابَهمُ العَدْلَ، وقيل: جَزاءَهُم الواجِبَ. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو الجَوزاءِ، وحُمَيدُ بنُ قيسٍ، والأعمَشُ: «دينهم الحقُّ» برَفع القافِ ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: وذلك أنَّ عبدَالله بنَ أُبيّ كان يشُكُّ في الدِّينِ، فإذا كانت القيامةُ عَلِمَ حيثُ لا ينفعُه.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ فيه أربعة أقوال(٢): **أحدها**: الكلماتُ الخَبيثاتُ لا يَتكلَّمُ بها إلاَّ الخبيثُ مِنَ الرِّجال والنساءِ، والكَلِماتُ الطيِّباتُ لا يتكلَّمُ بها إلاَّ الطَّيِّبون مِنَ الرِّجالِ والنساءِ. **والثاني**: الكَلماتُ الخَبيثاتُ إنما تلصقُ بالخَبيثِينَ مِنَ الرجالِ والنساء، فأمَّا الطَّيِّباتُ والطَّيِّبون، فلا يَصلحُ أنْ يقالَ في حَقِّهم إلاَّ الطَّيِّباتُ. **والثالث**: الخَبيثاتُ مِنَ النساء للخَبيثِينَ مِنَ الرجال، والطَّيِّباتُ مِنَ النساءِ للطَّيِّبين مِنَ الرجال. **والرابع**: الخَبيثاتُ مِنَ الأعمال للخَبيثِينَ مِنَ الناس، والخَبيثُونَ مِنَ الناس للخَبيثاتِ مِنَ الأعمالِ، وكذلك الطَّيِّباتُ وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني: عائشةَ وصفوانَ ﴿مُبَرَّءُونَ﴾: مُنَزَّهُون ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الفِرْيَةِ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذُنوبِهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنَّةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾.

---

(١) سورة النحل: ٨١.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٢٩٥: وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية: قول من قال: عنى بالخبيثات: الخبيثات من القول، وذلك قبيحه وسيئه، للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، هم بها أولى، لأنهم أهلها.
والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله، للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول، لأنهم أهلها، وأحق بها.

[١٠٣٣] ذكرَ أهلُ التفسير أنَّ سببَ نُزولِها أنَّ امرأةً مِنَ الأنصارِ جاءت إلى رسولِ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله، إنِّي أكونُ في بيتي على حالٍ لا أُحبُّ أنْ يَراني عليها أحدٌ، فلا يزالُ يدخلُ عليَّ رجلٌ مِنْ أهلي، فنزلَتْ هذه الآيةُ؛ فقال أبو بكرٍ بعد نُزولها: يا رسولَ الله، أفرأيتَ الخَانَاتِ والمَساكنَ التي ليس فيها سَاكِنٌ، فنزلَ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ الآية.

ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بُيوتاً ليست لكم. واختلفَ القُرَّاءُ في باءِ البيوت، فقرأ بعضُهم بضَمِّها، وبعضُهم بكَسْرِها. وقد بَيَّنَّا ذلك في سُورةِ البقرة[(١)].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ قال الفَرَّاءُ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: حتى تُسلِّموا وتَستأنِسُوا. قال الزَّجَّاجُ: و«تستأنسوا» في اللغة، بمعنى تَستَأذِنُوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذانُ: الاستِعلامُ، تقول: آذَنتُهُ بكذا، أي: أعلَمْتُه، وآنَسْتُ منه كذا، أي: عَلِمتُ منه، ومثله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾[(٢)] أي: عَلِمتُم. فمعنى الآية: حتى تستَعلِمُوا، يريدُ أهلَها أنْ تدخلُوا، أَمْ لا؟ قال المُفسِّرون: وصفةُ الاستِعلام أنْ تقولَ: السَّلامُ عليكم، أأدْخلُ؟ ولا يجوز أنْ تدخلَ بيتَ غيركَ إلاَّ بالاستِئذَانِ، لهذه الآيةِ، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ أنْ تدخلوا بغيرِ إذنٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ الاستئذانَ خيرٌ فتأخذُونَ به، قال عَطاءٌ: قلتُ لابنِ عباسٍ: أستَأْنُ على أمِّي وأُختي ونحنُ في بيتٍ واحدٍ؟ قال: أَيَسُرُّكَ أنْ ترى منهنَّ عَورَةً؟ قتلُ: لا، قال: فاستَأذِنْ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ أي: إنْ وَجَدْتُموها خاليَةً ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي: إنْ رَدُّوكم فلا تَقِفُوا على أبوابِهم وتُلازِمُوها، ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يعني: الرُّجوعُ خيرٌ لكم وأفضلُ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذنٍ وغير إذنٍ ﴿عَلِيمٌ﴾.

فصل[(٣)]: وهل هذه الآيةُ مَنسُوخَةٌ، أَمْ لا؟ فيها قولان: **أحدهما**: أنَّ حُكمَهَا عامٌّ في جميع

[١٠٣٣] ضعيف. أخرجه الواحدي ٦٣٨ من طريق الفريابي، والطبري ٢٥٩٢١ كلاهما عن أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت، وإسناده ضعيف لضعف أشعث بن سوار، ثم هو مرسل، عدي تابعي. وهو عند الطبري دون آخره، ـ وعند الواحدي قال: قال المفسرون: فلما نزلت قال أبو بكر.. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٤٠ و «تفسير القرطبي» ٤٥١٣ كلاهما بتخريجنا.

(١) عند الآية: ١٨٩. (٢) سورة النساء: ٦.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٣٤٧: هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول، ويسلّموا بعده. وينبغي أن يستأذن ثلاثاً، فإن أذن له وإلا انصرف، كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً، فلم يؤذن له، فلينصرف» ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل ألا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن امرأً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاةٍ، ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح». وقال مقاتل بن حيان في قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها﴾**: كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلّم عليه، ويقول: حييت صباحاً وحييت مساءً وكان ذلك تحية القوم بينهم، وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول: «قد دخلت» =

البيوت، ثم نُسِخَتْ منها البيوتُ التي ليس لها أهلٌ يُستأذنون بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، هذا مَرويٌّ عن الحسَنِ، وعِكرَمَة. **والثاني**: أنَّ الآيتَيْنِ مُحكَمَتانِ، فالاستئذانُ شَرطٌ في الأُولى إذا كان للدار أهلٌ، والثانيةُ وَرَدَتْ في بيوتٍ لا ساكنَ لها، والإذنُ لا يُتصَوَّرُ مِنْ غير آذِنٍ، فإذا بَطلَ الاستئذانُ، لم تكن البيوتُ الخاليةُ داخلةً في الأُولَى، وهذا أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ فيها خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها الخَاناتُ والبيوتُ المَبنيَّةُ للسَّابِلَةِ ليَأْوُوا إليها، ويُؤْوُوا أمتِعَتَهم، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنها البيوتُ الخَرِبةُ، والمَتاعُ: قضاءُ الحاجةِ فيها مِنَ الغائطِ والبولِ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أنها بيوتُ مكَّةَ، قاله محمَّدُ بنُ الحَنفيَّةِ. **والرابع**: حَوانيتُ التُّجَّار التي بالأسواق، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنها جميع البيوت التي لا ساكنَ لها، لأنَّ الاستئذَانَ إنما جُعِلَ لأجلِ السَّاكن، قاله ابنُ جُريجٍ. فيُخرَّجُ في معنى «المَتَاع» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الأمتِعَةُ التي تُباع وتُشتَرَى. **والثاني**: إلقاءُ الأذى مِنَ الغائِطِ والبَولِ. **والثالث**: الانتفاعُ بالبُيوتِ لاتِّقاءِ الحَرِّ والبَردِ.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ التَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ النِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ في «مِنْ» قولان: **أحدهما**: أنها صِلَةٌ. **والثاني**: أنها أصلٌ، لأنهم لم يُؤمَروا بالغضِّ مطلقاً، وإنما أُمِروا بالغضِّ عمَّا لا يَحِلُّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: عمَّا لا يَحِلُّ لهم، قاله الجمهور. **والثاني**: عن أنْ تُرَى، فهو أمرٌ لهم بالاستِتَارِ، قاله أبو العَاليَة، وابنُ زيدٍ.

= فيشق ذلك على الرجل، فغير الله ذلك كله، في ستر وعفة، وجعله نقياً نزهاً من الدنس والقذر والدرن، وهذا الذي قاله مقاتل حسن. ولهذا قال: **﴿ذلكم خير لكم﴾** يعني الاستئذان خير لكم، بمعنى هو خير للطرفين: للمستأذن ولأهل البيت **﴿لعلكم تذكرون﴾**.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٠١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله عمّ بقوله **﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾** كل بيت لا ساكن فيه ولا مالك له، من بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه لمتاع له يؤويه إليه، أو لقضاء حقه.

وأما بيوت التجار، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها، فإن ظن ظان أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن لمن أراد دخوله في الدخول، فذلك بعدُ راجع إلى ما قلنا. من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه. فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الغَضّ وحِفظِ الفُرُوج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي؛ خيرٌ وأفضلُ ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الأبصار والفُرُوجِ. ثم أمَرَ النساءَ بما أمَرَ به الرجالَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: لا يُظهِرْنَها لغيرِ مَحْرَم. وزِينَتُهنَّ على ضَرْبَين: خَفِيَّةٌ كالسِّوارَين والقُرْطَين والدُّمْلُج والقَلائِد ونحو ذلك، وظاهرٌ وهي المُشَارُ إليها بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وفي سبعةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنها الثيابُ، رواه أبو الأحوَصِ عن ابنِ مسعودٍ؛ وفي لفظٍ آخرَ قال؛ هو الرِّداءُ. **والثاني**: أنها الأكُفُّ، والخَاتمُ والوَجهُ. **والثالث**: الكُحْلُ والخَاتمُ، رواهما سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: القُلْبان، وهما السِّوارَان والخَاتمُ والكُحْلُ، قاله المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ. **والخامس**: الكُحْلُ والخَاتمُ والخِضَابُ، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: الخَاتمُ والسِّوارُ، قاله الحَسنُ. **والسابع**: الوَجهُ والكَفَّانِ، قاله الضَّحَّاكُ. قال القاضي أبو يَعلَى: والقولُ الأوَّلُ أشبَهُ، وقد نصَّ عليه أحمدُ، فقال: الزِّينَةُ الظاهرةُ: الثيابُ، وكلُّ شيءٍ منها عَورَةٌ حتى الظُّفرُ[(٢)]، ويُفيد هذا تحريمَ النَّظرِ إلى شيءٍ مِنَ الأجنبياتِ لغيرِ عُذرٍ، مثل أنْ يريدَ أنْ يتزوَّجها أو يَشهَدَ عليها، فإنه ينظرُ في الحالَين إلى وَجْهِها خاصَّةً؛ فأما النَّظرُ إليها لغيرِ عُذرٍ، فلا يجوز لا لِشَهوَةٍ ولا لغيرِها[(٣)]، وسواءٌ في ذلك الوَجهُ والكَفَّانِ وغيرُهما مِنَ البَدنِ. فإنْ قيلَ: فلِمَ لا تبطلُ الصلاةُ بكَشفِ وَجْهِها؟! فالجواب: أنَّ في تغطيَتِه مَشقَّةً، فعُفِيَ عنه[(٤)].

---

(١) قال الطبري رحمه الله في في «تفسيره»: وأولى هذه الأقوال بالصواب: قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان.

(٢) جاء في «المغني» ٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨: وقال بعض أصحابنا: المرأة كلها عورة، لأنه قد روي في حديث عن النبي ﷺ: «المرأة عورة»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. لكن رخّص لها في كشف وجهها وكفيها، لما في تغطيته من المشقة، وأبيح النظر إليه لأجل الخطبة، لأنه مجمع المحاسن. وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: المرأة كلها عورة حتى ظفرها لما روي عن النبي ﷺ: «المرأة عورة». وهذا عام يقتضي وجوب ستر جميع بدنها وترك الوجه للحاجة، ففيما عداه يبقى على الدليل.

(٣) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٩/ ٤٨٩: لا نعلم بين أهل العلم خلافاً في إباحة النظر إلى المرأة لمن أراد نكاحها ولا خلاف في إباحة النظر إلى وجهها، وذلك لأنه ليس بعورة وهو مجمع المحاسن، وموضع النظر، ولا يباح له النظر إلى ما لا يظهر عادة. ولابأس بالنظر إليها بإذنها أو غير إذنها، لأن النبي ﷺ قال: «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل» وقد أمر بالنظر وأطلق. ولا يجوز له الخلوة بها، لأنها محرّمة، ولم يرد الشرع بغير النظر فبقيت على التحريم، ولأنه لا يؤمن مع الخلوة مواقعة المحظور، ولا ينظر إليها نظر تلذذ وشهوة، ولا لريبة، قال أحمد، في رواية صالح: ينظر إلى الوجه، ولا يكون عن طريق لذة. وله أن يردد النظر إليها، ويتأمل محاسنها، لأن المقصود لا يحصل إلا بذلك. فأما ما يظهر غالباً سوى الوجه، كالكفين والقدمين ونحو ذلك، مما تظهره المرأة في منزلها ففيه روايتان: **إحداهما**: لا يباح النظر إليه، لأنه عورة، فلم يبح النظر إليه كالذي لا يظهر ولأن الحاجة تندفع بالنظر إلى الوجه فيبقى ما عداه على التحريم. **والثانية**: له النظر إلى ذلك. وإلى ما يدعو إلى نكاحها، من يدٍ أو جسم ونحو ذلك.

قال أبو بكر: لابأس أن ينظر إليها عند الخطبة حاسرة. وقال الشافعي: فينظر إلى الوجه والكفين.

(٤) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/ ٣٢٨: لا يختلف المذهب في أنه يجوز للمرأة كشف وجهها في الصلاة ولا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم. وفي الكفين روايتان: إحداهما: يجوز كشفهما. وهو قول مالك =

قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وهي جَمْعُ خِمَارٍ، وهو ما تُغطّي به المرأةُ رأسَها، والمعنى: ولْيُلقِين مَقَانِعَهُنَّ ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ لِيَستُرنَ بذلك شُعورَهنَّ وقُرطَهُنَّ وأعناقَهنَّ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بن كَعبٍ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، والأعمَشُ: «على جِيُوبِهِنَّ» بكسرِ الجيم، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الخفيَّة، وقد سبقَ بيانُها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لا يَضَعْنَ الجِلبابَ والخِمارَ إلاَّ لأزواجِهنَّ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: المُسْلماتِ. قال أحمدُ: لا يَحِلُّ للمُسْلِمَةِ أنْ تكشفَ رأسَها عند نساءِ أهلِ الذِّمَّةِ واليَهوديةُ والنَّصرانيَّةُ لا تُقبِّلانِ المُسْلِمَةَ(١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ قال أصحابنا: المراد به: الإمَاءُ دونَ العَبيدِ. وقال أصحابُ الشَّافعيِّ: يدخلُ فيه العَبيدُ، يجوز للمرأةِ عندَهم أنْ تُظهِرَ لِمَملُوكِها ما تُظهِرُ لمَحَارِمها، لأنَّ مذهبَ الشَّافعيِّ رضي الله عنه أنه مَحْرَمٌ لها، وعندنا أنه ليس بمَحرَم، ولا يجوز أنْ ينظرَ إلى غيرَ وَجْهِها وكَفَّيها، وقد نصَّ أحمدُ على أنه لا يجوز أنْ ينظرَ إلى شَعْرِ مَولاَتِهِ. قال القاضي أبو يَعْلى: وإنما ذَكَر الإمَاءَ في الآية، لأنه قد يَظُنُّ الظَّانُّ أنه لا يجوز أنْ تُبدِيَ زِينَتَها للإمَاءِ، لأنَّ الذين تقدَّم ذِكْرُهُم أحرارٌ، فلمَّا ذَكَرَ الإمَاءَ زَالَ الإشكَالُ.

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ﴾ وهم الذين يَتبعُونَ القومَ ويكونون معهم لإرفَاقِهم إيَّاهم، أو لأنهم تَنشؤوا فيهم. وللمُفسِّرين في هذا التَّابع سِتةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأحمَقُ الذي لا تَشتَهِيهِ المرأةُ ولا يَغارُ عليه الرجلُ، قاله قَتادةُ، وكذلك قال مُجاهِدٌ: هو الأبلَهُ الذي يُريد الطعامَ ولا يريد النساءَ. **والثاني**: أنه العِنّينُ، قاله عِكرمَةُ. **والثالث**: المُخنَّثُ، كانَ يَتبَعُ الرجلَ يَخدمه بطعامه، ولا يستطيع غِشْيَانَ النساءِ ولا يَشتَهِيهُنَّ، قاله الحَسنُ. **والرابع**: أنه الشَّيخُ الفَاني. **والخامس**: أنه الخادمُ، قالهما ابنُ السَّائبِ. **والسادس**: أنه الذي لا يكترِثُ بالنساء، إمَّا لِكِبَرٍ أو لِهَرَمٍ أو لِصغَرٍ، ذكره ابنُ المنادي مِنْ أصحابنا. قال الزَّجَّاجُ: «غيرِ» صفةٌ للتَّابِعين. وفيه دليلٌ على أنَّ قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ معناه: ﴿غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ فالمعنى: ولا يُبْدِينَ زِينَتَهنَّ لِمَمالِيْكِهنَّ، ولا لِتُبَّاعِهنَّ، إلاَّ أنْ يكونوا غيرَ أُولي الإِرْبَةِ، والإِرْبَةُ: الحاجَةُ، ومعناه: غير ذَوِي الحَاجَاتِ إلى النساء(٢).

= والشافعي لقول ابن عباس قال، في قوله تعالى: **﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ قال**: الوجه والكفين. وقال أبو حنيفة: القدمان ليس من العورة لأنهما يظهران غالباً منها كالكفين والوجه. وإذا انكشف من المرأة أقل من ربع شعرها أو ربع فخذها أو ربع بطنها لم تبطل صلاتها. وأجمع أهل العلم على أن للمرأة الحرة أن تخمر رأسها إذا صلت، وعلى أنها إذا صلت وجميع رأسها مكشوف أن عليها الإعادة. والثانية: هما من العورة ويجب سترهما في الصلاة. وهذا قول الخرقي، ونحوه قال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: من فقهاء التابعين بالمدينة وأحد الفقهاء السبعة، وكان يقال له: راهب قريش، توفي سنة ٩٤. انظر طبقات الفقهاء للشيرازي ٥٩، تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٠ ـ ٣٢.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٥٥: وقوله **﴿أو نسائهن﴾** يعني: تظهر زينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة، لئلا يصفن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء، **إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد، فإنهن ما يمنعهن من ذلك مانع، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه.**

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٥٥: في الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن عائشة **أن مخنثاً** كان يدخل على أهل رسول الله ﷺ وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل النبي ﷺ **وهو ينعت امرأة**: أنها =

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ قال ابنُ قُتيبة: يريد الأطفالَ، بدليلِ قوله تعالى: ﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يَعرِفُوها(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بإحدَى الرِّجْلَيْنِ على الأخرى لِيَضربَ الخلخالُ الخلخالَ فيُعلَمَ أنّ عليها خلخالَيْنِ(٢).

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾ وهم الذين لا أزواجَ لهم مِنَ الرجال والنساء، يُقال: رجلٌ أيِّمٌ وامرأةٌ أيِّمٌ، ورجلٌ أرمَلُ وامرأةٌ أرمَلَةٌ، ورجلٌ بِكرٌ وامرأةٌ بِكرٌ: إذا لم يَتزوَّجا، وامرأةٌ ثَيِّبٌ ورجلٌ ثَيِّبٌ: إذا كانا قد تزوَّجا، ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ أي: مِنْ عَبيدِكُم، يُقال: عَبْد وعِبَاد وعَبِيد، كما يُقال: كَلْب وكِلَاب وكَلِيب. وقرأ الحسنُ، ومعاذٌ القارئُ: «من عَبيدكم». قال المُفسِّرون: والمُراد بالآية النَّدْبُ. ومعنى الصَّلاحِ ها هنا: الإيمانُ. والمراد بالعِبادِ: المَمْلُوكون، فالمعنى: زَوِّجُوا المؤمنين مِنْ عَبيدِكُم ووَلَائِدِكُم. ثم رجعَ إلى الأحرارِ فقال: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فأخبرَهم أنَّ النكاحَ سببٌ لِنَفْيِ الفقرِ.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ولْيَطْلُبِ العِفَّةَ عن الزِّنا والحَرامِ مَنْ لا يَجدُ ما ينكحُ به مِنْ صَدَاقٍ ونَفَقةٍ.

= إذا أقبلت بأربع وإذا أدبرت بثمان. فقال رسول الله ﷺ ألا أرى هذا يعلم هاهنا، لا يدخلن عليكن فحجبوه، فكان بالبيداء يدخل كل جمعة يستطعم.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٣٥٦: يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلابأس بدخوله على النساء، فأما إذا كان مراهقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرّق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكّن من الدخول على النساء.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٣/٣٥٦: كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها، ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذا إذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي، دخل في هذا النهي ومن ذلك أنها تُنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها.
وقوله **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهيا عنه، والله تعالى هو المستعان وعليه التكلان.

[١٠٣٤] وقد روى ابنُ مسعودٍ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «يا مَعشَرَ الشبابِ عليكُم بالبَاءَةِ، فمَنْ لم يَجِدْ فعَلَيْهِ بالصِّيام فإنهُ لهُ وِجَاءٌ».

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: يطلبون المُكَاتَبَة مِنَ العبيدِ والإِمَاءِ على أنفُسِهم، ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مَندوبٌ إليه، قاله الجمهورُ. **والثاني**: أنه واجِبٌ، قاله عطاءٌ، وعمرُو بنُ دِينَارٍ. وذكر المُفسِّرون: أنها نَزلَتْ في غُلامٍ لِحُويطِبِ بنِ عبدِ العُزَّى يقال له: صُبيح، سأل مولاهُ الكتابةَ فأبَى عليه، فنَزلَتْ هذه الآيةُ، فكَاتَبَهُ حُويطِبٌ على مائةِ دينارٍ ووَهَبَ له منها عشرينَ دِيناراً. قوله تعالى: ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ فيه ستةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: إنْ عَلِمتُم لهم مالاً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: إنْ عَلِمتُم لهم حِيْلَةً، يعني: الكَسْبَ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: إنْ عَلِمتُم فيهم دِيناً، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: إنْ عَلِمتُم أنهم يُريدون بذلك الخيرَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: إنْ أقاموا الصَّلاةَ، قاله عُبيدَةُ السَّلْمَانِي. **والسادس**: إنْ عَلِمتُم لهم صِدقاً ووَفاءً، قاله إبراهيمُ. قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾ فيه قولان(٢): **أحدهما**: أنه خِطابٌ للأغنياء الذين تَجِبُ عليهم الزَّكاةُ، أُمِرُوا أنْ يُعطوا المُكَاتَبِينَ مِنْ سَهْمِ الرِّقَابِ، روى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ في هذه الآيةِ قال: هو سَهْمُ الرِّقَابِ يُعطَى منه المُكَاتَبون. **والثاني**: أنه خِطابٌ للسَّادةِ، أُمِرُوا أنْ يُعطُوا مُكَاتَبِيهم مِنْ كِتابَتِهم شيئاً. قال أحمدُ والشَّافعيُّ: الايتاءُ وَاجِبٌ، وقَدَّرَهُ أحمَدُ بِرُبعِ مالِ الكتابةِ. وقال الشَّافعيُّ: ليس بمُقَدَّرٍ. وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا يَجِبُ الإيتاءُ: وقد رُوِيَ عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ أنه كاتَبَ غلاماً له يُقال له: أبو أُمَيَّةَ، فجاءَ بنَجْمِه حين حَلَّ؛ فقال: اذهَبْ يا أبا أُمَيَّةَ فاستَعِنْ به في مُكاتَبَتِكَ، قال: يا أميرَ المؤمنين لو أَخَّرْتَه حتى يكونَ في آخِرِ النُّجوم، فقال: يا أبا أُمَيَّةَ: إني أخافُ أنْ لا أُدرِكَ ذلك، ثم قرأ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾، قال عِكرمَةُ: وكان ذلك أوَّلَ نَجمٍ أُدِّيَ في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾.

[١٠٣٥] روى مُسلمٌ في «صحيحه» مِنْ حديثِ أبي سُفيانَ عن جابرٍ، قال: كان عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ

[١٠٣٤] صحيح. أخرجه البخاري ٥٠٦٦ ومسلم ١٤٠٠ ح ٣ و ٤ والترمذي ١٠٨١ والنسائي ٤/ ١٦٩ و ٢٧٠ و ٦/ ٥٧ و ٥٨ وأحمد ١/ ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٣٢ والدارمي ٢/ ١٣٢. والبيهقي ٧/ ٧٧ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ١٩٠٥ و ٥٠٦٥ ومسلم ١٤٠٠ وأبو داود ٢٠٤٦ وابن ماجه ١٨٤٥ والنسائي ٤/ ١٧١ و ٦/ ٥٧ و ٥٨ وأحمد ١/ ٣٧٨ و ٤٤٧ والطيالسي ١٩٠٥ وأبو يعلى ٥١١٠ و ٥١٩٢ والبيهقي ٧/ ٧٧ من طرق عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به. وورد من حديث أبي هريرة عند الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣١٨.

[١٠٣٥] حديث صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٢٩ وأبو داود ٢٣١١ والنسائي في «التفسير» ٣٨٥ والطبري ٢٦٠٧٢ =

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣١٥: وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال: معناه: فكاتبوهم إن علمتم فيهم القوة على الاحتراف والاكتساب، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها، وصدق لهجة. وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد، فأما المال فلا يكون في العبد، وإنما يكون عنده وله.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣١٧: وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي: قول من قال: عنى به إتياءهم سهمهم من الصدقة المفروضة.

يقول لجاريةٍ له: اذهبي فَابْغِينا شيئاً، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٠٣٦] قال المُفسِّرون: وكان له جَارِيتانِ، مُعاذَةُ ومُسَيكةُ، فكان يُكرِهُهما على الزِّنا، ويأخذُ منهما الضَّريبةَ، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهليَّة، يُؤاجِّرون إماءَهُم، فلمَّا جاء الإسلامُ قالت مُعاذَةُ لمُسَيكةَ: إنَّ هذا الأمرَ الذي نحن فيه إنْ كان خيراً فقد استكثَرنا منه، وإنْ كان شرًّا فقد آنَ لنا أنْ نَدَعَهُ، فنزلت هذه الآيةُ. وزعمَ مُقاتِلٌ أنها نزلت في سِتِّ جَوارٍ كُنَّ لعبدِ اللهِ بن أُبيٍّ، مُعاذَةُ، ومُسَيكةُ، وأُميمةُ، وقُتيلةُ، وعَمْرَةُ، وأَروَى[١].

فأمَّا الفتياتُ، فهنَّ الإمَاءُ. والبِغَاءُ: الزِّنا. والتَّحصُّنُ: التَّعففُ. واختلفوا في معنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الكلام وَرَدَ على سببٍ، وهو الذي ذكرناه، فخرجَ النَّهيُ عن صفةِ السَّببِ، وإنْ لم يكُنْ شَرطاً فيه. **والثاني**: إنه إنَّما شَرطَ إرادةَ التَّحصُّنِ، لأنَّ الإكراهَ لا يُتصوَّرُ إلاَّ عند إرادةِ التَّحصُّنِ، فأمَّا إذا لم تُرِدِ المرأةُ التَّحصُّنَ، فإنها تَبْغِي بالطَّبع. **والثالث**: أنَّ «إنْ» بمعنى «إذ»، ومثله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢] ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]. **والرابع**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديرُه: «وأنكحوا الأيامى» إلى قوله: «وإمائكم» «إن أردنَ تحصُّناً» ولا تُكرهوا فتيَاتِكُم على البِغَاءِ ﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ وهو كَسْبُهنَّ وبيعُ أولادِهنَّ ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ للمُكرَهاتِ ﴿رَّحِيمٌ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني، وجَعفرُ بنُ محمَّدٍ: «من بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأهلُ الكُوفةِ غيرَ أبي بكرٍ، وأبَانَ: «مبيِّنات» بكسرِ الياء في المَوضِعَين في هذه السُّورة[٤] وآخرِ سُورةِ الطَّلاقِ[٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ أي: شَبهاً مِن حالِهم بحَالِكم أيها المُكذِّبون، وهذا تخويفٌ لهم أنْ يلحَقَهُم ما لَحِقَ المُكذِّبين قبلَهُم.

﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

= و ٢٦٠٧٣ والواحدي في «الأسباب» ٦٤٠ واستدركه الحاكم ٢/٣٩٧ كلهم عن جابر: أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها مُسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله **﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ـ إلى قوله ـ غفور رحيم﴾**. لفظ مسلم في روايته الثانية، ورووه بألفاظ متقاربة بمثل سياق المصنف. وانظر «أحكام القرآن» ١٦٠٢ بتخريجنا.

[١٠٣٦] ذكره الواحدي في «الأسباب» بإثر حديث ٦٤٣ بقوله: قال المفسرون. وورد نحوه من مرسل عكرمة، أخرجه الطبري ٢٦٠٧٥. وانظر ما قبله.

---

(١) تفرد مقاتل بذكر أسماء النساء الستة، ومقاتل ساقط، ليس بشيء.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٨.
(٣) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٤) سورة النور: ٣٤ و ٤٦.
(٥) سورة الطلاق: ١١.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه قولان[١]: **أحدهما**: هادي أهلِ السَّمواتِ والأرضِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أنسُ بنُ مالكٍ، وبيانُ هذا أنَّ النُّورَ في اللغة: الضِّياءُ، وهو الذي تصلُ به الأبصارُ إلى مُبْصَراتِها، فوردَ النُّورُ مضافاً إلى الله تعالى، لأنه هو الذي يَهْدِي المؤمنين ويُبَيِّنُ لهم ما يَهتَدُونَ به. فالخلائقُ بنُورِه يهتدون. **والثاني**: مُدبِّرُ السَّمواتِ والأرضِ، قاله مُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «الله نَوَّر» بفتحِ النونِ والواو وتشديدِها ونصبِ الراء «السمواتِ» بالخَفضِ «والأرضَ» بالنَّصبِ.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ في هاءِ الكِنايةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى الله عزَّ وجلَّ، قال ابنُ عباسٍ: مَثَلُ هُداهُ في قَلْبِ المؤمِن. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى المؤمنِ، فتقديره: مَثَلُ نُورِ المؤمنِ، قاله أُبَيُّ بنُ كَعبٍ. وكان أُبَيٌّ وابنُ مسعودٍ يَقرَآنِ: «مَثَلُ نُور المؤمنين». **والثالث**: أنها ترجعُ إلى محمَّدٍ ﷺ، قاله كَعْبٌ. **والرابع**: أنها ترجعُ إلى القرآن، قاله سُفيانُ.

فأمَّا المِشكَاةُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنها في موضع الفَتِيْلَةِ مِنَ القِنديلِ الذي هو كالأنبوبِ، والمِصبَاح: الضَّوءُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها القِندِيلُ، والمِصباحُ: الفَتِيلَةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنها الكُوَّةُ التي لا مَنْفذَ لها، والمِصبَاحُ: السِّراجُ، قاله كَعبٌ، وكذلك قال الفَرَّاءُ: المِشكَاةُ: الكُوَّةُ التي ليست بنَافِذَةٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المِشكَاةُ: الكُوَّةُ بلسان الحَبَشةِ. وقال الزَّجَّاجُ: هي مِنْ كلام العرب، والمِصبَاحُ: السِّراجُ. وإنما ذَكرَ الزُّجاجَةَ، لأنَّ النُّورَ في الزُّجَاج أشدُّ ضَوءاً منه في غيره. وقرأ أبو رَجَاءٍ العُطَارِدِي، وابنُ أبي عَبلَةَ: «في زَجاجة الزَّجاجة» بفتحِ الزاءِ فيهما. وقرأ مُعاذٌ القارئ، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ يَعمَرَ: بكسرِ الزاءِ فيهما. وقال بعضُ أهلِ المعاني: معنى الآيةِ: كَمَثلِ مِصباحٍ في مِشكَاةٍ، فهو مِنَ المَقلُوبِ.

فأما الدُّرِّيُّ، فقرأ أبو عَمرٍو، والكسائي وأبانٌ عن عاصِم «دِرِّيءٌ» بكَسرِ الدالِ وتخفيفِ الياءِ ممدوداً مَهمُوزاً. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى على هذا: إنه مِنَ الكَواكبِ الدَّرارِيءِ، وهي اللاتي يَدْرأْنَ

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٢٠: يعني هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون. وإنما اخترنا القول الذي اخترنا، لأنه عقيب قوله **﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين﴾** فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه أولى وأشبه.

فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس، آيات مبينات الحق من الباطل، **﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبل وموعظة للمتقين﴾** فهديناكم بها، وبينا لكم معالم دينكم بها، لأني هادي أهل السماوات والأرض.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٢٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به. مثل المشكاة وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة. وذلك نظير الكوة تكون في الحيطان لا منفد لها. ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٦١ فقال: وتقديره: شبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى، وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه ـ كما قال تعالى: **﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾** فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل، الذي لا كدر فيه ولا انحراف. فقوله **﴿كمشكاة﴾** هو موضع الفتيلة من القنديل. هذا هو المشهور ولهذا قال بعده: **﴿فيها مصباح﴾** وهو الذّبالة التي تضيء. **﴿المصباح في زجاجة﴾** أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية.

عليكَ، أي: يَطلُعنَ. وقال الزَّجّاجُ: هذا مأخوذٌ مِنْ دَرأَ يَدرَأُ: إذا اندَفَعَ مُنقَضًا فتضاعفَ نُورُه، يُقال: تَدارَأَ الرَّجلانِ: إذا تَدافَعا. ورَوى المُفضَّلُ عن عاصِم كَسْرَ الدالِ وتشديدَ الياءِ مِنْ غيرِ همزٍ ولا مَدٍّ، وهي قراءةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو، والزُّهري. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحفص عن عاصم «دُرّيّ» بضمِّ الدالِ وكَسْرِ الراءِ وتشديدِ الياءِ مِنْ غيرِ مَدٍّ ولا همزٍ، وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، وابنُ عباسٍ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ: «دَرِيءٌ» بفَتْحِ الدالِ وكَسْرِ الراءِ مَمدُوداً مَهمُوزاً. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وسعيدُ بنُ المُسَيّبِ، وقَتادةُ: بفَتْحِ الدالِ وتشديدِ الراءِ والياءِ مِنْ غيرِ مَدٍّ ولا هَمزٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، وابنُ يَعمَرَ: بفَتْحِ الدالِ وكَسْرِ الراءِ مَهمُوزاً مَقصُوراً. قال الزَّجّاجُ: والدُّرِّيءُ: مَنسُوبٌ إلى أنه كالدُّرِّ في صَفائِه وحُسنِه. وقال الكِسائيُّ: الدُّرِّيءُ: يُشبِهُ الدُّرَّ، والدِّرِّيءُ: جارٍ، والدَّرِّءُ: يلتَمِعُ، وقرأ حَمزَةُ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ، والوليدُ بنُ عُتبَةَ عن ابنِ عامرٍ: بضمِّ الدالِ وتخفيفِ الياءِ مع إثباتِ الهمزةِ والمَدِّ، قال الزَّجّاجُ: والنَّحويون أجمعونَ لا يعرفون الوَجْهَ في هذا؛ وقال الفَرَّاءُ: ليس هذا بجائزٍ في العربية، لأنه ليس في الكلام «فُعّيل» إلاّ أعجَميٌّ، مِثل: مُرّيق، وما أشبَهَهُ. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي: المُرّيق: العُصْفُر، أعجَميٌّ مُعرَّبٌ، وليس في كلامهم اسمٌ على زِنَةِ فُعّيل. قال أبو عليٍّ: وقد حكى سِيبَويه عن أبي الخَطّابِ: كَوكَب دُرِّيء: مِنَ الصِّفاتِ، ومِنَ الأسماء: المُرّيق: العُصْفُر.

قوله تعالى: «تَوَقَّدَ» قرأ ابنُ كَثيرٍ. وأبو عَمرٍو: بالتاءِ المفتوحة وتشديدِ القاف ونصبِ الدَّال، يُريدانِ المِصباحَ، لأنه هو الذي يُوقَدُ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء مضمُومةً مع ضَمِّ الدال، يُريدون المِصباحَ أيضاً. وقرأ حَمزَةُ والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «تُوقَد» بضمِّ التاء والدال، يريدون الزُّجاجَةَ، قال الزَّجّاجُ: والمقصود: مِصباحُ الزُّجاجَةِ، فحَذفَ المُضافَ. قوله تعالى: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: مِنْ زَيتِ شجرةٍ، فحَذفَ المُضافَ، يَدُلُّكَ على ذلك قولُه تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾؛ والمُرادُ بالشجرةِ ها هنا: شجرةُ الزَّيتونِ، وبَرَكَتُها مِنْ وجُوهٍ، فإنها تجمَعُ الأُدْمَ والدُّهنَ والوَقُودَ، فيُوقَدُ بحَطَبِ الزَّيتونِ، ويُغسَلُ برَمادِه الإبريسم، ويُستخرجُ دُهنُهُ أسهَلَ استخراجٍ، ويُورِقُ غُصنُهُ مِنْ أوَّلِه إلى آخِرِه. وإنما خُصَّتْ بالذِّكرِ ها هنا دونَ غيرِها، لأنَّ دُهنَها أصفَى وأضوَأُ. قوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بينَ الشَّجرِ، فهي خَضراءُ ناعمةٌ لا تُصيبُها الشمسُ، قاله أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، ورواه سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها في الصحراء لا يُظِلُّها جبلٌ ولا كَهفٌ، ولا يُواريها شيءٌ، فهو أجودُ لِزَيتِها، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والزَّجّاجُ. **والثالث**: أنها مِنْ شَجرِ الجنَّةِ، لا مِنْ شَجرِ الدُّنيا، قاله الحَسنُ. قولُه تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي: يكادُ مِنْ صَفائِه يُضيءُ قبلَ أنْ تُصيبَهُ النارُ بأنْ يُوقَدَ به. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ قال مُجاهِدٌ: النارُ على الزَّيتِ. وقال ابنُ السّائبِ: المِصباحُ نُورٌ، والزُّجاجةُ نُورٌ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: نُورُ النارِ، ونُورُ الزَّيتِ، ونُورُ الزُّجاجةِ، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لِنُور القرآنِ. **والثاني**: لِنُور الإيمانِ. **والثالث**: لِنُور محمَّدٍ ﷺ. **والرابع**: لِدِينِه الإسلامِ.

فصل: فأما وجه هذا المثل ففيه ثلاثة أقوال[1]: **أحدها**: أنه شَبَّه نُورَ محمَّدٍ ﷺ بالمِصباحِ النَّيِّرِ؛

---

(١) تقدم الكلام على أولى الأقوال بالصواب.

فالمِشكَاةُ جوفُ رسولِ الله ﷺ، والمِصباحُ النُورُ الذي في قلبه، والزُجاجةُ قَلبُهُ، فهو مِنْ شجرةٍ مُباركَةٍ، وهو إبراهيمُ عليه السلام، سَمَّاهُ شجرةً مُباركَةً، لأنَّ أكثر الأنبياء مِنْ صُلبِهِ «لا شرقية ولا غربية» لا يَهوديٌّ ولا نَصرَانيٌّ، يَكادُ محمَّدٌ ﷺ يتبيَّنُ للناس أنه نَبيٌّ ولو لَمْ يَتكَلَّمْ. وقال القُرَظيُّ: المِشكَاةُ: إبراهيمُ، والزُّجَاجَةُ: إسماعيلُ، والمِصباحُ: محمَّدٌ، صَلواتُ اللَّهِ عليهم أجمعينَ. وقال الضَّحَّاكُ: شَبَّهَ عبدَ المُطَّلبِ بالمِشكَاةِ، وعبدَ اللَّهِ بالزُّجَاجةِ، ومُحمَّداً ﷺ بالمِصْبَاحِ. **والثاني**: أنه شَبَّهَ نُورَ الإيمان في قلبِ المؤمن بالمِصبَاحِ، فالمِشكَاةُ: قَلبُه، والمِصباحُ: نُورُ الإيمان فيه. وقيلَ: المِشكَاةُ: صَدرُهُ، والمِصبَاحُ: القرآنُ والإيمانُ اللَّذانِ في صَدرِهِ، والزُّجَاجَةُ: قَلبُهُ، فكأنه ممَّا فيه مِنَ القرآن والإيمان كَوكَبٌ مُضيءٌ تَوَقَّدَ مِنْ شجرةٍ، وهي الإخلاصُ، فمَثَلُ الإخلاصِ عنده كشَجرةٍ لا تُصيبُها الشمسُ، فكذلك هذا المؤمنُ قد احتَرَسَ مِنْ أنْ تُصيبَهُ الفِتَنُ، فإن أُعطِيَ شَكَرَ، وإنِ ابتُلِيَ صَبَرَ، وإنْ قال صَدَقَ، وإنْ حَكَمَ عَدَلَ، فقَلبُ المؤمن يعملُ بالهُدى قبلَ أنْ يأتيَهُ العِلمُ، فإذا جاءَهُ العِلْمُ ازدادَ هُدىً على هُدىً كما يكادُ هذا الزيتُ يُضيءُ قبل أنْ تَمَسَّهُ النارُ، فإذا مَسَّتْهُ اشتَدَّ نُوره، فالمؤمنُ كَلامُه نُورٌ، وعَملُه نُورٌ، ومدخلُهُ نورٌ، ومخرجه نُورٌ، ومَصيرُهُ إلى نُورٍ يومَ القيامة. **والثالث**: أنه شَبَّهَ القرآن بالمِصبَاحِ يُستضاءُ به ولا يَنقُصُ، والزُّجَاجَةُ: قلبُ المؤمن، والمِشكَاةُ: لِسانُه وفَمُه، والشجرةُ المُبارَكَةُ: شجرةُ الوَحي، تكادُ حُجَجُ القرآن تتَّضِحُ وإنْ لم يُقرأ. وقيلَ: تكادُ حُجَجُ الله تُضِيءُ لِمَنْ فكَّرَ فيها وتَدَبَّرَها ولو لم يَنزِلِ القرآن، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: القرآنُ نورٌ مِنَ الله لِخَلْقِهِ[1] مع ما قد قامَ لهم مِنَ الدَّلائِلِ والأعلامِ قبلَ نُزولِ القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: ويُبَيِّنُ اللَّهُ الأشباه للناسِ تقريباً إلى الأفهامِ وتسهيلاً لسُبُلِ الإدراكِ.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ﴿فِى﴾ مِنْ صِلَةِ قوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾، فالمعنى: كمِشكَاةٍ في بيوت؛ ويجوز أنْ تكونَ مُتَّصلَةً بقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ فتكون فيها تكريراً على التَّوكيدِ؛ والمعنى: يُسَبِّحُ للَّهِ رجالٌ في بيوتٍ. فإنْ قيلَ: المِشكَاةُ إنما تكون في بيتٍ واحدٍ، فكيف قال: «في بيوت»؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه مِنَ الخِطابِ المُتلَوِّنِ الذي يُفتَحُ بالتَّوحيدِ ويُختَمُ بالجَمعِ، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[2]. **والثاني**: أنه راجعٌ إلى كلِّ واحدٍ مِنَ البيوت، فالمعنى: في كلِّ بيتٍ مِشكَاةٌ. وللمُفسِّرين في المراد بالبيوتِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنها المَساجدُ، قاله ابنُ عباسٍ،

(١) وإنما يستجيب له من نوّر الله قلبه، وهداه إلى صراطه المستقيم.

(٢) سورة الطلاق: ١.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٩/٣٢٩: ذلك المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع، وعني بالبيوت المساجد وإنما اخترنا هذا القول لدلالة قوله **﴿يسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾** على =

والجمهورُ. **والثاني**: بيوتُ أزواجِ رسولِ الله ﷺ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: بيتُ المَقدِسِ، قاله الحَسنُ.

فأمَّا ﴿أَذِنَ﴾ فمعناه: أمَرَ. وفي معنى ﴿أَن تُرْفَعَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنْ تُعظَّمَ، قاله الحَسنُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنْ تُبْنَى، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ قولان: **أحدهما**: توحيدُه؛ رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يُتلَى فيها كِتابُهُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يُسَبِّح» بكَسْرِ الباء؛ وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بفَتْحِها. وقرأ معاذٌ القارئُ، وأبو حَيْوَةَ: «تُسَبِّحُ» بتاءٍ مرفوعةٍ وكَسْرِ الباء ورَفْعِ الحاء. وفي قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنه الصَّلاةُ. ثم في صلاةِ الغُدُوِّ قولان: **أحدهما**: أنها صلاةُ الفَجرِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: صلاةُ الضُّحَى، روى ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: إنَّ صلاةَ الضُّحَى لَفِي كتابِ اللَّهِ، وما يَغُوصُ عليها إلاَّ غَوَّاصٌ، ثم قرأ «يُسَبِّح له فيها بالغُدُوِّ والآصَالِ». وفي صلاةِ الآصَالِ قولان: **أحدهما**: أنها صَلاةُ الظُّهرِ والعَصرِ والمَغرِبِ والعِشاءِ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: صلاةُ العَصرِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

والقول الثاني: أنه التَّسبيحُ المَعروفُ، ذكره بعضُ المُفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ أي: لا تَشغَلُهم[1] ﴿تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ قال ابنُ السَّائبِ: التُّجَّار: الجَلاَّبُون، والبَاعَةُ: المُقيمُونَ. وقال الوَاقِدي: التِّجارة ها هنا بمعنى الشِّراءِ. وفي المُرادِ بذِكْرِ الله ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الصَّلاةُ المَكتوبَةُ، قاله ابنُ عباسٍ، وعطاءٌ، ورَوى سالمٌ عن ابنِ عمرَ أنه كان في السُّوقِ فأقيمَتِ الصلاةُ، فأغلَقُوا حَوانِيتَهُم ودَخلوا المسجدَ، فقال ابنُ عمرَ: فيهم نزلت «رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن ذِكرِ الله». **والثاني**: عن القيامِ بحقِّ اللَّهِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: عن ذِكرِ اللَّهِ باللِّسانِ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

= أنها بيوت بنيت للصلاة، وهي المساجد. ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٦٤، وقال: لما ضرب الله مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيتٍ طيب، وذلك كالقنديل مثلاً، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض، وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٦٧: فقوله ﴿رجال﴾ فيه إشعار بهممهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية، التي صاروا عماراً للمساجد، التي هي بيوت الله في أرضه، ومواطن عبادته وشكره، وتوحيده وتنزيهه. وقوله: ﴿**لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾، كقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾. وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصَّلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ فمعنى قوله تعالى: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها، وملاذ بيعها وربحها، عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق، فيقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم. فأما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن. قال: هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط أن لا تؤذي أحداً من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب.

قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أداؤها لِوَقتِها وإتمامِها. فإنْ قيلَ: إذا كان المرادُ بذِكْرِ اللَّهِ الصَّلاةُ، فمَا معنى إعادَتِها؟ فالجواب: أنه بَيَّنَ أنهم يُقيمُونَها بأدائِها في وَقتِها.

قوله تعالى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ في معناه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ مَنْ كان قلبُه مؤمناً بالبَعثِ والنُّشورِ، ازدادَ بصيرةً برُؤيةِ ما وُعِدَ به؛ ومَنْ كان قلبُه على غيرِ ذلك، رأى ما يُوقِنُ معه بأمرِ القيامةِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنَّ القلوبَ تتقلَّبُ بينَ الطَّمعِ في النَّجاةِ والخَوفِ مِنَ الهَلاكِ، والأبصار تتقلَّبُ، تنظرُ مِنْ أينَ يؤتَونَ كُتبَهم، أمِنْ قِبَلِ اليمينِ، أمْ مِنْ قِبَلِ الشِّمالِ؟ وأيَّ ناحيةٍ يُؤخَذُ بهم، أذاتَ اليمينِ، أمْ ذاتَ الشِّمالِ؟ قاله ابنُ جَريرٍ. **والثالث**: تَتقلَّبُ القلوبُ فتَبلُغُ إلى الحَناجِرِ، وتتقلَّبُ الأبصارُ إلى الزَّرَقِ بعدَ الكَحَلِ والعَمى بَعْدَ النَّظرِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ المعنى: يُسبِّحونَ اللَّهَ ليَجزِيَهم ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: لِيجزيَهم بحَسَناتِهم. فأمَّا مَساوِئُهم فلا يَجزيهم بها ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما لَمْ يَستحِقُّوهُ بأعمالِهم ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قد شرحناهُ في آلِ عِمرانَ[(١)].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

ثم ضَربَ اللَّهُ مَثَلاً للكفار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: السَّرابُ: ما رَأيتَهُ مِنَ الشمس كالماءِ نِصفَ النهار، والآلُ[(٢)]: ما رأيتَهُ في أولِ النهارِ وآخرِه، وهو يَرفعُ كلَّ شيءٍ، والقِيعَةُ والقَاعُ واحدٌ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «بِقِيعات». وقال الزَّجَّاجُ: القِيعَةُ جمعُ قَاعٍ، مثل جَارٍ وجِيرَة، والقِيعَةُ والقَاعُ: ما انبسَطَ مِنَ الأرض ولم يكن فيه نباتٌ، فالذي يسيرُ فيه يرى كأنَّ فيه ماءً يجري، وذلك هو السَّرابُ، والآلُ مِثلُ السَّراب، إلاَّ أنه يرتفعُ وقتَ الضُّحَى، كالماءِ، بينَ السماء والأرض ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ وهو الشديدُ العَطَشُ ﴿مَآءً﴾، حتى إذا جاء إلى مَوضعِ السَّرابِ رأى أرضاً لا ماءَ فيها، فأعلَمَ اللَّهُ أنَّ الكافرَ الذي يَظِنُّ أنَّ عمله قد نَفعَهُ عندَ الله، كظَنِّ الذي يَظُنُّ السَّرابَ ماءً، وعَمَلُه قد حَبِطَ.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: قَدِمَ على الله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي: جَازاهُ بعَملِه؛ وهذا في الظاهر خبرٌ عن الظَّمآنِ، والمراد به الخَبرُ عن الكافرِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ مُفسَّرٌ في سُورةِ البقرة[(٣)].

---

(١) سورة آل عمران: ٢٧.

(٢) في «اللسان» الآل: السراب وقال الأصمعي: الآل والسراب واحد، وخالفه غيره فقال: الآل من الضحى إلى زوال الشمس، والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر، واحتجوا بأن الآل يرفع كل شيء حتى يصير آلاً أي شخصاً، والسراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو نصف النهار.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٢.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ في هذا المَثَلُ قولان: **أحدهما**: أنه لِعمَلِ الكافرِ، قاله الجمهورُ، واختاره الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه مَثَلٌ لِقلبِ الكافرِ في أنه لا يَعْقِلُ ولا يُبْصِرُ، قاله الفَرَّاءُ. فأمَّا اللُّجِّيُّ، فهو العظيمُ اللُّجَّةِ، وهو العَميقُ. ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ أي: يَعلُو ذلك البَحرَ ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: مِنْ فوق المَوجِ مَوجٌ، والمعنى: يَتبَعُ المَوجَ مَوجٌ، حتى كأنَّ بعضَهُ فوقَ بعضٍ، ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: مِنْ فوق ذلك المَوجِ ﴿سَحَابٌ﴾. ثم ابتدأ فقال: ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ يعني: ظُلمةَ البحرِ، وظُلمَةَ المَوجِ الأوَّلِ، وظُلمةَ المَوجِ الذي فوقَ المَوجِ، وظُلمةَ السَّحابِ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «سحابُ ظلماتٍ» مُضافاً. ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ يعني: إذا أخرَجَها مُخرِجٌ، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه لم يَرَها، قاله الحسَنُ، واختاره الزَّجَّاجُ. قال: لأنَّ في دُونِ هذه الظُّلماتِ لا يَرى الكَفَّ؛ وكذلك قال ابنُ الأنباري: معناه: لم يَرَها البَتَّةَ، لأنه قد قامَ الدَّليلُ عند وَصفِ تكاثُفِ الظُّلماتِ على أنَّ الرُّؤيةَ مَعدومَةٌ، فبَانَ بهذا الكلام أنَّ «يَكَد» زائدةٌ للتَّوكيدِ، بمنزلةِ «ما» في قوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[1]. **والثاني**: أنه لَمْ يَرَها إلاَّ بعدَ الجهدِ، قاله المُبَرِّدُ. قال الفَرَّاءُ: وهذا كما تقول: ما كِدْتُ أبلغُ إليكَ، وقد بَلَغتَ، قال الفَرَّاءُ: وهذا وَجهُ العربيةِ.

فصل: وأما وَجْهُ المَثَلِ، فقال المُفسِّرون: لَمَّا ضَربَ اللَّهُ للمؤمنِ مَثَلاً بالنُّورِ، ضَرب للكافرِ هذا المَثَلَ بالظُّلماتِ؛ والمعنى: أنَّ الكافرَ في حَيْرَةٍ لا يهتدي لِرُشدٍ. وقيل: الظُّلماتُ: ظُلمةُ الشِّركِ وظُلمةُ المعاصي. وقال بَعضُهم: ضَرَبَ الظُّلماتِ مَثَلاً لعَملِه، والبحرَ اللُّجِّيَ لِقلبِه، والمَوجَ لِمَا يغشى قلبَهُ مِنَ الشِّركِ والجَهلِ والحَيْرَةِ، والسَّحابَ للرَّيْنِ والخَتْمِ على قلبِه، فكلامُه ظُلمَةٌ، وعَمَلُهُ ظُلمَةٌ، ومدخَلُه ظُلمَةٌ، ومخرَجُه ظُلمَةٌ، ومصيرُه إلى الظُّلمات يومَ القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: دِيْناً وإيماناً، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: هِدايةً، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قد تقدَّمَ تفسيرُه[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ أي: وتُسبِّحُ له الطَّيرُ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: باسِطَاتٍ أجنِحَتَها في الهواءِ. وإنَّما خَصَّ الطَّيرَ بالذِّكرِ، لأنها تكون بينَ السماءِ والأرضِ إذا طَارَتْ، فهي خارِجَةٌ عن جُملَةِ مَنْ في السَّمواتِ والأرضِ. قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ أي: مِنَ الجُملَةِ التي ذَكرَها ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ قال المُفسِّرون: الصَّلاةُ، لِبَني آدمَ، والتَّسبيحُ، لغيرِهم مِنَ الخَلْقِ. وفي المُشَارِ إليه بقوله: «قد عَلِمَ» قولان: **أحدهما**: أنه اللَّهُ تعالى، والمعنى: قد عَلِمَ اللَّهُ صلاةَ المُصَلِّي وتسبيحَهُ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه المُصَلِّي والمُسَبِّحُ. ثم فيه قولان: **أحدهما**: قد عَلِمَ المُصَلِّي والمُسَبِّحُ صلاةَ نفسِه وتَسبِيحَهُ، أي: قد عَرفَ ما كُلِّفَ مِنْ ذلك. **والثاني**: قد عَلِمَ المُصَلِّي صلاةَ اللَّهِ وتَسبِيحَهُ، أي: عَلِمَ

(١) سورة المؤمنون: ٤٠. (٢) سورة البقرة: ٣٠.

أنَّ ذلك للَّهِ تعالى وَحدَهُ. وقرأ قَتادَةُ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ يَعمَرَ: «كُلٌّ قد عُلِمَ» برفعِ العين وكَسرِ اللام «صلاتُه وتسبيحُه» بالرَّفعِ فيهما.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ أي: يَسُوقُه ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ أي: يَضُمُّ بعضَه إلى بعضٍ، فيجعلُ القِطَعَ المُتفرِّقَةَ قِطعَةً واحدةً. والسَّحابُ لفظُه لفظُ الواحدِ، ومعناه الجَمعُ، فلِهذا قال: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ أي: يَجعلُ بعضَ السَّحابِ فوقَ بعضٍ ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ وهو المطرُ. قال اللَّيثُ: الوَدْقُ: المطرُ كُلُّه شديدة وهَيِّنُهُ. قوله تعالى: ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العَالِيةِ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ: «من خَلَلِهِ» والخِلالُ: جَمعُ خَلَلٍ، مثل: جِبال وجَبَل. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مفعولُ الإنزالِ محذوفٌ، تقديره: ويُنزِّلُ مِنَ السماء مِنْ جبالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ بَرَداً، فاستَغنَى عن ذِكرِ المفعولِ للدَّلالةِ عليه. و «مِنْ» الأولى، لابتداءِ الغَايَة، لأنَّ ابتداءَ الإنزالِ مِنَ السماءِ، والثانيةُ، للتَّبعيضِ، لأنَّ الذي يُنزِلُهُ اللَّهُ بعضُ تلكَ الجِبالِ، والثالثةُ، لِتَبيينِ الجِنسِ، لأنَّ جِنسَ تلك الجبال جنسُ البَرَدِ، قال المُفسِّرون: وهي جِبالٌ في السماء مَخلوقَةٌ مِنْ بَرَدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الكلام: ويُنزِّلُ مِنَ السماء مِنْ جبالِ بَرَدٍ فيها، كما تقولُ: هذا خاتمٌ في يَدِي مِنْ حديدٍ، المعنى: هذا خاتمُ حديدٍ في يَدِي. قوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي بالبَرَدِ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيَضُرُّه في زَرعِه وثَمَرِه. والسَّنا: الضَّوءُ، ﴿يَذْهَبُ﴾ وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو جعفرَ: «يُذهِبُ» بضمِّ الياءِ وكَسرِ الهاءِ. ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بهذا، ويَذهَبُ بهذا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التَّقليبِ ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي: دِلالَةً لأهلِ البَصائِرِ والعُقولِ على وَحدانيَّةِ اللَّهِ وقُدرتِه.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «والله خالِقُ كُلِّ دابَّة مِنْ ماءٍ» وفي الماء قولان: **أحدهما**: أنَّ الماءَ أصلُ كُلِّ دابَّةٍ. **والثاني**: أنه النُّطفَةُ، والمراد به: جميع الحيوان المُشاهَدِ في الدنيا. وإنما قال: «فمنهم» تغليباً لِمَا يَعقِلُ. وإنما لم يذكرِ الذي يمشي على أكثرَ مِنْ أربعٍ، لأنه في رَأيِ العين كالذي يمشي على أربعٍ، وقيلَ: لأنه يعتمدُ في المشي على أربعٍ. وإنما سَمَّى السَّائرَ على بطنِه ماشياً، لأنَّ كُلَّ سائرٍ ومستمرٍّ يُقال له: ماشٍ وإنْ لم يكن حيواناً، حتَّى إنه يُقال: قد مشى هذا الأمرُ، هذا قول الزَّجّاج. وقال أبو عُبيدَةَ: إنما هذا على سبيل التشبيه بالمَاشِي، لأنَّ المَشيَ لا يكون على البطنِ، إنما يكونُ لِمَنْ له قوائِمُ، فإذا خَلَطوا ما له قوائمُ بما لا قوائمَ له، جازَ ذلك، كما يقولون: أكلتُ خبزاً ولَبَناً، ولا يُقال: أكلتُ لَبَناً.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ

وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

[١٠٣٧] قال المُفسِّرون: نزلَتْ في رجلٍ مِنَ المنافقين يُقال له: بِشْرٌ كان بينه وبينَ يهوديٍّ حُكومَةٌ، فدَعا اليهوديُّ المنافقَ إلى رسولِ الله ﷺ لِيَحكُمَ بينهما، فقال المنافقُ لليهوديّ: إنَّ محمَّداً يَحِيفُ علينا، ولكن بيني وبينَكَ كعبُ بنُ الأشرَفِ، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يعني المنافقين ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي مِنْ بعدِ قولِهم: آمَنَّا ﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ يعني المُعْرِضِين عن حُكم اللّهِ ورسولِه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى كِتابه ﴿وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الرَّسولُ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ومعنى الكلام: أنهم كانوا يُعْرِضُون عن حُكم الرَّسول عليهم، لعِلمِهم أنَّه يَحكُم بالحقّ؛ وإنْ كان الحقُّ لهم على غيرِهم، أسرَعوا إلى حُكمِه مُذْعِنينَ، لِثِقَتِهم أنه يَحكُمُ لهم بالحقّ. قال الزَّجّاجُ: والإذعَانُ في اللغة: الإسراعُ مع الطاعةِ، تقول: قد أَذْعَنَ لي، أي: قد طَاوَعَني لِمَا كنتُ ألتَمِسه منه. قوله تعالى: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي كُفرٌ ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ أي شَكُّوا في القرآن؟ وهذا استفهامُ ذمٍّ وتَوبيخٍ، والمعنى: إنهم كذلك، وإنما ذكرَهُ بلفظِ الاستفهامِ ليكونَ أبلغَ في ذَمِّهم، كما قال جَريرٌ في المَدحِ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا(١)

أي: أنتُم كذلك. فأمَّا الحَيْفُ، فهو: المَيْلُ في الحُكم؛ يُقال: حَافَ في قَضِيَّتِه، أي: جارَ ﴿بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: لا يَظلِمُ اللّهُ ورسولُه أحداً، بل هم الظّالمون لأنفسِهم بالكُفرِ والإعراضِ عن حُكمِ الرَّسولِ.

ثم نَعَتَ المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الفَرّاءُ: ليس هذا بخبرٍ ماضٍ، وإنَّما المعنى: إنَّما كان ينبغي أنْ يكونَ قولُ المؤمنين إذا دُعُوا أنْ يَقولوا سَمِعنا. وقرأ الحَسنُ، وأبو الجَوزاءِ: «إنما كان قولُ المؤمنين» بضمِّ اللام. وقرأ أبو جعفرَ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ليُحكَم بينهم» برفع الياء وفتح الكاف. قال المُفسِّرون: والمعنى: سَمِعنا قولَ رسولِ الله ﷺ وأطَعْنا أمرَهُ، وإنْ كانَ ذلك فيما يكرَهُونه. قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما مَضى مِنْ ذُنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بعدُ أنْ يَعصِيَه. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، ووَرْشٌ عن نافعٍ: «ويَتَّقِهي» موصولةً بياءٍ. وروى قَالُونُ

[١٠٣٧] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٤٥ بدون إسناد، وتقدم في سورة النساء عند الآية: ٦٧ باستيفاء.

---

(١) هو صدر بيت وعجزه: «وأندى العالمين بطون راح».

عن نافع: «ويتَّقْهِ فأولئك» بكسرِ الهاء لا يَبلُغُ بها الياءَ. وقرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ويتَّقْهْ» جزماً.

﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا نزلَ في هؤلاءِ المنافقين ما نزلَ مِنْ بيانِ كراهتِهم لحُكم الله، قالوا للنبيِّ ﷺ: والله لو أمرتَنا أنْ نخرجَ مِنْ دِيارنا وأموالِنا ونسائِنا لَخرجنا، فكيف لا نرضى حُكمَكَ؟! فنزلت هذه الآيةُ. وقد بيَّنَّا معنى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾(١)، ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ مِنْ أموالِهم ودِيارِهم، وقيلَ: لَيخرجُنَّ إلى الجهادِ ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟﴾ هذا تمامُ الكلام؛ ثم قال: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أمْثَلُ مِنْ قَسَمِكم الذي لا تَصدقُون فيه طاعةٌ معروفةٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وبعضُ النَّحويين يقول: الضميرُ فيها: لِتَكُن منكم طاعةٌ معروفةٌ، أي: صحيحةٌ لا نِفاقَ فيها. قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ هذا خطابٌ لهم، والمعنى: فإنْ تتولَّوا، فحذَفَ إحدى التَّاءين، ومعنى التَّولِّي: الإعراضُ عن طاعةِ اللهِ ورسولِه، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ يعني: الرَّسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ مِنَ التَّبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ مِنَ الطَّاعة؛ وذكرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ هذا مَنسُوخٌ بآيةِ السيفِ، وليس بصحيحٍ. قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ يعني: رسولَ الله ﷺ ﴿تَهْتَدُوا۟﴾، وكان بعضُ السَّلَفِ يقول: مَنْ أمَّرَ السُّنَّةَ على نفسه قولاً وفِعلاً، نطقَ بالحِكمةِ، ومَنْ أمَّرَ البِدعةَ الهوى على نفسه قولاً وفِعلاً، نَطَقَ بالبِدعةِ، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾.

[١٠٣٨] روى أبو عبدِ الله الحَاكِمُ في «صحيحه» مِنْ حديث أُبيِّ بنِ كَعبٍ، قال: لمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه المدينةَ وآوَتْهُمُ الأنصارُ، رَمَتْهم العربُ عن قوسٍ واحدةٍ، كانوا لا يَبِيتون إلاَّ في

[١٠٣٨] أخرجه الحاكم ٢/ ٤٠١ والطبراني في «الأوسط» ٧٠٢٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٦٤٧ والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٦ ـ ٧ من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب. وإسناده لين. مداره على علي بن حسين بن واقد، وهو لين الحديث، ضعفه أبو حاتم، وقال النسائي وغيره: ليس به بأس. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٢٣٧: رجاله ثقات اهـ. وانظر «أحكام القرآن» ١٦١٠.

---

(١) سورة المائدة: ٥٣.

السِّلاح، ولا يُصبِحون إلاَّ في لأْمَتِهم، فقالوا: أترونَ أنّا نعيشُ حتى نَبيتَ آمِنينَ مُطمَئِنّين لا نخافُ إلاَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ؟! فنزلت هذه الآيةُ. قال أبو العَالِية: لمّا أظهَرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ على جزيرةِ العرب، وَضَعوا السلاحَ وأَمِنوا، ثم قبضَ اللَّهُ نبيَّهُ، فكانوا آمِنِينَ كذلك في إمَارةِ أبي بكرٍ، وعمرَ، وعُثمانَ، حتى وَقَعوا فيما وَقَعوا فيه وكَفَروا بالنِّعمَةِ، فأدخلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليهم الخَوفَ فغيروا، فغيَّرَ اللَّهُ تعالى ما بِهِم. وروى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: أنَّ هذا الوعدَ وَعدَهُ اللَّهُ أُمَّةَ محمَّدٍ في التَّوراةِ والإنجيلِ.

[١٠٣٩] وزعمَ مُقاتِلٌ أنَّ كفارَ مكَّةَ لمّا صدُّوا رسولَ الله ﷺ والمسلمين عن العُمْرَةِ عامَ الحُدَيبية، قال المسلمون. لو أنَّ اللَّهَ تعالى فَتَحَ علينا مكَّةَ، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ أي: لَيَجعلنَّهُم يَخلُفون مَنْ قَبلَهم، والمعنى: لَيُورثَنَّهُم أرضَ الكفار مِنَ العرب والعَجَم، فيَجعلَهُم مُلوكَها وسَاسَتَها وسُكَّانَها. وعلى قولِ مُقاتِلٍ: المراد بالأرض مكَّةُ. قوله تعالى: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «كما استُخْلِف» بضمِّ التاء وكسرِ اللام؛ يعني: بني إسرائيلَ، وذلك أنه لمَّا هَلَكَتِ الجَبابِرةُ بمِصْرَ، أورثَهُم اللَّهُ أرضَهُم ودِيارَهُم وأموالَهُم. قوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ وهو الإسلامُ، وتمكينُهُ: إظهارُه على كلِّ دِينٍ، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو بكرٍ، وأَبانٌ، ويعقوبُ: «ولَيُبْدِلَنَّهم» بسكونِ الباء وتخفيفِ الدال ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ لأنهم كانوا مَظلُومِينَ مقهورينَ، ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ لأنهم كانوا مظلُومينَ مقهورينَ، ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ هذا استئنافُ كلامٍ في الثَّناءِ عليهم، ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بهذه النِّعَمِ، أي: مَنْ جَحَدَ حقَّها. قال المُفسِّرون: وأوَّلُ مَنْ كفرَ بهذه النِّعَمِ قَتَلَهُ عُثمانَ.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ وحَفصٌ، عن عاصِمٍ: «لا يَحْسَبَنَّ» بالياء وفَتْحِ السين. وقرأ الباقون بالتاء وكَسْرِ السين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٠٤٠] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ وَجَّهَ غُلاماً مِنَ الأنصار يُقال له: مُدلِجُ بنُ عمرٍو إلى

[١٠٣٩] عزاه المصنف لمقاتل، ومقاتل ساقط الرواية ليس بشيء.

[١٠٤٠] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٤٨ عن ابن عباس بدون إسناد. وقال الحافظ ابن حجر في =

عمرَ بنِ الخطَّابِ وقتَ الظَّهيرةِ لِيَدْعُوَهُ، فدخلَ فرأى عمرَ على حالةٍ كَرِهَ عمرُ رؤيتَه عليها، فقال: يا رسولَ الله، وَدِدتُ له لو أنَّ اللّهَ تعالى أمَرَنا ونَهَانا في حالِ الاستِئذانِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٠٤١] والثاني: أنَّ أسماءَ بنتَ مِرثَدٍ كان لها غُلامٌ، فدخلَ عليها في وقتٍ كَرِهَتْهُ، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ، فقالت: إنَّ خَدَمنا وغِلمَانَنا يَدخلونَ علينا في حالةٍ نَكرَهُها، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى الآية: لِيَستأذِنكُمُ الذين مَلكَتْ أيمانُكم؛ وفيهم قولان[١]: أحدهما: أنه أرادَ الذُّكورَ دونَ الإناثِ، قاله ابنُ عمرَ. والثاني: الذُّكورُ والإناثُ، رواه أبو حصينٍ عن أبي عبدِ الرَّحمنِ. ومعنى الكلام: لِيَستأذِنكُم مَماليكُكُم في الدُّخولِ عليكم. قال القاضي أبو يَعلَى: والأظهَرُ أنْ يكونَ المراد: العبيدُ الصغارُ والإماءُ الصغارُ، لأنَّ العبدَ البالغَ بمنزلة الحُرِّ البالغِ في تحريمِ النَّظَرِ إلى مَولاتِه، فكيف يُضافُ إلى الصبيانِ الذين هم غيرُ مُكلَّفِين؟!

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ﴾ وقرأ عبدُ الوارثِ: «الحُلْم» بإسكانِ اللام ﴿مِنكُمۡ﴾ أي: مِنْ أحرارِكم مِنَ الرجال والنساء ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ أي: ثلاثةَ أوقاتٍ؛ ثم بيَّنها فقال: ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ وذلك لأنَّ الإنسانَ قد يَبيتُ عُريَاناً، أو على حالةٍ لا يُحبُّ أنْ يُطَّلعَ عليه فيها ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: القائِلَة ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ حين يَأوي الرجلُ إلى زوجَتِه، ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «ثلاثُ عورات» برفع الثاء مِنْ «ثلاثُ»، والمعنى: هذه الأوقاتُ هي ثلاثُ عَوراتٍ، لأنَّ الإنسانَ يَضَعُ فيها ثِيابَه، فربما بَدَتْ عورتُه. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ثلاثَ عوراتَ» بنصبِ التاء؛ قال أبو عليٍّ: جَعلُوه بَدَلاً مِنْ قوله: «ثلاثَ مَرَّات» والأوقاتُ ليستْ عَوراتٍ، ولكنَّ المعنى: أنها أوقاتُ ثلاثِ عَوراتٍ، فلمَّا حُذفَ المضافُ أعربَ بإعراب المحذوف. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ والأعمَشُ «عَوَرات» بفتح الواوِ ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني المؤمنين الأحرارَ ﴿وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني الخَدمَ والغِلمانَ ﴿جُنَاحُۢ﴾ أي حرج ﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾ أي بعدَ مُضِيِّ هذه الأوقاتِ في أنْ لا يستأذِنُوا، فرَفعَ الحَرجَ عن الفرِيقَيْنِ ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ أي هم طوافون عليكم ﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ أي يَطوفُ بعضُكم وهم المَماليكُ على بعضٍ وهم الأحرارُ.

= «تخريج الكشاف» ٣/٢٥٣: هكذا نقله الثعلبي والواحدي والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما بغير سند اهـ. فالخبر لا أصل له، يعني: لا إسناد له. وانظر «أحكام القرآن» ١٦٢١ بتخريجنا.

[١٠٤١] كذا ذكره الواحدي في «الأسباب» ٦٤٩ عن مقاتل بدون إسناد، وهذا معضل، وهو بدون إسناد.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٣٧٧: هذه الآيات اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض. وما تقدم في أول السورة فهو استئذان الأجانب بعضهم على بعض، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال: الأول من قبل صلاة الغداة، لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ أي: وقت القيلولة، لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ لأنه وقت نوم، فيؤمر الخدم والأطفال ألا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال، لما يخشى من أن يكون الرجل مع أهله، أو نحو ذلك من الأعمال. وإذا دخلوا في غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم من ذلك، وقد أذن لهم في الهجوم.

فصل: وأكثرُ علماءِ المُفسِّرين على أنَّ هذه الآيةَ مُحكَمَةٌ، وممَّنْ رُوي عنه ذلك ابنُ عباسٍ، والقاسمُ بن محمَّدٍ، وجابرُ بنُ زيدٍ، والشَّعبيُّ. وحُكيَ عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ أنها مَنسوخَةٌ بقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ والأول أصح، لأن معنى هذه الآية: وإذا بلغ الأطفال منكم، أو مِنَ الأحرار الحُلمَ، ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾، أي: في جميع الأوقاتِ في الدُّخولِ عليكم ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كما استأذَنَ الأحرارُ الكبارُ، الذين هم قَبْلَهُم في الوجودِ، وهم الذين أُمِرُوا بالاستِئذانِ على كلِّ حالٍ؛ فالبالغُ يستأذِنُ في كلِّ وقتٍ، والطفلُ والمَملُوكُ يستأذِنانِ في العَوراتِ الثلاثِ. قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال ابنُ قُتيبة: يعني: العُجَّزَ، واحدُها: قاعِدٌ، ويُقال: إنما قيلَ لها: قاعدٌ، لِقُعودِها عن الحَيْضِ والوَلَدِ، وقد تَقعُدُ عن الحَيْضِ والوَلَدِ ومِثْلُها يرجو النِّكاحَ، ولا أُراها سُمِّيَتْ قاعِداً إلاَّ بالقُعُود، لأنها إذا أَسنَّتْ عَجزتْ عن التَّصرُّفِ وكثرةِ الحَركةِ، وأطالَتِ القُعودَ، فقيلَ لها: «قاعد» بلا هاءٍ، ليدلَّ حذفُ الهاء على أنه قُعودُ كبرٍ، كما قالوا: «امرأة حاملٌ»، لِيَدلُّوا بحذفِ الهاء على أنه حَمْلُ حَبَلٍ، وقالوا في غيرِ ذلك: قاعِدةٌ في بيتِها، وحامِلةٌ على ظَهرِها. قوله تعالى: ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي: عندَ الرجالِ؛ ويعني بالثياب: الجِلبَابَ والرِّداءَ والقِناعَ الذي فوق الخِمَارِ، هذا المراد بالثياب، لا جميع الثياب، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ أي: مِنْ غيرِ أن يُرِدْنَ بوضع الجِلبَابِ أنْ تُرى زينَتُهنَّ؛ والتَّبرُّجُ: إظهارُ المرأةِ مَحاسنها، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ فلا يَضعْنَ تلك الثيابَ ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾، قال ابنُ قُتَيبَة: والعرب تقول: امرأةٌ واضِعٌ: إذا كبِرَتْ فوضعَتِ الخِمَارَ، ولا يكون هذا إلاَّ في الهَرِمَةِ. قال القاضي أبو يَعلَى: وفي هذه الآيةِ دلالةٌ على أنه يُباح للعجوز كشفُ وَجْهِها ويَدَيها بين يَدَي الرجالِ، وأما شَعرُها، فيَحرمُ النظرُ إليه كشَعرِ الشابَّةِ.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ في سببِ نُزُولها خمسةُ أقوالٍ:

[١٠٤٢] **أحدها:** أنه لمَّا نزلَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾(١) تحرَّجَ المسلمون عن مُؤاكَلَةِ المَرضى والزَّمْنَى والعُمْيِ والعُرْجِ، وقالوا: الطعامُ أفضلُ الأموالِ، وقد نَهى اللَّهُ تعالى عن أكلِ المالِ بالباطِلِ، والأعمَى لا يُبْصِرُ موضعَ الطعام الطَّيِّبِ، والمريضُ لا يَستوفي الطعامَ، فنزلت هذه الآيَةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٠٤٢] أخرجه الطبري ٢٦٢١٩ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به، ورجاله ثقات إلا أنه منقطع بين علي وابن عباس. والراجح هو الآتي، والله أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٤٢١ بتخريجنا.

---

(١) سورة النساء: ٢٩.

[١٠٤٣] **والثاني**: أنَّ ناساً كانوا إذا خرجوا مع رسولِ الله ﷺ، وَضَعوا مفاتيحَ بُيوتِهم عند الأعمى والأعرَجِ والمَريضِ وعند أقارِبِهم، وكانوا يأمُرونَهم أنْ يأكُلوا ممَّا في بُيوتِهم إذا احتاجُوا، فكانوا يَتَّقونَ أنْ يأكُلوا منها، ويقولون: نَخشى أنْ لا تكونَ أنفُسُهم بذلك طيِّبةً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ.

والثالث: أنَّ العُرجانَ والعُميانَ كانوا يمتنعون عن مُؤاكَلَةِ الأصِحَّاءِ، لأنَّ الناسَ يَتَقذَّرونَهُم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ[١]. **والرابع**: أنَّ قوماً مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ كانوا إذا لم يكُنْ عندَهُم ما يُطعِمونَ المريضَ والزَّمِنَ، ذهبوا به إلى بيوتِ آبائِهم وأُمَّهاتِهم وبعضِ مَنْ سمَّى اللَّهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ، فكان أهلُ الزَّمانَةِ يتَحرَّجون مِنْ أكلِ ذلك الطعام لأنه أطعَمَهُم غيرُ مالِكِهِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ[٢]. **والخامس**: أنها نزلت في إسقَاطِ الجهاد عن أهلِ الزَّمانَةِ المَذْكُورينَ في الآيةِ، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ[٣].

فعلى القولِ الأولِ يكون معنى الآية: ليس عليكُم في الأعمَى حَرَجٌ أنْ تأكلوا معه، ولا في الأعرَجِ، وتكون «على» بمعنى «في»، ذَكرَهُ ابنُ جَريرٍ. وكذلك يُخرَّج معنى الآيةِ على كلِّ قولٍ بما يَليقُ به. وقد كان جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين يذهبون إلى أنَّ آخرَ الكلام «ولا على المريض حرج» وأن ما بعدَهُ مُستأنَفٌ لا تَعلُّقَ له به، وهو يُقَوِّي قولَ الحسَنِ، وابنِ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٤]: **أحدها**: أنها بيوتُ الأولاد. **والثاني**: البيوتُ التي يَسكُنونَها وهم فيها عِيالُ غيرِهم، فيكون الخِطابُ لأهلِ الرجلِ ووَلَدِه وخادِمِه ومَنْ يشتملُ

[١٠٤٣] حسن. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦٥٣ من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلاً، ومراسيل سعيد جياد. وله شاهد من مرسل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أخرجه الطبري ٢٦٢٢٤. وله شاهد موصول عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البزار ٢٢٤١ «كشف». وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٢٣٨/٧: رجاله رجال الصحيح.

- **الخلاصة**: مرسل سعيد مع مرسل عبيد الله إذا انضم إليهما الموصول رقى بهما إلى درجة الحسن في أقل تقدير، وهذا القول أرجح الأقوال، ومع ذلك باقي الأقوال لا تعارضه، بل تشهد لبعضه، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٦٢٢٠ عن الضحاك مرسلاً.

(٢) أخرجه الطبري ٢٦٢٢١ و ٢٦٢٢٢ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، لكن هذه الروايات متقاربة، سواء ما تقدم أو ما يأتي. وانظر أحكام القرآن ٣/ ٤٢٠ بتخريجنا.

(٣) أخرجه الطبري ٢٦٢٢٥ عن عبد الرحمن بن زيد، وهذا معضل، وابن زيد واهٍ، والصواب في ذلك الحديث ١٠٦٢.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٧٩: وقوله تعالى: **﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾** إنما ذكر هذا، وهو معلوم، ليعطف عليه غيره في اللفظ، وليساوي به ما بعده في الحكم. وتضمن هذا بيوت الأبناء، لأنه لم يَنُصَّ عليهم. ولهذا استدل من ذهب إلى أن مال الولد بمنزلة مال أبيه، وقد جاء في المسند والسنن، من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنت ومالك لأبيك»، وقوله **﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم﴾** إلى قوله **﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾** هذا ظاهر، وقد يستدل به من يوجب نفقة الأقارب بعضهم على بعض، كما هو مذهب أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل في المشهور عنهما.

عليه مَنزِلَه، ونَسَبَها إليهم لأنهم سُكَّانُها. **والثالث**: أنها بيوتُهم، والمرادُ أكلُهُم مِنْ مالِ عِيالِهم وأزواجِهم، لأنَّ بيتَ المرأةِ كبيتِ الرجلِ. وإنما أباحَ الأكلَ مِنْ بيوتِ القَراباتِ المذكورين، لجرَيانِ العَادةِ ببذْلِ طعامِهم لهُم؛ فإنْ كان الطعامُ وراءَ حِرْزٍ، لم يَجُزْ هَتْكُ الحِرْزِ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوَكيلُ، لا بأسَ أنْ يأكلَ اليَسيرَ، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ. وقرأها سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو العَاليةِ: «ما مُلِّكْتُمْ» بضمِّ الميم وتشديدِ اللام مع كَسْرِها على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، وفسَّرها سعيدٌ فقال: يعني القَهرَمانَ الذي بيدِهِ المَفاتِيحُ. وقرأ أنسُ بنُ مالكٍ، وقَتادَةُ، وابنُ يَعمُرَ: «مِفتَاحَه» بكسرِ الميم على التَّوحيدِ. **والثاني**: بيتُ الإنسانِ الذي يملِكُه، وهو معنى قولِ قَتادَةَ. **والثالث**: بيوتُ العَبيدِ، قاله الضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[١٠٤٤] نزلت هذه في الحارثِ بنِ عَمرٍو، خرجَ مع رسولِ الله ﷺ غازياً، وخلَّفَ خالدَ بنَ زيدٍ على أهلِه، فلمَّا رجعَ وجدَهُ مَجهُوداً، فقال: تحرَّجْتُ أنْ آكلَ مِنْ طعامِكَ بغيرِ إذنِكَ، فنزلت هذه الآيةُ. وكان الحسَنُ وقتادةُ يَرَيَانِ الأكلَ مِنْ طعامِ الصَّديقِ بغيرِ استِئذَانٍ جائزاً.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ في سببِ نُزولِ هذا ثلاثةُ أقوالٍ[١]:

[١٠٤٥] **أحدها**: أنَّ حَيًّا مِنْ بَني كِنانَةَ يُقال لهم: بَنُو لَيثٍ كانوا يَتحرَّجُونَ أن يأكلَ الرجلُ الطعامَ وحدَهُ، فربَّما قعدَ الرجلُ والطعامُ بين يَدَيْهِ مِنَ الصَّباحِ إلى الرَّواحِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ والضَّحَّاكُ.

والثاني: أنَّ قوماً مِنَ الأنصار كانوا لا يأكلونَ إذا نزلَ بهم ضَيفٌ إلاَّ مع ضَيفِهم، فنزلت هذه الآيةُ، ورُخِّصَ لهم أنْ يأكلوا جميعاً أو أشتَاتاً، قاله عِكرِمَةُ[٢]. **والثالث**: أنَّ المسلمين كانوا يَتحرَّجون مِنْ مُؤاكَلَةِ أهلِ الضُّرِّ خوفاً مِنْ أنْ يستَأثِرُوا عليهم، ومِنَ الاجتِماعِ على الطَّعام، لاختِلافِ الناس في مآكِلِهم وزيادةِ بعضِهم على بعضٍ، فوُسِّعَ عليهم، وقيلَ: «ليس عليكم جُناحٌ أن تأكلُوا جميعاً» أي: مُجتَمِعينَ «أو أشتاتاً» أي: مُتفرِّقينَ، قاله ابنُ قُتَيبة.

[١٠٤٤] ذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٨٠٧ وقال: أخرجه الثعلبي في «تفسيره» عن ابن عباس، ولم أقف على إسناده، وتفرّد الثعلبي به دليل وهنه.

[١٠٤٥] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٦٢٣٧ عن قتادة مرسلاً و ٢٦٢٣٥ عن الضحاك مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. ولا يصح في سبب نزول هذه الآية خبراً، وإنما ذكرت على سبيل الإرشاد والإباحة. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٤٢٥ بتخريجنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٥٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين، أن يأكلوا جميعاً معاً إذا شاءوا، أو أشتاتاً متفرقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير وبسبب غير ذلك، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه. والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٢٦٢٣٨ عن عكرمة مرسلاً، فهو ضعيف.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها بيوتُ أنفسِكم، فسلِّموا على أهالِيكم وعِيالِكُم، قاله جابرُ بنُ عبدِ الله، وطَاوسٌ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنها المساجدُ، فسلِّموا على مَنْ فيها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: بيوتُ الغَيْرِ، فالمعنى: إذا دَخلتُم بيوتَ غيرِكُم فسلِّموا عليهم، قاله الحسنُ. قوله تعالى: ﴿تَحِيَّةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: هي منصوبةٌ على المَصدرِ، لأنَّ قولَه: ﴿فَسَلِّمُوا﴾ بمعنى: فحيُّوا ولْيُحيِّ بعضُكُم بعضاً تحيَّةً، ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: ﴿مُبَارَكَةً﴾ بالأجرِ، ﴿طَيِّبَةً﴾ أي: حَسَنةً.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ يعني: مع رسولِ الله ﷺ ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أي: على أمرِ طاعةٍ يجتمعون عليها، نحو الجهادِ والجُمعَةِ والعِيْدِ ونحو ذلك ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.

[١٠٤٦] قال المُفسِّرون: كان رسولُ الله ﷺ إذا صَعِدَ المِنبَرَ يومَ الجُمعَةِ، وأراد الرجلُ أن يخرجَ مِنَ المسجدِ لِحاجَةٍ أو عُذرٍ، لم يَخرُجْ حتى يقومَ بحِيالِ رسولِ الله ﷺ حيثُ يَراهُ، فيعرف أنه إنما قامَ لِيستأذِنَ، فيأذَنُ لِمَنْ شاءَ منهم، فالأمرُ إليه في ذلك. قال مُجاهِدٌ: وإذْنُ الإمامِ يومَ الجُمعَةِ أنْ يُشيرَ بيدِه.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾ أي: لِخُروجِهم عن الجَماعةِ إنْ رأيتَ لهم عُذراً.

﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنه نَهيٌ عن التَّعرُّضِ

[١٠٤٦] ذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٣١ نقلاً عن المفسرين، ولم أقف على إسناده فهو مما لا أصل له، والمراد في ذلك الجهاد، ويدخل في ذلك كل أمر جامع، لكن سياق الآيات وسباقها يشير إلى الجهاد.
وانظر تفسير الطبري ٢٦٢٥٧ و ٢٦٢٥٨ و ٢٦٢٥٩.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٥٨: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض. ﴿تحية﴾ بمعنى: تحيون أنفسكم تحيةً من عند الله السلام تحية، فكأنه قال: فليحيي بعضكم بعضاً تحية من عند الله.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٦٠: وأولى التأولين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس، وذلك أن الذي قبل قوله ﴿ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ نهيٌ من الله =

لإسخاطِ رسولِ الله ﷺ، فإنه إذا دَعَا على شخصٍ فَدَعوَته مُوجِبَةٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم أُمِرُوا أنْ يقولوا: يا رسولَ اللّهِ، ونُهوا أنْ يَقولوا: يا محمَّدُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعَلقَمةُ، والأسوَدُ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه نَهيٌ لهم عن الإبطاءِ إذا أمرَهم والتَّأخُرِ إذا دَعاهم، حكاه المَاوَردِي. وقرأ الحسَنُ، وأبو رَجاءٍ، وأبو المُتوكِلِ، ومعاذٌ القارئ: «دعاء الرسول نبيِّكم» بياءٍ مُشدَّدةٍ ونونٍ قبلَ الباء.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ التَّسَلُّلُ: الخروجُ في خِفيَةٍ. واللِّوَاذُ: أنْ يستَتِرَ بشيءٍ مَخافةَ مَنْ يَراهُ. والمُراد بقوله «قد يَعْلَمُ» التَّهديدُ بالمُجازَاةِ. قال الفَرَّاءُ: كان المنافقون يَشهدون الجُمعَةَ فيَذكُرُهم رسولُ الله ﷺ ويَعِيبُهم بالآياتِ التي أُنزلَت فيهم، فإنْ خَفِيَ لأَحدِهم القيامُ قامَ، فذلك قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي: يَلُوذُ هذا بهذا، أي: يَستَتِرُ ذَا بِذَا. وإنما يُقال: «لِوَاذاً» لأنها مصدرُ «لاوذْتُ»، ولو كان مصدراً لـ «لُذتُ» لَقُلتَ: لُذتُ لِيَاذاً، كما يُقال: قُمتُ قِياماً. وكذلك قال ثَعلَبُ: وقعَ البناءُ على لاَوَذَ مُلاوَذَةً، ولو بَنَى على لاَذَ يَلُوذُ، لَقِيلَ: لِيَاذاً. وقيلَ: هذا كان في حَفرِ الخندَقِ، كان المنافقون يَنصَرِفون عن غيرِ أمرِ رسولِ الله ﷺ مُختفِين. قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله عزَّ وجلَّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: إلى رسولِ الله ﷺ، قاله قَتادَةُ. وفي «عن» قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ، قاله الأخفَشُ. **والثاني**: أنَّ معنى «يُخالِفون»: يُعرِضُونَ عن أمرِهِ. وفي الفِتنَةِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الضَّلالَةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بلاءٌ في الدُّنيا، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: كُفرٌ، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: القَتلُ في الدنيا. **والثاني**: عذابُ جهنَّمَ في الآخِرَة. قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: ما في أنفُسِكم، وما تَنطَوِي عليه ضَمائِرُكم مِنَ الإيمانِ والنِّفاقِ؛ وهذا تنبيهٌ على الجَزاءِ على ذلك. واللّهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

= المؤمنين. أن يأتوا من الانصراف عنه، في الأمر الذي يجمع جمعهم، ما يكرهه، والذي بعده وعيد للمنصرفين بغير إذنه عنه، فالذي بينهما بأن يكون تحذيراً لهم سخطه، أن يضطره إلى الدعاء عليهم، أشبه من أن يكون أمراً لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء.

سُورَةُ الفُرْقَان

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

قال ابنُ عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ في آخرين: هي مكِّيَّةٌ[١]. وحُكي عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أنهما قالا: إلاَّ ثلاثَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأعراف[٣]، والفُرقان: القرآن، سُمِّيَ فُرْقاناً، لأنه فُرِّقَ به بين الحقِّ والباطلِ. والمراد بعَبْدِه: محمَّدٌ ﷺ، ﴿لِيَكُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه كِنايةٌ عن عَبدِه، قاله الجمهور. **والثاني**: عن القرآن، حكاه الماوَرْدي.

قوله تعالى: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني الجنَّ والإنسَ ﴿نَذِيرًا﴾ أي: مُخَوِّفاً مِنْ عذاب الله.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٣/ ٥: سورة الفرقان مكية كلها في قول الجمهور. ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظم القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة، والرد على مقالاتهم وجهالاتهم.

(٢) الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠.

(٣) الأعراف: ٥٤. قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٨٣: يقول الله تعالى حامداً نفسه الكريمة على ما نزّله على رسوله الكريم من القرآن العظيم، كما قال تعالى ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً**﴾ وقال هاهنا: ﴿**تبارك**﴾ وهو تفاعل من البركة المستقرة الدائمة الثابتة ﴿**الذي نزل الفرقان**﴾ فعل من التكرر والتكثر كما قال: ﴿**والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل**﴾ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل منجماً مفصلاً آيات بعد آيات، وأحكاماً بعد أحكام، وسوراً بعد سور. وهذا أبلغ وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة: ﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾ ولذلك سمّاه هاهنا الفرقان، لأنه يفرق بين الحق والباطل. والحلال والحرام، والهدى والضلال، والغي والرشاد.

قوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: سَوَّاه وهيَّأه لِمَا يَصلح له، فلا خَللَ فيه ولا تفاوتَ. **والثاني**: قَدَّر له ما يُصلِحه ويُقيمه. **والثالث**: قَدَّر له تقديراً مِنَ الأَجَلِ والرِّزق.

ثم ذَكرَ ما صنعهُ المشركون، فقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ﴾ يعني: الأصنام ﴿لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا﴾ أي: دَفع ضرٍّ، ولا جرَّ نفع، لأنها جمادٌ لا قُدرة لها ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا﴾ أي: لا تملكُ أنْ تُميتَ أحداً، ولا أنْ تُحييَ أحداً، ولا أنْ تبعثَ أحداً مِنَ الأموات؛ والمعنى: كيف يَعبُدون ما هذه صِفتُه، ويتركون عبادةَ مَنْ يَقدر على ذلك كُلِّه؟!

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: مُشركي قُريشٍ؛ وقال مُقاتِلٌ: وهو قولُ النَّضرِ بنِ الحارثِ مِنْ بني عبدِ الدَّارِ ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا، يَعنُونَ القرآن ﴿إِلَّآ إِفۡكٌ﴾ أي: كَذِبٌ ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ أي: اختلقَهُ مِنْ تِلقاءِ نفسه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ قال مُجاهِدٌ: يَعنُونَ اليهود؛ وقال مُقاتِلٌ: أشاروا إلى عدَّاسٍ مولى حُويطِبٍ، ويَسارٍ غلام عامِرِ بنِ الحَضرَمي، وجبرٍ مَولًى لعامرٍ أيضاً، وكان الثلاثةُ مِنْ أهلِ الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾. قال الزَّجَّاج: المعنى فقد جاؤوا بظُلم وزُورٍ فلمَّا سَقطتِ الباءُ، أفضَى الفعل فنُصبَ، والزُّورُ: الكَذِبُ. ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين، وقد بيَّنَّا ذلك في (الأنعام)(١). قال المُفسِّرون: والذي قال هذا هو النَّضرُ بنُ الحارثِ. ومعنى ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أمرَ أنْ تُكْتَبَ له. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، وطَلحةُ بنُ مُصرِّفٍ: «اكْتُتِبَها» برفعِ التاء الأُولى وكسرِ الثانية، والابتداءُ على قراءتِهم برفع الهمزة، ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي: تُقرأ عليه ليحفظَها لا ليكتبُها، لأنه لم يكن كاتباً، ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ أي: غُدوَة وعَشِيّاً. ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿أَنزَلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أي: لا يخفى عليه شيءٌ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني المشركين ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الطُّرُق كما يمشي سائرُ الناس يطلب المعيشَةَ؛ والمعنى: أنه ليس بملَكٍ ولا مَلِكٍ، لأنَّ الملائكةَ لا تأكلُ، والملوكُ لا تَتبذَّلُ في الأسواقِ، فعَجِبُوا أنْ يكون مُساوياً للبشرِ لا يتميَّز عليهم بشيءٍ؛ وإنما جعله اللهُ بَشراً ليكون مُجانِساً للذين أُرسِلَ إليهم، ولم يجعله مَلَكاً يمتنعُ

---

(١) الأنعام: ٢٥.

مِنَ المَشي في الأسواق، لأنَّ ذلك مِنْ فعلِ الجَبابرَةِ، ولأنه أُمِرَ بدُعائِهم، فاحتاجَ أنْ يمشيَ بينهم. قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وذلك أنهم قالوا له: سَلْ ربَّكَ أنْ يبعثَ معكَ مَلَكاً يُصدِّقك ويجعلُ لكَ جِناناً وقُصوراً وكُنوزاً؛ فذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ أي: ينزِّلُ إليه كَنزٌ مِنَ السماء ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: بُستانٌ يأكل مِنْ ثِمارِه. قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافع، وأبو عمرٍو، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «يأكل منها» بالياء، يَعنُون النبيَّ ﷺ. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ: «نأكل» بالنون، قال أبو عليّ: المعنى: يكون له علينا مَزيَّةٌ في الفَضلِ بأكلِنا مِنْ جنَّتِه. وباقي الآيةِ مُفسَّرٌ في (بَني إسرائيلَ)[١].

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمَّدُ ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ حين مَثَّلوكَ بالمَسحورِ، وبالكاهِنِ والمجنونِ والشاعرِ ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بهذا عن الهُدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يستطيعون مَخرجاً مِنَ الأمثال التي ضَرَبُوها، قاله مُجاهِدٌ، والمعنى أنهم كَذَّبُوا ولم يجدوا على قولِهم حُجَّةً وبُرهاناً. وقال الفَرَّاءُ: لا يستطيعون في أمرِكَ حِيلَةً.

والثاني: سبيلاً إلى الطاعة، قاله السُّدِّيُّ.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

ثم أخبرَ أنه لو شاء لأعطاهُ خيراً مما قالوا في الدنيا، وهو قوله: ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعني: لو شِئتُ لأعطيتُكَ في الدنيا خيراً ممَّا قالوا، لأنه قد شاءَ أنْ يُعطيَهُ ذلك في الآخرة. ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ويجعلُ لَكَ قصوراً» برفعِ اللام. وقرأ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «ويجعلْ» بجزمِ اللام. فمَنْ قرأ بالجزم، كان المعنى: إنْ يشأ يجعلْ لكَ جنَّاتٍ ويَجعلْ لكَ قُصوراً. ومَنْ رفعَ، فعَلَى الاستئنافِ المعنى: وسيجعلُ لكَ قُصوراً في الآخرة. وقد سبق معنى «اعتَدْنا»[٢] ومعنى «السَّعير»[٣].

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ قال السُّدِّيُّ عن أشياخه: مِنْ مَسيرةِ مائةِ عام.

فإنْ قيلَ: السَّعيرُ مُذكَّرٌ، فكيف قال: «إذا رأَتْهم»؟ فالجواب: أنه أراد بالسَّعيرِ النارَ.

قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: غَليانُ تَغَيُّظٍ، قاله الزَّجَّاجُ. قال المُفسِّرون: والمعنى أنها تَتغيَّظُ عليهم فيسمعونَ صوتَ تغيُّظِها وزَفيرِها كالغَضبانِ إذا غَلاَ صدرهُ مِنَ الغَيظِ. **والثاني**: يسمعون فيها تَغيُّظَ المُعذَّبين وزَفيرَهم، حكاه ابنُ قُتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ قال المُفسِّرون: تُضيَّق عليهم كما يُضيَّق الزُّجُّ على الرُّمح، وهُمْ قد قُرِنُوا مع الشياطين. والثُّبورُ: الهَلَكَة. وقرأ عاصِمُ الجَحدَريُّ، وابنُ السَّمَيفَع: «ثَبوراً» بفتحِ الثاء.

---

(١) الإسراء: ٤٧. (٢) النساء: ٣٧. (٣) النساء: ١٠.

قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الثُّبورُ مصدرٌ، فهو للقليل والكثير على لفظِ الواحدِ، كما تقول: ضَربتُه ضَرباً كثيراً، والمعنى: هَلاكُكُم أكثرُ مِنْ أنْ تَدعوا مرَّةً واحدةً.

[١٠٤٧] وروى أنسُ بنُ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أول مَنْ يُكسَى مِنْ أهلِ النارِ يومَ القيامة إبليسُ، يُكسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ فيَضعها على حاجِبَيْهِ ويَسحَبُها مِنْ خلفِه وذُرِّيَّته خَلفَهُ وهو يقول: وَاثُبُوراه، وهم يُنادونَ: يا ثُبورَهم، حتى يَقِفُوا على النارِ، فيُنادي: يا ثُبوراه، ويُنادُونَ: يا ثُبورَهم، فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾».

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ يعني: السَّعير ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ وهذا تنبيهٌ على تَفاوتِ ما بين المَنزِلَتَينِ، لا على أنَّ في السَّعيرِ خيراً. وقال الزَّجَّاجُ: قد وقعَ التَّساوي بين الجنَّةِ والنارِ في أنهما مَنزِلان، فلذلك وَقعَ التَّفضيلُ بينهما. قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾ أي: ثواباً ﴿وَمَصِيرًا﴾ أي: مَرْجِعاً. قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ المُشارُ إليه، إمَّا الدُّخولُ، وإمَّا الخُلودُ ﴿وَعْدًا﴾ وَعدَهُم اللهُ إيَّاهُ على ألسِنَةِ الرُّسلِ. وفي معنى «مَسؤولاً» قولان: **أحدهما**: مطلوباً. وفي الطَّالبِ له قولان. **أحدهما**: أنهم المؤمنون، سألوا اللهَ في الدنيا إنجازَ ما وَعدَهُم به. **والثاني**: أنَّ الملائكةَ سألَتْهُ ذلك لهم، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾(١). **والثاني**: أن معنى المَسؤولِ: الوَاجِبُ.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «يحشرهم» «فيقول» بالياء

[١٠٤٧] ضعيف. أخرجه أحمد ٣/ ١٥٢ ـ ١٥٤ ـ ٢٤٩ وابن أبي شيبة ١٣/ ١٦٨ والبزار ٣٤٩٥ «كشف» والطبري ٢٦٢٩٤ والخطيب ١١/ ٢٥٣ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٣٦ وأبو نعيم ٦/ ٢٥٦ من حديث أنس، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد وقد تفرّد به. وصححه السيوطي في «الدر» ٥/ ١١٧ فلم يصب. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٦١١: رجاله رجال الصحيح غير علي بن زيد، وقد وثق. وفيما قاله نظر إذ كان عليه أن يضعف علي بن زيد حيث ضعفه الجمهور، وهو الذي استقر عليه ابن حجر في «التقريب» حيث قال: ضعيف. وعبارة الهيثمي توهم أنه لم يضعف، وقد وثقه بعضهم.

---

(١) غافر: ٨.

فيهما. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرو، وحمزةُ، والكِسائيُ، وأبو بكرٍ عن عاصم: «نحشرهم» بالنون «فيقول» بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ: «نحشرهم» «فنقول» بالنون فيهما جميعاً؛ ويعني: المشركين، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ قال مُجاهِدٌ: يعني عيسى وعُزيراً والملائكةَ. وقال عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ: يعني الأصنام، فيأذَنُ اللهُ للأصنام في الكلام، ويُخاطِبُها: ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى﴾ أي: أَمَرتُموهم بعبادَتِكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: أخطأوا الطَّريقَ. ﴿قَالُوا۟﴾ يعني الأصنام ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ نزَّهوا اللهَ تعالى أنْ يُعْبَدَ غيرُه ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ نُوالِيهم؛ والمعنى: ما كان ينبغي لنا أنْ نَعبدَ نحنُ غيرَك، فكيف ندعو إلى عبادَتِنا؟! فدَلَّ هذا الجوابُ على أنهم لم يَأمُروا بعبادَتِهم. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وابنُ جُبَيرٍ، والحسَنُ، وقتادَةُ، وأبو جعفرَ، وابنُ يَعمُرَ، وعاصمٌ الجَحْدَري: «أن نُتَّخَذ» برفعِ النون وفتحِ الخاء. ثم ذكروا سببَ تركِهم للإيمان، فقالوا: ﴿وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ أي: أطَلْتَ لهم العُمرَ وأوسعتَ لهم الرِّزقَ ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: تَرَكوا الإيمانَ بالقرآن والاتِّعاظَ به ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: هَلْكى. وقال في روايةٍ أخرى، البُورُ: في لغةِ أزْدِ عُمانَ: الفاسِدُ. قال ابنُ قُتيبةَ: هو مِنْ بارَ يَبُور: إذا هَلَكَ وبطَلَ، يُقال: بَارَ الطعامُ: إذا كَسَدَ، وبَارَت الأَيِّمُ: إذا لم يُرغَبْ فيها.

[١٠٤٨] وكان رسولُ الله ﷺ يتعوَّذُ مِنْ بَوَارِ الأيِّم.

قال: وقال أبو عُبيدَةَ: يُقال رجلٌ بُورٌ وقومٌ بُورٌ، لا يُجمَع ولا يُثنَّى، واحتجَّ بقول الشاعر:

يـا رَسُـولَ الـمَـلِـيـكِ إنَّ لِـسَـانـي   رَاتِـقٌ مَـا فَـتَـقْـتُ إذْ أنَـا بُـورُ(١)

قال: وقد سمعنا بـ «رجلٌ بائِرٌ»، ورأيناهم ربَّما جمعوا «فاعلاً» على «فُعْل»، نحو عائذٍ وعُوذٍ، وشَارِفٍ وشُرْفٍ. قال المُفسِّرون: فيُقال للكفَّار حِينَئِذٍ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أي: فقد كذَّبكم المَعبودُونَ في قولكم: إنهم آلهةٌ. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، ومعاذٌ القارئُ، وابنُ شَنْبُوذَ عن قُنْبُل: «بما يقولون» بالياء؛ والمعنى: كذَّبوكُم بقولهم: ﴿سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ الآية؛ هذا قولُ الأكثرين. وقال ابنُ زيدٍ: الخطابُ للمؤمنين؛ فالمعنى: فقد كذَّبكُم المشركون بما تقولون: إنَّ محمَّداً رسولُ الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرأ الأكثرون بالياء. وفيه وَجهان: **أحدهما**: فما يستطيع المَعبودُون صَرفاً للعذاب عنكم ولا نَصراً لكم. **والثاني**: فما يستطيع الكفَّارُ صَرفاً لعذابِ الله عنهم ولا نَصراً لأنفسِهم. وقرأ حَفصٌ عن عاصمٍ: «تستطيعون» بالتاء؛ والخِطابُ للكفَّارِ. وحكى ابنُ قُتيبةَ عن يُونس البَصري أنه قال: الصَّرْفُ: الحِيلَةُ مِنْ قولهم: إنه لَيَتصرَّفُ. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أي: بالشِّركِ ﴿نُذِقْهُ﴾ في الآخرة. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، والضَّحَّاكُ، وأبو الجَوزاءِ وقَتادَةُ: «يذقه» بالياء ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: شديداً. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال الزَّجاج: في الآية مَحذوفٌ، تقديره: وما أرسَلنا قَبلَكَ رُسُلاً مِنَ المُرسَلين، فحُذِفَتْ رسلاً لأنَّ قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يدلُّ عليها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ أي: إنهم كانوا على مِثْلِ حالِكَ،

[١٠٤٨] لا أصل له في المرفوع، وإنما هو من كلام بعض السلف. وانظر «تفسير القرطبي» ١٣/١٤.

(١) البيت لعبد الله بن الزبعرى السهمي كما في «اللسان» ـ بور ـ و «مجاز القرآن»: ٢/٧٣.

فكيف تكون بذعاً منهم؟! فإنْ قيلَ: لِمَ كُسِرَتْ «إنّهم» هاهنا، وفُتِحتْ في براءة في قوله تعالى: ﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾[1] فقد بيَّنَّا عِلَّةَ فَتْحِ تلك؛ فأمَّا كَسرُ هذه فذكَرَ ابنُ الأنباري فيه وَجهين: **أحدهما**: أنْ تكونَ فيها واوٌ للحالِ مُضمَرةٌ، فكُسِرَتْ بعدَها «إنّ» للاستئناف، فيكون التقدير: إلاَّ وإنَّهم لَيأكلونَ الطعامَ، فأُضمِرَتِ الواوُ هاهنا كما أُضمِرتْ في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[2]، والتأويلُ، أو وَهُمْ قائلون. **والثاني**: أنْ تكونَ كُسِرَتْ لإِضْمارِ «مَنْ» قبلَها، فيكون التقدير: وما أرسلْنا قبلكَ مِنَ المُرسَلين إلاَّ مَنْ إنهم لَيأكلون، قال الشاعر:

فَـظَـلُّـوا ومِـنْـهُـمْ دَمْـعُـه سَـابِـقٌ لـه وآخَرُ يَثْنِي دَمْعَةَ العَيْنِ بالمَهْلِ[3]

أردا: مَنْ دمعُه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ الفِتنَةُ: الابتِلاءُ والاختِبارُ. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه افتِتَانُ الفقير بالغني، يقول: لو شاءَ لَجعلني غنياً، والأعمَى بالبَصير، والسَّقيم بالصَّحيح، قاله الحَسنُ. **والثاني**: ابتلاءُ الشَّريفِ بالوَضِيع، والعَربيّ بالمَولَى، فإذا أراد الشَّريفُ أنْ يُسْلِمَ فرأَى الوَضِيعَ قد سَبقَهُ بالإسلام أَنِفَ فأقامَ على كُفرِه، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أنَّ المُستَهزئينَ مِنْ قُريشٍ كانوا إذا رَأَوا فقراءَ المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباعِ محمَّدٍ مِنْ مَوالينا ورُذالَتِنا، قاله مُقاتِلٌ. فعَلَى الأول: يكون الخِطابُ بقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ لأهلِ البَلاءِ. وعلى الثاني: للرُّؤساءِ، فيكون المعنى: أَتصبرُونَ على سَبْقِ المَوالي والأتباع. وعلى الثالث: للفقراء؛ والمعنى: أَتصبرُونَ على أذى الكفار واستِهزائِهم، فالمعنى: قد عَلِمتُم ما وُعِدَ الصَّابرون، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمَنْ يَصبرُ وبمَنْ يَجزَعُ.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي: لا يخافون البعثَ ﴿لَوْلَآ﴾ أي: هلاَّ ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكانوا رُسُلاً إلينا وأخبَرُونا بصِدقِكَ، ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيُخبرَنا أنَّكَ رَسُوله، ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تكبَّروا حينَ سألوا هذه الآياتِ ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: العُتُوُّ في اللغة: مُجاوَزةُ القَدْرِ في الظُّلم. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عند الموت. **والثاني**: يوم القيامة. قال الزَّجَّاجُ: وانتَصبَ اليومُ على معنى: لا بُشرى للمجرمين يومَ يَرونَ الملائكةَ، و «يَوْمَئِذٍ» مؤكِّدٌ لـ «يومَ يَرَوْنَ الملائكةَ»؛ والمعنى أنهم يُمنَعون البُشرى في ذلك اليوم؛ ويجوز أنْ يكونَ «يومَ» منصوباً على معنى: اذكُرْ يومَ يَرونَ الملائكةَ، ثم أخبرَ فقال: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ والمجرمون هاهنا: الكفَّارُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وقرأ قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، ومعاذٌ القارئُ: «حُجْراً» بضمِّ الحاء. قال الزَّجَّاجُ: وأصلُ الحجر في اللغة: ما حَجرتَ عليه، أي: مَنعتَ مِنَ أن يُوصَلَ إليه، ومنه حَجْرُ

---

(١) التوبة: ٥٤. (٢) الأعراف: ٤.
(٣) البيت لذي الرمّة كما في ديوانه ص ٥٧٠.

القُضاةِ على الأيتام. وفي القائلين لهذا قولان[١]: **أحدهما**: أنهم الملائكةُ يقولون للكفَّار: حِجْراً مَحجُوراً، أي: حَراماً مُحرَّماً. وفيما حرَّموه عليهم قولان: أحدهما: البُشرى، فالمعنى: حرامٌ مُحرَّمٌ أنْ تكونَ لكم البشرى، قاله الضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ. والثاني: أنْ تدخلوا الجنَّةَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه قولُ المشركين إذا عَايَنوا العذابَ، ومعناه الاستِعاذَةُ مِنَ الملائكة، رُوي عن مُجاهِدٍ أيضاً. وقال ابنُ فارسٍ: كان الرَّجلُ إذا لَقِيَ مَنْ يخافُه في الشهرِ الحَرام، قال: حِجْراً مَحجُوراً أي: حرامٌ عليكَ أذايَ، فإذا رأى المشركون الملائكةَ يومَ القيامةِ، قالوا: حِجْراً مَحجُوراً، يظنُّون أنه يَنفَعُهم كما كان يَنفعُهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ قال ابنُ قُتيبَة: أي: قَصَدْنا وعَمَدْنا، والأصل أنَّ مَنْ أراد القُدُومَ إلى موضعٍ عَمَدَ له وقَصدَهُ. قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي مِنْ أعمالِ الخير ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾ لأنَّ العملَ لا يُتقبَّل مع الشِّركِ. وفي الهَبَاءِ خمسةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنه ما رأيتَهُ يَتطايرُ في الشمس التي تدخلُ في الكُوَّةِ مثل الغُبارِ، قاله عليٌّ رضي الله عنه، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، واللغويون؛ والمعنى أنَّ الله أحبطَ أعمالَهم حتى صارت بمنزلة الهَباءِ. **والثاني**: أنه الماء المُهرَاقُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه ما تَنسِفُهُ الرِّياحُ وتَذرِيه مِنَ الترابِ وحُطَام الشجر، رواه عطاءٌ الخُراسانيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه الشَّرَرُ الذي يطير مِنَ النار إذا أُضرِمَتْ، فإذا وَقعَ لم يكُنْ شيئاً، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنه ما يَسطَعُ مِنْ حَوافِرِ الدَّوابِ، قاله مُقاتِلٌ. والمَنثُورُ: المُتفرِّقُ.

قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أفضلُ مَنزلاً مِنَ المشركين ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: المَقِيلُ: المُقامُ وقتَ القائلَةِ، وهو النَّومُ نِصفَ النهار. وقال الأزهَريُّ: القَيلُولَةُ عند العرب: الاستِراحَةُ نِصفَ النهار إذا اشتَدَّ الحَرُّ وإنْ لم يكُنْ مع ذلك نَومٌ. وقال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ: لا يَنتَصِفُ النهارُ مِنْ يومِ القيامة حتى يَقِيلَ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ وأهلُ النارِ في النارِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٧٨: يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا ﴿**لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا**﴾ بتصديق محمد الملائكة، فلا بشرى لهم بخير ﴿**ويقولون حجراً محجوراً**﴾ يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجراً محجوراً، حراماً محرّماً عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله. وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك لأن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشرى عليهم حرام. ووافقه ابن كثير رحمه الله ٣/ ٣٩٠.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩١: وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية، وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها شيء، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، إذ إنها لا شيء بالكلية. وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق، الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية، كما قال تعالى: ﴿**مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصفٍ لا يقدرون مما كسبوا على شيءٍ ذلك هو الضلال البعيد**﴾. وقال تعالى: ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**﴾ وهذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشرّ فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل. فأعمال الكفار لا تخلو من واحدٍ من هذين، وقد تجمعهما معاً، فتكون أبعد من القبول حينئذٍ.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ هذا معطوفٌ على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾، وقرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تَشَّقَّقُ» بالتشديد، فأدغمُوا التاءَ في الشين، لأنَّ الأصلَ: تَتَشقَّقُ. قال الفرّاءُ: المعنى: تَتشقَّقُ السماءُ عنِ الغَمَام، وتَنزِلُ فيه الملائكةُ، و «على» و «عن» و «الباء» في هذا الموضع بمعنًى واحدٍ، لأنَّ العرب تقول: رَميتُ عن القَوسِ، وبالقَوسِ، وعلى القَوسِ، والمعنى واحدٌ. وقال أبو عليٍّ الفارسِي: المعنى: تَتشقَّقُ السماءُ وعليها غَمامٌ، كما تقول: رَكِبَ الأميرُ بسلاحِه، وخرجَ بثيَابِه، وإنما تَتشقَّق السماءُ لِنزُولِ الملائكة. قال ابنُ عباسٍ: تَتشقّقُ السماءُ عن الغَمام، وهو الغَيْمُ الأبيضُ، وتنزلُ الملائكةُ في الغَمام. وقال مُقاتِلٌ: المراد بالسماء: السَّموات، تَتشقَّقُ عن الغَمام، وهو غَمامٌ أبيضُ كهيئَةِ الضَّباب، فتنزلُ الملائكةُ عند انشِقاقِها. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ونُنْزِلُ» بنونين، الأُولى مَضمُومَةٌ، والثانية ساكنةٌ، واللامَ مضمومةٌ، و «الملائكة» نصباً. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، وأبو عِمرَانَ الجَوْني: «ونَزَّلَ» بنونٍ واحدةٍ مفتوحةٍ ونصبِ الزاي وتشديدِها وفتح اللام ونصبِ «الملائكةَ». وقرأ ابنُ يَعْمَرَ: «ونَزَلَ» بفتح النون واللام والزاي والتخفيفِ «الملائكةُ» بالرفع. قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: المُلْكُ الذي هو المُلْكُ حقّاً للرَّحمن[1]. فأمَّا العَسِيرُ، فهو الصَّعبُ الشديدُ يشتدُّ على الكفار، ويَهونُ على المؤمنين فيكون كمِقدَارِ صلاةٍ مكتُوبَةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ في سبب نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٠٤٩] **أحدها**: أنَّ أُبيَّ بنَ خَلَفٍ كان يحضرُ عند رسولَ الله ﷺ ويُجالِسُه مِنْ غير أنْ يؤمنَ به، فزَجرهُ عُقبةُ بنُ أبي مُعَيطٍ عن ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عطاءُ الخُراسَاني عن ابنِ عباسٍ.

[١٠٥٠] **والثاني**: أنَّ عُقبةَ دَعَا قوماً فيهم رسولُ الله ﷺ لطعام فأكَلوا، وأَبَى رسولُ الله ﷺ أنْ يأكلَ، وقال: «لا آكلُ حتى تَشهَدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنّي رسولُ اللهِ»، فشَهِدَ بذلك عُقبَةُ، فبلغَ ذلك

[١٠٤٩] أخرجه الطبري ٢٦٣٤٧، وإسناده ضعيف جداً، فيه عنعنة ابن جريج، وهو مدلس، وفيه إرسال بين عطاء الخراساني وابن عباس.

[١٠٥٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٦٣٥١ عن مجاهد به. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ٤٠١ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره، والكلبي كذاب متهم، وأبو صالح ضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٥٧ م و «الوسيط» ٣/ ٣٣٩ بدون إسناد.

الخلاصة: الخبر واهٍ، وتخصيص الآية بواحد من بدع التأويل، بل «ال» في الظالم لاستغراق الجنس، فالآية تعم كل ظالم كافر، وعقبة داخل في العموم ومثله أبي بن خلف وغيرهما.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩٣: وقوله ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ كما قال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾ وفي الصحيح: «أن الله يطوي السموات بيمينه ويأخذ الأرضين بيده ثم يقول: أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

أُبيَّ بنَ خَلَفٍ، وكان خليلاً له، فقال: صَبوتَ يا عُقبَةُ؟ فقال: لا واللهِ، ولكنه أبى أنْ يأكلَ حتى قلتُ ذلك، وليس مِنْ نفسي، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ.

[١٠٥١] **والثالث**: أنَّ عُقبةَ كان خليلاً لأُميَّةَ بنِ خَلَفٍ، فأسلَمَ عُقبَةُ، فقال أميَّةُ: وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حرامٌ إنْ تابعتَ محمَّداً، فكفرَ وارتدَّ لرِضى أُميَّةَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الشَّعبيُّ.

فأمَّا الظالمُ المذكورُ هاهنا، فهو الكافرُ، وفيه قولان:

أحدهما: أنه أُبيُّ بنُ خَلَفٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: عُقبَةُ بنُ أبي مُعَيطٍ، قاله مُجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ. وقال عطاءٌ: يأكلُ يَدَيْهِ حتى تذهبا إلى المِرفقين، ثم تَنبُتان، فلا يزالُ هكذا كلَّما نَبَتَتْ يَدُهُ أكلَهَا ندامةً على ما فَعلَ.

قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ﴾ الأكثرون يُسَكِّنون «يا ليتني»، وأبو عمرٍو يُحَرِّكها، قال أبو عليٍّ: والأصلُ التَّحريكُ، لأنها بإزاءِ الكافِ التي للخطَابِ، إلاَّ أنَّ حرفَ اللِّينِ تُكرَهُ فيه الحَركةُ، ولذلك أسكَنَ مَنْ أسكَنَ؛ والمعنى: لَيتني اتَّبَعته فاتَّخذتُ معه طريقاً إلى الهُدى.

قوله تعالى: ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ في المُشارِ إليه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عَنى أُبيَّ بنَ خَلَفٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عُقبَةُ بنُ أبي مُعَيطٍ، قاله أبو مالكٍ. **والثالث**: الشيطان، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أُميَّة بنُ خَلَفٍ، قاله السُّدِّيُّ. فإنْ قيلَ: إنما يُكَنِّي مَنْ يخاف المُباداَةَ أو يحتاجُ إلى المُداجاةِ، فما وَجْهُ الكِنايةِ؟ فالجواب: أنه أراد بالظالم: كلَّ ظالم، وأراد بفُلانٍ: كلَّ مَنْ أُطِيعَ في معصية الله وأُرضِيَ بسَخَطِ الله، وإنْ كانت الآيةُ نزلت في شخصٍ، قاله ابنُ قُتَيبة.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ أي: صَرفني عن القرآنِ والإيمانِ به ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾ مع الرسول، وهاهنا تَمَّ الكلامُ. ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ﴾ يعني: الكافر ﴿خَذُولٗا﴾ يَتبرَّأُ منه في الآخرة.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ يعني محمَّداً ﷺ، وهذا عندَ كثيرٍ مِنَ العلماء أنه يقوله يومَ القيامة؛ فالمعنى: ويقولُ الرَّسولُ يَومَئذٍ. وذهبَ آخرون، منهم مُقاتِلٌ، إلى أنَّ الرَّسولَ قال ذلك شاكِياً مِنْ قومه إلى الله تعالى حين كذَّبوه(١). وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «إن قوميَ اتخذوا» بتحريكِ الياء؛ وأسكَنَها عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ.

[١٠٥١] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٦٣٤٨ عن الشعبي هكذا مرسلاً.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩٤: يقول الله تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ دائماً إلى يوم الدين ـ أنه قال: ﴿**يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾. وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يسمعونه، وكانوا إذا تلي عليهم أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه. فهذا من هجرانه، وترك علمه وحفظه أيضاً من هجرانه وترك تفهمه وتدبره من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، =

وفي المراد بقوله: ﴿مَهْجُورًا﴾ قولان: **أحدهما**: متروكاً لا يَلتفتونَ إليه ولا يُؤمنون به، وهذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ، ومُقاتِلٍ. **والثاني**: هَجَروا فيه، أي: جعلُوه كالهَذَيان، ومنه يقال: فلانٌ يَهْجُر في منامه، أي: يَهْذِي، قاله ابنُ قُتيبة. وقال الزَّجَّاجُ: الهُجْرُ: ما لا يُنتفَعُ به مِنَ القول: قال المُفسِّرون: فعَزَّاهُ الله عزَّ وجلَّ، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لكَ أعداءً مِن مُشركي قومِكَ، جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوّاً مِن كفَّارِ قومه؛ والمعنى: لا يَكْبُرَنَّ هذا عليكَ، فلَكَ بالأنبياء أُسوةٌ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لكَ ﴿وَنَصِيرًا﴾ يمنعكَ مِنْ عدوِّكَ. قال الزَّجَّاجُ: والباءُ في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدةٌ؛ فالمعنى: كَفَى ربُّكَ هادياً ونصيراً.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ أي: كما أُنزلَتِ التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أنزلناهُ كذلك مُتفرِّقاً، لأنَّ معنى ما قالوا: لِمَ نُزِّلَ عليه مُتفرِّقاً؟ فقيلَ: إنما أنزلناهُ كذلك ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: لِنُقوِّي به قلبَكَ فتزدادَ بصيرةً، وذلك أنه كان يأتيه الوَحيُ في كلِّ أمرٍ وحادثةٍ، فكان أقوى لقلبه وأنورَ لبصيرَتِه وأبعدَ لاستيحَاشِه، ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أنزلناه على التَّرتيلِ، وهو التَّمكُّثُ الذي يُضادُّ العَجَلةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يعني المشركين ﴿بِمَثَلٍ﴾ يضربونه لكَ في مُخاصَمَتِكَ وإبطالِ أمرِكَ ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالذي هو الحقُّ لِنَرُدَّ به كيدَهُم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ مِنْ مَثَلِهم؛ والتفسيرُ: البيانُ والكَشفُ. قال مُقاتِلٌ: ثم أخبرَ بمُستقرِّهم في الآخرة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: إنَّ محمَّداً وأصحابه شَرُّ خَلْقِ الله، فنزلت هذه الآيةُ. قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: مَنزِلاً ومَصِيراً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ديناً وطَريقاً مِنَ المؤمنين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾. إنْ قيلَ: إنما عَايَنُوا الآيات بعد وجود الرسالة، فكيف يقعُ التَّكذيبُ منهم قبلَ وجودِ الآياتِ؟ فالجواب: أنهم كانوا مُكذِّبين أنبياءَ الله وكُتُبَه

= وترك العمل به من امتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره، من هجرانه. فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهّاب.

المُتقدِّمة، ومَنْ كذَّبَ نبيّاً فقد كذَّبَ سائرَ الأنبياء، ولهذا قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾، وقال الزَّجّاجُ: يجوز أنْ يكونَ المرادَ به نوحٌ وحدَه، وقد ذُكِرَ بلفظِ الجنس، كما يُقال: فلانٌ يركبُ الدَّوابَّ، وإنْ لم يَرْكَبْ إلاَّ دابَّةً واحدةً؛ وقد شرحنا هذا في سُورةِ هُودٍ عند قوله: ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾[1]. وقد سبق معنى التَّدمير.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ في الرَّسِّ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بِئرٌ كانت تسمَّى الرَّسَّ، قاله ابنُ عباسٍ في روايةِ العَوفيّ. وقال في روايةِ عِكرمَةَ: هي بِئرٌ بأذَربيجَانَ. وزعم ابنُ السَّائبِ أنها بِئرٌ دون اليَمامَةِ. وقال السُّدِّيُّ: بِئرٌ بأنطاكيَةَ. **والثاني**: أنَّ الرَّسَّ قريةٌ مِنْ قُرى اليَمامَةِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنها المَعدِنُ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ.

وفي تسمِيَتِها بالرَّسِّ قولان: **أحدهما**: أنهم رَسُّوا نبيَّهم في البِئر، قاله عِكرمَةُ. قال الزَّجّاجُ: رَسُّوهُ، أي: دَسُّوهُ فيها. **والثاني**: أنَّ كلَّ رَكِيَّةٍ لم تُطْوَ فهي رَسٌّ، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

واختلفوا في أصحابِ الرَّسِّ على خمسةَ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنهم قومٌ كانوا يَعبدون شجرةً، فبَعثَ اللهُ إليهم نبيّاً مِنْ وَلَدِ يَهُوذَا بنِ يعقوبَ، فحفروا له بِئراً وألقَوهُ فيها، فهَلَكُوا، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ. **والثاني**: أنهم قومٌ كان لهم نبيٌّ يُقال له: حَنظَلَةُ بنُ صَفوانَ، فقتَلُوا نبيَّهم فأهلَكَهُم اللهُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنهم كانوا أهلَ بئرٍ ينزلون عليها، وكانت لهم مَواشٍ، وكانوا يَعبدون الأصنامَ، فبَعثَ اللهُ إليهم شُعَيباً، فتمادَوا في طُغيانِهم، فانهَارَتِ البِئرُ، فخُسِفَ بهم وبمَنازِلِهم، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والرابع**: أنهم الذين قتلوا حَبِيباً النَّجّارَ، قتلوه في بِئرٍ لهم، وهو الذي قال: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3]، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: أنهم قومٌ قتلوا نبيَّهم وأكَلُوهُ، وأولُ مَنْ عَمِلَ السِّحرَ نِساؤهم، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَقُرُونًۢا﴾ المعنى: وأهلَكْنا قُروناً ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عَادٍ وأصحابِ الرَّسِّ. وقد سبقَ بيانُ القُرونِ[4]؛ وفي هذه القَصَصِ تهديدٌ لقُريشٍ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾ أي: أعذَرْنا إليه بالمَوعظَةِ وإقامةِ الحُجَّةِ ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا﴾ قال الزَّجّاجُ: التَّتْبِيرُ: التدمِيرُ، وكلُّ شيءٍ كَسرتَهُ وفتَّتَّه فقد تبَّرتَهُ، وكُسَارَتُه: التِّبْرُ، ومِنْ هذا قيلَ لِمكسُورِ الزُّجاجِ: التِّبْرُ، وكذلك تِبْرُ الذهب.

---

(١) هود: ٥٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩٧: واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود، الذين ذكروا في سورة البروج، والله أعلم.

(٣) يس: ٢٠.

(٤) الأنعام: ٦. قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩٧: وقوله ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ أي: وأمماً بين أصناف من ذكر أهلكناهم كثيرة، والقرن: هو الأمة من الناس، كقوله ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ وحدّه بعض المفسرين بمائة وعشرين سنة، وقيل: بمئة سنة. وقيل: بثمانين سنة، وقيل: أربعين. وقيل غير ذلك، والأظهر أن القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد، فإذا ذهبوا وخلفهم جيل فهم قرن ثان، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»... الحديث.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا
﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا
لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ
إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟﴾ يعني كفَّارَ مكةَ ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ يعني قريةَ قوم لوطٍ التي رُمِيَتْ بالحِجارةِ ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ في أسفارِهم فيعتبِروا؟! ثم أخبرَ بالذي جرَّأَهُم على التكذيب، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي: لا يخافون بَعْثاً، هذا قولُ المُفسِّرين. وقال الزَّجَّاجُ: الذي عليه أهلُ اللغة أنَّ الرَّجاءَ ليس بمعنى الخَوفِ، وإنما المعنى: بل كانوا لا يَرجُونَ ثوابَ عملِ الخيرِ، فرَكِبُوا المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: ما يَتَّخذُونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مَهزُوءاً به، ثم ذكرَ ما يقولون مِنَ الاستِهزاءِ: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾أي: لِيَصرِفَنا عن عبادةِ آلهتِنا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على عِبادَتِها؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ أي: مَنْ أخطأ طريقاً عن الهُدى، أهُمْ، أم المؤمنون. ثم عَجَّبَ نبيَّهُ مِنْ جَهلِهِم حين عَبَدُوا ما دَعاهُم إليه الهوى، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان أحدُهم يَعبُدُ الحَجَرَ، فإذا رأى ما هو أحسَنُ منه رَمَى به وعَبَدَ الآخَرَ. وقال قَتادةُ: هو الكافر لا يَهوى شيئاً إلاَّ رَكِبَهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: يتَّبِعُ هَواهُ ويَدَعُ الحقَّ، فهو له كالإلهِ. قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي: حفيظاً يحفظُه مِن اتِّباع هَواهُ. وزعم الكلبيُّ أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخةٌ بآيةِ القتال.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ؛ والمراد: يسمعون سماع طالبٍ للإفهام ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يُعاينونَ مِنَ الحُجَجِ والأعلامِ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ وفي وَجهِ تشبيهِهم بالأنعامِ قولان: **أحدهما**: أنَّ الأنعامَ تسمعُ الصوتَ ولا تَفقَهُ القولَ. **والثاني**: أنه ليس لها هَمٌّ إلاَّ المأكلُ والمَشربُ. قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأنَّ البهائمَ تهتدي لِمَراعِيها وتَنقادُ لأربابِها وتُقبِلُ على المُحسِنِ إليها، وهم على خلافِ ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ
إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا
كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا
كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى فِعْلِ ربِّكَ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: أَلَمْ تعلَمْ، فهو مِنْ رُؤيةِ القلب، ويجوز أن يكونَ مِنْ رؤيةِ العَينِ، فالمعنى: أَلَمْ ترَ إلى الظِّلِّ كيف مَدَّه ربُّكَ؟ والظِّلُّ مِنْ وقتِ طلوعِ الفَجرِ إلى وقتِ طُلوعِ الشمسِ ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتاً لا يزولُ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فالشمس دليل على الظل، فلولا الشمس ما عُرف أنه شيء، كما أنه لولا النُّورُ ما عُرفَتِ الظُّلمةُ، فكلُّ الأشياء تُعرفُ بأضدادِها. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ يعني: الظِّلَّ ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: سريعاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: خَفِيّاً، قاله مُجاهِدٌ. وفي وقتِ قَبْضِ الظِّلِّ قولان: **أحدهما**: عند طُلوعِ الشمس يُقبضُ الظِّل وتجمع أجزاؤه المنبسطة بتسليط الشمس عليه حتى تَنسخَهُ شيئاً فشيئاً. **والثاني**: عند غروبِ الشمسُ تُقبَضُ أجزاءُ الظِّلِّ بعدَ غروبها، ويُخلَفُ كلُّ جزءٍ منه جزءاً مِنَ الظلام.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: ساتِراً بظُلمَتِه، لأنَّ ظُلمتَهُ تغشى الأشخاصَ وتشتمل عليها اشتمالَ اللبَاس على لابِسِه ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: راحةً، ومنه يومُ السَّبتِ، لأنَّ الخَلْقَ اجتمع يومَ الجُمعةِ، وكان الفراغُ منه في يومِ السَّبتِ، فقيلَ لِبَني إسرائيلَ: استَرِيحوا في هذا اليوم ولا تَعمَلُوا فيه شيئاً، فسُمِّيَ يومَ السَّبتِ، أي: يومَ الرَّاحةِ، وأصلُ السَّبتِ: التَّمدُّدُ، ومَنْ تمدَّدَ استراحَ. وقال ابنُ الأنبَاري: أصلُ السَّبتِ، القَطْعُ، فالمعنى: وجعلنا النَّومَ قَطْعاً لأعمالِكُم. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تنتشرون فيه لابتغاءِ الرِّزقِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تُنشَرُ الرُّوحُ باليَقظةِ كما تُنشَرُ بالبَعثِ، حكاه المَاوردي. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قد شرحناه في الأعراف[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ يعني: المطر. قال الأزهريُّ: الطَّهُور في اللغة: الطَّاهرُ المُطهِّر. والطَّهورُ ما يُتطَهَّر به، كالوَضوءِ الذي يُتوضَّأ به، والفَطُور الذي يُفطَرُ عليه.

قوله تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزاءِ، وأبو جعفرَ: «مَيِّتاً» بالتشديد. قال الزَّجَّاجُ: لفظُ البَلدة مؤنَّثٌ، وإنَّما قيلَ: «ميتاً» لأنَّ معنى البَلدةِ والبَلَدِ سواءٌ. وقال غيرُه: إنما قال: «ميتاً»، لأنه أراد بالبَلدةِ المكانَ. وقد سبقَ معنى صِفَةِ البَلدَةِ بالموتِ. ومعنى: «ونُسْقِيَهُ»[2]. وقرأ أبو مِجلَزٍ، وأبو رَجاءٍ، والضَّحَّاكُ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «نَسْقِيَهُ» بفتح النون. فأمَّا الأناسِيُّ، فقال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ إنسِيّ، مثل كُرسيّ وكَراسِي، ويجوز أن يكونَ جمعَ إنسانٍ، وتكون الياءُ بَدَلاً مِنَ النون، الأصل: أناسِين مثل سَراحِين. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو العَالِيَةِ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ: «وأناسيَ» بتخفيف الياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ يعني المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ مرَّةً لهذه البَلدَةِ، ومرَّةً لهذه ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أي: لِيَتفكَّروا في نِعَم الله عليهم فيه فيَحمَدُوه. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لِيَذْكُروا» خفيفةَ الذال. قال أبو عليٍّ: يَذْكُر في معنى يتذكَّر، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وهم الذين يقولون: مُطِرنا بنَوْءِ كذا وكذا، كفروا بنِعمَةِ الله. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ المعنى: إنَّا بعثنَاكَ إلى جميع القُرَى لِعِظَم كرامَتِكَ، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ دَعَوهُ إلى دِينِ آبائهم، ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ **أي بالقرآن** ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: تامّاً شديداً.

(١) الأعراف: ٥٧. (٢) الحجر: ٢٤.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: خَلَّى بينهما؛ تقول: مَرجتُ الدَّابَّةَ وأَمْرَجتُها: إذا خلَّيتَها تَرعَى. ومنه الحديثُ:

[١٠٥٢] «مَرِجَتْ عُهودُهم وأماناتُهم» أي: اختلَطَتْ.

قال المُفسِّرون: والمعنى[(١)] أنه أرسلَهُما في مَجاريهما، فما يلتقيَانِ، ولا يَختَلِطُ المَلحُ بالعَذْبِ، ولا العَذبُ بالمَلح، وهو قوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ يعني: أحدَ البَحرَينِ ﴿عَذْبٌ﴾ أي: طيِّبٌ، يُقال: عَذُبَ الماءُ يَعْذُبُ عُذوبةً، فهو عَذبٌ. قال الزَّجَّاجُ: والفُراتُ صِفةٌ للعَذبِ، وهو أشدُّ الماء عُذوبةً، والأُجَاجُ صِفةٌ للمَلحِ، وهو: المُرُّ الشديدُ المَرارَةِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هو أشدُّ الماءِ مُلوحةً، وقيلَ: هو الذي

[١٠٥٢] صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٢١٢ وأبو داود ٤٣٤٣ من طريق يونس بن أبي إسحاق عن هلال بن خباب به من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وهلال بن خباب حسن الحديث إذا لم يخالف ثقة. وأخرجه أحمد ٢/ ٢٢١ وأبو داود ٤٣٤٢ وابن ماجه ٣٩٥٧ من طريق أبي حازم، حدثنا عمارة بن عمرو به. وصححه الحاكم ٤/ ٤٣٥ ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. وأخرجه أحمد ٢/ ١٦٢ من طريق إسماعيل عن يونس عن الحسن أن عبد الله بن عمرو قال: وهذا إسناد فيه كلام. ويشهد له حديث أبي هريرة الذي أخرجه الدولابي في «الكنى» ٢/ ٣٥ وصححه ابن حبان ١٨٤٩. وأخرجه البخاري ٤٧٨ من طريق حامد بن عمر عن بشر، عن عاصم عن واقد عن أبيه عن ابن عمر ـ أو ابن عمرو ـ «شبك النبي ﷺ أصابعه». وعلقه البخاري ٤٨٠. قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ «يا عبد الله بن عمرو، كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس، بهذا». وقال الحافظ في الفتح ١/ ٥٦٦ بعد أن ذكر هذا: (وقد ساقه الحميدي في الجمع بين الصحيحين نقلاً عن أبي مسعود)، وزاد هو: «قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا، وشبك بين أصابعه». وأخرجه أبو يعلى ٥٥٩٣ بتمامه: وهو عند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو قال: «بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكروا الفتنة أو ذكرت عنده»، قال: «إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قال: فقمت إليه فقلت له: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة».

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤٠٠: وقوله ﴿**وهو الذي مرج البحرين...**﴾ أي خلق الماءين: الحلو والملح. والحلو كالأنهار والعيون والآبار، وهذا هو البحر الحلو الفرات العذب الزلال، واختاره ابن جرير وهذا لا شك فيه، فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات. والله سبحانه إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس، فرّقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً وعيوناً في كل أرض، بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم. وقوله: ﴿**وهذا ملح أجاج**﴾ أي: مالح مر زعاق لا يستساغ، وذلك كالبحار المعروفة الساكنة التي لا تجري ولكن تموج وتضطرب، وتغتلم في زمن الشتاء وشدة الرياح، ومنها ما فيه مد وجزر ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض، فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت بعد الليلة الرابعة عشرة فأجرى الله تعالى ـ وله القدرة التامة ـ العادة بذلك فكل هذه البحار الساكنة مالحة الماء لئلا يحصل بسببها نتن الهواء، فيفسد الجو بذلك، ولئلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان، ولما كان ماؤها مِلحاً كان هواؤها صحيحاً وميتتها طيبة.

يُخالِطهُ مرارةٌ، ويُقال ماءٌ مِلحٌ، ولا يُقال مالحٌ، والبَرزَخُ: الحَاجِزُ. وفي هذا الحَاجِزِ قولان: **أحدهما**: أنه مانعٌ مِنْ قُدرةِ الله تعالى، قاله الأكثرون، قال الزَّجَّاجُ: فهما في مَرْأى العَينِ مختلطان، وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر. قال أبو سليمان الدمشقي: ورأيت عند عَبَّادان مِنْ سَوادِ البَصرَةِ الماء العَذبَ ينحَدِرُ في دِجلَةَ نحوَ البحرِ، ويأتي المَدُّ مِنَ البحر، فيلتقيان، فلا يختَلِطُ أحدُ الماءَينِ بالآخَرِ، يُرى ماءُ البحرِ إلى الخُضرَةِ الشديدةِ، وماءُ دِجلَةَ إلى الحمرة الخفيفة فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عَذباً لا يُخالِطُه شيءٌ، وإلى جانبه ماءُ البحرِ في مكانٍ واحد. **والثاني**: أنَّ الحاجزَ: الأرضُ واليَبَسُ، وهو قولُ الحسَنِ، والأولُ أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ قال الفَرَّاءُ: أي: حراماً مُحرَّماً أنْ يغلبَ أحدُهما صاحبَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا﴾ أي من النطفة بشراً أي: إنساناً ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾ أي: ذا نَسَبٍ وصِهْرٍ. قال عليٌّ عليه السلام: النَّسَبُ: ما لا يَحِلُّ نِكاحُه، والصِّهرُ: ما يَحِلُّ نِكاحُه. وقال الضَّحَّاكُ: النَّسَبُ سبعٌ، وهو قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾، والصِّهرُ خمسٌ، وهو قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾[1]. وقال طَاوسٌ: الرَّضاعَةُ مِنَ الصِّهرِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: «نَسباً» أي: قَرابةَ النَّسَبِ، «وَصِهراً» أي: قَرابَةَ النِّكاحِ. وكلُّ شيءٍ مِنْ قِبَلِ الزَّوجِ، مثل الأبِ والأخِ، فهم الأحماءُ، واحدُهم حَماً، مثل: قَفاً، وحَمُو مثل أَبُو، وحَمْء مهموزٌ ساكِنُ الميم، وحَمٌ مثل أَبٍ. وحَماةُ المرأة: أُمُّ زوجِها، لا لغةَ فيها غير هذه، وكلُّ شيءٍ مِنْ قِبَلِ المرأة، فَهُم الأَختَانُ. والصِّهرُ يَجمع ذلك كلَّه. وحكى ابنُ فارسٍ عن الخَليلِ، أنه قال: لا يُقالُ لأهلِ بيتِ الرجل إلاَّ أَختَانٌ، ولأهلِ بيت المرأة إلاَّ أَصهارٌ. ومِنَ العرب مَنْ يجعلهم أَصهَاراً كلَّهم. والصَّهرُ: إذابَةُ الشيء. وذكرَ المَاوَردي أنَّ المَناكِحَ سُمِّيتْ صِهراً، لاختلاطِ الناس بها كما يختَلِطُ الشيءُ إذا صُهِرَ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: مُعِيناً للشيطان على ربِّه، لأنَّ عِبادَتَهُ الأصنامَ مُعاونَةٌ للشيطان. **والثاني**: مُعِيناً للمشركين على أنْ لا يُوحِّدوا الله تعالى. **والثالث**: مُعِيناً على أولياءِ ربِّه. **والرابع**: وكان الكافرُ على ربِّه هَيِّناً ذليلاً، مِنْ قولكَ: ظَهَرتُ بفُلانٍ: إذا جَعلتَهُ وراءَ ظَهرِكَ ولم تلتَفِتْ إليه. قالوا: والمراد بالكافر هاهنا أبو جَهلٍ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩ وَإِذَا

---

(١) النساء: ٢٣.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٤١٠: يقول الله تعالى ذكره، ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم إذا عبدوها ولا تضرهم إذا تركوا عبادتها، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس، فلم يكن لمن غضب عليه عنه ناصر، ولا له عنه دافع **﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾** فكان الكافر معيناً للشيطان على ربه، مظاهراً له على معصيته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وهذا توكيدٌ لِصِدْقِه، لأنه لو سألَهُم شيئاً مِنْ أموالِهم لاتَّهَمُوهُ، ﴿إِلَّا مَن شَاءَ﴾ معناه: لكنْ مَنْ شاء ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بإنفاقِ مالِه في مَرضاةِ الله، فَعلَ ذلك، فكأنه قال: لا أسألُكم لِنفْسِي. وقد سبقَ تفسيرُ الكلماتِ التي تَلِي هذه(١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾، و «به» بمعنى: «عنه»، قال ابنُ أحْمَر(٢):

فإنْ تَسْألُوني بالنِّساءِ فإنَّني ... بَصيرٌ بأدْواءِ النِّساءِ طَبيبُ

وفي هاءِ «به» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى. **والثاني**: إلى اسمِه الرَّحمنِ، لأنهم قالوا: لا نَعرفُ الرَّحمنَ. **الثالث**: إلى ما ذكر من خلق السموات والأرض وغير ذلك. وفي الخبير أربعة أقوال(٣): **أحدها**: أنه جِبريلُ، قاله ابنُ عباسٍ: **والثاني**: أنه اللهُ تعالى، والمعنى: سَلْنِي فأنا الخَبيرُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: القرآن، قاله شِمْرٌ. **والرابع**: مُسْلِمةُ أهلِ الكتاب، قاله أبو سُليمانَ، وهذا يُخَرَّجُ على قولهم: لا نعرفُ الرَّحمنَ، فقيل: سَلُوا مُسْلِمَةَ أهلِ الكتاب، فإنَّ اللهَ خاطبَ موسى في التَّوراةِ باسمِه الرَّحمنِ، فعَلَى هذا، الخِطابُ للنبيِّ ﷺ والمُرادُ سِواهُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ قال المُفسِّرون: إنهم قالوا: لا نعرفُ الرَّحمنَ إلاَّ رَحمنَ اليمامَةِ، فأنكرُوا أنْ يكونَ مِنْ أسماءِ اللهِ تعالى، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يأمُرُنا» بالياء، أي: لِمَا يأمُرُنا به محمَّدٌ، وهذا استفهامُ إنكارٍ، ومعناها: لا نَسجُدُ للرَّحمن الذي تأمُرنا بالسُّجودِ له، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذِكرُ الرَّحمنِ ﴿نُفُورًا﴾ أي: تباعداً مِنَ الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)﴾

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ قد شرحناه في الحِجْر(٤): والمُرادُ بالسِّرَاج: الشمسُ. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «سُرُجاً» بضمِّ السينِ والراء وإسقاطِ الألِفِ. قال الزَّجَّاجُ: أراد: الشمسَ والكواكبَ العِظامَ؛ ويجوز «سُرْجاً» بتسكينِ الراء، مثل رُسْل ورُسُل. قال المَاوَرْدي: لَمَّا اقترَنَ بضَوءِ الشمس وَهجُ حَرِّها، جعلها لأَجلِ الحرارة سِرَاجاً، ولمَّا عُدِمَ ذلك في القمرِ جعله نُوراً.

---

(١) البقرة: ٣٠ وآل عمران: ١٥٩ والأعراف: ٥٤.

(٢) بل هو علقمة بن عبدة والبيت في ديوانه ١١ و «أدب الكاتب» ٥٠٥.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤٠٢: وقوله: ﴿**فاسأل به خبيراً**﴾ أي استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد ﷺ ـ فهو سيد ولد آدم على الإطلاق، في الدنيا والآخرة، لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى ـ فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب ردّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله أفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله، كائناً من كان. قال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾، وقال: ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**﴾.

(٤) الحجر: ١٦.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُخالف الآخرَ في اللونِ، فهذا أبيضُ، وهذا أسودُ، رَوى هذا المعنى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادَةُ. **والثاني**: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يَخْلُفُ صاحبَهُ، رواه عمرُو بنُ قيسٍ المُلائي عن مُجاهِدٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ وأهلُ اللغة، وأنشدوا قولَ زُهيرٍ:

بِهَا العِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ[1]

أي: إذا ذهبت طائفةٌ جاءت طائفةٌ.

قوله تعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتَّعظُ ويعتبرُ باختلافِهما. وقرأ حَمزَةُ: «يَذْكُرَ» خفيفة الذال مضمومةَ الكاف، وهي في معنى: يتذكَّر، ﴿أَوْ أَرَادَ﴾ شُكرَ الله تعالى فيهما.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وقرأ عليٌّ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وابنُ السَّمَيفَع: «يُمَشَّون» برفع الياء وفتح الميم والشين وبالتشديد. قال ابنُ قُتَيبةَ: إنما نَسبَهُم إليه لاصطفائِه إيَّاهم، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[2]، ومعنى «هَوْناً»: مَشْياً رُوَيداً. ومنه يُقال: أَحْبِبْ حبيبَكَ هَوْناً ما. وقال مُجاهِدٌ: يَمشونَ بالوَقارِ والسَّكينةِ. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: سَداداً. وقال الحَسنُ: لا يجهلون على أحدٍ، وإنْ جُهِلَ عليهم حَلُموا. وقال مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ: «قالوا سلاماً» أي: قَولاً يَسْلَمون فيه مِنَ الإثم. وهذه الآيةُ مُحكَمةٌ عند الأكثرين. وزعم قومٌ أنَّ المُراد بها أنهم يقولون للكفَّارِ: ليس بيننا وبينكم غيرُ السَّلام، ثم نُسِخَتْ بآيةِ السَّيفِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: كلُّ مَنْ أدركَهُ الليلُ فقد باتَ، نامَ أو لم يَنَمْ؛ يُقال: باتَ فُلانٌ قَلِقاً، إنما المَبِيتُ إدراكُ الليلِ.

قوله تعالى: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ فيه خمسة أقوالٍ تتقارَبُ معانيها:

[١٠٥٣] **أحدها**: دائماً، رواه أبو سعيدٍ الخُدريُّ، عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: مُوجِعاً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: مُلِحّاً، قاله ابنُ السَّائبِ؛ وقال ابنُ جُرَيجٍ:

[١٠٥٣] أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٥/١٤٢، ولم أقف على إسناده، وتفرده به يدل على وهنه، ولم يذكره القرطبي ولا ابن كثير ولا غيرهما. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٩٨ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان» العين: جمع عيناء، وهي واسعة العين، وهي بقر الوحش. والآرام: جمع رئم، وهو الظبي الخالص البياض. والأطلاء: جمع الطلا: وهو الولد من ذوات الظلف والخف، والطلو والطلا: الصَّغير من كل شيء. والمجثم: المربض. وهو الموضع الذي يجثم فيه، أي يقام فيه.

(٢) الأعراف: ٧٣.

لا يُفارق. **والرابع**: هلاكاً، قاله أبو عُبيدَةَ: **والخامس**: أنَّ الغرامَ في اللغة: أشدُّ العذابِ، قال الشاعر:

وَيَـوْمَ الـنِّـسـار وَيَـوْمَ الـجِـفَـا ... رِ كـانـا عَـذابـاً وكـانـا غَـرَامـاً(١)

قاله الزَّجّاجُ.

قوله تعالى: ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: بِئسَ مَوضِعُ الاستِقرارِ وموضعُ الإقامةِ هي.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «يقْتِروا» مفتوحة الياء مكسورةَ التاء. وقرأ عاصِمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «يَقْتُروا» بفتح الياء وضمِّ التاء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «يُقْتِروا» بضمِّ الياء وكَسرِ التاء. وفي معنى الكلام قولان(٢): **أحدهما**: أنَّ الإسرَافَ: مُجاوَزةُ الحَدِّ في النَّفقةِ، والإِقتَارُ: التَّقصيرُ عما لا بُدَّ منه، ويدلُّ على هذا قولُ عمرَ بنِ الخَطَّاب: كفى بالمَرءِ سَرَفاً أنْ يأكلَ كلَّ ما اشتهى. **والثاني**: أنَّ الإسرَافَ: الإنفاقُ في معصيةِ الله وإنْ قَلَّ، والإِقتَارُ: مَنعُ حقِّ الله تعالى، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وقَتادةُ وابنُ جُرَيجٍ في آخَرين. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ﴾ يعني الإنفاقَ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بينَ الإِسْرَافِ والإِقتَارِ ﴿قَوَامًا﴾ أي: عَدْلاً؛ قال ثَعلبُ: القَوَامُ، بفتحِ القاف: الاستقامَةُ والعَدْلُ، وبكَسْرِها: ما يَدومُ عليه الأمرُ ويَستقِرُّ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ في سببِ نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٠٥٤] **أحدها**: ما رواه البُخاريُّ ومُسلمٌ مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ أيُّ الذَّنبِ أعظَمُ؟ قال: «أن تَجعَلَ لله نِدّاً وهو خَلَقَكَ»، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تَقتُلَ وَلَدَكَ مَخافةَ أنْ يَطْعَمَ معكَ»، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تُزانيَ حَلِيلَةَ جارِكَ»، فأنزلَ الله تعالى تصديقَها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية.

[١٠٥٥] **والثاني**: أنَّ ناساً مِنْ أهلِ الشِّركِ قَتَلُوا فأكثَرُوا وزَنَوا فأكثَرُوا، ثم أتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدعُو إليه لَحَسَنٌ لو تُخبِرُنا أنَّ لِمَا عَمِلنا كفَّارةً، فنزلت هذه الآيةُ إلى قوله

[١٠٥٤] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥٢٠ ومسلم ١/ ٩٠ ح ٨٦ والترمذي ٣١٨٣ والنسائي ٧/ ٩٠ وأحمد ١/ ٣٨٠ و ٤٣١ و ٤٣٤ من حديث ابن مسعود. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٩٩ و «تفسير القرطبي» ٤٧٢٠.

[١٠٥٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨١٠ ومسلم ١٢٢ وأبو داود ٤٢٧٤ والنسائي في «التفسير» ٤٦٩ والحاكم ٢/ ٤٠٣ والبيهقي ٩/ ٩٨ والواحدي في أسباب النزول ٦٥٨ من طريق يعلى بن مسلم به.
وأخرجه الطبري ٢٦٥١٢ من طريق منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير به.

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم، كما في «تفسير الطبري» ٩/ ٤١٠ وفي «اللسان» ـ غرم ـ نسبه للطرماح.
(٢) قال الطبري رحمه الله ٩/ ٤١٢: والصواب من القول أن معنى الإسراف الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام بين ذلك.

تعالى: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، أخرجه مُسلمٌ مِنْ حديث سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٠٥٦] والثالث: أنَّ وَحشِيًا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا محمَّدُ أتيتُكَ مُستَجِيراً فأجرني حتى أسمعَ كلام الله، فقال رسولُ الله ﷺ: قد كنتُ أُحِبُّ أنْ أراكَ على غيرِ جوارٍ، فأمَّا إذا أتيتَني مُستَجِيراً فأنتَ في جِواري حتى تَسمعَ كلامَ الله، قال: فإنّي أشركتُ بالله وقتلتُ النَّفسَ التي حرَّمَ الله وَزنيتُ، فهل يقبلُ الله منّي توبةً؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآيةُ، فتَلاها عليه، فقال: أرَى شَرْطاً، فلعلّي لا أعملُ صالحاً، أنا في جِوارِكَ حتى أسمعَ كلامَ الله، فنزلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فدعَاهُ فتَلاَها عليه، فقال: ولَعلّي ممَّنْ لا يشاءُ، أنا في جِوارِكَ حتى أسمعَ كلامَ الله، فنزلت: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآية[١]، فقال: نَعَمْ، الآن لا أرى شَرْطاً، فأسْلَمَ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ؛ وهذا وَحشِيٌّ هو قاتلُ حمزةَ؛ وفي هذا الحديثِ المذكور عنه نظرٌ، وهو بعيدُ الصحَّةِ، والمَحفوظُ في إسلامِه غيرُ هذا، وأنه قَدِمَ مع رُسُلِ الطَّائفِ فأسلَمَ مِنْ غير اشتراطٍ.

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ﴾ معناه: يَعْبُدون. وقد سبقَ بيانُ قَتْلِ النفسِ بالحقِّ في الأنعام[٢].

قوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «يُلَقَّ» برفعِ الياء وفتحِ اللام وتشديدِ القاف مفتوحةً. قال ابنُ عباسٍ: يَلْقَ جزاءً. وقال مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ: هو وَادٍ في جهنَّمَ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: يَلْقَ عقوبةً، وأنشد:

جَزَى الله ابنَ عُروةَ حيثُ أمْسَى ... عُقوقاً والعُقوقُ لهُ أثَامُ[٣]

قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ جَزمٌ على الجَزاءِ. قال أبو عمروٍ الشَّيبانِي: يُقال: قد لَقِيَ أثَامَ ذلك، أي: جزاءَ ذلك، وسِيبَوَيه والخَليلُ يذهبان إلى أنَّ معناه: يَلقَى جزاءَ الأثَام. قال سِيبَوَيه: وإنما جُزِمَتْ «يُضَاعَفْ له العذابُ» لأنَّ مُضاعفةَ العذاب لُقِيُّ الآثامِ، فلذلك جُزِمَتْ، كما قال الشاعر:

مَتى تَأتِنا تُلمِمْ بنَا في دِيارِنا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تَأجَّجَا

لأنَّ الإتيانَ هو الإلمَامُ، فجَزمَ «تُلمِمْ» لأنه بمعنى «تأتي». وقرأ الحسَنُ: «يُضعَّفْ»، وهو جيِّدٌ بالِغٌ؛ تقول: ضاعفتُ الشيءَ وضَعَّفْتُه. وقرأ عاصِمٌ: «يُضَاعَفُ» بالرَّفعِ على تفسيرِ «يَلْقَ أثاماً» كأنَّ قائلاً قال: ما لُقِيُّ الأثَامِ؟ فقيلَ: يُضاعَفُ للآثِمِ العذابُ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وقَتادَةُ، وأبو حَيْوَةَ: «يُضْعَفْ» برفعِ الياء وسكونِ الضاد وفتحِ العين خفيفةً مِنْ غيرِ ألِفٍ. وقرأ أبو حَصِينٍ الأسَدي، والعُمَري عن أبي

[١٠٥٦] واهٍ. أخرجه الواحدي ٦٦٠ والطبراني ١١٤٨٠ من حديث ابن عباس، قال في المجمع ٧/ ١٠١: فيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبي اهـ. والمتن بهذا اللفظ، وأن وحشياً تردد حتى نزل فيه آيات باطل لا أصل له، وله علة ثانية وهي عنعنة ابن جريج. وانظر «تفسير القرطبي» ٣٥١٧ بتخريجنا.

---

(١) الزمر: ٥٣.
(٢) الأنعام: ١٥١.
(٣) البيت لبلعاء بن قيس الكناني كما في «غريب القرآن» ٣١٥. ونسبه في «اللسان» ـ أثم ـ إلى شافع الليثي. والعقوق: عدم بر الوالدين وقطع صلتهما.

جعفرَ مثلَهُ، إلاَّ أنَّ العينَ مكسورةٌ، و «العذابَ» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُدْ﴾ وقرأ أبو حَيْوَةَ وقتَادَةُ والأعمَشُ: «ويُخْلَد» برفع الياء وسكونِ الخاء وفتحِ اللام مخفَّفةً. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري وابنُ يَعمُرَ وأبو المُتوكِّلِ مثلَهُ، إلاَّ أنهم شدَّدوا اللامَ.

فصل: ولعلماء النَّاسِخِ والمَنسُوخِ في هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنها مَنسُوخَةٌ؛ وفي ناسِخِها ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[1]، قاله ابنُ عباسٍ. وكان يقول: هذه مكِّيَّةٌ، والتي في النِّساء مدنيَّةٌ. والثاني: أنها نُسِخَتْ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الآية[2]. والثالث: أنَّ الأولَى نُسِخَتْ بالثانية، وهي: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾. **والقول الثاني**: أنها مُحكَمَةٌ؛ والخلودُ إنما كان لانضِمَامِ الشِّركِ إلى القتل والزِّنا. وفَسادُ القولِ الأولِ ظاهرٌ، لأنَّ القتلَ لا يُوجِبُ تخليداً عند الأكثرين؛ وقد بيَّنَّاه في سُورةِ النِّساء[3]، والشِّركُ لا يُغْفر إذا مَاتَ المُشرِكُ عليه، والاستثناءُ ليس بنَسْخٍ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[١٠٥٧] قرأنا على عهدِ رسولِ الله سنتين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ثم نزلت ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ فَرِحَ بشيءٍ فرحَهُ بها، وبـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ اختلفوا في كيفية هذا التَّبديلِ وفي زمانِ كَونه، فقال ابنُ عباسٍ: يُبدِّلُ الله شِركَهُم إيماناً، وقَتْلَهُم إمساكاً، وزِنَاهُم إحصَاناً؛ وهذا يدلُّ: **أولاً**: على أنه يكون في الدنيا، ومِمَّنْ ذهب إلى هذا المعنى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنَّ هذا يكون في الآخرة، قاله سلمانُ رضي الله عنه، وسعيدُ بنُ المُسيِّبِ، وعليُّ بنُ الحُسينِ. وقال عمرُو بنُ مَيمُونٍ: يبدِّل الله سيئاتِ المؤمِنِ إذا غفرَها له حَسَناتٍ، حتى إنَّ العبدَ يتمنَّى أنْ تكون سيئاتُه أكثرَ ممَّا هي. وعنِ الحَسنِ كالقولَين. ورُوي عن الحَسنِ أنه قال: وَدَّ قومٌ يومَ القيامةِ أنهم كانوا في الدنيا استكثَروا مِنَ الذُّنوب؛ فقيل: مَنْ هم؟ قال: هُمُ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾.

[١٠٥٨] ويؤكِّد هذا القولَ حديثُ أبي ذرّ عن النبيِّ ﷺ: «يُؤتَى بالرَّجُلِ يومَ القيامة، فيُقال:

[١٠٥٧] ضعيف. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٩٧٢ والطبراني في «الكبير» ١٢٩٣٥ والواحدي ٣/ ٣٤٧ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٨٤ وقال: رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثقا، وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات. كذا قال رحمه الله، وما ذكره لعله يصدق على يوسف بن مهران، فقد قال عنه الحافظ. لين الحديث، وأما علي بن زيد فضعيف. وقد ضعفه الجمهور، وجزم الحافظ في «التقريب» بضعفه، وقد روى مناكير كثيرة، وشيخه يوسف بن مهران، وثقة أبو زرعة وابن حبان، وقال أحمد: لا يُعرف.

[١٠٥٨] صحيح. أخرجه مسلم ١٩٠ والترمذي ٢٥٩٦ وأحمد ٥/ ١٧٠ وابن حبان ٧٣٧٥ وأبو عوانة ١/ ١٦٩ ـ ١٧٠ وابن مندة في «الإيمان» ٨٤٧ ـ ٨٤٩ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢٢٩ والبغوي ٤٢٥٦ من طرق كلهم من حديث أبي ذر.

---

(١) النساء: ٩٣. (٢) النساء: ٤٨. (٣) النساء: ٩٣.

اعرضوا عليه صِغارَ ذُنوبِه، فتعرضُ عليه صِغارُ ذُنوبِه، وتُنحّى عنه كِبارُها، فيُقال: عَمِلتَ يومَ كذا، كذا وكذا، وهو مُقِرٌّ لا يُنكِرُ، وهو مُشفِقٌ مِنَ الكِبارِ، فيُقال: أعطُوهُ مكانَ كلِّ سيئةٍ عَمِلَها حسنةً»، أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه».

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ﴾ ظاهرُ هذه التَّوبةِ أنها عن الذُّنوبِ المذكورةِ. وقال ابنُ عباسٍ: يعني: ممَّنْ لم يَقتُل ولم يَزْنِ، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فإنِّي قد قدَّمتُهم وفضَّلتُهم على مَنْ قاتلَ نَبِيِّي واستحلَّ مَحارِمي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ قال ابنُ الأنباري: معناه: مَنْ أراد التَّوبةَ وقَصدَ حقيقتَها، فينبغي له أنْ يُريدَ الله بها ولا يَخلِطَ بها ما يُفسِدُها؛ وهذا كما يقول الرَّجلُ: مَنْ تَجرَ فإنه يَتَّجِرُ في البَزِّ، ومَنْ ناظرَ فإنه يُناظِرُ في النَّحْوِ، أي: مَنْ أرادَ ذلك، فينبغي أنْ يقصدَ هذا الفَنَّ؛ قال: ويجوز أنْ يكون معنى هذه الآيَة: ومَنْ تابَ وعَمِلَ صالحاً، فإنَّ ثوابَهُ وجزاءَهُ يَعظُمانِ له عندَ ربِّه الذي أراد بتوبتِه، فلمَّا كان قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ يؤدِّي عن هذا المعنى، كَفَى منه، وهذا كما يقول الرجلُ للرجلِ: إذا تكلَّمتَ فاعلَمْ أنكَ تُكلِّم الوزير، أي تكلم مَنْ يَعرفُ كلامَكَ ويُجازيكَ، ومثلُه قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾، أي: فإنِّي أتوكَّلُ على مَنْ يَنصُرني ولا يُسلِمُني. وقال قومٌ: معنى الآية: فإنه يَرجِعُ إلى اللهِ مَرجِعاً يقبَلُه منه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه الصَّنَمُ، روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ أنَّ الزُّورَ صَنَمٌ كان للمشركين. **والثاني**: أنه الغِناءُ، قاله محمَّدُ ابنُ الحنَفيَّةِ، ومَكحُولٌ؛ وروى لَيثٌ عن مُجاهِدٍ قال: لا يسمعون الغِناءِ. **والثالث**: الشِّركُ، قاله الضَّحَّاكُ، وأبو مالكٍ. **والرابع**: لَعِبٌ كان لهم في الجاهلية، قاله عِكرِمَةُ. **والخامس**: الكذب، قاله قَتادَةُ، وابنُ جُرَيج. **والسادس**: شهادةُ الزُّورِ، قاله عليُّ بنُ أبي طلحة. **والسابع**: أعيادُ المشركين، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والثامن**: أنه الخَنَا، قاله عمرُو بنُ قَيسٍ. وفي المراد باللَّغوِ هاهنا خمسةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: المعاصي، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أذَى المشركين إيَّاهُم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الباطلُ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: الشِّركُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: إذا ذَكَروا النِّكاحَ كَنَّوْا عنه، قاله مُجاهِدٌ. وقال محمَّدُ بنُ عليٍّ: إذا ذَكَروا الفُرُوجَ كَنَّوا عنها.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٤٢١: وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه، أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل بذلك لأنه محسن لأهله، حتى ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضاً مما يعنيه ترجيع الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه، لتحسين صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور فالتأويل: الذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، وكل ما لزمه اسم الزور.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٩/ ٤٢٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء =

قوله تعالى: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَرُّوا حُلَماءَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: مَرُّوا مُعْرِضِينَ عنه، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّ المعنى إذا مَرُّوا باللَّغْوِ جاوَزُوهُ، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ أي: وُعِظُوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: لم يتغافَلُوا عنها فكأنَّهم صُمٌّ لم يَسمَعوها، عُمْيٌ لم يَرَوها. وقال غيرُهُ مِنْ أهلِ اللغة: لم يَثْبُتوا على حالَتِهم الأولى كأنَّهم لم يَسمعوا ولم يَرَوا، وإنْ لم يكونوا خَرُّوا حقيقةً؛ تقول العرب: شَتمتُ فُلاناً فقامَ يبكي، وقَعدَ يَندُبُ، وأقبلَ يَعتذِرُ، وظَلَّ يتحيَّرُ، وإنْ لم يكن قامَ ولا قَعدَ. قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِم: «وذُرِّيَّاتِنا» على الجَمعِ. وقرأ أبو عَمرٍو، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ، عن عاصِم: «وذُرِّيَّتِنا» علَى التوحيد، ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو حَيْوَة: «قُرَّات أعْيُنٍ» يعنُونَ: مَنْ يَعمَلُ بطاعتِكَ فتَقَرُّ به أعيُننا في الدنيا والآخرة. وسُئِلَ الحسَنُ عن قوله: «قُرَّة أعين» في الدنيا، أمْ في الآخرة؟ قال: لا، بل في الدنيا، وأيُّ شيءٍ أقَرُّ لعَينِ المؤمنِ مِنْ أنْ يَرى زوجتَهُ وولَدَهُ يُطيعون الله، والله ما طَلَبَ القومُ إلاَّ أنْ يُطاعَ الله فتقَرَّ أعينُهم. قال الفَرَّاءُ: إنما قال: «قُرَّة» لأنها فعلٌ، والفعلُ لا يكادُ يُجمَعُ، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[1] فلم يجمَعْهُ؛ والقُرَّةُ مصدرٌ، تقول: قَرَّت عَينُه قُرَّةً، ولو قيلَ: قُرَّة عَينٍ أو قُرَّات أعيُنٍ كان صواباً. وقال غيرُه: أصلُ القُرَّةِ مِنَ البَرْدِ، لأنَّ العرب تتأذَّى بالحَرّ، وتَسْتَروِحُ إلى البَرْدِ.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اجعلْنَا أئمةً يُقتدى بنا، قاله ابنُ عباسٍ. وقال غيرُه: هذا مِنَ الواحِدِ الذي يُراد به الجَمعُ، كقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾[3]. **والثاني**: اجعلْنا مؤتَمِّينَ بالمُتَّقين مُقتَدِينَ بهم، قاله مُجاهِدٌ؛ فعلَى هذا يكون الكلامُ مِنَ المَقلوبِ، فالمعنى: واجعَلِ المُتَّقين لنا إماماً.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني الجنَّةَ. وقال غيرُه: الغُرفَةُ: كلُّ بناءٍ عَالٍ مرتفعٍ، والمراد غُرَفُ الجنَّةِ، وهي مِنَ الزَّبرجَدِ والدُّرِّ والياقُوتِ، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على دِينِهم وعلى أذى المشركين. قوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «ويُلَقَّوْنَ» بضمِّ الياء وفتحِ اللام وتشديدِ القاف. وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ويَلْقَوْنَ» بفتحِ الياء وسكونِ اللام وتخفيفِ القاف، ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُحَيِّي بعضُهم بعضاً بالسَّلامِ، ويُرسِلُ إليهم الرَّبُّ عزَّ وجلَّ بالسَّلام. وقال مُقاتِلٌ: «تحيةً» يعني السَّلامَ، «وسلاماً» أي: سَلَّمَ الله لهم أمرَهُم وتجاوَزَ عنهم. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

= المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مرّوا كراماً، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح، وكل ما يدخل في معنى اللغو، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو، أن يقال: عني به بعض ذلك دون بعض.

(١) الفرقان: ٤٤. (٢) الشعراء: ١٦. (٣) الشعراء: ٧٧.

أحدها: ما يَصنَعُ بكم! قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أيُّ وَزنٍ يكون لكم عنده؛ تقول: ما عَبأتُ بفُلانٍ، أي: ما كانَ له عندي وَزنٌ ولا قَدرٌ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: ما يَعبَأُ بعذابكم، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وفي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لولا إيمانُكم، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لولا عبادتُكم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لولا دُعاؤُه إيّاكم لِتعبُدُوه، قاله مُجاهِدٌ؛ والمراد نَفعُ الخَلقِ، لأنَّ الله تعالى غيرُ مُحتَاجٍ. **والرابع**: لَولا توحِيدُكُم، حكاه الزَّجَّاجُ. وعلى قولِ الأكثرين ليس في الآية إضمَارٌ؛ وقال ابنُ قُتَيبةَ: فيها إضمارٌ تقديره: ما يَعبأُ بعذابِكم لولا ما تَدعونَهُ مِنَ الشَّريك والوَلَدِ، ويُوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ يعني: العذابَ، ومثلُه قول الشاعر:

مَـنْ شَـاءَ دَلَّـى الـنَّـفْـسَ فـي هُـوَّةٍ ضَـنْـكٍ ولـكِـنْ مَـنْ لَـهُ بـالـمَـضِـيـقْ

أي: بالخروج مِنَ المَضِيقِ. وهل هذا خِطابٌ للمؤمنين، أو للكفَّار؟ فيه قولان. فأمَّا قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فهو خِطابٌ لأهل مكَّةَ حين كذَّبوا رسولَ الله ﷺ، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ يعني: تكذِيبُكم ﴿لِزَامًا﴾ أي: عذاباً لازِماً لكم؛ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قَتلُهم يومَ بدرٍ، فقُتِلُوا يَوْمَئذٍ، واتَّصل بهم عذابُ الآخرة لازِماً لهم، وهذا مذهبُ ابنِ مسعودٍ، وأُبيِّ بنِ كَعبٍ، ومُجاهِدٍ في آخَرِين. **والثاني**: أنه المَوتُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ اللِّزَامَ: القِتالُ، قاله ابنُ زيدٍ. والله أعلَمُ بالصَّواب.

سورة الشعراء

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

وهي مكيَّةٌ كلُّها، إلاَّ أربعَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة، مِنْ قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ إلى آخرِها، قاله ابنُ عباسٍ، وقتادةُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «طسٓمٓ» بفتح الطاء وإدغام النون مِنْ هِجاءِ «سين» عند الميم. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلفٌ، وأبانٌ، والمُفَضَّلُ: «طِسٓمٓ» و «طسٓ»(١) بإمالَةِ الطاءِ فيهما. وأظهَرَ النونَ مِنْ هِجاءِ «سين» عندَ الميم حمزةُ هاهنا وفي «القَصص».

وفي معنى «طسٓمٓ» أربعةُ أقوالٍ(٢):

أحدها: أنها حروفٌ مِنْ كلماتٍ، ثم فيها ثلاثة أقوالٍ:

[١٠٥٩] **أحدها**: رواه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: لمَّا نزلت «طسٓمٓ» قال رسولُ الله ﷺ: «الطاءُ: طُورُ سَيناءَ، والسينُ: الإسكَندريَّةُ، والميمُ: «مكَّةُ». **والثاني**: أنَّ الطاءَ: طَيْبَةُ، وسينُ: بيتُ المَقدِسِ، وميمُ: مكَّةُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: الطاءُ: شجرةُ طُوبَى، والسينُ: سِدرَةُ المُنتهى، والميمُ: محمَّدٌ ﷺ، قاله جعفرُ الصَّادقُ.

والثاني: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللهُ به، وهو مِنْ أسماء الله تعالى، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقد بيَّنَّا كيف يكون مِثلُ هذا مِنْ أسماء الله تعالى في فاتحةِ (مريم). وقال القُرَظيُّ: أقسَمَ اللهُ بطَوْلِه وسَنائِه

[١٠٥٩] لا أصل له في المرفوع، ولم يذكره سوى المصنف، وهو من بدع التأويل، ولو صح مثل هذا ما اختلف المفسرون في تأويل الحروف في أوائل السور.

---

(١) النمل: ١.

(٢) تقدم في سورة البقرة أن الراجح في ذلك كله هو أن نكل علم ذلك إلى الله تعالى، فهو أعلم بمراده.

ومُلكِه. **والثالث**: أنه اسمٌ للسُّورَة، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ، وأبو رَزِيْنٍ. وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[١] إلى قوله: ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ والمعنى: لَعلَّكَ قاتلٌ نفسَكَ لِتَركِهم الإيمانَ.

ثم أخبَرَ أنه لو أراد أنْ يُنزِلَ عليهم ما يَضطَرُّهُم إلى الإيمان لَفعلَ، فقال: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «إِن يَشَأْ يُنَزِّلْ» بالياءِ فيهما، ﴿عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ جعل الفعلَ أولاً للأعناقِ، ثم جعلَ «خاضعين» للرِّجال، لأنَّ الأعناقَ إذا خَضعَتْ فأربَابُها خاضِعون. وقيل: لمَّا وَصفَ الأعناقَ بالخُضوعِ، وهو مِنْ صفاتِ بَني آدمَ، أخرَجَ الفعلَ مَخرجَ الآدَميين كما بيَّنَّا في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[٢]، وهذا اختيارُ أبي عُبيدَةَ. وقال الزَّجَّاجُ: قوله: «فظلَّت» معناه: فتَظَلُّ، لأنَّ الجزاءَ يقعُ فيه لفظُ الماضي في معنى المُستقبَلِ، كقولك: إنْ تأتِني أكرمْتُكَ، معناه: أُكرِمْكَ؛ وإنَّما قال: «خاضِعين» لأنَّ خُضوعَ الأعناقِ هو خُضوعُ أصحابِها، وذلك أنَّ الخُضوعَ لمَّا لم يكُنْ إلاَّ بخُضوعِ الأعناقِ، جازَ أنْ يُخبرَ عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

رَأتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي ... كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ[٣]

فلمَّا كانت السُّنون لا تكون إلاَّ بمَرّ، أخبرَ عن السِّنين، وإنْ كان أضافَ إليها المُرورَ. قال: وجاء في التَّفسيرِ أنه يعني بالأعناقِ كُبَراءَهُم ورُؤَساءَهُم. وجاء في اللغة أنَّ أعناقَهُم جَماعَاتُهم؛ يقال: جاءَني عُنُقٌ مِنَ الناس، أي: جماعةٌ. وما بعد هذا قد سَبقَ تفسيرُه[٤] إلى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ يعني المُكذِّبين بالبعثِ ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ بعد أنْ لَمْ يكُنْ بها نَباتٌ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: مِنْ كل جِنسٍ حَسَنٍ. وقال الزَّجَّاجُ: الزَّوجُ: النَّوعُ، والكَريمُ: المَحمودُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنباتُ ﴿لَآيَةً﴾ تدلُّ على وحدانيَّةِ اللهِ وقُدرَتِه ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كان أكثَرُهم يؤمِنُ في عِلْمِ الله، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المُنتقِمُ مِنْ أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائِه.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ الضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ﴾ المعنى: واتْلُ هذه القصَّةَ على قومِكَ. قوله تعالى: ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ياءُ

(١) المائدة: ١٥، والكهف: ٦. (٢) يوسف: ٤.
(٣) البيت لجرير، كما في ديوانه ٤٢٦ و «اللسان» ـ خضع ـ و «تفسير القرطبي» ٨٧/١٣.
(٤) الأنبياء: ٢.

«يُكَذِّبونِ» محذوفةٌ، ومِثلُها ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾[(١)] «سَيَهدِين»[(٢)] «فهو يَهدِين»[(٣)] «ويَسْقِين»[(٤)] «فهو يَشْفِين»[(٥)] «ثم يُحْيِين»[(٦)] «كذِّبون»[(٧)] «وأَطِيعُون»[(٨)] فهذه ثماني آياتٍ أَثبَتَهُنَّ في الحالَين يعقوبُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ أي بتكذيبِهم إيَّايَ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ للعُقدَةِ التي كانت بلسانِه. وقرأ يعقوبُ: «ويَضيقَ» «ولا يَنطلقَ» بنصبِ القافِ فيهما، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾ المعنى: ليُعينَني، فحُذِفَ، لأنَّ في الكلامِ دليلاً عليه. ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ وهو القَتيلُ الذي وَكزَهُ فقَضى عليه؛ والمعنى: ولَهُم عليَّ دَعوى ذَنبٍ ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به ﴿قَالَ كَلَّا﴾ وهو رَدْعٌ وزَجرٌ عن الإقامةِ على هذا الظَّنِّ؛ والمعنى: لن يَقتُلوكَ لأنِّي لا أُسلِّطُهم عليكَ، ﴿فَاذْهَبَا﴾ يعني: أنتَ وأخوكَ ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ وهي: ما أعطاهُما مِنَ المُعجزةِ ﴿إِنَّا﴾ يعني نفسَهُ عزَّ وجلَّ ﴿مَعَكُم﴾ فأجراهُما مَجرى الجماعةِ ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ نَسمَعُ ما تقولان وما يُجيبُونكُما به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: الرَّسولُ يكون بمعنى الجميعِ، كقوله: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾[(٩)] وقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[(١٠)]. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنَّا رِسالةُ ربِ العالَمِين، أي: ذَوو رِسالةِ رَبِّ العالَمِين، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عِنْدَهُم ... بِسِرٍّ وَلا أرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[(١١)]

أي: برسالة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ المعنى: بأنْ أرسِلْ ﴿مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أَطلِقهُم مِنَ الاستِعبادِ، فأتَياهُ فبَلَّغاهُ الرِّسالةَ، فـ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ أي: صَبيّاً صغيراً ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: ثمانيَ عشرَةَ سنةً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أربعون سنةً، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: ثلاثونَ سنةً، قاله مُقاتِلٌ، والمعنى: فجازَيْتَنا على أن رَبَّيناكَ أنْ كَفرتَ نِعمتَنا، وقَتلتَ منَّا نَفساً، وهو قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ وهي قَتلُ النَّفسِ. قال الفرَّاءُ: وإنَّما نُصِبَت الفاءُ، لأنها مرَّةٌ واحدةٌ، ولو أُريدَ بها مثل الجِلسَةِ والمِشيَةِ جازَ كَسرُها.

وفي قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ قولان[(١٢)]: **أحدهما**: مِنَ الكافرين لِنِعمَتي، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعطاءٌ، والضَّحَّاكُ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: مِنَ الكافرين بإلَهِكَ، كنتَ معنا على دِينِنا الذي تَعيبُ، قاله الحَسنُ، والسُّدِّيُّ. فعَلَى الأول: وأنتَ مِنَ الكافرين الآن. وعلى الثاني: وكنتَ. وفي قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الجاهِلِينَ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ

---

(١) الشعراء: ١٤. (٢) الشعراء: ٦٢. (٣) الشعراء: ٧٨.
(٤) الشعراء: ٧٩. (٥) الشعراء: ٨٠. (٦) الشعراء: ٨١.
(٧) الشعراء: ١١٧. (٨) الشعراء: ١٠٨. (٩) الحجر: ٦٨.
(١٠) الحج: ٥. (١١) البيت لكثير عزة، كما في «اللسان» ـ رسل ـ.
(١٢) قال الطبري رحمه الله ٩/٤٣٧: وأشبه الأقوال بتأويل الآية أن يقال: من الكافرين لنعمتي، لأن فرعون لم يكن مقراً لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الرب، فغير جائز أن يقول لموسى إن كان موسى عنده على دينه يوم قتل القتيل. إلا أن يقول قائل: إنما أراد: وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى على قولك اليوم فيكون ذلك وجهاً يتوجه.

جُبَير، وقَتادَةُ. وقال بعضُ المُفسِّرين: المعنى: إنِّي كنتُ جاهلاً لم يأتِني مِنَ اللهِ شيءٌ. **والثاني**: مِنَ الخاطِئينَ؛ والمعنى: إني قَتَلتُ النَّفسَ خَطَأً، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: مِنَ النَّاسِينَ؛ ومثلُه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾[(١)]، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي: ذهبتُ مِنْ بينكم ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ على نفسي إلى مَدْيَنَ، وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمَرَ: «لِما» بكسرِ اللام وتخفيفِ الميم، ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: النبوَّةُ، **قاله** ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: العِلْمُ والفَهمُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ يعني التَّربيةَ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: اتَّخذتَهُم عبيداً؛ يقال: عبَّدتُ فُلاناً وأعبَدْتُهُ واستعبَدتُهُ: إذا اتَّخذتُهُ عبداً. وفي «أنْ» وَجْهان: **أحدهما**: أنْ تكونَ في موضِع رفعٍ على البَدَلِ من «نِعْمةٌ». **والثاني**: أنْ تكونَ في موضعِ نصبٍ بنَزعِ الخَافِضِ، تقديره: لأنْ عبَّدتَ، أو لِتعبيدِكَ. واختلف العلماءُ في تفسير الآيةِ[(٢)]، ففسَّرها قومٌ على الإنكارِ، وقومٌ على الإقرارِ، فمَنْ فسَّرها على الإنكارِ قال معنى الكلام: أوَ تلكَ نِعمَةٌ؟! على طريقِ الاستفهامِ، ومثله ﴿هَذَا رَبِّي﴾[(٣)]، وقوله: ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[(٤)]، وأنشدوا:

لم أنسَ يومَ الرَّحيلِ وقفتَها ... وجَفْنُها مِنْ دُموعِها شَرِقُ
وقولَها والرِّكابُ سائِرةٌ ... تَترُكُنا هكذا وتَنطَلِقُ

وهذا قولُ جماعةٍ منهم. ثم لهم في معنى الكلام ووَجْهِهِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ فِرعونَ أخذَ أموالَ بني إسرائيلَ واستَعبَدَهُم وأنفقَ على موسى منها، فأبطَلَ موسى النِّعمةَ لأنها أموالُ بني إسرائيلَ، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: أنَّ المعنى: إنَّك لو كنتَ لا تقتُلُ أبناءَ بَني إسرائيلَ لَكَفِلَني أهلي، وكانت أُمِّي تستغني عن قَذْفِي في اليَمِّ، فكأنَّكَ تَمُنُّ عليَّ بما كان بَلاؤكَ سبباً له، وهذا قولُ المُبَرِّدِ، والزَّجَّاجِ، والأزهَري. **والثالث**: أنَّ المعنى: تَمنُّ عليَّ بإحسانِكَ إليَّ خاصَّةً، وتنسى إساءَتَكَ بتَعبيدِكَ بني إسرائيلَ؟! قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ المعنى: كيف تَمُنُّ عليَّ بالتَّربية وقد استعبَدْتَ قومي؟! ومَنْ أُهِينَ قومُه فقد ذَلَّ، فقد حَبِطَ إحسانُكَ بتَعبيدِكَ قومي، حكاه الثَّعلبيُّ. فأمَّا مَنْ فَسَّرَها على الإقرارِ، فإنه قال: عَدَّها موسى نِعمَةً حيثُ رَبَّاهُ ولم يَقتُلْهُ ولا استعبَدَهُ. فالمعنى: هي لَعَمري نِعمَةٌ إذ ربَّيتَني ولم تَستَعبِدْني كاستِعبادِكَ بَني إسرائيلَ؛ فـ «أن» تدلُّ على المَحذوفِ، ومثلُه في الكلام ـ أنْ تَضربَ بعضَ عبيدِكَ وتَترُكَ الآخرَ، فيقول المَترُوكُ ـ: هذه نعمةٌ عليَّ أنْ ضربتَ فُلاناً وتركتَني، ثم تَحذِفُ «وتركتني» لأنَّ المعنى معروفٌ، هذا قولُ الفَرَّاءِ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤١٣: أي وما أحسنت إليّ وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل! فجعلتهم عبيداً وخدماً، تصرِّفهم في أعمالك ومشاق رعيتك أفيفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم.

(٣) الأنعام: ٧٦. (٤) الأنبياء: ٣٤.

حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سألَهُ عن ماهيَّةِ مَنْ لا مَاهيَّةَ له[1]، فأجابَهُ بما يدلُّ عليه مِنْ مَصنوعاتِه. وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه خلَقَ السَّمواتِ والأرض. **والثاني**: إنْ كُنتم مُوقِنينَ أنَّ ما تُعايِنُونَهُ كما تُعايِنُونَه، فكذلك، فأَيقِنُوا أن رب العالمين رَبُّ السَّمواتِ والأرضِ. قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: فِرعونَ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ مِنْ أشرافِ قومِه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ مُعَجِّباً لهم. فإنْ قيلَ: فأينَ جوابُهم؟ فالجواب: أنه أراد: ألاَ تستمعون قولَ موسى؟ فَرَدَّ موسى، لأنه المُرادُ بالجَوابِ، ثم زادَ في البيانِ بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فأعرَضَ فِرعونُ عن جوابِه ونَسبَهُ إلى الجُنونِ، فلم يَحفِلْ موسى بقولِ فِرعونَ، واشتغلَ بتأكيدِ الحُجَّةِ فـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إنْ كُنتم ذَوِي عقولٍ لم يَخفَ عليكم ما أقولُ.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ
بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾
فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟
هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا
لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا
لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤١٤: يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون، وتمرده، وطغيانه وجحوده في قوله ﴿**وما رب العالمين**﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿**ما علمت لكم من إله غيري**﴾ و ﴿**استخف قومه فأطاعوه**﴾ وكانوا يجحدون الصانع ـ تعالى ـ ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون. فلما قال موسى: ﴿**إني رسول رب العالمين**﴾ قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟!

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن ماهيته. بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فيجيبه موسى: ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين**﴾ أي إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة، فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلاً لهم على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: ﴿**ألا تستمعون**﴾ أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري. فأجاب موسى بقوله: ﴿**رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**﴾ ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى ـ عليه السلام ـ فقال: ما أخبر الله تعالى عنه: ﴿**قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين**﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بأمرٍ ظاهرٍ يُعرَفُ به صِدْقي أَتسجنُني؟! وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في الأعراف[1] إلى قوله: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يومُ الزِّينَةِ، وكان عِيداً لهم، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ يعني أهلَ مِصْرَ. وذهب ابنُ زيدٍ إلى أنَّ اجتماعَهُم كان بالإسكندريَّةِ. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ قال الأكثرون: أرادُوا سَحَرَةَ فِرعونَ؛ فالمعنى: لَعلَّنا نتَّبعهم على أمرِهم. وقال بعضُهم: أرادُوا موسى وهارونَ، وإنما قالوا ذلك استهزاءً. قال ابنُ جَريرٍ: و«لعل» هاهنا بمعنى «كي». وقوله تعالى: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: بعظمتِه.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: اللامُ دخلَتْ للتوكيدِ.

قوله تعالى: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا ضَرَرَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: هو مِنْ ضَارَه يَضُورُهُ ويَضِيرُهُ؛ بمعنى ضَرَّهُ. والمعنى: لا ضَررَ علينا فيما ينالُنا في الدنيا لأنَّا ننقلِبُ إلى ربِّنا في الآخرة مُؤمِّلين غُفرانَهُ.

قوله تعالى: ﴿أَن كُنَّآ﴾ أي: لأن كنا ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بآياتِ موسى في هذه الحالِ.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي: يَتبعُكم فِرعونُ وقومُه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المعنى: وقال فِرعونُ إنَّ هؤلاءِ، يعني بَني إِسرائيلَ ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: طائفةٌ. قال الزَّجَّاجُ: والشِّرذِمَةُ في كلامِ العربِ: القليلُ. قال المُفسِّرون: وكانوا ستمائةَ ألفٍ، وإنما استقلَّهم بالإضافة إلى جُندِه، وكان جُندُهُ لا يُحصَى. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ تقول: غاظَني الشيءُ، إذا أغضبَكَ. قال ابنُ جَريرٍ: وذُكِرَ أنَّ غيظَهُم كان لِقَتْلِ الملائكةِ مَنْ قَتَلَتْ مِنْ أبكارِهم. قال: ويحتملُ أنْ غيظَهُم لِذهابِهم بالعَوارِي التي استعاروها مِنْ حُليِّهم، ويحتمل أنْ يكونَ لِفراقِهم إيَّاهم وخُروجِهم مِنْ أرضِهم على كُرْهٍ منهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «حَذِرون» بغير ألِفٍ. وقرأ الباقون: ﴿حَٰذِرُونَ﴾ بألِفٍ. وهل بينهما فَرْقٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أن الحَاذِرَ، المُستعِدُّ، والحَذِرَ: المُتيقِّظُ. وجاء في التَّفسيرِ أنَّ معنى حاذِرِينَ: مُؤدُون، أي: ذَوو أَدَاةٍ، وهي السِّلاحُ، لأنها أداةُ الحَربِ. **والثاني**: أنهما لُغتان معناهما واحدٌ؛ قال أبو عُبيدَةَ: يُقال: رجلٌ حَذِرٌ وحَذُرٌ وحاذِرٌ. والمَقامُ الكريمُ: المَنزِلُ الحَسَنُ. وفي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قولان: **أحدهما**: كذلك أفعلُ بمَنْ عَصاني، قاله

---

(١) الأعراف: ١٠٧.

ابنُ السَّائب. **والثاني**: الأمرُ كذلك، أي: كما وَصفنا، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى رَدَّهُم إلى مِصْرَ بعد غَرَقِ فِرعونَ، وأعطاهُم ما كان لِفرعَونَ وقومِه مِنَ المَساكِنِ والأموالِ. وقال ابنُ جَريرٍ الطَّبَري: إنَّما جعلَ دِيارَ آل فِرعونَ مُلكاً لبَني إسرائيلَ ولم يَرْدُدْهم إليها لكنَّهُ جعلَ مساكِنَهم الشَّامَ.

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: لَحِقوهُم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ أي: حينَ شَرَقَتِ الشمسُ، أي: طَلَعتْ، يُقال: أشرَقْنا: دخلنا في الشُّروقِ، كما يُقال: أمسَيْنا وأصبحنا. وقرأ الحَسنُ، وأيُّوبُ السَّخْتِياني: «فاتَّبعوهم» بالتَّشديد. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ وقرأ أبو رَجاءٍ، والنَّخعيُّ، والأعمَشُ: «تَراأى» بكسرِ الراء وفتحِ الهمزة، أي: تقابلا بحيثُ يَرى كلُّ فريقٍ صاحبَهُ.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لن يُدرِكونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أي: سَيَدلُّني على طريقِ النَّجاةِ. قوله تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ فيه إضمارُ «فضرب فانفلق»، أي: انشَقَّ الماءُ اثني عشرَ طريقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كلُّ جزءٍ انفرَق منه. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «كُلُّ فِلْقٍ» باللام، ﴿كَٱلطَّوْدِ﴾ وهو الجَبلُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾ أي: قرَّبْنا الآخرين مِنَ الغَرقِ، وهم أصحابُ فِرعونَ. وقال أبو عُبيدَةَ: «أزلفنا» أي: جَمَعنا. قال الزَّجَّاجُ: وكِلاَ القولَين حَسَنٌ، لأنَّ جَمعَهُم تقريبُ بعضِهم مِنْ بعضٍ، وأصلُ الزُّلفَى في كلام العرب: القُرْبَى. وقرأ ابنُ مسعودٍ وأُبيُّ بنُ كَعبٍ وأبو رَجاءٍ والضَّحَّاكُ وابنُ يَعمَرَ: «أزْلَقْنا» بالقاف، وكذلك قرأوا: «أُزْلِقَتِ الجنَّةُ»[1] بقافٍ أيضاً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يعني: في إهلاكِ فِرعونَ وقومِه عِبرَةً لِمن بعدَهُم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكُنْ أكثرُ أهلِ مِصرَ مؤمنين، إنما آمَنَتْ آسيَةُ، وخِربيلُ مؤمنُ آلِ فِرعونَ، وفتَنةُ الماشِطةُ، ومريمُ ـ امرأةٌ دلَّتْ موسى على عِظامِ يُوسفَ ـ، هذا قولُ مُقاتِلٍ[2]. وما أخلَلْنا به مِنْ تفسيرِ كلماتٍ في قصةِ موسى، فقد سبقَ بيانُها، وكذلك ما تَفقِدُ ذِكْرَهُ في مكانٍ، فهو إمَّا أنْ يكونَ قد سَبقَ، وإمَّا أنْ يكونَ ظاهِراً، فتنبَّهْ لهذا.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١) في الشعراء: ٩٠.
(٢) عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب، فخبره لا شيء.

﴿٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ والمعنى: هل يَسمعون دُعاءَكُم. وقرأ سعيدُ بنُ جُبيرٍ وابنُ يَعمَرَ وعاصِمُ الجَحْدَري: «هل يُسْمِعونكم» بضمِّ الياء وكسرِ الميم، ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنْ شِئتَ بيَّنتَ الذالَ، وإنْ شِئتَ أدغمتَها في التاء وهو أجودُ في العربية لِقُربِ الذالِ مِنَ التاءِ. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ أي إنْ عبدتُموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ إنْ لم تَعبُدوهُم؟ فأخبَرُوا عن تقليدِ آبائِهم. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ فيه وَجْهان: أحدهما: أنَّ لفظَة لفظُ الواحد والمُرادُ به الجميعُ؛ فالمعنى: فإنَّهم أعداءٌ لي. والثاني: فإنَّ كلَّ مَعبُودٍ لكم عَدوٌّ لي. فإنْ قيلَ: ما وَجْهُ وَصفِ الجَمادِ بالعَداوَةِ؟ فالجواب: مِنْ وَجهَينِ. أحدهما: أنَّ معناه: فإنهم عَدوٌّ لي يومَ القيامة إنْ عَبدتُهم. والثاني: أنه مِنَ المَقلُوبِ؛ والمعنى: فإنِّي عَدوٌّ لهم، لأنَّ مَنْ عاديَته عَاداكَ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنه استثناءٌ مِنَ الجِنسِ، لأنه عَلِمَ أنهم كانوا يعبُدون الله مع آلهَتِهم، قاله ابنُ زيدٍ. والثاني: أنه مِنْ غيرِ الجِنسِ؛ فالمعنى: ولكنَّ رَبَّ العالَمِينَ ليس كذلك، قاله أكثرُ النَّحويين.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي إلى الرُّشدِ، لا ما تعبُدونَ ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ أي هو رَازِقي الطَّعامَ والشَّرابَ.

فإنْ قيلَ: لِمَ قال: «مرضتُ»، ولم يَقُلْ: «أمرضَني»؟ فالجواب: أنه أراد الثناءَ على ربِّهِ فأضافَ إليه الخيرَ المَحضَ، لأنه لو قال: «أمرضَني» لَعَدَّ قومُه ذلك عَيْباً، فاستعملَ حُسنَ الأدبِ؛ ونظيرُهُ قِصَّةُ الخَضِرِ حين قال في العَيْبِ: «فأردتُ»[1]، وفي الخيرِ المَحضِ: «فأراد ربُّكَ»[2].

فإنْ قيلَ: فهذا يَرُدُّه قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾. فالجواب: أنَّ القومَ كانوا لا يُنكِرونَ الموتَ، وإنما يجعلونَ له سبباً سِوى تقديرِ الله عزَّ وجلَّ، فأضافَهُ إبراهيمُ إلى الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ يعني للبَعْثِ، وهو أمرٌ لا يُقِرُّونَ به، وإنما قاله استِدلالاً عليهم؛ والمعنى: أنَّ ما وافَقتُموني عليه مُوجِبٌ لِصِحَّةِ قولي فيما خَالَفتُموني فيه. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ يعني: ما يجري على مِثْلي مِنَ الزَّلَلِ؛ والمُفسِّرون يقولون: إنما عَنَى الكلماتِ الثلاثَ التي ذكرناها في الأنبياء[3]، ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يعني: يومَ الحَشرِ والحِسابِ؛ وهذا احتِجاجٌ على قومه أنه لا تصلحُ الإلٰهيَّةُ إلاَّ لِمَنْ فَعَلَ هذه الأفعالَ.

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ٨٤ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿هَبْ لِى حُكْمًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: النبوَّة، قاله أبو صالح، عن ابنِ عباسٍ. والثاني: اللُّبُّ، قاله عِكرِمَةُ. والثالث: الفَهْمُ والعِلْمُ، قاله مُقاتِلٌ، وقد بيَّنَّا قوله: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾

(١) الكهف: ٧٩. (٢) الكهف: ٨٢. (٣) الأنبياء: ٦٣.

في سُورةِ يُوسفَ[(١)]، وبيَّنَّا معنى ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ في مريم[(٢)]؛ والمُرادُ بالآخرين: الذين يأتون بعدَهُ إلى يوم القيامةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ قال الحَسنُ: بَلَغَني أنَّ أُمَّه كانت مُسلِمَةً على دِينِهِ، فلذلك لم يَذكُرْها. فإنْ قيلَ: فقد قال: ﴿ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾[(٣)]. قيل: أكثرُ الذِكرِ إنما جرَى لأبيه، فيجوزُ أنْ يسألَ الغُفرانَ لأُمِّهِ وهي مُؤمنةٌ، فأمّا أبوه فلا شَكَّ في كُفره. وقد بيَّنّا سببَ استغفارِه لأبيه في براءة[(٤)]، وذكرنا معنى الخِزْيِ في آل عِمران[(٥)]. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ يعني: الخَلائقَ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: سليمٌ مِنَ الشركِ، قاله الحَسنُ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: سليمٌ مِنَ الشَّكِّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: سليمٌ، أي صحيحٌ، وهو قلبُ المؤمنِ، لأنَّ قلبَ الكافرِ والمُنافقِ مريضٌ، قاله سعيدُ بنُ المُسيِّبِ. **والرابع**: أنَّ السَّليمَ في اللغة: اللَّدِيغُ، فالمعنى: كاللَّدِيغِ مِنْ خوفِ الله عزَّ وجلَّ، قاله الجُنيدُ. **والخامس**: سليمٌ مِنْ آفاتِ المالِ والبَنين، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضلِ. **والسادس**: سليمٌ مِنَ البدعَةِ، مُطْمئنٌّ على السُّنَّةِ، حكاه الثَّعلَبي.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قُرِبَتْ إليهم حتى نَظَروا إليها، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أي: أُظهِرَتْ ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ وهم الضَّالُّون، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ على وَجهِ التَّوبيخ ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ أي: يَمنعونكم مِنَ العذاب، أو يَمتَنِعونَ منه.

قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ قال السُّدِّيُّ: هم المشركون. قال ابنُ قُتَيبَة: أُلْقُوا على رُؤوسِهم، وأصلُ الحَرفِ «كُبِّبوا» مِنْ قولِكَ: كَبَبْتُ الإناءَ، فأبدَلَ مِنَ الباء الوسطى كافاً، استِثقالاً لاجتماع ثلاثِ باءاتٍ، كما قالوا: «كُمْكِمُوا» مِنَ «الكُمَّة»، والأصلُ: «كُمِّمُوا». وقال الزَّجّاجُ: معناه: طُرِحَ بعضُهم على بعضٍ: ؛ وحقيقةُ ذلك في اللغة تكريرُ الانكِبابِ، كأنه إذا أُلقِيَ يَنكَبُّ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ حتى يَستَقِرَّ فيها. وفي الغَاوِينَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المشركون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الشَّياطينُ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: الآلهةُ، قاله السُّدِّيُّ. ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعُه مِنَ الجنِّ والإنسِ. ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ يعني: هم وآلهتهم، ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا﴾ قال الفراء: لقد كُنّا. وقال الزجاج: ما كُنّا إلا في ضلال.

قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ أي نَعدِلُكم بالله في العِبادةِ ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: الشَّياطينُ. **والثاني**: أوَّلُوهم الذين اقتَدَوا بهم، قال عِكرِمَةُ: إبليسُ وابنُ آدمَ القاتِلُ. قوله

(١) يوسف: ١٠١. (٢) مريم: ٥٠. (٣) إبراهيم: ٤١.
(٤) التوبة: ١١٣. (٥) آل عمران: ١٩٢.

تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ هذا قولُهم إذا شفع الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنون.

[١٠٦٠] وروى جابرُ بنُ عبد الله عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ الرَّجلَ يقول في الجَنَّةِ: ما فعلَ صديقي فُلانٌ؟ وصديقُه في الجَحِيم، فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: أخرجوا له صديقَهُ إلى الجنَّةِ، فيقول مَنْ بقيَ في النار: فمَا لنا مِنْ شَافِعِينَ ولا صَديقٍ حَمِيمٍ؟. والحَمِيمُ: القريبُ الذي تَوَدُّه ويَوَدُّكَ والمعنى: ما لَنَا مِنْ ذِي قَرابةٍ يُهِمُّه أمرُنا، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: رَجعَةً إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِتَحِلَّ لنا الشَّفاعةُ كما حَلَّتْ للمُوَحِّدين.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: القومُ مُذَكَّرون؛ والمعنى كذَّبتْ جماعةُ قوم نُوح.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ كانت الأُخُوَّةُ مِن جهةِ النَّسَبِ بينهم، لا مِنْ جهةِ الدِّين، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ اللهِ بتوحيدِه وطاعَتِه، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على الرِّسالَةِ فيما بيني وبينَ ربِّكم. ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على الدُّعاءِ إلى التَّوحيدِ.

﴿۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ وقرأ يعقوبُ بفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين: «وأتْباعُكَ الأرذلون»، وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الحَاكَةُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الحَاكَةُ والأَسَاكِفَةُ؛ قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: المساكينُ الذين ليس لهم مالٌ ولا عِزٌّ، قاله عَطاءٌ. وهذا جَهلٌ منهم، لأنَّ الصِّناعات لا تَضُرُّ في باب الدِّياناتِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لم أعلَمْ أعمالَهم وصنائِعَهم، ولم أُكلَّفْ ذلك، إنما كُلِّفتُ أنْ أدعُوَهم، ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ فيما يعملون ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ بذلك ما عِبتُمُوهم في صَنائِعهم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما أنا بالذي لا أقبلُ إيمانَهُم لِزَعمِكم أنهم الأرذَلُون. وفي قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ المَشتُومِين، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: مِنَ المَضرُوبِين بالحِجارةِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: مِنَ المَقتُولِين بالرَّجمِ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

[١٠٦٠] أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٥٧ من حديث جابر، وإسناده ضعيف جداً، الوليد بن مسلم يدلس عن كذابين، وههنا شيخه لم يسم، وباقي الإسناد ثقات. وأبو الزبير هو محمد بن مسلم بن تدرس.

قوله تعالى: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ﴾ أي: اقضِ بيني وبينَهم قضاءً، يعني: بالعذابِ ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾ مِنْ ذلك العذابِ. والفُلْكُ قد تقدَّمَ بيانُه. والمَشْحُونُ: المَمْلُوءُ، يُقال: شَحنتُ الإناءَ: إذا مَلأتُهُ؛ وكانت سفينةُ نُوحٍ قد مُلِئَتْ مِنَ الناس والطَّيرِ والحيوانِ كُلِّه، ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ﴾ بعد نَجاةِ نُوحٍ ومَنْ معه ﴿ٱلۡبَاقِينَ﴾.

﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ﴾ وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، وأبو حَيْوَةَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «بكلِّ رَيْع» بفتح الراء. قال الفَرَّاءُ: هما لُغتانِ. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المكانُ المُرتفِعُ؛ روى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: بكلِّ شَرَفٍ. قال الزَّجَّاجُ: هو في اللغة: المَوضِعُ المُرتفعُ مِنَ الأرضِ. **والثاني**: أنه الطريقُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباس، وبه قال قَتادةُ. **والثالث**: الفَجُّ بين الجَبلَيْنِ، قاله مُجاهِدٌ. والآيةُ: العَلامَةُ. وفيما أراد بهذا البناء ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنه أراد: تَبنُونَ ما لا تَسكُنونَ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ؛ والمعنى أنه جعل بِناءَهُم ما يستغنونَ عنه عَبَثاً. **والثاني**: بُروجُ الحَمَام، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ ومُجاهِدٌ. **والثالث**: أنهم كانوا يَبنُونَ في المَواضِعِ المُرتفعَةِ لِيُشرِفُوا على المَارَّةِ فيَسْخَروا منهم ويَعْبَثُوا بهم، وهو معنى قولِ الضَّحَّاكِ. قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قصورٌ مُشيَّدةٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مصانعُ للماءِ تحتَ الأرض، قاله قَتادةُ. **والثالث**: بُروجُ الحَمَام، قاله السُّدِّيُّ. وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: كأنَّكم تَخلُدون، قاله ابنُ عباسٍ، وأبو مالكٍ. **والثاني**: كَيْمَا تَخلُدوا، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ. وقرأ عِكرمَةُ، والنَّخعيُّ، وقَتادةُ، وابنُ يَعمُرَ: «تُخْلَدون» برفع التاء وتسكينِ الخاء وفتح اللام مخفَّفةً. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، وأبو حَصِينٍ: «تُخَلَّدون» بفتح الخاء وتشديدِ اللام. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ المعنى: إذا ضَربتُم ضَرَبتُم بالسِّياطِ ضَرْبَ الجَبَّارين، وإذا عاقَبْتُم قَتَلتم؛ وإنما أنكرَ عليهم ذلك، لأنه صَدَرَ عن ظُلم، إذ لو ضَرَبوا بالسَّيفِ أو بالسَّوطِ في حَقٍّ ما لِيمُوا. وفي قوله: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ قولان: **أحدهما**: ما عذبوا به في الدنيا. **والثاني**: عذاب جهنم.

﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ: «خَلْق» بفتح الخاء وتسكينِ اللام؛ قال ابنُ قُتَيبة: أرادوا اختلاقَهم وكَذِبَهم، يُقال: خَلَقتُ الحديثَ واختَلَقتُه، أي: افتَعلتُه،

قال الفرّاءُ: والعرب تقول للخُرافاتِ: أحاديثُ الخَلْقِ. وقرأ عاصِمٌ، ونافعٌ وابنُ عامرٍ وحَمزةُ وخلف «خُلُق الأولين» بضمّ الخاء واللام. وقرأ ابنُ عباس، وعِكرمةُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «خُلْق» برفع الخاء وتسكينِ اللام؛ والمعنى: عادَتُهم وشأنُهم. قال قَتادةُ: قالوا له: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ثم يموتون، ولا بَعْثَ لهم ولا حِساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي: على ما نَفعَلهُ في الدنيا.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ أي فيما أعطاكُم اللّهُ في الدنيا ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنَ الموت والعذابِ. قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطَّلْعُ: الثَّمرُ. وفي الهَضِيم سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي قد أينَعَ وبلَغَ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباس. **والثاني**: أنه الذي يتهشَّمُ تَهشُّماً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه الذي ليس له نوىً، قاله الحَسنُ. **والرابع**: أنه المُذَنَّبُ مِنَ الرُّطَبِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: اللَّيِّنُ، قاله قَتادةُ، والفرّاءُ. **والسادس**: أنه الحَمْلُ الكثيرُ الذي يركبُ بعضُه بعضاً، قاله الضَّحّاكُ. **والسابع**: أنه الطَّلْعُ قبلَ أنْ ينشقَّ عنه القِشرُ وينفتِحَ، يريد أنه مُنضَمٌّ مُكتَنِزٌ، ومنه قيل: رجلٌ أهضَمُ الكَشْحَيْنِ، إذا كان مُنْضَمَّهُما، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو: «فَرِهين». وقرأ الباقون: «فارِهين» بألِفٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: «فَرِهِينَ»: أَشِرِينَ بَطِرِيْنَ، ويُقال: الهاءُ فيه مُبدَلَةٌ مِنْ حاءٍ، أي: فَرِحِينَ، و «الفرحُ» قد يكون السُّرورَ، وقد يكون الأشَرَ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[1] أي: الأشِرِيْنَ، ومَنْ قرأ: «فَارِهِينَ» فهي لغةٌ أُخرى، يُقال: فَرِهٌ وفَارِهٌ، كما يُقال: فَرِحٌ وفارِحٌ، ويُقال: «فارِهين» أي: حاذِقِينَ؛ قال عِكرمَةُ: حاذِقِينَ بنَحْتِها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: المشركين. وقال مُقاتِلٌ: هم التِّسعةُ الذين عقَروا النّاقةَ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾

---

(١) القصص: ٧٦.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: ممَّنْ له سَحْرٌ، والسَّحْرُ: الرِّئَةُ، والمعنى: أنتَ بَشرٌ مِثلُنا. وجائزٌ أنْ يكونَ مِنَ المُفَعَّلين مِنَ السِّحْرِ؛ والمعنى: ممَّنْ قد سُحِرَ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ. قوله تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ أي: حَظٌّ مِنَ الماء. وقال ابنُ عباسٍ: لها شِرْبٌ معروفٌ لا تَحضُرُوه معها، ولكُمْ شِرْبٌ لا تحضُرُ معكم، فكانت إذا كان يَومُهم حضَروا الماءَ فاقتَسَمُوهُ، وإذا كان يَومُها شَرِبَتِ الماءَ كُلَّه. وقال قتادةُ: كانت إذا كان يومُ شربِها، شَرِبَتْ ماءَهُم أولَ النهار، وسَقَتْهُم اللبَنَ آخرَ النهار. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لها شُرْبٌ» بضمِّ الشين. قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نَدِموا حينَ رَأَوا العذابَ، على عَقرِها، وعذابُهم كان بالصَّيحَةِ.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ
لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ
﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ
مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ وهو جَمْعُ ذَكَرٍ ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: مِنْ بَني آدمَ، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ قال الزَّجَّاجُ: وقرأ ابنُ مسعودٍ: «ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم» يعني به الفُروجَ. وقال مُجاهِدٌ: تَركتُم أقبالَ النساءِ إلى أدبارِ الرِّجالِ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: ظالمونَ مُعتدُونَ. ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ أي: لَئِنْ لم تسكُتْ عن نَهيِنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ مِنْ بَلَدِنا. ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾ يعني: إتيانَ الرِّجالِ ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: مِنَ المُبْغِضِينَ، يُقال: قَلَيْتُ الرَّجلَ: إذا أبغَضتُهُ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي مِنْ عقوبة عَمَلِهم ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ وقد ذكرناهم في هود[1]، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني امرأتَهُ ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي الباقينَ في العذاب. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ أهلكناهم بالخَسْفِ والحَصْبِ، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني الحِجارةَ.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «أصحاب لَيْكَةَ» هاهنا، وفي (صٓ)[2] بغير همزٍ والتاءُ مفتوحةٌ؛ وقرأ الباقون: «الأيكَةِ» بالهمزةِ فيهما والألِفِ. وقد سَبقَ هذا الحَرفُ[3]. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ إنْ قيلَ: لِمَ لَمْ يَقُلْ: أخوهم، كما قال في (الأعراف)[4]؟ فالجواب: أنَّ شُعيباً لم يكن مِنْ نَسْلِ أصحابِ الأيكَةِ، فلذلك لم يَقُلْ: أخوهم؛ وإنما أُرسِلَ إليهم بعدَ أنْ أُرسِلَ

(١) هود: ٨٠.
(٢) صٓ: ١٣.
(٣) الحجر: ٧٨.
(٤) الأعراف: ٨٥.

إلى مَدْيَنَ، وهو مِنْ نَسْلِ مَدْيَنَ، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قولُ مُقاتِلِ بنِ سُليمانَ. وقد ذَكَرْنا في سُورةِ (هود)[١] عن محمَّدِ بنِ كَعبِ القُرَظي، أنَّ أهلَ مَدْينَ عُذِّبوا بعذابِ الظُّلَّة، فإنْ كانوا غيرَ أصحاب الأيكَةِ كما زَعَم مُقاتِلٌ، فقد تَساوَوا في العذاب، وإنْ كان أصحابُ مَدْينَ هم أصحاب الأيكَةِ، وهو مذهبُ ابنِ جَريرِ الطَّبَري كان حذفُ ذِكرِ الأخ تخفيفاً، واللَّهُ أعلَمُ.

﴿۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: مِنَ النَّاقِصين للكَيْلِ، يُقال: أخسَرْتُ الكَيْلَ والوَزْنَ: إذا نَقَصتَهُ. وقد ذكرنا القِسْطاسَ في (بني إسرائيل)[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ أي: وخَلَقَ الجِبِلَّةَ. وقيل: المعنى: واذكُرُوا ما نَزلَ بالجِبِلَّةِ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾. وقرأ الحَسنُ، وأبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ، وابنُ يَعمُرَ، وابن أبي عَبلَةَ: «الجُبُلَّة» برفعِ الجيم والباء جميعاً مشدَّدةَ اللام. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلمي، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: بكسرِ الجيم وتسكينِ الباء وتخفيفِ اللام. قال ابنُ قُتَيبةَ: الجِبلَّة: الخَلْقُ، يُقال: جُبِلَ فُلانٌ على كذا، أي: خُلِقَ، قال الشاعر:

والـمَـوتُ أعـظَـمُ حـادِثٍ ... مِـمَّـا يَـمُـرُّ عـلـى الـجِـبِـلَّـهْ

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي قِطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، و«كِسَفٌ» جمعُ «كِسْفَة»، كما يُقال: قِطَعٌ وقِطْعَةٌ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: مِنْ نُقصان الكَيْلِ والمِيزانِ؛ والمعنى: إنهُ يُجازيكم إنْ شاءَ، وليس عذابُكم بيَدِي، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ قال المُفسِّرون: بعَثَ اللَّهُ عليهم حَرًّا شديداً، فأخَذَ بأنفاسِهم، فخرَجُوا مِنَ البيوت هَرَباً إلى البَرِّيَّة، فبعَثَ اللَّهُ عليهم سَحابةً أظَلَّتْهم مِنَ الشمس، فوجَدُوا لها بَرْداً، ونادى بعضُهم بعضاً، حتى إذا اجتمَعُوا تَحتَها، أرسلَ اللَّهُ عليهم ناراً، فكان ذلك مِنْ أعظَمِ العذاب، فالظُّلَّةُ: السَّحابةُ التي أظَلَّتْهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

---

(١) هود: ٩٤.
(٢) الإسراء: ٣٥.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «نَزَلَ به» خفيفاً «الرُّوحُ الأمينُ» بالرفع. وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «نَزَّلَ» مشددةَ الزاي «الرُّوح الأمين» بالنَّصبِ. والمراد بالرُّوح الأمينِ جبريلُ، وهو أمينٌ على وَحيِ الله تعالى إلى أنبيائِه، ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: نَزَلَ عليكَ فوَعَاهُ قلبُكَ، فثبتَ، فلا تنساهُ أبداً. قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: ممَّنْ أنذرَ بآياتِ الله المُكذِّبين، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بلسانِ قُريشٍ ليَفهَمُوا ما فيه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقرأ الأعمَشُ: «زُبْرِ» بتسكين الباء. وفي هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى القرآن؛ والمعنى: وإنَّ ذِكرَ القرآن وخبرَهُ، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنها تعود إلى رسولِ الله ﷺ، قاله مُقاتِلٌ. والزُّبُرُ: الكُتُب.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «أو لم يكن» بالياء «آيةً» بالنَّصبِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تكن» بالتاء «آيةٌ» بالرفع. وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني، وقَتادةُ: «تكن» بالتاء «آيةً» بالنصب، قال الزَّجَّاجُ: إذا قلتَ: «يكن» بالياء، فالاختيارُ نصبُ «آية» وتكون «أنْ» اسمَ كان، وتكون «آية» خبرَ كان، المعنى: أَوَلَم يكن لهم عِلْمُ علماء بَني إسرائيلَ أنَّ النبيَّ ﷺ حقٌّ، وأنَّ نبوَّتَهُ حقٌّ؟! «آية»: علامةٌ موضِّحةٌ، لأنَّ العلماءَ الذين آمنوا مِنْ بني إسرائيلَ وجدوا ذِكْرَ النبيِّ ﷺ مكتوباً عندهم في التَّوراة والإنجيلِ. ومَنْ قرأ «أَوَلَم تكن» بالتاء جعلَ «آيةٌ» هي الاسمَ، و «أن يعلمه» خبرَ «تكن». ويجوز أيضاً «أو لَم تكن» بالتاء «آيةً» بالنَّصب، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾(١) وقرأ الشَّعبيُّ، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «أن تَعْلَمَهُ» بالتاء.

[١٠٦١] وقال ابنُ عباسٍ: بَعثَ أهلُ مكَّةَ إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمَّدٍ ﷺ، فقالوا: إنَّ هذا لَزمانُه، وإنَّا لَنَجدُ في التوراةِ صِفتَهُ، فكان ذلك آيةً لهم على صِدْقِه.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ أعجَم، والأنثى عَجْمَاءُ، والأعجم: الذي لا يُفصِحُ، وكذلك الأعجميُّ؛ فأمَّا العَجَمي: فالذي مِنْ جنس العَجَم، أفصَحَ أو لَمْ يُفصِح. قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لو قرأَهُ عليهم أعجميٌّ لَقالوا: لا نَفقَهُ هذا، فلَمْ يُؤمِنوا.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

[١٠٦١] لا أصل له. ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٩٨ والقرطبي ١٣/ ١٢٦ كلاهما عن ابن عباس بدون إسناد.

---

(١) الأنعام: ٢٣.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾ قد شرحناه في الحِجْر[1]. والمجرمون هاهنا: المشركون. قوله تعالى: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ قال الفَرَّاءُ: المعنى: كي لا يُؤمِنوا. فأمَّا العذابُ الأليمُ، فهو عند الموت. ﴿فَيَقُولُواْ﴾ عند نزول العذاب ﴿هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾ أي: مُؤَخَّرون لِنُؤمِنَ ونُصَدِّقَ.

[١٠٦٢] قال مُقاتِلٌ: فلمَّا أوعدَهُم رسولُ الله ﷺ بالعذاب، قالوا: فَمتى هو؟ تكذيباً به، فقال الله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ﴾ قال عِكرمةُ: عُمْرَ الدنيا. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: مِنَ العذاب. ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ يعني: رُسُلاً تُنذِرهم العذابَ. ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ أي: مَوعِظةً وتذكيراً.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

[١٠٦٣] سببُ نزولِها أنَّ قُريشاً قالت: إنما تجيءُ بالقرآن الشياطينُ فتُلقيه على لسانِ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ أي: أنْ يَنزِلوا بالقرآن ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أنْ يأتوا به مِنَ السماء، لأنهم قد حِيلَ بينهم وبين السَّمع بالملائكة والشُّهب. ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾ أي: عن الاستماع للوَحي مِنَ السماء ﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾ فكيف يَنزِلون به؟! وقال عطاءٌ: عن سماع القرآن لَمَحجُوبُون، لأنهم يُرْجَمُونَ بالنجوم.

﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُحذِّر به غيرَهُ، يقول: أنتَ أكرمُ الخَلْقِ عليَّ، ولو اتَّخذتَ مِنْ دوني إلهاً لَعَذَّبتُك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

[١٠٦٤] روى البخاريُّ ومُسلمٌ مِنْ حديث أبي هُريرةَ قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزلَ اللهُ تعالى

[١٠٦٢] لا أصل له. ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٩٩ عن مقاتل بدون إسناد. ومقاتل متهم بوضع الحديث.

[١٠٦٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك يضع الحديث.

[١٠٦٤] صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٥٣ و ٣٥٢٧ و ٤٧٧١ ومسلم ٢٠٦ والترمذي ٣١٨٥ والنسائي ٦/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ وأحمد ٢/ ٣٣٣ وابن حبان ٦٤٦ و ٦٥٤٩ والبيهقي ٦/ ٢٨٠ والبغوي ٣٧٤٤ من طرق من حديث أبي هريرة. واللفظ الأول للبخاري، واللفظ الأخير لمسلم. قال: «لما أنزلت هذه الآية **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلُّها ببلالها».

---

(١) الحجر: ١٢.

«وأنذِرْ عشيرَتَكَ الأقرَبين» فقال: «يا مَعْشَرَ قُريشٍ: اشتَرُوا أنفُسَكم مِنَ الله، لا أُغني عنكم مِنَ الله شيئاً، يا بَني عَبْدِ مَنافٍ لا أُغني عنكم مِنَ اللهِ شيئاً، يا عبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ لا أُغني عنكَ مِنَ اللهِ شيئاً، يا صفيةُ عَمَّةَ رسولِ الله لا أُغني عنكِ مِنَ الله شيئاً، يا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ سَلِيني ما شِئتِ ما أُغني عنكِ مِنَ الله شيئاً» وفي بعضِ الألفاظ: «سَلُوني مِنْ مالي ما شِئتُم». وفي لفظٍ: «غيرَ أنَّ لَكُم رَحِماً سأبُلُّها ببلالِها».

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: رَهطَكَ الأدْنَيْن. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ يعني: العشيرة ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الكفرِ. و ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ثِقْ به وفوِّضْ أمرَكَ إليه، فهو عزيزٌ في نِقْمَتِه، رحيمٌ لم يُعجِّل بالعقوبة. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «فتوكَّل» بالفاء، وكذلك في مصاحفِ أهلِ المدينة والشَّام. ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: حينَ تقوم إلى الصلاة، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: حين تقوم مِنْ مَقامِكَ، قاله أبو الجوزاءِ. **والثالث**: حين تَخْلُو، قاله الحَسنُ.
قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ أي: ونرى تقلُّبَكَ ﴿فِي السَّاجِدِينَ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: وتقلُّبَكَ في أصلابِ الأنبياء حتى أخرَجكَ، رواه عِكرمةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: تقلُّبَكَ في الرُّكوعِ والسجود والقيام مع المُصَلِّين في الجماعةِ؛ والمعنى: يَراكَ وحدَكَ ويَراكَ في الجماعة، وهذا قولُ الأكثرين منهم قَتادةُ. **والثالث**: وتصرُّفَكَ في ذهابِكَ ومَجيئِكَ في أصحابِكَ المؤمنين، قاله الحَسنُ.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ هذا رَدٌّ عليهم حينَ قالوا: إنما يأتيهِ بالقرآنِ الشياطين. فأمَّا الأفَّاكُ فهو الكذَّابُ، والأثيمُ: الفاجرُ؛ قال قَتادةُ: وهم الكَهنَةُ.

قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ أي: يُلْقُون ما سمعوه مِنَ السماء إلى الكَهنَةِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم الشياطين. **والثاني**: الكَهنَةُ.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ وقرأ نافعٌ: «يَتْبَعهم» بسكونِ التاء؛ والوَجْهانِ حَسَنان، يقال: تَبِعْتُ واتَّبَعْتُ، مثل حَفَرتُ واحتَفَرتُ.

[١٠٦٥] وروى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، قال: كان رجلانِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ قد تَهاجَيا، فكان مع كلِّ واحدٍ منهما غُواةٌ مِنْ قومه، فقال الله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾. وفي روايةٍ أخرى عن ابنِ عباسٍ، قال: هم شعراءُ المشركين، قال مُقاتِلٌ: منهم عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرِي، وأبو سُفيانَ بنُ حَربٍ، وهُبيرَةُ بنُ أبي وَهْبٍ المَخزومي، في آخَرين، قالوا: نحن نقول مثلَ قولِ محمَّدٍ، وقالوا الشِّعرَ، فاجتمع

[١٠٦٥] واهٍ. أخرجه الطبري ٢٦٨٣٨ عن عطية العوفي عن ابن عباس، وهو واهٍ لأجل عطية العوفي.

إليهم غُواةٌ مِنْ قومِهم يسمعون أشعارَهُم ويَرْوُون عنهم(١).

وفي الغَاوِينَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشياطين، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: السُّفهاء، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: المشركون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ هذا مَثَلٌ بمَنْ يَهيمُ في الأودِيَةِ؛ والمعنى أنهم يأخذون في كلِّ فنّ مِنْ لَغوٍ وكذبٍ وغيرِ ذلك؛ فيَمدَحونَ بباطلٍ ويذُمّونَ بباطلٍ، ويقولون: فَعَلنا، ولم يفعلوا: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[١٠٦٦] لمّا نزلَ ذَمُّ الشعراء، جاء كَعبُ بنُ مالكٍ، وعبدُ الله بن رَواحَةَ، وحسَّانُ بنُ ثابتٍ، فقالوا: يا رسولَ الله، أنزلَ الله هذا وهو يعلم أنّا شعراءُ، فنزلت هذه الآيةُ.

وقال المُفسّرون: وهذا الاستثناءُ لِشُعراء المسلمين الذين مَدَحوا رسولَ الله ﷺ وذَمُّوا مَنْ هَجاهُ، ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: لم يَشْغَلْهُم الشِّعْرُ عن ذِكْرِ الله ولم يجعلوا الشِّعرَ هَمَّهُم. قال ابنُ زيدٍ: وذَكَروا الله في شِعرِهم. وقيلَ: المراد بالذِّكْرِ: الشِّعرُ في طاعة الله عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿وَانتَصَرُوا﴾ أي: مِنَ المشركين ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ لأنَّ لمشركين بَدَؤوا بالهجاء. ثم أوعَدَ شعراءَ المشركين، فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا وهَجَوا رسولَ الله ﷺ والمؤمنين ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «أيَّ» منصوبةٌ بقوله: «ينقلبون» لا بقوله: «سيعلم»، لأنَّ «أيّا» وسائرُ أسماء الاستفهام لا يعملُ فيها ما قَبْلَها. ومعنى الكلام: إنهم يَنقلِبُون إلى نارٍ يُخلَّدون فيها. وقرأ ابنُ مسعودٍ، ومُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو رَجاءٍ: «أيَّ مُتَقَلَّبٍ يَتَقَلَّبُون» بتاءين مفتوحتين وبقافين على كلِّ واحدةٍ منهما نُقطَتان وتشديدِ اللام فيهما. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العَالِيةِ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو عِمرَانَ الجوني، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «أيَّ مُنفَلَتٍ يَنفَلِتُون» بالفاء فيهما وبنونين ساكنين وبتاءين. وكان شُرَيحٌ يقول: سيعلَمُ الظَّالمون حظَّ مَنْ نَقَصوا، إِنَّ الظَّالم يَنتَظِرُ العقابَ، وإِنَّ المَظلومَ ينتظرُ النَّصرَ. والله أعلَمُ.

[١٠٦٦] خبر منكر، لا يصح. أخرجه الطبري ٢٦٨٤٨ و ٢٦٨٥٩ عن سالم البراد وهو مرسل، والمتن غريب، فالسورة مكية والخبر مدني. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بنحوه كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٤٠ وقال ابن كثير بعده: وهكذا قال ابن عباس، وعكرمة وغير واحد وهذه مرسلات لا يعتمد عليها، فالسورة مكية وهؤلاء الشعراء من الأنصار اهـ. بتصرف واختصار.

---

(١) عزاه المصنّف لمقاتل، وهو متروك متهم.

سورة النمل

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللهُ به، وهو مِنْ أسمائِه، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ. وفي روايةٍ أخرى عنه، قال: هو اسمُ اللهِ الأعظمُ. **والثاني**: اسمٌ مِنْ أسماءِ القرآن، قاله قَتادةُ. **والثالث**: الطَّاءُ مِنَ اللطيفِ، والسينُ مِنَ السَّميع، حكاه الثَّعلَبي. قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وكتابٌ مبينٌ» بالرفع فيهما. قوله تعالى: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ أي: بُشرى بما فيه مِنَ الثواب للمُصدِّقين.

قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: حَبَّبْنا إليهم قبيحَ فِعْلِهم. وقد بيَّنَّا حقيقةَ التَّزيينِ والعَمَه في سُورةِ البقرة[1]. وسُوءُ العذاب: شَديدُه.

قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خَسِروا أنفُسَهم وأهليهم وصاروا إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: يُلْقَى عليكَ فتتلَقَّاه أنتَ، أي: تأخُذه. ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: اذْكُر إِذْ قال[2] موسى.

---

(١) البقرة عند الآيات: ١٥، ٢١٢.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٤٤٢: أي اذكر حين سار موسى بأهله، فأضل الطريق وذلك في ليل وظلام، فآنس من جانب الطور ناراً، فقال لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أي عن الطريق، وكان كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم، واقتبس منها نوراً عظيماً، ولهذا قال تعالى: **﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾** أي: فلما أتاها رأى منظراً هائلاً عظيماً حيث انتهى إليها، والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقداً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء. قال ابن عباس: لم تكن ناراً، إنما كانت نوراً يتوهج.

قوله تعالى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُ، ويعقوبُ إلاَّ زيداً: «بشهابٍ» بالتنوين. وقرأ الباقون على الإضافة غيرَ مُنوَّنٍ. قال الزَّجّاجُ: مَنْ نوَّنَ الشِّهابَ، جعل القَبَس مِنْ صِفَةِ الشِّهابِ، وكلُّ أبيضَ ذي نُورٍ، فهو شِهابٌ. فأمَّا مَنْ أضافَ، فقال الفَرَّاءُ: هذا ممَّا يُضاف إلى نفسه إذا اختلفَتِ الأسماءُ، كقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾[1]. قال ابنُ قُتَيبة: الشِّهابُ: النَّارُ، والقَبَسُ: النار تُقْبَس: يُقال: قَبَسْتُ النَّارَ قَبْساً، واسمُ ما قَبَسْتَ: قَبَسٌ.

قوله تعالى: ﴿تَصْطَلُونَ﴾ أي: تَستَدفِئونَ، وكان الزمانُ شتاءً.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ أي: جاء موسى النَّارَ، وإنما كان نُوراً فاعتَقدَهُ ناراً، ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: قُدِّسَ مَنْ في النَّارِ، وهو الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ، والحَسنُ؛ والمعنى: قُدِّسَ مَنْ نادى مِنَ النَّارِ، لا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يَحُلُّ في شيءٍ. **والثاني**: أنَّ «مَنْ» زائدةٌ؛ فالمعنى: بُوركَتِ النَّارُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنَّ المعنى بُورِكَ على مَنْ في النَّارِ، أو فيمَنْ في النَّارِ؛ قال الفَرَّاءُ: والعرب تقول: باركَهُ اللهُ، وبارَكَ عليه، وبارَكَ فيه، بمعنًى واحدٍ، والتقدير: بُورِكَ في مَنْ طلب النارَ، وهو موسى، فحذف المضاف. وهذه تحيَّةٌ مِنَ الله تعالى لموسى بالبَرَكةِ، كما حيَّا إبراهيمَ بالبَركَةِ على ألسنةِ الملائكة حين دخلوا عليه، فقالوا: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[2]. فخرج في قوله تعالى: ﴿بُورِكَ﴾ قولان: **أحدها**: قُدِّسَ. **والثاني**: مِنَ البَركَة. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الملائكة، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: موسى والملائكةُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والثالث**: موسى؛ فالمعنى: بُورِكَ فيمَنْ يطلبها وهو قريبٌ منها.

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ الهاء عِمادٌ في قول أهل اللغة؛ وعلى قول السُّدِّيِّ: هي كِنايةٌ عن المُنادي، لأنَّ موسى قال: مَنْ هذا الذي يُناديني؟ فقيلَ: «إنَّه أنا الله».

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ في الآية محذوفٌ، تقديره: فألقاها فصارت حيَّةً، ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ قال الفَرَّاءُ: الجَانُّ: الحيَّةُ التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لم يَلتَفِتْ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: لم يَرجِعْ، قاله

---

(١) يوسف: ١٠٩. (٢) هود: ٧٣.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٤٤٣: الجانّ ضرب من الحيات، أسرعه حركة، وأكثره اضطراباً.
ـ وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال «نهى رسول الله ﷺ عن قتل الجِنَّان التي في البيوت». أخرجه البخاري ٣٣١٢ و ٣٣١٣ ومسلم ٢٢٣٣ وأبو داود ٥٢٥٣ وابن حبان ٥٦٣٩.

ابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ. قال ابنُ قُتيبةَ: وأهلُ النَّظرِ يرون أنه مأخوذٌ مِنَ العَقِبِ..

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا يخافون عندي. وقيل: المراد: في الموضع الذي يُوحى إليهم فيه، فكأنه نبَّهه على أنَّ مَنْ آمَنَهُ الله بالنبوَّة مِنْ عذابه لا ينبغي أنْ يخافَ مِنْ حيَّةٍ. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ ثلاثةُ أقوال(١):

أحدها: أنه استثناءٌ صحيحٌ، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ؛ والمعنى: إلاَّ مَنْ ظَلَمَ منهم فإنه يخافُ. قال ابنُ قُتيبةَ: عَلِمَ الله تعالى أنَّ موسى مُستَشعِرٌ خيفةً مِنْ ذَنْبه في الرَّجل الذي وَكزَه، فقال: «إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً» أي: تَوبةً وندماً، فإنه يخاف، وإني غفورٌ رحيمٌ.

والثاني: أنه استثناءٌ مُنقطِعٌ؛ والمعنى: لكنَّ مَنْ ظَلَمَ فإنه يخافُ، قاله ابنُ السَّائبِ؛ والزَّجَّاجُ. وقال الفَرَّاءُ: «مَنْ» مُستثناةٌ مِنَ الذين تُركوا في الكلام، كأنه قال: لا يخافُ لَدَيَّ المُرسَلون، إنما الخوف على غيرِهم، إلاَّ مَنْ ظَلَمَ، فتكون «مَنْ» مُستثناةً. وقال ابنُ جَريرٍ: في الآية محذوفٌ، تقديره: إلاَّ مَنْ ظَلَمَ، فمَنْ ظَلَمَ ثم بدَّلَ حُسْناً.

والثالث: أنَّ «إلاّ» بمعنى الواو، فهو كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾(٢)، حكاه الفَرَّاءُ عن بعض النحويين، ولم يَرْضَهُ.

وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري، وابنُ يَعمُرَ: «أَلا مَنْ ظَلَمَ» بفتح الهمزة وتخفيفِ اللام. وللمفسِّرين في المراد بالظُّلم هاهنا قولان(٣):

أحدهما: المعاصي. **والثاني**: الشِّركُ. ومعنى «حُسْناً» توبةً وندماً.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو رَجاءٍ، والأعمَشُ، وابنُ السَّمَيفَع، وعبدُ الوارث عن أبي عمروٍ: «حَسَناً» بفتح الحاء والسين ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: بعد إساءة، وقيل: الإشارة بهذا إلى أنَّ موسى وإنْ كان قد ظَلَمَ نفسه بقَتْلِ القِبْطِيّ، فإنَّ الله يغفِرُ له، لأنه نَدِمَ على ذلك وتابَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ الجَيْبُ حيث جِيبَ مِنَ القميص، أي: قُطِعَ. قال ابنُ جَريرٍ: إنَّما أُمِرَ بإدخال يدِه في جَيْبِه، لأنه كان عليه حِينَئذٍ مِدْرَعةٌ مِنْ صوفٍ ليس لها كُمٌّ. والسُّوء: البَرَصُ. قوله تعالى: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «في» مِنْ صِلَة قوله: «وأَلْقِ عصاكَ» «وأدْخِلْ يَدَكَ»، فالتأويل:

---

(١) قال الزمخشري في «الكشاف» ٣/ ٣٥٦: و ﴿إلا﴾ بمعنى لكن، لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان مظنّة لطروق الشبهة، فاستدرك ذلك. والمعنى: ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء، كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف، ومن موسى بوكزه القبطي، وسماه ظلماً، كما قال موسى: **﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾** ـ القصص: ١٦ ـ والحسن، والسوء: حسن التوبة، وقبح الذنب. وقال الطبري في «تفسيره» ٩/ ٥٠٠: والصواب من القول في قوله تعالى: **﴿إلا من ظلم ثم بدل﴾** أنه استثناء صحيح وهو قول الحسن البصري وابن جريج ومن قال قولهما. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٤٣: وهذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على شيء ثم أقلع عنه ورجع وأناب. فإن الله يتوب عليه كما قال تعالى **﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾** والآيات في هذا كثيرة.

(٢) البقرة: ١٥٠.

(٣) تقدم معنى الظلم بقول الزمخشري رحمه الله، وابن كثير رحمه الله.

أظهِرْ هاتين الآيتين في تسعِ آياتٍ. و «في» بمعنى «مِنْ»، فتأويله: مِنْ تسع آياتٍ؛ تقول: خُذْ لي عشراً مِنَ الإبِلِ فيها فحلانِ، أي: منها فَحْلانِ. وقد شرحنا الآياتِ في بني إسرائيل[١]. قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ أي: مُرْسَلاً إلى فِرعونَ وقومِه، فحذفَ ذلك لأنه معروفٌ. ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بيِّنةً واضحةً، وهو كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[٢] وقد شرحناه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾ أي: هذا الذي نَراهُ عِياناً ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ أي: أنكرُوها ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أنها مِنْ عند الله، ﴿ظُلْمًا﴾ أي: شِرْكاً وعُلُوّاً أي: تكبُّراً. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: وجَحَدوا بها ظُلماً وعُلُوّاً، أي: ترفُّعاً عن أنْ يُؤمِنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها مِنْ عند الله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ﴾ قال المفسِّرون: عِلْماً بالقضاء وبكلام الطَّيْرِ والدَّوابِّ وتسبيحِ الجبال ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالنبوَّة والكتابِ وإلانَةِ الحديد وتسخيرِ الشياطين والجنِّ والإنسِ ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: كان داودُ أشدَّ تعبُّداً مِنْ سُليمانَ، وكان سُليمنُ أعظمَ مُلْكاً منه وأفطنَ.

قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾ أي: وَرِثَ نبوَّتَهُ وعِلْمَهُ ومُلْكَهُ، وكان لداودَ تسعةَ عشرَ ذَكَراً، فخصَّ سليمانَ بذلك، ولو كانت وِراثَةَ مالٍ لَكانَ جميع أولاده فيها سواءً[٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني سُليمانَ لِبَني إسرائيلَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ قرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ: «عَلَّمْنا» بفتحِ العين واللام. قال الفرَّاءُ: «مَنطِق الطَّيْر»: كلامُ الطَّيرِ كالمَنطِقِ إذا فهم، قال الشاعر:

عَجِبْتُ لها أنَّى يَكُونُ غِناؤها ... فَصيحاً ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَمَا[٤]

ومعنى الآية: فَهِمْنَا ما تقولُ الطَّيرُ. قال قَتادةُ: والنَّملُ مِنَ الطَّيرِ. ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: مِنْ كلِّ شيءٍ يجوز أنْ يُؤتاهُ الأنبياءُ والناسُ. وقال مُقاتِلٌ: أُعطينا المُلْكَ والنبوَّةَ والكتابَ والرِّياحَ ومَنْطِقَ الطَّيرِ، وسُخِّرتْ لنا الجِنُّ والشياطين. وروى جعفرُ بنُ محمَّدٍ عن أبيه، قال: أُعطِيَ

---

(١) الإسراء: ١٠٨. (٢) الإسراء: ٥٩.

(٣) هذا القول لا حجة فيه، وهو قول الكلبي كما في «تفسير القرطبي» ١٣/١٤٩، والكلبي كذاب متروك. ـ وانظر الكلام على توريث الأنبياء في سورة مريم: ٧.

(٤) البيت لحميد بن ثور يصف حمامة، كما في «اللسان» فغر، فغر فاه: فتحه، ويعني بالمنطق: بكاؤه.

سليمانُ مُلْكَ مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، فمَلَكَ سبعمائةَ سنة وستةَ أشهرٍ، ومَلَكَ أهلَ الدنيا كلَّهم مِنَ الجنِّ والإنسِ والشياطين والدَّوابِّ والطَّيرِ والسِّباعِ، وأُعطِيَ عِلْمَ كلِّ شيءٍ ومَنطِقَ كلِّ شيءٍ، وفي زمانه صُنِعتِ الصنائعُ المُعَجِّبة، فذلك قوله: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: الذي أعطِينا ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الزيادةُ الظاهرةُ على ما أُعطِيَ غيرُنا. ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ أي: جُمِعَ له كلُّ صِنفٍ مِنْ جُنده على حِدَةٍ، وهذا كان في مسيرٍ له، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال مُجاهِدٌ: يُحبَس أوَّلُهم على آخرِهم. قال ابنُ قُتيبة: وأصلُ الوزْعِ: الكَفُّ والمَنعُ. يُقال: وَزَعْتُ الرَّجل، أي: كَففته، ووازِعُ الجيش: الذي يَكُفُّهم عن التَّفرُّق، ويَردُّ مَنْ شَذَّ منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا﴾ أي: أشرَفوا ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ وفي موضعه قولان:

أحدهما: أنه بالطَّائفِ، قاله كَعبٌ. **والثاني**: بالشَّام، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ وعاصِمٌ الجَحْدَري، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ: «نَمُلَةٌ» بضمِّ الميم؛ أي: صاحَتْ بصوتٍ، فلما كان ذلك الصوتُ مفهوماً عبَّر عنه بالقول؛ ولمَّا نَطَقَ النَّملُ كما ينطِقُ بَنو آدمَ، أُجريَ مجرى الآدميين، فقيل: ﴿ٱدْخُلُوا﴾، وألْهَمَ اللهُ تلك النَّملةَ معرفةَ سُليمانَ مُعْجزاً له، وقد ألْهَمَ اللهُ النَّملَ كثيراً مِنْ مصالحها تزيد به على الحيوانات، فمِنْ ذلك أنها تكسُرُ كلَّ حبَّةٍ تدَّخِرُها قطعتين لئلاً تَنبُتَ، إلاَّ الكُزْبرة فإنها تكسِرُها أربعَ قِطَعٍ، لأنها تَنبُتُ إذا كُسِرَتْ قطعتين، فسُبحانَ مَنْ ألْهَمَها هذا! وفي صفة تلك النَّملةِ قولان: **أحدهما**: أنها كانت كهيئةِ النَّعجَةِ، قال نَوفٌ الشَّامي: كان النَّملُ في زمن سُليمانَ بنِ داودَ كأمثال الذئاب[1]. **والثاني**: كانت نملةً صغيرةً. ﴿ٱدْخُلُوا مَسَٰكِنَكُمْ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «مَسْكَنَكم» على التوحيد. قوله تعالى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ الحطم: الكسر. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَجاءٍ: «لَيَحْطِمَنَّكُمْ» بغير ألِفٍ بعد اللام. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «لا يَحْطِمْكُمْ» بفتح الياء وسكونِ الحاء وتخفيفِ الطاء وسكونِ الميم وحذفِ النون. وقرأ عمروُ بنُ العاصِ، وأبَانٌ: «يَحْطِمَنْكُمْ» بفتح الياء وسكونِ الحاء والنونَ ساكنةً أيضاً والطاءَ خفيفةً. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو مِجْلَزٍ: «لا يَحِطِّمَنَّكُمْ» بفَتح الياء وكسرِ الحاء وتشديدِ الطاء والنون جميعاً. وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وابنُ يَعمُرَ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «يُحْطِمَنَّكُمْ» برفع الياء وسكونِ الحاء وتخفيفِ الطاء وتشديدِ النون. والحَطْمُ: الكَسْرُ، والحُطامُ: ما تَحطَّمَ. قال مُقاتِلٌ: سمع سُليمانُ كلامَها مِنْ ثلاثة أميالٍ. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: وأصحابُ سُليمانَ لم يشعروا بكلام النَّملةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: وأصحابُ سُليمانَ لا يَشْعُرون بمكانِكم، لأنها عَلِمَتْ أنَّه مَلِكٌ لا بَغْيَ فيه، وأنهم لو علموا بالنَّملِ ما توطَّؤوهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ قال الزَّجَّاج؛ «ضاحكاً» منصوبٌ، حالٌ مؤكِّدةٌ، لأنَّ «تبسَّم» بمعنى «ضَحِكَ». قال المُفسِّرون: تبسَّمَ تعجُّباً ممَّا قالت، وقيل: مِنْ ثَنائِها عليه. وقال بعضُ العلماء: هذه الآيةُ مِنْ عجائب القرآن، لأنها بلفظةِ «يا» نادَتْ «أيها» نبَّهَتْ «النمل» عيَّنَتْ «ادخلوا» «مساكنكم» نصت «لا يحطمنكم» حذَّرت «سليمان» خَصَّتْ «وجنوده» عَمَّتْ «وهم لا يشعُرون» عَذرَتْ. قوله

---

(١) قال ابن كثير بعد أن ذكر قول نوف البكالي. هكذا رأيته مضبوطاً بالياء المثناة من تحت (الذياب) وإنما هو بالباء الموحدة، وذلك تصحيف والله أعلم. فصوابه «بالباء» «ذباب» وإلا فهو من مجازفات نوف البكالي.

تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: ألهِمْني، أصلُ الإيزاعِ: الإغراءُ بالشيء، يُقال: أوزَعْتُه بكذا، أي: أغرَيتُه به، وهو مُوزَعٌ بكذا، ومُولَعٌ بكذا. وقال الزَّجَّاجُ. تأويله في اللغة: كُفَّني عن الأشياء إلاَّ عن شُكرِ نِعمَتِكَ؛ والمعنى: كُفَّني عمَّا يُباعِدُ منكَ، ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ﴾ أي: وألهِمْني أن أعمل ﴿صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ قال المُفسِّرون: إنما شكَرَ الله تعالى لأنَّ الريحَ أبلغَتْ إليه صوتَها ففهِمَ ذلك.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ التَّفقُّد: طلبُ ما غابَ عنكَ؛ والمعنى أنه طَلَبَ ما فقدَ مِنَ الطَّير؛ والطَّير اسمٌ جامعٌ للجنس، وكانت الطَّيرِ تصحبُ سليمانَ في سَفَرِه تُظِلُّه بأجنِحَتِها ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، والكِسائيُّ: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ بفتح الياء. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ بالسكون، والمعنى: ما لِلهُدهُدِ لا أراه؟! تقول العرب: مالي أراكَ كئيباً، أي: مَالَكَ؟ فهذا مِنَ المقلوب الذي معناه معلومٌ. قال المُفسِّرون: لمَّا فَصَل سليمانُ عن وادي النَّملِ، وقعَ في قَفْرٍ مِنَ الأرض، فعَطِشَ الجيشُ فسألوه الماءَ، وكان الهُدهُدُ يدلُّه على الماء، فإذا قال له: هاهنا الماء، شقَّقت الشياطينُ الصَّخرةَ وفجَّرت العيونَ قبل أن يضربوا أبنيَتَهم، وكان الهُدهُدُ يرى الماءَ في الأرض كما يرى الماءَ في الزُّجاجة، فطلبه يومَئذٍ فلم يَجِدْهُ. وقال بعضُهم: إنما طلبه لأنَّ الطَّيرَ كانت تُظِلُّهم مِنَ الشمس، فأخلَّ الهُدهُدُ بمكانه، فطلعت الشمسُ عليهم مِنَ الخَلَلِ.

قوله تعالى: ﴿أَمۡ كَانَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: بل كان. قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: نَتْفُ ريشِه، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: نَتْفُه وتَشميسُه، قاله عبدُ الله بنُ شَدَّادٍ. **والثالث**: شَدُّ رِجلِه وتشميسُه، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنْ يطليَهُ بالقَطِرانِ ويُشمِّسَهُ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. **والخامس**: أنْ يودِعَهُ القَفصَ. **والسادس**: أنْ يُفرِّق بينه وبين إلْفِه، حكاهما الثَّعلَبي. قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «لَيَأْتِيَنَّنِي» بِنُونين، وكذلك هي في مصاحِفهم. فأمَّا السلطان، فهو الحُجَّةُ، وقيلَ: العُذر.

وجاء في التفسير أنَّ سُليمان لمَّا نزل في بعض مسيرِه، قال الهُدهُدُ: إنه قد اشتغلَ بالنُّزول فأرتفِعُ أنا إلى السماء فأنظُرُ إلى طُولِ الدنيا وعَرضِها، فارتفع فرأى بستاناً لِبِلْقيسَ، فمَالَ إلى الخُضرة فوقع فيه، فإذا هو بهُدهُدٍ قد لَقِيَه، فقال: مِنْ أين أقبلْتَ؟ قال: مِنَ الشَّام مع صاحبي سُليمانَ، فمِنْ أين أنت؟ قال: مِنْ هذه البلاد، ومَلِكُها امرأةٌ يُقال لها: بِلقِيسُ، فهل أنتَ مُنطَلِقٌ معي حتى ترى مُلْكَها؟ قال: أخاف أنْ يتفقَّدني سليمانُ وقتَ الصَّلاةِ إذا احتاج إلى الماء، قال: إنَّ صاحبَكَ يسرُّه أنْ تأتيَه بخبرِ هذه المَلِكة، فانطلقَ معه، فنظرَ إلى بِلقِيسَ ومُلْكِها، ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ قرأ الجمهور بضمِّ الكاف، وقرأ

عاصِمٌ بفتحها، وقرأ ابنُ مسعودٍ: «فتمكّث» بزيادةِ تاءٍ؛ والمعنى: لم يَلْبَثْ إلاَّ يسيراً حتى جاء، فقال سُليمانُ: ما الذي أبطأ بك؟ ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: عَلِمتُ شيئاً مِنْ جميع جهاتِه ممَّا لم تَعلَمْ به ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «سَبَأَ» نصباً غيرَ مصرُوفٍ، وقرأ الباقون خَفضاً منوّناً(١).

[١٠٦٧] وجاء في الحديث عن رسولِ الله ﷺ «أنَّ سَبأَ رجلٌ مِنَ العرب». وقال قَتادَةُ: هي أرضٌ باليمن يُقال لها: مَأرِبُ. وقال أبو الحسنِ الأخفشُ: إنْ شئتَ صرفتَ «سبأ» فجعلتَهُ اسمَ أبيهم، أو اسمَ الحيِّ، وإنْ شئتَ لم تَصرِفْ فجعَلتَهُ اسمَ القبيلة، أو اسمَ الأرض. قال الزَّجّاجُ: وقد ذكر قومٌ مِنَ النَّحويين أنه اسمُ رجلٍ. وقال آخرون: الاسم إذا لم يُدْرَ ما هو لم يُصرَفْ؛ وكِلاَ القولين خطأٌ، لأنَّ الأسماء حَقُّها الصَّرفُ، وإذا لم يُعلَمْ هل الاسمُ للمذكّرِ أم للمؤنَّث، فحَقُّهُ الصَّرفُ حتى يُعلمَ أنَّه لا ينصَرفُ، لأنَّ أصلَ الأسماء الصَّرفُ. وقولُ الذين قالوا: هو اسمُ رجلٍ، غَلطٌ، لأنَّ سبأَ هي مدينةٌ تُعرف بمَأرِب مِنَ اليمن، بينها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ، فمَنْ لم يصرِفْهُ جعله اسمَ مدينةٍ، ومَنْ صرفَهُ فلأنَّه اسمُ البلد، فيكون مذكَّراً سُمِّيَ بمذكَّرٍ.

قوله تعالى: ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي: بخبرٍ صادقٍ، ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني بِلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الزَّجّاجُ: معناه: مِنْ كلِّ شيءٍ يُعطاه الملوك ويؤتاهُ الناس. والعَرشُ: سريرُ المَلِكِ. قال قتادَةُ: كان عَرشُها مِنْ ذهبٍ، قوائمُه مِنْ جوهرٍ مكلَّلٌ باللؤلؤِ، وكان أحدُ أبوَيها مِنَ الجنِّ، وكان

[١٠٦٧] صحيح. أخرجه الترمذي ٣٢٢٢ وابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٨ والطبري ٢٨٧٨٣ من طرق عن أبي أسامة عن الحسن بن الحكم ثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك به. وإسناده لين، لأجل أبي سبرة، فإنه مقبول، وباقي الإسناد ثقات. وقال الترمذي. حسن غريب. وورد من وجه آخر. أخرجه البخاري في «التاريخ» ٧/ ١٢٦/ ٥٦٨ والحاكم ٢/ ٤٢٤ من طريق الحميدي عن فرج بن سعيد حدثني عمي ثابت بن سعيد عن أبيه عن فروة به. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد، لأجل ثابت بن سعيد بن أبيض، فإنه مقبول هو وأبوه. وباقي الإسناد ثقات. وسكت عليه الحاكم، وصححه الذهبي، وورد من وجه آخر. أخرجه الطبري ٢٨٦٨٢ من طريق أبي حيان عن يحيى بن هانئ عن عروة المرادي عن فروة به. وإسناده ضعيف، فيه مجاهيل، وورد من وجه آخر. أخرجه الطبري ٢٨٧٨٤ من طريق أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادي عن أبيه أو عن عمه ـ شك أسباط ـ قال: قدم فروة، فهذا مرسل. وفيه من لم يسم فهو ضعيف. وله شاهد من حديث يزيد بن حصين، أخرجه الطبراني ٢٢/ ٢٤٥. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٤/ ١١٢٨٧: رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن الصائغ، ولم أعرفه. قلت: ذكره الخطيب في «التاريخ» ١١/ ٣٧٦ من غير جرح أو تعديل، وبكل حال يصلح شاهداً لما قبله، ويشهد له حديث ابن عباس، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٣ وصححه، ووافقه الذهبي. الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده، وقال ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٥٣٨: إسناده حسن قوي. وانظر «تفسير القرطبي» ١١٢ و «تفسير الشوكاني» ٢٠٤٩ وكلاهما بتخريجي.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٥٠٩: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لأن سبأ إن كان رجلاً كما جاء به الأثر، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أجري، وإن أريد به اسم القبيلة لم يجر، وإن كان سبأ جبلاً، أجري لأنه يراد به الجبل بعينه، وإن لم يجر فلأنه يجعل اسماً للجبل وما حوله من البقعة.

مؤخَّرُ أحدِ قدميها مثل حافرِ الدَّابة، وقال مُجاهِدٌ: كان قدماها كحافرِ الحمار. وقال ابنُ السَّائبِ: لم يكن بقدميها شيءٌ، إنما وقع الجِنُّ فيها عند سُليمانَ بهذا القول، فلمَّا جعل لها الصَّرحَ بانَ له كذبُهم. قال مُقاتِلٌ: كان ارتفاع عرشها ثمانين ذراعاً في عرضِ ثمانين، وكانت أُمُّها مِنَ الجِنِّ[١]. قال ابنُ جَريرٍ: وإنما صار هذا الخبر عُذراً للهُدهُدِ، لأنَّ سُليمانَ كان لا يرى لأحدٍ في الأرض مملكةً سِواهُ، وكان مع ذلك يحبُّ الجهاد، فلمَّا دَلَّهُ الهُدهُدُ على مملكةٍ لغيره، وعلى قوم كَفَرةٍ يُجاهدهم، صار ذلك عُذراً.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ قرأ الأكثرون: «ألاَّ» بالتشديد. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: وزيَّنَ لهم الشيطانُ ألاَّ يسجدوا، أي: فَصَدَّهم لئلاَّ يَسجُدوا. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، والحسَنُ، والزُّهريُّ وقتادةُ، وأبو العَالِيةِ، وحُمَيدٌ الأعرجُ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، والكِسَائيُّ: «ألا يسجُدوا» مخفَّفةً، على معنى: ألا يا هؤلاءِ اسجُدوا، فيكون في الكلام إضمارُ «هؤلاء» ويُكتفى منها بـ «يا»، ويكون الوقفُ «ألا يا» والابتداءُ «اسجدوا»؛ قال الفَرَّاءُ: فعَلَى هذه القراءة هي سَجدَةٌ، وعلى قراءة مَنْ شدَّد لا ينبغي لها أن تكون سَجدَةً. وقال أبو عُبيدَةَ: هذا أمرٌ مِنَ الله مُستأنَفٌ، يعني: ألا يا أيُّها الناسُ اسجُدُوا. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيٌّ: «هلاَّ يسجدوا» بهاءٍ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: المُستَتِر فيهما، وهو مِنْ خَبَأْتُ الشيءَ: إذا أخفيتَهُ، ويُقال: خبْءُ السمواتِ: المطر، وخَبْءُ الأرض: النباتُ. وقال الزَّجَّاجُ: كلُّ ما خَبَأْتَهُ فهو خَبْءٌ، فالخَبْءُ: كُلُّ ما غابَ؛ فالمعنى: يعلم الغيبَ في السمواتِ والأرضِ. وقال ابنُ جَريرٍ: «في» بمعنى «مِنْ» فتقديره: يُخرِجُ الخَبْءَ مِنَ السمواتِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ قرأ حَفصٌ عن عاصِم، والكِسَائيُّ، بالتاء فيهما. وقرأ الباقون بالياء. قال ابنُ زيدٍ: مِنْ قوله: ﴿أَحَطتُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ كلامُ الهُدهُدِ. وقرأ الضَّحَّاكُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «العَظيمُ» برفع الميم.

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

فلمَّا فَرغَ الهُدهُدُ مِنْ كلامه ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ فيما أخبرتَنا به ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما قلتَ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وإنما شَكَّ في خبره، لأنه أنكرَ أنْ يكون لغيره في الأرض سلطانٌ. ثم كتب كتاباً وختمَهُ بخاتَمِه ودَفعَهُ إلى الهُدهُدِ وقال: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ: «فألقِهي» موصولةً بياءٍ. وقرأ أبو عمرٍو، وعاصِمٌ، وأبو جعفرَ، وحمزَةُ: «فألقِهْ» بسكون الهاء، وروى قَالُونُ عن نافع: كَسْرَ الهاء مِنْ غير إشبَاع؛ ويعني: إلى أهلِ سَبأ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أعرِضْ. **والثاني**: انصرِفْ، ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يَرُدُّون مِنَ الجواب. فإنْ قيلَ: إذا تولَّى عنهم فكيف يعلم جوابَهُم؟ فعنه جوابان[٢]: **أحدهما**: أنَّ المعنى: ثم تَولَّ عنهم مُستتراً

---

(١) هذا وما قبله وأمثالها من الإسرائيليات المنكرة.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٤٤٨: كتب سليمان كتاباً إلى بلقيس وقومها. وأعطاه للهدهد فحمله =

مِنْ حيثُ لا يَرونَكَ، فانظُرْ ماذا يردُّون مِنَ الجواب، وهذا قولُ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. **والثاني**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: فانظُرْ ماذا يرجِعون ثم تَولَّ عنهم، وهذا مذهبُ ابنِ زيدٍ. قال قَتادَةُ: أتاها الهُدهُدُ وهي نائمةٌ فألقى الكتاب على نحرِها فقرأَتْهُ وأخبرَتْ قومَها. وقال مُقاتِلٌ: حَمَلَهُ بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة، فرَفرَفَ ساعةً والناسُ ينظُرون، فرفعت رأسَها فألقى الكتابَ في حِجْرِها، فلمَّا رأتِ الخاتَمَ أُرْعِدَتْ وخَضعَتْ وخضعَ مَنْ معها مِنَ الجنود. واختلفوا لأيِّ عِلَّةٍ سمَّتْهُ كريماً على سبعةِ أقوالٍ: **أحدها**: لأنه كان مختوماً، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لأنها ظنَّته مِنْ عندِ الله عزَّ وجلَّ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنَّ معنى قولها: «كريمٌ»: حَسَنٌ ما فيه، قاله قَتادَةُ، والزَّجَّاجُ. **والرابع**: لكلام صاحبه، فإنه كان مَلِكاً، ذكره ابنُ جَريرٍ. **والخامس**: لأنه كان مَهيباً، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والسادس**: لتسخيرِ الهُدهُدِ لِحَمْلِه، حكاه الماوَرديِ. **والسابع**: لأنها رأتْ في صدره «بسم الله الرحمن الرحيم»، حكاه الثَّعلَبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: إنَّ الكتابَ مِنْ عنده ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإنَّ المكتوبَ «بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا علي» أي: لا تتكبَّروا. وقرأ ابنُ عباسٍ: «تَغْلُوا» بغينٍ مُعجمةٍ وأتوني ﴿مُسْلِمِينَ﴾ أي: مُنقادينَ طائعينَ. ثم استشارت قومَها، فـ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ يعني الأشرافَ، وكانوا ثلاثمائةٍ وثلاثةَ عشرَ قائداً، كلُّ رجلٍ منهم على عشرةِ آلافٍ. وقال ابنُ عباسٍ: كان معها مائة ألفِ قَيْلٍ، مع كلِّ قَيْلٍ مائة ألفٍ. وقيل: كانت جنودها ألفَ ألفٍ ومائتي ألفٍ.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ أي: بيِّنوا لي ما أفعل، وأشيروا عليَّ. قال الفرَّاءُ: جَعلَتِ المَشورةَ فُتْيا، وذلك جائزٌ لسَعَةِ اللغة. قوله تعالى: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ أي: فاعلَتَه ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي: تَحضُرون: والمعنى: إلاَّ بحضورِكُم ومَشورَتِكم. ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم أرادوا القُوَّة في الأبدان. **والثاني**: كثرة العَدَد والبأس والشجاعة في الحرب. وفيما أرادوا بذلك القول قولان: **أحدهما**: تفويض الأمرِ إلى رأيها. **والثاني**: تعريضٌ منهم بالقتالِ إنْ أمَرتْهم. ثم قالوا: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: في القتال وتَرْكِه. ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إذا دخلوها عَنْوةً عن قتالٍ وغَلَبةٍ. قوله تعالى: ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ أي: خرَّبوها ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ أي: أهانوا أشرافَها ليستقيمَ لهم الأمرُ. ومعنى الكلام: أنها حذَّرتْهم مسيرَ سُليمانَ إليهم ودخولَهُ بلادها. قوله تعالى:

= وجاء قصر بلقيس إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هناك بين يديها، ثم تولى ناحيةً أدباً ورياسةً فتحيرت مما رأت وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب، وقرأته وفتحت ختمه، فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها، ثم قالت: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم﴾ تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره، كون الطائر أتى به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدباً وهذا أمر لا يقدر عليه أحدٌ من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزَّجّاجُ. **والثاني**: مِنْ تمام كلامها؛ والمعنى: وكذلك يفعلُ سُليمانُ وأصحابه إذا دخلوا بلادَنا، حكاه المَاوَرِدي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنما أرسَلت الهديَّةَ لتعلمَ أنه إن كان نبيًّا لم يُرِد الدُّنيا، وإنْ كان مَلِكاً فسيرضى بالحَمْلِ، وأنها بَعثَتْ ثلاثَ لَبِناتٍ مِنْ ذهبٍ في كلِّ لَبِنةٍ مائةُ رطلٍ؛ وياقوتةَ حمراءَ طولُها شبرٌ مثقوبة، وثلاثين وَصِيفاً وثلاثين وَصِيفةً، وألبَسَتْهم لِباساً واحداً حتى لا يُعرفَ الذَّكَرُ مِنَ الأنثى، ثم كَتَبَتْ إليه: إنِّي قد بعثتُ إليكَ بهديَّةٍ فاقبَلْها، وبعثتُ إليكَ بياقوتةٍ طولُها شِبرٌ، فأدخِلْ فيها خيطاً واختمْ على طَرَفي الخيط بخاتَمكَ، وقد بعثتُ إليكَ ثلاثين وَصِيفاً وثلاثين وَصِيفةً، فميِّز بين الجواري والغِلمان؛ فجاء أميرُ الشياطين فأخبره بما بعثَتْ إليه، فقال له: انطَلِقْ فافرشْ على طريق القوم مِنْ باب مجلسي ثمانيةَ أميالٍ في ثمانيةِ أميالٍ لَبِناً مِنَ الذهب؛ فانطلَقَ، فبعثَ الشياطين، فقطعوا اللَّبِنَ مِنَ الجبال وطَلَوه بالذهب وفَرَشُوه، ونَصَبوا في الطريق أساطِينَ الياقوتِ الأحمرِ، فلمَّا جاء الرُّسُلُ، قال بعضُهم لبعضٍ: كيف تدخُلون على هذا الرجل بثلاثِ لَبِناتٍ، وعنده ما رأيتم؟! فقال رئيسُهم: إنما نحن رُسُلٌ، فدَخَلوا عليه، فوضعوا اللَّبِنَ بين يديه، فقال: أتُمِدُّونني بمالٍ؟ ثم دَعَا ذَرَّةً فربطَ فيها خيطاً وأدخلها في ثَقْب الياقوتةِ حتى خرجت مِنْ طرفها الآخر، ثم جمع بين طَرَفي الخيط فختَمَ عليه ودَفعَها إليهم، ثم ميَّزَ بين الغِلمان والجواري؛ هذا كلُّه مرويٌّ عن ابنِ عباسٍ[1]. وقال مُجاهِدٌ: جعلَتْ لباسَ الغِلمان للجواري ولباسَ الجواري للغلمان، فميَّزهم ولم يَقبَلْ هديَّتها. وفي عدد الوَصائفِ والوُصفاءِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: ثلاثون وَصِيفاً وثلاثون وَصِيفةً، وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: خمسمائة غلام وخمسمائة جاريةٍ، قاله وَهْبٌ. **والثالث**: مائتا غلامٍ ومائتا جاريةٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: عشرة غلمانٍ وعشر جَوارٍ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: مائةُ وَصِيفٍ ومائة وَصِيفةٍ، قاله مُقاتِلٌ. وفيما ميَّزهم به ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أمَرَهُم بالوضوء، فبدأ الغلامُ مِنْ مِرفَقِه إلى كَفِّه، وبدأتِ الجاريةُ مِنْ كفِّها إلى مِرفَقِها، فميَّزهم بذلك، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنَّ الغِلمان بدؤوا بغَسْلِ ظُهور السَّواعدِ قبل بُطونها، والجَواري على عكس ذلك، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنَّ الغلام اغترَفَ بيده، والجارية أفرغت على يدِها، قاله السُّدِّيُّ. وجاء في التفسير أنها أَمَرتِ الجواري أنْ يُكلِّمنَ سُليمانَ بكلام الرجال، وأمرَتِ الرجالَ أنْ يُكلِّموه كلامَ النساء، وأرسلَتْ قَدَحاً أنْ يملأه ماءً ليس مِنَ ماء السماء ولا مِنْ ماءِ الأرض، فَجرَى الخَيْلَ ومَلأه مِنْ عَرَقِها.

قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أي: بقَبولٍ أمْ بِرَدٍّ. قال ابنُ جَريرٍ: وأصل «بِمَ»: بما، وإنما أُسقِطَت الألِفُ لأنَّ العرب إذا كانت «ما» بمعنى «أيّ» ثم وَصَلوها بحرفٍ خافضٍ، أسقَطُوا أَلِفَها، تفريقاً بين الاستفهام والخبر، كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾[2] و ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡ﴾[3]، وربما أثبتوا فيها الألِفَ كما قال الشاعر:

عَلَى مَا قامَ يَشْتُمُنا لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ؟[4]

---

(١) هو متلقىً عن أهل الكتاب. ولا يصح شيء في تعيين الهدية أو وصفها، وكل ذلك من الإسرائيليات.

(٢) النبأ: ١. (٣) النساء: ٩٧.

(٤) البيت لحسان بن ثابت، ديوانه: ١٤٣.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ قال الزَّجَّاج: لمَّا جاء رسولُها، ويجوز: فلمَّا جاء برُّها.

قوله تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «أتُمِدُّونَني» بنونين وياءٍ في الوَصْلِ. وروى المسيَّبي عن نافع: «أتُمِدُّوني» بنونٍ واحدةٍ خفيفةٍ وياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ: «أتُمِدُّونَنِ» بغير ياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ حمزَةُ: «أتُمِدُّونّي بمال» بنونٍ واحدةٍ مشددةٍ ووَقَفَ على الياء.

قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «فما آتانِ» بكسرِ النون مِنْ غير ياءٍ. وقرأ أبو عمرو، ونافعٌ، وحَفْصٌ عن عاصِم: «أتانيَ اللهُ» بفتح الياء. وكلُّهم فَتَحَ التاءَ غيرَ الكِسَائيِّ، فإنه أمالَها مِنْ «أتاني اللّهُ» وأمَالَ حمزةُ: «أنا آتيكَ به» أشمَّ النونَ شيئاً مِنَ الكسرِ، والمعنى: فما آتاني اللّهُ، أي: مِنَ النبوَّة والمُلْكِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ مِنَ المال ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يعني إذا أهدى بعضُكم إلى بعضٍ فرِحَ، فأمَّا أنا فلا، ثم قال للرَّسول: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ أي: لا طاقةَ ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ يعني بلدتَهم. فلمَّا رجعتْ رُسلُها إليها بالخبر، قالت: قد علمتُ أنَّه ليس بمَلِكٍ وما لنا به طاقةٌ، فبعثَتْ إليه: إني قادِمةٌ عليكَ بملوكِ قومي لأنظُرَ ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشِها فجُعِلَ وراء سبعةِ أبواب، ووكَّلَتْ به حَرَساً يحفظونه، وشَخصَتْ إلى سُليمانَ في اثني عشرَ ألفِ مَلِكٍ، تحت يَدَي كلِّ ملِكٍ ألوفٌ. وكان سُليمانُ مَهيباً لا يَبتَدئ بشيءٍ حتى يَسألَ عنه، فجلس يوماً على سرير مُلكه فرأى رَهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقِيسُ قد نزلت بهذا المكان، وكان قَدْرَ فرسَخٍ، وقد كان بَلَغَهُ أنها احتاطَتْ على عرشها قبل خُروجها، و ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ وفي سببِ طلبه له خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: ليعلَمَ صِدْقَ الهُدهُدِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ليجعلَ ذلك دليلاً على صِدقِ نبوَّتِه، لأنها خلَّفَتْهُ في دَارِها واحتاطَتْ عليه، فوجدَتْهُ قد تقدَّمها، قاله وَهبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: لِيختَبرَ عقلَها وفِطنَتَها، أتعرِفُه أَمْ تُنكِرُه، قاله سعيدُ بنُ جُبَير. **والرابع**: لأنَّ صفتَهُ أعجبَتْهُ، فخشِيَ أنْ تُسلِمَ فيَحرُمَ عليه مالُها، فأراد أخذَهُ قبلَ ذلك، قاله قَتادَةُ.

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٩/٥٢١: وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضار عرش المرأة دون سائر ملكها عندها ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ويعرّفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض مغلق مقفل فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله إلى وليه من خلقه وسلمه إليه فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان وعلى صدقه فيما أعلمها من نبوته.

والخامس: لِيُريَها قُدرةَ الله تعالى وعِظَمَ سُلطانِه، حكاه الثَّعلَبي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قال أبو عُبيدَة: العِفريتُ مِنْ كلِّ جنٍّ أو إنسٍ: الفائقُ المُبالغُ الرَّئيسُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: العِفريتُ: الشرير الوَثِيقُ. وقال الزَّجَّاجُ: العِفريتُ: النَّافِذُ في الأمرِ، المُبالغُ فيه مع خُبثٍ ودَهاءٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو العَاليةِ، وابنُ يَعمُرَ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «قال عَفْرِيت» بفتح العين وكَسْرِ الراء، وروى ابنُ أبي شُرَيح عن الكِسَائيِّ: «عِفْرِيَة» بفتح الياء وتخفيفِها، ورُوي عنه أيضاً تشديدُها وتنوينُ الهاء على التأنيث. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيفَع: «عِفْرَاةٌ» بكسرِ العين وفتح الراء وبألِفٍ مِنْ غير ياءٍ.

قوله تعالى: ﴿قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ أي: مِنْ مجلِسِكَ؛ ومثله: «في مقام أمينٍ»[1]. وكان سُليمانُ يجلس للقضاء بين الناس مِنْ وقت الفَجرِ إلى طلوعِ الشمس، وقيل: إلى نصفِ النهار. ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ﴾ أي: على حَمْلِه ﴿لَقَوِيٌّ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿أَمِينٞ﴾ قولان: **أحدهما:** أمينٌ على ما فيه مِنَ الجَوهرِ والدُّرِّ وغير ذلك، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني:** أمينٌ أنْ لا آتيكَ بغيره بَدَلاً منه، قاله ابنُ زيدٍ. قال سُليمانُ: أريد أسرَعَ مِنْ ذلك. ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهل هو إنسِيٌّ أم مَلَكٌ؟ فيه قولان: **أحدهما:** إنسِيٌّ، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو صالح، ثم فيه أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّه رجلٌ مِنْ بَني إسرائيلَ، واسمه آصَفُ بنُ برخياء، قاله مُقاتِلٌ. قال ابنُ عباسٍ: دعا آصَفُ ـ وكان آصَفُ يقوم على رأس سُليمانَ بالسيف ـ فبعثَ اللَّهُ الملائكةَ فحملوا السَّريرَ تحتَ الأرض يَخُدُّون الأرضَ خَدًّا، حتى انخرقت الأرضُ بالسرير بين يَدَي سُليمانَ. والثاني: أنه سُليمانُ عليه السلام، وإنما قال له رجلٌ: أنا آتِيكَ به قبل أنْ يرتدَّ إليكَ طَرْفُكَ، فقال: هاتِ، قال: أنتَ النبيُّ ابنُ النبيِّ، فإنْ دَعوتَ اللَّهَ جاءَكَ، فَدَعا اللَّهَ فجاءَهُ، قاله محمَّدُ بنُ المُنكَدِرِ. والثالث: أنَّه الخَضِرُ، قاله ابنُ لَهِيعَةَ[2]. والرابع: أنه عابدٌ خرج يومَئِذٍ مِنْ جزيرةٍ في البحر فوَجدَ سُليمانَ فَدَعا فأُتيَ بالعَرشِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والقول الثاني:** أنه مِنَ الملائكة، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه جِبريلُ عليه السلام. والثاني: مَلَكٌ مِنَ الملائكة أيَّدَ اللَّهُ تعالى به سُليمانَ، حكاهما الثَّعلَبي. وفي العِلْم الذي عنده مِنَ الكتاب ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها:** أنه اسمُ الله الأعظَمُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والجمهور. **والثاني:** أنه عِلْمُ كتاب سُليمانَ إلى بِلقِيسَ. **والثالث:** عِلْمُ ما كتبَ اللَّهُ لبَني آدمَ، وهذا على أنه مَلَكٌ، حكى القولين المَاوَرْدي. وفي قوله تعالى: ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها:** قبل أنْ يأتيكَ أقصى ما تنظرُ إليه، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثاني:** قبل أنْ ينتهيَ طَرفُكَ إذا مدَدتَهُ إلى مَداهُ، قاله وَهْبٌ. **والثالث:** قبل أنْ يرتَدَّ طَرفُكَ حسيراً إذا أدمتَ النَّظرَ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع:** بمقدار ما تفتحُ عينَكَ ثم تَطرف، قاله الزَّجَّاجُ: قال مُجاهِدٌ: دعا فقال: يا ذا الجَلالِ والإكرَامِ، وقال ابنُ السَّائبِ: إنما قال: يا حيُّ يا قيُّومُ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ في الكلام محذوفٌ تقديره: فَدَعا اللَّهَ فأُتيَ به، فلمَّا رآهُ، يعني: سُليمان ﴿مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ أي ثابتاً بين يديه ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ يعني التَّمكُّن مِنْ حصول المراد.

قوله تعالى: ﴿ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ فيه قولان: **أحدهما:** أأشكرُ على السَّريرِ إذْ أُتيتُ به، أم أكفرُ إذا

---

(١) الدخان: ٥١.

(٢) ابن لهيعة: ضعيف إذا وصل الحديث فكيف إذا أرسله، وقد استغرب ابن كثير هذا القول جداً.

رأيتُ مَنْ هو دوني في الدنيا أعلَمُ منّي، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أأشكُرُ ذلك مِنْ فضل الله عَليَّ، أمْ أكفرُ نعمتَهُ بتَرْكِ الشُّكرِ له، قاله ابنُ جَريرٍ.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ قال المُفسِّرون: خافت الشياطينُ أنْ يتزوَّجَ سُليمانُ بلقِيسَ فتُفشي إليه أسرارَ الجنِّ، لأنَّ أُمَّها كانت جِنيّةً، فلا ينفكُّون مِنْ تسخير سُليمانَ وذرِّيَّته بعدَهُ، فأساؤوا الثناءَ عليها وقالوا: إنَّ في عقلِها شيئاً، وإنَّ رِجلَها كحافرِ الحمار، فأراد سليمانُ أن يختبرَ عقلَها بتنكيرِ عَرْشِها، وينظرَ إلى قَدَميها ببناءِ الصَّرح. قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى «نكِّروا»: غَيِّرُوا، يُقال: نَكَّرتُ الشيءَ فتنكَّر، أي: غيَّرتُه فتغيَّرَ. وللمفسِّرين في كيفية تغييره ستةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه زِيدَ فيه ونُقِصَ منه، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم جعلوا صفائحَ الذهب التي كانت عليه مكان صفائح الفضّة، وصفائحَ الفضّة مكانَ صفائح الذهب، والياقوتَ مكانَ الزَّبَرْجَدِ، والدُّرَّ مكانَ اللؤلؤِ، وقائمتَي الزَّبَرْجَدِ مكانَ قائمتَي الياقوتِ، قاله ابنُ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنهم نزعوا ما عليه مِنْ فُصوصِه وجواهِره، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والرابع**: أنهم جعلوا ما كان منه أحمرَ أخضرَ، وما كان أخضرَ أحمرَ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنهم جعلوا أسفلَهُ أعلاهُ، ومُقدَّمَهُ مُؤخَّرَه، وزادوا فيه، ونَقَصُوا منه، قاله قَتادةُ. **والسادس**: أنهم جعلوا فيه تماثيلَ السَّمَكِ، قاله أبو صالحٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها لمَّا رأتْهُ جعلَتْ تَعْرِف وتُنْكِر، ثم قالت في نفسها: مِنْ أين يَخْلُص إلى ذلك وهو في سبعة أبياتٍ والحَرسُ حولَهُ؟! ثم قالت: كأنه هو، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وقال قَتادةُ: شبَّهتْه بعَرشِها. وقال السُّدِّيُّ: وجدَتْ فيه ما تعرفُه فلم تُنْكِر، ووجدَتْ فيه ما تُنْكِرُه فلم تُثْبِت، فلذلك قالت: كأنه هو. **والثاني**: أنَّها عَرَفَتْه، ولكنها شبَّهتْ عليهم كما شبَّهوا عليها، فلو أنهم قالوا: هذا عَرشُكِ، لَقالَتْ: نعم، قاله مُقاتِلٌ. قال المفسِّرون: فقيلَ لها: فإنه عَرشُكِ، فما أغنى عنكِ إغلاقُ الأبواب؟!

وفي قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قول سليمانَ، قاله مُجاهِدٌ، ثم في معناه قولان: أحدهما: وأُوتينا العِلْمَ بالله وقُدرتِه على ما يشاءُ مِنْ قبل هذه المرأةِ. والثاني: أُوتينا العِلْمَ بإسلامِها ومجيئِها طائعة من قبل مجيئها وكُنَّا مُسْلِمِين لله. **والقول الثاني**: أنه مِنْ قول بلقيسَ، فإنها لمَّا رأتْ عرشَها، قالت: قد عرفتُ هذه الآيةَ، وأُوتينا العِلْمَ بصِحَّة نبوَّة سُليمانَ بالآياتِ المُتقدِّمةِ، تعني أمرَ الهُدهُدِ والرُّسُلِ التي بُعثَتْ مِنْ قَبْلِ هذه الآيةِ، وكُنَّا مُسْلِمين مُنقادِينَ لأمرِكَ قبل أنْ نجيءَ. **والثالث**: أنه مِنْ قول قومِ سُليمانَ، حكاه المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: معنى الكلام: هي عاقلةٌ، إنَّما صدَّها عن عبادة الله عبادتُها الشمسَ والقمرَ، وكان عادةً مِنْ دِيْنِ آبائها؛ والمعنى: وصَدَّها أنْ تعبدَ اللَّهَ ما كانت

تعبدُ، قال: وقد قيلَ: صَدَّها سليمانُ، أي: مَنَعها ما كانت تعبُدُ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: صَدَّها عن الإيمان العادةُ التي كانت عليها، لأنها نشأت ولم تعرِفْ إلاّ قوماً يعبُدون الشمسَ، وبيَّن عبادَتَها بقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ وقرأ سعيدُ بنُ جُبيرٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «أنَّها كانت» بفتحِ الهمزة.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ قال المُفسِّرون: أَمرَ الشياطين فبنَوا له صَرْحاً كهيئة السَّطح مِنْ زُجاج. وفي سبب أمرِهِ بذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدهما**: أنه أراد أنْ يُريَها مُلكاً هو أعزُّ مِنْ مُلكِها، قاله وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ. **والثاني**: أنه أراد أنْ ينظرَ إلى قَدَمِها مِنْ غير أنْ يسألَها كَشفَها، لأنه قيلَ له: إنَّ رِجلَها كحافرِ الحمار، فأمَرَ أنْ يُهيَّأَ لها بيتٌ مِنْ قَواريرَ فوق الماء، ووُضِعَ سريرُ سُليمانَ في صدر البيت، هذا قولُ محمَّدِ بن كَعبٍ القُرَظي. **والثالث**: أنه فَعلَ ذلك ليختبِرَها كما اختبَرَتْهُ بالوَصائِفِ والوصفاءِ، ذكره ابنُ جَريرٍ. فأمَّا الصَّرْحُ، فقال ابنُ قُتيبةَ: هو القَصرُ، وجمعه: صُرُوح، ومنه قول الهُذَليّ:

تَـحْـسَـبُ أعـلامَـهُـنَّ الـصُّـروحـا[1]

قال: ويُقال: الصَّرحُ بَلاطٌ اتُّخِذ لها مِنْ قَواريرَ، وجُعِلَ تحته ماءٌ وسمكٌ، قال مُجاهِدٌ: كانت بِركةٌ مِنْ ماءٍ ضَربَ عليها سليمانُ قَواريرَ. وقال مُقاتِلٌ: كان قصراً مِنْ قَواريرَ بُنِيَ على الماء وتحته السَّمكُ. قوله تعالى: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ وهي: مُعظَمُ الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لدخولِ الماء، فناداها سليمانُ ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أي: مُملَّسٌ ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: مِنْ زُجاجٍ؛ فعلِمَتْ حِينَئذٍ أنَّ مُلكَ سليمانَ مِنَ الله تعالى، فـ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ أي: بعبادة غيرِكَ. وقيل: ظَنَّتْ في سُليمانَ أنه يريد تَغريقَها في الماء، فلمَّا علِمَتْ أنه صَرحٌ مُمرَّدٌ قالت: ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نفسي بذلك الظَّنِّ، وأسلَمتْ مع سُليمانَ، ثم تزوَّجها سُليمان. وقيل: إنه رَدَّها إلى مملَكَتِها وكان يزورها في كلِّ شهرٍ مرَّةً ويُقيم عندها ثلاثةَ أيامٍ، وأنها وَلَدتْ منه. ويُقال: إنه زوَّجها ببعضِ الملوك ولم يتزوجها هو.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ مؤمنٌ وكافرٌ ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه قولُهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآيات[2]. **والثاني**: أنه قولُ كلِّ فريقٍ منهم: الحقُّ معي. قوله تعالى: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ وذلك حين قالوا: إنْ كان ما أتيْتَنا به حقّاً فائتِنا بالعذاب. وفي السَّيِّئة والحَسنةِ قولان: **أحدهما**: أنَّ السَّيِّئةَ: العذابُ، والحَسنَةَ: الرَّحمةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنَّ السَّيِّئةَ: البلاءُ، والحَسنَةَ، العافيةُ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا تُعذَّبون. ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: تَطيَّرنا وتَشاءَمْنا ﴿بِكَ﴾، فأُدغِمَتِ التاءُ في الطاءِ، وأُثبتَتِ الألِفُ، لِيسلَمَ

---

(١) هو جزء من عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي وهو في «ديوان الهذليين» ١/ ١٣٦ وتمامه:

عـلـى طَـرقٍ كـنُـحـور الـركـا ... ب تـحـسَـب أعـلامَـهـن الـصـروحـا

(٢) الأعراف: ٧٥ ـ ٨٠.

السكونُ لِمَا بعدها. وقال الزَّجّاج: الأصل: تَطَيَّرنا، فأُدغِمَتِ التاءُ في الطاء، واجتُلِبَتِ الألفُ لسكون الطاء؛ فإذا ابتدأتَ قلت: اطَّيَّرنا، وإذا وَصلتَ لم تذكرِ الألِفَ وتسقط لأنها أَلِفُ وَصْلٍ، وإنما تَطَيَّروا به، لأنهم قُحِطوا وجاعوا، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وقد شرحنا هذا المعنى في الأعراف.

وفي قوله تعالى: ﴿تُفۡتَنُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تُختَبرون بالخير والشرّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تُصرَفون عن دِينِكم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: تُبتَلَوْن بالطاعة والمعصية، قاله قَتادَةُ.

﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ وهي الحِجْرُ التي نَزَلَها صالحٌ ﴿تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يريد: في أرضِ الحِجْرِ، وفسادُهم: كُفرُهم ومعاصيهم، وكانوا يَسفِكون الدِّماءَ ويَثِبُون على الأموال والفُروجِ، وهم الذين عَمِلُوا في قَتْلِ النَّاقةِ. ورُوي عن سعيدِ بن جُبَيرٍ وعطاءِ بن أبي رَبَاح قالا: كان فسادُهم كَسرَ الدَّراهم والدَّنانير، ﴿قَالُواْ﴾ فيما بينهم ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: احلِفُوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ أي: لَنَقتُلَنَّ صالحاً (وأهله) ليلاً (ثم لنقولن) وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «لَتُبيتُنَّهُ وأهلَه ثم لتَقولُنَّ» بالتاء فيهما. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو رَجاءٍ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «لَيُبَيِّتُنَّهُ» بياءٍ وتاءٍ مرفوعتين «ثم ليَقولُنَّ» بياءٍ مفتوحةٍ وقافٍ مرفوعةٍ وواوٍ ساكنةٍ ولام مرفوعةٍ ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: لِوَليِّ دَمِه إنْ سألنا عنه ﴿مَا شَهِدۡنَا﴾ أي: ما حضرنا ﴿مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ قرأ الأكثرون بضمِّ الميم وفتحِ اللام؛ والمَهْلَكُ يجوز أن يكونَ مصدراً بمعنى الإهلاك، ويجوز أنْ يكون الموضعَ. وروى أبو بكرٍ، وأبَانُ عن عاصِم: بفتح الميم واللام، يريد الهَلاكَ؛ يُقال: هَلَكَ يَهلِكُ مَهْلِكاً. وروى عنه حَفصٌ، والمُفضَّلُ: بفتحِ الميم وكسرِ اللام، وهو اسمُ المكان، على معنى: ما شَهِدْنا موضعَ هلاكِهم؛ فهذا كان مكرَهُم، فجازَاهُم الله عليه فأهلَكَهُم. وفي صفةِ إهلاكِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أتَوا دارَ صالح شاهِرينَ سيوفَهم، فرَمَتْهُم الملائكةُ بالحِجارة فقتلَتْهُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: رَماهُم الله بصخرةٍ فَقتَلَتْهُم، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيءَ صالحٍ، فبعثَ الله صخرةً سدَّت بابَ الغَارِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنهم نَزَلوا في سفحِ جبلٍ ينتظر بعضُهم بعضاً ليأتوا دارَ صالح، فجَثَمَ عليهم الجبلُ فأهلكَهُم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «أنّا دمَّرناهم» بفتح الألف. وقرأ الباقون بكَسرها. فمَنْ كَسرَ استأنفَ، ومَنْ فتحَ، فقال أبو عليٍّ: فيه وجهان: **أحدهما**: أنْ يكونَ بَدَلاً من ﴿عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾. **والثاني**: أنْ يكونَ محمولاً على مبتدأ مضمرٍ، كأنه قال: هو أنَّا دمَّرناهم.

قوله تعالى: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ قال الزَّجَّاج: هي منصوبةٌ على الحالِ؛ المعنى: فانظر إلى بيوتِهم خاويةً.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن

دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وأنتم تعلمون أنها فاحشةٌ. **والثاني**: بعضكم يُبصِر بعضاً. قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تجهلون القيامةَ وعاقبةَ العصيانِ. قوله تعالى: ﴿قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ أي: جعلناها بتقديرِنا وقضائِنا عليها مِنَ الباقين في العذاب. وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «قَدَرْنَاهَا» خفيفةً، وهي في معنى المُشدَّدةِ. وباقي القصَّةِ قد تقدَّم تفسيرُهُ.

﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ هذا خطابٌ لرسول الله ﷺ أُمِرَ أن يَحْمَدَ الله على هلاكِ الأُمَمِ الكافرةِ، وقيل: على جميع نِعَمِه، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ فيهم أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: الرُّسلُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباس، وروى عنه عِكرمَةُ، قال: اصطفى إبراهيمَ بالخُلَّةِ، وموسى بالكلام، ومحمَّداً بالرُّؤية. **والثاني**: أنهم أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، رواه أبو مالكٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنهم الذين وحَّدوه وآمَنُوا به، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع** أنه أُمَّة محمَّد ﷺ، قاله ابنُ السَّائب.

قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُهُ: أَوْ ما تُشركون، وهذا خطابٌ للمشركين؛ والمعنى: آللهُ خيرٌ لِمَنْ عَبدَهُ، أم الأصنامُ لعابدِيها؟! ومعنى الكلام: أنه لمَّا قصَّ عليهم قَصصَ الأُمَمِ الخاليةِ، أخبرَهُم أنَّه نجَّى عابدِيهِ، ولم تُغنِ الأصنامُ عنهم. قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تقديره: أمَّا يُشركون خيرٌ، أمَّن خلَقَ السَّمواتِ ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ فأمَّا الحدائقُ، فقال ابنُ قُتيبةَ: هي البساتين، واحدُها: حديقةٌ، سمِّيتْ بذلك لأنه يُحدَقُ عليها، أي: يُحظَرُ، والبَهجَةُ: الحُسنُ.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك لأنكم لا تقدرون عليه. ثم قال مُستفهِماً مُنكِراً عليهم: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ليس معه إلهٌ ﴿بَلۡ هُمۡ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ وقد شرحناه في فاتحةِ (الأنعام). ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ أي: مُستقَرّاً لا تَميدُ بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ أي: فيما بينها ﴿أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابتَ ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾ أي: مانعاً مِنْ قُدرتِه بين العَذْبِ والمِلْح أنْ يختلِطا، ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ قَدْرَ عَظمة الله عزَّ وجلَّ.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا

تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ
ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا
يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا
تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ
لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ وهو: المَكروبُ المَجهودُ؛ ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني الضُّرَّ ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يُهلِكُ قَرْناً ويُنشِئُ آخرين، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى تَتَّعِظون. وقرأها أبو عمروٍ بالياء، والباقون بالتاء ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يُرشِدُكم إلى مقاصِدِكم إذا سافرتُم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وقد بيَّنّاها في الأنعام[1] وشرحنا ما يليها مِنَ الكلمات فيما مضى[2] إلى قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني مَنْ في السَّمواتِ والأرضِ ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: متى يُبْعَثون بعدَ موتِهم.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ: «بل أَدْرَكَ» قال مُجاهِدٌ: «بل» بمعنى «أم» والمعنى: لم يُدْرِكْ عِلمُهم، وقال الفَرَّاءُ: المعنى: هل أدرَكَ عِلمُهم عِلمَ الآخرة؟ فعَلَى هذا يكون المعنى: إنهم لا يَقِفون في الدنيا على حقيقةِ العِلْم بالآخرة. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «بل ادّارَكَ» على معنى: بل تَدارَكَ، أي: تتابعَ وتلاحقَ، فأُدغِمَتِ التاءُ في الدال. ثم في معناها قولان: **أحدهما**: بل تكاملَ عِلمُهم يومَ القيامة لأنهم مبعوثون، قاله الزَّجّاجُ: وقال ابنُ عباسٍ: ما جَهِلُوهُ في الدُّنيا، عَلِمُوهُ في الآخرة. **والثاني**: بل تَدارَكَ ظنُّهم وحَدْسُهم في الحُكْم على الآخرة، فَتارةً يقولون: إنها كائنةٌ، وتارةً يقولون: لا تكون، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «بل ادَّرَكَ» على وزن افتعل مِنْ أدركت. قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي: بل هم اليومَ في شَكٍّ مِنَ القيامة ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: مِنْ عِلمِها. وما بعد هذا قد سبق بيانه[3] إلى قوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنونَ: العذابَ الذي تَعِدُنا. ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ قال ابنُ عباسٍ: قَرُبَ لكم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: تَبِعَكم، واللامُ زائدةٌ، كأنه قال: رَدِفَكم. وفي ما تَبِعَهم ممَّا استعجَلوه قولان:

أحدهما: يوم بَدْرٍ. **والثاني**: عذاب القبرِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال مُقاتِلٌ: على أهل مكّةَ حين لا يُعجِّلُ عليهم

---

(١) الأنعام: ٦٣، ٩٧.
(٢) الأعراف: ٥٧، يونس: ٤.
(٣) النحل: ١٢٧، المؤمنون: ٣٥، ٨٢.

العذاب. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تُخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم مِن عداوتِك وخِلافِك؛ والمعنى أنه يُجازيهم عليه. ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾ أي: وما مِن جُملةٍ غائبةٍ، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللَّوحَ المَحفوظَ؛ والمعنى: إنَّ عِلْمَ ما يستعجلونه مِنَ العذاب بَيِّنٌ عندَ الله وإنْ غابَ عن الخَلْقِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وذلك أنَّ أهلَ الكِتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يَطعنُ بعضُهم على بعضٍ، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه، فلو أخذوا به لَسَلِمُوا. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يعني بين بَني إسرائيلَ ﴿بِحُكْمِهِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «بِحِكَمِه» بكسرِ الحاء وفتح الكاف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ قال المُفسِّرون: هذا مَثَلٌ ضَربَهُ الله للكفَّارِ فشَبَّهَهُم بالمَوتى. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ» بفتح ميم «يَسْمَعُ» وضمِّ ميم «الصُّمُّ». قوله تعالى: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ أي: أنَّ الصُّمَّ إذا أدبَرُوا عنكَ ثم نادَيْتَهُم ولَم يسمعوا، فكذلك الكافرُ. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ﴾ أي ما أنت بمُرشِدِ مَنْ أعماهُ اللهُ عن الهُدى، ﴿إِنْ تُسْمِعُ﴾ سَماعَ إفهامٍ ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ «وقع» بمعنى وَجَبَ، وفي المراد بالقولِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: العذابُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الغَضبُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: الحُجَّةُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. ومتى ذلك؟ فيه قولان: **أحدهما**: إذا لم يأمُروا بمَعروفٍ، ولم يَنْهَوا عن مُنكَرٍ، قاله ابنُ عمرَ، وأبو سعيدٍ الخُدْري. **والثاني**: إذا لم يُرْجَ صلاحُهم، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي، وهو معنى قولِ أبي العاليةِ. والإشارةُ بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إلى الكفار الذين تخرجُ الدَّابَّةُ عليهم. وللمُفسِّرين في صفة الدَّابَّة أربعةُ أقوالٍ:

[١٠٦٨] **أحدها**: أنها ذاتُ وَبَرٍ وريشٍ، رواه حُذيفةُ بنُ اليَمانِ عن النبيِّ ﷺ. وقال ابنُ عباسٍ: ذات زَغَبٍ وريشٍ لها أربعُ قوائم.

والثاني: أنَّ رأسَها ثَورٍ، وعَينَها عينُ خِنزيرٍ، وأُذُنَها أُذُنُ فِيلٍ، وقَرنَها قَرنُ إيَّلٍ، وصَدرَها صدرُ أَسَدٍ، ولونَها لونُ نَمِرٍ، وخاصِرَتها خاصِرةُ هر وذنبها ذنب كبشٍ، وقوائِمَها قوائمُ بَعيرٍ، بين كلِّ مِفصَلَيْنِ اثنا عشرَ ذِراعاً، رواه ابنُ جُرَيجٍ عن أبي الزُّبيرِ.

[١٠٦٨] هو الحديث الآتي.

والثالث: أنَّ وَجهَها وجهُ رجلٍ، وسائرُ خَلقِها كخَلقِ الطَّير، قاله وَهْبٌ.

والرابع: أنَّ لها أربعَ قوائم وزَغَباً وريشاً وجناحَيْنِ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي المكان الذي تخرُجُ منه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الصَّفا.

[١٠٦٩] روى حُذيفَةُ بنُ اليَمَانِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «بينما عيسى يطوفُ بالبيت ومعه المسلمون، تضطَرِبُ الأرضُ تحتَهُم، ويَنشَقُّ الصَّفا ممَّا يلي المَسعَى، وتخرجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفا، أولُ ما يبدو منها رأسُها، مُلمَّعةٌ ذاتُ وَبَرٍ ورِيشٍ، لن يُدرِكَها طالبٌ، ولن يَفوتَها هارِبٌ».

[١٠٧٠] وفي حديثٍ آخرَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «طُولُها ستونَ ذِراعاً»، وكذلك قال ابنُ مسعودٍ: تخرُجُ مِنَ الصَّفا.

[١٠٧١] وقال ابنُ عمرَ: تخرُجُ مِنْ صَدْعٍ في الصَّفا كجَرْيِ الفَرسِ ثلاثةَ أيام وما خرجَ ثُلثُها. وقال عبدُ الله بنُ عمرَ: تخرج الدَّابَّةُ فيَمَسُّ رأسُها السَّحابَ ورِجلاها في الأرض ما خَرَجَتا.

[١٠٧٢] **والثاني**: أنها تخرُجُ مِنْ شِعْبِ أجيادٍ، رُوي عن النبيِّ ﷺ، وعن ابنِ عمرَ مثله.

والثالث: تخرُج مِنْ بعض أوديةِ تِهامَةَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والرابع**: مِنْ بحر سَدُوم، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والخامس**: أنها تخرج بتِهامَةَ بين الصَّفا والمَروَة، حكاه الزَّجَّاجُ.

[١٠٧٣] وقد روى أبو هُريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «تخرُجُ الدَّابَّةُ معها خاتَمُ سُليمانَ، وعصا موسى، فتَجلُو وجهَ المؤمِنِ بالعَصا وتَحطِمُ أنفَ الكافرِ بالخَاتَمِ، حتى إنَّ أهلَ البيت لَيَجتمِعونَ، فيقول

[١٠٦٩] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٧١٠٠ من حديث حذيفة بن اليمان، وإسناده ضعيف لضعف روّاد بن الجراح. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٦٤ عن هذا الحديث: لا يصح. وورد من حديث أبي طفيل عن أبي سريحة أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» ص ٤٠١ والطيالسي ١٠٦٩ والحاكم ٤/ ٤٨٤ ح ٨٤٩٠ وإسناده ضعيف لضعف طلحة بن عمرو الحضرمي كما قال الذهبي متعقباً للحاكم في تصحيحه للحديث.

[١٠٧٠] عزاه الحافظ في «تخريجه» ٣/ ٣٨٤ للثعلبي من حديث حذيفة اهـ. ولم يبين إسناده، وتفرّد الثعلبي به دليل على وهنه، وهذا بالنسبة لصدر الحديث (أن طولها ستون ذراعاً) وأما باقي لفظ حديث حذيفة فهو المتقدم. وانظر تفاصيل ذلك في «الفتن» لنعيم بن حماد ص ٤٠١ و «الدر» ٥/ ٢١٧ ـ ٢٢٠ وابن كثير ٣/ ٣٨٧ و «المستدرك» ٤/ ٤٨٤ ـ ٤٨٦. وانظر «تفسير القرطبي» ١٣/ ٢١١ بتخريجنا.

[١٠٧١] موقوف ضعيف. أخرجه الطبري ٢٧٠٩٤ من حديث ابن عمر، وإسناده ضعيف لضعف عطية بن سعد العوفي. وأخرجه نعيم بن حماد ص ٤٠٣ من طريق فضيل بن مرزوق به لكن عن ابن عمرو، وهو أشبه فإن هذا الأثر متلقى عن أهل الكتاب، وابن عمر ما روى عن أهل الكتاب بخلاف ابن عمرو، والله أعلم.

[١٠٧٢] ضعيف. مداره على رباح بن عبيد الله، وهو منكر الحديث. أخرجه ابن عدي ٣/ ٧٣ و ٧/ ١١٢ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٨٥ والذهبي في «الميزان» ٢/ ٣٧/ ٢٧٢٣ من طرق عن هشام بن يوسف عن رباح بن عبيد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة.

[١٠٧٣] أخرجه الترمذي ٣١٨٧ وابن ماجه ٤٠٦٦ وأحمد ٢/ ٢٩٥ والطبري ٢٧١٠١ والحاكم ٤/ ٤٨٥ ونعيم بن حماد في «الفتن» ص ٤٠٣ والحاكم ٤/ ٤٨٥ من طرق عن حماد بن سلمة به، سكت عليه الحاكم! وكذا الذهبي! وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، فقد ضعفه غير واحد، روى مناكير كثيرة، وهذا منها.
ـ وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٥ من طريق حماد بن سلمة بهذا الإسناد موقوفاً على أبي هريرة. وهو أصح من المرفوع، والله أعلم.

هذا: يا مؤمنُ، ويقول هذا: يا كافرُ».

[١٠٧٤] ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «تَسِمُ المؤمنَ بين عَينَيهِ وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتَسِمُ الكافرَ بين عينيه وتكتبُ بين عَينَيهِ: كافر، وتصرخُ ثلاثَ صَرخاتٍ يسمعُها مَنْ بين الخافِقَين». وقال حُذَيفَةُ بنُ أَسِيدٍ: إنَّ للدَّابَّةِ ثلاثَ خرجاتٍ: خَرجَةٌ في بعض البَوادي ثم تَنكتِمُ، وخَرجَةٌ في بعض القُرى ثم تَنكَتِمُ، فبينما الناس عند أشرفِ المساجد ـ يعني المسجدَ الحَرامَ ـ إذِ ارتفعت الأرضُ، فانطلَقَ الناسُ هِرَاباً، فلا يَفوتُونَها، حتى إنَّها لَتَأتي الرجلَ وهو يُصلِّي، فتقول: أتتعوَّذُ بالصَّلاةِ، واللهِ ما كنتَ مِنْ أهلِ الصَّلاةِ، فتَخطِمُه، وتَجلو وجهَ المؤمن. وقال عبدُ الله بنُ عمروٍ: إنها تَنكُتُ في وَجهِ الكافر نُكتَةً سوداءَ فتفشُو في وجهِهِ فيَسودُّ وجهُهُ، وتَنكُتُ في وَجهِ المؤمن نُكتَةً بيضاءَ فتفشُو في وجهه حتَّى يبيَضَّ وَجهُه، فيعرف الناسُ المؤمنَ والكافرَ، ولَكَأنِّي بها قد خرجَتْ في عَقِبِ رَكْبٍ مِنَ الحَاجِّ.

قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون بتشديدِ اللام، فهو مِنَ الكلام. وفيما تُكلِّمهم به ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تقول لهم: إنَّ الناسَ كانوا بآياتِنا لا يُوقنون، قاله قَتادةُ. **والثاني**: تُكلِّمهم ببُطلانِ الأديانِ سوى دِيْنِ الإسلام، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: تقول: هذا مؤمنٌ، وهذا كافرٌ، حكاه المَاوَرديُّ. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ، والجَحْدَري: بتسكينِ الكاف وكسرِ اللام وفتح التاء فهو مِنَ الكَلْم؛ قال ثَعلَبُ: والمعنى: تَجرَحُهم. وسُئِلَ ابنُ عباسٍ عن القِراءَتَينِ، فقال: كلُّ ذلك واللهِ تفعَلُه تُكلِّم المؤمنَ، وتَكْلِمُ الفاجرَ والكافرَ، أي: تَجرَحُه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ قرأ عاصِمٌ وحمزةُ والكِسائيُّ بفتح الهمزة، وكَسَرَها الباقون؛ فمَنْ فَتحَ أراد: تُكلِّمهم بأنَّ الناسَ، وهكذا قرأ ابنُ مسعودٍ وأبو عِمرانَ الجَوْني: «تكلِّمهم بأنَّ الناس» بزيادة باءٍ مع فتحِ الهمزة؛ ومَنْ كَسَرَ فلأنَّ معنى «تكلِّمهم» تقولُ لهم: إنَّ الناسَ، والكلام قولٌ.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦)﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ الفَوجُ: الجماعة مِنَ الناس كالزُّمرَةِ، والمراد به: الرُّؤساء والمَتبُوعين في الكُفر، حُشِرُوا وأُقيمَتِ الحُجَّةُ عليهم. وقد سبقَ معنى ﴿يُوزَعُونَ﴾[1] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ إلى موقفِ الحساب ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ عليهم ووَعيدٌ لهم ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لم تعرفوها حقَّ معرفتِها. **والثاني**: لم تُحيطوا عِلماً ببُطلانِها. والمعنى: إنكم لم تتفكَّروا في صِحَّتِها، ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا فيما أمَرتُكم به ونَهيتُكم عنه؟! قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ قد شرحناه آنِفاً[2] ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ أي: بما أشركوا ﴿فَهُمْ لَا

[١٠٧٤] صدره تقدم برقم ١٠٦٩، وهو حديث حذيفة، واختصره المصنف.
ـ وقوله «تصرخ ثلاث...» هو من حديث أبي هريرة، وتقدم تخريجه برقم ١٠٧٢.

---

(١) النمل: ١٧. (٢) النمل: ٨٢.

﴿يَنطِقُونَ﴾ بحُجَّةٍ عن أنفسِهم. ثم احتجَّ عليهم بالآية التي تَلِي هذه. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يُبْصَرُ فيه لابتغاءِ الرِّزقِ.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هذه النَّفخةُ الأولى.

قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال المُفسِّرون: المعنى: فيَفزَعُ مَنْ في السَّمواتِ ومَنْ في الأرضِ، والمراد أنهم ماتوا، بَلَغَ بهم الفَزَعُ إلى الموت.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الشهداء، قاله أبو هُريرَةَ، وابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ ومَلَكُ الموتِ، ثم إنَّ الله تعالى يُميتُهم بعد ذلك، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنهم الذين في الجنة مِنَ الحُورِ وغيرِهِنَّ، وكذلك مَنْ في النار، لأنهم خُلِقُوا للبقاء، ذكرَهُ أبو إسحاقَ بنُ شاقِلاَ مِنْ أصحابنا. قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ﴾ أي مِنَ الأحياء الذين ماتوا ثم أُحيُوا «آتوهُ» وقرأ حمزَةُ وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «أَتَوْهُ» بفتح التاء مقصورةً، أي: يأتون الله يومَ القيامة ﴿دَٰخِرِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: صاغرين. قال أبو عُبيدَةَ: «كُلٌّ» لفظُه لفظُ الواحد، ومعناه يقع على الجميع، فهذه الآيةُ في موضع جمع.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: هذا يكون إذا نُفِخَ في الصُّور، تُجمَعُ الجبالُ وتُسَيَّر فهي لكثرتها تُحسَبُ ﴿جَامِدَةً﴾ أي: واقفةً ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ أي: تسيرُ سيرَ السَّحابِ، وكذلك كلُّ جيشٍ عظيمٍ يَحسَبُه النَّاظرُ مِنْ بعيدٍ واقفاً وهو يسيرُ، لِكثرَتِه، قال الجَعْدِيُّ يصِفُ جيشاً:

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكَابُ تُهَمْلِجُ[(١)]

قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على المصدر، لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ دليلٌ على الصَّنعَةِ، فكأنه قال: صَنَعَ الله ذلك صُنعاً، ويجوز الرفعُ على معنى: ذلك صُنْعُ الله. فأمَّا الإتقانُ، فهو في اللغة: إحكامُ الشيءِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «يفعلون» بالياء. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قد شرحنا الحَسنةَ والسيِّئةَ في آخرِ الأنعام[(٢)]. وفي قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قولان: **أحدهما**: فله خيرٌ منها يصل إليه، وهو الثواب، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ

---

(١) الرّعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً، ويقال: الجيش الأرعن: هو المضطرب لكثرته. والطود: الجبل العظيم. والحاج: جمع حاجة. والهملجة والهملاج: حسن سير الدابة في سرعة.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

وعِكرمَةُ. **والثاني**: فله أفضلُ منها، لأنه يأتي بحسَنةٍ فيُعطى عشرَ أمثالِها، قاله زَيدُ بنُ أَسلَم.

قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ قرأ ابنُ كَثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر: «مِنْ فَزَعِ يَوْمِئِذٍ» مضافاً. وقرأ عاصِمٌ. وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «مِنْ فَزَعٍ» بالتنوين «يومَئِذٍ» بفتح الميم. وقال الفَرّاءُ: الإضافة أعجَبُ إليَّ في العربية، لأنه فَزَعٌ معلومٌ، ألاَ ترى إلى قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[1]. فصَيَّره معرفةً، فإذا أضفت مكانَ المعرفة كان أحبَّ إليَّ، واختار أبو عُبيدَة قراءةَ التنوين وقال: هي أعمُّ التأويلين، فيكون الأمنُ مِنْ جميع فَزَعِ ذلك اليوم. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: إذا نُوِّنَ جازَ أنْ يُعنى به فَزَعٌ واحدٌ، وجازَ أنْ يُعنى به الكَثرةُ، لأنه مصدرٌ، والمصادر تدلُّ على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ، كقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2]، وكذلك إذا أُضيفَ جازَ أنْ يعنى به فَزَعٌ واحدٌ، وجازَ أنْ يُعنى به الكَثرةُ؛ وعلى هذا القول، القِراءتان سواءٌ، فإنْ أُريدَ به الكثرةُ، فهو شاملٌ لكلِّ فَزعٍ يكون في القيامة، وإنْ أُريدَ به الواحد، فهو المُشارُ إليه بقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾. وقال ابنُ السَّائب: إذا أطبقَتِ النَّارُ على أهلها فَزِعوا فَزْعةً لم يفزعوا مثلَها، وأهلُ الجنَّة آمِنون مِنْ ذلك الفَزَعِ. قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال المُفسِّرون: هي الشِّركُ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ يُقال: كَبَبْتُ الرجلَ: إذا ألقيتَه لوجهِه؛ وتقول لهم خَزَنَةُ جهنَّمَ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي إلاَّ جزاءَ ما كنتم تعملون في الدُّنيا مِنَ الشِّركِ.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ المعنى: قل للمشركين: إنَّما أُمِرتُ ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْني: «التي حرَّمها» وهي مكَّةُ، وتحريمُها: تعظيمُ حُرمَتِها بالمَنع مِنَ القَتلِ فيها والسَّبْي والكَفُّ عن صَيدِها وشَجَرِها، ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ لأنه خالقُه ومالِكه، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المُخلِصين لله بالتوحيد، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ عليكم ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فله ثوابُ اهتِدائِه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: أخطأ طريقَ الهُدى ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: ليس عليَّ إلاَّ البلاغُ، وذكر المُفسِّرون أنَّ هذا مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ. ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قُلْ لِمَن ضَلَّ: الحمدُ لله الذي وَفَّقنا لقَبول ما امتنعتُم منه ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ومتى يُريهم؟ فيه قولان: **أحدهما**: في الدنيا. ثم فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ منها الدُّخانُ وانشقاقُ القمر، وقد أراهُم ذلك، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: سَيُريكم آياتِه فتعرفونها في السماء، وفي أنفسِكم، وفي الرِّزقِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: القَتلُ ببَدرٍ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: سيُريكم آياتِه في الآخرة فتَعرِفونها على ما قال في الدنيا، قاله الحَسنُ. قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِم: «تعملون» بالتاء، على معنى: قُلْ لهم. وقرأ الباقون بالياء، على أنه وَعيدٌ لهم بالجزاء على أعمالِهم. والله أعلَمُ بالصَّواب.

---

(١) الأنبياء: ١٠٣. (٢) لقمان: ١٩.

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

وهي مكّيّةٌ كلُّها غيرَ آيةٍ منها، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1] فإنها نزلت عليه وهو بالجُحْفَةِ في وقت خروجه للهِجرَةِ، هذا قولُ ابنِ عباسٍ. ورُوي عن الحَسنِ، وعطاءٍ، وعِكرمَةَ: أنها مكّيّةٌ كلُّها. وزعم مُقاتِلٌ: أنَّ فيها مِنَ المَدنيِّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2] وفيها آيةٌ ليست بمكّيّةٍ ولا مدنيّةٍ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ نزلت بالجُحْفَةِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ قد سبق تفسيرُه[3]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: طَغى وتَجبَّر في أرض مِصْرَ ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي: فِرَقاً وأصنافاً في خِدمته ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ وهم بَنو إسرائيلَ، واستِضعَافُه إيّاهُم: استعبادُهم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل والعملِ بالمعاصي. ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، والزُّهري، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «يَذْبَحُ» بفتح الياء وسكونِ الذال خفيفةً. قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ أي: نُنعِم ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ وهم بَنو إسرائيلَ، ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ يُقتَدى بهم في الخير؛ وقال قَتادَةُ: وُلاةً ومُلوكاً ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ لمُلْكِ فِرعون بعد غَرَقِه. قوله تعالى: ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «ويَرى» بياءٍ مفتوحةٍ وإمالَةِ الألِفِ التي بعد الراء «فرعونُ وهامانُ وجنودُهما» بالرفع. ومعنى الآية: أنهم أُخبِروا أنَّ هلاكَهُم على يَدَي رجلٍ مِنْ بني إسرائيلَ، فكانوا على وَجَلٍ منهم، فأرَاهُم الله ما كانوا يَحْذَرون.

---

(١) القصص: ٨٥. (٢) القصص: ٥٥.
(٣) مضى الكلام على ذلك في أول سورة البقرة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه إلهامٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ جِبريلَ أتاها بذلك، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّه كان رؤيا منام، حكاه المَاوَرديِ. قال مُقاتِلٌ: واسم أمِّ موسى «يوخابذ»[1]. قوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ قال المفسِّرونَ: كانت امرأةٌ مِنَ القَوابِلِ مصافيَةً لأمِّ موسى، فلما وَضعَتْهُ تولَّت أمرَها ثم خرجت فرآها بعضُ العيونِ فجاؤوا ليدخلوا على أمِّ موسى، فقالت أختُه: يا أُمَّاه هذا الحَرسُ بالباب، فلَفَّتْ موسى في خِرقَةٍ ووضعَتْهُ في التَّنُّور وهو يُسجَرُ، فدخلوا ثم خرجوا، فقالت لأُختِه: أينَ الصَّبيُّ، قالت: لا أدري، فسمِعَتْ بكاءَهُ مِنَ التَّنُّور فاطلعت وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً، فأرضعته بعد ولادَتِه ثلاثةَ أشهرٍ، وقيل: أربعةَ أشهرٍ، فلمَّا خافت عليه صَنعَتْ له التَّابوتَ[2]. وفي قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ قولان[3]: **أحدهما**: إذا خِفْتَ عليه القَتْلَ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إذا خِفتِ عليه أنْ يصيحَ أو يبكيَ فيُسمعَ صوتُه، قاله ابنُ السَّائبِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ قولان: **أحدهما**: أنْ يغرقَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: أنْ يضيعَ، قاله مُقاتِلٌ. قال الأصمعيُّ: قُلتُ لأعرابيَّةٍ: ما أفصحَكِ! فقالت: أَوَ بعدَ هذه الآيةِ فَصاحَةٌ وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جمعَ فيها بين أمرين ونَهيَيْنِ وخَبرَيْنِ وبِشارَتَيْنِ؟!

قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتِقاطُ: إصابةُ الشيءِ مِنْ غير طَلبٍ. والمراد بآلِ فرعونَ: الذين تولَّوا أَخذَ التَّابوتِ مِنَ البحرِ. وفي الذين التَقطُوه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: جواري امرأةِ فِرعونَ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: ابنةُ فِرعونَ، قاله محمَّدُ بنُ قيسٍ. **والثالث**: أعوانُ فِرعونَ، قاله ابنُ إسحاقَ. قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ أي: لِيصيرَ بهم الأمرُ إلى ذلك، لا أنهم أخذُوهُ لهذا، وهذه اللامُ تُسمَّى لامَ العاقِبَة، وقد شرحناها في يونس[4]، وللمفسِّرين في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ليكونَ لهم عَدُوّاً في دِينِهم وحَزَناً لِمَا يصنَعُه بهم. **والثاني**: عَدوّاً لرجالِهم وحَزَناً على نسائِهم، فقَتلَ الرجالَ بالغَرقِ، واستَعبدَ النساءَ. ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسيَةُ بنتُ مُزاحِم، وكانت مِنْ بَني إسرائيلَ تزوَّجها فِرعونُ: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: رفع «قُرَّةُ عَيْنٍ» على إضمارِ «هُو». قال المفسِّرون: كان فِرعونُ لا

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو غير حجة.

(٢) هذه الأقوال مصدرها كتب الأقدمين.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٣٠: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادتها إياه. واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل.

(٤) يونس: ٨٨.

يُولَدُ له إلاَّ البناتُ، فقالت: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فنُصِيبُ منه خيراً ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يشعرون أنَّه عدوٌّ لهم، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنَّ هلاكَهُم على يدَيهِ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: لا يَشعرُ بَنو إسرائيلَ أنَّا التقطناه، قاله محمَّدُ بنُ قَيسٍ. **والرابع**: لا يشعرون أنِّي أفعلُ ما أريد لا ما يريدون، قاله محمَّدُ بنُ إسحاقَ.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: فارِغاً مِن كلِّ شيءٍ إلاَّ مِن ذِكرِ موسى، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أصبح فؤادُها فَزِعاً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وهي قراءةُ أبي رَزِينٍ، وأبي العَالِيَةِ، والضَّحَّاكِ، وقَتادَةَ، وعاصِمٍ الجَحْدَرِي، فإنهم قرؤوا: «فَزِعاً» بزاي مُعجَمةٍ. **والثالث**: فارِغاً مِن وَحْينا بنسيانِه، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ. **والرابع**: فارِغاً مِنَ الحُزنِ، لِعِلْمِها أنَّه لم يُقتَلْ، قاله أبو عُبيدَةَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وهذا مِن أعجبِ التفسير، كيف يكون كذلك والله يقول: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾؟! وهل يُرْبَطُ إلاَّ على قلبِ الجَازعِ المَحزونِ؟!

قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ في هذه الهاءِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى موسى. ومتى أرادَتْ هذا؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه حينَ فارَقَتْهُ؛ روى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: كادَتْ تقول: يا بُنَيَّاه. قال قَتادَةُ: وذلك مِنْ شدة وَجْدِها. **والثاني**: حين حُمِلَتْ لِرَضاعِه كادَتْ تقول: هو ابني، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنَّه لمَّا كَبِرَ وسَمِعَت الناسَ يقولون: موسى بنُ فِرعونَ، كادَتْ تقول: لا بل هو ابني، قاله ابنُ السَّائبِ. **والقول الثاني**: أنها ترجعُ إلى الوَحي؛ والمعنى: إنْ كادتْ لَتُبْدِي بالوَحي، حكاه ابنُ جَريرٍ.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لَولا رَبطُنا على قلبِها، والرَّبْطُ: إلهامُ الصَّبرِ وتشديدُ القلب وتقويتُه. قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مِنَ المُصدّقين بوَعدِ الله. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: قُصِّي أَثَرَهُ واطلُبيه هل تسمعين له ذِكْراً، أي: أحَيٌّ هو، أو قد أكلَتْهُ الدَّوابُّ؟ ونَسِيت الذي وعَدَها اللهُ فيه. وقال وَهْبٌ: إنَّما قالت لأختِه: قُصِّيه، لأنَّها سمعتْ أنَّ فِرعونَ قد أصاب صبيّاً في تابوتٍ. قال مُقاتِلٌ: واسمُ أختِه: مريمُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى «قُصِّيه»: قُصِّي أَثَرَه واتبَعِيه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بُعْدٍ منها عنه وإعراضٍ، لئلاَّ يَفطَنوا، والمُجانَبةُ مِنْ هذا. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَزٍ: «عَنْ جَنابٍ» بفتح الجيم والنون وبألِفٍ بعدهما. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْني: «عَنْ جَانِبٍ» بفتح الجيم وكَسْرِ النونِ وبينهما ألِفٌ. وقرأ قَتادةُ، وأبو العَالِيةِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «عَنْ جَنْبٍ» بفتحِ الجيمِ وإسكانِ النونِ مِنْ غير ألِفٍ. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وهم لا يشعُرون أنَّه عَدوٌّ لهم، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا يشعُرون أنَّها أختُه، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ وهي جَمْعُ مُرْضِع ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ أنْ نَرُدَّه على أُمِّه، وهذا تحريمُ مَنْع، لا تحريم شَرع. قال المُفسِّرون: بقي ثَمانيةَ أيام ولياليهِنَّ، كلَّما أُتيَ بمُرْضِع لم يَقبلْ ثَديها، فأهمَّهم ذلك واشتدَّ عليهم ﴿فَقَالَتْ﴾ لهم أختُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ فقالوا لها: نعم، مَنْ تلك؟ فقالت: أُمّي، قالوا: وهل لها لَبنٌ؟ قالت: لَبنُ هارونَ. فلمَّا جاءت قَبِلَ ثَديَها. وقيل: إنَّها لمَّا قالت: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قالوا: لَعلَّكِ تعرفين أهلَهُ، قالت: لا، ولكني إنما قلتُ: وهم للمَلِكِ ناصِحون.

قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ قد شرحناه في طه[1].

قوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِرَدِّ وَلَدِها ﴿حَقٌّ﴾ وهذا عِلْمُ عِيانٍ ومشاهَدةٍ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله وَعدَها أنْ يَرُدَّه إليها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قد فسَّرنا هذه الآيةَ في سُورةِ يُوسفَ[2]، وكلامُ المفسِّرين في لفظِ الآيتين مُتقارِبٌ، إلاَّ أنهم فرَّقوا بين بُلوغِ الأشُدِّ وبين الاستواءِ. فأما بلوغ الأشد فقد سلف بيانه في سورة الأنعام[3]. وفي مُدَّةِ الاستِواءِ لهم قولان: **أحدهما**: أنه أربعون سنةً، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: ستونَ سنةً، ذكره ابنُ جَريرٍ. قال المُفسِّرون: مَكثَ عند أُمِّه حتى فَطمَتْهُ، ثم ردَّتْهُ إليهم، فنَشأَ في حِجْرِ فِرعونَ وامرأتِه واتَّخذاهُ وَلَداً.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها مِصرُ. **والثاني**: مدينةٌ بالقُرب مِنْ مِصرَ. قال السُّدِّيُّ: ركب فِرعونُ يوماً وليس عنده موسى، فلمَّا جاء موسى ركب في إثْرِه فأدركَهُ المَقِيلُ في تلك المدينة. وقال غيرُه: لمَّا توهَّم فِرعونُ في موسى أنه عدوُّه أمرَ بإخراجِه مِنْ مدينَتِه، فلم يَدخلْ إلاَّ بعدَ أنْ كَبِرَ، فدخلَها يوماً ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾. وفي ذلك الوقت أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه كان يومَ عيدٍ لهم، وكانوا قد اشتغلوا فيه بِلَهْوِهم، قاله عليٌّ عليه السَّلامُ. **والثاني**: أنه دخل نصفَ النهار، رواه جماعةٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثالث**: بين المَغرِبِ والعِشاءِ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والرابع**: أنَّهم لمَّا أخرجُوه لم يدخل عليهم حتى كَبِرَ، فدخل على حين غفلَةٍ عن ذِكْرِه، لأنه قد نُسِيَ أمرُه، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: مِنْ أصحابه مِنْ بَني إسرائيلَ ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: مِنْ أعدائه مِنَ القِبْطِ، والعَدوُّ يُذكَر للواحد وللجمع. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قيل في الغائب: «هذا» و «هذا»،

---

(١) طه: ٤٠.
(٢) يوسف: ٢٢.
(٣) الأنعام: ١٥٢.

على جهة الحكاية للحَضْرَةِ؛ والمعنى: أنه إذا نظر إليهما النَّاظرُ قال: هذا مِنْ شِيعَتِه، وهذا مِنْ عَدوِّه. قال المُفسِّرون: وكان القِبْطيُّ قد سَخَّر الإسرائيليَّ ليحمِلَ حَطَباً إلى مطبخ فِرعونَ ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ أي: فاستنصرَهُ، ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾ قال الزَّجَّاج: الوَكْزُ: أنْ يضربَهُ بجمع كفه. وقال ابنُ قُتيبةَ: «فوكزه» أي: لَكَزَهُ، يُقال: وَكَزْتُه ولَكَزْتُه ولَهَزْتُه: إذا دفَعْتَه، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتلَهُ؛ وكلُّ شيءٍ فرغتَ منه فقد قَضيتَهُ وقَضيتَ عليه. وللمُفسِّرين فيما وَكَزهُ به قولان: **أحدهما**: كَفُّه، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: عَصاهُ، قاله قَتادةُ. فلمّا مات القِبْطيُّ نَدِمَ موسى لأنه لم يُرِدْ قَتْلَهُ، و ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: هو الذي هيَّجَ غضبي حتى ضربتُ هذا، ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابنِ آدمَ ﴿مُّضِلٌّ﴾ له مبين عَداوتَهُ. ثم استغفرَ فـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ أي: بقتلِ هذا، ولا ينبغي لنبيٍّ أنْ يقتُلَ حتى يُؤمَرَ. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ بالمغفرة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: عَوناً للكافرين. وهذا يدلُّ على أنَّ الإسرائيليَّ الذي أعانَهُ موسى كان كافراً.

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي التي قَتَلَ بها القِبْطيَّ ﴿خَآئِفًا﴾ على نفسه ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي: ينتظرُ سُوءاً ينالُه منهم ويخاف أنْ يُقتَلَ به ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ وهو الإسرائيليُّ ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ أي: يستغيثُ به على قِبْطيٍّ آخرَ أراد أن يُسَخِّره أيضاً ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى القِبْطيِّ. **الثاني**: إلى الإسرائيليِّ، وهو أصحُّ. فعلى الأول يكون المعنى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ﴾ بتسخيرِكَ وظُلمِكَ. وعلى الثاني فيه قولان: **أحدهما**: أنْ يكونَ الغَويُّ بمعنى المُغْوِي، كالأليم بمعنى المؤلم والوَجيع بمعنى الموجع والمعنى: إنَّكَ لَمُضِلٌّ حين قتلتُ بالأمسِ رجلاً بسَببِكَ، وتَدعوني اليومَ إلى آخرَ. **والثاني**: أنْ يكونَ الغَويُّ بمعنى الغاوِي؛ والمعنى: إنكَ غاوٍ في قتالِكَ مَنْ لا تُطيقُ دَفْعَ شَرِّه عنكَ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي: بالقِبْطيِّ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ هذا قولُ الإسرائيليِّ مِنْ غير خِلافٍ عَلِمناهُ بين المُفسِّرين؛ قالوا: لمّا رأى الإسرائيليُّ غَضَبَ موسى عليه حينَ قال له: «إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبين» ورآه قد هَمَّ أن يَبْطِشَ بالفِرعونيِّ، ظنَّ أنَّه يريده فخافَ على نفسه فـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى﴾ وكان قوم فِرعونَ لم يعلموا مَنْ قاتِلُ القِبْطيِّ، إلاَّ أنَّهم أتَوا إلى فِرعونَ فقالوا: إنَّ بَني إسرائيلَ قتلوا رجلاً مِنّا فخُذْ لَنا بحقِّنا، فقال: ابغُوني قاتِلَهُ ومَنْ يَشهدُ عليه لآخُذَ لكم حقَّكُم، فبَيْنَا هم يَطوفون ولا يَدرون مَنِ القاتلُ، وقعت هذه الخُصومةُ بين الإسرائيليِّ والقِبْطيِّ في اليوم الثاني فلمّا قال الإسرائيليُّ لموسى: «أتريد أن تقتُلني كما قتلت نفساً بالأمس» انطلَقَ القِبْطيُّ إلى فِرعونَ فأخبرَهُ أنَّ موسى هو الذي قَتلَ الرجلَ، فأمَرَ بقتْلِ موسى، فعَلِمَ بذلك رجلٌ مِنْ شِيعةِ موسى فأتاهُ فأخبَرَهُ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾. فأمَّا الجَبّار، فقال السُّدِّيُّ: هو القَتّال، وقد شرحناه في

هود[١]، وأقصى المدينة: آخِرُها وأبعدُها، ويسعى، بمعنى يُسرع. قال ابنُ عباسٍ: وهذا الرجل هو مؤمنُ آلِ فِرعونَ، وسيأتي الخِلافُ في اسمه في سُورةِ المُؤمِن[٢]. فأمّا المَلأُ، فهم الوجُوه مِنَ الناسِ والأشرافِ. وفي قوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يتشاورون فيكَ لِيقتُلوكَ، قاله أبو عُبيدَة. **والثاني**: يَهمُّون بكَ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: يأمُرُ بعضُهم بعضاً بقتْلِكَ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ أي: مِنْ مِصرَ ﴿خَآئِفًا﴾ وقد مضى تفسيرُه[٣].

قوله تعالى: ﴿نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين أهلَ مِصرَ. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: تِجاهَ مَدْيَنَ ونحوَها، وأصلُه: اللِّقاءُ، وزيدت فيه التاءُ، قال الشاعر:

فاليومَ قَصَّرَ عن تِلْقائكَ الأمَلُ[٤]

أي: عن لِقائِكَ. قال المُفسِّرون: خرج خائفاً بغير زادٍ ولا ظَهْرٍ، وكان بينَ مِصرَ ومَدْيَنَ مسيرةُ ثمانيةِ أيامٍ، ولم يكن له بالطريق عِلْمٌ، فـ ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: قَصْدَه. قال ابنُ عباسٍ: لَم يكُنْ له عِلْمٌ بالطريقِ إلاّ حُسْنُ ظنّه بربِّه. وقال السُّدِّيُّ: بعثَ اللهُ تعالى له مَلَكاً فدَلَّه، قالوا: ولم يكن له في طريقه طعامٌ إلاّ وَرَقُ الشَّجرِ، فورَدَ ماءَ مَدْيَنَ وخُضرةُ البَقلِ تتراءى في بطنه مِنَ الهُزالِ؛ والأُمَّةُ: الجماعة، وهم الرُّعاةُ، ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشِيَهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: مِنْ سوى الأُمَّة ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ وهم ابنتا شُعَيبٍ؛ قال مُقاتِلٌ: واسمُ الكُبرى: صبوراً، والصُّغرى: عبرا ﴿تَذُودَانِ﴾ قال ابنُ قُتيبَةَ: أي: تكُفَّان غَنَمَهما، فحذفَ الغَنَمَ اختصاراً. قال المُفسِّرون: إنما فَعَلْنا ذلك لِيَفرُغَ الناسُ وتخلوَ لهما البئرُ، قال موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنُكما لا تَسقِيانِ؟! ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ وأبو الجَوزاءِ وابنُ يَعمَرَ وابنُ السَّمَيفَع: «لا نُسقي» برفعِ النون ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ وقرأ أبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وأبو جعفرَ: «يَصْدُرَ» بفتحِ الياءِ وضمِّ الدال، أي: حتى يَرجِعَ الرِّعاءُ. وقرأ الباقون: «يُصْدِرَ» بضمِّ

---

(١) هود: ٥٩. (٢) غافر: ٢٨. (٣) القصص: ١٨.

(٤) هو عجز بيت للراعي النميري وصدره: أملت خيرك هل تأتي مواعده

الياء وكسرِ الدال، أرادوا: حتى يَرُدَّ الرِّعاءُ غَنَمَهُم عن الماء. والرِّعَاءُ: جمعُ رَاعٍ، كما يُقال: صاحب وصِحاب. وقرأ عِكرمَةُ وسعيدُ بنُ جُبيرٍ وابنُ يَعمَرَ وعاصِمٌ الجَحْدَري: «الرُّعَاءُ» بضمِّ الراء، والمعنى: نحن امرأتانِ لا نستطيع أنْ نُزاحِمَ الرجالَ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يَقدِرُ أنْ يَسْقيَ ماشيَتَهُ مِنَ الكِبَرِ؛ فلذلك احتَجْنا نحن إلى أنْ نسقيَ، وكان على تلك البئر صخرةٌ عظيمةٌ، فإذا فرغ الرِّعاءُ مِنْ سَقيِهم أعادوا الصخرةَ، فتأتي المَرأتان إلى فُضولِ حِياضِ الرِّعاءِ فتَسْقيانِ غَنَمهما. ﴿فَسَقَىٰ﴾ موسى ﴿لَهُمَا﴾. وفي صفةِ ما صنع قولان: **أحدهما**: أنه ذهب إلى بئرٍ أُخرى عليها صخرَةٌ لا يقتلِعُها إلاَّ جماعةٌ مِنَ الناس، فاقتَلعها وسَقى لهما، قاله عمرُ بنُ الخطَّابِ وشُرَيحٌ. **والثاني**: أنه زَاحَمَ القومَ على الماء وسَقى لهما، قاله ابنُ إسحاقَ، والمعنى: سَقى غَنَمَهُما لأجلِهما.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ﴾ أي: انصرَفَ ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ وهو ظِلُّ شجرةٍ ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا﴾ اللامُ بمعنى إلى، فتقديره: إنِّي إلى ما ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وأراد بالخير: الطَّعامَ. وحكى ابنُ جَرير أنه أَسمَعَ المرأتين هذا الكلامَ تعريضاً أنْ تُطعِمَاهُ. ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ المعنى: فلمَّا شَرِبتْ غنَمُهما رَجَعَتا إلى أبيهما فأخبرَتاهُ خبرَ موسى، فبعثَ إحداهُما تدعو موسى. وفيها قولان: **أحدهما**: الصُّغرى. **والثاني**: الكُبرى. فجاءَتْهُ ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ قد سَترتْ وجهَها بِكُمِّ دِرْعِها. وفي سبب استحيائِها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان مِنْ صفتِها الحَياءُ، فهي تمشي مَشْيَ مَنْ لم تَعْتَدِ الخُروجَ والدُّخولَ. **والثاني**: لأنها دَعتْهُ لِتُكافِئَهُ، وكان الأجمَلُ عندَها أنْ تدعوَهُ مِنْ غير مكافأةٍ. **والثالث**: لأنها رسولُ أبيها.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا سمع موسى هذا القولَ كَرِهَهُ وأراد أنْ لا يتبَعها، فلم يجِدْ بُدّاً للجَهْدِ الذي به مِن اتِّباعها، فتبِعَها، فكانت الرِّيحُ تضربُ ثوبَها فيَصِفُ بعضَ جَسدِها، فناداها: يا أَمَةَ اللهِ، كوني خَلْفِي ودُلِّيني الطريقَ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: جاء موسى شُعَيباً ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: أخبره بأمره مِنْ حين وُلِدَ والسبب الذي أخرَجَهُ مِنْ أرضه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا سُلطانَ لِفرعونَ بأرضِنا ولسنا في مملَكَتِه. ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي الكُبرى: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ أي: اتَّخِذْهُ أجيراً ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ أي: خير مَنِ استعمَلْتَ على عَمَلِكَ مَنْ قَوِيَ على عملِكَ وأدَّى الأمانةَ؛ وإنَّما سمَّتْه قوياً، لِرَفعِه الحَجَرَ على رأسِ البئرِ، وقيل: لأنه استقَى بدَلْوٍ لا يُقِلُّها إلاَّ العددُ الكثيرُ مِنَ الرجالِ، وسمَّته أميناً، لأنه أمَرَها أنْ تمشيَ خَلفَهُ. وقال السُّدِّيُّ: قال لها شُعَيبٌ: قد رأيتِ قوَّته، فما يُدريك بأمانَتِه؟ فحدَّثَتْه. قال المُفسِّرون: فرَغِبَ فيه شُعَيبٌ، فقال له: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ أي: أُزَوِّجَكَ[1] ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي

---

(١) قال القرطبي في «التفسير» ١٣/ ٢٧٢: استدل أصحاب الشافعي بهذه الآية على أن النكاح موقوف على لفظ التزويج والإنكاح، وبه قال ربيعة وأبو ثور وأبو عبيد وداود ومالك على اختلاف منه. وقال علماؤنا في المشهور: ينعقد النكاح بكل لفظ. وقال أبو حنيفة. ينعقد بكل لفظ يقتضي التمليك على التأبيد.
ـ وقال الإمام الموفق في «المغني» ٩/ ٤٦٠: وينعقد النكاح بلفظ الإنكاح والتزويج والجواب عنهما إجماعاً، وهما اللذان ورد بهما نص الكتاب في قوله تعالى ﴿**زوجناكها**﴾ وقوله سبحانه ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء**﴾. ولا ينعقد بغير لفظ الإنكاح والتزويج، وبهذا قال ابن المسيب وعطاء والزهري وربيعة والشافعي. وقال الثوري والحسن بن صالح وأبو حنيفة وأصحابه وأبو ثور وأبو عبيد وداود: ينعقد بلفظ الهبة والصدقة والبيع والتمليك، وفي لفظ الإجارة روايتان عن أبي حنيفة، وقال مالك ينعقد بذلك إذا ذكر المهر اهـ ملخصاً.

ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ﴾ قال الفراء: تأجُرني وتأجِرني، بضمِّ الجيم وكسرِها، لُغتان. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: تكون أجيراً لي ثمانيَ سنين ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ أي: فذلك تفضل منكَ، وليس بواجبٍ عليكَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ أي: في العَشرِ. ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في حُسْنِ الصُّحبةِ والوفاء بما قُلتَ. ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾ أي: ذلك الذي وصفتَ وشَرطتَ عليَّ فَلَكَ، وما شَرطتَ لي مِنْ تزويجِ إحداهما فَلِي، فالأمرُ كذلك بينَنا. وتَمَّ الكلامُ هاهنا. ثم قال: ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾ يعني: الثَّمانيَ والعَشرَ. قال أبو عُبيدَةَ: «ما» زائدةٌ. قوله تعالى: ﴿قَضَيۡتُ﴾ أي: أتممتُ ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ أي: لا سبيلَ عَلَيَّ؛ والمعنى: لا تَعتَدِ عليَّ بأنْ تُلزِمَني أكثرَ منه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: واللهُ شاهِدُنا على ما عَقَدَ بعضُنا على بعضٍ. واختلفَ العلماءُ في هذا الرجل الذي استأجَرَ موسى على أربعةِ أقوالٍ[(١)]:

[١٠٧٥] **أحدها**: أنه شُعيبٌ نبيُّ الله ﷺ، وعلى هذا أكثرُ أهل التفسير. وفيه أثَرٌ عن النبيِّ ﷺ يدلُّ عليه، وبه قال وَهْبٌ، ومُقاتِلٌ.

والثاني: أنه صاحبُ مَدْيَنَ، واسمه يثربي، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: رجلٌ مِنْ قوم شُعَيبٍ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: أنه يثرون ابنُ أخي شُعَيبٍ، رواه عمرُو بنُ مرَّةَ عن أبي عُبيدَةَ بنِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ، وبه قال ابنُ السَّائِبِ. واختلفوا في التي تزوَّجها موسى مِنَ الابنتين على قولين: **أحدهما**: الصُّغرى، رُوي عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الكُبرى، قاله مُقاتِلٌ. وفي اسم التي تزوَّجها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: صفوريا، حكاه أبو عِمرَانَ الجَوْني. **والثاني**: صفورة، قاله شُعَيبٌ الجبائي. **الثالث**: صبورا، قاله مُقاتِلٌ.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ (٣١) ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ

[١٠٧٥] واهٍ. أخرجه البزار ٢٨٢٨ والطبراني ٦٣٦٤ من حديث سلمة بن سعد، وإسناده واهٍ.
ـ قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/٥١: فيه من لم أعرفهم.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١٠/٦١: وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان... قالت إحداهما يا أبت استأجره﴾. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/٤٧٦: ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى، لم يصح إسنادها، والموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه يثرون.

أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾.

[١٠٧٦] روى ابنُ عباسٍ عن رسول الله ﷺ أنه سُئِلَ: أيّ الأجلَيْنِ قضى موسى، قال: «أوفاهُما وأطيَبَهما». قال مُجاهِدٌ: مَكثَ بعد قضاءِ الأجَلِ عندهم عشراً أُخَرَ. وقال وَهب بنُ مُنَبِّهٍ: أقام عندهم بعد أنْ أدخل عليه امرأتَهُ سنين، وقد سبق تفسيرُ هذه الآية(١) إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ: «جِذْوَةٍ» بكسرِ الجيم. وقرأ عاصِمٌ بفتْحِها. وقرأ حمزةُ، وخَلَفٌ، والوليدُ عن ابنِ عامرٍ بضمِّها، وكلُّها لُغاتٌ. قال ابنُ عباسٍ: الجَذوَةُ: قطعةُ حَطَبٍ فيها نارٌ، وقال أبو عُبيدَةَ: قطعةٌ غليظةٌ مِنَ الحَطبِ ليس فيها لَهَبٌ، وهي مثل الجِذْمَة مِنْ أصل الشجر، قال ابنُ مُقبَلٍ:

باتَتْ حَواطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَها جَزْلَ الجِذا غيرَ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِرِ(٢)

والدَّاعِرُ: الذي قد نَخِرَ، ومنه رَجلٌ دَاعِرٌ. أي: فاسد.

قوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ﴾ وهو: جانبُه ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ وهو الذي عن يمين موسى ﴿فِى

[١٠٧٦] حديث حسن أو يشبه الحسن. أخرجه الحاكم ٢/ ٤٠٨ ح ٣٥٣١ من حديث ابن عباس، سكت عليه الحاكم، وضعفه الذهبي بقوله: حفص ـ ابن عمر العدني ـ واهٍ.
وتوبع حفص، فقد أخرجه الحميدي ٥٣٥ وأبو يعلى ٢٤٠٨ والبزار ٢٢٤٥ «كشف» والطبري ٢٧٤٠٩ والحاكم ٢/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ح ٣٥٣٢ كلهم من حديث ابن عباس، «أن النبي ﷺ سأل جبريل: «أي الأجلين قضى موسى؟» قال: أتمهما» وإسناده ضعيف فيه إبراهيم بن يحيى، وهو مجهول كما قال الذهبي في رده على الحاكم حيث صحح الحديث، وكذا أعله الحافظ في «تخريجه» ٣/ ٤٠٧ بجهالة إبراهيم هذا، وقد سقط إبراهيم هذا من إسناد أبي يعلى، فجرى الهيثمي في «المجمع» ١١٢٥٠ على ظاهره، فقال: رجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان، وهو ثقة! وكذا حسنه الشيخ حسين أسد محقق «مسند أبي يعلى» جرياً على ظاهره، وليس كذلك كما تقدم. لكن المرفوع ورد من وجوه أُخَر. فقد ورد من حديث أبي ذر، أخرجه البزار ٢٢٤٤ «كشف» وإسناده ضعيف جداً لأجل إسحق بن إدريس، متروك ومثله شيخه عوبد بن أبي عمران، وقد توبع إسحق عند الطبراني في «الصغير» ٨١٥ و «الأوسط» كما في «المجمع» ١١٢٢٥٢. وقال الهيثمي: إسناده حسن، كذا قال رحمه الله! مع أن فيه عوبد، وهو متروك. وورد من حديث عتبة بن النُّدر، أخرجه ابن ماجه ٢٤٤٤ وإسناده ضعيف جداً فيه بقية بن الوليد، مدلس، وقد عنعن، وفيه مسلمة بن علي الخشني، وهو متروك. وورد من وجه آخر عن أبي لهيعة، أخرجه البزار ٢٢٤٦ والطبراني ١٧/ ٣٤ ـ ١٣٥، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٧٧ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وورد من مرسل مجاهد، أخرجه الطبري ٢٧٤١٠. ومن مرسل محمد بن كعب القرظي، أخرجه ٢٧٤٠٨ فلعل هذه الروايات بمجموعها تتأيد ويصير الحديث حسناً، على أنه أخرجه الطبري من وجوه عن ابن عباس وغيره موقوفاً، غير مرفوع والله أعلم.
وانظر «تفسير الشوكاني» ١٨٥٦ و ١٨٥٧ و ١٨٥٨ و ١٨٥٩ و «تفسير ابن كثير» كلاهما بتخريجي.

---

(١) طه: ١٠.
(٢) الحواطب: الجواري يطلبن الحطب، وفي «اللسان»: الجزل: الحطب اليابس الغليظ. والجذى: جمع جذوة، وهو العود الغليظ الذي في رأسه نار أو لا. الخوّار: الضعف. الدعر: الفساد والسوس.

﴿ٱلْبُقْعَةِ﴾ وهي القطعةُ مِنَ الأرض ﴿ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ بتكليم الله موسى فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: مِنْ ناحيَتِها. وفي تلك الشجرة قولان: **أحدهما**: أنها شجرةُ العنَّابِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عَوسَجةٌ، قاله قتادةُ، وابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. وما بعد هذا قد سبقَ بيانُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾ أي: مِنْ أن ينالَك مكروهٌ.

قوله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ أي: أَدخِلْها، ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ قد فسَّرنا الجَناحَ في طه[2] إلاّ أنَّ بعضَ المفسِّرين خالَفَ بين تفسير اللفظين، فشَرحناهُ. وقال ابنُ زيدٍ: جَناحُهُ: الذِّراع والعَضُدُ والكَفُّ. وقال الزَّجَّاجُ: الجَناحُ هاهنا: العَضُدُ، ويُقال لليَد كلِّها: جناحٌ. وحكى ابنُ الأنباري عن الفَرَّاءِ أنه قال: الجَناحُ: العصا. قال ابنُ الأنباري: الجَناحُ للإنسان مُشبَّهٌ بالجناح للطائر، ففي حالٍ تُشبِّهُ العربُ رِجْلَي الإنسان بجَناحَي الطائر، فيقولون: قد مضى فلانٌ طائراً في حاجَتِه، يَعنُونَ ساعياً على قَدَمَيه، وفي حالٍ يجعلون العضُدَ منه بمنزلة جناحَي الطائر، كقوله: «واضمُمْ يدَكَ إلى جناحِكَ»، وفي حالٍ يجعلون العصا بمنزلة الجَناح، لأنَّ الإنسان يدفعُ بها عن نفسه كدَفْعِ الطائر عن نفسه بجَناحِه، كقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾، وإنما يُوقِعُ الجَناحَ على هذه الأشياء تشبيهاً واستعارةً، كما يُقال: قد قُصَّ جَناحُ الإنسان، وقد قُطِعتْ يدُهُ ورجلُهُ: إذا وقعت به جائحةٌ أبطلت تصرُّفَهُ؛ ويقول الرجل للرجل: أنت يَدِي ورِجْلِي، أي: أنتَ مَنْ به أَصِلُ إلى محابِي، قال جَريرٌ:

سَـأَشـكُـرُ أَنْ رَدَدْتَ إِلـيَّ رِيـشِـي وأَنـبَـتَّ الـقَـوادِمَ فـي جَـنـاحِـي

وقالت امرأةٌ مِنَ العرب ترثي زوجَها الأغرَّ:

يـا عِـصـمَـتـي فـي الـنَّـائـبـاتِ ويـا رُكْـنـي الأغـرّ ويـا يَـدي الـيُـمـنـى

لا صُـنْـتُ وَجـهـاً كـنـت صَـائِـنَـهُ أبـداً ووَجـهُـكَ فـي الـثَّـرى يَـبْـلَـى

وأما الرَّهب، فقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «مِنَ الرَّهَب» بفتح الراء والهاء. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «من الرُّهْب» بضمِّ الراء وسكونِ الهاء. وقرأ حفص وأبان عن عاصم: «من الرَّهْب» بفتح الراء وسكون الهاء. وهي قراءة ابنِ مسعودٍ، وابنِ السَّمَيفَع. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ: بضمِّ الراء والهاء. قال الزَّجَّاجُ: الرُّهْب، والرَّهَب بمعنًى واحدٍ، مثل الرُّشْد، والرَّشَد. وقال أبو عُبيدَةَ: الرُّهب والرَّهْبة بمعنى الخوف والفَرَقِ. وقال ابنُ الأنباري: الرَّهْبُ، والرُّهْب، والرَّهَب، مثل الشَّغْل، والشُّغْل، والشَّغَل، والبَخْل، والبُخْل، والبَخَل، وتلك لُغاتٌ ترجع إلى معنى الخوف والفَرَقِ.

وللمفسِّرين في معنى هذه الآية ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنّه لمَّا هرب مِنَ الحَيَّة أمرَهُ اللهُ تعالى أنْ يَضُمَّ إليه جناحَهُ ليذهبَ عنه الفَزَعُ. قال ابنُ عباسٍ: المعنى: اضمُمْ يدَكَ إلى صدرِكَ مِنَ الخوف ولا خوفَ عليكَ. وقال مُجاهِدٌ: كلُّ مَنْ فَزِعَ فَضَمَّ جناحَهُ إليه ذهب عنه الفزعُ. **والثاني**: أنّه لمَّا هالَهُ بياضُ يدِه وشُعاعُها، أُمِرَ أنْ يُدخِلَها في جَيبه، فعادَتْ إلى حالَتِها الأولى. **والثالث**: أنَّ معنى الكلام: سَكِّنْ رَوْعَكَ، وثَبِّتْ جأشَك. قال أبو عليٍّ: ليس يُراد به الضَّمُّ بين الشيئين، إنما أُمِرَ بالعزم على ما أُمِرَ به

---

(١) النمل: ١٠. (٢) طه: ٢٢.

والجدّ فيه، ومثله: اشدُدْ حَيازيمَكَ للموتِ.

قوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «فذانّك» بالتشديد. وقرأ الباقون: «فَذَانِكَ» بالتَّخفيف. قال الزَّجَّاجُ: التشديد تثنيةُ «ذلك»، والتخفيف تثنيةُ «ذاك»، فجعل اللامَ في «ذلك» بَدَلاً مِنْ تشديد النون في «ذانّك»، ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ أي: بيانان اثنان. قال المُفسِّرون: «فَذَانِكَ» يعني العصا واليدَ، حُجَّتان مِنَ الله تعالى لموسى على صِدْقِه، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فِرعونَ. وقد سبق تفسيرُ ما بعدَ هذا[1] إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أي: أحسنُ بياناً، لأنَّ موسى كان في لسانه أثرُ الجَمرةِ التي تناوَلَها، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ قرأ الأكثرون: «رِدْءاً» بسكونِ الدال وبعدها همزةٌ. وقرأ أبو جعفرَ: «رِدا» بفتح الدال وألِفٍ بعدَها مِنْ غير همزٍ ولا تنوينٍ؛ وقرأ نافعٌ كذلك إلاَّ أنه نوَّنَ. قال الزَّجَّاجُ: الرِّدْءُ: العَونُ، يُقال: رَدأْتُه أردَؤُه رِدءاً: إذا أعنْتَه. قوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ: «يُصَدِّقُني» بضمِّ القاف. وقرأ الباقون بسكونِ القاف. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ جزمَ «يُصَدِّقْني» فعلى جوابِ المسألة: أَرْسِلْهُ يُصَدِّقْني؛ ومَنْ رَفعَ، فالمعنى: رِدءاً مُصَدِّقاً لي. وأكثر المفسِّرين على أنه أشارَ بقوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ إلى هارونَ؛ وقال مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ: لكي يُصَدِّقَني فِرعونُ.

قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: سنُعينُكَ بأخيكَ، ولفظُ العَضُد على جهةِ المَثَلِ، لأنَّ اليدَ قِوامُها عَضُدُها، وكلُّ مُعِيْنٍ فهو عَضُدٌ، ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾ أي: حُجَّةً بيِّنةً. وقيل للزَّيتِ: السَّليط، لأنه يُستضاءُ به؛ فالسُّلطانُ: أَبيَنُ الحُجَجِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: بقتْلٍ ولا أذًى. وفي قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: تمتَنِعانِ منهم بآياتِنا وحُجَجِنا فلا يَصِلُون إليكما. **والثاني**: أنَّه مُتعلِّقٌ بما بعده، فالمعنى: بآياتِنا أنتما ومَنِ اتَّبعَكُما الغالبون، أي: تَغلِبُون بآياتِنا. **والثالث**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ونجعلُ لَكُما سُلطاناً بآياتنا فلا يَصِلُون إليكما.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ أي: ما هذا الذي جئتَنا به إلاَّ سِحرٌ افتريتَهُ مِنْ قِبَلِ نَفسِكَ ولم تُبعَثْ به ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا﴾ الذي تدعونا إليه ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «قال موسى» بِلاَ واوٍ، وكذلك هي في مصاحِفِهِم ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: هو أعلَمُ بالمُحِقِّ منَّا، ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ، والمُفَضَّلُ: «يكون» بالياء، والباقون بالتاء.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ

(١) الشعراء: ١٤.

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: اصنعْ ليَ الآجُرَّ ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ أي: قصراً عالياً. وقال الزَّجَّاجُ: الصَّرْحُ: كلُّ بناءٍ متَّسعٍ مرتفعٍ. وجاء في التفسير أنه لمَّا أمرَ هامَانَ ـ وهو وزيرُهُ ـ ببناء الصَّرحِ، جَمَعَ العمَّالَ والفعَلَةَ حتى اجتمع خمسون ألف بنَّاءٍ سوى الأتباع، فرَفَعُوه وشيَّدُوه حتى ارتفعَ ارتفاعاً لم يبلُغْهُ بُنيانُ أحدٍ قطُّ، فلمَّا تمَّ ارتقى فِرعونُ فوقه، وأمر بنُشَّابَةٍ فرمى بها نحو السماء، فرُدَّتْ وهي متلطِّخَةٌ بالدَّم، فقال: قد قَتلتُ إلهَ موسى، فبعثَ الله تعالى جبريلَ فضرَبَهُ بجناحِه فقطعه ثلاثَ قِطعٍ، فوقعت قطعةٌ على عَسكرِ فِرعونَ فقتلَتْ ألفَ ألفِ رجلٍ، ووقعت أخرى في البحرِ، وأخرى في المَغْرِبِ(١).

قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أي: أصعَدُ إليه وأُشرِفُ عليه ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني موسى ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعائه إلهاً غيري. وقال ابنُ جَريرٍ: المعنى: أظنُّ موسى كاذباً في ادِّعائه أنَّ في السماء ربّاً أرسلَهُ. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني أرضَ مِصرَ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بالباطل والظُّلم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبَعثِ للجزاءِ. قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ وعاصِمٌ وابنُ عامرٍ: «يُرْجَعون» برفعِ الياء؛ وقرأ نافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ: بفتحِها.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ أي: قادةً في الكُفرِ يأتمُّ بهم العُتاةُ ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ لأنَّ مَنْ أطاعهم دَخلَها؛ و «يُنصرون» بمعنى: يُمْنعون مِنَ العذاب. وما بعد هذا مفسَّرٌ في هود(٢). قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: مِنَ المُبعَدينَ المَلعُونين؛ قال أبو زيدٍ: يُقال: قَبحَ الله فلاناً، أي: أبعَدَهُ مِنْ كلِّ خيرٍ. وقال ابنُ جُريجٍ: معنى الآية: وأتبعنَاهم في هذه الدنيا لعنةً ويومَ القيامة لَعنةً أخرى، ثم استقبلَ الكلامَ، فقال: هم مِنَ المَقبُوحِينَ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني قومَ نُوحٍ وعادٍ وثَمودَ وغيرَهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: ليتبصَّرُوا به ويَهتدُوا.

---

(١) هذا الأثر من الإسرائيليات ولا حجة فيه، ذكره البغوي ٣/ ٣٨٣ بقوله: قال أهل السير.
(٢) هود: ٦٠ ـ ٩٩.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: وما كنتَ بجانبِ الجبل الغَربيِّ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أحْكَمْنا الأمرَ معه بإرسالِه إلى فِرعونَ وقومِه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لذلك الأمرِ؛ وفي هذا بيانٌ لصحَّةِ نبوَّة نبيِّنا ﷺ، لأنهم يعلمون أنه لم يقرأ الكُتبَ، ولم يشاهِدْ ما جرى، فلولا أنَّه أُوحِيَ إليه ذلك، ما عَلِمَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أي: خَلَقْنا أُمَماً مِن بعدِ موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي: طالَ إمهالُهم فنسُوا عهدَ الله وتركوا أمرَه؛ وهذا يدلُّ على أنه قد عُهِدَ إلى موسى وقومِه عهودٌ في أمر محمَّدٍ ﷺ، وأُمِرُوا بالإيمان به، فلمَّا طالَ إمهالُهم، أعرَضُوا عن مُراعَاةِ العُهودِ. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي: مُقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ فتَعلَمَ خبرَ موسى وشُعَيبٍ وابنتيهِ فتَتْلُو ذلك على أهلِ مكّةَ ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أرسلناك إلى أهل مكة وأخبرنَاكَ خبرَ المُتقدّمين، ولولا ذلك ما عَلِمتَهُ. ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي: بناحيةِ الجبل الذي كُلِّمَ عليه موسى ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى وكلَّمناه، هذا قولُ الأكثرين؛ وقال أبو هُرَيرَةَ: كان هذا النداءُ: يا أُمّةَ محمَّدٍ، أعطيتُكم قبلَ أنْ تسألُوني، وأستَجيبُ لكم قبلَ أنْ تَدعُوني.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ قال الزَّجّاجُ: المعنى: لم تُشاهِدْ قَصَصَ الأنبياء، ولكنَّا أوحيناها إليكَ وقَصصناها عليكَ، رحمةً مِنْ ربِّكَ. ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ جوابُ «لولا» محذوفٌ، تقديره: لولا أنهم يحتَجُّونَ بتَرْكِ الإرسالِ إليهم لعاجلناهم بالعقوبة، وقيل: لولا ذلك لم نحتج إلى إرسال الرسل ومؤاتَرَةِ الاحتِجاجِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ يعني أهلَ مكّةَ ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهو محمَّدٌ عليه السلام والقرآنُ ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ أي: هَلاَّ ﴿أُوتِىَ﴾ محمَّدٌ مِنَ الآيات ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ كالعصا واليَدِ. قال المُفسِّرون: أمَرتِ اليهودُ قُرَيشاً أنْ تسألَ محمَّداً ﷺ مثلَ ما أُوتيَ موسى، فقال اللّهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ أي: فقد كفروا بآياتِ موسى، و ﴿قَالُوا۟﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: اليهود. **والثاني**: قُريشٌ. ﴿سِحْرَانِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ: «ساحران». ﴿تَظَٰهَرَا﴾ أي تعاوَنا. وروى العبَّاسُ الأنصاري عن أبي عمرٍو: «تَظّاهَرا» بتشديدِ الظاء. وفيمَنْ عنَوْا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: موسى ومحمَّدٌ، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ؛ فعَلَى هذا هو مِنْ قول مُشرِكي العرب.

والثاني: موسى وهارونُ، قاله مُجاهِدٌ: فعَلَى هذا هو مِنْ قولِ اليهودِ لهما في ابتداءِ الرِّسالة. **والثالث**: محمَّدٌ وعيسى عليهما السلام، قاله قَتادَةُ؛ فعَلَى هذا هو مِنْ قولِ اليهودِ الذين لم يُؤمنوا بنَبيِّنا. وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ والكِسَائيُّ: «سِحْران» وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: التَّوراةُ والفُرقانُ، قاله ابنُ عباسٍ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: الإنجيلُ والقرآنُ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: التَّوراةُ والإنجيلُ، قاله أبو مِجْلَزٍ وإسماعيلُ بن أبي خالدٍ. ومعنى الكلام: كلُّ سِحْرٍ منهما يُقَوِّي الآخرَ، فنُسِبَ التظاهرُ إلى السِّحْرَين توسُّعاً في الكلام، ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ يعنونَ ما تقدَّم ذِكرُه على اختلاف الأقوال، فقال اللَّهُ تعالى لنبيِّهِ ﴿قُلْ﴾ لكفَّار مكَّةَ ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ أي مِنَ التَّوراةِ والقرآنِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّهما ساحِرانِ. ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ أي فإنْ لم يأتُوا بمِثْلِ التَّوراةِ والقرآنِ، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي أنَّ ما رَكِبوه مِنَ الكفرِ لم يحمِلْهُم عليه حُجَّةٌ، وإنما آثَروا فيه الهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي: ولا أحدَ أضلُّ ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ أي بغير رُشدٍ ولا بيانٍ جاء ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾. ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ وقرأ الحَسنُ وأبو المُتوكِّلِ وابنُ يَعمُرَ: «وصَلْنَا» بتخفيف الصاد. وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم قُريشُ، قاله الأكثرون، منهم مُجاهِدٌ. **والثاني**: اليهود، قاله رِفاعَةُ القُرَظي. والمعنى: أنزلْنا القرآنَ يتبع بعضه بعضاً، ويُخبِرُ عن الأُمَمِ الخاليَةِ كيف عُذِّبوا لعلَّهم يتَّعظون. ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم مُؤمِنو أهلِ الكتاب، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: مُسلِمو أهل الإنجيلِ.

[١٠٧٧] روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على رسول الله ﷺ فشهدوا معه أُحُداً، فنزلت فيهم هذه الآيةُ.

والثالث: مُسلِمو اليهود؛ كعَبْدِ الله بنِ سَلام وغيرِه، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي مِنْ قبل القرآن ﴿هُم بِهِۦ﴾ في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى محمَّدٍ ﷺ لأنَّ ذِكْرَهُ كان مكتوباً عندهم في كُتُبِهم فآمَنوا به. **والثاني**: إلى القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني القرآنَ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي مِنْ قبلِ نُزولِ القرآن ﴿مُسْلِمِينَ﴾ أي مُخلِصِينَ لله تعالى مُصَدِّقين بمحمَّدٍ، وذلك لأنَّ ذِكْرَهُ كان في كُتُبِهم فآمَنُوا به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنَّهم مُؤمِنُو أهلِ الكتاب، وهذا قولُ الجمهور، وهو الظَّاهِرُ، وفيما صَبَروا عليه قولان: أحدهما: أنهم صَبَروا على الكتاب الأوَّل وصَبَروا على اتِّباعِهم محمَّداً ﷺ قاله قَتادَةُ وابنُ زيدٍ. والثاني: أنهم صَبَروا على الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ قبل أنْ يُبْعَثَ ثم على اتِّباعِه حينَ بُعِثَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والقول الثاني**: أنهم قومٌ مِنَ المشركين أسلَمُوا فكان قومُهم يُؤذونَهم فصَبروا على الأذى، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه أقوالٌ قد شرحناها في الرَّعد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الأذى والسَّبُّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: الشِّركُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنهم قومٌ مِنَ اليهود آمَنوا، فكانوا يسمعون ما غيَّرَ اليهودُ مِنَ

[١٠٧٧] ضعيف جداً. أخرجه الطبراني في «الأوسط» برقم ٧٦٥٨ من حديث ابن عباس بأتم منه، **وإسناده ضعيف جداً**. فيه مجاهيل. قال السيوطي في «الأسباب» ١٠٧٣: فيه من لا يعرف.

صِفةِ رسولِ الله ﷺ فيكرَهون ذلك ويُعرِضُون عنه، قاله ابنُ زيدٍ. وهل هذا مَنسُوخٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: لنا دِينُنا ولكم دِينُكم. **والثاني**: لنا حِلْمُنا ولكم سَفَهُكم. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لم يُريدوا التَّحيَّةَ، وإنَّما أرادوا: بيننا وبينَكم المُتَارَكةُ، وهذا قبلَ أنْ يُؤمَرَ المسلمون بالقتال. وذَكَر أهلُ التَّفسير، أنَّ هذا مَنسوخٌ بآية السَّيفِ. وفي قوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا نبتَغي دِينَ الجاهِلين. **والثاني**: لا نطلُبُ مجاورَتَهم. **والثالث**: لا نريد أنْ نكونَ جُهَّالاً؛ واللَّهُ أعلم

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قد ذكرنا سببَ نُزولِها عند قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾(1).

[١٠٧٨] وقد روى مُسلِمٌ فيما انفرَدَ به عن البُخاريِّ مِنْ حديث أبي هُريرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ لِعَمِّهِ: «قل: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، أشهَدُ لكَ بها يومَ القيامة»، فقال: لولا أنْ تُعيِّرَني نساءُ قُريشٍ، يَقُلْنَ: إنَّما حملَهُ على ذلك الجَزَعُ، لأقررْتُ بها عينَكَ، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾. قال الزَّجَّاجُ: أجمعَ المُفسِّرون أنها نزلت في أبي طالبٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قولان: **أحدهما**: مَنْ أحبَبتَ هِدايَتَهُ. **والثاني**: مَنْ أحببتَهُ لِقرابَتِه. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ أي: يُرْشِدُ لِدِينِه مَنْ يشاءُ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: بمَنْ قدِّر له الهُدى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ في رواية العَوفيِّ: هم ناسٌ مِنْ قُريشٍ قالوا ذلك. وقال في رواية ابنِ أبي مُلَيْكَةَ: إنَّ الحارثَ بنَ عامرِ بنِ نَوفَلٍ قال ذلك.

[١٠٧٩] وذكر مُقاتِلٌ أنَّ الحارثَ بنَ عامرٍ قال لرسول الله ﷺ: إنَّا لَنعلَمُ أنَّ الذي تقولُ حقٌّ، ولكنْ يمنَعُنا أنْ نتَّبعَ الهُدى معك مَخافةَ أنْ تتخطَّفَنا العربُ من أرضنا، يعنون مكة.

[١٠٧٨] صحيح. أخرجه مسلم ٤١، ٤٢ والترمذي ٣١٨٨ وأحمد ٢/ ٤٣٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٦٦٢ من حديث أبي هريرة دون كلمة «نساء» وقد انفرد مسلم بروايته بهذا اللفظ مختصراً.
ـ وقد مضى تخريجه بأطول منه في سورة التوبة عند الآية ١١٣. متفق عليه.

[١٠٧٩] ضعيف. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم، لكن ورد من وجه آخر. أخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٣٨٥ من طريق عمرو بن شعيب عن ابن عباس، وهو منقطع، قال النسائي: ولم يسمعه منه، أي لم يسمع عمرو من ابن عباس. فالإسناد ضعيف، ولا يصح هذا الخبر.

---

(1) التوبة: ١١٣.

ومعنى الآية: إن اتبعناك على دينك خفنا العرب لِمُخالفتنا إيَّاها. والتَّخطُّفُ: الانتزاعُ بسرعةٍ؛ فَرَدَّ اللَّهُ عليهم قولَهم، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ أي: أَوَلَمْ نُسكِنهم حَرَماً ونجعلْهُ مكاناً لهم، ومعنى ﴿ءَامِنًا﴾: ذو أمنٍ يأمَنُ فيه الناسُ، وذلك أنَّ العرب كانت يُغِيرُ بعضُها على بعضٍ، وأهلُ مكَّةَ آمِنُونَ في الحَرَمِ مِنَ القتلِ والسَّبيِ والغَارَةِ، أي: فكيف يخافون إذا أسلَمُوا وهم في حَرَمٍ آمِنٍ؟! ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ قرأ نافعٌ: «تُجبى» بالتاء، أي: تُجمَع إليه وتُحمَلُ مِنْ كلِّ النَّواحي الثَّمراتُ، ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: مِنْ عندِنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله تعالى هو الذي فعلَ بهم ذلك فيشكُرونَهُ. ومعنى الآية: إذا كنتم آمِنِيْنَ في حَرَمي تأكلون رزقي وتعبُدون غيري، فكيف تخافون إذا عَبَدتُموني وآمَنتُم بي؟! ثم خوَّفَهم عذابَ الأُمَمِ الخاليةِ فقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: «معيشتَها» منصوبةٌ بإسقاطِ «في»، والمعنى: بَطِرَتْ في معيشَتِها، والبَطَرُ: الطُّغيانُ في النِّعمَةِ. قال عطاءٌ: عاشوا في البَطَرِ فأكلوا رِزقَ اللَّهِ وعَبَدوا الأصنامَ. قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابنُ عباس: لم يسكُنها إلاَّ المسافرون ومارُّ الطريق يوماً أو ساعة، والمعنى: لم تُسْكَن مِنْ بَعدِهم إلاَّ سُكنى قليلةً ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: لم يخلُفْهم أحدٌ بعد هلاكِهم في منازلهم، فبقِيَتْ خَراباً غير مسكُونَةٍ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني القُرى الكافرَ أهلُها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي: في أعظمِها ﴿رَسُولًا﴾، وإنما خَصَّ الأعظمَ ببعثَةِ الرَّسولِ، لأنَّ الرَّسولَ إنَّما يُبعثُ إلى الأشرافِ، وأشرافُ القوم مُلوكُهم، وإنما يسكنُون المواضعَ التي هي أُمُّ ما حولَها. وقال قتادة: أُمُّ القُرى: مكَّةُ، والرسولُ: محمَّدٌ ﷺ. قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ قال مُقاتِلٌ: يُخبرهم الرَّسولُ أنَّ العذاب نازلٌ بهم إنْ لم يُؤمِنوا. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: بظُلمِهم أُهلِكُهُم. وظُلمُهُم: شِركُهم. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: ما أُعطيتُم مِنْ مالٍ وخيرٍ ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تتمتَّعون به أيامَ حياتِكم ثم يَفنى وينقضي، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الثَّواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أفضلُ وأدْوَمُ لأهلِه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الباقي أفضلُ مِنَ الفاني؟!

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ اختُلف فيمن نزلت على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جَهلٍ. **والثاني**: في عليٍّ وحمزَةَ رضي اللَّهُ عنهما، وأبي جهلٍ. والقولان مَرويَّان عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: في المؤمن والكافر، قاله قَتادةُ. **والرابع**: في عمَّارٍ والوليدِ بنِ المُغيرةِ، قاله السُّدِّيُّ. وفي الوَعدِ الحَسنِ قولان: **أحدهما**: الجَنَّةُ. **والثاني**: النَّصرُ.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ أي: مُصيبه ومُدرِكُه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: كَمَنْ هو ممتَّعٌ بشيءٍ يَفنى ويَزولُ عن قريبٍ ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مِنَ المُحْضَرِينَ في عذاب الله تعالى، قاله قَتادةُ.

والثاني: مِنَ المُحْضَرِين للجَزاءِ، حكاه المَاوَرْدِي.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: يُنادي اللّهُ تعالى المشركين يومَ القيامة ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ هذا على وَجْهِ حكايةِ قولِهم؛ والمعنى: أينَ شُركائيَ في قولِكُم؟! ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: وَجَب عليهم العذابُ، وهم رُؤساءُ الضَّلالةِ، وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم رُؤوسُ المشركين. **والثاني**: أنهم الشياطينُ ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ يعنونَ الأتباعَ ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي: أضللناهم كما ضَلَلْنا ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تبرأنا منهم إليك؛ والمعنى أنهم يَتَبرَّأ بعضُهم مِنْ بعضٍ ويصيرون أعداء. ﴿وَقِيلَ﴾ لكُفَّار بني آدمَ ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: استغيثوا بآلهتِكم لتُخلِّصكم مِنَ العذاب ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ أي: فلم يُجيبُوهم إلى نَصرِهم ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ قال الزَّجّاجُ: جوابُ «لو» محذوفٌ؛ والمعنى: لو أنهم كانوا يهتدون لَمَا اتَّبعُوهم ولَمَا رَأَوُا العذابَ. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: يُنادي اللّهُ الكفَّارَ ويسألُهم ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وقَتادةُ، وأبو العَاليةِ، وأبو المُتوكِّلِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «فَعُمِّيَتْ» برفع العين وتشديدِ الميم. قال المُفسِّرون: خَفِيَتْ عليهم الحُجَجُ، وسمِّيت أنباءً، لأنها أخبارٌ يُخبَرُ بها. قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: عَمُوا عنها ـ مِنْ شدَّةِ الهَولِ ـ فلم يُجيبوا، و«الأنباءُ» الحُجَجُ.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: لا يسأل بعضُهم بعضاً عن الحُجَّة، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنَّ المعنى: سَكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعةِ، قاله الفَرَّاءُ. **والثالث**: لا يسأل بعضُهم بعضاً أنْ يحملَ عنه شيئاً مِنْ ذُنوبِه، حكاه المَاوَرْدِي.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشِّرك ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: صَدَّق بتوحيدِ الله عزَّ وجلَّ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدّى الفرائضَ ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ و«عسى» مِنَ الله عز وجل واجبٌ.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ روى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ قال: كانوا يجعلون لآلهتِهم خيرَ أموالِهم في الجاهليَّة.

[١٠٨٠] وقال مُقاتِلٌ: نزلت في الوليدِ بنِ المُغيرةِ حين قال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(١).

والمعنى أنَّه لا تُبْعَثُ الرُّسلُ باختيارِهم. قال الزَّجَّاجُ: والوَقْفُ الجيِّدُ على قوله تعالى: «ويختار» وتكون «ما» نفياً؛ والمعنى: ليس لهم أنْ يَختَاروا على اللَّهِ تعالى؛ ويجوز أنْ تكونَ «ما» بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: ويختارُ الذي لهم فيه الخِيرةُ ممَّا يتعبَّدُهم به ويَدعُوهُم إليه؛ قال الفَرَّاءُ: والعرب تقول لِمَا تختارُهُ: أعطِني الخِيرَةَ والخِيرَةَ والخَيْرَةَ، قال ثعلَبُ: كلُّها لُغاتٌ.

قوله تعالى: ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تُخفي مِنَ الكُفرِ والعداوة ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسِنَتِهم. قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: يَحْمَدُه أولياؤه في الدنيا ويَحْمَدُونَهُ في الجنَّةِ ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ وهو الفَصلُ بين الخلائق. والسَّرمَدُ: الدَّائم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا
تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ
ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: سَماعَ فَهمٍ وقَبولٍ فتستدِلُّوا بذلك على وَحدانيَّةِ الله تعالى؟! ومعنى ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: تستريحون مِنَ الحَركةِ والنَّصَبِ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه مِنَ الخطأ والضَّلالةِ؟! ثم أخبرَ أنَّ اللَّيلَ والنَّهارَ رحمةٌ منه. وقوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ يعني في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: لِتلتمِسُوا مِنْ رزقِه بالمَعاشِ في النهار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الذي أنْعَمَ عليكم بهما. قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرَجنا مِنْ كلِّ أُمَّةٍ رسولَها الذي يَشهدُ عليها بالتَّبليغ ﴿فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حُجَّتَكُم على ما كنتم تعبُدون مِنْ دُوني ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: عَلِموا أنَّه لا إلهَ إلاَّ هو ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بَطَلَ في الآخرة ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا مِنَ الشُّركاءِ.

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ
وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

[١٠٨٠] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٦٥ بدون إسناد، بقوله: قال أهل التفسير.

---

(١) الزخرف: ٣١.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي: مِنْ عشيرَتِه؛ وفي نَسَبِه إلى موسى ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه كان ابنَ عمِّهِ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عبدُ الله بنُ الحارثِ، وإبراهيمُ، وابنُ جُرَيج. **والثاني**: ابنَ خالَتِه، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه كان عَمَّ موسى، قاله ابنُ إسحاقَ. قالَ الزَّجَّاجُ: «قارون» اسمٌ أعجميٌّ لا ينصَرِفُ، ولو كان «فاعولاً» مِنَ العربية مِنْ «قَرَنْتُ الشيءَ» لانْصَرَفَ.

قوله تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه جعَلَ لِبَغِيٍّ جُعْلاً على أنْ تقذفَ موسى بنَفْسِها، ففعلَتْ، فاستحلَفَها موسى على ما قالت، فأخبرَتْهُ بقصَّتِها، فكان هذا بَغيَهُ، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: أنه بَغى بالكُفرِ بالله تعالى، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: بالكِبْرِ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: أنه زادَ في طُولِ ثيابه شِبْراً، قاله عطاءٌ الخُراسَاني، وشَهرُ بنُ حَوشَبَ. **والخامس**: أنه كان يخدمُ فِرعونَ فتعدَّى على بَني إسرائيلَ وظَلَمَهم، حكاه المَاوَردي.

وفي المُراد بمفاتِحِهِ قولان: **أحدهما**: أنها مفاتيحُ الخَزائِنِ التي تُفتح بها الأبوابُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. وروى الأعمَشُ عن خَيْثَمَةَ قال: كانت مفاتيحُ قارونَ وِقْرَ ستين بَغلاً، وكانت مِنْ جلودٍ، كلُّ مفتاح مثل الأصبَع. **والثاني**: أنها خَزائِنُه، قاله السُّدِّيُّ، وأبو صالح، والضَّحَّاكُ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا الأشبَهُ أنْ تكون مفاتِحُه خزائنَ مالِه؛ وإلى نحوِ هذا ذهب ابنُ قُتيبةَ. قال أبو صالحٍ: كانت خزائِنُه تُحمَلُ على أربعينَ بَغلاً.

قوله تعالى: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ أي: تُثقِلُهم وتُميلُهم. ومعنى الكلام: لَتُنِيءُ العُصبَةَ، فلمَّا دخلت الباءُ في «العُصْبة» انفتَحَتِ التاءُ، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بالأبصارِ، وهذا يُذْهِبُ الأبصارَ، وهذا اختيارُ الفرَّاءِ وابنِ قُتَيبةَ والزَّجَّاج في آخَرين. وقال بعضُهم: هذا مِنَ المقلوب، وتقديرُه: ما إنَّ العُصْبَةَ لَتَنُوءُ بمفاتِحِهِ، كما يُقال: إنها لَتَنُوءُ بها عجيزتُها، أي: هي تَنُوءُ بعجيزَتِها، وأنشدوا:

فَـدَيْـتُ بِـنَـفْـسِـهِ نَـفْـسِـي ومَـالِـي ومَـا آلُـوكَ إلاَّ مَـا أُطِـيـقُ

أي: فَديتُ بنفسي وبمالي نفسَهُ، وهذا اختيارُ أبي عُبيدَةَ، والأخفَشِ. وقد بيَّنا معنى العُصْبَة في سورة يُوسفَ[٢]، وفي المراد بها ها هنا ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أربعون رجلاً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ما بين الثلاثة إلى العشرة، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: خمسةَ عشرَ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: فوق العشرة إلى الأربعين، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: سبعون رجلاً، قاله أبو صالحٍ. **والسادس**: ما بين الخمسةَ عشرَ إلى الأربعين، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ في القائلِ له قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون مِنْ قومه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه قولُ موسى له، حكاه المَاوَردي.

قوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: **لا تأشَرْ ولا تبطَرْ**، قال الشاعر:

ولَـسْـتُ بِـمِـفْـرَاحٍ إذا الـدَّهـرُ سَرَّنـي ولا جـازِعٍ مِـنْ صَـرْفِـهِ الـمُـتَـحَـوِّلِ[٣]

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٩٢: قال ابن جرير: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه.

(٢) يوسف: ٨.

(٣) البيت لهدبة بن خشرم العذري، وهو في «حماسة البحتري» ١٢٠.

أي: لستُ بأشِرٍ، فأمّا السرورُ، فليس بمكروهٍ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ وقرأ أبو رَجاءٍ، وأبو حَيْوَةَ، وعاصِمٌ الجَحْدَري، وابنُ أبي عَبلَةَ: «الفارِحِين» بألِفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أي: اطلُبْ فيما أعطاكَ اللّهُ مِنَ الأموال[١]. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيفَع: «واتَّبِعْ» بتشديدِ التاء وكَسْرِ الباء وعينٍ ساكنةٍ غير مُعجَمةٍ ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ وهي: الجنَّةُ؛ وذلك يكون بإنفاقِه في رضى الله تعالى وشُكرِ المُنْعِم به ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يعملَ في الدنيا للآخرة، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهور. **والثاني**: أنْ يُقدِّم الفضلَ ويُمسِكَ ما يُغنيه، قاله الحسَنُ. **والثالث**: أنْ يستغنيَ بالحلال عن الحرام، قاله قَتادةُ. وفي معنى ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَعْطِ فَضلَ مالِكَ كما زادَكَ على قَدْرِ حاجَتِكَ. **والثاني**: أحسِنْ فيما افترَضَ عليكَ كما أحسَنَ في إنعامِه إليكَ. **والثالث**: أَحْسِنْ في طلب الحلالِ كما أحسَنَ إليكَ في الإحلالِ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فتعمل فيها بالمعاصي.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعني المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: على عِلْم عندي بصَنعةِ الذهب، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ؛ قال الزَّجّاجُ: وهذا لا أصلَ له، لأنَّ الكيمياءَ باطلٌ لا حقيقةَ له. **والثاني**: برضى اللهِ عني، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: على خيرٍ عَلِمَهُ الله تعالى عندي، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: إنما أُعطيتُه لفضلِ عِلْمي، قاله الفَرّاءُ. قال الزَّجّاجُ: ادَّعى أنه أُعطيَ المالَ لِعلْمِه بالتَّوراةِ. **والخامس**: على عِلْم عندي بوجوهِ المكاسِبِ، حكاه المَاوَرديِ. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ يعني قارون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ﴾ بالعذاب ﴿مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ في الدُّنيا حين كذَّبوا رُسُلَهم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ثلاثة أقوال: **أحدها**: لا يُسأَلون ليُعلَمَ ذلك مِنْ قِبَلِهم وإنْ سُئِلوا سؤالَ توبيخٍ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنَّ الملائكة تعرفُهم بسيماهُم فلا تسألهم عن ذُنوبِهم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: يدخلون النارَ بغير حسابٍ، قاله قَتادةُ. وقال السُّدِّيُّ: يُعذَّبون ولا يُسألون عن ذُنوبِهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٤٩٣: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بشتى أنواع القربات التي تُحصِّل لك الثواب في الدار الآخرة **﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** ما أباح الله لك من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه. **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾** أي أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك ولا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض، وتسيء إلى خلق الله. **﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾**.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤٩٤: وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد، فإنه قال: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال، وقرأ: **﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾**.

لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ قال الحسَنُ: في ثيابٍ حُمرٍ وصُفرٍ؛ وقال عِكرمَةُ: في ثيابٍ مُعَصْفَرَةٍ. وقال وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ: خرج على بغلَةٍ شهباءَ عليها سَرجٌ أحمرُ مِنْ أُرْجُوانٍ، ومعه أربعةُ آلافِ مُقاتلٍ، وثلاثمائة وَصِيفةٍ عليهنَّ الحُليّ والزِّينةُ على بغالٍ بِيْضٍ. قال الزَّجَّاجُ: الأُرْجُوانُ في اللغة: صِبغٌ أحمرُ. قوله تعالى: ﴿لَذُو حَظٍّ﴾ أي: لَذُو نصيبٍ وافرٍ مِنَ الدنيا. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني الأحبارَ مِنْ بَني إسرائيلَ. وقال مُقاتِلٌ: الذين أوتوا العِلمَ بما وَعَدَ الله في الآخرة قالوا للذين تَمنَّوا ما أوتيَ قارون ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما عنده مِنَ الجزاءِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ مِمَّا أُعطيَ قارُونُ. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: لا يوفَّق لها ويُرزَقُها. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ولا يَلْقَاها» بفتح الياء وسكونِ اللام وتخفيفِ القاف. وفي المُشارِ إليها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الأعمالُ الصَّالحةُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها الجنَّةُ، والمعنى: لا يُعطاها في الآخرة إلاَّ الصَّابرون على أمرِ الله تعالى، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أنها الكلمةُ التي قالُوها، وهي قولهم: «ثوابُ الله خيرٌ»، قاله الفَرَّاءُ.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ لمَّا أَمرَ قارُونُ البَغِيّ بقَذْفِ موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدَعا عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إنّي قد أمرتُ الأرضَ أنْ تُطيعَكَ فَمُرْها؛ فقال موسى: يا أرضُ خُذِيه، فأخذَتْهُ حتى غيَّبَتْ سريرَهُ، فلمَّا رأى ذلك ناشَدَهُ بالرَّحِم، فقال: يا أرضُ خُذِيه، فأخذَتْهُ حتى غيَّبتْ قدمَيْهِ؛ فما زالَ يقول: خُذِيه، حتى غيَّبَتْه، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى ما أفظَّكَ، وعِزَّتي وجلالي لو استغاثَ بي لأغثتُهُ. قال ابنُ عباسٍ: فخُسِفتْ به الأرضُ إلى الأرضِ السُّفلى. وقال سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبٍ: إنَّه يُخسَفُ به كلَّ يوم قامَةً، فتبلغ به الأرضَ السُّفلى يومَ القيامة. قال مُقاتِلٌ: فلمَّا هَلكَ قارونُ قال بَنو إسرائيلَ: إنَّما أهلكَهُ موسى ليأخذَ مالَهُ ودارَهُ، فخَسَفَ اللهُ تعالى بدارِه ومالِه بعدَه بثلاثةِ أيام[1].

قوله تعالى: ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي يمنعونه مِنَ الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ أي من المُمتنِعين ممَّا نزل به. ثم أعلمنا أنَّ المُتمنِّين مكانَهُ نَدِموا على ذلك التَّمنّي بالآية التي تَلِي هذه. وقوله تعالى: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ الأكثرون على ضمّ الخاء وكسرِ السين. وقرأ يعقوبُ، والوليدُ عن ابنِ عامرٍ، وحَفْصٌ، وأبَانٌ عن عاصِمٍ: بفتح الخاء والسين. فأما قوله تعالى: «وَيْكَ» فقال ابنُ عباسٍ: معناه: أَلَمْ تَرَ، وكذلك قال أبو عُبيدَةَ، والكِسَائيُّ. وقال الفَرَّاءُ: «وَيْكَ أن» في كلام العلاب تقريرٌ، كقول الرجل:

(١) هذا الأثر مصدره كتب الأقدمين لا حجة فيه.

أمَا ترى إلى صُنع الله تعالى وإحسانِه، أنشدني بعضُهم:

وَيْـكَ أَنْ مَـنْ يَـكُـنْ لَـهُ نَـشَـبٌ يُـحْـ ـبَبْ ومَـنْ يـفـتَـقِـرْ يَـعِـشْ عَـيْـشَ ضُـرّ

وقال ابنُ الأنباري: في قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ ثلاثةُ أوجهٍ[1]: **الأول**: إنْ شئتَ قلتَ: «وَيْكَ» حرفٌ، و «أنّه» حرفٌ؛ والمعنى: ألَمْ تَرَ أنَّه، والدليل على هذا قولُ الشاعر:

سـالَـتـانـي الـطَّـلاقَ أنْ رَأَتـانـي قَـلَّ مـالـي قَـدْ جِـئْـتُـمـانـي بِـنُـكْـر

وَيْـكَ أَنْ مَـنْ يَـكُـنْ لَـهُ نَـشَـبٌ يُـحْـ ـبَبْ ومَـنْ يـفـتَـقِـرْ يَـعِـشْ عَـيْـشَ ضُـرّ[2]

والثاني: أن يكونَ «وَيْكَ» حرفاً، «وأنّه» حرفاً. والمعنى: ويلَكَ اعلَمْ أنّه، فحُذفت اللامُ، كما قالوا: قُمْ لا أباكَ، يريدون: لا أباللكَ، وأنشدوا:

أبِـالْـمَـوْتِ الـذي لا بُـدَّ أنّـي مُـلاقٍ لا أَبـاكِ تُـخَـوِّفِـيـنـي[3]

أراد: لا أبَالَكِ، فحذفَ اللامَ. **والثالث**: أنْ يكونَ «وَيْ» حرفاً، و «كأنّه» حرفاً، فيكون المعنى «وَيْ» التعجُّب، كما تقول: وَيْ لِمَ فعلتَ كذا وكذا، ويكون معنى «كأنّه»: أظُنُّه وأعلمُه، كما تقول في الكلام: كأنّك بالفرَج قد أقبَلَ؛ فمعناه: أظُنُّ الفرَج مُقْبِلاً. وإنما وصلوا الياءَ بالكاف في قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ لأنَّ الكلام بهما يَكثُر، كما جعلوا «يا ابْنَ أُمّ»[4] في المصحف حرفاً واحداً، وهما حرفان. وكان جماعةٌ منهم يعقوبُ، يقِفُون على «وَيْكَ» في الحرفين، ويبتدئون «أنّ» و «أنه» في الموضعين. وذكر الزجّاج عن الخليل أنه قال: «وَيْ» مفصولة من «كأنّ»، وذلك أنَّ القوم تندَّموا فقالوا: «وَيْ» مُتندّمين على ما سَلَف منهم، وكلُّ مَنْ نَدِم فأظهرَ ندامتَهُ قال: وَيْ. وحكى ابنُ قُتيبةَ عن بعض العلماء أنّه قال: معنى «ويكأنّ»: رحمةً لكَ، بلُغةِ حِمْيَر. قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالرَّحمةِ والمُعافاةِ والإيمانِ ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ .

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ يعني الجنّةَ ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وفيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنّه البَغْيُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: الشَّرَفُ والعِزُّ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: الظُّلْمُ، قاله الضَّحّاكُ. **والرابع**: الشِّركُ، قاله يَحيى بنُ سلام. **والخامس**: الاستِكبارُ عن الإيمان، قاله مُقاتِلٌ.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١٠/ ١١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة من أن معناه: ألم تر، ألم تعلم.
وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤٩٦: وقد اختلف النحاة في معنى قوله تعالى: ﴿ويكأنه﴾ فقال بعضهم: معناها «ويلك اعلم أن» ولكن خففت فقيل: «ويك» ودل فتح «أن» على حذف اعلم وهذا القول ضعفه ابن جرير. والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة «ويكأن». والكتابة أمر وضعي اصطلاحي، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم.

(٢) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي، كما في «مجاز القرآن» ٢/ ١١٢ و «سيبويه» ١/ ٢٩٠.

(٣) البيت لأبي حية النميري، وهو في «اللسان» ـ أبى ـ.

(٤) طه: ٩٤.

قوله تعالى: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: العملُ بالمعاصي، قاله عِكرمَةُ. **والثاني**: الدُّعاءُ إلى غير عبادةِ الله تعالى، قاله ابنُ السَّائب. قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: العاقبةُ المحمودةُ لهم. قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قد فسَّرناهُ في سُورةِ النَّمل(١). قوله تعالى: ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد الذين أشركوا ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: إلاّ جزاءَ عَملهم مِنَ الشِّرك، وجزاؤه النَّارُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
(٨٥) وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦)
وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَلَا تَدْعُ
مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

[١٠٨١] قال مُقاتِلٌ: خرجَ رسولُ الله ﷺ مِنَ الغارِ ليلاً، فمضى مِنْ وجهه إلى المدينة فسارَ في غير الطريق مخافةَ الطَّلَبِ؛ فلمَّا أَمِنَ رجعَ إلى الطريق فنزلَ الجُحْفَةَ بين مكَّةَ والمدينةِ، فعرفَ الطريقَ إلى مكَّةَ، فاشتاقَ إليها، وذكرَ مولِدَهُ، فأتاه جِبريلُ فقال: أتشتاقُ إلى بلدِكَ ومَولِدِكَ؟ قال: نعم؛ قال: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، فنزلت هذه الآيةُ بالجُحْفَةِ.

وفي معنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فَرضَ عليكَ العملَ بالقرآن، قاله عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أعطاكَ القرآنَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنزلَ عليكَ القرآنَ، قاله مُقاتِلٌ والفرَّاءُ وأبو عُبيدَةَ. وفي قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أربعة أقوالٍ(٢):

أحدها: إلى مكَّةَ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ في روايةٍ، والضَّحَّاكُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: مَعَادُ الرَّجُل: بلدُه، لأنه يتصرَّف في البلاد ويضرب في الأرض ثم يعودُ إلى بلدِه.

والثاني: إلى مَعادِكَ مِنَ الجنَّةِ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، والزُّهْري. فإنِ اعترِضَ على هذا فقيلَ: الرَّدُّ يقتضي أنه قد كان فيما رُدَّ إليه؛ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: أحدها: أنَّه لمَّا كان أبوه آدمُ في الجنة ثم أُخرِجَ، كان كأنَّ ولدَهُ أُخرِجَ منها، فإذا دخلَها فكأنه أُعيدَ. والثاني: أنَّه دخلَها ليلةَ

[١٠٨١] عزاه المصنف لمقاتل، وهذا معضل، وهو بدون إسناد، ومقاتل ساقط الرواية، فهذا خبر لا شيء.

---

(١) النمل: ٨٩.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/١١٨: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: لرادك إلى عادتك من الموت، أو إلى عادتك حيث ولدت اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٤٩٧: ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسّر تارة برجوعه إلى مكة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر سورة **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾**: أنه أجل النبي ﷺ نعي إليه ووافقه عمر بن الخطاب، وتارة أخرى فسّر ابن عباس قوله تعالى: **﴿لرادك إلى معاد﴾** بالموت، وتارة بعد الموت الذي هو يوم القيامة.

المِعراج، فإذا دخلَها يومَ القيامة كان ردّاً، ذكرهما ابنُ جَريرٍ. والثالث: أنَّ العرب تقول: رجعَ الأمرُ إلى كذا، وإنْ لم يكُنْ له كَوْنٌ فيه قطُّ، وأنشدوا:

يَـحُـورُ رَمَـاداً بَـعْـدَ إذْ هُـوَ سَـاطِـعُ[1]

وقد شرحنا هذا في قوله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ عن ابنِ عباسٍ وبه قال أبو سعيدٍ الخُدْريّ.

الثالث: لرادك إلى الموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال أبو سعيد الخدري. **والرابع**: لَرَادُّك إلى القيامة بالبَعثِ، قاله الحسَنُ والزُّهري ومُجاهِدٌ في روايةٍ والزَّجّاجُ.

ثم ابتدأ كلاماً يَرُدُّ به على الكفار حين نَسَبوا النبيَّ ﷺ إلى الضَّلال، فقال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾؛ والمعنى: قد علم أنّي جِئتُ بالهُدى، وأنّكم في ضلالٍ مُبينٍ. ثم ذَكَّرهُ نِعَمَه، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبُ﴾ أي: أنْ تكونَ نبيّاً وأنْ يُوحى إليك القرآنُ ﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ قال الفَرَّاءُ: هذا استثناءٌ مُنقطِعٌ، والمعنى: إلاّ أنَّ ربَّكَ رَحِمَكَ فأنزلَهُ عليكَ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلۡكَـٰفِرِينَ﴾ أي: عَوْناً لهم على دِينِهم، وذلك أنّهم دَعَوه إلى دِينِ آبائِه فأُمِرَ بالاحترازِ منهم؛ والخطابُ بهذا وأمثالِه له، والمراد أهلُ دِيْنِه لئلاّ يُظاهِروا الكفّار ولا يُوافقوهم.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلا ما أُريدَ به وَجهُه، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الثَّوْري. **والثاني**: إلاّ هو، قاله الضَّحّاكُ وأبو عُبيدَةَ. قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ أي الفَصلُ بينَ الخَلائقِ في الآخرة دونَ غيرِه ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ في الآخرة.

---

(١) هو عجز بيت للبيد بن ربيعة العامري وصدره: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه، كما في «ديوانه» ١٦٩، و «اللسان» ـ حور ـ.

سُورَةُ العَنكَبُوت

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

فصلٌ في نُزولها: روى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ أنَّها مكِّيَّةٌ، وبه قال الحسَنُ، وعطاءٌ، وقَتادةُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، ومُقاتِلٌ. وفي روايةٍ عن ابنِ عباسٍ أنها مَدنيَّةٌ. وقال هِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَةَ المُفسِّرُ: نزلت مِنْ أوَّلِها إلى رأسِ العشرِ بمكَّةَ، وباقيها بالمَدينةِ. وقال غيرُه عكسَ هذا: نزلت العَشرُ بالمدينةِ، وباقيها بمكَّةَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ في سببِ نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٠٨٢] **أحدها:** أنَّه لمَّا أُمِرَ بالهجرة، كتب المسلمون إلى إخوانِهم بمكَّةَ أنَّه لا يُقبَلُ منكم إسلامُكم حتى تُهاجِروا، فخرجوا نحوَ المدينةِ فأدرَكَهُم المشركون فَرَدُّوهم، فأنزلَ اللهُ تعالى مِنْ أوَّلِ هذه السُّورةَ عشرَ آياتٍ، فكتبوا إليهم يُخبِرونَهُم بما نزلَ فيهم، فقالوا: نَخرُجِ، فإن اتَّبَعَنا أحدٌ قاتلناه، فخرجوا فاتَّبعَهُم المشركون فقاتلوهم، فمنهم مَنْ قُتِلَ، ومنهم مَنْ نَجا، فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾[1]، هذا قولُ الحسَنِ والشَّعبيِّ.

[١٠٨٣] **والثاني:** أنها نزلت في عمَّارِ بنِ ياسرٍ إذ كان يُعذَّب في اللهِ عزَّ وجلَّ، قاله عبدُ اللهِ بنُ عُبيدِ بن عُمَيرٍ.

[١٠٨٤] **والثالث:** أنَّها نزلت في مِهجَعٍ مولى عمرَ بنِ الخَطَّابِ حين قُتِلَ ببَدرٍ، فجَزِعَ عليه أبواه وامرأتُه، فأنزلَ اللهُ تعالى في أبوَيه وامرأتِه هذه الآيةَ.

[١٠٨٢] أخرجه الطبري ٢٧٦٩٣ وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٦٦ عن الشعبي مرسلاً، فهو ضعيف.

[١٠٨٣] أخرجه الطبري ٢٧٦٩٢ عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

[١٠٨٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٦٧ عن مقاتل بدون إسناد، ومقاتل ساقط الرواية، فخبره واهٍ.

---

(١) النحل: ١١٠.

قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد بالناس: الذين آمنوا بمكَّةَ كعيَّاشِ بن أبي رَبيعة وعمَّارِ بنِ ياسرٍ وسَلَمَة بنِ هشام وغيرِهم. قال الزَّجَّاج: لفظُ الآية استخبارٌ ومعناها معنى التَّقريرُ والتَّوبيخ؛ والمعنى: أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُترَكوا بأنْ يقولوا: آمَنَّا، ولأنْ يقولوا: آمَنَّا، أي أحَسِبوا أنْ يُقنَع منهم بأنْ يقولوا: إنَّا مؤمنون، فقط، ولا يُمتَحنون بما يبيِّن حقيقةَ إيمانِهم ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي لا يُختَبرون بما يُعْلَم به صِدقُ إيمانِهم مِنْ كذبِه. وللمفسِّرين فيه قولان: **أحدهما**: لا يُفْتَنون في أنفُسِهم بالقَتْلِ والتَّعذيبِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا يُبْتَلَوْن بالأوامر والنَّواهي. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي ابتَليناهم واختبرناهم ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فَلَيُرِيَنَّ الله عزَّ وجلَّ الذين صَدَقوا في إيمانِهم عند البَلاءِ إذا صبروا لقضَائِه، ولَيُرِيَنَّ الكاذِبِيْنَ في إيمانِهم إذا شَكَوا عند البَلاءِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: فَلَيُميِّزَنَّ، لأنَّه قد عَلِمَ ذلك مِنْ قَبْلُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: فَلَيُظْهِرَنَّ ذلك حتى يُوجَدَ مَعلوماً، حكاه الثَّعلَبي. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «فَلَيُعْلِمَنَّ الله» «ولَيُعْلِمَنَّ الكاذبين» «ولَيُعْلِمَنَّ الله الذين آمنوا ولَيُعْلِمَنَّ المنافقين»[١] بضمِّ الياء وكسرِ اللام.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ أي: أحَسِبَ ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني الشِّرْكَ ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ أي: يفُوتونا ويُعجِزونا ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بِئسَ ما حَكَموا لأنفُسِهم حين ظنُّوا ذلك. قال ابنُ عباسٍ: عَنى بهم الوليدَ بنَ المُغيرَةِ، وأبا جَهلٍ، والعاصَ بنَ هشامٍ، وغيرَهُم.

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ قد شرحناه في آخرِ الكهف[٢] ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ يعني الأجلَ المَضرُوبَ للبَعثِ؛ والمعنى: فليَعمَلْ لذلك اليوم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يَعمَلُ. ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ أي: إنَّ ثوابَهُ إليه يرجِعُ. قوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: لَنُبطِلَنَّها حتى تصيرَ بمنزلة ما لم يُعمَلْ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بأحسنِ أعمالِهم، وهو الطَّاعةُ، ولا نَجزيهم بمساوئِ أعمالِهم.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «إحساناً» بألِفٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءٍ: «حَسَناً» بفتحِ الحاء والسين.

[١٠٨٥] وروى أبو عُثمانَ النَّهْدي عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، قال: فيَّ أُنزلت هذه الآيةُ، كنتُ

[١٠٨٥] أصله صحيح. أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤١٤ من طريق مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي عثمان =

---

(١) العنكبوت: ١١.
(٢) الكهف: ١١٠.

رجلاً بَرّاً بأمّي، فلمّا أسلمتُ قالت: يا سعدُ! ما هذا الدِّينُ الذي قد أحدَثْتَ، لتَدَعَنَّ دِينَكَ هذا أوْ لا آكلُ ولا أشربُ حتى أموتَ فتُعيَّرَ بي فيُقال: يا قاتلَ أُمِّه، قلتُ: لا تفعلي يا أُمَّاه، إنّي لا أَدَعُ دِيْني هذا لشيءٍ، قال: فمَكَثَتْ يوماً وليلةً لا تأكلُ، فأصبَحَتْ قد جُهِدَتْ، ثم مَكَثَتْ يوماً آخر وليلةً لا تأكلُ، فلمّا رأيتُ ذلك قلتُ: تعلمِينَ واللهِ يا أُمَّاهُ لو كانت لكِ مائةُ نَفْسٍ فخَرَجَتْ نفساً نَفساً ما تركتُ دِيْني هذا لشيءٍ، فكُلِي، وإنْ شِئتِ لا تأكلي، فلمّا رأتْ ذلك أكَلَتْ فأُنزلَتْ هذه الآيةُ. وقيل: إنّها نزلت في عيَّاشِ بن أبي رَبيعَةَ، وقد جرى له مع أُمِّه نحو هذا. وذكرَ بعضُ المفسِّرين أنَّ هذه الآيةَ، التي في لقمان[1] وفي الأحقاف[2]: نزلْنَ في قصَّةِ سعدٍ.

قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «حُسْناً» فمعناه: ووصَّينا الإنسان أنْ يفعلَ بوالدَيْه ما يَحْسُن، ومَنْ قرأ: «إحساناً» فمعناه: ووصينا الإنسانَ أنْ يُحْسِنَ إلى والدَيْهِ، وكان «حُسْناً» أعمَّ في البِرِّ.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُ هذا الكلام مَجازُ المُختَصَرِ الذي فيه ضَميرٌ، والمعنى: وقُلنا له: وإنْ جاهدَاكَ. قوله تعالى: ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾ معناه: لِتُشرِكَ بي شَريكاً لا تَعْلَمُه لي وليس لأحدٍ بذلك عِلْمٌ، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾. قوله تعالى: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في زُمرَةِ الصَّالحين في الجنَّةِ. وقال مُقاتِلٌ: «في» بمعنى «مع».

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

[١٠٨٦] **أحدها**: أنّها نزلت في المؤمنين الذين أخرجَهُم المشركون إلى بَدرٍ فارتدُّوا، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

[١٠٨٧] **والثاني**: نزلت في قومٍ كانوا يُؤمنون بألسِنَتِهم، فإذا أصابَهُم بلاءٌ مِنَ الله تعالى أو مُصيبةٌ

= النهدي أن سعد بن مالك قال: نزلت فيَّ هذه الآية **﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾** قال: كنت رجلاً براً بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعَيَّر بي فيقال: يا قاتل أمه...» فذكره بتمامه. وأخرجه مسلم ص ١٨٧٧ ح ١٧٤٨ والترمذي ٣١٨٩ وأبو يعلى ٧٨٢ من حديث سعد قال: «وحلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل، ولا تشرب قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك آمرك بهذا قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقال ابن لها يقال له عمارة: نسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية **﴿ووصينا الإنسان...﴾**» وله تتمة عند مسلم.

[١٠٨٦] أخرجه الطبري ٢٧٧٠٦ بأتم منه، وإسناده لا بأس به لأجل محمد بن شريك، وباقي الإسناد ثقات.

[١٠٨٧] أخرجه الطبري ٢٧٧٠٣ عن مجاهد مرسلاً، وعزاه السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٧٠ إلى ابن أبي شيبة والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

---

(١) لقمان: ١٥. (٢) الأحقاف: ١٥.

في أنفسِهم وأموالِهم افتتنُوا، قاله مُجاهِدٌ.

[١٠٨٨] والثالث: نزلت في ناسٍ مِنَ المنافقين بمكَّةَ، كانوا يُؤمنون، فإذا أُوذُوا أو أصابَهُم بَلاءٌ مِنَ المشركين رَجعوا إلى الشِّركِ، قاله الضَّحَّاكُ.

[١٠٨٩] والرابع: أنها نزلت في عيَّاشِ بنِ أبي رَبيعَةَ، كان أسلَمَ، فخافَ على نفسِهِ مِنْ أهله وقومه، فخرجَ مِنْ مكَّةَ هارباً إلى المدينة، وذلك قبلَ قدوم رسولِ الله ﷺ إلى المدينةِ، فجَزِعَتْ أمُّه فقالت لأخوَيْهِ أبي جَهلٍ والحارثِ ابنَي هِشام ـ وهما أخواهُ لأمِّه ـ: واللهِ لا آوِي بيتاً ولا آكلُ طعاماً ولا أشربُ شراباً حتى تأتياني به، فخَرجا في طَلَبِه فظَفِرَا به، فلم يَزالا به حتى تابعَهُما وجاءا به إليها، فقيَّدَتْهُ، وقالت: واللهِ لا أحُلُّكَ مِنْ وَثاقِكَ حتى تكفرَ بمحمَّدٍ، ثم أقبلَتْ تَجلِدُه بالسياط وتُعذِّبه حتى كَفرَ بمحمَّدٍ عليه السلام جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ، فنزلت فيه هذه الآيةُ، ثم هاجرَ بَعْدُ وحَسُنَ إسلامُه، هذا قولُ ابنِ السَّائبِ، ومُقاتِلٍ. وفي روايةٍ عن مُقاتِلٍ أنَّهما جَلَدَاهُ في الطريق مائتي جلدَةٍ، فتبرَّأ مِنْ دِيْنِ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: نالَهُ أذًى أو عذابٌ بسبب إيمانِه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ما يُصيبه مِنْ عذابِهم في الدنيا ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة؛ وإنما ينبغي للمؤمن أنْ يصبرَ على الأذى في الله تعالى لِمَا يَرجُو مِنْ ثوابه ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني: دَولةٌ للمؤمنين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ على دِينِكم، فكذَّبهم اللَّهُ تعالى وقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مِنَ الإيمان والنِّفاقِ. وقد فسَّرنا الآيةَ التي تَلِي هذه في أوَّلِ السُّورةِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ يعنون: دِيْنَنا. قال مُجاهِدٌ: هذا قولُ كفَّارِ قُريشٍ لِمَنْ آمَنَ مِنْ أهل مكَّةَ، قالوا لهم: لا نُبعَثُ نحن ولا أنتم فاتَّبِعونا، فإنْ كان عليكم شيءٌ فهو علينا.

قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو أمرٌ في تأويلِ الشَّرطِ والجَزاءِ، يعني إن اتَّبعتُم سبيلَنا حَمَلْنا خطاياكم. وقال الأخفشُ: كأنَّهم أَمَرُوا أنفسَهُم بذلك. وقرأ الحسَنُ: «ولِنحمل» بكسرِ اللام. قال ابنُ قُتَيبةَ: الواو زائدةٌ، والمعنى: لِنَحمِلَ خطاياكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي فيما ضَمِنُوا مِنْ حَمْلِ خطاياهم. قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أوزارَ أنفسِهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي أوزاراً مع أوزارهم، وهي أوزارُ الذين أضلُّوهُم، وهذا كقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١)

[١٠٨٨] أخرجه الطبري ٢٧٧٠٤ عن الضحاك مرسلاً، فهو ضعيف.

[١٠٨٩] عزاه المصنف لمقاتل وهو ساقط الحديث، ومثله ابن السائب، كلاهما ممن يضع الحديث، فالخبر لا شيء.

---

(١) النحل: ٢٥.

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ سؤالُ توبيخ وتقريع ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مِنَ الكذب على الله عزَّ وجلَّ؛ وقال مُقاتِلٌ: عن قولِهم نحن الكُفلاءُ بكلِّ تَبِعَةٍ تُصيبُكم مِنَ الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وفي هذه القصة تسليةٌ للنبيِّ ﷺ حيث أُعلِمَ أنَّ الأنبياء قد ابتُلُوا قبلَه، وفيها وعيدٌ شديدٌ لمَنْ أقام على الشِّركِ. فإنهم وإنْ أُمهِلُوا، فقد أُمهِلَ قومُ نُوح أكثرَ ثم أُخِذُوا. قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ اختلفوا في عُمُرِ نُوح على خمسةِ أقوالٍ[1]. أحدها: بُعِثَ بعد أربعين سنةً، وعاش في قومه ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً يَدعُوهم، وعاشَ بعد الطُّوفان ستينَ سنةً، رواه يوسفُ بنُ مِهْرَانَ عن ابنِ عباسٍ[2]. **والثاني**: أنَّه لَبِثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلاَّ خمسينَ عاماً، وعاشَ بعد ذلك سبعينَ عاماً، فكان مَبلَغُ عُمُرِه ألفَ سنةٍ وعشرينَ سنةً، قاله كَعبُ الأحبارِ. **والثالث**: أنه بُعِثَ وهو ابنُ خمسينَ وثلاثمائةٍ، فلَبِثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلاَّ خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسينَ وثلاثمائةٍ، قاله عَونُ بنُ أبي شَدَّادٍ. **والرابع**: أنَّه لَبِثَ فيهم قبل أنْ يدعُوَهُم ثلاثمائةَ سنةٍ، ودعاهم ثلاثمائة سنة ولَبِثَ بعد الطُّوفانِ ثلاثمائةً وخمسينَ سنة، قاله قَتادَةُ. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: بُعِثَ لخمسينَ سنةً. **والخامس**: أنَّ هذه الآيةَ بيَّنت مقدارَ عُمُرِه كلِّه، حكاه المَاوَرديُّ. فإنْ قيلَ: ما فائدةُ قوله تعالى: «إلاَّ خمسينَ عاماً»، فهَلاَّ قال: تسعمائةً وخمسينَ؟ فالجواب: أنَّ المراد به تكثيرُ العددِ، وذِكْرُ الألفِ أفخَمُ في اللفظ، وأعظَمُ للعَددِ. وقال الزَّجَّاجُ: تأويلُ الاستثناء في كلام العرب: التَّوكيدُ، تقول: جاءني إخوتُكَ إلاَّ زيداً، فتؤكِّد أنَّ الجماعة جاؤوا، وتُنْقِصُ زيداً. واستثناءُ نصفِ الشيءِ قبيحٌ جداً لا تتكلَّمُ به العرب، وإنما يُتَكلَّمُ بالاستثناء كما يُتَكلَّمُ بالنُّقصانِ، تقول: عندي دِرهمٌ ينقُص قِيراطاً، فلو قلتَ: ينقُصُ نِصفُه، كان الأَوْلَى أنْ تقولَ: عندي نصفُ دِرهم، ولم يأتِ الاستثناءُ في كلام العرب إلاَّ قليلٌ مِنْ كثيرٍ. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الموتُ.

[١٠٩٠] رَوَتْ عائشةُ عن رسولِ الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ قال: «المَوت». **والثاني**: المطرُ، قاله ابنُ عباسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وقَتادَةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: هو المطر الشديدُ. **والثالث**: الغرقُ، قاله الضَّحَّاكُ. قال الزجاج: الطُّوفانُ مِنْ كلِّ شيءٍ: ما كان كثيراً مُطِيفاً بالجماعة كلِّها، فالغَرقُ

[١٠٩٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٥٠٠٥، و ١٥٠٠٩ من حديث عائشة، وإسناده ضعيف جداً فيه يحيىٰ بن يمان عن منهال بن خليفة عن حجاج بن أرطأة، وثلاثتهم ضعفاء. وزاد نسبته في «الدر» ٣/ ٢٠٣ إلى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه. وأخرجه الطبري من طرق متعددة عن مجاهد قوله، وهو الصواب.
يلاحظ أن المصنف ذكر هذا الخبر عند هذه الآية، وهو وهم، لإجماعهم أن المراد بالطوفان ههنا الغرق، وإنما أخرجه الطبري وغيره في سياق قصة موسى مع ذكر الآيات الأخر ـ منها الجراد والقمل وغير ذلك.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣: وظاهر سياق الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، وقول عون بن أبي شداد رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وهذا قول غريب.

(٢) هذا القول متلقى عن أهل الكتاب، فما ورد في القرآن هو الذي يجب التصديق به.

الذي يشتمل على المُدنِ الكثيرة: طُوفانٌ، وكذلك القَتْلُ الذَّريعُ، والموتُ الجَارِفُ: طُوفانٌ. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كافرون.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ يعني السَّفينةَ، قال قَتادةُ: أبقاها اللهُ تعالى آيةً للناس بأعلى الجُوديّ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وجازَ أنْ يكونَ أراد: الفِعلَةَ التي فَعلَها بهم مِنَ الغرقِ ﴿ءَايَةً﴾، أي عِبرَةً ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بعدَهم.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ قال الزَّجّاجُ: هو معطوفٌ على نُوحٍ، والمعنى: أرسلنا إبراهيمَ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني عبادة الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ عبادة الأوثان ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خيرٌ لكم ممَّا هو شرٌّ لكم؛ والمعنى: ولكنَّكم لا تعلمون. ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ قال الفَرّاءُ: «إنَّما» في هذا الموضع حرفٌ واحدٌ، وليست على معنى «الذي»، وقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ مردودٌ على «إنَّما»، كقولكَ: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقال مُقاتِلٌ: الأوثان: الأصنام. قال ابنُ قُتَيبةَ: واحدها وَثَنٌ، وهو ما كان مِنْ حجارةٍ أو جِصٍّ. قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وأبو المُتوكِّلِ: «وتختلقون» بزيادةِ تاءٍ. ثم فيه قولان: **أحدهما**: تختلِقُون كَذِباً في زَعمِكُم أنَّها آلهةٌ. **والثاني**: تصنَعونَ الأصنامَ؛ فالمعنى: تعبُدونَ أصناماً أنتم تصنَعونها. ثم بيَّنَ عجزَهم بقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي: لا يَقدِرونَ على أنْ يرزُقوكُم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ أي: فاطلُبُوا مِنَ الله تعالى، فإنَّه القادرُ على ذلك. قوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ هذا تهديدٌ لقُريشٍ ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ والمعنى: فأُهلِكوا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «يرَوْا» بالياء. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: بالتاء. وعن عاصمٍ كالقراءتَيْنِ. وعَنى بالكَلام كفّارَ مكّةَ ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: كيف يخلُقُهم ابتداءً مِنْ نُطفةٍ، ثم مِنْ مُضغةٍ إلى أنْ يتِمَّ الخَلْقُ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ أي: ثم هو يُعيدُهُ في الآخرة عند البَعثِ. وقال أبو عُبيدَةَ: مَجازُهُ: أوَلَمْ يَرَوا كيف استأنفَ اللَّهُ الخَلْقَ الأوَّلَ ثم يُعيدُه. وفيه لُغتانِ: أَبدأَ وأعادَ، وكان مُبدِئاً ومُعيداً، وبدأ وعَادَ، وكان بادِئاً وعائِداً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني الخَلْقَ الأوَّلَ والخَلْقَ الثاني. قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: انْظُروا إلى المَخلوقاتِ التي في الأرض، وابحثوا عنها هل تجدون لها خالقاً غيرَ الله عزَّ وجلَّ، فإذا عَلِموا أنه لا خالقَ لهم سِواهُ، لزِمَتْهم الحُجَّةُ في الإعادةِ، وهو قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: ثمَّ اللَّهُ تعالى يُنشِئُهم عند البَعثِ نشأةً أُخرى. وأكثرُ القُرَّاءِ قرؤوا: «النَّشْأة» بتسكينِ الشين وتَرْكِ المَدِّ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو: «النَّشاءة» بالمَدِّ.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّه في الآخرة بعد إنشَائِهم. **والثاني**: أنَّه في الدنيا. ثم فيه خمسةُ أقوالٍ حكاها المَاوَردي: **أحدها**: يُعذِّب مَنْ يشاء بالحِرصِ، ويَرحَمُ مَنْ يشاء بالقناعَةِ. **والثاني**: يُعذِّب بسوءِ الخُلُقِ، ويرحَمُ بحُسْنِ الخُلُقِ. **والثالث**: يُعذِّب بمُتابعَةِ البِدعَةِ، ويَرحَمُ بمُلازمَةِ السُّنَّةِ. **والرابع**: يُعَذِّبُ بالانقِطاعِ إلى الدنيا، ويَرحَمُ بالإعرَاضِ عنها. **والخامس**: يُعذِّب مَنْ يشاء ببُغْضِ الناسِ له، ويَرحَمُ مَنْ يشاء بحُبِّ الناسِ له. قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: تُرَدُّون. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان حكاهما الزَّجَّاجُ: **أحدهما**: وما أنتم بمعجزِينَ في الأرض، ولا أهلُ السماءِ بمُعجزِينَ في السماء. **والثاني**: وما أنتم بمُعجزِينَ في الأرض، ولا لو كُنتم في السماء. وقال قُطْرُبُ: هذا كقولك: ما يفوتني فلان لا ها هنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو صار إليها. قال مقاتل: والخطابُ لكفَّارِ مكَّةَ؛ والمعنى: لا تَسبِقُونَ اللَّهَ حتى يَجزيَكم بأعمالِكُم السيِّئةِ، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ أي: قريبٌ ينفعُكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنَعُكم مِنَ الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآنِ والبَعثِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى﴾؛ في الرَّحمةِ قولان: **أحدهما**: الجنةُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: العَفوُ والمَغفِرةُ، قاله أبو سُليمانَ. قال ابنُ جَريرٍ: وذلك في الآخرة عند رُؤيةِ العذاب.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

ثم عاد الكلامَ إلى قصة إبراهيمَ، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: حينَ دَعاهم إلى اللَّهِ تعالى ونَهاهم عن الأصنام ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وهذا بيانٌ لِسَفَهِ أحلامِهم حينَ قابلوا احتِجاجَهُ عليهم بهذا. قوله تعالى: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ المعنى: فحَرَّقوهُ فأنجاهُ اللَّهُ ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يُشير إلى إنجائِه إبراهيمَ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيمَ ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ» بالرفع والإضافة. قال الزَّجَّاجُ: «مَوَدَّةُ» مرفوعةٌ بإضمارِ «هي» كأنه قال: تلك مَوَدَّةُ بينِكم، أي: أُلفَتُكم واجتماعُكُم على الأصنام مَوَدَّةُ بينِكم؛ والمعنى: إنَّما اتَّخذتُم هذه الأوثانَ لِتتَوادُّوا بها في الحياة الدنيا. ويجوز أنْ تكونَ «ما» بمعنى الذي. وقرأ ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وعِكرِمَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «مَوَدَّةٌ» بالرفع «بَيْنَكُمْ» بالنصب. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «مَوَدَّةً بَيْنَكم» قال أبو عليٍّ: المعنى: اتَّخذتُم الأصنام للمَودَّة، و «بينَكم» نُصِبَ على الظَّرفِ،

والعاملُ فيه «المودَّة». وقرأ حمزةُ، وحَفصٌ عن عاصِم: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُم» بنصبِ «مَوَدَّةَ» مع الإضافة، وهذا على الاتِّساع في جَعْلِ الظَّرفِ اسماً لِمَا أُضيفَ إليه. قال المُفسِّرون: معنى الكلام: إنَّما اتَّخذتُموها لِتَتَّصِلَ المَودَّةُ بينكم واللقاءُ والاجتماعُ عندها، وأنتم تعلمون أنها لا تَضرُّ ولا تَنفعُ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرَّأُ القادةُ مِنَ الأتباعِ ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعَنُ الأتبَاعُ القادةَ لأنَّهم زيَّنوا لهم الكُفرَ.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ أي: صَدَّقَ بإبراهيمَ ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيمَ ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلى رِضى ربِّي. **والثاني**: إلى حيثُ أمَرني ربِّي، فهاجَرَ مِنْ سَوادِ العِراقِ إلى الشَّام وهَجَرَ قومَهُ المشركين. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ﴾ بعد إسماعيلَ ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ مِنْ إسحاقَ ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ وذلك أنَّ اللَّهَ تعالى لم يَبْعَثْ نبيًّا بعدَ إبراهيمَ إلاَّ مِنْ صُلْبه ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: الذِّكْرُ الحَسنُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الثناءُ الحَسَنُ والولَدُ الصالحُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباس. **والثالث**: العافيةُ والعملُ الحَسَنُ والثناءُ، فلستَ تَلْقى أحداً مِنْ أهلِ المِلَلِ إلاَّ يَتَولاَّهُ، قاله قتادةُ. **والرابع**: أنه أُرِيَ مكانَه مِنَ الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ قال ابنُ جَريرٍ: له هنالكَ جزاءُ الصَّالحين غيرَ مَنقوصٍ مِنَ الآخرة بما أُعطِيَ في الدنيا مِنَ الأجرِ. وما بعدَ هذا قد سبق بيانُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا يعترضون مَنْ مَرَّ بهم لِعَمَلِهِم الخَبيثِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم كانوا إذا جلسوا في مَجالِسِهم يَرمُونَ ابنَ السَّبيلِ بالحجارة، فيقطعون سبيلَ المسافرِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه قَطْعُ النَّسْلِ للعُدولِ عن النساء إلى الرجال، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: النَّادي: المَجلِسُ، والمُنْكَرُ يَجمعُ الفواحشَ مِنَ القولِ والفعلِ. وللمفسِّرين في المراد بهذا المُنْكَرِ أربعةُ أقوالٍ:

[١٠٩١] **أحدها**: أنهم كانوا يَحْذِفُونَ أهلَ الطريق ويَسخَرُونَ منهم، فذلك المُنكَرُ، رَوَتْهُ أُمُّ هانِئٍ

[١٠٩١] ضعيف جداً، والمتن منكر. أخرجه الترمذي ٣١٩٠ وأحمد ٦/ ٣٤١ و ٤٢٤ والطبري ٢٧٧٤٣ والحاكم ٢/ ٤٠٩ والطبراني ٢٤/ ١٠٠١ وابن أبي الدنيا في «الصمت» ٢٨٢ من طرق من حديث أم هانئ، وقال الترمذي: =

---

(١) سبق بيانه في سورة الأعراف: ٨٠.

بنتُ أبي طالبٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ. وقال عِكرمَةُ والسُّدِّيُّ: كانوا يَحْذِفُونَ كلَّ مَنْ مَرَّ بهم.

والثاني: لَفُّ القميصِ على اليَدِ، وجَرُّ الإزَارِ، وحَلُّ الأزرارِ، والحَذْفُ والرَّميُ بالبُنْدُقِ، ولَعِبُ الحَمَامِ، والصَّفِيرُ، في خِصالٍ أُخر رواها مَيمُونُ بن مِهْرَانَ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنه الضُّرَاطُ، رواه عُروَةُ عن عائشةَ، وكذلك فسَّرَهُ القاسمُ بنُ محمَّدٍ.

والرابع: أنه إتيانُ الرِّجالِ في مجالِسِهم، قاله مُجاهِدٌ، وقتَادَةُ، وابنُ زيدٍ.

وهذه الآيةُ تدلُّ على أنه لا ينبغي للمُجتَمِعينَ أنْ يتعاشَرُوا إلاَّ على ما يُقَرِّبُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا ينبغي أنْ يَجتَمِعوا على الهُزءِ واللَّعِبِ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ أي: بتَصديقِ قولي في العذابِ.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعنُونَ قريةَ لُوطٍ. قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: «لَنُنَجِّيَنَّه» و «إِنَّا مُنَجُّوك» بتشديدِ الحَرفَينِ، وخفَّفهما حمزَةُ، والكِسائيُّ. وروى أبو بكر عن عاصِم: «لَنُنَجِّيَنَّه» مُشددةً، و «إِنَّا مُنْجُوك» مخففةً ساكنةَ النونِ. وقد سبق شرحُ ما أخلَلْنا بذِكْرِه[1] إلى قولِه تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ وهو الحَصْبُ والخَسْفُ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ﴾ في المَكْنِيِّ عنها قولان: **أحدهما**: أنها الفَعْلَةُ التي فعَلَ بهم؛ فعَلَى هذا في الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنها الحجارة التي أدركَتْ أوائلَ هذه الأُمَّةِ، قاله قتَادَةُ. والثاني: الماءُ الأسوَدُ على وَجهِ الأرضِ، قاله مُجاهِدٌ. والثالث: الخَبرُ عمَّا صُنِعَ بهم. **والثاني**: أنها القريةُ؛ فعَلَى هذا في المُرادِ بالآية ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنها آثارُ منازِلهم الخَرِبَةِ، قاله ابنُ عباسٍ.

= هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث حاتم عن سماك. وإسناده ضعيف جداً، سماك بن حرب تغير حفظه بآخره لذا ضعفه غير واحد، وأبو صالح ـ واسمه باذام، ويقال باذان ـ ضعفه غير واحد، وتركه آخرون، وهو ضعيف جداً، روى عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً.

ـ وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤١٨ من طريق بشر بن معاد بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي ١٦١٧ والطبراني ٢٤/ ١٠٠٢ من طريق قيس بن الربيع عن سماك به.

ـ وأخرجه الطبري ٢٧٧٤٥ والطبراني ٢٤/ ١٠٠٠ من طريق أبي يونس القشيري عن سماك به.

الخلاصة: الإسناد ضعيف جداً، والمتن منكر، فإن المنكر المراد في الآية أعظم من حذف المارة والسخرية منهم، بل يشمل اللواط وغيره.

---

(١) هود: ٧٧.

والثاني: أنَّ الآيةَ في قريتِهم إلى الآن أنَّ أساسَها أعلاهَا وسُقوفَها أسفلُها، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي.
والثالث: أنَّ المعنى: تركناها آيةً، تقول: إنَّ في السماءِ لآيةً، تريد أنها هي الآيةُ، قاله الفرَّاءُ.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ قال المُفسِّرون: اخشَوا البعثَ الذي فيه جزاءُ الأعمال.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ قال الزَّجَّاجُ: وأهلَكْنا عاداً وثَموداً، لأنَّ قبلَ هذا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾. قوله تعالى: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ أي: ظَهرَ لكم يا أهلَ مكَّةَ مِنْ منازِلِهم بالحِجازِ واليَمنِ آيةٌ في هلاكِهم، ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قال الفرَّاءُ: أي: ذَوي بصائِرَ. وقال الزَّجَّاجُ: أتَوا ما أتَوهُ وقد تبيَّنَ لهم أنَّ عاقبتَهُ عذابُهم. وقال غيرُه: كانوا عندَ أنفُسِهم مُستبصِرينَ يظنُّونَ أنهم على حقٍّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ أي: ما كانوا يَفوتُون اللَّهَ تعالى أنْ يفعلَ بهم ما يُريد.

قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ أي: عاقبنا بتكذيبه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ يعني قومَ لُوطٍ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني ثَموداً وقومَ شُعيبٍ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني قارُونَ وأصحابَهُ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني قومَ نُوحٍ وفِرعونَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيُعذِّبَهُم على غيرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإقامة على المعاصي.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني الأصنام يتَّخِذُها المشركون أولياءَ يَرجُونَ نفعَها ونَصرَها، فمَثَلُهم في ضَعْفِ احتيالِهم ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ قال ثَعلَبُ: والعَنكبوتُ أُنثى، وقد يُذكِّرُها بعضُ العرب، قال الشاعر:

كأنَّ العَنكَبُوتَ هو ابْتَناها[1]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ أي: هو عالِمٌ بما عَبَدوه مِنْ دُونِه، لا

---

(١) هو عجز بيت وصدره: على هطّالهم منهم بيوتٌ، والبيت غير منسوب في «اللسان» ـ عنكب ـ.

يَخفى عليه ذلك؛ والمعنى أنه يُجازيهم على كُفرهم. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ﴾ يعني أمثالَ القرآن التي شبَّهَ بها أحوالَ الكفَّارِ، وقيلَ: إنَّ «تلك» بمعنى «هذه»، و ﴿ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ الذين يعقلون عن اللهِ عزَّ وجلَّ.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: للحقِّ، ولإظهارِ الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ في المُرادِ بالصَّلاةِ قولان:

أحدهما: أنها الصلاةُ المَعروفةُ، قاله الأكثرون.

[١٠٩٢] وروى أنسُ بنُ مالكٍ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «مَنْ لم تَنْهَهُ صلاتُهُ عن الفَحشَاءِ والمُنْكَرِ، لم يَزدَدْ مِنَ اللهِ إلاَّ بُعداً».

[١٠٩٢] المرفوع واهٍ ليس بشيء، أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٢١ من حديث أنس، وفيه عمر بن شاكر وهو منكر الحديث. وله شاهد من حديث ابن عباس. أخرجه الطبراني ١١٠٢٥ والقضاعي في «الشهاب» ٥٠٩ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥١١ من طريق ليث عن طاوس عن ابن عباس مرفوعاً. وإسناده ضعيف، ليث هو ابن أبي سُليم. قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك. وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٣٤. وله شاهد من حديث عمران بن حصين، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥١١ من طريق عمر بن أبي عثمان عن الحسن عن عمران به. وإسناده ضعيف جداً، وله علتان: عمر هذا لم أجد له ترجمة، والحسن لم يلق عمران، وهو مدلس، وقد عنعن. وله شاهد من حديث ابن مسعود، أخرجه الطبري ٢٧٧٨٤ والواحدي ٣/ ٤٢١ من طريق جويبر عن الضحاك عنه. وهذا إسناد ساقط، جويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن مسعود. وورد من مرسل الحسن، أخرجه الطبري ٢٧٧٨٥ من طريق إسماعيل بن مسلم عنه. ومع إرساله إسماعيل هذا متروك. وأخرجه القضاعي ٥٠٨ من وجه آخر عن مقدام بن داود عن علي بن معبد عن هشيم عن يونس عن الحسن مرسلاً. ورجاله ثقات سوى مقدام بن داود، فإنه ليس بثقة، قاله النسائي. ولعله توبع، فقد قال العراقي في «تخريج الإحياء» ١/ ١٤٣: أخرجه علي بن معبد في كتاب «الطاعة والمعصية» من حديث الحسن بإسناد صحيح. قلت: ومع ذلك مراسيل الحسن واهية لأنه يحدث عن كل أحد. كما هو مقرر في كتب التراجم. وقد خولف علي بن معبد فيه، فقد أخرجه الطبري ٢٧٧٨٦ عن يعقوب ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن. قوله، لم يرفعه. وهذا إسناد رجاله ثقات مشاهير. وأخرجه الطبري ٢٧٧٨٧ من طريق بشر عن يزيد عن سعيد هو ابن أبي عروبة ـ عن قتادة والحسن قالا. . . فذكره موقوفاً عليهما. وهو الصحيح عن الحسن وغيره. وحديث ابن مسعود المتقدم، مع سقوط إسناده، هو معلول بالوقف، كذا أخرجه الطبري ٢٧٧٨٣ ورجاله ثقات. وحديث ابن عباس، معلول أيضاً بالوقف، كذا أخرجه الطبري ٢٧٧٨١ لكن فيه من لم يسم. وقال الحافظ ابن كثير ٣/ ٥١٢: والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم. الخلاصة: المرفوع ضعيف ليس بشيء، والصحيح وقفه على من ذُكر من الصحابة والتابعين، والله أعلم. والمتن مع ذلك منكر، فقد صح ما يخالفه، وهو ما أخرجه أحمد ٢/ ٤٤٧ والبزار ٧٢٠ وابن حبان ٢٥٦٠ من حديث أبي هريرة بسند صحيح «جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: إنه سينهاه ما تقول». انظر «تفسير الشوكاني» ١٨٨٧ أو ١٨٨٨ و «أحكام القرآن» ١٧٣٣.

والثاني: أنَّ المرادَ بالصَّلاةِ: القرآنُ، قاله ابنُ عمرَ، ويدلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ (١) وقد شَرحنا معنى الفحشاءِ والمُنكرِ فيما سَبقَ (٢).

وفي معنى هذه الآيةِ للعلماءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الإنسانَ إذا أدَّى الصلاةَ كما ينبغي وتَدبَّرَ ما يَتلُو فيها، نَهتْهُ عن الفحشاءِ والمُنكرِ، هذا مُقتضاها ومُوجبُها. **والثاني**: أنها تَنهاهُ ما دامَ فيها. **والثالث**: أنَّ المعنى: ينبغي أنْ تَنهى الصلاةُ عن الفحشاءِ والمُنكرِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

[١٠٩٣] **أحدها**: ولَذِكرُ اللَّهِ إيَّاكم أكبرُ مِن ذِكرِكُم إيَّاهُ، رواه ابنُ عمرَ عن رسولِ الله ﷺ، وبه قال ابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ في آخرين.

والثاني: ولَذِكرُ الله تعالى أفضلُ مِنْ كلِّ شيءٍ سِواهُ، وهذا مذهبُ أبي الدَّرداءِ، وسلمانَ، وقَتادَةَ.

والثالث: ولَذِكرُ اللَّهِ تعالى في الصَّلاةِ أكبرُ ممَّا نهاكَ عنه مِنَ الفحشاءِ والمُنكرِ، قاله عبدُ اللَّهِ بنُ عَونٍ.

والرابع: ولَذِكرُ اللَّهِ تعالى العبدَ ـ ما كان في صَلاتِه ـ أكبرُ مِنْ ذِكرِ العبدِ لله تعالى، قاله ابنُ قُتيبةَ.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ في التي هي أحسَنُ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها الكفُّ عنهم إذا بَذلوا الجزيَةَ، فإنْ أبَوْا قُوتِلُوا، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنها القرآنُ والدُّعاءُ إلى الله تعالى بالآياتِ والحُجَجِ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ وهم الذين نَصبوا الحَربَ وأبَوْا أنْ يُؤدُّوا الجِزيَةَ، فجَادِلوا هؤلاءِ بالسَّيفِ حتى يُسلِمُوا أو يُعطُوا الجِزيَةَ ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لِمَن أدَّى الجِزيَةَ منهم إذا أخبرَكُم بشيءٍ ممَّا في كُتُبِهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية.

[١٠٩٤] وقد رَوى أبو هُريرَةَ قال: كان أهلُ الكِتابِ يقرأون التَّوراةَ بالعِبرانيَّةِ، ويُفسِّرونَها بالعربية

[١٠٩٣] المرفوع ضعيف جداً، والصحيح موقوف. أخرجه ابن الديلمي في «زهر الفردوس» ٤/ ١٦٥ من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة به عن ابن عمر. وإسناده ضعيف جداً، إسماعيل ضعفه غير واحد، وعنه مجاهيل، والصحيح موقوف على ابن عمر وابن عباس وغيرهما.

ـ وأثر ابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٢٥٦ وابن أبي شيبة ٣٥٦٤٠ والطبري ٢٧٧٩١ و ٢٧٧٩٢ و ٢٧٧٩٣ و ٢٧٧٩٤ و ٢٧٧٩٧ و ٢٧٧٩٩ من طرق متعددة عنه موقوفاً، وهو الصحيح.

[١٠٩٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٤٨٥ و ٧٣٦٢ و ٧٥٤٢ والنسائي في «التفسير» ٤٠٧ والبغوي ١٢٥ من حديث أبي هريرة. ويشهد له حديث أبي نملة. أخرجه عبد الرزاق ٢٠٠٥٩ وأحمد ٤/ ١٣٦ وأبو داود ٣٦٤٤ وابن حبان ٦٢٥٧ والطبراني ٢٢/ ٨٧٤ و ٨٧٥ كلهم من حديث أبي نملة الأنصاري، ورجاله رجال الشيخين، سوى نملة بن أبي نملة، وهو ثقة. فقد وثقه ابن حبان، وروى عنه جمع منهم الزهري وعاصم ويعقوب ابنا عمر بن قتادة، وضمرة بن سعيد، ومروان بن أبي سعيد، وعلى هذا تزول جهالته حيث روى عنه أكثر من واحد، وقال عنه الحافظ في «التقريب» مقبول.

---

(١) الإسراء: ١١٠.
(٢) البقرة: ١٦٨ ـ النحل: ٩٠.

لأهلِ الإسلام، فقال رسولُ الله ﷺ «لا تُصدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تُكذِّبوهم ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾» الآية.

فصل: واختُلِفَ في نَسْخ هذه الآيةِ على قولَين: **أحدهما**: أنها نُسِخَتْ بقوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾(١)، قاله قَتادةُ والكَلبيُّ. **والثاني**: أنها ثابتةُ الحُكم، وهو مذهبُ ابنِ زيدٍ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتابَ عليهم ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يعني مُؤمِني أهلِ الكتاب ﴿وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني أهلَ مكَّة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ وهم الذين أسلَمُوا ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قال قَتادةُ: إنَّما يكون الجَحْدُ بعد المَعرفةِ. قال مُقاتِلٌ: وهم اليَهودُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُهُ: ما كُنتَ تقرأُ قبلَهُ كتاباً، و «مِن» زائدةٌ. فأمَّا الهاءُ في «قَبْله» فهي عائدةٌ إلى القرآن. والمعنى: ما كنتَ قارئاً قبلَ الوَحْي ولا كاتِباً، وهكذا كانت صِفَتُه في التَّوراةِ والإنجيلِ أنَّه أُمِّيٌّ لا يقرأُ ولا يَكتبُ، وهذا يدلُّ على أنَّ الذي جاءَ به، مِنْ عندِ الله تعالى. قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي لو كُنتَ قارئاً كاتباً لَشَكَّ اليهودُ فيكَ ولَقَالوا: ليست هذه صِفَتَهُ في كتابِنا. والمُبْطِلُون: الذين يأتُونَ الباطلَ، وفيهم ها هنا قولان: **أحدهما**: كفَّارُ قُريشٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: كفَّارُ اليهودِ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ في المُكَنَّى عنه قولان: **أحدهما**: أنه النبيُّ محمَّدٌ ﷺ، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنَّ المعنى: بل وُجْدانُ أهلِ الكتاب في كُتُبِهم أنَّ محمَّداً ﷺ لا يَكتبُ ولا يقرأُ، وأنه أُمِّيٌّ، آياتٌ بيِّناتٌ في صُدورِهم، وهذا مذهبُ ابنِ عباسٍ، والضَّحَّاكِ، وابنِ جُريجٍ. والثاني: أنَّ المعنى: بل محمَّدٌ عليه السلامُ ذُو آياتٍ بيِّناتٍ في صدورِ الذين أُوتُوا العِلْمَ مِنْ أَهلِ الكتابِ، لأنَّهم يَجِدونَهُ بِنَعتِهِ وصِفَتِهِ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه القرآن، والذين أُوتُوا العِلْمَ: المؤمنون الذين حَمَلُوا القرآنَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ وحَمَّلُوهُ بعدَهُ. وإنما أُعطِيَ الحِفظُ هذه الأمَّةَ، وكان مَنْ قَبلَهُم لا يقرؤُون كتابَهُم إلاَّ نَظَراً، فإذا أطبَقوه لم يَحفظُوا ما فيه سِوى الأنبياءِ، وهذا قولُ الحسَنِ. وفي المُرادِ بالظالمين ها هنا قولان: **أحدهما**: المشركون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كفَّارُ اليَهودِ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

---

(١) التوبة: ٢٩.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني كفّارَ مكّةَ ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصمٍ: «آياتٌ» على الجمعِ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «آيةٌ» على التَّوحيدِ. وإنما أرادوا: كآياتِ الأنبياءِ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو القادرُ على إرسالِها، وليست بيَدِي. وزعمَ بعضُ علماء التفسير أنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ. ثم بيَّن اللّهُ عزَّ وجلَّ أنَّ القرآن يكفي مِنَ الآياتِ التي سألُوها بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟!

[١٠٩٥] وذكَر يَحيَى بنُ جَعْدَةَ أنَّ ناساً مِنَ المسلمين أتوا رسولَ الله ﷺ بكُتُبٍ قد كَتَبوها، فيها بعضُ ما يقول اليهودُ، فلمَّا نظرَ إليها ألقَاها وقال: «كَفَى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى قوم غيرهم» فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ إلى آخرِ الآية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا كذَّبوا بالقرآن نَزلَتْ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يَشهدُ لي أنّي رسولُه، ويَشهَدُ عليكم بالتَّكذيبِ، وشَهادةُ اللّهِ له: إثباتُ المُعجزةِ له بإنزالِ الكتاب عليه، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بغيرِ الله تعالى. وقال مُقاتِلٌ: بعبادة الشيطان.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في النَّضرِ بنِ الحَارِثِ حينَ قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(١). وفي الأَجَلِ المُسمَّى أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنه يومُ القيامة، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أجَلُ الحياة إلى حينِ الموتِ، وأجَلُ الموتِ إلى حينِ البَعثِ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: مُدَّةُ أعمارِهم، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: يومُ بَدرٍ، حكاه الثَّعلَبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ يعني العذابَ. وقرأ معاذُ القارئُ، وأبو نَهيكٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ولتَأتِيَنَّهم» بالتاء ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي:

[١٠٩٥] مرسل. أخرجه الطبري ٢٧٨٣٨ عن يحيى بن جعدة بهذا اللفظ، وهذا مرسل.
ـ وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» ٥/ ٢٨٣ كلهم عن يحيى بن جعدة. بدون لفظ «فلما أن نظر فيها ألقاها» إنما ـ فقال: «كفى بها حماقة أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قومٍ غيرهم» فنزلت: ﴿أو لم يكفهم...﴾ الآية ـ ولمعناه شواهد.

---

(١) الأنفال: ٣٢.

جامِعةٌ لهم. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُواْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: بالنون. وقرأ نافعٌ: بالياء. فمَنْ قرأ بالياء، أراد المَلَكَ المُوكَّلَ بعذابِهم، ومَنْ قرأ بالنون، فلأنَّ ذلك لَمَّا كان بأمرِ الله تعالى جازَ أنْ يُنسَبَ إليه. ومعنى ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء ما عمِلتُم مِنَ الكُفرِ والتَّكذيبِ.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفٗا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ بتحريكِ الياء. وقرأ أبو عمرٍو، والكِسائيُّ: بإسكانِها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ وحدَهُ: «أرضيَ» بفتح الياء، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه خِطابٌ لِمَنْ آمَنَ مِنْ أهل مكَّةَ، قيلَ لهم: «إن أرضي» يعني المدينةَ «واسعة»، فلا تُجاوِروا الظَّلَمَةَ في أرضِ مكَّةَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ؛ وكذلك قال مُقاتِلٌ: نزلت في ضُعفاءِ مُسْلِمي مكَّةَ، أي: إنْ كُنتُم في ضِيقٍ بمكَّةَ مِنْ إظهارِ الإيمانِ، فأرضُ المدينةِ واسعةٌ. **والثاني**: أنَّ المعنى: إذا عُمِلَ بالمعاصي في أرضٍ فاخْرُجوا منها، رواه سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ. **والثالث**: إنَّ رزقي لَكُم واسعٌ، قاله مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله.

قوله تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ أثبتَ فيها الياءَ يعقوبُ في الحالَين، وحذَفَها الباقون. قال الزَّجَّاجُ: أمَرَهُم بالهجرة مِنَ المَوضعِ الذي لا يمكِنُهم فيه عبادةُ الله إلى حيثُ تتهيَّأُ لهم العبادةُ؛ ثم خوَّفَهُم بالموت لِتَهونَ عليهم الهجرةُ، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ﴾ المعنى: فلا تُقيموا في دارِ الشِّرْكِ خوفاً مِنَ الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعدَ الموتِ فنَجزيَكُم بأعمالِكُم، والأكثرون قرؤوا: «تُرْجَعون» بالتاء على الخِطاب؛ وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ بالياء.

قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ: «لَنُبوِّئَنَّهُم» بالباء، أي: لَنُنْزِلَنَّهُم. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «لَنُثْوِيَنَّهُم» بالثاء، وهو مِنْ: ثَوَيتُ بالمكان: إذا أقمتَ به. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: ثَوَى الرجلُ: إذا أقام، وأثْوَيتُه: إذا أنزلتَه منزلاً يُقيمُ فيه. قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[١٠٩٦] لَمَّا أمَرَهُم رسولُ الله ﷺ بالخروج إلى المدينة، قالوا: يا رسولَ الله، نخرُجُ إلى المدينةِ وليس لنا بها عقارٌ ولا مالٌ؟! فمَنْ يُؤْوينا ويُطعِمُنا؟ فنزلت هذه الآيةُ.

قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى الآيةِ: كَمْ مِنْ دابَّةٍ لا تَرفَعُ شيئاً لِغَدٍ، قال ابنُ عُيَيْنَةَ: ليس شيءٌ يَخبأُ إلاَّ الإنسانُ والفأرةُ والنَّملةُ. قال المُفسِّرون وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ أي: حيثُ ما توجَّهتْ ﴿وَإِيَّاكُمْۚ﴾ أي:

[١٠٩٦] لم أقف عليه مسنداً. وذكر الواحدي في الوسيط ٤٢٤ نحوه عن مقاتل بدون إسناد، فهو لا شيء، ومقاتل إن كان ابن حيان، فقد روى مناكير، وإن كان ابن سليمان فهو كذاب.

ويرزُقكم إنْ هاجرتُم إلى المدينةِ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولِكم: لا نَجِدُ ما نُنفِقُ بالمدينةِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوبِكم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ، وكانوا يُقِرُّون بأنه الخالِقُ والرَّازِقُ؛ وإنَّما أمرَهُ أنْ يقولَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارِهم، لأنَّ ذلك يُلزِمُهم الحُجَّةَ فيُوجِبُ عليهم التَّوحيدَ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ توحيدَ اللّهِ مع إقرارِهم بأنه الخالِقُ. والمراد بالأكثرِ: الجميعُ.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ والمعنى: وما الحياةُ في هذه الدنيا إلاَّ غُرورٌ ينقضي عن قليلٍ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعني الجنَّةَ ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: اللامُ في «لَهِيَ» زائدةٌ للتَّوكيدِ، والحيَوانُ والحياةُ واحدٌ؛ والمعنى: لَهِيَ دارُ الحياة التي لا موتَ فيها، ولا تَنغيصَ يَشوبها كما يَشوبُ الحياةَ في الدُّنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو عَلِموا لَرغِبوا عن الفَاني في الباقي، ولكنهم لا يَعْلَمون. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني المُشركينَ ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: أفردُوهُ بالدُّعاء. قال مُقاتِلٌ: والدِّينُ بمعنى التَّوحيدِ؛ والمعنى أنهم لا يَدْعُونَ مَنْ يَدْعُونه شَريكاً له، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ أي: خَلَّصَهُم مِنْ أهوالِ البحر، وأفضَوا ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ في البرِّ، وهذا إخبارٌ عن عِنادِهم ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ هذه لامُ الأمرِ، ومعناه التَّهديدُ والوَعيدُ، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[(١)] والمعنى: لِيَجحَدوا نِعمةَ الله في إنجائه إيَّاهم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ بإسكانِ اللامِ على معنى الأمرِ؛ والمعنى: لِيتمتَّعوا بباقي أعمارِهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ كُفرِهم. وقرأ الباقون بكَسرِ اللامِ في «لِيَتَمَتَّعوا»، فجعَلُوا اللاَّمَين بمعنى «كي»، فتقديرُه: لِكَي يكفُروا، ولِكَي يَتمتَّعوا، فيكون معنى الكلام: إذا هم يُشرِكون لِيَكفُروا ولِيَتمتَّعوا، أي: لا فائدةَ لهم في الإشراكِ إلاَّ الكُفرُ والتَّمتُّعُ بما يَتمتَّعُون به في العاجلَةِ مِنْ غيرِ نَصيبٍ لهم في الآخرة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

---

(١) فصلت: ٤٠.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني كفَّار مكَّةَ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يعني مكَّةَ، وقد شرحنا هذا المعنى في سُورةِ القَصَصِ[١] ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي: أنَّ العرب يَسْبي بعضُهم بعضاً وأهلُ مكَّة آمِنُونَ ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشِّركُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: الأصنام، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: الشيطانُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ أبو عبد الرَّحمنِ السُّلَمِي، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «تُؤمِنونَ وبنعمة الله تكفُرونَ» بالتاء فيهما. قوله تعالى: ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمَّداً والإسلامَ، وقيل: بإنعَام الله عليهم حينَ أطعَمَهُم وآمَنَهُم ﴿يَكْفُرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: زَعَم أنَّ له شريكاً وأنه أمَرَ بالفَواحشِ ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ يعني محمَّداً والقرآنَ ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؟! وهذا استفهامٌ بمعنى التَّقريرِ، كقول جَريرٍ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا[٢]

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ أي: قاتَلوا أعداءَنا لأَجْلِنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لَنُوفِّقَنَّهم لإصابةِ الطريقِ المُستقِيمَةِ؛ وقيلَ: لَنَزيدنَّهم هِدايةً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنُّصرةِ والعَونِ. قال ابنُ عباسٍ: يُريد بالمُحسِنينَ: المُوَحِّدِين؛ وقال غيرُه: يريد المُجاهِدين. وقال ابنُ المُبارَكِ: مَن اعتاصَتْ عليه مسألةٌ، فَليَسأَلْ أهلَ الثُّغُورِ عنها، لقوله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

والله أعلَمُ بالصَّوابِ

---

(١) القصص: ٥٧.

(٢) هو صدر بيت لجرير كما في ديوانه: ٩٨. وعجزه: وأندى العالمين بطون راح.

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

وهي مَكّيَّة كُلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلُوبِهِمْ

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾.

[١٠٩٧] ذكرَ أهلُ التفسير في سببِ نُزولها أنه كان بين فارسَ والرُّوم حربٌ فغَلَبَتْ فارسُ الرُّومَ، فبَلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، فشقَّ ذلك عليهم، وفرح المشركون بذلك، لأنَّ فارسَ لم يكُنْ لهم كتابٌ وكانوا يَجحدُونَ البَعثَ ويعبُدون الأصنام، والرُّومُ أصحاب كتابٍ، فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ: إنكم أهلُ كتابٍ، والنَّصارى أهلُ كتابٍ، ونحن أُمّيُّون، وقد ظهرَ إخوانُنا مِنْ أهل فارسَ على إخوانِكُم مِنَ الرُّوم، فإنْ قاتَلتُمونا لَنَظْهَرنَّ عليكم، فنزلت هذه الآيةُ، فخرجَ بها أبو بكرٍ الصِّديقُ إلى المشركين، فقالوا: هذا كلامُ صاحِبِك؟ فقال: اللَّهُ أنزلَ هذا، فقالوا لأبي بكرٍ: نُراهِنُكَ على أنَّ الرُّومَ لا تغلِبُ فارسَ، فقال أبو بكرٍ: البِضْعُ ما بين الثلاث إلى التِّسع، فقالوا: الوَسطُ مِنْ ذلك ستٌّ، فوَضَعوا الرِّهانَ، وذلك قبلَ أن يُحرَّم الرِّهانُ، فرجعَ أبو بكرٍ إلى أصحابه فأخبرَهُم، فلاَمُوهُ وقالوا: هلاَّ أقررتَها كما أقرَّها اللَّهُ تعالى؟! لو شاءَ أنْ يقولَ: سِتاً، لَقَال! فلمَّا كانت سنةَ ستٍّ، لم تظهر الرُّومُ على فارسَ، فأَخذوا الرِّهانَ، فلمَّا كانت سنةُ سبعٍ ظهرت الرُّومُ على فارسَ.

[١٠٩٨] وروى ابنُ عباسٍ قال: لمَّا نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ناحبَ أبو بكرٍ قريشاً، فقال له

[١٠٩٧] حديث صحيح بشواهده، دون بعض ألفاظ سأذكرها منكرة ليس لها شواهد. أخرجه الترمذي ٣١٩٤ من طريق إسماعيل بن أويس عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم به. وإسناده لين، إسماعيل بن أبي أويس، وثقه قوم وضعفه آخرون. وقد تفرد في هذا الحديث بألفاظ منها «فأخذ المشركون رهن أبي بكر» غريب، فعامة الروايات تذكر الخطر، من غير بيان أنه أبو بكر أو أخذه المشركون. على أنه ورد من حديث البراء أن أبا بكر هو أخذ الرهن. وقد ذكر الألباني هذا الحديث في «صحيح الترمذي» ٢٥٥٢ فحسنه من غير تفصيل وبيان لما فيه من ألفاظ غريبة أو منكرة، والله الموفق. وانظر «فتح القدير» ١٩٠٢ و«تفسير القرطبي» ٤٨٩٠ و«أحكام القرآن» ١٧٣٨ بتخريجنا، والله أعلم.

[١٠٩٨] صحيح. أخرجه الترمذي ٣١٩١ والطبري ٢٧٨٦٦ عن ابن عباس، وهو مختصر، وإسناده غير قوي لأجل =

رسولُ الله ﷺ: «ألا احتطتَ، فإنَّ البِضعَ ما بين السَّبعِ والتسعِ». وذَكر بعضُهم أنهم ضربوا الأجَلَ خمسَ سنين، وقال بعضُهم: ثلاث سنين، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنّما البِضْعُ ما بين الثلاثِ إلى التِّسعِ» فخرجَ أبو بكرٍ فقال لهم: أُزايدُكم في الخطرِ وأَمُدُّ في الأجَلِ إلى تسع سنين، ففعلوا، فقهرَهُم أبو بكرٍ، وأخذَ رِهانَهُم. وفي الذي تولَّى وَضْعَ الرِّهانِ مِنَ المشركين قولان: **أحدهما**: أُبيُّ بنُ خَلَفٍ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أبو سُفيانَ بنُ حَربٍ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو رَجاءٍ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «في أداني الأرض» بألِفٍ مفتوحةِ الدال؛ أي: أقرَبُ الأرض أرضُ الرُّوم إلى فَارسَ. قال ابنُ عباسٍ: وهي طَرفُ الشَّام. وفي اسم هذا المكان ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الجَزيرةُ، وهي أقربُ أرضِ الرُّوم إلى فَارسَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أذْرِعاتُ وكَسْكَرُ، قاله عِكرمَةُ. **والثالث**: الأردنُّ وفلسطينُ، قاله السُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿وَهُم﴾ يعني الرُّومَ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو رَجاءٍ، وعِكرمَةُ، والأعمَشُ: «غَلْبهم» بتسكين اللام؛ أي: مِنْ بعد غَلَبَةِ فارسَ إيَّاهم، والغَلَبُ والغَلَبةُ لُغتانِ، ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ فارس ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾، في البِضع تسعةُ أقوالٍ قد ذكرناها في يوسف[1]. قال المفسِّرون: وهي ها هنا سبعُ سنين، وهذا مِنْ عِلْمِ الغَيبِ الذي يدلُّ على أنَّ القرآن حقٌّ، ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي: مِنْ قبلِ أن تُغلَب الرُّومُ ومِنْ بَعْد ما غَلبَتْ؛ والمعنى أنَّ غَلَبة الغالِب وخِذْلانَ المَغلُوبِ، بأمرِ الله عزَّ وجلَّ وقضائه ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ يعني يوم غَلبَتِ الرُّومُ فارسَ ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ للرُّومِ. وكان التِقاءُ الفريقين في السَّنةِ السابعةِ مِنْ غَلَبة فارسَ إيَّاهم، فغَلَبتْهم الرُّومُ، وجاء

= عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي. ولحديث ابن عباس طريق آخر، أخرجه الترمذي ٣١٩٣ والنسائي في «الكبرى» ١١٣٨٩ وفي «التفسير» ٤٠٩ وأحمد ١/ ٢٧٦ ـ ٣٠٤ والحاكم ٢/ ٤١٠ والطبراني ١٢/ ١٢٣٧٧ والطبري ٢٧٨٦٥ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ من طرق عن أبي إسحاق الفزاري عن الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، أبو إسحق هو إبراهيم بن محمد الحارث روى له الشيخان، ومن دونه توبعوا، ومن فوقه رجال البخاري ومسلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وهذا المتن أصح شيء في الباب، ولأصله شواهد كثيرة منها الآتي لكن في بعض ألفاظها نكارة وغرابة أحياناً. وله طريق آخر، أخرجه الطبري ٢٧٨٦٧، وفي الإسناد مجاهيل، وفيه أيضاً عطية العوفي، وهو واهٍ. وله شاهد عن ابن مسعود، أخرجه الطبري ٢٧٨٧٦، وفيه إرسال بين الشعبي وابن مسعود، ورجال الإسناد ثقات. وله شاهد عن البراء بن عازب، أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» ٣٦٩٨، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٢٢ وإسناده ضعيف، فيه مؤمل بن إسماعيل، وضعفه غير واحد لسوء حفظه. وفي الباب مراسيل تشهد لأصله منها: مرسل عكرمة: أخرجه الطبري ٢٧٨٧٢ وكرره ٢٧٨٧٣. مرسل قتادة: أخرجه الطبري ٢٧٨٧٤. مرسل ابن زيد: أخرجه الطبري ٢٧٨٧٨.

ـ الخلاصة هو حديث صحيح، له شواهد وطرق كما ترى، وفي بعض ألفاظ تلك الشواهد والطرق نكارة أحياناً وغرابة أحياناً أخرى، لكن مع ذلك تشهد لأصل هذا الحديث: وتدل على ثبوته، والله أعلم.

ـ وانظر «تفسير القرطبي» ٤٨٨٩ و ٤٨٠ و ٤٨٩١ و «فتح القدير» ١٩٠٠ و ١٩٠١ و ١٩٠٢ و ١٩٠٣ و «أحكام القرآن» ١٧٣٧ وهي جميعاً بتخريجنا، والله الموفق.

---

(١) يوسف: ٤٢.

جبريلُ يُخبرُ بنصرِ الرُّومِ على فارسَ، فوافقَ ذلك يومَ بَدْرٍ، وقيلَ: يومَ الحُدَيبيةِ[1].

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: وَعد اللّهُ ذلك وَعْداً ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أنَّ الرُّومَ يَظهرون على فارسَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله تعالى لا يُخلِفُ وَعدَهُ في ذلك. ثم وَصفَ كفَّارَ مكَّةَ، فقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال عِكرمَةُ: هي المَعايشُ. وقال الضَّحَّاكُ: يعلمون بُنيانَ قصورِها وتشقيقَ أنهارِها. وقال الحَسنُ: يعلمون متى زَرْعُهم ومتى حَصادُهم، ولقد بَلغَ واللّهِ مِنْ عِلْمِ أحدِهم بالدنيا أنه يَنقرُ الدِّرهمَ بظُفرِه فيُخبرَكَ بوزنِه ولا يُحسِنُ يُصلِّي. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ لأنهم لا يُؤمنون بها. قال الزَّجَّاجُ: وذِكْرُهم ثانيةً يجري مَجرى التَّوكيدِ، كما تقول: زيدٌ هو عالِمٌ، وهو أوكدُ مِنْ قولِكَ: زيدٌ عالِمٌ. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: أَوَلَمْ يتفكَّروا فيعلموا فحَذفَ «فيعلموا» لأنَّ في الكلام دليلاً عليه. ومعنى ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلاَّ للحقِّ، أي: لإقامةِ الحقِّ ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقتُ الجَزاءِ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ المعنى: لَكافرون بلقاءِ ربِّهم، فقُدِّمت الباءُ، لأنها متَّصلةٌ بـ «كافرون»؛ وما اتَّصلَ بخبرِ «إنَّ» جازَ أن يُقدَّمَ قبلَ اللام، ولا يجوز أن تدخلَ اللامُ بعد مُضي الخبرِ مِنْ غيرِ خلافٍ بين النَّحويين، لا يجوز أنْ تقولَ: إنَّ زيداً كافرٌ لَباللّهِ، لأنَّ اللامَ حقُّها أنْ تدخلَ على الابتداءِ والخبرِ أو بين الابتداءِ والخبرِ، لأنها تُؤكِّد الجملةَ. وقال مُقاتِلٌ في قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: للسَّمواتِ والأرضِ أجَلٌ ينتهيان إليه، وهو يومُ القيامةِ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ﴾ أي بالبَعثِ ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أَوَلَمْ يُسافروا فيَنظروا مَصارعَ الأُممِ قبلَهم كيف أُهلكوا بتكذيبِهم فيعتَبِروا.

قوله تعالى: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: قَلبوها للزراعة، ومنه قِيلَ للبَقرةِ: مُثيرةٌ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، ومعاذٌ القارئُ، وأبو حَيْوَةَ: «وآثَرُوا الأرض» بمَدِّ الهمزة وفتح الثاء مرفوعةَ الراء، ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: أكثرَ مِنْ عِمارةِ أهلِ مكَّةَ، لِطُولِ أعمارِ أولئك وشدَّةِ قوَّتِهم ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

(١) هذا منكر فإن السورة مكية جميعاً باتفاق.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ أي: بالدَّلالاتِ ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بتعذيبهم على غيرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالكُفرِ والتَّكذيبِ؛ ودَلَّ هذا على أنهم لم يُؤمِنوا فأُهلِكوا.

ثم أخبرَ عن عاقبتِهم فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ يعني الخَلَّةَ السيِّئةَ؛ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها العذاب، قاله الحسَنُ. **والثاني**: جهنَّمُ، قاله السُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ قال الفَرَّاءُ: لأنْ كَذَّبوا، فلمَّا أُلقِيَت اللامُ كان نصباً، وقال الزَّجَّاجُ: لِتكذيبِهم بآياتِ الله واستهزائِهم. وقيل: السُّوأى مصدرٌ بمنزلة الإساءةِ؛ فالمعنى: ثم كان التَّكذيبُ آخرَ أمرِهم، أي: ماتوا على ذلك، كأنَّ اللَّهَ تعالى جازاهُم على إساءتِهم أنْ طَبعَ على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب عُقوبةً لهم. وقال مكّيُّ بنُ أبي طالبِ النَّحوي: «عاقبةُ» اسمُ كان، و «السُّوأى» خبرُها، و «أن كذَّبوا» مفعولٌ مِنْ أجلِه؛ ويجوز أنْ يكونَ «السُّوأى» مفعولةً بـ «أساؤوا»، و «أن كذَّبوا» خبرُ كان، ومَنْ نَصبَ «عاقبةَ» جعلها خبرَ «كان»، و «السُّوأى» اسمُها، ويجوز أنْ تكونَ «أن كذَّبوا» اسمَها. وقرأ الأعمَشُ: «أساؤوا السُّوء» برفعِ السُّوءُ».

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: يَخلقُهم أوَّلاً، ثم يُعيدهُم بعدَ الموت أحياءً كما كانوا، ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصم: «تُرْجَعون» بالتاء؛ فعَلَى هذا يكونُ الكلامُ عائداً مِنَ الخبرِ إلى الخطاب، وقرأ أبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بالياء، لأنَّ المُتقدِّمَ ذِكْرُه غَيبَةٌ، والمراد بذِكرِ الرُّجوعِ: الجزاءُ على الأعمال، والخَلْقُ بمعنى المَخلوقِين، وإنما قال: «يُعيده» على لفظ الخَلْقِ.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ١٣ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾

قوله تعالى: ﴿يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ قد شرحنا الإبلاسَ في سُورةِ الأنعام[١]. قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ أي: مِنْ أوثانِهم التي عَبَدُوها ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ في القيامة ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ يَتبرَّؤون منها وتَتبرَّأُ منهم. قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾ وذلك بعدَ الحساب ينصرفُ قومٌ إلى الجنَّةِ، وقومٌ إلى النَّارِ. قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾ الرَّوضة: المكانُ المُخضَرُ مِنَ الأرض؛ وإنَّما خَصَّ الرَّوضة، لأنها كانت أعجَبَ الأشياء إلى العَربِ؛ قال أبو عُبيدَةَ: ليس شيءٌ عند العرب أحسنَ مِنَ الرِّياضِ المُعْشِبة ولا أطيبَ رِيحاً، قال الأعشى:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يَوْماً بأطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائحَةٍ ... ولاَ بأحْسَنَ مِنْها إذْ دَنا الأُصُلُ[٢]

قال المفسِّرون: والمراد بالرَّوضةِ: رِياضُ الجنَّةِ. وفي معنى «يُحْبَرون» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**:

---

(١) الأنعام: ٤٤.
(٢) في «اللسان»: السَّبل: المطر، وقيل: المطر السَّبْل. وقد أسبلت السماء، وأسبل المطر.

يُكرَمون، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يَنعَمون، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ. وقال الزَّجّاجُ: والحَبْرَةُ في اللغة: كلُّ نغمَةٍ حسَنةٍ. **والثالث**: يفرحون، قاله السُّدِّيُّ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «يُحْبَرون» يُسرُّون، والحَبْرَةُ: السُّرور. **والرابع**: أنَّ الحَبْرَ: السَّماعُ في الجنَّةِ، فإذ أخذَ أهلُ الجنَّةِ في السَّماع، لم تَبقَ شجرةٌ إلاَّ ورَدَّت، قاله يَحيى بنُ أبي كَثيرٍ. وسُئِلَ يَحيى بنُ معاذٍ: أيُّ الأصواتِ أحسَنُ؟ فقال: مَزامِيرُ أُنسٍ، في مَقاصِيرِ قُدْسٍ، بألحانِ تَحمِيدٍ، في رياضِ تَمجِيدٍ ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي هُم حاضرون العذابَ أبداً لا يُخفَّف عنهم.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

ثم ذَكرَ ما تُدرَك به الجنَّةُ ويُتباعدُ به مِنَ النَّار فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال المُفسِّرون: المعنى: فَصلُّوا للَّهِ عزَّ وجلَّ حين تُمسُون، أي: حينَ تدخلونَ في المساء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: تدخُلونَ في الصَّباحِ، و ﴿تُظْهِرُونَ﴾ تدخُلون في الظَّهيرَةِ، وهي وقتُ الزَّوال، ﴿وَعَشِيًّا﴾ أي: وسَبِّحُوهُ عَشِيًّا. وهذه الآيةُ قد جمعت الصَّلواتِ الخَمْسَ، فقوله تعالى: «حين تُمسون» يعني به صلاةَ المَغرب والعِشاءِ، «وحين تصبحون» يعني به صلاةَ الفَجرِ، «وعشِيًّا» العصر، و «حين تُظْهِرونَ» الظُّهرُ. قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يَحمَدُهُ أهلُ السَّمواتِ وأهلُ الأرض ويُصَلُّون له. قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ فيه أقوالٌ قد ذكرناها في سُورةِ آلِ عمران[2]. قوله تعالى: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يجعلها مُنبِتةً بعد أنْ كانت لا تُنبِتُ، وتلك حياتُها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «تُخرَجون» بضمِّ التاء، وفتحَها حمزةُ والكِسائيُّ؛ والمراد: تَخرجون يومَ القيامة مِنَ الأرض، أي: كما أحيا الأرضَ بالنَّباتِ يُحييكم بالبَعثِ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ

(١) القمر: ٥٥.

(٢) آل عمران: ٢٧.

كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أي مِنْ دلائِلِ قُدرَتِه ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني آدمَ لأنه أصلُ البشر ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ مِنْ لحم ودَم، يعني ذُرِّيَّتَهُ ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ يعني تنبسطون في الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يعني بذلك آدمَ، خَلَقَ حوَّاءَ مِنْ ضِلَعِه، وهو معنى قولِ قتادة. **والثاني**: أنَّ المعنى: جَعلَ لكم آدميَّاتٍ مثلَكم ولم يجعلهنَّ مِنْ غير جنسِكُم، قاله الكَلبي. قوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ أي لِتأْووا إلى الأزواج ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وذلك أنَّ الزوجين يَتوادَّان ويَتراحمَان مِنْ غيرِ رَحِم بينهما ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكره مِنْ صُنعِه ﴿لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في قُدرةِ الله عزَّ وجلَّ وعظَمتِه. قوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ لأنَّ الخَلْقَ بين أسودَ وأبيضَ وأحمرَ، وهم وَلَدُ رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ. وقيل: المراد باختلاف الألسِنَةِ: اختلافُ النَّغمَاتِ والأصواتِ، حتى إنه لا يشتبه صوتُ أخَوين مِنْ أبٍ وأمٍّ. والمراد باختلاف الألوانِ: اختلافُ الصُّوَرِ، فلا تشتَبِهُ صُورتانِ مع التَّشاكُلِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «للعَالَمين» بفتحِ اللام. وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ: «للعالِمِين» بكسرِ اللام.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي: نومُكم. قال أبو عُبيدَةَ: المَنامُ مِنْ مصادر النَّوم، بمنزلةِ قامَ يَقومُ قِياماً ومَقاماً، وقَالَ يَقولُ مَقالاً، قال المُفسِّرون: وتقديرُ الآية: مَنامُكم بالليل ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ وهو طَلبُ الرِّزقِ بالنهار ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ اعتبارٍ وتَذكُّرٍ وتدبُّر ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ قال اللغويون: إنَّما حذف «أنْ» لدَلالَةِ الكلام عليه، وأنشدوا:

وما الدَّهْرُ إلاَّ تارَتَانِ فَتارَةٌ ... أموتُ وأُخرى أبتَغِي العَيْشَ أكدَحُ[(١)]

ومعناه: فتَارةً أموتُ فيها، وقال طَرَفَةُ:

ألاَ أيُّهذا الزَّاجِرِي أحْضُرَ الوَغَى[(٢)]

أراد: أنْ أَحضُرَ. وقد شرحنا معنى الخوف والطَّمع في رؤيةِ البَرْقِ في سُورةِ الرَّعد[(٣)].

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: تَدُوما قائمتَيْنِ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ وهي نَفخَةُ إسرافيلَ الأخيرة في الصُّورِ بأمرِ الله عزَّ وجلَّ ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مِنْ قبورِكُم ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها، وما بعد هذا قد سَبقَ بيانُه[(٤)] إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الإعادةَ أهوَنُ عليه مِنَ البداية، وكُلٌّ هيِّنٌ عليه، قاله مُجاهِدٌ، وأبو العَالِيةِ. **والثاني**: أنَّ «أهون» بمعنى «هيِّن» عليه، فالمعنى: وهو هين عليه، وقد يُوضع «أفعل» في موضعِ «فاعل»، ومثلُه قولُهم في الأذانِ: اللَّهُ أكبرُ، أي: الله كبير، قال الفَرزدَقُ:

---

(١) البيت لتميم بن مقبل.

(٢) هو صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته وعجزه: وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلِدي.

(٣) الرعد: ١٢.

(٤) البقرة: ١١٦ والعنكبوت: ١٩.

إنَّ الَّـذي سَـمَـكَ الـسَّـمـاءَ بَـنـى لَـنـا ... بَـيْـتـاً دعـائِـمُـهُ أعَـزُّ وأطْـوَلُ

وقال مَعنُ بنُ أوسٍ المُزَني:

لَـعَـمْـرُكَ مَـا أدْري وإنِّـي لأوْجَـلُ ... عـلـى أيِّـنـا تَـغْـدُو الـمَـنِـيَّـةُ أوَّلُ[(١)]

أي: وإنِّي لَوَجِلٌ، وقال غيرُه:

أصـبَـحـتُ أمـنَـحُـكَ الـصُّـدُودَ وإنَّـنـي ... قَـسَـمـاً إلـيـك مـعَ الـصُّـدُودِ لأمْـيَـلُ[(٢)]

وأنشدوا أيضاً:

تَـمَـنَّـى رِجـالٌ أنْ أمـوتَ وإنْ أمُـتْ ... فَـتِـلْـكَ سَـبِـيـلٌ لَـسْـتُ فِـيـهـا بـأوْحَـدِ

أي: بواحدٍ، هذا قولُ أبي عُبيدَةَ، وهو مَرويٌّ عن الحسَنِ، وقَتادَةَ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «وهو هَيِّن عليه». **والثالث**: أنه خَاطَبَ العِبادَ بما يَعقِلون، فأعلَمَهم أنه يجبُ أنْ يكونَ عندَهم البَعثُ أسهلَ مِنَ الابتداء في تقديرِهم وحُكمِهم، فمَنْ قَدَرَ على الإنشاء كان البَعثُ أهونَ عليه، هذا اختيارُ الفَرّاءِ، والمُبَرِّدِ، والزَّجاجِ، وهو قولُ مُقاتِلٍ. وعلى هذه الأقوال الثلاثةِ تكون الهاءُ في «عليه» عائدةً إلى الله عزَّ وجلَّ. **والرابع**: أنَّ الهاءَ تعود على المخلوق، لأنه خَلقَهُ نُطفةً ثم عَلقَةً ثم مُضغَةً، ويومَ القيامة يقول له كُنْ فيكون، رواه أبو صالح عن ابنِ عباس، وهو اختيارُ قُطْرُب. قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ قال المفسِّرون: أي: له الصِّفَةُ العُليا ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وهي أنَّه لا إلهَ غيرُه.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا﴾ سببُ نُزولِها أنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يُلبُّون فيقولون: لَبَّيكَ لا شريكَ لكَ إلاّ شَريكاً هو لكَ تَملكُه وما مَلَكَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُقاتِلٌ. ومعنى الآية: بَيَّن لكم أيُّها المشركون شَبهاً، وذلك الشَّبَهُ ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ ثم بَيَّنَهُ فقال: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ أي: مِنْ عبيدِكُم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ من المال والأهل والعبيد، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالِكم ﴿فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ أي: أنتم وشُركاؤكُم مِنْ عبيدِكُم سواءٌ ﴿تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ أي: كما تخافون أمثالَكم مِنَ الأحرار، وأقرباءَكُم كالآباء والأبناء؟ قال ابنُ عباسٍ: تخافونَهم أنْ يَرِثُوكُم كما يَرِثُ بعضُكم بعضاً؟ وقال غيرُه: تخافونَهم أنْ يُقاسِمُوكُم أموالَكُم كما يفعلُ الشُّركاءُ؟ والمعنى: هل يرضى أحدُكُم أنْ يكونَ عبدُه شريكَهُ في مالِه وأهلِه حتى يُساويَهُ في التَّصرُّفِ في ذلك، فهو يخاف أنْ ينفردَ في مالِه بأمرٍ يتصرَّفُ فيه كما يخافُ غيرَهُ مِنَ الشُّركاء الأحرارِ؟، فإذا لَمْ ترضَوْا ذلك لأنفسِكُم، فلِمَ عَدَلتُم بي مِنْ خَلْقِي مَنْ هو مملوكٌ لي؟! ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما بيَّنّا هذا المَثَلَ ﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ عن الله تعالى. ثم بَيَّن أنَّهم إنَّما اتَّبعوا الهَوى في إشراكِهم، فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: أشركوا بالله ﴿أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ وهذا يدلُّ على أنهم إنما أشركُوا بإضلالِ الله إيَّاهم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: مانِعينَ مِنْ عذابِ الله تعالى.

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ

---

(١) في «اللسان»: الوَجَل: الفزع والخوف.
(٢) البيت للأحوص.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ
ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ
أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ
ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ قال مُقاتِلٌ: أخلِصْ دِينَكَ الإسلامَ ﴿لِلدِّينِ﴾ أي: للتَّوحيد. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: استقِمْ بدِينِكَ نحوَ الجهة التي وَجَّهكَ اللَّهُ تعالى إليها. وقال غيرُه: سَدِّدْ عَملكَ. والوَجهُ: ما يُتوجَّهُ إليه، وعملُ الإنسان ودِينُه: ما يُتوجَّهُ إليه لتَسديدِه وإقامتِه.

قوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الحَنيفُ: الذي يَميلُ إلى الشيء ولا يرجعُ عنه، كالحَنَفِ في الرِّجْلِ، وهو مَيْلُها إلى خارجِها خِلْقةً، لا يقدرُ الأحنَفُ أنْ يَردَّ حَنَفهُ، وقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ، بمعنى: اتَّبِعْ فِطرةَ الله، لأنَّ معنى «فأقِمْ وجهَكَ»: اتَّبع الدِّينَ القَيِّمَ، واتَّبِعْ فِطرةَ الله تعالى، أي: دِيْنَ الله تعالى؛ والفِطرَةُ: الخِلْقَةُ التي خُلِقَ عليها البَشرُ.

[١٠٩٩] وكذلك قوله عليه السلام: «كلُّ مَولودٍ يُولَدُ على الفِطرَةِ»!، أي: على الإيمان بالله تعالى. وقال مُجاهِدٌ في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: الإسلامُ، وكذلك قال قَتادةُ. والذي أشارَ إليه الزَّجَّاجُ أصحُّ، وإليه ذهب ابنُ قُتَيبة، فقال: فَرْقُ ما بيننا وبين أهلِ القَدَرِ في هذا الحديث، أنَّ الفِطرَةَ عندهم: الإسلامُ، والفِطرَةُ عندنا: الإقرارُ بالله عز وجل والمعرفةُ به، لا الإسلامُ، ومعنى الفِطرَةِ: ابتداءُ الخِلْقة، فالكلُّ أقرُّوا حينَ قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1]، ولستَ واجداً أحداً إلاَّ وهو مُقِرٌّ بأنَّ له صانعاً ومُدبِّراً وإنْ عَبدَ شيئاً دُونَهُ وسمَّاه بغيرِ اسمه؛ فمعنى الحديث: إنَّ كلَّ مولودٍ في العالَمِ على ذلك العَهدِ وذلك الإقرارِ الأول، وهو الفِطرَةُ، ثم يُهَوِّدُ اليهودُ أبناءَهم، أي:

[١٠٩٩] صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٨ وأحمد ٢/ ٢٧٥ وابن حبان ١٣٠ من طرق عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به. وهو في «مصنف عبد الرزاق» برقم ٢٠٠٨٧. وأخرجه مسلم ٢٦٥٨ وأحمد ٢/ ٢٣٣ من طريقين عن الزهري به. وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٣/ ٣٠٨ من طريق قتادة عن ابن المسيب به. وورد من وجه آخر مختصراً عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، وينصرانه، ويمجّسانه». أخرجه البخاري ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٨٥ و ٤٧٧٥ ومسلم ٢٦٥٨ وأحمد ٢/ ٣٩٣، وابن حبان. وورد أيضاً من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة باللفظ المذكور آنفاً عند مسلم ٢٦٥٨ ح ٢٣ والترمذي ٢١٣٨ وأحمد ٢/ ٢٥٣ و ٤٨١ والطيالسي ٢٤٣٣ وأبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٩٦ والبغوي في «شرح السنة» ٨٤.

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

يُعلِّمونَهم ذلك، وليس الإقرارُ الأولُ ممَّا يقع به حُكمٌ ولا ثوابٌ، وقد ذَكرَ نحوَ هذا أبو بكرٍ الأثْرَمُ، واستدلَّ عليه بأنَّ الناسَ أجمعوا على أنه لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ، ولا الكافرُ المسلمَ، ثم أجمعوا على أنَّ اليهوديَّ إذا مات له وَلَدٌ صغيرٌ وَرِثَهُ، وكذلك النَّصرانيُّ، والمَجُوسيُّ، ولو كان معنى الفِطرَةِ الإسلامُ، ما وَرِثَهُ إلاَّ المسلمون، ولا دُفِنَ إلاَّ معهم، وإنما أراد بقوله عليه السلامُ: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطرَةِ» أي: على تلك البداية التي أقَرُّوا له فيها بالوحدانيَّةِ حين أخذَهُم مِنْ صُلبِ آدمَ، فمنهم مَنْ جَحدَ ذلك بعد إقراره. ومثلُ هذا الحديث حديثُ عِياضِ بنِ حِمَارٍ عن النبيِّ ﷺ قال:

[١١٠٠] «قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: إني خَلَقتُ عِبادِي حُنفَاءَ»، وذلك أنه لم يَدْعُهم يومَ المِيثاقِ إلاَّ إلى حرفٍ واحدٍ، فأجابُوه.

قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لفظُه لفظُ النَّفي، ومعناه النَّهيُ؛ والتقدير: لا تُبَدِّلوا خَلْقَ الله عزَّ وجلَّ، وفيه قولان: **أحدهما**: أنه خصَاءُ البهائم، قاله عمرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه. **والثاني**: دِيْنُ الله عز وجل، قاله مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وَقَتادَةُ، والنَّخعيُّ في آخَرِينَ، وعن ابنِ عباسٍ وعِكرِمَةَ كالقولَين. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعني التَّوحيدَ المستقيمَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ الله عز وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: زَعَم جميعُ النَّحويين أنَّ معنى هذا: فأقيموا وجوهَكُم مُنِيبِينَ، لأنَّ مخاطبَةَ النبيِّ ﷺ تدخل معه فيها الأمَّة، ومعنى «مُنِيبِين»: راجِعينَ إليه في كلِّ ما أمَرَ، فلا يخرجون عن شيءٍ مِنْ أمرِه. وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[١] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه القَحطُ، والرَّحمَةُ: المطرُ. **والثاني**: أنه البَلاءُ، والرَّحمةُ: العافيَةُ، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ وهم المشركون. والمعنى: إنَّ الكلَّ يلتجِئونَ إليه في

[١١٠٠] صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٦٥ وعبد الرزاق في «المصنف» ٢٠٠٨٨ وأحمد ٤/ ١٦٢ و ٢٦٦ والطيالسي ١٠٧٩ والطبراني ١٧/ ٩٨٧ و ٩٩٢ ـ ٩٩٧ والبغوي ٤١٠٥ والبيهقي ٩/ ٦٠ وابن حبان ٦٥٣ من طرق عن قتادة.

والحديث بتمامه بلفظ مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبة: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا كل مالٍ نَحلْتُه عبداً، حلال. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحَرَّمت عليهم ما أحللت لهم. وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء. تقرؤه نائماً ويقظان. وإن الله أمرني أن أحرّق قريشاً. فقلت: رب! إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. قال: استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله. وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم. وعفيف متعفف ذو عيال قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً. والخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دقّ إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك».
ومعنى لا يخفى: لا يظهر ويقول أهل اللغة خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته وكتمته.

---

(١) البقرة: ٣، الأنعام: ١٥٩.

شدَائِدِهِم، ولا يلتَفِتُ المشركون حِينَئذٍ إلى أوثانِهم.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ قد شرحناه في آخرِ العنكبوت[١]، وقوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ خطابٌ لهم بعد الإخبارِ عنهم. قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاءِ المشركين ﴿سُلْطَٰنًا﴾ أي: حُجَّةً وكتاباً مِنَ السماء ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يأمُرهم بالشِّركِ؟! وهذا استفهامُ إنكارٍ، ومعناه: ليس الأمرُ كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿رَحْمَةً﴾ وهي المطر. والسيئة: الجوع والقحط، وقال ابن قتيبة: الرحمة: النعمة، والسيِّئةُ: المُصيبَةُ. قال المفسِّرون: وهذا الفَرحُ المذكورُ ها هنا، هو فَرحُ البَطَرِ الذي لا شُكرَ فيه. والقُنُوطُ: اليأسُ مِنْ فَضلِ الله عزَّ وجلَّ، وهذا خلافُ وَصفِ المؤمن، فإنه يَشكُرُ عند النِّعمةِ، ويَرجو عند الشِّدةِ؛ وقد شرحناه في بني إسرائيل[٢]، إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني إعطاءُ الحقِّ ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضَلُ مِنَ الإمساكِ ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: يطلُبون بأعمالِهم ثوابَ الله.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ في هذه الآية أربعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنَّ الرِّبا هاهنا: أنْ يُهدي الرجلُ للرجلِ الشيءَ يقصِدُ أن يُثيبَهُ عليه أكثرَ مِنْ ذلك، هذا قولُ ابنِ عباسٍ وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ ومُجاهِدٍ وطاوُسٍ والضَّحَّاكِ وقتادَةَ والقُرَظي. قال الضَّحَّاكُ: فهذا ليس فيه أَجرٌ ولا وِزْرٌ، وقال قَتادَةُ: ذلك الذي لا يَقبَلُهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ولا يَجزي به، وليس فيه وِزرٌ. **والثاني**: أنه الرِّبا المُحرَّمُ، قاله الحسَنُ البَصري. **والثالث**: أن الرجل يُعطي قرابته المال ليصير به غنياً لا يقصد بذلك ثواب الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي. **والرابع**: أنه الرجلُ يُعطي مَن يخدمُه لأجلِ خدمَتِه، لا لأجلِ الله تعالى، قاله الشَّعْبيُّ. قوله تعالى: ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ وقرأ نافعٌ ويعقوبُ: «لتَربو» بالتاء وسكونِ الواو، أي: في اجتِلابِ أموالِ الناس واجتِذابِها ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يزكُو ولا يضاعف لأنَّكُم قَصدتُم زيادةَ العِوَضِ ولم تقصُدوا القُربَةَ. ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ أي: ما أَعطيتُم مِنْ صدقةٍ لا تطلبون بها المُكافأةَ إنما تريدون بها ما عندَ الله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: الذين يجدون التَّضعيفَ والزِّيادةَ. وقال

---

(١) العنكبوت: ٦٧. (٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٥٣٦: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله، وهذا الصنيع مباح، وإن كان لا ثواب له فيه، إلا أنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ خاصة قاله الضحاك واستدل بقوله: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ أي لا تعطي العطاء تريد أكثر منه. وقال ابن عباس: الربا رباءان، فربا لا يصح يعني ربا البيع، وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها وإضعافها، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾ وإنما الثواب عند الله في الزكاة، ولهذا قال: ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء.

الزَّجَّاجُ: أي ذَوو الأضعافِ مِنَ الحسناتِ، كما يُقال: رجلٌ مُقْوٍ، أي: صاحبُ قُوَّةٍ، ومُوسِر: صاحبُ يَسارٍ.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في هذا الفسادِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: نُقصانُ البَركةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ارتكابُ المعاصي، قاله أبو العَاليةِ. **والثالث**: الشِّركُ، قاله قَتادَةُ، والسُّدِّيُّ. **والرابع**: قَحطُ المطرِ، قاله عَطِيَّةُ. فأما البَرُّ. فقال ابنُ عباسٍ: البَرُّ: البَرِّيَّةُ التي ليس عندها نَهرٌ، وفي البحرِ قولان[1]: **أحدهما**: أنه ما كان مِنَ المدائنِ والقُرى على شَطِّ نهرٍ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال عِكرِمَةُ: لا أقولُ: بَحرُكم هذا، ولكنْ كلُّ قريةٍ عامرةٍ. وقال قَتادَةُ: المراد بالبَرِّ: أهلُ البَوادي، وبالبحرِ: أهلُ القُرى، وقال الزَّجَّاجُ: المراد بالبحرِ: مُدنُ البحرِ التي على الأنهارِ، وكلُّ ذِي ماءٍ فهو بحرٌ. **والثاني**: أنَّ البحرَ: الماءُ المعروف. قال مُجاهِدٌ: ظهورُ الفساد في البَرِّ: قَتْلُ ابنِ آدمَ أخاه، وفي البَحرِ: مَلِكٌ جائرٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ غَصْباً. وقيل لعَطيَّةَ: أيُّ فسادٍ في البحرِ؟ فقال: إذا قَلَّ المطرُ قَلَّ الغَوصُ.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بما عملوا مِنَ المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ، ورَوحٌ عن يعقوبَ، وقُنْبُلٌ عن ابنِ كَثيرٍ: «لِنُذيقَهم» بالنون ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: جزاءَ بعضِ أعمالِهم؛ فالقَحطُ جزاءٌ، ونُقصانُ البَركةِ جزاءٌ، ووقوعُ المَعصيةِ منهم جزاءٌ مُعجَّلٌ لمعاصِيهِم أيضاً. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الذين أُذِيقُوا الجَزاءَ. ثم في معنى رُجوعِهم قولان: **أحدهما**: يَرجعُون عن المعاصي، قاله أبو العَاليةِ. **والثاني**: يَرجعُون إلى الحقِّ، قاله إبراهيمُ. **والثاني**: أنهم الذين يأتون بعدَهُم؛ فالمعنى: لعلَّه يرجعُ مَنْ بعدَهُمْ، قاله الحسَنُ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافِروا ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ أي: الذين كانوا قبلَكُم؛ والمعنى: انظُروا إلى مساكِنِهم وآثارِهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ المعنى: فأهلِكوا بشِركِهم. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: أَقِمْ قَصدَكَ لاتِّباعِ الدِّينِ ﴿ٱلْقَيِّمِ﴾ وهو الإسلامُ المستقيمُ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ يعني القيامةَ، لا يقدرُ أحدٌ على رَدِّ ذلك اليومِ، لأنَّ اللَّهَ تعالى قد قضى كونَهُ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يَتفرَّقون إلى الجنَّةِ والنَّارِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ١٩٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذكره أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب فهما جميعاً بحر، ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك ما وقع عليه اسم بحر، عذباً كان أو ملحاً، وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار، فتأويل الكلام إذن: إذا كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من برّ وبحر بما كسبت أيدي الناس، أي: بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما اهـ.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاءُ كُفرِه ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يُوطِئُون. وقال مُجاهِدٌ: يُسَوُّون المَضاجعَ في القبور، قال أبو عُبيدَةَ: «مَنْ» تقع على الواحد والاثنين والجمع مِنَ المذكَّرِ والمؤنَّثِ، ومَجازُها هاهنا مَجازُ الجميع، و «يَمْهَد» بمعنى يكتَسِبُ ويعملُ ويستَعِدُّ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ تُبشِّر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وهو الغَيثُ والخِصبُ ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر بتلك الرِّياح ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ بالتِّجارة في البحرِ ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو الرِّزقُ؛ وكلُّ هذا بالرِّياح. قوله تعالى: ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالدَّلالاتِ على صِدْقِهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أي: عذَّبْنا الذين كذَّبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: واجِباً هو أوجَبَهُ على نفسه ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاؤهُم مع الرُّسلِ مِن عذاب المُكذِّبين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن
قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ
ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن
يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ
مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا
لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءٍ، والنَّخعيُّ، وطَلحةُ بنُ مُصرِّفٍ، والأعمَشُ: «يُرْسِلُ الرِّيحَ» بغيرِ ألِفٍ. قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تُزعِجُه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ اللَّهُ ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ إنْ شاءَ بَسَطَهُ مسيرةَ يومٍ أو يومين أو أقلَّ أو أكثرَ ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ أي: قِطَعاً مُتفرِّقةً. والأكثرون فتَحوا سينَ «كِسَفاً»؛ وقرأ أبو رَزينٍ، وقَتادةُ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ:

بتسكينها؛ قال أبو عليٍّ: يمكن أن يكونَ مثلَ سِدْرَة وسِدَر، فيكون معنى القِراءَتَين واحداً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو العَالِيَةِ: «مِن خَلَلِه»؛ وقد شرحناه في النور[١]. ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ أي: بالوَدْقِ؛ ومعنى ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بالمطرِ، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطرَ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ وفي هذا التَّكريرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه للتأكيدِ، كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٢]، قاله الأخفشُ في آخرين. **والثاني**: أنَّ «قَبْل» الأولى للتَّنزيلِ، والثانية للمطرِ، قاله قُطْرُبُ. قال ابنُ الأنباري: والمعنى: مِنْ قَبْلِ نزولِ المطرِ، مِنْ قَبلِ المطرِ، وهذا مثل ما يقول القائلُ: آتيكَ مِنْ قبلِ أنْ تتكلَّمَ، مِنْ قبلِ أنْ تَطمَئِنَّ في مجلِسِكَ، فلا تُنكرُ الإعادةَ، لاختلافِ الشيئين. **والثالث**: أنَّ الهاءَ في قوله تعالى: «مِنْ قَبْله» ترجعُ إلى الهُدى وإنْ لم يتقدَّم له ذِكْرٌ، فيكون المعنى: كانوا يَقنَطون مِنْ قبلِ نزولِ المطرِ، مِنْ قبلِ الهُدى، فلمَّا جاء الهُدى والإسلامُ زالَ القُنوطُ، ذكره ابنُ الأنباري عن أبي عُمَرَ الدريدي وأبي جعفرَ بنِ قادمٍ. والمُبلِسُون: الآيِسُونَ وقد سبقَ الكلامُ في هذا[٣]. ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «إلى أثر». وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «إلى آثار» على الجمعِ. والمراد بالرَّحمة ها هنا: المطرُ، وأَثَرُها: النَّبتُ والمَنبتُ؛ والمعنى: انظرْ إلى حُسنِ تأثيرِهِ في الأرض ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: كيف يجعلُها تُنبتُ بعدَ أنْ لم يكُنْ فيها نَبتٌ. وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، وأبو رَجاءٍ، وأبو عِمرانَ الجوني، وسُليمانُ التَّيمِي، «كيف تُحيي» بتاءٍ مرفوعةٍ مكسورةِ الياءِ «الأرضَ» بفتحِ الضاد.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ أي: رِيحاً باردةً مُضِرَّةً، والرِّيحُ إذا أتَتْ على لفظِ الواحد أُريدَ بها العذابُ، ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يقول عند هُبوبِ الرِّيح:

[١١٠١] «اللهُمَّ اجعلْهَا رِياحاً ولا تجعلْهَا رِيحاً».

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ يعني النَّبتَ، والهاءُ عائدةٌ إلى الأثرِ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فرَأَوُا النَّبتَ قد اصفرَّ وجَفَّ ﴿لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ ومعناه: لَيَظَلُّنَّ، لأنَّ معنى الكلام الشَّرطُ والجَزاءُ، فهم يَستبشِرون بالغَيثِ، ويَكفُرون إذا انقطَعَ عنهم الغيثُ وجَفَّ النَّبتُ. وقال غيرُه: المراد برَحمةِ الله: المطرُ. و «ظلُّوا» بمعنى صارُوا «مِنْ بعدِه» أي: مِنْ بعدِ اصفِرَارِ النَّبتِ يَجحَدُونَ ما سَلفَ مِنَ النِّعمَةِ. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في سُورةِ النَّمل[٤] إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ وقد ذكرنا الكلامَ فيه في الأنفال[٥]، قال المُفسِّرون: المعنى: خَلقَكُم مِنْ ماءٍ ذي ضَعفٍ، وهو المَنِيُّ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ يعني ضَعفَ الطُّفولةِ قوَّةَ الشَّبابِ، ثُمَّ جعلَ مِن بَعْد قوَّةِ الشباب ضَعفَ الكِبَرِ، وشَيْبَةً، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: مِنْ ضَعفٍ وقوَّةٍ وشبابٍ وشَيْبَةٍ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبيرِ خَلْقِه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ

[١١٠١] ضعيف جداً، أخرجه الشافعي ١/ ١٧٥ والبغوي في «التفسير» ١٢٣٤ من طريق الشافعي أنبأنا من لا أتهم بحديثه ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما هبت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال: اللهم اجعلها... ، وشيخ الشافعي هو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وهو متروك وكذبه القطان وابن معين، وكان الشافعي يوثقه؟! وهذا إسناد ساقط، والخبر شبه موضوع.

---

(١) النور: ٤٣. (٢) الحجر: ٣٠. (٣) الأنعام: ٤٤.
(٤) النمل: ٨٠ ـ ٨١. (٥) الأنفال: ٦٦.

ٱلسَّاعَةُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الساعةُ في القرآن على معنى الساعةِ التي تقوم فيها القيامةُ، فلذلك لم تُعرَفْ أيّ ساعةٍ هي. قوله تعالى: ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يَحْلِفُ المشرِكون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القبورِ ﴿غَيْرَ سَاعَةٍۢ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: أُفِكَ الرَّجلُ: إذا عُدِلَ به عن الصِّدقِ، فالمعنى أنهم قد كَذَّبوه في هذا الوقتِ كما كَذَّبوه في الدنيا. وقال غيرُه: أراد اللّهُ تعالى أنْ يَفضحَهم يومَ القيامة بين المؤمنين، فحَلَفوا على شيءٍ تبيَّن للمؤمنين كَذِبهم فيه، ويَستدِلُّون على كَذِبهم في الدنيا. ثم ذَكرَ إنكارَ المؤمنين عليهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة. **والثاني**: المؤمنون. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ فيه تقديماً وتأخيراً، تقديره: وقال الذين أُوتُوا العِلْمَ بكتاب الله والإيمانَ بالله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ جُرَيج في جماعةٍ مِنَ المُفسِّرين. **والثاني**: أنه على نَظْمِه. ثم في معناه قولان: **أحدهما**: لقد لَبِثتُم في عِلْمِ الله، عزَّ وجلَّ، قاله الفرَّاءُ. **والثاني**: لقد لَبِثتُم في خَبَرِ الكتاب، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: اليوم الذي كُنتم تُنكِرونَهُ ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الدنيا أنه يكون. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «لا تَنْفَعُ» بالتاء. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: بالياء، لأنَّ التأنيث غيرُ حقيقيٍ. قال ابنُ عباسٍ: لا يُقْبَلُ مِنَ الذين أشرَكُوا عُذرٌ ولا توبةٌ.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۢ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍۢ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ أي: كعصا موسى ويدِهِ ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ﴾ أي: ما أنتُم يا محمَّدُ وأصحابُكَ ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أي: أصحابُ أباطيل، وهذا بيانٌ لعِنادِهم. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما طَبَعَ على قلوبهم حتى لا يُصدِّقون الآياتِ ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ الله عزَّ وجلَّ؛ فالسببُ في امتناعِ الكفار مِنَ التَّوحيدِ، الطَّبْعُ على قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك وإظهارك على عدوك ﴿حَقٌّ﴾. ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ وقرأ يعقوبُ إلاَّ رَوحاً وزيداً: «يَسْتَخِفَنْكَ» بسكونِ النون. قال الزَّجَّاجُ: لا يَستفزَّنَّك عن دِينِك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: هم ضُلاَّلٌ شاكُّون. وقال غيرُه: لا يُوقِنون بالبَعثِ والجزاءِ. وزعم بعضُ المُفسِّرين أنَّ هذه الآيةَ منسُوخةٌ؛ واللّهُ أعلَمُ.

سُورَةُ لُقْمَان

ترتيبها ٣١ — آياتها ٣٤

وهي مكِّيَّةٌ في قولِ الأكثرين. ورُوي عن عطاءٍ أنه قال: هي مكِّيَّةٌ سوى آيتَيْنِ منها نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ والتي بعدَها[1]؛ وروى الحسَنُ أنه قال: إلاّ آيةً نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]، لأنَّ الصلاةَ والزَّكاةَ مَدنيَّتانِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ
دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ
ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا
تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ وقرأ حمزةُ وحدَهُ: «ورحمةٌ» بالرَّفع. قال الزَّجّاجُ: القراءة بالنَّصب على الحالِ؛ المعنى: تلك آياتُ الكتاب في حالِ الهدايَةِ والرَّحمةِ؛ ويجوز الرفعُ على إضمارِ «هو هدىً ورحمةٌ» وعلى معنى: «تلك هدىً ورحمةٌ». وقد سبقَ تفسيرُ مُفتتَح هذه السُّورة[3] إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت هذه الآيةُ في رجلٍ اشترى جاريةً مُغنِّيةً. وقال مُجاهِدٌ: نزلت في شراءِ القِيانِ والمُغنِّياتِ.

---

(١) لقمان: ٢٧ ـ ٢٨. (٢) لقمان: ٤. (٣) البقرة: ١ ـ ٥.

[١١٠٢] وقال ابنُ السَّائِبِ ومُقاتِلٌ: نزلت في النَّضْرِ بنِ الحَارِثِ، وذلك أنه كان تاجراً إلى فارسَ، فكان يشتري أخبارَ الأعاجِمِ فيُحدِّث بها قُريشاً ويقول لهم: إنَّ محمَّداً يُحدِّثكم بحديث عادٍ وثَمودَ، وأنا أُحدِّثكم بحديثِ رُستَمَ وإسفنديارَ وأخبارِ الأكاسِرَةِ، فيستَملِحُونَ حديثَهُ ويتركون استماعَ القرآن، فنزلت فيه هذه الآيةُ.

وفي المراد بلَهْوِ الحديث أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الغِناء، كان ابنُ مسعودٍ يقول: هو الغِناءُ والذي لا إلهَ إلاَّ هوَ، يُردِّدها ثلاثَ مراتٍ؛ وبهذا قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ. وروى ابنُ أبي نَجِيح عن مُجاهِدٍ، قال: اللَّهْوُ: الطَّبلُ. **والثاني**: أنه ما أَلْهَى عن الله تعالى: قاله الحسَنُ، وعنه مثل القولِ الأولِ. **والثالث**: أنه الشِّركُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: الباطلُ، قاله عطاءٌ. وفي معنى «يشتري» قولان: **أحدهما**: يشتري بمالِه؛ وحديثُ النَّضْرِ يعَضُدهُ. **والثاني**: يختارُ ويَستَحِبُّ، قاله قَتادَةُ، ومَطرُ. وإنما قيلَ لهذه الأشياء: لَهْو الحديث، لأنها تُلهِي عن ذِكْرِ الله تعالى.

قوله تعالى: «لِيَضِلَّ» المعنى: ليصيرَ أمرُهُ إلى الضَّلالِ، وقد بيَّنَّا هذا الحرفَ في الحَجِّ[١]. وقرأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وطَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ، والأعمَشُ، وأبو جعفرَ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضمِّ الياء، والمعنى: ليُضِلَّ غيرَه، وإذا أضَلَّ غيرَه فقد ضَلَّ هو أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ويتَّخِذُها» برفع الذال. وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: بنصبِ الذال. قال أبو عليٍّ: مَنْ نَصبَ عَطَفَ على «لِيُضِلَّ» «ويَتَّخذ»، ومَنْ رَفعَ عَطفَهُ على «من يَشتري» «ويتخذ». وفي المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ قولان: **أحدهما**: أنها الآياتُ. **والثاني**: السَّبيلُ. وما بعد هذا مفسَّرٌ في مواضعَ قد تقدَّمَتْ[٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ وفيها قولان[٣]: **أحدهما**: الفَهْم والعَقل، قاله الأكثرون. **والثاني**: النُّبوَّة. وقد اختُلِفَ في نُبوَّتِه على قولَين: **أحدهما**: أنه كان حكيماً ولم يكُن نبيًّا، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه كان نبيًّا، قاله الشَّعبيُّ، وعِكرِمَةُ، والسُّدِّيُّ. هكذا حكاه عنهم الوَاحِدِي، ولا يُعرف، إلاَّ أنَّ هذا ممَّا انفرَدَ به عِكرِمَةُ؛ والقولُ الأولُ أصحُّ. وفي صِناعَتِه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان خيَّاطاً، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثاني**: راعياً، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: نجَّاراً، قاله خالدُ الرَّبعي. فأمَّا صِفتُه، فقال ابنُ عباسٍ؛ كان عبداً حبشِيًّا. وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ: كان لُقمانُ أسودَ مِنْ سُودَانِ مِصْرَ. وقال مُجاهِدٌ: كان غليظَ الشَّفتين مُشَقَّقَ

[١١٠٢] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٧٦ عن مقاتل والكلبي بدون إسناد. وكلاهما متهم بالكذب.

---

(١) الحج: ٩.

(٢) البقرة: ٢٥، الأنعام: ٢٥، الرعد: ١٥، النحل: ١٥، الإسراء: ٤٦، الشعراء: ٧.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٥٤٨: اختلف السلف في لقمان عليه السلام هل كان نبياً، أو عبد صالحاً من غير نبوة؟ على قولين والأكثرون على القول بأن لقمان كان من سودان مصر، ذا مشافر، أعطاه الله الحكمة ومنحه النبوة. وقوله: ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ أي: الفهم والعلم والتعبير، ﴿**أن أشكر لله**﴾ أي أمرناه أن يشكر لله ـ عز وجل ـ على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصَّصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه.

القَدَمين، وكان قاضياً على بَني إسرائيلَ.

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ المعنى: وقلنا له: أن أشكرْ للَّهِ على ما أعطاكَ مِنَ الحِكمةِ ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: إنما يفعلُ لنفسِه ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النِّعمة، فإنَّ الله لَغَنِيٌّ عن عبادةِ خَلْقِه.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ، وقد شرحنا ذلك في العنكبوت[1]. قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ وقرأ الضَّحّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «وَهَناً على وَهَنٍ» بفتح الهاء فيهما، قال الزَّجّاجُ: أي: ضَعْفاً على ضَعْفٍ. والمعنى لَزِمَها بحَمْلِها إيّاه أن تَضْعُفَ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ. وموضِعُ «أن» نصبٌ «بوصيّنا»؛ المعنى: ووصينا الإنسان أَنِ اشكُرْ لي ولِوالدَيْكَ، أي: وَصَّيناهُ بشُكرِنا وشُكرِ والدَيه.

قوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ أي: فِطامُه يقعُ في انقضاءِ عامَيْنِ. وقرأ إبراهيمُ النَّخعيُّ، وأبو عِمْرانَ، والأعمَشُ: «وفَصالُه» بفتحِ الفاء. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وأبو رَجاءٍ، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَري، وقَتادةُ؛ «وفَصْلُه» بفتحِ الفاء وسكونِ الصاد مِنْ غيرِ أَلِفٍ؛ والمراد: التَّنبيهُ على مشقَّةِ الوالدَةِ بالرَّضاع بعد الحَمْلِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ قد فسَّرنا ذلك في سُورةِ العنكبوت إلى قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: مُصَاحَباً معروفاً، تقول: صاحبه مُصَاحَباً ومُصَاحَبَةً، والمعروف: ما يُستَحسنُ مِنَ الأفعال.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ أي: مَنْ رَجَع إليَّ؛ وأهلُ التَّفسير يقولون: هذه الآيةُ نزلت في سَعدٍ، فهو المُخاطَبُ بها. وفي المراد بِمَنْ أنابَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، قيل لسَعدٍ: اتَّبعْ سبيلَهُ في الإيمان، هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ في رواية عطاءٍ. وقال ابنُ إسحاقَ: أسلَمَ على يَدَي أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ: عثمانُ بنُ عفّانَ، وطَلْحَةُ، والزُّبيرُ، وسعدُ بنُ أبي وقّاصٍ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ. **والثاني**: أنه رسولُ الله ﷺ، قاله ابنُ السّائبِ. **والثالث**: مَنْ سَلَكَ طريقَ محمَّدٍ وأصحابه، ذكره الثعلبي.

ثم رجع إلى الخبرِ عن لُقمانَ فقال: ﴿يَٰبُنَىَّ﴾. وقال ابنُ جريرٍ: وَجهُ اعتراضِ هذه الآيات بين الخبرَيْنِ عن وصيّةِ لُقمانَ أنَّ هذا مما أوصى به لُقمانُ ابنه. قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وقرأ

---

(١) العنكبوت: ٨.

نافع وحده «مثقالُ حَبَّةٍ» برفع اللام. وفي سبب قول لقمان لابنه هذا قولان: **أحدهما**: أنَّ ابنَ لُقمانَ قال لأبيه: أرأيتَ لو كانت حبَّةٌ في قَعرِ البحر أكانَ اللهُ تعالى يعلَمُها؟ فأجابه بهذه الآيةِ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه قال: يا أبَتِ إنْ عَمِلتُ بالخطيئةِ حيث لا يَراني أحدٌ، كيف يَعلَمُها اللهُ؟ فأجابه بهذا، قاله مُقاتِلٌ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ برفعِ المِثقَالِ مع تأنيثِ «تَكُ» فلأنَّ «مثقال حبَّة من خردل» راجعٌ إلى معنى: خَردَلَة، فهي بمنزلة: إنْ تَكُ حبَّةٌ مِنْ خَردَلٍ؛ ومَنْ قرأ: «مثقالَ حبَّة» فعَلَى معنى: إنَّ التي سألْتَني عنها إنْ تَكُ مثقالَ حبَّةٍ، وعلى معنى: إنَّ فَعْلَةَ الإنسان وإنْ صَغُرتْ يأتِ بها اللهُ عزَّ وجلَّ وقد بيَّنَّا معنى «مثقالَ حبَّة من خردل» في الأنبياء[1]. قوله تعالى: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ قال قَتادَةُ: في جَبَلٍ. وقال السُّدِّيُّ: هي الصخرة التي تحت الأرضِ السابعةِ، ليست في السَّمواتِ ولا في الأرض. وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يعلَمُها اللَّهُ تعالى: قاله أبو مالكٍ. **والثاني**: يُظهِرُها، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثالث**: يأتِ بها اللهُ في الآخرة للجزاءِ عليها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ﴿لَطِيفٌ﴾ باستخراجِها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانِها. وهذا مَثَلٌ لأعمال العِبادِ، والمراد أنَّ اللهَ تعالى يأتي بأعمالِهِم يومَ القيامة، مَنْ يعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ، ومَنْ يعمل مِثقالَ ذَرَّةٍ شرّاً يَرَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ أي: في الأمر المعروف والنَّهي عن المُنْكرِ مِنَ الأذى. وباقي الآيةِ مفسَّرٌ في آلِ عِمران[2].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرَ، ويعقوبُ: «تُصَعِّر» بتشديد العينِ مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بألِفٍ مِنْ غير تشديدٍ. قال الفَرَّاءُ: هما لُغتان، ومعناهما الإعراضُ مِنَ الكِبْرِ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَجاءٍ وابنُ السَّمَيفَع، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «ولا تُصعِر» بإسكانِ الصاد وتخفيفِ العين مِنْ غير ألِفٍ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: لا تُعْرِضْ عن الناس تكبُّراً؛ يُقال: أصاب البَعيرَ صَعَرٌ: إذا أصابه داءٌ يَلْوِي منه عُنُقَهُ. وقال ابنُ عباسٍ: هو الذي إذا سُلِّم عليه لَوَى عُنُقَهُ كالمُستكبِر. وقال أبو العَالِيةِ: لِيَكُنِ الغنيُّ والفقيرُ عندكَ في العِلْمِ سواءً. وقال مُجاهِدٌ: وهو الرجل يكون بينه وبين أخيه الحِنَةُ[3]، فيَراهُ فيُعرِضُ عنه. وباقي الآيةِ بعضُه مفسَّرٌ في بني إسرائيل[4] وبعضُه في سُورةِ النِّساء[5].

قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: لِيكُن مَشيُكَ قَصْداً، لا تخيُّلاً ولا إسراعاً. قال عطاءٌ: امشِ بالوَقارِ والسَّكينةِ. قوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي: انقُص منه. قال الزَّجَّاجُ: ومنه: غَضَضْتُ بَصري، وفلانٌ يَغُضُّ مِنْ فُلانٍ، أي: يَقصرُ به. ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «أنَّ أنكر الأصوات» بفتحِ الهمزة. ومعنى «أنكر»: أقبَحَ؛ تقول: أتانا فُلانٌ بوَجهٍ منكرٍ، أي:

(١) الأنبياء: ٤٧. (٢) آل عمران: ٢٨٦.
(٣) في «اللسان»: الحنة: هو من العداوة والإحنة: الحقد في الصدر ويقال في صدره عليّ إحنة ولا تقل حنة.
(٤) الإسراء: ٣٧. (٥) النساء: ٣٦.

قبيح. وقال المُبَرِّدُ: تأويله: أنَّ الجَهرَ بالصوت ليس بمَحمودٍ، وأنه داخلٌ في باب الصوت المُنكَرِ، وقال ابنُ قُتَيبة: عَرَّفَه قُبْحَ رفعِ الأصواتِ في المُخاطبةِ والمُلاحاةِ[1] بقُبحِ أصواتِ الحمير، لأنها عاليةٌ. قال ابنُ زيدٍ: لو كان رفعُ الصوت خيراً، ما جعله اللهُ عزَّ وجلَّ للحمير. وقال سُفيانُ الثَّوري: صِياحُ كلِّ شيءٍ تسبيحُ لله عزَّ وجلَّ، إلاَّ الحمارَ، فإنه يَنهقُ بلا فائدةٍ. فإنْ قيلَ: كيف قال: «لَصوتُ» ولم يَقُلْ: «لأصواتُ الحمير»؟ فالجواب: أنَّ لكلِّ جنسٍ صوتاً، فكأنه قال: إنَّ أنكرَ أصواتِ الأجناسِ صوتُ هذا الجنس.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أوسعَ وأكمَلَ ﴿نِعَمَهُۥ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ، وحَفصٌ عن عاصِم: «نِعَمَهُ»، أرادوا جميعَ ما أنعَمَ به. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ؛ وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «نِعْمَةً» على التوحيد. قال الزَّجَّاجُ: هو ما أعطاهم مِنْ توحيدِه.

[١١٠٣] ورَوى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله! ما هذه النِّعمةُ الظاهرةُ والباطِنةُ؟ فقال: «أمَّا ما ظَهَر: فالإسلامُ، وما سَوَّى الله مِنْ خَلْقِكَ، وما أفضَلَ عليك مِنَ الرِّزق. وأمَّا ما بَطَنَ: فسَتْرُ مساوئِ عمَلِكَ، ولم يَفضَحْكَ» وقال الضَّحَّاكُ: الباطِنةُ: المَعرفةُ، والظَّاهِرةُ: حُسنُ الصَّوتِ، وامتدادُ القامَةِ، وتسويةُ الأعضاء.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ هو مَتروكُ الجوابِ، تقديره فيَتبعُونَه؟.

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وأبو العَالِيةِ، وقَتادَةُ: «ومَنْ

[١١٠٣] باطل. لا أصل له في المرفوع. أخرجه البيهقي في «الشعب» ٤٥٠٥ والديلمي ٧١٦٧ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً، له ثلاث علل: عمار بن عمرو الجنبي ضعيف وجويبر بن سعيد متروك متهم بالوضع، والضحاك لم يلق ابن عباس. والمتن باطل لا أصل له، وحسبه أن يكون موقوفاً.
وانظر «تفسير الشوكاني» ١٩٣٠ بتخريجنا.

---

(١) الملاحاة: المخاصمة والمقاولة.

يُسَلِّم» بفتح السين وتشديد اللام. وذكرَ المفسِّرون أن قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ منسوخ بآيةِ السَّيفِ، ولا يَصحُّ، لأنه تسليةٌ عن الحُزنِ، وذلك لا يُنافي الأمرَ بالقتال. وما بعد هذا قد تقدَّمَ تفسيرُ ألفاظِه في مواضعَ[(١)] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ وفي سببِ نُزولها قولان:

[١١٠٤] **أحدهما**: أنَّ أحبارَ اليَهودِ قالوا لرسولِ الله ﷺ: أرأيتَ قولَ الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(٢)] إيَّانا يريدُ، أَمْ قومَكَ؟ فقال: «كُلاًّ»، فقالوا: ألستَ تَتْلو فيما جاءَكَ أنَّا قد أُوتينا التَّوراةَ فيها تِبيانُ كلِّ شيءٍ؟ فقال: «إنها في عِلْم الله قليلٌ»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ المُشركين قالوا في القرآن: إنَّما هو كلامٌ يُوشكُ أنْ يَنْفَدَ وينقطِعَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادةُ.

ومعنى الآية: لو كانت شجرُ الأرضِ أقلاماً، وكان البحرُ ومعه سبعةُ أبحُرٍ مِداداً ـ وفي الكلام محذوفٌ تقديره: فكُتِبَ بهذه الأقلام وهذه البُحورِ كلماتُ الله عزَّ وجلَّ ـ لَتكسَّرت الأقلامُ ونَفِدَتِ البُحورُ، ولم تَنْفَدْ كلماتُ الله، أي: لم تَنقطِعْ. فأما قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾ فقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «والبَحْرُ» بالرفع، ونَصبَهُ أبو عمرٍو. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «والبحرَ» بالنَّصبِ، فهو عَطفٌ على «ما»؛ المعنى: ولو أنَّ ما في الأرض، ولو أنَّ البحرَ؛ والرفعُ حسَنٌ على معنى: والبحرُ هذه حالُه. قال اليَزيدي: ومعنى «يَمُدُّهُ مِنْ بعده»: يَزيدُ فيه؛ يُقال: مُدَّ قِدْرَكَ، أي: زِدْ في مائِها، وكذلك قال ابنُ قُتَيبةَ: «يَمُدُّه» مِنَ المِدادِ، لا مِنَ الإمدادِ، يُقال: مَدَدْتُ دَواتي بالمِدادِ، وأمدَدْتُه بالمالِ والرجالِ.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.

[١١٠٥] سببُ نُزولِها أنَّ أُبيَّ بنَ خَلَفٍ في آخرين مِنْ قُريشٍ قالوا للنبيِّ ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَنا أطواراً: نُطفَةً، عَلقَةً، مُضغَةً، عِظاماً، لحماً، ثم تزعُمُ أنَّا نُبعَثُ خَلْقاً جديداً جميعاً في ساعةٍ واحدةٍ؟! فنزلت هذه الآيةُ.

[١١٠٤] أخرجه الطبري ٢٨١٤٨ بنحوه بسند مجهول عن ابن عباس. و ٢٨٤٠١ بنحوه عن عكرمة مرسلاً و ٢٨١٥٠ عن عطاء بن يسار مرسلاً أيضاً، فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها والله أعلم.

[١١٠٥] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، فهذا خبر لا شيء.

---

(١) البقرة: ٢٦٧، وهود: ٤٨، والعنكبوت: ٦١. (٢) الإسراء: ٨٥.

ومعناها: ما خَلْقكم أيُّها الناسُ جميعاً في القُدرةِ إلاّ كخَلْقِ نفسٍ واحدةٍ، ولا بَعْثُكم جميعاً في القُدرةِ إلاّ كبَعثِ نفسٍ واحدةٍ، قاله مُقاتِلٌ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ تجري في البَحر بِنِعمة الله، قال ابنُ عباسٍ: مِن نِعَمِه جَريانُ الفُلْكِ ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: لِيُرِيَكم مِنْ صُنعِه وعجائبِه في البحر، وابتغاءِ الرِّزقِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ قال مُقاتِلٌ: أي: لكُل صبورٍ على أمرِ الله عزَّ وجلَّ ﴿شَكُورٍ﴾ في نِعَمِه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ يعني الكفَّارَ؛ وقال بعضُهم: هو عامٌّ في الكفَّارِ والمسلمين ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: وهي جَمْعُ ظُلَّةٍ، يُراد أنَّ بعضَهُ فوق بعضٍ، فلَهُ سَوادٌ مِن كثرتِه.

قوله تعالى: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وقد سَبقَ شرحُ هذا[2]، والمعنى: فإنهم لا يذكرون أصنامهم في شدائدهم إنما يَذكُرون الله وحدَهُ.

[١١٠٦] وجاء في الحديث أنَّ عِكرمَةَ بنَ أبي جَهْلٍ لمَّا هربَ يومَ الفَتْحِ مِنْ رسول الله ﷺ ركبَ البحرَ فأصابَتْهم رِيحٌ عاصِفٌ، فقال أهلُ السفينة: أَخْلِصوا، فإنَّ آلهتَكم لا تُغْني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عِكرمَةُ: ما هذا الذي تقولون، فقالوا: هذا مكانٌ لا يَنفعُ فيه إلاّ اللهُ تعالى: فقال: هذا إلَهُ محمَّدٍ الذي كان يَدْعُونا إليه، لَئِنْ لم يُنجِني في البحرِ إلاّ الإخلاصُ ما يُنجِيني في البَرِّ غيرُهُ، ارجعُوا بنا، فرَجَعَ فأَسْلَمَ.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مؤمنٌ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: مُقتَصِدٌ في قولِه، وهو كافرٌ، قاله مُجاهِدٌ. يعني أنه يعترفُ بأنَّ اللهَ تعالى وحدَهُ القادرُ على إنجائِه وإنْ كان مُضمِراً للشِّرك. **والثالث**: أنه العادلُ في الوفاءِ بما عاهَدَ اللهَ عليه في البحرِ مِنَ التَّوحيدِ، قاله مُقاتِلٌ. فأمَّا «الخَتَّار» فقال الحسَنُ: هو الغَدَّارُ. قال ابنُ قُتَيبة: الخَتْرُ: أقبحُ الغَدْرِ وأَشَدُّهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ قال المُفسِّرون: هذا خِطابٌ لكفَّارِ مكَّةَ. وقوله تعالى: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي: لا يَقضي عنه شيئاً مِنْ جِنايَتِه ومَظالِمِه. قال مُقاتِلٌ: وهذا يعني به

[١١٠٦] أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٤٧ من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح هرب عكرمة بن أبي جهل فركب البحر. . . فذكره. وكان قد أخرجه ٣/ ٤٤٦ من طريق أسباط بن نصر قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي اليسر؛ فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم بها. . .

---

(١) آل عمران: ٢٧، الرعد: ٢، الحج: ٦٢. (٢) يونس: ٢٢.

الكفَّارَ. وقد شرحنا هذا في البقرة[١]. قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿هُوَ جَازٍ﴾ جاءت في المُصحفِ بغيرِ ياءٍ، والأصلُ «جازيٌ» بضمَّةٍ وتنوينٍ. وذَكَرَ سِيبَويه والخَليلُ أنَّ الاختيارَ في الوقفِ هو «جازٍ» بغيرِ ياءٍ، هكذا وَقَفَ الفُصحاءُ مِنَ العرب ليُعلِمُوا أنَّ هذه الياءَ تسقُط في الوَصْلِ. وزعمَ يُونسُ أنَّ بعضَ العرب المَوثُوقِ بهم يَقِفُ بياءٍ، ولكن الاختيارَ اتِّباعُ المُصحفِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: بالبَعثِ والجَزاءِ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بزِينَتِها عن الإسلام والتَّزوُّدِ للآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ أي: بحِلْمِه وإمهَالِه ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي مِنْ شأنه أنْ يَغُرَّ. قال الزَّجَّاجُ: «الغرور» على وزن الفَعول، وفَعول مِنْ أسماء المُبالغة، يُقال: فلانٌ أَكُول: إذا كان كثيرَ الأكلِ، وضَرُوب: إذا كان كثيرَ الضَّرْبِ، فقيل للشيطان غَرُور، لأنه يَغُرُّ كثيراً. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: الغَرُور بفتحِ الغين: الشيطانُ، وبضَمِّها: الباطِلُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

[١١٠٧] سببُ نُزولِها أنَّ رجلاً مِنْ أهل الباديةِ جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ امرأتي حُبْلَى، فأخبِرني ماذا تَلِدُ؟ وبلَدُنا مُجْدِبٌ، فأخبِرني متي يَنزِلُ الغَيثُ؟ وقد عَلِمْتُ متى وُلِدْتُ، فأخبرني متى أمُوتُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ.

ومعنى الآيةِ: «إنَّ الله» عزَّ وجلَّ «عنده عِلْم الساعة» متى تقومُ، لا يَعلمُ سِواهُ ذلك ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «ويُنَزِّلُ» بالتشديد، فلا يَعلَمُ أحدٌ متى يَنزِلُ الغيثُ، أَلَيلاً أَمْ نهاراً ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ لا يعلمُ سِواهُ ما فيها، أذكرٌ أَمْ أُنثى، أبيضُ أو أَسوَدُ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أخَيْراً أَمْ شَرّاً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: بأيِّ مكانٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «بأيَّةِ أرض» بتاءٍ مكسورةٍ. والمعنى: ليس أحدٌ يَعلَمُ أينَ مَضجَعُهُ مِنَ الأرض حين يموت، أَفِي بَرٍّ أو بحرٍ أو سَهلٍ أو جبلٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: يُقال: بأيِّ أرضٍ كُنتَ، وبأيةِ أرضٍ كُنتَ، لُغتانِ، وقال الفَرَّاءُ: مَنْ قال: بأيِّ أرضٍ، اجتزَأَ بتأنيث الأرض مِنْ أنْ يُظهِرَ في «أيّ» تأنيثاً آخرَ. قال ابنُ عباسٍ: هذه الخَمسُ لا يَعلَمُها مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ مُصطفى. قال الزَّجَّاجُ: فمَنِ ادَّعى أنه يَعلَمُ شيئاً مِنْ هذه كَفَرَ بالقرآن لأنه خالَفَهُ.

[١١٠٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٨١٧٣ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.

---

(١) البقرة: ٤٨.

سُورَةُ السَّجْدَة

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

وتُسمّى سُورة المَضاجِع، وهي مكّيّةٌ بإجمَاعِهم وقال الكَلبيُّ: فيها مِنَ المَدنيِّ ثلاثُ آياتٍ، أوّلُها قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾[1]. وقال مُقاتِلٌ: فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهي قولُه تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ الآية[2]. وقال غيرُهما: فيها خمسُ آياتٍ مَدنيَّاتٌ، أوّلُها ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: المعنى: لا شكَّ فيه أنّه تنزيلٌ ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون، يعني المشركين ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمَّدٌ عليه السَّلامُ مِنْ تِلقاءِ نَفْسِه، ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني العربَ الذين أدركُوا رسولَ الله ﷺ لم يأتِهم نذيرٌ مِنْ قَبْلِ محمَّدٍ عليه السلام. وما بعدَهُ قد سبق تفسيرُه[3] إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ يعني الكفَّارَ؛ يقول: ليس لكم مِنْ دونِ عذابِه مِنْ وَليٍّ، أي: قَريبٍ يَمنعُكم فيَردُّ عذابَهُ عنكم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفَعُ لكُم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ في معنى الآيةِ قولان[4]: **أحدهما**: يقضي

---

(١) السجدة: ١٨.	(٢) السجدة: ١٦.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٢٣٢: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: =

القضاءَ مِنَ السماءِ فيُنزِّله مع الملائكة إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ المَلَكُ ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ مِنْ أيام الدنيا، فيكون المَلَكُ قد قطعَ في يوم واحدٍ مِنْ أيام الدنيا في نُزولِه وصُعودِه مسافةَ ألف سنةٍ مِنْ مسيرةِ الآدميّ. **والثاني**: يُدبِّر أمرَ الدنيا مدَّةَ أيّام الدنيا، فيُنزِّل القضاءَ والقَدَرَ مِنَ السماء إلى الأرض «ثم يعرُج إليه» أي: يعودُ إليه الأمرُ والتَّدبيرُ حين يَنقطعُ أمرُ الأمراء وأحكام الحُكّام ويَنفرِدُ الله تعالى بالأمرِ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وذلك في يوم القيامة، لأنَّ كلَّ يوم مِنْ أيامِ الآخرة كألْفِ سنةٍ. وقال مُجاهِدٌ: يقضي أمرَ ألفِ سنةٍ في يوم واحدٍ، ثم يُلقِيه إلى ملائكتِه فإذا مَضتْ قضى لألفِ سنةٍ أخرى، ثم كذلك أبداً. وللمُفسِّرين في المرادِ بالأمرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوَحيُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: القضاء، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أمرُ الدنيا. و «يعرج» بمعنى يَصعَدُ. قال الزَّجّاجُ: يُقال: عَرَجْتُ في السُّلَّم أعرُجُ، وعَرِجَ الرجلُ يَعرَجُ: إذا صار أعرَجَ. وقرأ معاذٌ القارئُ، وابنُ السَّمَيفع، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ثم يُعْرَجُ إليه» بياءٍ مرفوعة وفتح الراء، وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء «يَعرِج» بياء مفتوحة وكسر الراء، وقرأ أبو عِمْرَانَ الجَوْني، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «ثم تَعْرُجُ» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الراء.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: جعله حَسَناً. **والثاني**: أحكَمَ كلَّ شيءٍ، رُويا عن ابنِ عباسٍ، وبالأول قال قَتادَةُ، وبالثاني قال مُجاهِدٌ. **والثالث**: أحسَنَهُ، ولم يتعلَّمْهُ مِنْ أحدٍ، كما يُقال: فُلانٌ يُحْسِنُ كذا: إذا عَلِمَهُ، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ المعنى أَلْهَمَ خَلْقَهُ كلَّ ما يحتاجون إليه، كأنه أعلَمَهُم كلَّ ذلك وأحسَنَهُم، قاله الفَرَّاءُ. **والخامس**: أحسَنَ إلى كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ، حكاه المَاوَرْدِي. وفي قوله تعالى: «خَلَقَه» قِراءتان. قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ: «خَلْقَه» ساكنةَ اللام. وقرأ الباقون بتحريكِ اللام. وقال الزَّجّاجُ: فَتحُها على الفعل الماضي وتَسكينُها على البَدَلِ، فيكون المعنى أحسَنَ خَلْقَ كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ. وقال أبو عُبيدَةَ: المعنى أحسَنَ خَلْقَ كلِّ شيءٍ، والعرب تفعلُ مثلَ هذا، يُقدِّمون ويُؤخِّرون.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ يعني آدمَ، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أي: ذُرِّيَّتَهُ ووَلَدَهُ، وقد سبق شرحُ الآية[2]. ثم رجع إلى آدمَ فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ وقد سبقَ بيانُ ذلك[3]. ثم عادَ إلى ذُرِّيَّتِه فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أي: بعدَ كونِكم نُطَفاً.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ

= يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم، كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمس مئة في النزول وخمس مئة في الصعود، لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره»: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: أحكم وأتقن لأنه لا معنى لذلك إذا قرئ بفتح لام ﴿خلَقه﴾ إلا أحد الوجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان أو معنى التحسين الذي هو معنى الجمال والحسن، فلما كان في خلقه ما لا يشك في قبحه وسماجته، علم أنه لم يعن به أنه أحسن كل ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته.
وقراءة من قرأ ﴿الذي أحسن كل شيء خلَقه﴾ بفتح اللام هي عندي أولى الأقوال في ذلك بالصواب.

(٢) المؤمنون: ١٢. (٣) الحجر: ٢٩.

ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ يعني مُنكِري البَعثِ ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ وعليُّ بنُ الحُسينِ وجعفرُ بنُ محمَّدٍ وأبو رَجاءٍ وأبو مِجلَزٍ وحُمَيدٌ وطَلحةُ: «ضَلِلْنَا» بضادٍ مُعجَمَةٍ وكسرِ اللامِ الأُولَى. قال الفرَّاءُ: ضَلَلْنَا وضَلِلْنا لغتان، والمعنى: إذا صارت عظامُنا ولُحومُنا تراباً كالأرض؛ تقول: ضَلَّ الماءُ في اللبَنِ، وضلَّ الشيءُ في الشيءِ: إذا أخفاهُ وغلَبَ عليه. وقرأ أبو نَهيكٍ وأبو المُتوكِّلِ وأبو الجَوزاءِ وأبو حَيْوَةَ وابنُ أبي عَبلَةَ: «ضُلِّلْنَا» بضمِّ الضاد المُعجَمةِ وتشديدِ اللامِ الأُولى وكَسرِها. وقرأ الحسَنُ وقَتادةُ ومعاذٌ القارئُ: «صَلَلْنَا» بصادٍ غيرِ مُعجَمَةٍ مفتوحةٍ، وذَكَرَ لها الزَّجَّاجُ مَعنيين: **أحدهما**: أَنْتَنَّا وتَغَيَّرْنا وتغيَّرتْ صُوَرُنا؛ يُقال: صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ: إذا أنتَنَ وتَغيَّرَ. **والثاني**: صِرْنَا مِن جنس الصَّلَّةِ، وهي الأرضُ اليابسةُ.

قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟! هذا استفهامُ إنكارٍ. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: بِقَبضِ أرواحِكُم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يوم الجَزاءِ. ثم أخبرَ عن حالِهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مُطأطِئوها حياءً ونَدماً، ﴿رَبَّنَآ﴾ فيه إضمَارُ «يقولون ربَّنا» ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: عَلِمْنا صِحَّةَ ما كنَّا به مُكذِّبين ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا؛ وجوابُ «لو» متروكٌ، تقديره: لو رأيتَ حالَهُم لَرأيتَ ما يُعتَبرُ به، ولَشاهدْتَ العَجَبَ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ أي: وَجَبَ وسَبَقَ؛ والقولُ هو قوله تعالى لإبليسَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: مِن كفارِ الفريقين. ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ﴾ قال مُقاتِلٌ: إذا دَخلوا النار قالت لهم الخَزَنةُ: فذُوقوا العذابَ. وقال غيرُه: إذا اصطرَخُوا فيها قيلَ لهم: ذُوقُوا بما نَسِيتُم، أي بما تَركتُم العملَ للقاءِ يومِكم هذا، ﴿إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ﴾ أي: تَركناكُم مِنَ الرَّحمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ أي: وُعِظُوا بها ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ أي: سَقَطُوا على وُجُوهِهم ساجِدِينَ. وقيل: المعنى: إنَّما يُؤمِنُ بفرائِضنا مِنَ الصَّلواتِ الخَمسِ الذين إذا ذُكِّروا بها بالأذانِ والإقامةِ خَرُّوا سُجَّداً.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت وفي الصلاة التي تَتجافَى لها جُنوبُهم على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في المُتهجِّدِين بالليل.

[١١٠٨] روى معاذُ بنُ جبلٍ عن رسولِ الله ﷺ في قوله: «تتجافى جُنوبُهم» قال: «قيامُ العَبدِ مِنَ الليل». وفي لفظٍ آخرَ أنه قال لمُعاذٍ: «إنْ شِئتَ أنبأتُكَ بأبوابِ الخيرِ»، قال: قلتُ أجَلْ يا رسولَ الله، قال: «الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُكفِّر الخَطيئةَ، وقيامُ الرَّجلِ في جَوفِ الليل يبتغي وَجْهَ اللهِ»، ثم قرأ: «تتجَافى جُنوبُهم عن المَضاجِعِ». وكذلك قال الحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وعطاءٌ، وأبو العَالِيةِ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ أنها في قيام الليل. وقد روَى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: تتجَافى جُنوبُهم لذِكْرِ الله تعالى، كلَّما استيقظوا ذَكروا اَللهَ تعالى، إمَّا في الصلاة، وإمَّا في قيامٍ، أو في قُعودٍ، أو على جُنوبِهم، فهم لا يَزالون يَذكُرون الله عزَّ وجلَّ.

[١١٠٩] والثاني: أنها نزلت في ناسٍ مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ كان يُصلُّون ما بين المَغربِ

[١١٠٨] حديث حسن، وهو قطعة من حديث مطوّل، رجاله ثقات إلا أنه منقطع، أبو وائل لم يسمع من معاذ. أخرجه الترمذي ٢٦١٦ والنسائي في «الكبرى» ١١٣٩٤ و «التفسير» ٤١٤ وابن ماجه ٣٩٧٣ وأحمد ٥/ ٢٣١ والطبراني ٢٠/(٢٦٦) والبغوي ١١ وعبد الرزاق في «التفسير» ٢٣٠٢ من طرق عن معمر به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ـ وأخرجه أحمد ٥/٢٤٨ والطبراني ٢٠/(٢٠٠) من طريق عاصم عن شهر عن معاذ به، رواية أحمد مختصرة، وهذا منقطع أيضاً.
ـ وأخرجه أحمد ٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ من طريق شهر عن عبد الرحمن بن غَنْم عن معاذ به، وهذا إسناد موصول، وشهر لا بأس به، وهو حسن الحديث في المتابعات، ولا يوجد في لفظة (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال: «قيام العبد من الليل» ولا ذكر أبواب الخير.
ـ وأخرجه أحمد ٥/ ٢٣٣ وابن أبي شيبة في «الإيمان»/ ٢ والحاكم ٢/ ٧٦ و ٤١٢ والطبراني ٢٠/ ٢٩١ ـ ٢٩٤، والطبري ٢٨٢٣٩ والبيهقي ٩/ ٢٠ من طريقين عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به مطولاً ومختصراً. وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وهذا منقطع بين ميمون ومعاذ.
الخلاصة: هو حديث حسن بمجموع طرقه، ولفظ الحديث عند الترمذي: عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر. فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل قال: ثم تلا: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾** حتى بلغ **﴿يعملون﴾** ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كفَّ عليك هذا، فقلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

[١١٠٩] ضعيف. أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٢/ ١٩٣ والطبري ٢٨٢٢٥ من طريق الحارث بن وجيه عن مالك بن دينار: سألت أنس رضي الله عنه عن قوله **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾** قال: . . . فذكره.
وأعله ابن عدي بالحارث بن وجيه الراسبي ونقل عن النسائي قوله الحارث بن وجيه ضعيف.
ـ وذكره الواحدي في «الأسباب» ٦٨٤ عن مالك بن دينار به دون إسناد.
ـ وورد بدون ذكر الآية، وإنما هو رأي لأنس يبين المراد بالآية. أخرجه أبو داود ١٣٣١ والطبري ٢٨٢٢٦ من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن أنس: «كانوا يتقظون ما بين المغرب والعشاء يصلون». ورجاله ثقات لكنه رأي لأنس رضي الله عنه، والراجح في معنى الآية قيام الليل وهو المتقدم.

والعِشاءِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ.

والثالث: أنها نزلت في صلاةِ العِشاءِ، كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ لا يَنامون حتى يُصلُّوها، قاله ابنُ عباسٍ. **والرابع**: أنها صلاةُ العِشاءِ والصُّبحِ في جماعةٍ، قاله أبو الدَّرداءِ والضَّحَّاكُ.

ومعنى «تتجافى»: ترتفع. والمَضاجِعُ جَمعُ مَضجَعٍ، وهو الموضعُ الذي يُضطَجَعُ عليه. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ مِن عذابِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رَحمَتِه وثوابِه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في الواجبِ والتَّطوُّعِ. ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾ وأسكَنَ ياءَ «أُخفِي» حمزةُ، ويعقوبُ. قال الزَّجَّاجُ: في هذه الآية دليلٌ على أنَّ المُرادَ بالآيةِ التي قبلها: الصلاةُ في جَوفِ الليل، لأنه عَملٌ يَستَسِرُّ الإنسانُ به، فجَعَل لفظَ ما يُجازَى به «أُخفي لهم»، وإذا فَتحتَ الياءَ مِنْ أُخفِي، فعَلَى تأويل الفعلِ الماضي، وإذا أسكَنْتَها، فالمعنى: ما أُخفِيْ أنا لهم، إخبارٌ عن الله تعالى؛ وكذلك قال الحسَنُ البَصْريُّ: أُخفِي لهم، بالخُفْيةِ خُفيةٌ، وبالعَلانيةِ عَلانيةٌ.

[١١١٠] وروى أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ «يقول الله عزَّ وجلَّ: أعدَدتُ لِعبَادي الصَّالحين ما لا عَينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بَشرٍ، اقرَؤوا إنْ شِئتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾».

قوله تعالى: ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو هُريرَة، وأبو عبدِ الرَّحنِ السُّلَمي، والشَّعْبيُّ، وقَتادَةُ: «من قُرَّاتِ أعيُنٍ» بألِفٍ على الجمع.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١١١١] **أحدهما**: أنَّ الوليدَ بنَ عُقبَةَ بنَ أبي مُعَيطٍ قال لعَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السَّلامُ: أنا أَحَدُّ

[١١١٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٨٠ عن إسحاق بن نصر به. وأخرجه مسلم ٢٨٢٤ ح ٤ وابن ماجه ٤٣٢٨ وأحمد ٢/ ٤٦٦ و ٤٩٥ وابن أبي شيبة ١٣/ ١٠٩ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٣٢٤٤ و ٤٤٧٩ ومسلم ٢٨٢٤ والترمذي ٣١٩٧ والحميدي ١١٣٣ وابن حبان ٣٦٩ من طرق عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به. وأخرجه البخاري ٧٤٩٨ وعبد الرزاق ٢٠٨٧٤ وأحمد ٢/ ٣١٣ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٦٦ من طريق معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة به. وأخرجه أحمد ٢/ ٣١٣ والدارمي ٢/ ٣٣٥ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٦٨ من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به. وله شاهد من حديث سهل بن سعد أخرجه مسلم ٢٨٢٥. ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٢٦٢.

[١١١١] ضعيف منكر. أخرجه الواحدي ٦٨٧ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأخرجه الطبري ٢٨٢٦٢ عن ابن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار مرسلاً. وهو ضعيف، =

منكَ سِناناً، وأبسَطُ منكَ لساناً، وأَمْلأُ للكَتيبةِ منكَ، فقال له عليٌّ: اسكُتْ فإنما أنتَ فاسقٌ، فنزلت هذه الآيةُ، فعَنَى بالمؤمن عليّاً، وبالفاسِقِ الوليدَ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءُ بنُ يَسارٍ، وعبدُ الرَّحمن بنُ أبي لَيلَى، ومُقاتِلٌ.

والثاني: أنها نزلت في عمرَ بنِ الخطَّابِ وأبي جَهلٍ، قاله شَريكٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ قال الزَّجَّاج: لا يَستوي المؤمنون والكافرون؛ ويجوز أنْ تكونَ لاثنين، لأنَّ معنى الاثنين جماعةٌ؛ وقد شَهِدَ اللهُ عزَّ وجلَّ بهذا الكلام لِعَليّ عليه السَّلامُ بالإيمان وأنَّه في الجنَّة، لقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وطَلحةُ بنُ مُصَرّفٍ: «جنةُ المأوى» على التَّوحيدِ. قوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾ قرأ الحسَنُ، والنَّخعيُّ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «نزلاً» بتسكينِ الزاي. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ وفيه ستةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه ما أصابَهُم يومَ بدرٍ، رواه مَسرُوقٌ عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال قَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: سِنُون أُخِذُوا بها، رواه أبو عُبيدَةَ عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال النَّخعيُّ. وقال مُقاتِلٌ: أُخِذُوا بالجُوع سبعَ سنين. **والثالث**: مصائبُ الدنيا، قاله أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ في روايةِ ابنِ أبي طَلحَةَ، وأبو العَالِيةِ، والحَسنُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ. **والرابع**: الحُدودُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: عذابُ القبرِ، قاله البَراءُ. **والسادس**: القتلُ والجوعُ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أي: قَبلَ العذاب الأكبرِ؛ وفيه قولان:

أحدهما: أنه عذابُ يوم القيامة، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: أنه القتلُ ببَدْرٍ. قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال أبو العَالِيةِ: لعلَّهم يَتُوبون. وقال ابنُ مسعودٍ: لَعلَّ مَنْ بقيَ منهم يَتُوبُ. وقال مُقاتِلٌ: لكي يَرجِعُوا عن الكُفرِ إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد فسَّرناهُ في الكهف[2]. قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ قال يَزيدُ بنُ رُفَيعٍ: هم أصحابُ القَدَرِ. وقال مُقاتِلٌ: هم كفَّارُ مكَّةَ انتقَمَ اللهُ منهم بالقتلِ ببَدْرٍ، وضَربَتِ الملائكةُ وجُوهَهُم وأدبارَهُم، وعَجَّل أرواحَهُم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا

= فمع إرساله فيه مجاهيل والصواب أن الآية عامة في كل مؤمن وفاسق. وكون الآية نزلت في ذلك لا يصح وهو من بدع التأويل كونها خاصة في علي وعقبة، والمراد بالفاسق الكافر لا المؤمن العاصي. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٩٧٤. و «أحكام القرآن» ٣/ ٥٣٥.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٢٤٨: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالجوع والشدائد والمصائب في الأموال فأوفى لهم بما وعدهم.

(٢) الكهف: ٥٧.

مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التَّوراةَ ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

[١١١٢] **أحدها**: فلا تكُنْ في مِرْيَةٍ مِنْ لقاءِ موسى رَبَّهُ، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: مِنْ لقاءِ موسى ليلةَ الإسراء، قاله أبو العَالِيةِ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: فلا تكُنْ في شكٍّ مِنْ لقاء الأذى كما لَقِيَ موسى، قال الحَسَنُ. **والرابع**: لا تكن في مِرْيَةٍ مِنْ تلقّي موسى كتابَ الله عزَّ وجلَّ بالرِّضى والقَبولِ، قاله السُّدِّيُّ.

قال الزَّجَّاجُ: وقد قِيلَ: فلا تكُنْ في شَكٍّ مِنْ لقاءِ موسى الكتاب، فتكون الهاءُ للكتاب. وقال أبو عليٍّ الفارِسيُّ: المعنى: مِنْ لقاءِ موسى الكتاب، فأُضِيفَ المصدرُ إلى ضميرِ الكتاب، وفي ذلك مَدحٌ على امتِثالِهِ ما أُمِرَ به، وتَنبيهٌ على الأَخْذِ بمثلِ هذا الفعلِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ قولان: **أحدها**: الكتاب، قاله الحسَنُ. **والثاني**: موسى، قاله قَتادةُ. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: مِنْ بَني إسرائيلَ ﴿أَئِمَّةً﴾ أي: قادةً في الخيرِ ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الناسَ إلى طاعةِ الله ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ: «لَمَّا صَبَروا» بفتحِ اللام وتشديدِ الميم. وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: «لِمَا» بكسرِ اللام خفيفةً. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «بما» بباءٍ مكانَ اللام؛ والمراد: صَبْرُهم على دِينِهم وأذى عدوِّهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أنها مِنَ الله عزَّ وجلَّ؛ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الأنبياءُ. **والثاني**: أنهم قومٌ صالحون سِوى الأنبياءِ. وفي هذا تَنبيهٌ لقُريشٍ أنكم إنْ أطَعتُم جَعلتُ منكم أئمَّةً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي ويَحكُمُ؛ وفي المُشارِ إليهم قولان:

[١١١٢] الصواب موقوف. أخرجه الطبراني ١٢٧٥٨ من حديث ابن عباس وإسناده ضعيف، لضعف محمد بن عثمان بن أبي شيبة. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٢٧٠: رجاله رجال الصحيح! كذا قال رحمه الله مع أن شيخ الطبراني وهو محمد بن عثمان بن أبي شيبة. ذكره الذهبي في «الميزان» ٧٩٣٤ فقال: وثقة صالح جزرة، وقال ابن عدي، لم أر له حديثاً منكراً، وأما عبد الله بن أحمد، فقال: كذاب. وقال ابن خراش: كان يضع الحديث. وقال مُطَيّن: هو عصا موسى، تلقف ما يأفكون. وقال ابن عقدة: سمعت عبد الله بن أسامة الكلبي، وإبراهيم بن إسحق الصواف، وداود بن يحيى يقولون: محمد بن عثمان، كذاب اهـ باختصار والأشبه في هذا، الوقف فيه على ابن عباس. وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٧١ و «فتح القدير» ١٩٥١ بتخريجنا.

أحدهما: أنهم الأنبياءُ وأُمَمُهم. **والثاني**: المؤمنون والمشركون.

ثم خَوَّف كفَّارَ مكَّةَ بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي: «نَهْدِ» بالنون. وقد سبقَ تفسيرُه[١]. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ يعني المطرَ والسَّيلَ ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي التي لا تُنبِتُ ـ وقد ذكرناها في أوَّل الكهف[٢] ـ فإذا جاء الماءُ أنبَتَ فيها ما يأكلُ الناسُ والأنعامُ. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه ما فُتِحَ يومَ بدرٍ؛ روى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ في هذه الآيةِ قال: يومَ بَدرٍ فُتِحَ للنبيِّ ﷺ، فلم يَنفَعِ الذين كَفَروا إيمانُهم بعدَ الموتِ. **والثاني**: أنه يومُ القيامة، وهو يومُ الحُكم بالثوابِ والعقابِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه اليومُ الذي يأتيهم فيه العذابُ في الدنيا؛ قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: فتحُ مكَّةَ، قاله ابنُ السَّائبِ والفرَّاءُ وابنُ قُتَيبةَ؛ وقد اعتُرِضَ على هذا القول، فقيلَ: كيف لا ينفعُ الكفَّارَ إيمانُهم يومَ الفتح وقد أَسلَمَ جماعةٌ منهم وقُبِلَ إسلامُهم يومَئذٍ؟! ففيه جوابان: **أحدهما**: لا يَنفعُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الكفَّارِ يومَئذٍ إيمانُهم بعدَ الموتِ؛ وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ.

[١١١٣] وقد ذَكَر أهلُ السِّيَرِ أنَّ خالداً دخلَ يومَ الفتحِ مِنْ غيرِ الطريقِ التي دخلَ منها رسولُ الله ﷺ، فلَقِيَهُ صفوانُ بنُ أُميَّةَ وسُهَيلُ بنُ عمروٍ في آخَرِينَ فقاتَلُوه، فصَاحَ خالدٌ في أصحابه وقاتَلَهُم، فقتَلَ أربعةً وعشرين مِنْ قُريشٍ، وأربعةً مِنْ هُذيلٍ، وانهزموا، فلمَّا ظَهرَ رسولُ الله ﷺ قال: «أَلَمْ أَنْهَ عن القتال»؟ فقيلَ: إنَّ خالداً قُوتِلَ فقاتَلَ.

والثاني: لا يَنفعُ الكفَّارَ ما أُعطُوا مِنَ الأمانِ، لأنَّ النبيَّ ﷺ قال:

[١١١٤] «مَنْ أغلَقَ بابَه فهو آمِنٌ، ومَنْ دَخلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِنٌ».

قال الزَّجَّاجُ: يُقال: آمَنتُ فُلاناً إيماناً، فعَلَى هذا يكون المعنى: لا يَدفَعُ هذا الأمَانُ عنهم عذابَ

[١١١٣] يأتي في سورة الفتح. وانظر قصة فتح مكة في «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٥ ـ ٦٤ و «سيرة ابن هشام» ٤/ ٢٦ ـ ٤٢. و «المغازي» للواقدي ٢/ ٧٨٠ و «الطبقات لابن سعد» ٢/ ١٣٤. و «البداية والنهاية» ٤/ ٢٩٧.

[١١١٤] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٨٠ ح ٨٦ وأبو داود ٣٠٢٣ والبيهقي ٩/ ١١٨ من طريقين عن ثابت عن أنس.
ـ وأخرجه مسلم ١٧٨٠ ح ٨٤ و ٨٥ وأبو داود ١٨٧٢ والطيالسي ٢٤٢٤ وأحمد ٣/ ٥٣٨ وابن أبي شيبة ١٤/ ٤٧١ ـ ٤٧٣ والبيهقي ٩/ ١١٧ ـ ١١٨ وابن حبان ٤٧٦٠ من حديث أبي هريرة في أثناء خبر مطوّل.
وانظر «تفسير القرطبي» ٤٣٩٤ بتخريجنا.

---

(١) طه: ١٢٨. (٢) الكهف: ٨.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٧٣: إنما المراد بالفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: **﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين﴾** وكقوله: **﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾** فيقول الله تعالى مخبراً عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم، استبعاداً وتكذيباً وعناداً **﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾** أي متى تُنصر علينا يا محمد كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا، ويُنتقم لك منا فمتى يكون هذا؟ قال تعالى: **﴿قل يوم الفتح﴾** أي إذا حلّ بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة، **﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾**.
ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النّجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء وكانوا قريباً من ألفين.

الله عزَّ وجلَّ. وهذا القولُ الذي قد دَافعنا عنه ليس بالمُختارِ، وإنما بيَّنَّا وَجهَهُ لأنه قد قِيلَ.

وقد خرج بما ذكرنا في الفَتْحِ قولان: **أحدهما**: أنه الحُكمُ والقضاءُ، وهو الذي نختاره. **والثاني**: فَتْحُ البَلَدِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ أي: انتَظِرْ عذابَهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بكَ حوادثَ الدَّهر. قال المُفسِّرون: وهذه الآيةُ مَنسُوخةٌ بآية السَّيفِ. واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

سورة الأحزاب

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

وهي مدنيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

[١١١٥] سببُ نُزولِها أنَّ أبا سُفيانَ بنَ حَربٍ، وعِكرمَةَ بنَ أبي جَهلٍ، وأبا الأعوَرِ السُّلَمي، قَدِموا على رسولِ الله ﷺ في المُوادَعةِ التي كانت بينهم، فنزلوا على عبدِ الله بنِ أُبيّ، ومُعتّبِ بنِ قُشَيرٍ، والجَدّ بنِ قَيسٍ؛ فتكلّموا فيما بينهم، وأتَوا رسولَ الله ﷺ فدَعَوه إلى أمرِهم وعَرَضوا عليه أشياءَ كَرِهَها، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١١١٦] قال مُقاتِلٌ: سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يَرفُض ذِكرَ اللاتِ والعُزّى ويقولَ: إنَّ لها شفاعةً، فكَرِهَ ذلك، ونزلت الآيةُ.

وقال ابنُ جَرير: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين يقولون: اطرُدْ عنّا أتباعَكَ مِنْ ضُعفاءِ المسلمين ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فلا تَقبَلْ منهم رأياً. فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في أمرِ اللهِ تعالى رسولَه بالتقوى، وهو سيّدُ المُتّقين؟! فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ المراد بذلك استِدامَةُ ما هو عليه. **والثاني**: الإكثارُ ممّا هو فيه. **والثالث**: أنه خطابٌ ووُجّهَ به، والمراد أُمّتُه. قال المفسّرون: وأراد بالكافرين في هذه الآية: أبا سُفيانَ، وعِكرمَةَ، وأبا الأعوَرِ، وبالمنافقين: عبدَ الله بنَ أُبيّ، وعبدَ الله بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وطُعمَةَ بنَ

[١١١٥] عزاه المصنف لابن عباس من طريق أبي صالح، وأبو صالح وتلميذه الكلبي رويا عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٨٨ بدون إسناد، ولم أره مسنداً، فهو لا شيء، وعزاه الحافظ في «الكشاف» ٣/ ٥١٩ للثعلبي والواحدي بدون إسناد.

[١١١٦] عزاه المصنف لمقاتل، وهذا معضل، وهو بدون إسناد، ومقاتل ممن يضع الحديث، فهذا لا شيء.

أُبَيْرِقٍ. وما بعدَ هذا قد سبق بيانه[(١)] إلى قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ وفي سببِ نُزولها قولان:

[١١١٧] **أحدهما**: أنَّ المنافقين كانوا يقولون: لمحمَّدٍ قلبان، قلبٌ معنا، وقلبٌ مع أصحابه، فأكذَبَهم الله تعالى، ونزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١١١٨] **والثاني**: أنها نزلت في جميلِ بنِ مَعْمَرٍ الفِهرِي ـ كذا نَسبَهُ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. وقال الفَرَّاءُ: جميلُ بنُ أسدٍ، ويُكنَّى: أبا مَعْمَر. وقال مُقاتِلٌ: أبو مَعْمَر بنُ أنسٍ الفِهْرِي ـ وكان لَبِيباً حافظاً لِمَا سمعَ، فقالت قُرَيشٌ: ما حَفِظَ هذه الأشياءَ إلاَّ وله قلبان في جَوفِه، وكان يقول: إنَّ لي قلبين أعقِلُ بكلِّ واحدٍ منهما أفضلَ مِنْ عقلِ محمَّدٍ، فلمَّا كان يوم بدر وهُزم المشركون وفيهم يومئذٍ جميلُ بنُ مَعْمَرٍ، تلقَّاه أبو سُفيانَ وهو مُعلِّقٌ إحدى نعليه بيَدِه، والأخرى في رِجلِه، فقال له: ما حالُ الناس؟ قال: انهزَموا، قال: فما بَالُكَ إحدى نَعلَيكَ في يدِكَ والأُخرى في رِجلِكَ؟ قال: ما شَعرتُ إلاَّ أنهما في رِجلَيّ، فعرفوا يومئذٍ أنه لو كان له قلبان لَمَا نَسِيَ نَعلَهُ في يدِه؛ وهذا قولُ جماعةٍ مِنَ المُفسِّرين. وقد قال الزُّهري في هذا قولاً عجيباً، قال: بَلغَنا أنَّ ذلك في زيدِ بنِ حارِثةَ ضُرِبَ له مثَلٌ يقول: ليس ابنُ رجلٍ آخر ابنَكَ.

قال الأخفَشُ: «مِنْ» زائدةٌ في قوله تعالى: «مِنْ قلبين». قال الزَّجَّاجُ: أكذبَ الله عزَّ وجلَّ هذا الرجلَ الذي قال: لي قلبان، ثم قرَّرَ بهذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرُهم ممَّا لا حقيقةَ له، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ فأعلم الله تعالى أنَّ الزوجةَ لا تكون أمّاً، وكانت الجاهلية تُطلِقُ بهذا الكلام، وهو أنْ يقولَ لها: أنتِ عليَّ كَظَهرِ أمّي، وكذلكَ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: ما جَعلَ مَنْ تَدعونه ابناً ـ وليس بولَدٍ في الحقيقة ـ ابناً ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أي: نَسَبُ مَنْ لا حقيقة لنَسَبه قولٌ بالفم لا حقيقةَ تحته ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: لا يَجعلُ غيرَ الابنِ ابناً ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: للسَّبيلَ المُستقيم. وذكر المُفسِّرون أنَّ قولَه تعالى: «وما جَعل أزواجَكم اللائي تُظاهِرون مِنهُنَّ» نزلت في أوسِ بنِ الصَّامتِ وامرأتِه خولةَ بنتِ ثَعلَبةَ. ومعنى الكلام: ما جعلَ أزواجَكُم اللائي تُظاهِرون منهنَّ كأمَّهاتِكُم في التَّحريم، إنَّما قولُكم معصيةٌ، وفيه كفَّارةٌ، وأزواجُكم حلالٌ لكم؛ وسنشرحُ هذا في سُورةِ المُجادلة إنْ شاءَ الله. وذَكَروا أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

[١١١٧] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٩٩ وأحمد ١/١٦٨ والحاكم ٢/٤١٥ والطبري ٢٨٣١٨ من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لضعف قابوس. قال الترمذي: حديث حسن! وقال الحاكم: صحيح الإسناد! وتعقبه الذهبي بقوله: قابوس ضعيف. وانظر «فتح القدير» ١٩٥٦ و «أحكام القرآن» ١٧٥٠ بتخريجنا، والله الموفق.

[١١١٨] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٨٩ بتمامه بدون إسناد. وورد بنحوه عند الطبري ٢٨٣٢١ وعبد الرزاق ٢٣١١ عن قتادة مرسلاً. وورد أيضاً من مرسل عكرمة عند الطبري ٢٨٣٢٣. وعن ابن عباس أخرجه الطبري ٢٨٣١٩ وفيه مجاهيل، وفيه أيضاً عطية العوفي، وهو واهٍ. الخلاصة: هو خبر ضعيف، فهذه الروايات واهية لا تقوم بها حجة.

---

(١) النساء: ٨١.

[١١١٩] نزل في زَيدِ بنِ حارثةَ، أعتقَهُ رسولُ الله ﷺ وتبنَّاه قبلَ الوَحْيِ، فلمَّا تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ زينبَ بنتَ جَحشٍ قال اليهودُ والمنافقون: تزوَّج محمدٌ امرأةَ ابنِه وهو يَنهى الناسَ عنها، فنزلت هذه الآيةُ.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾. قال ابنُ عمرَ:

[١١٢٠] ما كنَّا ندعو زيدَ بنَ حارثةَ إلاَّ زيدَ بنَ محمَّدٍ، حتى نزلت «ادعُوهم لآبائِهم».

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ أي: أعدلُ، ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ أي: إنْ لم تعرفوا آباءَهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فَهُم إخوانكم، فلْيقُل أحدكم: يا أخي، ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ قال الزَّجَّاج: أي بَنو عمِّكم. ويجوز أنْ يكونَ «مواليكم» أولياءَكم في الدِّينِ. ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فيما أخطأتُم به قبلَ النَّهي، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: في دُعائِكم مَنْ تَدْعونَهُ إلى غيرِ أبيه وأنتم تَرونَهُ كذلك، قاله قَتادةُ. **والثالث**: فيما سَهوتُم فيه، قاله حَبيبُ بنُ أبي ثابتٍ. فعَلَى الأول يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: بعدَ النَّهي. وعلى الثاني والثالث. ما تعمَّدتْ في دُعاءِ الرجل إلى غيرِ أبيه.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أحَقُّ، فلَهُ أنْ يحكُمَ فيهم بما يشاءُ، قال ابنُ عباسٍ: إذا دَعاهُم إلى شيءٍ، ودَعتْهُم أنفُسهُم إلى شيءٍ، كانت طاعته أَوْلَى مِنْ طاعةِ أنفُسِهم؛ وهذا صحيحٌ، فإنَّ أنفُسَهُم تَدعُوهم إلى ما فيه هلاكُهم، والرسولُ عليه السلام يَدعُوهم إلى ما فيه نَجاتُهم.
قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: في تحريمِ نِكاحهنَّ على التأبيدِ، ووجوبِ إجلالِهنَّ وتَعظيمهنَّ؛ ولا تجري عليهنَّ أحكامُ الأمَّهاتِ في كلِّ شيءٍ، إذْ لو كان كذلك لَمَا جازَ لأحدٍ أنْ يتزوَّجَ بناتِهنَّ، وَلَوَرِثْنَ المسلمين، ولَجازَت الخَلوَةُ بهنَّ. وقد رَوى مَسرُوقٌ عن عائشةَ أنَّ امرأةً قالت: يا أُمَّاه، فقالت: لستُ لكِ بأُمٍّ؛ إنَّما أنا أُمُّ رجالِكم؛ فبانَ بهذا الحديث أنَّ معنى الأُمُومةِ تحريمُ نكاحهنَّ فقط. وقال مُجاهِدٌ: «وأزواجُه أمَّهاتهم» وهو أبٌ لهم. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في آخرِ الأنفال إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ والمعنى أنَّ ذوي القَراباتِ بعضُهم أَوْلَى بميراثِ بعضٍ مِنْ أنْ يَرِثوا بالإيمانِ والهجرةِ كما كانوا يفعلون قبلَ النَّسخِ ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ وهذا استثناءٌ ليس مِنَ الأول،

[١١١٩] لم أره بهذا التمام، وكونه عليه الصلاة والسلام أعتق زيداً مشهور متواتر في كتب الحديث والسير، وكونه تبناه فهذا مشهور، وأما ذكر نزول الآية، فلا يصح، ولم أره مسنداً.

[١١٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٨٢ ومسلم ٢٤٢٥ والترمذي ٣٢٠٩ و ٣٨١٤ والنسائي في «التفسير» ٤١٦ وأحمد ٢/ ٧٧ وابن سعد ٣/ ٤٣ وابن حبان ٧٠٤٢ والطبراني ١٣١٧ والبيهقي ٧/ ١٦١ والواحدي في «الأسباب» ٦٩١ من طرق عن موسى بن عقبة به عن ابن عمر.

والمعنى: لكنْ فِعلُكم إلى أوليائِكم معروفاً جائزٌ، وذلك أنَّ الله تعالى لمَّا نسخَ التَّوارُثَ بالحِلْفِ والهجرةِ، أباحَ الوَصيَّةَ للمُعاقِدين، فللإنسان أنْ يُوصي لمن يَتولاَّه بما أحبَّ مِنْ ثُلثِه. فالمعروف هاهنا: الوصيَّةُ. قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعني نَسْخَ المِيراثِ بالهجرة ورَدُّه إلى ذَوي الأرحامِ ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني اللَّوحَ المَحفوظَ ﴿مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوباً.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ المعنى: واذكُرْ إذ أخَذْنا ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ أي: عَهدَهُم؛ وفيه قولان: **أحدهما**: أخذُ ميثاقِ النَّبيِّين: أنْ يُصدِّقَ بعضُهم بعضاً، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنْ يَعبُدوا اللّهَ تعالى ويَدْعوا إلى عبادَتِه، ويُصَدِّق بعضُهم بعضاً، وأنْ ينصحوا لقومِهم، قاله مُقاتِلٌ. وهذا المِيثاقُ أُخِذَ منهم حين أُخرِجُوا مِنْ ظَهرِ آدمَ كالذَّرِّ. قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: لمَّا أخذَ مِيثاقَ الخَلقِ خَصَّ النَّبيِّين بمِيثاقٍ آخرَ.

فإنْ قيلَ: لِمَ خصَّ الأنبياءَ الخمسةَ بالذِّكرِ دون غيرهم مِنَ الأنبياء؟ فالجواب: أنه نبَّهَ بذلك على فَضلِهم، لأنهم أصحابُ الكُتُبِ والشرائعِ؛ وقدَّم نبيَّنا ﷺ بياناً لفَضْلِه عليهم[1].

[١١٢١] قال قَتادةُ: كان نبيُّنا أوَّلَ النَّبيِّين في الخَلْقِ.

[١١٢١] باطل، أخرجه الطبري ٢٨٣٥٣ عن أبي هلال عن قتادة من قوله وهذا باطل. وأخرجه الطبري ٢٨٣٥٢ وابن سعد في «الطبقات» ١/ ١١٩ عن قتادة، مرسلاً والمرسل من قسم الضعيف، وله علة ثانية: سعيد بن أبي عروبة، تغير بأخرة. وعلة ثالثة: فيه عطاء بن عبد الوهّاب الخفاف وثقه قوم وضعفه أحمد بقوله: ضعيف مضطرب الحديث.

وورد من حديث أبي هريرة مرفوعاً. أخرجه الديلمي ٤٨٥٠ وأبو نعيم في «الدلائل» ٣ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف جداً، فيه سعيد بن بشير، وهو ضعيف منكر الحديث، وساق الذهبي هذا الحديث في ترجمته في «الميزان» ٣١٤٣ على أنه من منكراته. وله علة ثانية: وهي أن الحس لم يسمع من أبي هريرة، فالإسناد ضعيف جداً، لا شيء. وأما المتن فباطل. بل أول من خلق من البشر، آدم عليه السلام، هذا وقد خلط بعضهم هذا الحديث بحديث «كنت نبياً، وآدم بين الروح والجسد». وهذا الحديث الأخير صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ٥٩ والحاكم ٢/ ٦٠٩ والطبراني ٢/ ٣٥٣ والآجري في «الشريعة» ٩٥٦ من طرق عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال مسلم. وقال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢٢٢: رجاله رجال الصحيح. ولهذا الحديث شواهد كثيرة، لكنه لا يثبت أولية الخلق إنما فيه إثبات، أنه مكتوب في اللوح المحفوظ وفي علم الله تعالى، فتنبّه، فإن هذا الحديث الأخير، يخالف الأول ويفارقه، وإنما خلق وولد رسول الله ﷺ يوم ولدته أمه آمنة كما هو معلوم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٧٩: يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق، **فهذا العهد والميثاق** أخذ عليهم بعد إرسالهم، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة، وهم أولو العزم، وهو من **باب عطف الخاص** على العام، وقد صرح بذكرهم نصاً في هذه الآية، وبدأ في هذه الآية بالخاتم، لشرفه ـ **صلوات الله عليه** ـ **ثم** رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم.

=

وقوله تعالى: ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ أي: شديداً على الوفاءِ بما حُمّلوا. وذَكرَ المُفسِّرون أنَّ ذلك العهدَ الشديدَ: اليَمينُ باللهِ عزَّ وجلَّ ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يقول: أَخَذنا ميثاقَهُم لكي نسألَ الصادقين، وهم الأنبياءُ ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغِهم. ومعنى سؤالِ الأنبياءِ ـ وهو يَعلمُ صِدقَهُم ـ تَبكِيتُ مُكذِّبيهِم. وها هنا تَمَّ الكلامُ. ثم أخبرَ بعدَ ذلك عمَّا أعدَّ للكافرين بالرُّسلِ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الذين تَحزَّبوا على رسولِ الله ﷺ أيامَ الخَندقِ.

الإشارةُ إلى القصَّةِ

[١١٢٢] ذَكرَ أهلَ العِلْمِ بالسِّيرة أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا أَجلَى بَني النَّضيرِ، ساروا إلى خَيْبَرَ، فخرج نفرٌ مِنْ أشرافِهم إلى مكَّةَ فألَّبُوا قُريشاً ودَعَوهم إلى الخروج لقتالِه، ثم خرجوا مِنْ عندهم فأتَوا غَطفَانَ وسُلَيمَ، ففارَقُوهم على مثلِ ذلك. وتجهَّزَتْ قُريشٌ ومَنْ تبِعَهُم مِنَ العرب، فكانوا أربعةَ آلافٍ، وخرجوا يقودُهم أبو سُفيانَ، ووافَتْهم بَنو سُلَيمَ بـ «مرِّ الظَّهران»، وخرجت بَنو أسدٍ، وفَزارَةُ، وأشجَعُ، وبَنو مُرَّةَ، فكان جميعُ مَنْ وافى الخَندقَ مِنَ القبائلِ عشرةَ آلافٍ، وهم الأحزابُ؛ فلمَّا بلغ رسولَ الله ﷺ خروجُهم مِنْ مكَّةَ، أخبر الناسَ خبرَهُم، وشاورَهُم، فأشارَ سلمانُ بالخندقِ، فأعجبَ ذلك المسلمين، وعَسكَرَ بهم رسولُ الله ﷺ إلى سَفحِ «سَلْع»، وجعلَ سَلْعاً خلفَ ظهرِه؛ ودَسَّ أبو سُفيانَ بنُ حَربٍ حُيَيَّ بنَ أخطب إلى بني قُريظةَ يسألُهم أنْ ينقُضوا العهدَ الذي بينهم وبين رسولِ الله ﷺ ويكونوا معهم عليه، فأجابوا، واشتدَّ الخوف، وعَظُمَ البلاءُ، ثم جَرتْ بينهم مُناوشةٌ وقتالٌ، وحُصِرَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بِضعَ عشرةَ ليلةً حتى خَلَصَ إليهم[1] الكَرْبُ، وكان نُعَيمُ بن مسعودٍ الأشجَعيّ قد أسلَمَ، فمَشى بين قُريشٍ وقُريظةَ وغطفانَ فخذَّلَ بينهم، فاستَوحَشَ كلٌّ منهم مِنْ صاحبه، واعتلَّت قُريظَةُ بالسَّبتِ فقالوا: لا نُقاتلُ فيه، وهبَّت ليلةَ السبتِ رِيحٌ شديدةٌ، فقال أبو سُفيانَ: يا معشرَ قُريشٍ، إنكم واللّهِ لستُم بدارِ مُقام، لقد هَلَكَ الخُفُّ والحافِرُ، وأجدبَ الجَنابُ[2]، وأخلفَتْنا قُريظةُ، ولَقِينا مِنَ الرِّيحِ ما تَرَون، فارتَحِلواْ فإني مُرتحِلٌ؛ فأصبحت العَساكرُ قد أقشَعَتْ[3] كلُّها. قال مُجاهِدٌ: والريحُ التي أُرسِلَتْ عليهم هي الصَّبا، حتى أكفأَتْ[4] قُدورَهُم، ونزعت فَساطِيطَهُم[5]. والجنودُ: الملائكة،

= الخلاصة: إسناده ضعيف جداً كما تقدم، والمتن باطل، فالنبي ﷺ آخر النبيين في الخلق والبعث. والله أعلم. وانظر «فتح القدير» ١٩٦٦ و «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٧٩ و «المقاصد الحسنة» ٨٣٧ للسخاوي و «الشريعة» ٤٢٨ ـ ٤٣٠ للآجري بتخريجنا والله الموفق.

[١١٢٢] جزء من حديث. أخرجه الطبري ٢٨٣٦٩ عن ابن إسحق عن عروة والزهري وغيرهما. وانظر خبر غزوة الخندق في «سيرة ابن هشام» ٣/ ١٤١ ـ ١٤٥ نقلاً عن ابن إسحاق و «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٤٠٨، و «تفسير الطبري» ٢٨٣٦٤ و «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٨٠ ـ ٥٨١.

---

(١) في «اللسان» خلص: وصل وبلغ.
(٢) الجنَاب والجانب: الناحية والفناء وما قرب من محلّة القوم.
(٣) أقشع القوم: تفرّقوا.
(٤) أكفأ الشيء: أماله، وكفأت الإناء: كبيته.
(٥) الفسطاط: بيت من شعَر.

ولم تُقاتِل يومئذٍ. وقيلَ: إنَّ الملائكة جعلَتْ تقلَعُ أوتادَهم وتُطفِئُ نيرانَهم وتُكبِّر في جوانب عسكرِهم، فاشتدَّت عليهم، فانهزموا مِنْ غير قتالٍ.

قوله تعالى: ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وقرأ النَّخعيُّ، والجَحْدَري، والجَوْني، وابنُ السَّمَيفَع: «لم يرَوْها» بالياء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ وقرأ أبو عمرٍو: «يعملون» بالياء.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: مِنْ فوق الوادي ومِنْ أسفلِه ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي: مَالَتْ وعَدَلَتْ، فلم تنظُر إلى شيءٍ إلاَّ إلى عدوِّها مُقبلاً مِن كلِّ جانبٍ ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ وهي جمعُ حَنْجَرَةٍ. والحَنْجَرَة: جوفُ الحُلقوم. قال قَتادَةُ: شَخَصتْ عن مكانِها، فلولا أنَّه ضاقَ الحُلقومُ عنها أنْ تخرُجَ لَخرجتْ. قال غيرُه: المعنى أنهم جَبُنُوا وجَزِعَ أكثرُهم؛ وسبيل الجَبانِ إذا اشتدَّ خوفُه أنْ تنتفِخَ رئتُه فيرتفع حِينئذٍ القلبُ إلى الحَنْجَرة، وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ والفَرَّاء. وذهب ابنُ قُتَيبةَ إلى أنَّ المعنى: كادَتِ القلوبُ تبلغُ الحُلُوقَ مِنَ الخوفِ. وقال ابنُ الأنباري: «كاد» لا يُضمَرُ ولا يُعْرَف معناه إذا لم يُنْطَق به. قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ قال الحَسَنُ: اختلفَتْ ظُنونُهم، فظَنَّ المنافقون أنَّ محمَّداً عليه السلام وأصحابَه يُستأصَلون، وظَنَّ المؤمنون أنه يُنْصَرُ. قرأ ابنُ كَثيرٍ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «الظُّنونا» و «الرَّسولا»[1] و «السَّبيلا»[2] بألِفٍ إذا وَقَفوا عليهنَّ، وبطَرْحِها في الوَصْلِ. وقال هُبَيرةُ عنْ حَفْصٍ عن عاصِمٍ: وَصْلٌ أو وَقْفٌ بألِفٍ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بالألف فيهنَّ وَصْلاً ووَقْفاً. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: بغيرِ ألِفٍ في وَصْلٍ ولا وَقفٍ. قال الزَّجَّاجُ: والذي عليه حُذَّاقُ النَّحويين والمُتَّبِعون السُّنَّةَ مِنْ قُرَّائِهم أنْ يقرؤوا: «الظُّنونا» ويَقِفون على الألفِ ولا يَصِلُونَ؛ وإنما فعلوا ذلك، لأنَّ أواخرَ الآياتِ عندهم فَواصِلُ يُثبِتون في آخرِها الألفَ في الوَقفِ.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: عند ذلك ﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اختُبِروا بالقتال والحَصْرِ لِيتبيَّن المُخلِصُ مِنَ المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أي: أُزعِجوا وحُرِّكوا بالخوف، فلم يُوجَدوا إلاَّ صابرين. وقال الفَرَّاءُ: حُرِّكوا إلى الفِتنة تحريكاً، فعُصِموا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الشِّرْكُ، قاله الحَسنُ. **والثاني**: النِّفاقُ، قاله قَتادةُ، ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال المُفسِّرون: قالوا يومئذٍ: إنَّ محمَّداً يَعِدُنا أنْ نفتحَ مدائِنَ كِسرَى وقَيصرَ وأحدُنا لا يستطيع أنْ يُجاوِزَ رَحلَهُ! هذا واللهِ الغرورُ. وزَعَمَ ابنُ السَّائبِ أنَّ القائلَ هذا مُعَتِّبُ بنُ قُشَيرٍ.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا

---

(١) الأحزاب: ٦٦. (٢) الأحزاب: ٦٧.

عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَٰهَدُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني مِنَ المنافقين. وفي القائلين لهذا منهم قولان: **أحدهما**: عبدُ الله بن أُبيٍّ وأصحابه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: بَنو سالمٍ مِنَ المنافقين، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ قال أبو عُبيدةَ: يَثْرِبُ اسمُ أرضٍ، ومدينةُ النبيِّ ﷺ في ناحيةٍ منها. قوله تعالى: ﴿لا مَقامَ لكم﴾ وقرأ حَفْصٌ عن عاصمٍ: ﴿لَا مُقَامَ﴾ بضمِّ الميم. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ ضمَّ الميمَ، فالمعنى: لا إقامةَ لكُم؛ ومَنْ فتحَها، فالمعنى: لا مكانَ لكم تُقيمون فيه. وهؤلاءِ كانوا يُثَبِّطون المؤمنين عن النبيِّ ﷺ. قوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعُوا﴾ أي: إلى المدينة.

[١١٢٣] وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ بالمسلمين حتى عَسكروا بـ «سَلْعٍ»، وجَعلوا الخندقَ بينهم وبينَ القوم، فقال المنافقون للناس: ليس لكُم ها هنا مُقامٌ، لكثرةِ العدوِّ، هذا قولُ الجمهور.

وحكى المَاوَردِي قولَين آخرَين:

أحدهما: لا مُقامَ لكم على دِيْنِ محمَّدٍ فارجِعوا إلى دِيْنِ مُشركي العرب، قاله الحسَنُ.

والثاني: لا مُقامَ لكم على القتال، فارجِعُوا إلى طلبِ الأمانِ، قاله الكَلْبي.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم بَنو حَارِثَةَ، قاله ابن عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: بَنو حارِثَةَ بن الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ. وقال السُّدِّيُّ: إنما استأذنَهُ رجلان مِن بَني حارِثَةَ. **والثاني**: بَنو حارِثَةَ، وبَنو سَلِمَةَ بنِ جشم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: خاليةٌ، فقد أمْكَنَ مَنْ أراد دُخولَها، وأصلُ العَوْرَة: ما ذَهبَ عنه السِّترُ والحِفظُ، فكأنَّ الرجالَ سِترٌ وحِفظٌ للبيوت، فإذا ذهبوا أعْوَرَت البيوتُ، تقول العرب: أَعْوَرَ منزلي: إذا ذهب سِترُه، أو سَقطَ جدارُه، وأَعْوَر الفارس: إذا بَانَ منه موضعُ خَلَلٍ للضَّربِ والطَّعنِ، يقول الله تعالى ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ لأنَّ اللّهَ تعالى يحفظها، ولكن يريدون الفِرارَ. وقال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ قالوا: بيوتنا ضائعةٌ نَخشى عليها السُّرَّاقَ. وقال قَتادةُ: قالوا: بُيوتُنا ممَّا يلي العَدُوَّ، ولا نأمَنُ على أهلنا، فكذَّبَهم الله تعالى وأعلمَ أنَّ قصدَهُم الفِرارُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ يعني المدينة؛ والأقطارُ: النَّواحي والجَوانبُ، واحدها: قُطْرٌ، ﴿ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، والضَّحَّاكُ، والزُّهري، وأبو عِمْرَانَ وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ: «ثم سِيلوا» برفعِ السين وكسرِ الياء مِنْ غير همزٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، ومُجاهِدٌ وأبو الجَوزاءِ: «ثم سوءِلوا» برفع السين ومَدِّ الواو بهمزةٍ مكسورةٍ بعدَها. وقرأ الحسَنُ، وأبو

[١١٢٣] ذكره الطبري ١٠/ ٢٧٠ عند تفسير هذه الآية فقال: وهو قول أوس بن قيظي ومن كان على ذلك من رأيه ذكر ذلك في حديث ابن إسحاق أخرجه برقم ٢٨٣٨٠.

الأشهَب: «ثم سُولوا» برفعِ السين وسكونِ الواو مِنْ غير مَدٍّ ولا همزٍ. وقرأ الأعمَش، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «ثم سِيلوا» بكسرِ السين ساكنةَ الياء مِنْ غير همزٍ ولا واوٍ. ومعنى: «سُئلوا الفتنة»، سُئِلوا فِعْلَها؛ والفِتنَةُ: الشِّركُ، ﴿لَآتَوْهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «لأتوها» بالقَصْرِ، أي: لَقصدُوها، ولَفعلُوها. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لَآتَوْهَا» أي بالمَدِّ، لأعطَوها. قال ابنُ عباسٍ في معنى الآية: لو أنَّ الأحزابَ دخلوا المدينةَ ثم أمَرُوهم بالشِّركِ لأشرَكُوا. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وما احتبَسُوا عن الإجابة إلى الكُفر إلاَّ قليلاً، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: وما تلبَّثوا بالمدينة بعد الإجابَةِ إلاَّ يسيراً حتى يُعذَّبوا، قاله السُّدِّيُّ. وحكى أبو سُليمانَ الدِّمشقي في الآية قولاً عجيباً، وهو أنَّ الفِتنَةَ ها هنا: الحَربُ، والمعنى: ولو دُخِلَت المدينةُ على أهلِها مِنْ أقطارِها ثم سُئِلَ هؤلاءِ المنافقون الحربَ لأتَوها مُبادِرينَ، وما تلَبَّثوا ـ يعني الجيوشَ الدَّاخلةَ عليهم بها ـ إلاَّ قليلاً حتى يُخرجُوهم منها؛ وإنما مَنَعَهُم مِنَ القتال معكَ ما قد تداخلهم مِنَ الشَّكِّ في دِينِكَ؛ قال: وهذا المعنى حَفِظتُه مِنْ كتاب الوَاقِدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ في وقتِ مُعاهدَتِهم ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنهم ناسٌ غابوا عن وَقعةِ بَدرٍ، فلمَّا عَلِموا ما أعطى اللَّهُ عزَّ وجلَّ أهلَ بدرٍ مِنَ الكرامة قالوا: لَئِنْ شهدنا قتالاً لَنُقاتِلَن، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنهم أهلُ العَقَبةِ، وهم سبعون رجلاً بايَعوا رسولَ الله ﷺ على طاعة الله تعالى ونُصرَةِ رسولِه، قاله مُقاتِلٌ[1]. **والثالث**: أنه لمَّا نزل بالمسلمين يومَ أُحدٍ ما نَزلَ، عاهدَ اللَّهَ تعالى مُعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ وثَعلَبةُ بنُ حاطِبٍ: لا نُوَلِّي دُبُراً قطُّ، فلمَّا كان يومُ الأحزابِ نافَقا، قاله الوَاقِدي، واختاره أبو سُليمانَ الدِّمشقي، وهو ألْيَقُ ممَّا قبله. وإذا كان الكلام في حقِّ المنافقين، فكيف يُطلَقُ القولُ على أهلِ العَقَبَةِ كلِّهم!

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ أي: يُسألون عنه في الآخرة.

ثم أخبرَ أنَّ الفِرارَ لا يزيد في آجالِهم، فقال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ بعد الفِرارِ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهو باقي آجالِكم.

ثم أخبرَ أنَّ ما قَدَّره عليهم لا يُدفَع، بقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: يُجيرُكُم ويَمنعُكم منه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ وهو الإهلاكُ والهزيمةُ والبَلاءُ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ وهي النَّصرُ والعافيةُ والسَّلامةُ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لا يَجِدون مُوالياً ولا ناصراً يَمنعُهم مِنْ مُرادِ الله عزَّ وجلَّ فيهم.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) المشهور عن أصحاب بيعة العقبة أنهم استقاموا على الإسلام؛ ومقاتل إن كان ابن سليمان فهو كذاب وإن كان ابن حيان فقد روى مناكير.

يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ في سبب نُزولِها قولان:

[١١٢٤] **أحدهما**: أنَّ رجلاً انصرفَ مِنْ عندِ رسول الله ﷺ يومَ الأحزابِ، فوجدَ أخاه لأبيه وأُمِّهِ وعنده شِواءٌ ونَبيذٌ، فقال له: أنتَ ها هنا ورسولُ الله بينَ الرِّماحِ والسيوفِ؟! فقال: هَلُمَّ إليَّ، لقد أُحيطَ بكَ وبصاحِبِكَ؛ والذي يُحلَفُ به لا يَستقبِلُها محمَّدٌ أبداً؛ فقال له: كَذبتَ، والذي يُحلَفُ به، أمَا واللهِ لأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ بأمرِكَ، فذهبَ إلى رسولِ الله ﷺ لِيُخبِرَه، فوجدَهُ قد نزلَ جِبريلُ بهذه الآيةِ إلى قوله تعالى: ﴿يَسِيرًا﴾، هذا قولُ ابنِ زيدٍ.

[١١٢٥] **والثاني**: أنَّ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ ومُعتِّبَ بنَ قُشَيرٍ والمنافقين الذين رَجعوا مِنَ الخَندقِ إلى المدينة، كانوا إذا جاءَهُم منافقٌ قالوا له: وَيحكَ اجلِسْ فلا تخرُجْ، ويكتُبون بذلك إلى إخوانِهم الذين في العَسكرِ أنِ ائتُونا بالمدينة فإنَّا ننتظرُكُم ـ يُثبِّطونَهم عن القتال ـ وكانوا لا يأتون العَسكرَ إلاَّ أنْ لا يجدوا بُدًّا، فيأتون لِيَرى الناسُ وجُوهَهُم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينةِ، فنزلت هذه الآية، قاله ابنُ السّائبِ.

والمُعَوِّقُ: المُثَبِّطُ؛ تقول: عاقَني فُلانٌ، واعتاقَني، وعَوَّقَني: إذا مَنعَكَ عن الوَجهِ الذي تُريده. وكان المنافقون يُعوِّقون عن رسولِ الله ﷺ نُصَّارَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المنافقُ الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قولِ ابنِ زيدٍ. **والثاني**: أنهم اليهودُ دَعَوْا إخوانَهُم مِنَ المنافقين إلى تَرْكِ القتال، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنهم المنافقون دَعَوْا المسلمين إليهم عن رسولِ الله ﷺ، حكاه المَاورِدي. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ أي: لا يَحضُرون القتالَ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ للرِّياءِ والسُّمعَةِ مِنْ غير احتِسابٍ، ولو كان ذلك القليل لله عزَّ وجلَّ لَكانَ كثيراً.

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحَالِ. المعنى: لا يَأتُون الحربَ إلاَّ تعذيراً، بُخلاً عليكم. وللمُفسِّرين فيما شَحُّوا به أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَشِحَّةٌ بالخير، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: بالنَّفقةِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ. **والثالث**: بالغَنيمةِ، رُويا عن قَتادَةَ. وقال الزَّجّاجُ: بالظَّفرِ والغَنيمَةِ. **والرابع**: بالقتالِ معكم، حكاه المَاورِدي.

ثـم أخبرَ عن جُبنِهم فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ أي: إذا حَضرَ القتالُ ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كَدورانِ عينِ الذي يُغْشَى عليه مِنَ الموت، وهو الذي دَنا موتُه

[١١٢٤] ضعيف. هذا مرسل، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم تابعي أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٥/ ٣٦٠. وانظر «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٣٦.

[١١٢٥] عزاه المصنف لابن السائب وهو الكلبي، وتقدم مراراً أنه ممن يضع الحديث، فخبره لا شيء.

وغَشِيَتهُ أسبابُه، فإنه يخافُ ويَذهَلُ عقلُه ويَشخَصُ بصرُه فلا يَطْرِفُ، فكذلك هؤلاءِ، لأنهم يخافونَ القتلَ. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم﴾ قال الفرَّاءُ: يقول آذَوْكُم بالكلام في الأمْنِ ﴿بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ سَليطَةٍ ذَرِبةٍ، والعرب تقول: صَلَقُوكُم، بالصاد، ولا يجوز في القراءة؛ هذا قولُ الفرَّاءِ. وقد قرأ بالصاد أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وابنُ أبي عَبلَةَ في آخرين. وقال الزَّجَّاجُ: معنى «سَلَقُوكم»: خاطَبُوكُم أشدَّ مُخاطَبةٍ وأبلَغها في الغَنيمةِ، يُقال: خطيبٌ مِسْلاقٌ: إذا كان بليغاً في خُطبَتِه ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾ أي: خاطَبُوكم وهم أشحَّةٌ على المالِ والغَنيمةِ. قال قَتادةُ: إذا كان وقتُ قِسمةِ الغَنيمةِ، بَسَطوا ألسِنتَهم فيكم، يقولون: أعطُونا فلستُم أحقَّ بها منَّا؛ فأمَّا عند البأسِ، فأجبَنُ قومٍ وأخذَلُهُ للحقِّ، وأمَّا عندَ الغَنيمةِ، فأشَحُّ قومٍ. وفي المراد بالخير ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الغَنيمةُ. **والثاني**: على المال أنْ يُنفقوه في سبيلِ الله تعالى. **والثالث**: على رسولِ الله ﷺ بظَفَرِه.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ أي: هُمْ وإنْ أظهَروا الإيمانَ فليسوا بمؤمنين، لِنفاقِهم ﴿فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾ قال مُقاتِلٌ أي: أبطَلَ جِهادَهم، لأنه لم يكُنْ في إيمانٍ ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباطُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾. ثم أخبرَ عنهم بما يدلُّ على جُبنِهم، فقال: ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾ أي: يَحسَبُ المنافقون مِن شدَّةِ خوفِهم وجُبْنِهم أنَّ الأحزابَ بعد انهزامِهم وذهابِهم لم يذهبوا، ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ أي: يَرجِعُوا إليهم كَرَّةً ثانيةً للقتال ﴿يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ أي: يَتمنَّوا لو كانوا في باديةِ الأعرابِ مِنْ خوفِهم، ﴿يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ﴾ أي: وَدُّوا لو أنَّهم بالبُعدِ منكم يسألون عن أخبارِكُم، فيقولون: ما فعلَ محمَّدٌ وأصحابُه، لِيَعرفوا حالَكُم بالاستِخبارِ لا بالمُشاهَدةِ، فَرَقاً وجُبناً؛ وقيلَ: بل يَسألون شَماتةً بالمسلمين وفَرَحاً بنكَباتِهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم﴾ أي: لو كانوا يَشهَدون القتالَ معكم ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلاَّ رَمياً بالحجارة، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: إلاَّ رياءً مِنْ غير احتِسابٍ، قاله مُقاتِلٌ.

ثم عابَ مَنْ تخلَّفَ بالمدينة بقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ أي: قُدوةٌ صالحةٌ. والمعنى: لقد كان لكم به اقتِداءٌ لو اقتَدَيتُم به في الصَّبرِ معه كما صَبَرَ يومَ أُحُدٍ حتى كُسِرَتْ رَباعِيَتُه وشُجَّ جَبينُه وقُتِلَ عمُّه، وواسَاكُم مع ذلك بنفسِه. وقرأ عاصِمٌ: «أُسوة» بضمِّ الألِفِ؛ والباقون بكسرِ الألِفِ؛ وهما لُغتانِ. قال الفرَّاءُ: أهلُ الحِجازِ وأسَدٌ يقولون: «إسوة» بالكسرِ، وتَميمٌ وبعضُ قَيسٍ يقولون: «أُسوة» بالضمِّ. وخصَّ اللَّهُ تعالى بهذه الأُسوةِ المؤمنين، فقال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ والمعنى أنَّ الأُسوَةَ برسولِ الله ﷺ إنما كانت لِمَنْ كان يَرجُو اللَّهَ واليوم الآخر وفيه قولان: **أحدهما**: يَرجو ما عندَهُ مِنَ الثوابِ والنَّعيمِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يخشى اللَّهَ عزَّ وجلَّ ويخشى البَعثَ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ أي: ذِكراً كثيراً، لأنَّ ذاكرَ اللَّهِ تعالى مُتَّبِعٌ لأوامِرِه، بخلافِ الغافلِ عنه. ثم وصَفَ حالَ المؤمنين عند لقاءِ الأحزابِ، فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وفي ذلك الوَعدِ قولان: **أحدهما**: أنه قولُه تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾[1] الآية: فلمَّا عايَنُوا البَلاءَ يومَئذٍ قالوا: هذا ما وَعَدَنا اللَّهُ ورَسولُه، قاله ابنُ

(١) البقرة: ٢١٤.

عباسٍ، وقَتادَةُ في آخَرين. **والثاني**: أنَّ رسولَ الله ﷺ وَعدَهُم بالنَّصرِ والظُّهورِ على مَدائِنِ كِسرَى وقُصورِ الحِيْرَة، ذكره المَاوَرديُّ وغيرُه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ يعني ما رَأَوْهُ ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بوَعدِ الله تعالى ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمرِه.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولَين: **أحدهما**: أنها نزلت في أنسِ بنِ النَّضْرِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ.

[١١٢٦] وقد أخرج البُخاريُّ ومُسلِمٌ مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ قال: غابَ عمِّي أنسُ بنُ النَّضرِ عن قتالِ بَدْرٍ، فلمَّا قَدِمَ قال: غِبْتُ عن أوَّلِ قتالٍ قاتلَهُ رسولُ الله ﷺ المشركين، لَئِنْ أشهدَني اللَّهُ عزَّ وجلَّ قتالاً لَيَرَيَنَّ اللَّهُ ما أصنَعُ، فلمَّا كان يومُ أُحُدٍ انكشَفَ النَّاسُ، فقال: اللهُمَّ إنِّي أبرَأُ إليكَ مِمَّا جاء به هؤلاءِ، يعني المشركين، وأعتَذِرُ إليكَ مِمَّا صَنعَ هؤلاءِ، يعني المسلمين؛ ثم مَشَى بسيفِهِ، فلَقِيَهُ سعدُ بنُ مُعاذٍ، فقال: أي سَعدُ، والذي نَفسِي بيَدِهِ إني لأَجِدُ رِيْحَ الجنَّةِ دونَ أُحُدٍ، وَاهاً لِريحِ الجنَّةِ. قال سَعدُ: فما استطعتُ يا رسولَ الله ما صَنعَ؛ قال أنسٌ: فوجدنَاهُ بين القَتْلَى به بِضْعٌ وثمانونَ جِراحَةً، مِنْ ضربةٍ بسيفٍ، وطَعنةٍ برُمحٍ، ورَمْيَةٍ بسَهمٍ، قد مَثَّلوا به؛ قال: فما عرفناه حتى عَرفَتْهُ أختُه بِبَنانِه؛ قال أنسٌ: فكُنَّا نقول: أُنزلت هذه الآيةُ «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» فيه وفي أصحابِه.

[١١٢٧] والثاني: أنها نزلت في طَلحَةَ بنِ عُبيدِ الله. رَوى النزَّالُ بنُ سَبْرَةَ عن عليٍّ عليه السلام

[١١٢٦] صحيح. أخرجه البخاري ٢٨٠٥ و ٤٠٤٨ ومسلم ١٩٠٣ والترمذي ٣٢٠٠ والنسائي في «التفسير» ٤٢٢ و ٤٢٣ من حديث أنس، وليس فيه سبب النزول.

[١١٢٧] حسن بشواهده. أخرجه أبو الشيخ وابن عساكر كما في «الدر» ٥/ ٣٦٦، ولم أقف على إسناده، وللحديث شواهد مرفوعة إلى رسول الله ﷺ بلفظ «طلحة ممن قضى نحبه» وبألفاظ متقاربة منها: حديث جابر بن عبد الله أخرجه الترمذي ٣٧٣٩ والحاكم ٣/ ٣٧٦ من طرق عن الصلت بن دينار به. قال الحاكم: تفرّد به الصلت، وليس من شرط هذا الكتاب. وقال الذهبي: الصلت واه. وحديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه الترمذي ٣٢٠٢ و ٣٧٤٠ وابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٦٤ وابن ماجه ١٢٦ و ١٢٧ والطبري ٢٨٤٣١ من طريقين عن إسحاق بن يحيى الطلحي عن موسى بن طلحة عن معاوية مرفوعاً. وإسناده واهٍ لأجل إسحاق بن يحيى، قال أحمد والنسائي: متروك. وقال يحيى: لا يكتب حديثه. وحديث عائشة أخرجه ابن سعد ٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤ وأبو يعلى ٤٨٩٨ وأبو نعيم ١/ ٨٨ ومداره على صالح بن موسى، وهو متروك، وكذا قال الهيثمي في «المجمع» ٩/ ٤٨. وحديث عائشة أخرجه الحاكم ٣/ ٣٧٦ من وجه آخر عنها وفيه إسحاق بن يحيى متروك ليس بشيء. وحديث طلحة بن عبيد الله أخرجه الترمذي ٣٢٠٣ و ٣٧٤٢ وأبو يعلى ٦٦٣ والطبري ٢٨٤٣٠ =

أنهم قالوا له: حدِّثنا عن طَلحةَ، قال: ذاكَ امرؤٌ نزلت فيه آيةٌ مِنْ كتاب الله تعالى: «فمنهم من قضى نَحبَهُ» لا حسابَ عليه فيما يَستقبِلُ. وقد جعلَ بعضُ المفسِّرين هذا القَدْرَ مِنَ الآية في طَلحةَ، وأوَّلَها في أنس.

قال ابنُ جَريرٍ: ومعنى الآية: وَفَوْا اللَّهَ بما عاهَدُوهُ عليه. وفي ذلك أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنهم عاهدوا ليلةَ العَقَبةِ على الإسلام والنُّصرةِ. **والثاني**: أنهم قومٌ لم يَشهدوا بَدْراً، فعاهدوا اللَّهَ عزَّ وجلَّ أنْ لا يتأخَّروا بعدَها. **والثالث**: أنهم عاهدوا أنْ لا يفِرُّوا إذا لاقَوْا، فَصَدَقُوا. **والرابع**: أنهم عاهدوا على البأساءِ والضَّرَّاءِ وحينَ البأسِ.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فمنهم مَنْ مات، ومنهم مَنْ ينتظر الموتَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: فمنهم مَنْ قضى عهدَهُ قُتِلَ أو عاشَ، ومنهم مَنْ ينتظر أنْ يقضيَهُ بقتالٍ أو صدق لقاءٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: فمنهم مَنْ قضى نَذْرَهُ الذي كان نَذَرَ، قاله أبو عُبيدَةَ. فيكون النَّحبُ على القول **الأول**: الأجَل؛ وعلى **الثاني**: العَهد؛ وعلى **الثالث**: النَّذر. وقال ابنُ قُتيبةَ: «قضى نحبه» أي: قُتِلَ، وأصلُ النَّحبِ: النَّذرُ، كأنَّ قوماً نَذَروا أنهم إنْ لَقُوا العدوَّ قاتَلوا حتى يُقتَلوا أو يَفتحَ اللَّهُ عليهم، فقُتِلوا، فقيلَ: فلانٌ قَضَى نَحْبَهُ، أي: قُتِلَ، فاستعيرَ النَّحبُ مكانَ الأجَلِ، لأنَّ الأجَلَ وقعَ بالنَّحبِ، وكان النَّحبُ سبباً له، ومنه قيلَ: للعَطيَّةِ: «مَنٌّ»، لأنَّ مَنْ أعطى فقَدْ مَنَّ. قال ابنُ عباسٍ: ممَّن قضى نَحبَهُ: حمزةُ بنُ عبد المُطَّلبِ، وأنسُ بنُ النَّضرِ وأصحابُه. وقال ابنُ إسحاقَ: «فمنهم مَنْ قضى نحبَهُ» مَنِ استُشهِدَ يومَ بدرٍ وأُحُدٍ، «ومنهم من ينتظرُ» ما وَعدَ اللَّهُ مِنْ نَصرِهِ، أو الشهادةِ على ما مضى عليه أصحابُه ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ أي: ما غَيَّروا العهدَ الذي عاهدوا ربَّهم عليه كما غيَّرَ المنافقون.

قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ وهم المؤمنون الذين صَدَقوا فيما عاهدوا اللَّهَ تعالى عليه ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بنَقْضِ العهدِ ﴿إِن شَآءَ﴾ وهو أنْ يُميتَهم على نِفاقِهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ في الدنيا، فيُخرِجَهم مِنَ النِّفاق إلى الإيمان، فيَغفِرَ لهم.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني الأحزابَ، صَدَّهُم ومَنَعَهُم عن الظَّفَرِ بالمسلمين ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: لم يَشْفِ صدُورَهُم بِنَيْلِ ما أرادوا ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ أي: لم يَظفَرُوا بالمسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً، فخُوطِبوا على استعمالِهم ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالرِّيحِ والملائكةِ، ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عَاوَنوا الأحزابَ، وهم بَنو قُريظَةَ، وذلك أنهم نَقَضُوا ما بينهم وبين رسولِ الله ﷺ مِنَ العَهدِ، وصاروا مع المشركين يَداً واحدةً.

= من طريق موسى وعيسى ابني طلحة عنه. قال الترمذي: حسن غريب، وسمعت البخاري يحدث بهذا الحديث عن أبي كريب، ووضعه في كتاب «الفوائد». ورجاله رجال مسلم ولكن طلحة بن يحيى، وإن روى له مسلم، ووثقه غير واحد فقد قال يحيى القطان: لم يكن بالقوي. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو زرعة: صالح الحديث. وله شاهد مرسل أخرجه ابن سعد ٣/ ١٦٤ من طريق حصين عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. وهذا مرسل صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم، ليس له علة إلا الإرسال فهذا شاهد لما تقدم. الخلاصة: هو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده، ومع ذلك في المتن غرابة وانظر «أحكام القرآن» ١٧٦٦ بتخريجنا وانظر «الصحيحة» ١٢٦.

وهذه الإشارة إلى قصَّتِهم

[١١٢٨] ذكَرَ أهلُ العِلْمِ بالسِّيرة، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا انصرفَ مِنَ الخَندقِ وضعَ عنه اللأمَةَ واغتَسلَ، فتبدَّى له جِبريلُ، فقال: ألاَ أراكَ وضعتَ اللأمَةَ، وما وَضعَتِ الملائكةُ سِلاحهَا منذ أربعينَ ليلةً؟! إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يأمرُكَ أنْ تسيرَ إلى بَني قُريظَةَ فإنِّي عامِدٌ إليهم فمُزلزِلٌ بهم حُصونَهُم، فدَعَا عليًّا رضي الله عنه فدفعَ لواءَهُ إليه، وبعثَ بلالاً فنادى في الناس:

[١١٢٩] إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمُركُم أنْ لا تُصلُّوا العَصرَ إلاّ ببَني قُريظَةَ، ثم سار إليهم فحَاصَرَهُم خمسةَ عشرَ يوماً أشدَّ الحِصَارِ، وقيل: عشرين ليلةً.

[١١٣٠] فأرسَلُوا إلى رسولِ الله ﷺ: أَرْسِلْ إلينا أبا لُبَابَةَ بنَ عبدِ المُنذرِ، فأرسلَهُ إليهم، فشَاوَروهُ في أمرِهِم، فأشارَ إليهم بيدِه: إنه الذَّبحُ، ثُمَّ نَدِمَ فقال: خُنتُ اللَّهَ تعالى ورسولَه، فانصرَفَ فارتَبطَ في المسجدِ حتى أنزلَ اللَّهُ تعالى توبتَهُ، ثم نزلوا على حُكم رسولِ الله ﷺ، فأمَّرَ بهم رسولُ الله محمَّدَ بنَ مَسْلمةَ، فكُتِفُوا، ونُحُّوا ناحيةً، وجُعِلَ النساءُ والذُّرِّيةُ نَاحيةً. وكلَّمَت الأوسُ رسولَ الله ﷺ أنْ يَهَبَهُم لهم، وكانوا حُلفاءَهُم، فجعلَ رسولُ الله ﷺ الحُكْمَ فيهم إلى سعدِ بنِ مُعاذٍ؛ هكذا ذكَرَ محمَّدُ بنُ سعدٍ.

[١١٣١] وحكى غيرُه: أنهم. نَزَلوا أوَّلاً على حُكم سعدِ بنِ معاذٍ، وكان بينهم وبين قومِهِ حِلفٌ، فَرَجَوْا أنْ تأخذَهُ فيهم هَوادَةٌ، فحَكَمَ فيهم أنْ يُقتلَ كلُّ مَنْ جرَت عليه المَواسِي[1]، وتُسبَى النساءُ

[١١٢٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤١٢٢ ومسلم ١٧٦٩ وأبو داود ٣١٠١ والنسائي ٢/ ٤٥ وابن سعد ٣/ ٤٢٥ كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أصيب سعد يوم الخندق، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام، وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وقد وَضَعْتَ السلاح، والله ما وضعتُهُ، اخرج إليهم، قال النبي ﷺ: فأين، فأشار إلى بني قريظة. . .» الحديث راجع «المجمع» ١٠١٥٦ وما بعده وانظر «أحكام القرآن» ١٧٦٢ بتخريجنا.

[١١٢٩] صحيح. أخرجه البخاري ٩٤٦ و ٤١١٩ و ١٧٧٠ و ٣٧٩٨ والبغوي ٣٧٩٨ والطبراني ١٩/ ١٦٠ وابن حبان ١٤٦٢ من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ولم يُرَد منا ذلك فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم. لفظ البخاري.

[١١٣٠] أخرجه الطبري ٢٨٤٤٦ من طريق محمد بن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري مرسلاً، لكن لأصله شواهد.

[١١٣١] صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٤٣ و ٣٨٠٤ و ٤١٢١ و ٦٢٦٢ ومسلم ١٧٦٨ ح ٦٤ وأبو داود ٥٢١٥ و ٥٢١٦ والنسائي في «الفضائل» ١١٨ وابن سعد ٣/ ٤٢٤ وأحمد ٣/ ٢٢ والطبراني ٥٣٢٣ والبيهقي ٦/ ٥٧ ـ ٥٨ و ٩/ ٦٣ وابن حبان ٧٠٢٦ والبغوي ٢٧١٨ من طرق عن شعبة به.
ـ وأخرجه مسلم ١٧٦٨ وأبو يعلى ١١٨٨ وابن حبان ٧٠٢٦ عن أبي خيثمة زهير بن حرب به.
ـ وأخرجه أحمد ٣/ ٢٢ عن عبد الرحمن بن مهدي به، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بعث إليه رسول الله ﷺ ـ وكان قريباً منه ـ فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال له: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك» قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى الذرية. قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك».

---

(١) أراد أن تقتل الرجال.

والذَّرَارِي، وتُقسَمَ الأموالُ. فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد حكمتَ بحُكم الله تعالى مِنْ فوق سبعةِ أرْقِعةٍ»؛ وانصرفَ رسولُ الله ﷺ، وأمَرَ بهم فأُدخِلوا المدينةَ، وحُفِرَ لهم أُخدُودٌ في السُّوقِ، وجَلَسَ رسولُ الله ﷺ ومعه أصحابُه، وأُخرِجُوا إليه فضُرِبَتْ أعناقُهم، وكانوا ما بين ستمائةٍ إلى سبعمائةٍ.

قوله تعالى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ وقَتادةُ: مِنْ حُصونِهم؛ قال ابنُ قُتَيبةَ: وأصلُ الصَّياصِي: قرونُ البقرِ، لأنها تمتنعُ بها، وتَدفعُ عن أنفسِها؛ فقيلَ للحُصونِ: الصَّياصِي، لأنها تَمنعُ، وقال الزَّجّاجُ: كلُّ قَرنٍ صِيصِيَةٌ، وصِيصِيَةُ الدِّيكِ: شَوكةٌ يتحصَّنُ بها.

قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: ألْقَى فيها الخوفَ ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم المُقاتِلَةُ ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾ وقرأ ابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وتأسُرون» برفعِ السين ﴿فَرِيقًا﴾ وهم النساءُ والذَّرارِي، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ﴾ يعني عقارهم ومنازِلَهم ونَخِيلَهم ﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ مِنَ الذهب والفضَّةِ والحُليِّ والعبيدِ والإماءِ ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ أي: لم تطؤوها بأقدامِكم بَعْدُ، وهي مما سَنفتحُها عليكم؛ وفيها أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها فارسُ والرُّومُ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: مكَّةُ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: خَيْبَرُ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائبِ، وابنُ إسحاقَ، ومُقاتِلٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ . . . الآية.

[١١٣٢] ذكرَ أهلُ التفسير أنَّ أزواجَ النبيِّ ﷺ سألْنَهُ شيئاً مِن عَرَضِ الدنيا، وطَلَبْنَ منه زيادةً في

[١١٣٢] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٧٩ وأبو يعلى ١٦٤ من طريق سماك بن حرب عن ابن عباس عن عمر مطوّلاً مع اختلاف في ألفاظه. وأخرجه البخاري ٨٩ ومسلم ١٤٧٩ والترمذي ٣٣٢٥ وأحمد ١/ ٣٣ والنسائي ٤/ ١٣٧ =

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٢٨٨: والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم، وأرضاً لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن.

النَّفقةِ، وآذَيْنَهُ بغَيْرَةِ بعضِهنَّ على بعضٍ، فآلَى رسولُ الله ﷺ شهراً، وصَعِدَ إلى غُرفةٍ له فمَكث فيها، فنزلت هذه الآيةُ،

[١١٣٣] وكُنَّ أزواجُه يومئذٍ تسعاً: عائشةُ، وحَفصَةُ، وأمُّ حَبيبَةَ، وسَوْدَةُ، وأمُّ سَلَمَةَ، وصَفيَّةُ الخَيْبَرِيَّةُ، ومَيمُونَةُ الهِلاليَّةُ؛ وزَينَبُ بنتُ جَحشٍ، وجُوَيرِيَةُ بنتُ الحَارثِ،

[١١٣٤] فنزلَ رسولُ الله ﷺ فعرَضَ الآيةَ عليهنَّ، فبدأ بعائشةَ، فاختارت اللَّهَ ورسولَهُ، ثم قالت: يا رسولَ الله لا تُخبِرْ أزواجَكَ أنِّي اخترتُكَ؛ فقال؛ «إنَّ اللَّهَ بَعثَني مُبلِّغاً ولم يَبْعَثْني مُتعنِّتاً». وقد ذكرتُ حديثَ التَّخييرِ في كتاب «الحدائق» وفي «المغني» بِطُولِهِ.

وفي ما خيَّرهُنَّ فيه قولان[١]: **أحدهما**: أنه خَيَّرهُنَّ بين الطَّلاقِ والمقام معه، هذا قولُ عائشة رضيَ الله عنها. **والثاني**: أنه خَيَّرهُنَّ بين اختيارِ الدنيا فيُفارقهنَّ، أو اختيارِ الآخرة فيُمسِكهنَّ، ولم يُخيِّرهنَّ في الطَّلاقِ، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ.

وفي سببِ تخييرِه إيَّاهُنَّ ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنهنَّ سألْنَهُ زيادةَ النَّفقةِ. **والثاني**: أنَّهنَّ آذَيْنَهُ بالغَيْرَةِ. والقولان مشهوران في التفسير. **والثالث**: أنه لمَّا خُيِّر بين مُلْكِ الدنيا ونعيمِ الآخرة فاختار الآخرةَ، أُمِرَ بتخيير نسائِه ليكنَّ على مِثْل حاله، حكاه أبو القاسِم الصَّيمري.

والمراد بقوله تعالى: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: مُتعةُ الطلاقِ. والمراد بالسَّراح: الطَّلاقُ، وقد ذَكَرنا ذلك في البقرة[٢]. والمراد بالدَّارِ الآخرة. الجنَّةُ. والمُحْسِناتُ: المُؤْثِراتُ للآخرةَ.

قال المفسرون: فلمَّا اخْتَرْنَه أثابَهُنَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ثلاثةَ أشياءَ: **أحدها**: التَّفضيل على سائرِ النساء بقوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾. **والثاني**: أنْ جَعلَهُنَّ أُمَّهاتِ المؤمنين. **والثالث**: أنْ حَظرَ عليه طلاقَهُنَّ والاستبدالَ بهِنَّ بقوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾[٣]. وهل أُبيحَ له بعدَ ذلك

= من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس عن عمر بنحوه.

[١١٣٣] أخرجه الطبري ٢٨٤٦١ عن قتادة مرسلاً، وله شواهد.

[١١٣٤] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٧٨ وأحمد ٣/ ٣٢٨ وأبو يعلى ٢٢٥٣ والبيهقي ٧/ ٣٨ من حديث جابر مطولاً.

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٥٢١: قال الماوردي: اختلف هل كان التخيير بين الدنيا والآخرة، أو بين الطلاق والإقامة عنده؟ على قولين للعلماء أشبههما بقول الشافعي الثاني، ثم قال: إنه الصحيح، وكذا قال القرطبي: اختلف في التخيير. قال الحافظ: والذي يظهر الجمع بين القولين، لأن أحد الأمرين ملزوم الآخر، وكأنهنّ خُيرن بين الدنيا فيطلقهنّ، وبين الآخرة فيمسكهن، وهو مقتضى سياق الآية.
ـ وقال القرطبي رحمه الله في «التفسير» ١٢/ ١٧٠: اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين: الأول: أنه خيرهن في البقاء على الزوجية أو الطلاق، قالته عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهري وربيعة. والثاني: أنه خيرهن بين الدنيا والآخرة، ذكره الحسن وقتادة، ومن الصحابة علي. والأول أصح لقول عائشة لما سئلت عن الرجل يخير امرأته، فقالت: قد خيّرنا رسول الله ﷺ، أفكان طلاقاً. ولم يثبت عن النبي ﷺ إلا التخيير المأمور بين البقاء والطلاق اهـ ملخصاً.
ـ والذي ذهب إليه القرطبي هو الصواب إن شاء الله تعالى، وحديث عائشة أخرجه البخاري ٥٢٦٢ و ٥٢٦٣ ومسلم ١٤٧٧ ح ٢٥ و ٢٦.

(٢) البقرة: ٢٣١. (٣) الأحزاب: ٥٢.

التَّزويجُ عليهنَّ؟ فيه قولان سيأتي ذِكْرُهما إنْ شاء اللَّهُ تعالى.

قوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعصيةٍ ظاهرةٍ. قال ابنُ عباسٍ: يعني النُّشوزَ وسُوءَ الخُلُقِ ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يُجعَلْ عذابُ جُرمِها في الآخرة كعذابِ جُرمَيْن، كما أنها تُؤتَى أجرَها على الطاعةِ مرَّتين. وإنما ضُوعِفَ عِقابُهنَّ، لأنهنَّ يُشاهِدْنَ مِنَ الزَّواجرِ الرَّادِعةِ ما لا يُشاهِدُ غيرُهنَّ، فإذا لم يَمتَنِعنَ استحقَقْنَ تضعيفَ العذابِ، ولأنَّ في مَعصِيتِهنَّ أذىً لرسولِ الله ﷺ؛ وجُرمُ مَنْ آذى رسولَ الله ﷺ أكبرُ مِنْ جُرم غيرِه.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: وكان عذابُها على الله عزَّ وجلَّ هَيِّناً. ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ أي: تُطِعْ، و ﴿أَعْتَدْنَا﴾ قد سبقَ بيانُه[1]، والرِّزقُ الكريمُ: الحَسَنُ، وهو الجنَّةُ.

ثُمَّ أظهَرَ فضيلتَهنَّ على النساء بقوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لم يَقُلْ: كواحدةٍ مِنَ النساء، لأنَّ «أحداً» نفيٌ عامٌّ للمذكَّرِ والمؤنَّثِ والواحدِ والجماعةِ. قال ابنُ عباسٍ: يريد: ليس قَدْرُكُنَّ عندي مثل قَدْرِ غيرِكُنَّ مِنَ النساء الصَّالحاتِ، أنْتُنَّ أكرَمُ عليَّ، وثوابُكُنَّ أعظَمُ ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾، فشرَطَ عليهنَّ التقوى بياناً أنَّ فضيلتَهُنَّ إنَّما تكون بالتَّقوى، لا بنَفْسِ اتصالِهنَّ برسولِ الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: لا تلِنَّ بالكلام ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: فجور؛ والمعنى: لا تَقُلْنَ قولاً يَجِدُ به منافقٌ أو فاجرٌ سبيلاً إلى مُوافقَتِكُنَّ له، والمرأةُ مندوبةٌ إذا خاطبَتِ الأجانبَ إلى الغِلظَةِ في المَقالة، لأنَّ ذلك أبعدُ مِنَ الطَّمع في الرِّيبَةِ. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: صحيحاً عفيفاً لا يُطمِعُ فاجِراً. ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ إلاَّ أبانَ، وهُبَيرَةُ، والوليدُ بنُ مُسلِم عن ابنِ عامرٍ: «وقَرْنَ» بفتح القاف؛ وقرأ الباقون بكَسْرِها. قال الفَرَّاءُ: مَنْ قرأ بالفتح، فهو مِنْ قَرِرْتُ في المكان، فخُفِّفَتْ، كما قال: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[2]، ومَنْ قرأ بالكسرِ، فمِنَ الوَقارِ، يُقال: قِرَّ في منزِلِكَ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: مَنْ قرأ بالكَسرِ، فهو مِنَ الوَقارِ، يُقال: وَقَرَ في منزله يَقِرُ وُقوراً. ومَنْ قرأ بنَصبِ القافِ جعلَهُ مِنَ القَرارِ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «واقْرَرْنَ» بإسكانِ القاف وبراءَيْنِ الأُولى مفتوحةٌ والثانية ساكنةٌ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ مثلَهُ، إلاَّ أنهما كَسَرا الراءَ الأُولى.

قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: الأمرُ لهُنَّ بالتَّوقُّرِ والسُّكونِ في بُيوتِهنَّ وأنْ لا يَخْرُجْنَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ قال أبو عبيدة: التبرُّج: أن يُبرِزن محاسنهن. وقال الزجاج: التبرُّجُ: إظهارُ الزِّينة وما يُستَدْعَى به شَهوةُ الرَّجلِ. وفي ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها كانت بين إدريسَ ونُوحٍ، وكانت ألفَ سنةٍ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها كانت على عهدِ إبراهيمَ عليه السلامُ، وهو قولُ عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها. **والثالث**: بين نُوحٍ وآدمَ، قاله الحَكَمُ. **والرابع**: ما بين عيسى ومحمَّدٍ عليهما السلام، قاله الشَّعْبِيُّ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قيلَ: «الأُولى»، لأنَّ كلَّ مُتقدِّمٍ أوَّلُ، وكلَّ متقدِّمَةٍ أُولَى، فتأويله: أنهم تَقدَّموا أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ.

وفي صِفةِ تبرج الجاهليَّةِ الأُولَى ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المرأةَ كانت تخرجُ فتمشي بين الرجالِ، فهو التَّبرُّجُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها مِشيةٌ فيها تَكسُّرٌ وتَغنُّجٌ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنه التَّبخترُ، قاله

---

(١) النساء: ٣٧. (٢) طه: ٩٧.

ابنُ أبي نَجِيحٍ. **والرابع**: أنَّ المرأةَ منهنَّ كانت تتَّخِذُ الدِّرعَ مِنَ اللؤلؤِ فتَلْبَسُه ثم تَمشِي وَسْطَ الطريق ليس عليها غيرُه، وذلك في زمنِ إبراهيمَ عليه السلام، قاله الكَلْبِي. **والخامس**: أنها كانت تُلقي الخِمَارَ عن رأسِها ولا تَشُدُّه، فيُرى قُرْطُها وقلائِدُها، قاله مُقاتِلٌ. **والسادس**: أنها كانت تَلْبَس الثيابَ تبلغُ المالَ، لا تُواري جَسدَها، حكاه الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ وفيه للمفسِّرين خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشِّركُ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: الإثمُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: الشيطانُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: الشَّكُّ. **والخامس**: المعاصي، حكاهما المَاوَردِي. قال الزَّجَّاجُ: الرِّجسُ: كلُّ مُستَقذَرٍ مِنْ مأكُولٍ أو عملٍ أو فاحِشَةٍ. ونصبُ «أهلَ البيت» على وَجْهَين: **أحدهما**: على معنى: أَعْنِي أهلَ البيتِ. **والثاني**: على النداءِ، فالمعنى: يا أهلَ البيتِ. وفي المراد بأهلِ البيتِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم نساءُ رسولِ الله ﷺ، لأنهنَّ في بيتِه، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، وابنُ السَّائِبِ، ومُقاتِلٌ. ويُؤكِّدُ هذا القولَ أنَّ ما قبلَهُ وبعدَهُ مُتعلِّقٌ بأزواجِ رسولِ الله ﷺ. وعلى أرباب هذا القول اعتراضٌ، وهو أنَّ جمعَ المؤنَّث بالنون، فكيف قيلَ: «عنكم» «ويُطهركم»؟ فالجوابُ أنَّ رسولَ الله ﷺ فيهنَّ، فغلَّبَ المُذكَّر. **والثاني**: أنه خاصٌّ في رسولِ الله ﷺ وعليٍّ وفاطِمةَ والحسَنِ والحُسينِ رضوانُ الله عليهم، قاله أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ.

[١١٣٥] ورُوي عن أنسٍ وعائشةَ وأمِّ سَلَمَةَ نحوُ ذلك.

[١١٣٥] أصل الحديث. ورد عن جماعة من الصحابة.

١ ـ حديث أم سلمة، وله طرق متعددة: **الأول**: أخرجه الطحاوي في «المشكل» ٧٦٦ من طريق الأجلح عن شهر بن حوشب عن أم سلمة، وعبد الملك عن عطاء عن أم سلمة. وإسناده حسن في الشواهد، الأجلح هو ابن عبد الله، وثقه قوم، وضعفه آخرون، وقد تابعه عبد الملك بن أبي سليمان، وهو ثقة، لكن لم يسمع عطاء من أم سلمة. وأخرجه أحمد ٦/ ٣٠٤ والترمذي ٣٨٧٦ والطبراني ٢٣ (٧٦٩) عن زبيد بن الحارث عن شهر عن أم سلمة. وإسناده لين لأجل شهر. **الطريق الثاني**: أخرجه الطحاوي ٧٦٨ والطبري ٢٨٤٩٥ و ٢٨٤٩٧ من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد عن أم سلمة. وإسناده واهٍ لأجل عطية العوفي. **الطريق الثالث**: أخرجه الطحاوي ٧٦٥ و ٧٧٢ من طريق عمرة بنت أفعى عن أم سلمة. وإسناده ضعيف لجهالة عمرة. **الطريق الرابع**: أخرجه الطحاوي ٧٦٣ والطبري ٢٨٤٩٨ من طريق عبد الله بن وهب بن زمعة. وإسناده ضعيف، فيه خالد بن مخلد =

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٥٩٨: ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...﴾**، فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالىٰ بعد هذا كله **﴿واذكرن ما يتلىٰ في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾** أي: واعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغيره واحد.

ـ وقال القرطبي رحمه الله في «التفسير» ١٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣: اختلف أهل العلم في أهل البيت من هم؟

ـ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا رجلَ معهنّ.

ـ وقالت فرقة منهم الكلبي: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة.

ـ والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنما قال **﴿ويطهركم﴾** لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غُلِّب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهنّ، والمخاطبة لهنَّ، يدل عليه سياق الكلام اهـ ملخصاً.

والثالث: أنهم أهلُ رسولِ الله ﷺ وأزواجُه، قاله الضَّحَّاكُ. وحكى الزَّجَّاجُ أنهم نساءُ النبيِّ ﷺ والرجالُ الذين هم آلُهُ؛ قال: واللغةُ تدلُّ على أنها للنساءِ والرِّجالِ جميعاً، لقوله تعالى: ﴿عَنكُمُ﴾ بالميم، ولو كانت للنساءِ، لم يَجُزْ إلاَّ «عنكنّ» «ويُطهركنّ».

قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الشِّركِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مِنَ السُّوءِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: مِنَ الإثمِ، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

= القطواني، غير حجة، وموسىٰ بن يعقوب سيء الحفظ. **الطريق الخامس**: أخرجه الطحاوي ٧٦٢ والطبري ٢٨٥٠٢ والطبراني ٢٣ (٧٥٠). وإسناده ضعيف، فيه عنعنة الأعمش، وهو مدلس، وفيه جعفر بن عبد الرحمن البَجَلي، وهو شبه مجهول، حيث وثقه ابن حبان وحده. **الطريق السادس**: أخرجه الطبري ٢٨٤٩٦ من طريق سعيد بن زربي عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة. وإسناده ضعيف لضعف سعيد بن زربي. ولفظه عند الترمذي: عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله قال: إنك إلى خير. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو أحس شيء روي في هذا الباب.

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه مسلم ٢٤٢٤ والطبري ٢٨٤٨٨ من طريقين عن محمد بن بشر عن زكريا به وإسناده غير قوي، فيه مصعب بن شيبة، فهو وإن روى له مسلم فقد ضعفه غير واحد، لذا لينه الحافظ في «التقريب» لكن لم ينفرد بهذا المتن. وأخرجه الحاكم ٣/ ١٤٧ من طريق عبيد الله عن زكريا به! وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي!، وليس كما قالا، فقد تفرد. وأخرجه البغوي ٣٨٠٤ من طريق الوليد بن شجاع عن يحيى بن زكريا به. ولفظه عند مسلم: قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه. ثم جاءت فاطمة فأدخلها. ثم جاء علي فأدخله ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

٣ ـ حديث واثلة بن الأسقع: أخرجه أحمد ٤/ ١٠٧ وفي «الفضائل» ٩٧٨ وابن أبي شيبة ١٢/ ٧٢ ـ ٧٣ وابن حبان ٦٩٧٦ والحاكم ٣/ ١٤٧ والطحاوي في «المشكل» ٧٧٣ والطبري ٢٨٤٩٤ من طرق عن الأوزاعي ثني شداد أبو عمار قال سمعت واثلة. . . بنحو الحديث المتقدم، وليس فيه ذكر أم سلمة أصلاً. وإسناده صحيح. شداد من رجال مسلم، وباقي الإسناد على شرط الشيخين، وقد صححه الحاكم على شرطهما، وتعقبه الذهبي بقوله: على شرط مسلم. وكرره الطبري ٢٨٤٩٣ من طريق كلثوم المحاربي عن شداد به، وإسناده حسن في الشواهد.

٤ ـ حديث عمرو بن أبي سلمة: أخرجه الترمذي ٣٧٨٧ والطبري ٢٨٤٩٩ والطحاوي في «المشكل» ٧٧١ من طريق يحيى بن عبيد المكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة به. ورجاله ثقات معروفون غير يحيىٰ بن عبيد حيث قال الحافظ في «التقريب»: يحيىٰ بن عبيد عن عطاء، يحتمل أن يكون الذي قبله، وإلا فمجهول. وقال عن الذي قبله: يحيىٰ بن عبيد المكي، مولىٰ بني مخزوم، ثقة من السادسة. قلت: قد توبع على أكثر هذا المتن، دون لفظ «وجعل علياً خلفه» فقد تفرد به، وهو غريب.

٥ ـ حديث سعد بن أبي وقاص: أخرجه مسلم ٢٤٠٤ ح ٣٢ والترمذي ٢٩٩٩ و ٣٧٢٤ وأحمد ١/ ١٨٥ والنسائي في «الخصائص» ١١ والطحاوي في «المشكل» ٧٦١ من طرق عن حاتم بن إسماعيل عن بُكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن سعد قال: لما نزلت هذه الآية **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾** دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي». لفظ مسلم والترمذي وغيرهما دون النسائي والطحاوي حيث ذكر في الحديث الآية التي في الأحزاب. وكرره النسائي ٥٤ والطبري ٢٨٥٠١ والحاكم ٣/ ١٠٨ من وجه آخر، وليس فيه ذكر الآية أصلاً، بل فيه «حين نزل الوحي» وإسناده صحيح.

الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وأصح متن وإسناد في هذا الباب حديث سعد ثم حديث واثلة ثم حديث أم سلمة لطرقه الكثيرة ثم حديث عائشة ثم حديث عمر بن أبي سلمة.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه تذكيرٌ لهنَّ بالنِّعَم. **والثاني**: أنه أمرٌ لهنَّ بحفظِ ذلك. فمعنى «واذكُرْنَ»: واحفظْنَ ﴿مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن. وفي الحِكمَةِ قولان: **أحدهما**: أنها السُّنَّةُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: الأمرُ والنَّهيُ، قاله قتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ أي: ذا لُطفٍ بكُنَّ إذْ جعلكُنَّ في البيوت التي تُتْلى فيها آياته ﴿خَبِيرًا﴾ بكُنَّ إذ اختارَكُنَّ لرسوله.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ في سببِ نُزولِها خمسةُ أقوالٍ:

[١١٣٦] **أحدها**: أنَّ نساءَ رسولِ الله ﷺ قُلْنَ: ما له ليس يُذكَرُ إلاَّ المؤمنون، ولا يَذكُرُ المؤمناتِ بشيءٍ؟! فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو ظَبيانَ عن ابنِ عباسٍ.

[١١٣٧] **والثاني**: أنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قالت: يا رسولَ الله يُذكَرُ الرجالُ ولا نُذكَرُ! فنزلت هذه الآيةُ، ونَزلَ قولُه تعالى: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾(١)، قاله مُجاهِدٌ.

[١١٣٨] **والثالث**: أنَّ أُمَّ عُمارةَ الأنصاريَّةَ قالت: قُلتُ: يا رسولَ الله بأبي وأُمِّي ما بالُ الرِّجالِ يُذكَرون، ولا تُذكَرُ النساءُ؟! فنزلت هذه الآيةُ، قاله عِكرمَةُ. وذكر مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ أنَّ أُمَّ سَلَمَةَ وأُمَّ عُمارةَ قالتا ذلك، فنزلت الآيةُ في قولِهما(٢).

[١١٣٩] **والرابع**: أنَّ الله تعالى لمَّا ذَكَر أزواجَ رسولِه دخلَ النساءُ المُسلماتُ عليهنَّ فقُلْنَ: ذُكِرْتُنَّ ولم نُذكَرْ، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرْنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ.

[١١٤٠] **والخامس**: أنَّ أسماءَ بنتَ عُمَيسٍ لمَّا رَجعَتْ مِنَ الحَبشَةِ دخلت على نساءِ

[١١٣٦] إسناده ضعيف. أخرجه الطبري ٢٨٥١٠ والطبراني ١٢/١٠٨ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف قابوس بن أبي ظبيان، وقال الهيثمي ٧/ ٩١: قابوس ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات اهـ. فالإسناد ضعيف. مع ذلك فهو شاهد لما بعده وانظر «تفسير الشوكاني» ١٩٩٨ بتخريجنا.

[١١٣٧] أخرجه الحاكم ٢/ ٤١٦ عن مجاهد عن أم سلمة ورجاله ثقات لكن رواية مجاهد عن أم سلمة مرسلة، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وأخرجه أحمد ٦/ ٣٠١ والنسائي في «التفسير» ٤٢٥ والطبري ٢٨٥١٢ من حديث أم سلمة وإسناده حسن رجاله ثقات، وورد من طرق كثيرة. وأخرجه النسائي ٤٢٤ والطبراني ٢٣/ ٢٦٣ من وجه آخر. وله شاهد هو الآتي.

[١١٣٨] أخرجه الترمذي ٣٢١١ من حديث أم عمارة، وقال حسن غريب اهـ. وسليمان بن كثير فيه ضعف، ومع ذلك هو شاهد لما قبله. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٩٩٧ بتخريجنا.

[١١٣٩] مرسل. أخرجه الطبري ٢٨٥٠٥ عن قتادة مرسلاً. وانظر ما تقدم.

[١١٤٠] ذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٧١ و «أسباب النزول» ٧٠٠ عن مقاتل بن حيان بدون إسناد، وهو مرسل، ومقاتل ذو مناكير، والصحيح ما تقدم.

---

(١) آل عمران: ١٩٥.

(٢) الحجة بما تقدم.

رسولِ الله ﷺ فقالت: هل نَزلَ فينا شيءٌ مِن القرآن؟ قُلْنَ: لا، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله إنَّ النساءَ لَفِي خَيْبةٍ وخَسَارٍ، قال: «ومِمَّ ذاكِ»؟ قالت: لأنَّهنَّ لا يُذْكَرْنَ بخيرٍ كما يُذْكَرُ الرجالُ، فنزلت هذه الآيةُ، ذكره مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ.

وقد سبق تفسيرُ ألفاظِ الآية في مَواضِعَ[1].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾... الآية، في سبب نزولها قولان:

[١١٤١] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ انطلَق يَخطِبُ زينبَ بنتَ جحشٍ لزيدِ بنِ حارثةَ، فقالت: لا أرضاهُ، ولستُ بناكِحَتِه، فقال رسولُ الله ﷺ: «بلى فانكِحِيه، فإنِّي قد رَضِيتُه لكِ»، فأبَتْ. فنزلت هذه الآيةُ. وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ ومُجاهِدٍ وقَتادةَ والجمهورِ. وذَكَر بعضُ المُفسِّرين أنَّ عبدَ الله بنَ جَحشٍ أخا زينبَ كَرِهَ ذلك كما كَرِهَتْهُ زينبُ، فلمَّا نزلت الآيةُ رَضِيا وسَلَّما. قال مُقاتِلٌ: والمراد بالمؤمنِ عبدُ الله بنُ جَحشٍ، والمُؤمنةِ زينبُ بنتُ جَحشٍ.

[١١٤٢] **والثاني**: أنها نزلت في أمِّ كُلثوم بنتِ عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، وكانت أوَّلَ امرأةٍ هاجرت، فوَهبَتْ نَفْسَها لرسولِ الله ﷺ، فقال: «قد قَبِلْتُكِ»، وزوَّجها زيدَ بنَ حارثةَ، فسَخِطَتْ هي وأخوها، وقالا: إنَّما أردنا رسولَ الله، فزوَّجها عبدَهُ؟! فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ زيدٍ. والأولُ عند المُفسِّرين أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ أي: حَكَما بذلك «أَنْ تَكُونَ» وقرأ أهلُ الكُوفةِ: «أن يكون» بالياء ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ وقرأ أبو مِجلَزٍ، وأبو رَجاءٍ: «الخِيْرَةُ» بإسكانِ الياء؛ فجمع في الكناية في قوله تعالى: «لهم»، لأنَّ المراد جميعُ المؤمنين والمؤمنات، والخِيَرةُ: الاختيارُ، فأعلَمَ اللّهُ عزَّ وجلَّ أنه لا اختيارَ على ما قضاه اللّهُ ورسولُه.

[١١٤٣] فلمَّا زوَّجها رسولُ الله ﷺ زيداً مَكَثَتْ عنده حيناً، ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ أتى منزلَ زيدٍ

[١١٤١] أخرجه الطبري ٢٨٥١٣ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف عطية بن سعد العوفي، ومن دونه مجاهيل، لكن لأصله شواهد، وأخرجه الطبري ٢٨٥١٥ عن قتادة مرسلاً.
ـ وأخرجه الدارقطني ٣/ ٣٠١ عن زينب بنت جحش بمعناه.

[١١٤٢] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٨٥١٧ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو معضل، ومع ذلك عبد الرحمن بن زيد متروك الحديث.

[١١٤٣] باطل بهذا اللفظ. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٨٠ ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٢٣ من =

---

(١) انظر البقرة: ٤٥، ١٠٩، ١٢٩، ١٨٤. وآل عمران: ١٧، ١٩١. والأنبياء: ٩١. والأحزاب: ٣١.

فنظر إليها وكانت بيضاءَ جميلةً مِنْ أتمّ نساءِ قُريشٍ، فوقعت في قلبِه، فقال: «سُبحانَ اللّهِ مُقلّبِ القلوب»، وفَطِنَ زيدٌ، فقال: يا رسولَ الله ائذَنْ لي في طَلاقِها. وقال بعضُهم: أتى رسولُ الله ﷺ منزلَ زيدٍ، فرأى زينبَ، فقال: «سُبحانَ مُقلّبِ القلوب»، فسمِعَتْ ذلك زينبُ، فلمّا جاء زيدٌ ذكَرَتْ له ذلك، فعَلِمَ أنها قد وقعت في نفسِه، فأتاهُ فقال: يا رسولَ الله ائذَنْ لي في طلاقِها. وقال ابنُ زيدٍ: جاء

= طريق محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عامر الأسلمي عن محمد بن يحيى بن حبان مرسلاً. وإسناده ساقط له علل ثلاث: الأولى: الإرسال. الثانية: عبد الله بن عامر ضعيف الحديث. الثالثة: الواقدي متروك الحديث. والمتن باطل بهذا اللفظ، لا يليق بمقام النبي ﷺ مثل هذا.

ـ وورد نحوه عن عبد الرحمن بن زيد. أخرجه الطبري ٢٨٥١٩ وهذا معضل، وابن زيد متروك إذا وصل الحديث فكيف إذا أرسله.

ـ وورد نحوه عن مقاتل كما ذكر المصنف والحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف عن الثعلبي بدون إسناد. ومقاتل لا يحتج بما يتفرد به، فهو متهم بالوضع. وقد قال الحافظ في «الفتح»: وردت آثار أخرجها ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين، لا ينبغي التشاغل بها.

ـ قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٣/٥٧٦: عهدنا إليكم عهداً لن تجدوا له ردّاً أن أحداً لا ينبغي أن يذكر نبياً إلا بما ذكره الله، لا يزيد عليه، فإن أخبارهم مروية، وأحاديثهم منقولة بزيادات تولاها أحد رجلين: إما غبي عن مقدارهم، وإما بدعي لا رأي له في برّهم ووقارهم فيدس تحت المقال المطلق الدواهي ولا يراعي الأدلة ولا النواهي ومحمد ﷺ ما عصى ربه قط. فلم يقع قط في صغيرة ـ حاشا لله ـ ولا ذنب كبير. وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد. فأما قولهم: إن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه فباطل، فإنه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، حاشا لذلك القلب المطهّر من هذه العلاقة الفاسدة وإنما كان الحديث. . .

قلت: وهو الصواب في ذلك أن زينب كانت تفخر وتترفع على زيد بسبب أنها قرشية حسيبة نسيبة وهو مولى الأصل. . . فكان يشكوها لرسول الله ﷺ، والنبي ﷺ يقول له: «أمسك عليك زوجك» كما أخبر به القرآن ـ.

وقد أخرج مسلم ١٤٢٨ وابن سعد ٨/ ٨٢ والنسائي في «التفسير» ٤٣٠، عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكرها عليّ» قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمّر عجينها. قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها. فوليتها صدري ونكصت على عقبي. فقلت: يا زينب! أرسل رسول الله ﷺ يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن. . . الحديث واللفظ لمسلم. فهذا هو الصحيح فعليك به.

وقال ابن العربي رحمه الله ٣/٥٧٨: وإنما كان الحديث أنها لما استقرت عند زيد جاءه جبريل: إن زينب زوجك، ولم يكن بأسرع أن جاءه زيد يتبرأ منها، فقال له: اتق الله، وأمسك عليك زوجك فأبى زيد إلا الفراق وطلّقها وانقضت عدتها، وخطبها رسول الله ﷺ على يدي مولاه زوجها. وأنزل الله القرآن المذكور فيه خبرهما، هذه الآيات. فقال: اذكر يا محمد إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه: أمسك عليك زوجك، واتق الله في فراقها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه، يعني من نكاحك لها. وهو الذي أبداه لا سواه. وقد علم النبي ﷺ أن الله تعالى إذا أوحى إليه أنها زوجته لا بد من وجود هذا الخبر وظهوره، هذا يدلك على براءته من كل ما ذكره متسور من المفسرين، مقصور على علوم الدين. فإن قيل: فكيف يأمره بالتمسك بها، وقد علم أن الفراق لا بد منه؟ قلنا: هو صحيح للمقاصد الحسنة لإقامة الحجة، ومعرفة العاقبة، إنه أراد أن يختبر منه ما لم يُعْلِمْه الله به من رغبته منها فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهية فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها. ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان، وقد علم أنه لا يؤمن فليس في مخالفة متعلّق الأمر لمتعلّق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً، وهذا من نفيس العلم فتيقنوه وتقبلوه.

قلت: هذا هو الصواب إن شاء الله، وكلام ابن العربي نفيس جداً، فتدبره والله الموفق.

رسولُ الله ﷺ إلى باب زيدٍ - وعلى الباب سِترٌ مِنْ شَعرٍ - فرفعت الرِّيحُ السِّترَ، فرأى زينبَ، فلمَّا وقعت في قلبِه كرِهَتْ إلى الآخرِ، فجاء فقال: يا رسولَ الله أُريدُ فِراقَها، فقال: «اتَّقِ اللَّهَ». وقال مُقاتِلٌ: لمَّا فَطِنَ زيدٌ لِتسبيحِ رسولِ الله ﷺ، قال: يا رسولَ الله ائذَنْ لي في طلاقِها، فإنَّ فيها كِبْراً، فهي تَعظَّم عليَّ وتُؤذيني بلسانِها، فقال له النبيُّ ﷺ: «أمسِكْ عليكَ زوجَكَ واتَّقِ اللَّهَ». ثم إنَّ زيداً طلَّقها بعد ذلك، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعِتْقِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: في أمرِها فلا تُطلِّقها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ أي: تُسِرُّ وتُضمِر في قلبِكَ ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مُظهِره؛ وفيه أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: حُبُّها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عهدٌ عهِدَهُ اللَّهُ إليه أنَّ زينبَ ستكون له زوجةً، فلمَّا أتى زيدٌ يشكوها، قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، وأخفى في نفسِه ما اللَّهُ مُبدِيه، قاله عليُّ بنُ الحُسينِ. **والثالث**: إيثارُهُ لطلاقِها، قاله قَتادةُ، وابنُ جُرَيجٍ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ الذي أخفاه: إنْ طلَّقها زيدٌ تزوَّجتُها، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه خَشيَ اليهودَ أنْ يقولوا: تزوَّجَ محمَّدٌ امرأةَ ابنِه، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه خَشيَ لَوْمَ الناس أنْ يقولوا: أَمَرَ رجلاً بطلاقِ امرأتِه ثم نكَحها. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ أي: أَوْلَى في كلِّ الأحوال. وليس المراد أنه لم يَخْشَ الله تعالى في هذه الحالِ ولكنْ لمَّا كان لخَشيَتِه بالخَلْقِ نوعُ تَعلُّقٍ قيل له: اللَّهُ أحقُّ أنْ تخشى منهم.

[١١٤٤] قالت عائشةُ: ما نزلت على رسولِ الله ﷺ آيةٌ هي أشدُّ عليه مِنْ هذه الآية، ولو كَتَمَ شيئاً مِنَ الوحي لَكتَمَها.

فصل: وقد ذهب بعضُ العلماء إلى تنزيهِ رسولِ الله ﷺ مِنْ حُبِّها وإيثارِه طلاقَها. وإنْ كان ذلك

[١١٤٤] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٧ ح ٢٨٨ والترمذي ٣٢٠٨ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ وأحمد ٦/ ٢٤١ والطبري ٢٨٥٢٢ من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة مختصراً. وأخرجه الترمذي ٣٢٠٧ من طريق داود بن الزبرقان عن داود عن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مطولاً. وإسناده ضعيف جداً له علتان: الأولى: داود بن الزبرقان متروك الحديث. والثانية: الشعبي، وهو عامر بن شراحبيل عن عائشة منقطع. وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وله شاهد من حديث أنس أخرجه البخاري ٧٤٢٠. وله شاهد من مرسل الحسن أخرجه الطبري ٢٨٥١٨.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» ٨/ ٥٢٤: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعي ابنا. ووقوع ذلك في إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم. وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم. وقال ابن العربي: إنما قال عليه الصلاة والسلام لزيد **﴿أمسك عليك زوجك﴾** اختباراً لما عنده من الرغبة فيها أو عنها، وليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكرها علي» الحديث. وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب. لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه. وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلى الله عز وجل يسّر الله له ما هو الأحظ له والأنفع دنيا وأخرى.

شائعاً في التفسير. قالوا: وإنما عُوتِبَ في هذه القصة على شيئين: **أحدهما**: أنه أُخبِرَ بأنها ستكون زوجةً له، فقال لزيدٍ: «أمسِكْ عليكَ زوجَكَ» وكَتَمَ ما أخبرَهُ اللَّهُ تعالى به مِنْ أمرِها حياءً مِنْ زيدٍ أنْ يقول له: إنَّ زوجتَكَ ستكون امرأتي؛ وهذا يخرج على ما ذكرنا عن عليِّ بنِ الحُسينِ، وقد نَصَرهُ الثَّعلَبِي، والوَاحِدي. **والثاني**: أنه لمَّا رأى اتِّصالَ الخُصومةِ بين زيدٍ وزينبَ، ظَنَّ أنهما لا يَتَّفقان وأنه سَيُفارقها، وأضمَرَ أنه إنْ طلَّقها تزوَّجَها صِلةً لرَحِمِها، وإشفاقاً عليها، لأنها كانت بنتَ عمَّتِه أُميمةَ بنتِ عبدِ المُطَّلبِ، فعاتبَهُ اللَّهُ تعالى على إضمارِ ذلك وإخفائِه حينَ قال لزيدٍ: «أمسِكْ عليكَ زوجَكَ»، وأراد منه أنْ يكون ظاهرُه وباطنُه عند الناس سواءً.

[١١٤٥] كما قيلَ له في قصة رجلٍ أراد قَتْلَهُ: هلاَّ أومأتَ إلينا بقَتْلِه؟ فقال: «ما ينبغي لنبيٍّ أنْ تكونَ له خائنةُ الأعيُنِ»، ذكر هذا القولَ القاضي أبو يَعلَى رحمةُ الله عليه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الوَطَرُ كلُّ حاجةٍ لكَ فيها هِمَّةٌ، فإذا بَلَغها البالغُ، قيل: قد قضى وَطرَهُ. وقال غيرُه: قضاءُ الوَطَرِ في اللغة: بُلوغُ مُنتهى ما في النَّفسِ مِنَ الشيء، ثم صار عبارةً عن الطلاقِ، لأنَّ الرجلَ إنما يُطلِّق امرأتَهُ إذا لم يَبْقَ له فيها حاجةٌ. والمعنى: لمَّا قضى زيدٌ حاجتَهُ مِنْ نِكاحِها ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾، وإنَّما ذُكرَ قضاءُ الوَطَرِ ها هنا ليُبيِّنَ أنَّ امرأةَ المُتَبنَّى تَحِلُّ وإنْ وَطِئَها، وهو قوله تعالى: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾؛ والمعنى: زَوَّجْناكَ زينبَ ـ وهي امرأةُ زيدٍ الذي تبنَّيتَه ـ لكيلا يُظَنَّ أنَّ امرأةَ المُتبنَّى لا يحِلُّ نِكاحُها.

[١١٤٦] وروى مُسلمٌ في أفرادِهِ مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ قال: لمَّا انقضَتْ عِدَّةُ زينبَ قال رسولُ الله ﷺ لزيدٍ: «اذهَبْ فاذكُرْها عَلَيَّ»، قال زيدٌ: فانطلَقْتُ، فلمَّا رأيتُها عَظُمَتْ في صدري حتى ما أستطيعُ أنْ أنظُرَ إليها، لأنَّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَها، فولَّيتُها ظَهري، ونَكَصْتُ على عَقِبَي، وقلتُ: يا زينبُ، أرسَلَنِي رسولُ الله ﷺ يذكُرُكِ، قالت: ما أنا بصَانِعةٍ شيئاً حتى أُؤامِرَ[1] ربِّي، فقامت إلى مسجِدِها، ونَزلَ القرآنُ، وجاء رسولُ الله ﷺ فدخل عليها بغيرِ إذْنٍ.

وذَكرَ أهلُ العلمِ أنَّ مِنْ خصائص رسولِ الله ﷺ أنه أُجيزَ له التَّزويجُ بغير مَهْرٍ ليَخلُصَ قَصْدُ

[١١٤٥] جيد. أخرجه أبو داود ٢٦٨٣ و ٤٣٥٩ والنسائي ٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦ والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ وابن أبي شيبة ١٤/ ٤٩١ ـ ٤٩٢ وأبو يعلى ٧٥٧ والبزار ١٨٢١ والدارقطني ٣/ ٥٩، والحاكم ٣/ ٤٥ والبيهقي ٧/ ٤٠ وفي «دلائل النبوة» ٥/ ٥٩ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٧٠ ـ ٧١ من طرق عن أحمد بن المفضل به، جميعهم من حديث سعد بن أبي وقاص. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي؛ وهو حديث حسن. وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ١٦٨ ـ ١٦٩: ورواه أبو داود وغيره باختصار، ورواه أبو يعلى والبزار ورجالهما ثقات! وفي الباب عن أنس: أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٦٠ ـ ٦١، وفيه الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨ ونسبه إلى الطبراني في «الأوسط» وأعله بالحكم بن عبد الملك. وعن سعيد بن المسيب مرسلاً، أخرجه ابن سعد ٢/ ١٤١ من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عنه.

[١١٤٦] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٢٨ والنسائي في «التفسير» ٤٣٠ والنسائي ٦/ ٧٩ وأحمد ٣/ ١٩٥ وأبو يعلى ٣٣٣٢ وابن سعد ٨/ ٨٢ من حديث أنس. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٠٠٣ بتخريجنا.

---

(١) أوامِر ربي: أستشيره وأستخيره.

زوجاتِه لله عزَّ وجل دونَ العِوَضِ، وليُخفِّفَ عنه، وأُجيزَ له التَّزويجُ بغيرِ وَليٍّ، لأنه مقطوعٌ بكفاءَتِه، وكذلك هو مُستَغنٍ في نِكاحِه عن الشُّهودِ.

[١١٤٧] وكانت زينبُ تُفاخِرُ نساءَ النبيِّ ﷺ وتقول: زوَّجكُنَّ أهلوكُنَّ وزوَّجني اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ قال قَتادةُ: فيما أَحلَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ له مِنَ النساء. قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ هي منصوبةٌ على المَصدرِ، لأنَّ معنى ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾: سَنَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ سُنَّةً واسعةً لا حَرَجَ فيها. والذين خَلَوا: هم النبيُّون؛ فالمعنى: أنَّ سُنَّةَ الله عزَّ وجل في التَّوسِعة على محمَّدٍ فيما فرضَ له، كَسُنَّتِه في الأنبياء المَاضِين. قال ابنُ السَّائِب: هكذا سُنَّةُ اللَّهِ في الأنبياء، كداودَ، فإنه كان له مائةُ امرأةٍ، وسليمانَ كان له سبعمائةِ امرأةٍ وثلاثمائةِ سُرِّيَّةٍ[(١)]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي: قضاءً مَقضِيًّا. وقال ابنُ قُتيبة: «سُنَّةَ الله في الذين خَلَوا» معناه: لا حَرَجَ على أحدٍ فيما لم يَحرُمْ عليه. ثم أثنى اللَّهُ تعالى على الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: لا يخافون لائِمَةَ الناس وقولَهم فيما أُحِلَّ لهم. وباقي الآية قد تقدَّمَ بيانُه[(٢)].

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قال المُفسِّرون:

[١١٤٨] لمَّا تزوَّج رسولُ الله ﷺ زينبَ، قال الناسُ: إنَّ محمَّداً قد تزوَّج امرأةَ ابنِه، فنزلت هذه الآية. والمعنى: ليس بأَبٍ لزيدٍ فَتَحرُمَ عليه زوجتُه ﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: مَن نَصبَهُ،

[١١٤٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٨٧ و ٧٤٢٠ و ٧٤٢١ والترمذي ٣٢١٢ و ٣٢١٣ والحاكم ٢/ ٤١٧ وأحمد ٣/ ١٥٠ والبيهقي ٧/ ١٦١ من حديث أنس رضي الله عنه.
ـ وهو عند مسلم ١٤٢٨ ح ٩٠ في إحدى الروايات دون باقي الروايات، عن أنس رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك» قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه. قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات. واللفظ للبخاري.

[١١٤٨] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٠٧ من طريق داود بن الزبرقان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مطوّلاً. وإسناده ضعيف جداً له علتان: الأولى: داود بن الزبرقان متروك الحديث. الثانية: الشعبي، وهو عامر بن شراحيل عن عائشة منقطع. وضعفه الترمذي بقوله: غريب.
ـ قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٠٦: وقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ نهى أن يقال بعد هذا «زيد بن محمد» أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه ولد له القاسم، والطيب، والطاهر، من خديجة فماتوا صغاراً وولد له إبراهيم من مارية القبطيّة، فمات أيضاً رضيعاً. وكان له من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية وأم كلثوم، =

---

(١) عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو ممن يروي الإسرائيليات، فالله تعالى أعلم.
(٢) النساء: ٦.

فالمعنى: ولكنْ كانَ رسولَ الله عليه السلام، وكان خاتَمَ النَّبيِّين؛ ومَنْ رَفعَهُ، فالمعنى: ولكنْ هو رسولُ الله عليه السلام؛ ومَنْ قرأ: «خاتِمَ» بكسرِ التاء، فمعناه: وخَتَمَ النَّبيِّين؛ ومَنْ فَتَحَها، فالمعنى: آخِر النَّبيِّين. قال ابنُ عباسٍ: يريد: لو لم أختِمْ به النَّبيِّين، لَجَعلتُ له وَلَداً يكون بعدَهُ نبيًّا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قال مُجاهِدٌ: هو أنْ لا تنساهُ أبداً. وقال ابنُ السَّائبِ: يُقال: «ذِكْراً كثيراً» بالصَّلواتِ الخَمسِ. وقال مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ: هو التسبيحُ والتحميدُ والتهليلُ والتكبيرُ على كلِّ حالٍ. وقد روى أبو هُريرةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[١١٤٩] «يقول ربُّكم: أنا معَ عبدي ما ذَكَرني وتحرَّكَتْ بي شَفتاهُ».

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الأصيل: ما بينَ العَصرِ إلى الليل. وللمُفسِّرين في هذا التسبيحِ قولان: **أحدهما**: أنه الصَّلاةُ، واتَّفقَ أربابُ هذا القول على أن المراد بالتسبيحِ بُكْرَةً: صلاةُ الفجرِ. واختلفوا في صلاةِ الأصِيلِ على ثلاثةِ أقوالٍ: أحدها: أنها صلاةُ العَصرِ، قاله أبو العَاليةِ، وقَتادةُ. والثاني: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب. الثالث: أنها الظُّهرُ والعَصرُ، قاله مُقاتِلٌ. **والقول الثاني**: أنه التسبيحُ باللسان، وهو قول: سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلاّ اللهُ واللهُ أكبرُ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ في صلاةِ الله تعالى علينا خَمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها رَحمَتُه، قاله الحَسنُ. **والثاني**: مَغفِرتُهُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: ثَناؤهُ، قاله أبو العَاليةِ. **والرابع**: كرامَتُه، قاله سُفيانُ. **والخامس**: بَركَتُه، قاله أبو عُبيدَةَ. وفي صلاةِ الملائكةِ قولان: **أحدهما**: أنها دُعاؤهُم، قاله أبو العَاليةِ. **والثاني**: استغفارُهُم، قاله مُقاتِلٌ. وفي الظُّلُماتِ والنُّورِ ههنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الضَّلالةُ والهُدى، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: الإيمانُ والكُفرُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الجنَّةُ والنارُ، حكاه المَاورِدي.

قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ الهاءُ والميمُ كنايةٌ عن المؤمنين. فأمَّا الهاءُ في قوله تعالى: ﴿يَلْقَوْنَهُۥ﴾ ففيها قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ معناه تحيَّتُهم مِنَ الله يومَ يَلْقَونَهُ سلامٌ[١].

= وفاطمة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتى أصيبت به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثم ماتت بعده بستة أشهر اهـ.

[١١٤٩] جيد، أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص ٨٧ وابن ماجه ٣٧٩٢ وأحمد ٢/ ٥٤٠ والحاكم ١/ ٤٩٦ والبغوي في «التفسير» ١٠٤ كلهم من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن صحيح.

---

(١) هذا ما اختاره ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦١٠، ثم قال: وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيي بعضهم

[١١٥٠] روى صُهَيبٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّ الله تعالى يُسلِّم على أهل الجنَّةِ. والثاني: تحيَّتُهم مِنَ الملائكة يومَ يَلْقون الله تعالى: سلامٌ، قاله مُقاتِلٌ. وقال أبو حمزةَ الثُّماليُّ: تُسلِّم عليهم الملائكةُ يومَ القيامة، وتُبشِّرهم حين يَخرجون مِنْ قُبورِهم. والثالث: تحيَّتُهم بينهم يومَ يَلْقونَ ربَّهم: سلامٌ، وهو أنْ يُحيّي بعضُهم بعضاً بالسَّلام، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

والقول الثاني: أنَّ الهاءَ ترجعُ إلى مَلَكِ الموتِ، وقد سبق ذِكْرُه في ذِكْرِ الملائكة. قال ابنُ مسعودٍ: إذا جاء مَلَكُ الموت يَقبِضُ رُوحَ المؤمن قال له: ربُّكَ يُقرِئُكَ السَّلامَ. وقال البَراءُ بنُ عازِبٍ في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ قال: مَلَكُ الموتِ، ليس مؤمنٌ يَقبِضُ رُوحَهُ إلاَّ سَلَّم عليه. فأمَّا الأجرُ الكريمُ، فهو الحُسنُ في الجنَّةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي: على أُمَّتِكَ بالبَلاغ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنَّةِ لِمَنْ صَدَّقكَ ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: مُنذراً بالنارِ لِمَنْ كذَّبكَ، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى توحيدِه وطاعتِه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمرِه، لا أنكَ فعلْتَهُ مِن تلقاءِ نفسِكَ ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: أنتَ لِمَن اتَّبعكَ «سِراجاً»، أي: كالسّراجِ المُضِيءِ في الظُّلمَةِ يُهتَدى به.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ وهو الجنَّةُ.

[١١٥١] قال جابرُ بنُ عبدِ الله: لـمَّا أُنزلَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآياتُ، قالت

[١١٥٠] لم أقف عليه من حديث صهيب، ولا يصح، وإنما حديث صهيب فيه إثبات الرؤية دون السلام كذا أخرجه مسلم ١٨١ وغيره، وتقدم في سورة يونس.
وورد ما ذكره المصنف من حديث جابر بن عبد الله، وهو ضعيف. أخرجه ابن ماجه ١٨٤ والآجري في «الشريعة» ٦٢٦ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٥١٧ من طريق محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وإسناده ضعيف. وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٩١ والبيهقي في «البعث» ٤٩٣ من طريق العبّاداني به. وقال البوصيري في «الزوائد» أبو عاصم العبّاداني منكر الحديث قاله العقيلي. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٨ وقال: رواه البزار، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو ضعيف.

[١١٥١] لم أره مسنداً من حديث جابر، وتفرد المصنف بذكره، فهو لا شيء، وأصل الخبر صحيح دون ذكر نزول الآية، فقد ورد من حديث أنس بن مالك وليس فيه سبب نزول الآية في الأحزاب. أخرجه البخاري ٤١٧٢ و ٤٨٣٤ وأحمد ٣/ ١٧٣ من طريق شعبة. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ وأحمد ٣/ ١٢٢ و ١٣٤ والطبري ٣١٤٥٤ من طريقين عن همام به. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ والبيهقي ٥/ ٢١٧ من طريق شيبان. وأخرجه الترمذي ٣٢٦٣ وأحمد ٣/ ١٩٧ من طريق معمر. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ والطبري ٣١٤٥٢ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣ من طريق سليمان بن طرخان. وأخرجه الطبري ٣١٤٥٣ من طريق سعيد بن أبي عروبة. كلهم عن قتادة =

بعضاً بالسلام، يوم يلقون الله في الدار الآخرة، واختاره ابن جرير. قلت: وقد يستدل بقوله تعالى: **﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾**.

الصَّحابةُ: هَنيئاً لكَ يا رسولَ الله، فمَا لَنا؟ فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قد سبقَ في أوّلِ السُّورةِ. قوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ قال العلماء: معناه لا تُجازِهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في كفايةِ شرّهم؛ وهذا مَنسوخٌ بآية السَّيفِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قال الزَّجّاجُ: معنى «نَكَحْتُم» تزوَّجتُم[1]. ومعنى «تَمَسُّوهنَّ» تَقربُوهن. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «تُمَاسُوهُنَّ» بألِفٍ. قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ أجمع العلماءُ أنه إذا كان الطَّلاقُ قبلَ المَسيسِ والخَلوةِ فلا عِدَّةَ[2]؛ وعندنا أنَّ الخلوةَ تُوجِبُ العِدَّة

= به. وأخرجه ابن حبان ٣٧١ من طريق سفيان عن الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ قال: الحديبية. قال أصحابه: هنيئاً مريئاً فما لنا! فأنزل الله ﴿**ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ قال شعبة: فقدمت الكوفة فحدثت بهذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكر له فقال: أما ﴿**إنا فتحنا لك**﴾ فعن أنس، وأما هنيئاً مريئاً فعن عكرمة. وحديث عكرمة أخرجه الطبري ٣١٤٥٧ من طريق شعبة عن قتادة به. وليس فيه سبب نزول الآية في الأحزاب. وقد عزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٣ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه عن عكرمة. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٩٠٢ وعزاه إلى ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري وفيه سبب نزول الآية في الأحزاب... وبرقم ٩٠٣ وعزاه إلى البيهقي في «دلائل النبوة» عن الربيع بن أنس بنحوه.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦١١: هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة، منها: إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها.
وقوله ﴿**المؤمنات**﴾ خرج مخرج الغالب، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٦١٢: وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء إذا طلّقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً.
وقال الإمام الموفق في «المغني» ٩/ ٥٣٣: فأما الخلوة بالمرأة، فالصحيح أنها لا تنشر حرمة. وقد روي عن أحمد: إذا خلا بالمرأة، وجب الصّداق والعدة، ولا يحل له أن يتزوج أمها أو ابنتها. قال القاضي: هذا محمول على أنه حصل مع الخلوة الجماع، فيخرّج كلامه بقوله: لا يحرّمه شيء من ذلك إلا الجماع. وفي رواية عن أحمد. فأما تحريم أمها فبمجرد العقد، وأما تحريم ابنتها فبالدخول وقوله تعالى: ﴿**فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم**﴾ فأما مع خلّوه من ذلك، فلا يؤثر في تحريم الربيبة لما في ذلك من مخالفة قوله تعالى. وأما الخلوة بأجنبية. فلا تنشر تحريماً. لا نعلم في ذلك خلافاً.
وجاء في «المغني» ١١/ ١٩٧: العدة تجب على كل من خلا بها زوجها، وإن لم يمسها. وإن خلا بها ولم يصبها ثم طلّقها، فإن مذهب أحمد وجوب العدة عليها. وروي ذلك عن الخلفاء الراشدين، وزيد، وابن عمر وأصحاب الرأي والشافعي في القديم. وقال الشافعي في الجديد: لا عدّة عليها، لهذه الآية وهذا نص. ولأنها مطلقة لم تمس، فأشبهت من لم يخل بها. ولنا، إجماع الصحابة. فإنه من أرخى ستراً أو أغلق باباً، فقد وجب المهر، ووجبت العدة. وهذه قضايا اشتهرت ولم تنكر فصارت إجماعاً. وقد روي عن أحمد، أن الصداق لا يكمل مع وجود المانع، فكذلك يخرّج في العدة. لأن الخلوة إنما إقيمت مقام المسيس، لأنها مظنة له، ومع المانع لا تتحقق المظنة. ولأن العدة تجب لبراءة الرحم. وأجمع أهل العلم على أن عدة الحرة =

وتُقرّر الصَّداقَ، خلافاً للشَّافعيِّ رضيَ الله عنه. قوله تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ المراد به مَنْ لم يُسمّ لها مَهراً، لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[(١)]، وقد بيَّنَّا المُتعةَ هنالك. وكان سعيدُ بنُ المُسيِّبِ وقَتادةُ يقولان: هذه الآيةُ منسُوخةٌ بقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[(٢)]. قوله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: مِنْ غيرِ إضرارٍ. وقال قَتادةُ: هو طلاقُها طاهراً مِنْ غيرِ جِماعٍ. وقال القاضي أبو يَعلَى: الأظهَرُ أنَّ هذا التسريحَ ليس بطلاقٍ، لأنه قد ذَكرَ الطَّلاقَ، وإنما هو بيان أنَّه لا سبيلَ له عليها، وأنَّ عليه تخليَتَها مِنْ يدِه وحِبالِه.

فصل: واختلف العلماء فيمَنْ قال: إنْ تزوَّجتُ فُلانةَ فهي طالِقٌ، ثم تزوَّجها؛ فعندنا أنها لا تَطلُقُ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ، وعائشةَ، والشَّافعيِّ، واستدلَّ أصحابُنا بهذه الآية، وأنه جَعلَ الطَّلاقَ بَعدَ النِّكاحِ. وقال سِماكُ بنُ الفَضلِ: النِّكاحُ عُقدةٌ، والطَّلاقُ يَحُلُّها، فكيف يَحلُّ عقدةً لم تُعقَدْ؟! فجُعِلَ بهذه الكلمة قاضياً على «صَنعاءَ». وقال أبو حَنيفَةَ: يَنعقِدُ الطَّلاقُ، فإذا وُجِدَ النِّكاحُ وقعَ. وقال مالكٌ: ينعَقِدُ ذلك في خُصوصِ النساء، وهو إذا كان في امرأةٍ بعَيْنِها، ولا يَنعقِدُ في عُمومِهنَّ. فأما إذا قال: إنْ ملَكتُ فُلاناً فهو حُرٌّ، ففيه عن أحمدَ رِوايتان[(٣)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ

= المسلمة غير ذات الحمل من وفاة زوجها أربعة أشهر وعشر، مدخولاً بها أو غير مدخول بها، سواء كانت كبيرة بالغة أو صغيرة لم تبلغ.

(١) البقرة: ٢٣٦. (٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) قال الإمام الموفق في «المغني» ٣/ ٤٨٨: وإذا قال: إن تزوجت فلانة، فهي طالق. لم تطلق إن تزوج بها، وإن قال: إن ملكت فلاناً فهو حرّ، فملكه صار حراً واختلفت الرواية عن أحمد، فعنه: لا يقع طلاق. روي هذا عن ابن عباس. وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء، والحسن، وعروة، وجابر بن زيد، والشافعي، قال: وهو قول أكثر أهل العلم لما روي عن رسول الله ﷺ قال: «لا نذر لابن آدم فيما لا يملك ولا عتق فيما لا يملك، ولا طلاق لابن آدم فيما لا يملك». قال الترمذي: وهذا حديث حسن.
قال أحمد: هذا عن النبي ﷺ وعدةٍ من الصحابة. ولم نعرف لهم مخالفاً في عصرهم، فيكون إجماعاً.
والرواية الثانية عن أحمد: أنه يصح في العتق ولا يصح في الطلاق.
ـ وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٣/ ١٨٠: استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿ثم طلقتموهن﴾ وبمهلة ثمّ على أن الطلاق لا يكون إلا بعد نكاح، وأن من طلّق المرأة قبل نكاحها وإن عينها، فإن ذلك لا يلزمه. وقال هذا نيف على ثلاثين من صاحب وتابع وإمام. سمى الإمام البخاري منهم اثنين وعشرين. وقد روي عن النبي ﷺ: «لا طلاق قبل نكاح» ومعناه: أن الطلاق لا يقع حتى يحصل النكاح. وقال طائفة من أهل العلم: إن طلاق المعيّنة الشخص أو القبيلة أو البلد لازم قبل النكاح، منهم مالك وجميع أصحابه، وجمع عظيم من علماء الأمة. وإن قال: كل امرأة أتزوجها طالق وكل عبد أشتريه حرّ، لم يلزمه شيء.

أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ ذكَر الله تعالى أنواعَ الأنكحةِ التي أحلَّها له، فقال: ﴿أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مُهورَهُنَّ، وهُنَّ اللَّواتي تزوَّجْتَهُنَّ بصَداقٍ ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الجَوارِي ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: ردَّهُ عليك مِنَ الكفَّارِ، كَصفيَّةَ وجُويرية، فإنه أعتقَهما وتزوَّجَهُما ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ يعني نساءُ قُريشٍ ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ يعني نساءَ بَني زُهْرةَ ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة. قال القاضي أبو يَعلَى: وظاهر هذا يدلُّ على أنَّ مَنْ لم تُهاجرْ معه مِنَ النساء لم يَحلَّ له نِكاحُها.

[١١٥٢] وقالت أُمُّ هانئ: خَطَبني رسولُ الله ﷺ فاعتذرتُ إليه بعُذرٍ، ثم أنزلَ الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، قالت: فلم أكُنْ لأحِلَّ له، لأنّي لم أُهاجِرْ معه، كنتُ مِنَ الطُّلَقاءِ؛ وهذا يدلُّ مِن مذهبِها أنَّ تخصيصَهُ بالمُهاجراتِ قد أوجَبَ حظْرَ مَنْ لم تُهاجِرْ.

وذكَرَ بعضُ المُفسِّرين: أنَّ شرطَ الهجرة في التَّحليلِ مَنسُوخٌ، ولم يُذكَرْ ناسِخُه. وحكى الماوَردي في ذلك قولين: **أحدهما**: أنَّ الهجرةَ شرطٌ في إحلالِ النساء له على الإطلاق. **والثاني**: أنه شَرطٌ في إحلالِ قراباته المذكُوراتِ في الآية دونَ الأجنبيَّاتِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ أي: وأحلَلْنا لكَ امرأةً مؤمنةً ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا﴾ لكَ، ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ أي: إنْ آثرَ نِكاحَها ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ أي: خاصَّةً. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قال: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾، ولم يَقُلْ: «لك»، لأنه لو قال: «لك»، جازَ أنْ يُتوهَّمَ أنَّ ذلك يجوز لغيرِ رسولِ الله ﷺ كما جازَ في بناتِ العَمّ وبناتِ العَمَّاتِ. و«خالِصَةً» منصوبٌ على الحالِ. وللمفسِّرين في معنى «خالصةً» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المرأةَ إذا وَهبتْ له نَفسَها، لم يَلزَمْهُ صَداقُها دونَ غيرِه مِنَ المؤمنين، قاله أنسُ بنُ مالكٍ، وسعيدُ بنُ المُسيَّبِ. **والثاني**: أنَّ له أنْ يَنكِحَها بِلاَ وليٍّ ولا مَهرٍ دونَ غيرِه، قاله

[١١٥٢] صدره صحيح، له شواهد، وعجزه ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢١٤ وابن سعد ٨/ ١٢١ والحاكم ٢/ ١٨٥ ـ ٢٢٤ و ٤/ ٥٣ والطبري ٢٨٥٤٦ والبيهقي ٧/ ٥٤ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦١٣ من طرق عن إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ به. وإسناده ضعيف جداً لأجل أبي صالح واسمه باذام، فقد ضعفه غير واحد، واتهمه بعضهم بالكذب. وصدر الحديث محفوظ، وهو كون النبي ﷺ خطبها، والوهن فقط في ذكره الآية وكلام أم هانئ عقب الحديث، حيث تفرّد بذلك أبو صالح. والحديث ضعفه ابن العربي جداً، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: حسن صحيح!! قلت: وصدره محفوظ، أخرجه مسلم ٢٥٢٧ وعبد الرزاق ٢٠٦٠٣ وأحمد ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٥ وابن حبان ٦٢٦٨ من طريق معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني قد كبرت، ولي عيال، فقال رسول الله ﷺ «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده». وورد من مرسل الشعبي أخرجه ابن سعد ٨/ ١٢٠، وكرره من مرسل أبي نوفل.
الخلاصة: تبين من ذلك أن صدر الحديث محفوظ، والوهن فقط في عجزه. ولم يفرق الألباني في ذلك حيث أورد الحديث في «ضعيف سنن الترمذي» ٦٣٠، وقال: إسناده ضعيف جداً؟!!

قَتادَةُ. **والثالث**: خالِصَةً لكَ أنْ تملِكَ عقدَ نكَاحِها بلَفظِ الهِبَةِ دُونَ المؤمنين، وهذا قولُ الشَّافعيِّ، وأحمدَ.

وفي المرأةِ التي وَهبَتْ له نَفْسَها أقوالٌ:

[١١٥٣] **أحدها**: أُمُّ شَرِيكٍ.

[١١٥٤] **والثاني**: خَولَةُ بنتُ حكيمٍ.

[١١٥٥] ولم يدخل بواحدةٍ منهما.

[١١٥٦] وذكروا أنَّ ليلى بنتَ الخطيم وَهبَتْ نَفْسَها له فلم يَقبَلْها. قال ابنُ عباسٍ: لم يكُنْ عندَ رسولِ الله ﷺ امرأةٌ وَهبَتْ نَفْسَها له. وقد حُكي عن ابنِ عباسٍ أنَّ التي وَهبَتْ نفسَها له مَيمونَةُ بنتُ الحارثِ، وعن الشَّعْبِيِّ: أنها زينبُ بنتُ خُزيمَةَ. والأول: أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين غيركَ ﴿فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنْ لا يُجاوزَ الرجلُ أربعَ نسوةٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنْ لا يتزوَّجَ الرجلُ المرأةَ إلاَّ بوَليٍّ وشاهِدَين وصَداقٍ، قاله قَتادَةُ. قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: وما أبَحْنا لهم مِنْ مَلْكِ اليَمين مع الأربعِ الحَرائرِ مِنْ غيرِ عددٍ محصورٍ.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ هذا فيه تقديمٌ؛ المعنى: أحلَلْنا لكَ أزواجَكَ، إلى قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «تُرْجِئ» مهموزاً؛ وقرأ نافعٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: بغيرِ همزٍ.

[١١٥٧] وسببُ نُزُولِها أنه لمَّا نزلت آيةُ التَّخييرِ المُتقدِّمةُ(١)، أشفَقنَ أنْ يُطلِّقَنَ، فقُلنَ: يا

[١١٥٣] مرسل. أخرجه الطبري ٢٨٥٦٠ عن عروة مرسلاً. وأخرجه الطبري ٢٨٥٥٧ عن الحكم أن علي بن الحسين كتب إلى عبد الملك قال: هي امرأة من الأسد يقال لها أم شريك، وهبت نفسها للنبي ﷺ. وانظر «الدر» ٥/ ٣٩٥.

[١١٥٤] خبر صحيح. أخرجه البخاري ٥١١٣ من طريق محمد بن سالم. وأخرجه البخاري ٤٧٨٨ ومسلم ١٤٦٤ والنسائي ٦/ ٥٤ وابن ماجه ٢٠٠٠ وأحمد ٦/ ١٨٥ والحاكم ٢/ ٤٣٦ وابن حبان ٦٣٦٧ والطبري ٢٨٥٧٤ والبغوي في «شرح السنة» ٢٢٦٢ من طرق عن هشام به. كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل! فلما نزلت: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. لفظ البخاري في الرواية الأولى.

[١١٥٥] ضعيف. أخرجه ابن سعد ٨/ ١١٩ عن ابن أبي عون مرسلاً قال: فلم يُسمع أن النبي ﷺ قبل منهن أحداً.

[١١٥٦] أخرجه ابن سعد ٨/ ١١٩ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط لأجل الكلبي، فإنه متهم. وأخرجه ابن سعد ٨/ ١١٩ عن قتادة مرسلاً. وذكره ابن سعد ٨/ ٢٥٥ في ترجمة ليلى بنت الخطيم بدون عزو لأحد.

[١١٥٧] ضعيف. أخرجه ابن سعد ٨/ ١٥٨ والطبري ٢٨٥٦٧ و ٢٨٥٦٩ و ٢٨٥٧٢ من طريق منصور عن أبي رزين =

---

(١) الأحزاب: ٢٨.

نبيَّ الله، اجعَلْ لنا مِنْ مالِكَ ونفسِكَ ما شئتَ ودَعْنا على حالِنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو رَزِين.

وفي معنى الآيةِ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: تُطلِّق مَنْ تشاء مِنْ نسائِكَ، وتُمسِكُ مَنْ تشاء مِنْ نسائِكَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تَترُكُ نِكاحَ مَنْ تشاء، وتَنْكِحُ مِنْ نساءِ أُمَّتِكَ مَنْ تشاء، قاله الحسَنُ. **والثالث**: تَعزِلُ مَنْ شِئتَ مِنْ أزواجِكَ فلا تأتيها بغيرِ طلاقٍ، وتأتي مَنْ تشاء فلا تَعزِلُها. قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: تَقبَلُ مَنْ تشاء مِنَ المؤمنات اللواتي يَهَبْنَ أنفُسَهنَّ، وتترُكُ مَنْ تشاء، قاله الشَّعْبيُّ، وعِكرمَةُ. وأكثرُ العلماء على أنَّ هذه الآيةَ نزلت مُبيحةً لرسولِ الله ﷺ مُصاحَبةَ نسائِه كيف شاءَ مِنْ غيرِ إيجابِ القِسْمَةِ عليه والتَّسويةِ بينهنَّ. غير أنه كان يسوّي بينهن. وقال الزُّهري: ما عَلِمْنا رسولَ الله ﷺ أرْجَأ منهنَّ أحداً، ولقد آواهنَّ كلَّهنَّ حتى مات.

[١١٥٨] وقال أبو رَزِين: آوى عائشةَ، وأُمَّ سَلَمَةَ، وحَفْصَةَ، وزينبَ، وكان قَسْمُه مِنْ نَفْسِه ومالِه فيهنَّ سواءً. وأرْجَأ سَوْدَةَ، وجُوَيرِيَّةَ، وصَفِيَّةَ، وأُمَّ حَبِيبةَ، ومَيمُونَةَ، وكان يَقْسِم لهنَّ ما شاءَ. وكان أراد فِراقهنَّ فقُلنَ: اقْسِمْ لنا ما شِئتَ، ودَعْنا على حالِنا.

[١١٥٩] وقال قومٌ: إنه أرجأ سَوْدَةَ وحدَها لأنها وَهبَتْ يومَها لعائشةَ، فتُوفِّي وهو يَقْسِمُ لِثمانٍ.

قوله تعالى: ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ أي: تَضمُّ، ﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ أي: إذا أردتَ أنْ تُؤوي إليكَ امرأةً مِمَّن عَزَلتَ مِنَ القِسمَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ أي: لا مَيلَ عليكَ بلَوْم ولا عَتْبٍ ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ أي: ذلك التَّخييرُ الذي خيَّرناكَ في صُحبتهنَّ أقربُ إلى رِضاهنَّ. والمعنى: إنهنَّ اذا عَلِمنَ أنَّ هذا أمرٌ مِنَ الله تعالى، كان أطيبَ لأنفُسهنَّ. وقرأ ابنُ مُحَيصِن، وأبو عِمرانَ الجَوْني: «أن تُقِرَّ» بضمِّ التاء وكَسرِ القاف «أعينَهنَّ» بنَصبِ النون. ﴿وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ﴾ أي: بما أعطيتَهُنَّ مِن تقريبٍ وتأخيرٍ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ مِنَ المَيْلِ إلى بعضِهنَّ. والمعنى: إنما خيَّرناكَ تسهيلاً عليكَ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ كلُّهم قرأ: «لا يَحِلُّ» بالياء، غيرَ أبي عمروٍ، فإنه قرأ بالتاء؛ والتأنيثُ ليس بحقيقيٍ، إنما هو تأنيثُ الجمع، فالقراءتانِ حسَنَتانِ. وفي قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ ثلاثةُ

= به، وهذا مرسل، فهو ضعيف. وأخرجه ابن سعد ٨/١٥٨ والطحاوي في «المشكل» ١/٤٥٦ عن مغيرة عن أبي رزين به أبو رزين هو مسعود بن مالك الأسدي، ـ أسد خزيمة ـ تابعي كبير.

[١١٥٨] انظر الحديث الذي قبله.

[١١٥٩] لم أره بهذا اللفظ، وخبر سودة دون ذكر هذه الآية. أخرجه الترمذي ٣٠٤٠ والطبري ١٠٦١٣ من حديث ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل فنزلت: **﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا...﴾** النساء: ١٢٨. قال الترمذي: هذا حديث غريب اهـ. وله شاهد من حديث عائشة أخرجه أبو داود ٢١٣٥ والبيهقي ٧/٤٧ وإسناده حسن صححه الحاكم ٢/١٨٦ ووافقه الذهبي، وليس فيه ذكر الآية. وعند أبي داود ٢١٣٨ من حديث عائشة «...وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها».

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٣١٥: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أصلهن له من يشاء، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله، عندما نزلت الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن.

أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ بعد نسائِكَ اللواتي خيرتَهُنَّ فاخترنَ الله تعالى ورسولَه، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وقَتادةُ في آخرين، وهُنَّ التسعُ، فصارَ مقصُوراً عليهنَّ مَمنُوعاً مِنْ غيرهنَّ. وذكر أهلُ العِلْمِ أنَّ طلاقَهُ لحَفصَةَ وعَزْمَهُ على طلاقِ سَوْدةَ كان قبلَ التَّخييرِ. **والثاني**: مِنْ بعد الذي أحلَلْنا لكَ، فكانت الإباحة بعد نسائِه مقصورةً على المَذكورِ في قوله تعالى: «إنا أحللنا لك أزواجك» إلى قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾؛ قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: لا تَحِلُّ لكَ النساءُ غيرُ المُسْلِماتِ كاليَهوديَّاتِ والنَّصرانيَّاتِ والمُشركاتِ، وتَحِلُّ لكَ المسلماتُ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ تُطلِّقَ زوجاتِكَ وتستبدِلَ بهنَّ سِواهنَّ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنْ تُبدِلَ بالمسلماتِ المُشركاتِ، قاله مُجاهِدٌ في آخرين.

[١١٦٠] **والثالث**: أنْ تُعطيَ الرجلَ زوجتَكَ وتأخذَ زوجتَهُ، وهذه كانت عادةً للجاهلية، قاله أبو هُريرَةَ، وابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإمَاءَ. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: إلاَّ أنْ تَملكَ بالسَّبْي، فيَحِلّ لكَ وَطْؤها وإنْ كانت مِنْ غيرِ الصّنفِ الذي أحلَلْتُه لكَ؛ وإلى هذا أومأَ أُبيُّ بنُ كَعبٍ في آخَرين. **والثاني**: إلاَّ أنْ تُصيبَ يهوديَّةً أو نَصرانيَّةً فتطأها بمِلْكِ اليَمينِ، قاله ابنُ عباسٍ ومجاهد. **والثالث**: إلاّ أنْ تُبدّلَ أمَتَكَ بأمَة غيرِكَ، قاله ابنُ زيدٍ.

قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وهذه الأقوالُ جائزةٌ، إلاَّ أنَّا لا نعلَمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ نكحَ يهوديةً ولا نصرانيةً بتزويجٍ ولا مَلْكِ يمينٍ.

[١١٦١] ولقد سَبى رَيحانَةَ القُرَظيَّةَ فلم يَدْنُ منها حتى أسلَمَتْ.

فصل: واختلف علماءُ الناسخِ والمَنسُوخِ في هذه الآيَة على قولين:

أحدهما: أنها مَنسُوخَةٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾، وهذا مَرويٌّ عن عليّ، وابنِ عباسٍ، وعائشةَ، وأمِّ سَلمَةَ، وعليِّ بنِ الحُسينِ، والضَّحَّاكِ.

[١١٦٢] وقالت عائشةُ: ما مات رسولُ الله ﷺ حتى أُحِلَّ له النساءُ، قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي:

[١١٦٠] باطل. هو صدر حديث. أخرجه البزار ٢٢٥١ «كشف» والدارقطني ٣/ ٢١٨ من حديث أبي هريرة، وفيه إسحق بن أبي فروة متروك الحديث. واتهمه الزهري، وهذا الحديث مما صنعت يداه، وهو باطل لا أصل له، وضعفه البزار جداً بقوله: إسحق لين الحديث، ولا نحفظه إلا عنه. ووافقه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٦١٨. ونقل الآبادي عن الحافظ في «الفتح» قوله: ضعيف جداً اهـ. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٠٢٣.

[١١٦١] ضعيف. أخرجه ابن سعد ٨/ ١٠٢ ـ ١٠٣ عن عمر بن الحكم مرسلاً.

[١١٦٢] ورد عن عائشة وعن أم سلمة. أما حديث عائشة فأخرجه الترمذي ٣٢١٦ والنسائي ٦/ ٥٦ وأحمد ٦/ ٤١ والحميدي ٢٣٥ وابن سعد ٨/ ١٤٠ والبيهقي ٧/ ٥٤ من طريق عمرو بن دينار عن عطاء عن عائشة، ورجاله رجال الشيخين فالإسناد صحيح إذا كان عطاء سمعه من عائشة، والظاهر أنه لم يسمعه منها كما سيأتي. وأخرجه الطبري ٢٨٥٩٤ من طريق ابن جريج عن عطاء عن عائشة. وأخرجه أحمد ٦/ ١٨٠ ـ ٢٠١ والنسائي ٦/ ٥٦ وفي «التفسير» ٤٣٥ وابن سعد ٨/ ١٤١ والطحاوي في «المشكل» ٥٢٢ وابن حبان ٦٣٦٦ والطبري ٢٨٥٩٨ والبيهقي ٧/ ٥٤ من طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به. ورجاله رجال البخاري ومسلم، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن سعد ٨/ ١٤٠ من طريق عطاء ومحمد بن =

يعني نساءَ جميع القبائل مِنَ المُهاجِراتِ وغيرِ المُهاجِراتِ.

والقول الثاني: أنها مُحكَمَةٌ؛ ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى أثابَ نساءَهُ حين اختَرنَهُ بأنْ قَصَرهُ عليهنَّ، فلم يُحِلَّ له غيرَهنَّ، ولم يُنسَخ هذا، قاله الحسَنُ وابنُ سِيرِينَ وأبو أُمامَةَ بنُ سَهلٍ وأبو بكرِ بنُ عبد الرَّحمنِ بنِ الحارثِ. **والثاني**: أنَّ المراد بالنساءِ هاهنا: الكافراتُ، ولم يَجُز له أنْ يتزوَّجَ كافرةً، قاله مُجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وعِكرمَةُ وجابرُ بنُ زيدٍ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية. في سبب نُزولِها ستةُ أقوالٍ:

[١١٦٣] **الأول**: أخرَجاه في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا تزوَّجَ زينبَ بنتَ جَحشٍ دَعا القومَ، فطَعِمُوا ثم جلسوا يتحدَّثون، فأخذَ كأنَّه يتهيَّأُ للقيام، فلم يَقُوموا، فلَما رأى ذلك قامَ وقامَ مِنَ القوم مَنْ قامَ، وقَعدَ ثلاثةٌ، فجاءَ رسولُ الله ﷺ فدخلَ فإذا القومُ جلوسٌ، فرجعَ، وإنَّهم قاموا فانطَلَقُوا، وجِئتُ فأخبرتُ النبيَّ ﷺ أنَّهم قد انطَلَقُوا، فجاءَ حتى دخلَ، وذهبتُ أدخلُ فألقَى الحِجابَ بيني وبينَهُ، وأنزلَ الله تعالى هذه الآية.

[١١٦٤] **والثاني**: أنَّ ناساً مِنَ المؤمنين كانوا يَتحيَّنون طعامَ النبيِّ ﷺ فيدخُلون عليه قبلَ الطعام إلى أنْ يُدرِكَ، ثم يأكلون ولا يخرُجون، فكان رسولُ الله ﷺ يتأذَّى بهم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١١٦٥] **والثالث**: أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ قال: قلتُ يا رسولَ الله! إنَّ نساءَكَ يدخلُ عليهنَّ البَرُّ

= علي عن عائشة، وفيه الواقدي متروك الحديث.

- وأما حديث أم سلمة، فقد أخرجه الطحاوي في «المشكل» ٥٢٤. وإسناده ساقط، فيه عمر بن أبي بكر الموصلي، وهو متروك. وأخرجه ابن سعد ٨/ ١٩٤ من وجه آخر، وفيه الواقدي متروك. الخلاصة: حديث عائشة قوي، وأما حديث أم سلمة، فهو واهٍ ليس بشيء. والجمهور على خلاف مذهب عائشة.

انظر «أحكام القرآن» ١٨٢٨ بتخريجنا.

[١١٦٣] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٢١ و ٦٢٣٩ و ٦٢٧١ ومسلم ١٤٢٨ والترمذي ٣٢١٨ و ٣٢١٩ والنسائي في «الكبرى» ١١٤١٦ و ١١٤٢٠ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٠٦ من حديث أنس.

[١١٦٤] ذكره البغوي هكذا بدون إسناد عن ابن عباس، ولم أره مسنداً.

- وورد نحوه عن الربيع بن أنس، أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٤/ ٤٠٢.

[١١٦٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٢ و ٤٧٩٠ والنسائي في «التفسير» ٤٣٨ وابن حبان ٦٨٩٦ عن أنس عن عمر به، وأتم. ولم أره عن ابن عمر عن عمر، فالله أعلم.

والفاجرُ، فلو أمرتَهُنَّ أنْ يَحتجِبْنَ، فنزلت آيةُ الحِجابِ، أخرجه البُخاريُّ مِنْ حديث أنسٍ، وأخرجه مُسلِمٌ مِنْ حديث ابنِ عمرَ، كلاهما عن عمرَ.

[١١٦٦] **والرابع**: أنَّ عُمَر أمَرَ نساءَ رسولِ الله ﷺ بالحِجابِ، فقالت زينبُ: يا ابنَ الخَطَّابِ، إنكَ لَتَغارُ علينا والوَحيُ ينزلُ في بيوتِنا؟! فنزلت الآيةُ، قاله ابنُ مسعودٍ.

[١١٦٧] **والخامس**: أنَّ عمرَ كان يقول لرسولِ الله ﷺ: أُحْجُبْ نساءَكَ، فلا يَفعلُ، فخرجت سَوْدَةُ ليلةً، فقال عمرُ: قد عَرفناكِ يا سَوْدَةُ ـ حِرصاً على أنْ ينزلَ الحِجابُ ـ فنزلَ الحِجابُ، رواه عِكرِمَةُ عن عائشةَ.

[١١٦٨] **والسادس**: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُطعِمُ معه بعضَ أصحابه، فأصابَتْ يدُ رجلٍ منهم يدَ عائشةَ، وكانت معهم، فكَرِهَ النبيُّ ﷺ ذلك، فنزلت آيةُ الحِجابِ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: أنْ تُدْعَوا إليه[1] ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ أي: مُنتظِرِينَ ﴿إِنَىٰهُ﴾. قال الزَّجَّاجُ: موضعُ «أن» نصبٌ؛ والمعنى: إلاَّ بأنْ يؤذَنَ أو لأنْ يؤذَنَ، و «غير» منصوبةٌ على الحالِ؛ المعنى: إلاَّ أنْ يُؤذَنَ لكم غيرَ منتَظِرِينَ. و «إِنَاهُ»: نُضجُه وبُلوغُه.

[١١٦٦] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٨٦٢١ وفيه عطاء بن السائب، وهو صدوق، لكن اختلط، وهو بهذا اللفظ ضعيف، والصواب ما تقدم برقم ١١٦٣ و ١١٦٥. وانظر «أحكام القرآن» ١٨٣٢ بتخريجنا.

[١١٦٧] أخرجه مسلم ٢١٧٠ ح ١٨ والطبري ٢٨٦١٩ من طريقين عن الزهري به. وأخرجه البخاري ٦٢٤٠ من طريق صالح بن كيسان عن الزهري به. وأخرجه البخاري ٥٢٣٧ ومسلم ٢١٧٠ من طريق علي بن مسهر عن هشام عن عروة به. وأخرجه البخاري ٤٧٩٥ ومسلم ٢١٧٠ والبيهقي ٧/ ٨٨ من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه به. وأخرجه مسلم ٢١٧٠ وأحمد ٦/ ٥٦ من طريق ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه به. وأخرجه أبو يعلى ٤٤٣٣ وابن حبان ١٤٠٩ من طريق محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن هشام بن عروة عن أبيه به. وهم جميعاً من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنهما. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٢٠: هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال: «**إنه قد أذن لَكُنَّ أن تخرجن لحاجتكن**».

[١١٦٨] ضعيف. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٧٠٩ عن مجاهد مرسلاً، وصوّبه الدارقطني كما ذكر الحافظ في «تخريج الكشاف» ٣/ ٥٥. وأخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٤١٩ والبخاري في «الأدب المفرد» ١٠٥٣ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٢١ من حديث عائشة قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ حيساً، فمرّ عمر، فدعاه فأكل، فأصابت يده أصبعي، فقال: حس! لو أُطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب وهذا منقطع مجاهد لم يسمع من عائشة كما في مراسيل ابن أبي حاتم. ثم إن الخبر منكر.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٢٠: حظّر الله على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة **﴿إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾** لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه، قال: وهذا دليل على تحريم التطفيل، وهو الذي تسميه العرب: «الضيفن» اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ أي: فاخرُجوا. قوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ المعنى: ولا تَدخُلوا مُستأنِسِينَ، أي: طالِبي الأنسِ لِحديثٍ، وذلك أنهم كانوا يجلسون بعد الأكلِ فيَتحدَّثون طويلاً، وكان ذلك يُؤذِيه، ويَستحيي أنْ يقولَ لهم: قُوموا، فعلَّمهُم الله تعالى الأدبَ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يَترُكُ أنْ يُبيِّنَ لكم ما هو الحقُّ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أي: شيئاً يُستمتَعُ به ويُنتفَعُ به مِنْ آلةِ المنزلِ ﴿فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ﴾ أي: سُؤالُكم إيَّاهُنَّ المَتاعَ مِنْ وراءِ حِجابٍ أطهرُ ﴿لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ مِنَ الرِّيبَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: ما كان لكُم أذاهُ في شيءٍ مِنَ الأشياء. قال أبو عُبيدَةَ: «كان» مِنْ حروف الزَّوائدِ. والمعنى: ما لَكُم أنْ تُؤذوا رسولَ الله ﷺ ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾.

[١١٦٩] روى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، قال: كان رجلٌ مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ قال: لو تُوفّي رسولُ الله ﷺ تزوَّجتُ عائشةُ، فأنزلَ الله تعالى ما أنزلَ.

[١١٧٠] وزعمَ مُقاتِلٌ أنَّ ذلك الرجلَ طَلحةُ بنُ عُبيدِ الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ يعني نِكاحَ أزواجِ رسولِ الله ﷺ ﴿كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ أي: ذنْباً عظيمَ العُقوبةِ.

[١١٦٩] أخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٥/ ٤٠٤ عن ابن عباس. وأخرجه البيهقي ٧/ ٦٩ من طريق مهران بن أبي عمر عن الثوري عنه: قال: قال رجل من أصحاب النبي ﷺ: لو قد مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة وأم سلمة، فأنزل الله عز وجل: **﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...﴾**. وإسناده ضعيف لضعف مهران في روايته عن الثوري خاصة. وأخرج ابن سعد نحوه عن جويبر عن ابن عباس كما في «أسباب النزول» للسيوطي ٩٢٠ وليس فيه ذكر عائشة. سكت عليه السيوطي، لأن جويبراً مكشوف الحال، فهو متروك الحديث. وورد من مرسل عبد الرحمن بن زيد، أخرجه الطبري ٨٢٦٢٣ وابن زيد ليس بشيء. وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٣٧٢ عن قتادة مرسلاً. الخلاصة: هذه المراسيل مع الموصول عن ابن عباس تتأيد بمجموعها، ويعلم أن لهذا الخبر أصلاً فهو حسن، أو يقارب الحسن، والله أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ١٨٣٨ بتخريجنا.

[١١٧٠] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية. وورد من مرسل أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة. وفيه الواقدي ساقط الحديث متروك، فلا فائدة من هذا الشاهد. وبكل حال لا يحتج بالضعاف في هذا المقام على أن الحافظ ابن حجر ذكر هذا في «الإصابة» ٢/ ٢٣٠ وقال: طلحة بن عبيد الله بن مسافع، يقال هو الذي نزل فيه **﴿وما كان لكم أن تؤذوا...﴾** وذكره أبو موسى في «الذيل» عن ابن شاهين بغير إسناد، وقال: إن جماعة من المفسرين غلطوا، فظنوا أنه طلحة بن عبيد الله أحد العشرة اهـ. وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٤/ ٢٠٢: وقال ابن عطية: وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله. قال شيخنا أبو العباس: وقد حكي هذا القول عن فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله، وإنما الكذب في نقله، وإنما يليق هذا القول بالمنافقين الجهال. اهـ.

قلت: وكون المراد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة وفارس أحد باطل مفترى، وإن كان أحد المنافقين فهو محتمل حيث ورد من وجوه. وهذه الألفاظ إن صحت يكن قائلها منافقاً، ولا يقولها مسلم.

وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٢١ و «فتح القدير» ٢٠٢٧ بتخريجنا و «الدر» ٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قيلَ: إنها نزلت فيما أبداهُ القائلُ: لَئِنْ مات رسولُ الله ﷺ لأتزوّجَنَّ عائشةَ(١). قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾. قال المُفسِّرون:

[١١٧١] لمَّا نزلت آيةُ الحِجابِ، قال الآباءُ والأبناءُ والأقاربُ لرسول الله ﷺ: ونحن أيضاً نُكَلِّمُهُنَّ مِن وراءِ حجابٍ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ أي: في أنْ يَرَوْهُنَّ ولا يَحتجِبْنَ عنهم، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني نساءَ المؤمنين، لأنَّ نساءَ اليهودِ والنَّصارى يَصِفْنَ لأزواجِهِنَّ نساءَ رسول الله ﷺ إنْ رأينَهُنَّ.

فإنْ قيلَ: ما بالُ العَمّ والخالِ لم يُذكَرا؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: لأنَّ المرأةَ تَحِلُّ لأبنائِهما، فكرِهَ أنْ تضع خِمارَها عند عمّها وخالِها، لأنهما يَنعتَانِها لأبنائِهما، هذا قولُ الشَّعبيّ وعِكرمَةَ. **والثاني**: لأنهما يجريان مَجرى الوالِدَين فلم يُذكَرا، قاله الزَّجَّاجُ.

فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه أراد الإِمَاءَ دونَ العبيد، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثاني**: أنه عامٌّ في العبيد والإِمَاءِ. قال ابنُ زيدٍ: كُنَّ أزواجُ رسولِ الله ﷺ لا يَحتجِبْنَ مِن المَماليكِ. وقد سبق بيانُ هذا في سُورةِ النُّورِ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ أي: أنْ يراكُنَّ غيرُ هؤلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ أي: لم يَغِبْ عنه شيءٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ في صلاةِ الله وصلاةِ الملائكة أقوالٌ قد تقدّمَتْ في هذه السُّورةِ(٣).

قوله تعالى: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾. قال كَعْبُ بنُ عُجْرَةَ:

[١١٧٢] قُلنا: يا رسولَ الله قد عَرَفنا التَّسليمَ عليكَ، فكيف الصلاةُ عليكَ؟ فقال: قولوا: «اللهمَّ

[١١٧١] لم أره مسنداً، وإنما عزاه المصنف للمفسرين، وهو خبر واهٍ، شبه لا شيء، لخلوه عن الإسناد.

[١١٧٢] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٧٠ و ٤٧٩٧ و ٦٣٥٧ ومسلم ٤٠٦ وأبو داود ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ والترمذي ٤٨٣ والنسائي ٣/ ٤٧ وابن ماجه ٩٠٤ والشافعي ١/ ٩٢ والحميدي ٧١١ و ٧١٢ وعبد الرزاق ٣١٠٥ وأحمد =

---

(١) انظر الحديث المتقدم برقم ١١٦٩.

(٢) النور: ٣١. (٣) الأحزاب: ٤٣.

صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صَلَّيتَ على آل إبرَاهيمَ، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ، وبارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما بارَكْتَ على آلِ إبراهيمَ، إنكَ حميدٌ مجيدٌ»، أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ. ومعنى قولِه قد عَلِمْنَا التَّسليمَ عليكَ: ما يُقال في التشهُّدِ: «السَّلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبَركاتُه». وذهبَ ابنُ السَّائبِ إلى أنَّ معنى التَّسليم: سَلِّموا لِمَا يأمُركُم بهِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

[١١٧٣] **أحدها**: في الذين طَعَنوا على رسولِ الله ﷺ حين اتَّخذَ صَفيَّةَ بنتَ حُيَيّ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: نزلت في المُصَوِّرين، قاله عِكرِمَةُ.

والثالث: في المشركين واليهودِ والنَّصارى، وَصَفُوا اللهَ تعالى بالوَلَدِ وكذَّبوا رسولَهُ وشَجُّوا وَجهَهُ وكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وقالوا: مَجنونٌ شاعرٌ ساحرٌ كذَّابٌ. ومعنى أذَى اللهِ: وَصْفُهُ بما هو مُنزَّهٌ عنه[١]،

= ٤/ ٢٤٤ وإسماعيل القاضي ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ وابن الجارود ٢٠٦ وابن حبان ٩١٢ والطبراني ١٩/ ١١٦ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ والبيهقي ٢/ ١٤٧ من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة به. وانظر «أحكام القرآن» ١٨٤٤ بتخريجنا.

فائدة: قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «جلاء الأفهام» ص ١١٨ ـ ١٢٦ ما ملخصه: واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال:

ـ فقيل: هم الذين حُرمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:

ـ أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية.

ـ والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية عن أحمد، واختيار ابن القاسم صاحب مالك.

والثالث: أنهم بنو هاشم، ومن فوقهم إلى غالب، فيدخل بنو المطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك.

ـ قال: وهذا القول في الآل ـ أعني الذين تحرم عليهم الصدقة ـ هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين، وهو اختيار أصحاب أحمد والشافعي.

ـ والقول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في «التمهيد». . .

ـ والقول الثالث: أن آله أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، ورجحه النووي في «شرح مسلم».

ـ والقول الرابع: أن آله هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة.

ـ ثم ذكر ابن القيم رحمه الله أدلة أصحاب هذه الأقوال وعقب ذلك بقوله: والصحيح هو القول الأول، ويليه الثاني، وأما الثالث والرابع فضعيفان اهـ.

ـ وقال النووي كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٣٥: إذا صُلِّي على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقول: «صلى الله عليه» فقط، ولا: «عليه السلام». وقال ابن كثير: وهذا منتزع من الآية الكريمة فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليماً.

[١١٧٣] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٨٦٤١ عن ابن عباس برواية عطية العوفي، وهو واهٍ، وعنه مجاهيل.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٤/ ٢١١: اختلف العلماء في أذية الله بماذا تكون؟ فقال الجمهور من العلماء: معناه بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك إليه، ووصفه بما لا يليق به، كقول اليهود لعنهم الله: =

وعصيانه؛ ولَعنُهم في الدنيا: بالقَتْلِ والجَلاءِ، وفي الآخرة: بالنَّارِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ في سببِ نُزولها أربعةُ أقوالٍ:

[١١٧٤] **أحدها**: أنَّ عمرَ بنَ الخَطَّابِ رأى جاريةً مُتبرِّجةً فضَرَبها، وكَفَّ ما رأى مِنْ زينَتِها، فذهبت إلى أهلِها تَشكُو، فخرجوا إليه فآذَوْه، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

[١١٧٥] **والثاني**: أنها نزلت في الزُّناةِ الذين كانوا يمشون في طُرقِ المدينة يَتبعون النساءَ إذا بَرزْنَ بالليلِ لِقضاءِ حوائجِهنَّ، فيرونَ المرأةَ فيدنُونَ منها فيَغمِزُونَها، وإنما كانوا يُؤذُونَ الإماءَ، غيرَ أنه لم تكُن الأَمَةُ تُعرَفُ مِنَ الحُرَّةِ، فَشَكَونَ ذلك إلى أزواجِهنّ، فذَكَروا ذلك لرسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله السُّدِّيُّ.

[١١٧٦] **والثالث**: أنها نزلت فيمَنْ تكلَّم في عائشةَ وصفوانَ بنِ المُعطِّلِ بالإفكِ، قاله الضَّحَّاكُ.

[١١٧٧] **والرابع**: أنَّ ناساً مِنَ المنافقين آذَوا عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: يَرمُونَهم بما ليس فيهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

[١١٧٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧١٦ برواية عطاء عن ابن عباس بدون سند تعليقاً ـ قلت: وتفرد الواحدي بذكره من غير إسناد، فهو لا أصل له لخلوه عن الإسناد، ولم يذكره الواحدي في «الوسيط» ولا رأيت من أخرجه غيره، فهو لا شيء.

[١١٧٥] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧١٨ عن الضحاك والسدي والكلبي بدون إسناد.

[١١٧٦] ضعيف جداً. ذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٩٢٢ قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً، جويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس.

[١١٧٧] باطل، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧١٧ عن مقاتل بدون سند، ومقاتل ممن يضع الحديث، والمتن باطل.

وقالت اليهود يد الله مغلولة. والنصارى: المسيح ابن الله والمشركون: الملائكة بنات الله. وفي صحيح البخاري قال الله تعالى: «كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك...».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال الله تبارك وتعالى: «يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما». وقال عكرمة: معناه بالتصوير والتعرض لفعل لا يفعله إلا الله بنحت الصور وغيرهما. قلت: وهذا مما يقوي قول مجاهد في المنع من تصوير الشجر وغيرهما، إذ كل ذلك صفة اختراع وتشبّه بفعل الله الذي انفرد به سبحانه وتعالى. وقالت فرقة: ذلك على حذف مضاف، تقديره: يؤذون أولياء الله اهـ. قلت: وأخرج الطبري ٢٨٦٤٠ عن عكرمة قال: الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الآية. سبب نزولها:

[١١٧٨] أنَّ الفُسَّاقَ كانوا يُؤذونَ النساءَ إذا خرجْنَ بالليل، فإذا رَأَوا المرأة عليها قِناعٌ تَركُوها وقالوا: هذه حُرَّةٌ، وإذا رَأَوها بغيرِ قِناعٍ قالوا: أَمَةٌ، فآذَوها، فنزلت هذه الآيةُ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: يَلْبَسْنَ الأرْدِيةَ. وقال غيرُه: يُغَطِّينَ رُؤوسَهنَّ ووجُوهَهنَّ ليُعلَمَ أنهنَّ حَرائرُ ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي: أحرَى وأقربُ ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ أنهنَّ حَرائِرُ ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾. قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أي: عن نِفاقِهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: فُجورٌ، وهم الزُّناةُ ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ بالكذبِ والباطلِ، يقولون: أتاكُم العَدوُّ، وقُتِلَتْ سَراياكُم وهُزِمَتْ ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لَنُسلِّطَنَّكَ عليهم بأنْ نأمُرَكَ بقتالِهم. قال المُفسِّرون: وقد أُغرِيَ بهم، فقيلَ له: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[1]. وقال يومَ جُمعةٍ:

[١١٧٩] «اخرُجْ يا فُلانُ مِنَ المسجد فإنكَ منافقٌ. قُمْ يا فلانُ فإنكَ منافقٌ».

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ ثم لا يجاورونك فيها أي: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ حتى يَهلِكُوا، ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ منصوبٌ على الحالِ؛ أي: لا يُجاوِرُونكَ إلاّ وهم ملعُونون ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا﴾ أي: وُجِدُوا وأُدرِكوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ معنى الكلام: الأمرُ، أي: هذا الحُكمُ فيهم، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: سَنَّ في الذين يُنافقون الأنبياءَ ويُرجِفُون بهم أنْ يُفعلَ بهم هذا.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ قال عُروةُ: الذي سأله عنها عُتبةُ بنُ رَبيعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أيُّ شيءٍ يُعلِمكَ أمرَ الساعة ومتى تكون؟ والمعنى: أنتَ لا تَعرفُ ذلك؛ ثم قال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ فإنْ قيلَ: هَلاّ قال: قريبةٌ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: أحدها:

[١١٧٨] أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٥/ ٤١٦ عن السدي مرسلاً. وأخرجه الطبري ٢٨٦٥١ عن قتادة، وهذا مرسل. وورد من مرسل أبي مالك. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٧١٩. وورد من مرسل أبي صالح، أخرجه الطبري ٢٨٦٥٣ ومع إرساله فيه من لم يسم، وأبو صالح ضعيف الحديث، ليس بشير بشيء. وعزاه الواحدي في «الأسباب» ٧١٨ للضحاك والسدي والكلبي بدون إسناد. وورد من مرسل معاوية بن قرة، أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» ٥/ ٤١٦. الخلاصة: هذه المراسيل تتأيد بمجموعها وتعتضد، ويعلم أن للخبر أصلاً، والله أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٦٢٦ بتخريجنا.

[١١٧٩] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧١٣٧ بإسناد واهٍ، لأجل حسين بن عمرو العنقزي عن أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس به.

---

(١) التوبة: ٧٣.

أنه أرادَ الظَّرفَ، ولو أراد صِفةَ الساعة بعَيْنِها، لَقالَ: قريبةٌ، هذا قولُ أبي عُبيدَةَ. **والثاني**: أنَّ المعنى راجعٌ إلى البَعثِ، أو إلى مجيءِ الساعة. **والثالث**: أنَّ تأنيثَ الساعة غيرُ حقيقيٍ، ذكرهما الزَّجَّاجُ. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُ ألفاظِه[١].

فأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ فقال الزَّجَّاجُ: الاختيارُ الوَقْفُ بألِفٍ، لأنَّ أواخرَ الآي وفَواصِلَها تجري مجرى أواخِرِ الأبياتِ، وإنما خُوطِبوا بما يعقِلونَهُ مِنَ الكلامِ المؤلَّفِ ليدلَّ بالوَقْفِ بزيادةِ الحرف أنَّ الكلامَ قد تمّ، وقد أشرنا إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أي: أشرافَنا وعُظماءَنا. قال مُقاتِلٌ: هم المُطْعِمون في غُزاةِ بَدرٍ. وكُلُّهم قرأوا: «سادتَنا» على التوحيد، غيرَ ابنِ عامرٍ، فإنه قرأ: «ساداتِنا» على الجمع مع كسرِ التاء، ووافقَهُ المُفَضَّلُ، ويعقوبُ، إلاَّ أبا حاتِم ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ أي: عن سبيلِ الهُدى، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ﴾ يَعنُونَ السَّادةَ ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: ضِعْفَي عذابِنا، ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «كثيراً» بالثاء. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامر: «كبيراً». وقال أبو علي: الكثرة أشبه بالمرار المتكررة من الكبر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ أي: لا تُؤذُوا محمَّداً كما آذى بَنُو إسرائيلَ موسى فيَنزِلَ بكم ما نَزلَ بهم، وفي ما آذَوا به موسى أربعةُ أقوالٍ:

[١١٨٠] **أحدها**: أنهم قالوا: هو آدَرُ، فذهَبَ يوماً يغتَسِلُ، ووَضعَ ثوبَهُ على حَجَرٍ، ففرَّ الحجرُ

[١١٨٠] صح مرفوعاً وموقوفاً، فالله أعلم. أخرجه البخاري ٣٤٠٤ والترمذي ٣٢٢١ والبغوي في «معالم التنزيل» ٣/ ٥٤٥ من طريق روح بن عبادة عن عوف عن الحسن ومحمد وخِلاس عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده فيه لين، روح بن عبادة، وإن وثقه غير واحد، فقد قال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال يعقوب بن شيبة: سمعت عفانَ لا يرضى أمر روح بن عبادة. هذا شيء. والشيء الثاني: الحسن لم يسمع من أبي هريرة. وكذا خِلاس فيما قال أحمد. قال الحافظ في «الفتح» ٦/ ٤٣٧: قال أبو داود عن أحمد: لم يسمع خِلاس من أبي هريرة. قال الحافظ: وما له في البخاري غير هذا الحديث، وقد أخرجه له مقروناً بغيره، وله حديث آخر مقرون بمحمد بن سيرين. قلت: وكأن روح اضطرب في هذا الحديث. فقد أخرجه أحمد ٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥ عن روح عن عوف عن الحسن عن النبي ﷺ وخلاس ومحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. فجعل رواية الحسن مرسلة. وهكذا أخرجه الطبري ٢٨٦٧٤ من طريق ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن مرسلاً. وأخرجه الطبري ٢٨٦٧٣ والطحاوي في «المشكل» ٦٧ عن روح عن عوف عن محمد ـ ابن سيرين ـ عن أبي هريرة. وأخرجه النسائي في «التفسير» ٤٤٤ و «الكبرى» ١١٤٢٤ من طريق روح عن عوف عن خِلاس عن أبي هريرة مرفوعاً، وتقدم عن أحمد قوله: خلاس لم يسمع من أبي هريرة. وكرره النسائي ١١٤٢٥ وفي «التفسير» ٤٤٥ من طريق النضر عن عوف بمثله. وعلى هذا فقد توبع روح، لكن هذا الإسناد معلول بسبب =

---

(١) البقرة: ١٥٩ ـ النساء: ١٠ ـ الإسراء: ٩٧. (٢) الأحزاب: ١.

بثوبِه، فخرجَ في طَلَبِه، فرَأَوهُ فقالوا: واللهِ ما به مِنْ بأسٍ. والحديثُ مشهورٌ في الصِّحاح كلِّها مِنْ حديث أبي هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ، وقد ذَكرتُه بإسنادِه في «المغني» و «الحدائق». قال ابنُ قُتيبةَ: والآدَرُ: عظيمُ الخُصْيَتَيْنِ.

[١١٨١] **والثاني**: أنَّ موسى صَعِدَ الجبلَ ومعه هارونُ، فماتَ هارونُ، فقال بَنو إسرائيلَ: أنتَ قتلتَهُ فآذَوهُ بذلك، فأمَرَ اللهُ تعالى الملائكة فحَملَتْهُ حتى مرَّتْ به على بَني إسرائيلَ، وتكلَّمت الملائكةُ بموته حتى عَرفَ بنو إسرائيلَ أنه مات، فبرَّأهُ اللهُ تعالى مِنْ ذلك، قاله عليٌّ عليه السلام.

= الإرسال كما تقدم. وكرره البخاري ٤٧٩٩ من طريق روح عن عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حيياً»، وذلك قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى...**﴾.

ـ وللحديث طريق آخر: أخرجه البخاري ٢٧٨ ومسلم ٣٣٩ وص ١٨٤١ وابن حبان ٦٢١١ وأبو عوانة ١/ ٢٨١ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٣ من طرق عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة مرفوعاً.

ـ وله علة، وهي الوقف: أخرجه مسلم ص ١٨٤٢ من وجه آخر عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة موقوفاً عليه. وراويه عن خالد الحذاء، يزيد بن زريع، وهذا إسناد كالشمس.

ـ وأخرجه الطبري ٢٦٨٧٥ عن قتادة، قال: حدث الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ... الحديث، وهذا منقطع. وورد من حديث أبي هريرة من وجه آخر: أخرجه الطبري ٢٨٦٦٩ من طريق جابر الجعفي عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده ساقط، جابر هو ابن يزيد، متروك الحديث. وله شاهد من حديث أنس: أخرجه البزار ٢٢٥٢ «كشف» وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٣ ـ ٩٤: ثقة، سيء الحفظ. قلت: جزم الحافظ في «التقريب» بضعفه. وورد عن ابن عباس موقوفاً: أخرجه الطبري ٢٨٦٦٨ وإسناده صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم. وكرره ٢٨٦٧٠ وإسناده ضعيف جداً، فيه مجاهيل، وعطية العوفي واهٍ. وورد عن قتادة قوله: أخرجه الطبري ٢٨٦٧٢. وورد عن الحسن وقتادة قولهما: أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٣٨٢ عن معمر عن الحسن وقتادة.

ـ الخلاصة: روي مرفوعاً بإسناد حسن، وآخر صحيح، وأُخر ضعيفة. وورد موقوفاً بإسناد كالشمس، عن أبي هريرة ومثله عن ابن عباس بسند صحيح موقوفاً. وورد عن قتادة وعن الحسن قولهما لم يرفعاه. فالحديث كما ترى ورد مرفوعاً، وموقوفاً، وموقوفاً على بعض التابعين، وفي المتن غرابة. لكن لا أقدم على ترجيح الوقف بسبب أن الحديث في الصحيحين، ولم أجد من رجح وقفه، والله أعلم.

ولفظ البخاري المرفوع من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حيياً ستراً لا يرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرةٍ، وإما من آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً. فذلك قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً**﴾. قال الحافظ في «الفتح» ١/ ٣٨٦: قال الجوهري: الأدرة: نفخة في الخصية، وهي بفتحات، وحكي بضم أوله، وإسكان الدال.

وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٤/ ٢٢٤: وهو الصحيح من الأقوال. وهو مذهب الجمهور.

[١١٨١] أخرجه الطبري ٢٨٧٦ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٣٩ وإسناده حسن لأجل سفيان بن حسين، فإنه حسن الحديث، وباقي الإسناد ثقات. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٦٢٧ بتخريجنا.

[١١٨٢] **والثالث**: أنَّ قارُونَ استأجَرَ بَغِيّاً لِتقذِفَ موسى بنَفسِها على مَلإٍ مِنْ بَني إسرائيلَ فعَصَمها الله تعالى وبَرَّأ موسى مِنْ ذلك، قاله أبو العَالِيةِ.

والرابع: أنهم رَمَوهُ بالسِّحرِ والجُنونِ، حكاه المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان عندَ الله تعالى حَظِيّاً لا يسألُه شيئاً إلاّ أعطاه. وقد بيَّنَّا معنى الوَجِيْهِ في سُورةِ آلِ عِمرَان[١]. وقرأ ابنُ مسعودٍ والأعمَشُ، وأبو حَيْوَةَ: «وكان عَبْداً لِلّهِ» بالتنوين والباء وكَسْرِ اللام.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: صواباً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: صادقاً، قاله الحسَنُ. **والثالث**: عَدْلاً، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: قَصْداً، قاله ابنُ قُتَيبةَ. ثم في المراد بهذا القولِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه «لا إلَه إلاّ الله»، قاله ابنُ عباسٍ وعِكرِمَةُ. **والثاني**: أنه العَدْلُ في جميع الأقوالِ، والأعمالِ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: في شأنِ زينبَ وزيدٍ، ولا تَنْسُبوا رسولَ الله ﷺ إلى ما لا يَصلُحُ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. قوله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يتقبَّلُ حسناتِكُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُزَكِّي أعمالَكُم، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أي: نَالَ الخيرَ وظَفِرَ به.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ فيها قولان[٢]:

أحدهما: أنها الفَرائِضُ، عَرَضَها الله على السَّمواتِ والأرضِ والجبال، إنْ أدَّتْها أثابَها، وإنْ ضَيَّعَتْها عذَّبها، فكَرِهَتْ ذلك؛ وعَرَضَها على آدمَ فقَبِلَها بما فيها، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ؛ وكذلك قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: عُرِضَتِ الأمانةُ على آدمَ فقيلَ له: تأخُذُها بما فيها، إنْ أطَعتَ غَفرتُ لكَ، وإنْ عَصيتَ عذَّبتُكَ، فقال: قَبِلتُ، فما كان إلاّ كما بينَ صلاةِ العَصرِ إلى أن غَرَبَت الشمسُ حتى أصابَ الذَّنْبَ. وممن ذهبَ إلى أنها الفرائِضُ قَتادةُ والضَّحَّاكُ والجمهورُ.

والثاني: أنها الأمانةُ التي يأتَمِنُ الناسُ بعضَهم بعضاً عليها. رَوى السُّدِّيُّ عن أشياخِه أنَّ آدمَ لمَّا أرادَ الحَجَّ قال للسماء: احفَظِي وَلَدي بالأمانةِ، فأبَتْ، وقال للأرضِ، فأبَتْ، وقال للجبالِ، فأبَتْ، فقال لِقابِيْلَ، فقال: نعم، تذهبُ وتجيءُ وتَجِدُ أهلَكَ كما يَسُرُّكَ، فلما انطلَقَ آدمُ قَتَلَ قابيلُ هابِيلَ،

[١١٨٢] لا أصل له. عزاه المصنف لأبي العالية، ولم أره عنه مسنداً، وأبو العالية يروي عن كتب الإسرائيليات، وهذا منها.

---

(١) آل عمران: ٤٥.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٣٤٢: إنه عني بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس، وذلك أن الله تعالى لم يخصّ بقوله بعض معاني الأمانات.

فرَجعَ آدمُ فوجدَ ابنَهُ قد قَتَلَ أخاهُ، فذلك حيثُ يقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وهو ابنُ آدمَ، فما قامَ بها.

وحَكى ابنُ قُتَيبةَ عن بعضِ المُفسِّرين أنَّ آدمَ لمَّا حَضرَتْهُ الوفاةُ قال: يا رَبِّ، مَنْ أستَخْلِفُ مِنْ بعدي؟ فقيلَ له: اعرِضْ خِلافَتَكَ على جميعِ الخَلْقِ، فعَرضَها، فكُلٌّ أباها غيرَ وَلَدِه. وللمفسِّرين في المُراد بعَرْضِ الأمانةِ على السَّمواتِ والأرضِ قولان: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى رَكَّبَ العقلَ في هذه الأعيانِ، وأفهَمَهُنَّ خِطابَهُ، وأنطَقَهنَّ بالجواب حين عرَضَها عليهِنَّ، ولم يُرِدْ بقوله: «أَبَيْنَ» المُخالَفَةَ، ولكنْ أَبَيْنَ للخَشْيةِ والمَخافَةِ، لأنَّ العَرْضَ كان تخييراً لا إلزاماً، و «أشفَقْنَ» بمعنى خِفْنَ منها أنْ لا يُؤَدِّينَها فيَلحَقَهُنَّ العقابُ، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ المراد بالآية: إنَّا عَرضْنا الأمانةَ على أهلِ السَّمواتِ وأهلِ الأرضِ وأهلِ الجبالِ مِنَ الملائكة، قاله الحَسنُ.

وفي المراد بالإنسان أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: آدمُ في قولِ الجمهور. **والثاني**: قابيلُ في قولِ السُّدِّيِّ. **والثالث**: الكافرُ والمنافقُ، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: جميعُ الناس، قاله ثَعلَبُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ظَلوماً لنَفْسِه، غِرّاً بأمرِ رَبِّه، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: ظَلوماً لنَفْسِه، جَهُولاً بعاقبةِ أمرِه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: ظَلُوماً بمعصيةِ رَبِّه، جَهُولاً بعقابِ الأمانة، قاله ابنُ السَّائبِ.

وذَكرَ الزَّجَّاجُ في الآيَة وَجْهاً يُخالفُ أكثرَ الأقوال، وذَكرَ أنَّه موافقٌ للتفسير فقال: إنَّ الله تعالى ائتَمَنَ بَني آدمَ على ما افترَضَهُ عليهم مِنْ طاعَتِه، وائتَمَنَ السَّمواتِ والأرضَ والجبالَ على طاعته والخُضوعِ له، فأمَّا السمواتُ والأرضُ فقالَتا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[1] وأعلَمَنا أنَّ مِنَ الحجارةِ ما يَهْبِطُ مِنْ خَشيةِ الله، وأنَّ الشمسَ والقمرَ والنجومَ والجبالَ والملائكةَ يَسجُدون لله، فعَرَّفنا اللّهُ تعالى أنَّ السمواتِ والأرضِ لم تحتَمِلْ الأمانة، لأنها أدَّتْهَا، وأداؤُها: طاعةُ الله وتَرْكُ مَعْصِيتِه، وكلُّ مَنْ خانَ الأمانةَ فقد احتَمَلَها، وكذلك كلُّ مَنْ أَثِمَ فقد احتَملَ الإثمَ، وكذلك قال الحَسنُ: «وحَملَها الإنسانُ» أي: الكافرُ والمنافقُ حَمَلاها، أي: خَانَا ولم يُطيعا؛ فأمَّا مَنْ أطاعَ، فلا يُقال: كان ظلوماً جهولاً.

قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: عَرَضْنا ذلك لِيَظهرَ نِفاقُ المنافِق وشِركُ المُشركِ فيُعذِّبَهم الله، ويُظهِرَ إيمانَ المؤمنين فيَتوبَ الله عليهم، أي: يَعودُ عليهم بالرَّحمة والمَغفرةِ إنْ وَقعَ منهم تقصيرٌ في الطاعاتِ.

(١) فصلت: ١١.

سورة سبأ

ترتيبها ٣٤ — آياتها ٥٤

وهي مكّيَّة بإجماعِهم. وقال الضَّحّاك، وابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ: فيها آيةٌ مَدنيَّةٌ، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا
يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يَحمَدُه أولياؤه إذا دَخلوا الجنَّةَ، فيقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[٢] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[٣] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[٤]. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ بذرٍ أو مطرٍ أو كَنزٍ أو غيرِ ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ مِن زَرعٍ ونباتٍ وغيرِ ذلك ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مِنْ مطرٍ أو رزقٍ أو مَلَكٍ ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ مِنْ ملَكٍ أو عملٍ أو دُعاءٍ. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني مُنكِري البَعثِ ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: لا نُبعَثُ[٥].

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ وأبو عمروٍ: «عالِمِ الغيب» بكسرِ الميم، وقرأ

(١) سبأ: ٦.
(٢) الزمر: ٧٤.
(٣) الأعراف: ٤٣.
(٤) فاطر: ٣٤.
(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٤٥: هذه إحدى الآيات الثلاث اللاتي لا رابع لهن، مما أمر الله رسولَه ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس: [٥٣]، والثانية هذه، والثالثة في سورة التغابن [٧].

نافعٌ وابنُ عامرٍ برَفْعِها. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ: «علاَّم الغيب» بالكسرِ ولام قبلَ الألِفِ. قال أبو عليٍّ: مَنْ كَسرَ فعَلَى معنى: الحمدُ للهِ عالم الغَيبِ؛ ومَنْ رَفَعَ جازَ أنْ يكون «عَالِمُ الغيب» خبرَ مبتدإٍ محذوفٍ تقديره: هو عالِمُ الغيب، ويجوز أنْ يكون ابتداءً خبَرُه ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾؛ و «علاَّم» أبلَغُ مِنْ «عالِم». وقرأ الكِسَائيُّ وحدَهُ: «لا يَعْزِبُ» بكسرِ الزاي؛ وهما لُغتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفع، والنَّخعيُّ، والأعمَشُ: «ولا أصغرَ مِنْ ذلك ولا أكبرَ» بالنصب فيهما. قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال الزَّجَّاج: المعنى: بَلْ وربِّي لَتَأتينَّكم المُجازَاةُ، وقال ابنُ جريرٍ: المعنى: أثبتَ مِثقالَ الذَّرَّةِ وأصغرَ منه في كتابٍ مُبِينٍ، ليَجْزِيَ الذين آمَنوا، ولِيُرِيَ الذين أوتُوا العِلْمَ.

قوله تعالى: ﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ، ويعقوبُ، والمُفضَّلُ: «مِنْ رِجْزٍ أليمٌ» رفعاً؛ والباقون بالخَفضِ فيهما[١]. وفي ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم مُؤمنوا أهلِ الكتاب، كعبدِ اللّهِ بنِ سَلاَمٍ وأصحابه، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ قال الفَرَّاءُ: «هو» عِمادٌ للذي، فلذلك انتصبَ الحقُّ. وما أخلَلْنا به فقد سبقَ في مَواضعَ[٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم مُنْكِروا البَعثِ، قال بعضُهم لبعضٍ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: يقولُ لكم: إنَّكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فُرِّقتُم كلَّ فريقٍ؛ والمُمزَّقُ هاهنا مصدرٌ بمعنى التَّمزيقِ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: يُجدَّدُ خَلْقُكم للبَعثِ. ثم أجاب بعضُهم فقالوا: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زعمَ أنَّا نُبعَثُ؟! وألِفُ «أفترى» ألِفُ استفهام، وهو استفهامُ تعجُّبٍ وإنكارٍ، ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ أي: جنونٌ؟! فرَدَّ اللّهُ تعالى عليهم فقال: ﴿بَلِ﴾ أي: ليس الأمرُ كما تقولون مِنَ الافتراءِ والجُنونِ، بل ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهم الذين يَجحَدُونَ البَعثَ ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ إذا بُعِثوا في الآخرة ﴿وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ مِنَ الحقِّ في الدنيا. ثم وَعظَهم فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وذلك أنَّ الإنسانَ حيثُما نظر رأى السماءَ والأرضَ قُدَّامَهُ وخَلفَهُ وعن يمينِه وعن شِمالِه؛ فالمعنى أنهم أينَ كانوا فأرْضِي وسَمائي مُحيطةٌ بهم، وأنا القادرُ عليهم، إنْ شِئتُ خَسفتُ بهم الأرضَ، وإنْ شِئتُ أسقطتُ عليهم قطعةً مِنَ السماء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي فيما يَرَون مِنَ السماء والأرض

---

(١) أي هنا وفي سورة الجاثية: ١١.

(٢) البقرة: ١٣٠ ـ ٢٦٧، الحج: ٥١ ـ ٥٢.

﴿لَآيَةً﴾ تدلُّ على قُدرةِ الله تعالى على بَعثِهم والخَسْفِ بهم ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي رَاجعٍ إلى طاعةِ الله، مُتأمِّلٍ لِمَا يَرى.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ وهو النُّبوَّة والزَّبورُ وتسخيرُ الجبال والطَّيرِ، إلى غيرِ ذلك ممَّا أنعمَ اللَّهُ به عليه ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ وروى الحَلَبيُّ عن عبدِ الوارثِ: «أُوْبي» بضمِّ الهمزة وتخفيفِ الواو. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وقُلنا: يا جبالُ أَوِّبي معه، أي: ارجِعي معه. والمعنى: سَبِّحي معه ورَجِّعي التَّسبيحَ. ومَنْ قرأ: «أُوْبي» معناه: عُودي في التَّسبيح معه كلَّما عادَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «أَوِّبي» أي: سَبِّحي، وأصلُ التَّأويبِ في السَّيْرِ، وهو أنْ يسيرَ النهارَ كُلَّه، وينزلَ ليلاً، فكأنه أراد: ادأَبي النهارَ كُلَّه بالتَّسبيحِ إلى الليل.

قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ وقرأ أبو رَزِين، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وأبو العَالِيةِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «والطَّيْرُ» بالرفع. فأمَّا قراءةُ النصب، فقال أبو عمروِ بنِ العلاءِ: هو عَطفٌ على قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ أي: وسَخَّرْنا له الطَّيْرَ. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ يكون نصباً على النداء، كأنه قال: دَعَوْنا الجبالَ والطَّيرَ، فالطَّيرُ معطوفٌ على موضع الجبال، وكلُّ مُنادًى عند البَصْرِيين فهو في موضعِ نصبٍ؛ قال: وأمَّا الرفعُ، فمِنْ جهتين: **إحداهما**: أنْ يكونَ نَسقاً على ما في «أَوِّبي» فالمعنى يا جبالُ رَجِّعي التَّسبيحَ معه أنتِ والطَّيرُ. **والثانية**: على النداء، المعنى: يا جبالُ ويا أيُّها الطَّيرُ أَوِّبي معه. قال ابنُ عباسٍ: كانت الطَّيرُ تُسبِّحُ معه إذا سبَّحَ، وكان إذا قرأَ لم تَبْقَ دابَّةٌ إلا استَمعَتْ لقراءَتِه وبَكَتْ لبُكائِه. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: كان يقول للجبال: سَبِّحي. وللطَّيرِ: أجِيبِي، ثم يأخذ هو في تلاوةِ الزَّبُورِ بين ذلك بصوتِه الحسَنِ، فلا يَرى الناسُ منظراً أحسنَ مِنْ ذلك، ولا يسمعون شيئاً أطيَبَ منه. قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: جعَلناه لَيِّناً. قال قَتادةُ: سَخَّرَ اللَّهُ له الحديدَ بغيرِ نارٍ، فكانَ يُسوِّيه بيَدِه، لا يُدخِلُه النارَ، ولا يَضرِبُه بحَديدَةٍ، وكان أولَ مَنْ صَنعَ الدُّروعَ، وكانت قبلَ ذلك صَفائحَ.

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: وقُلنا له: اعْمَلْ، ويكون في معنى «لأنْ يَعملَ» ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: دُروعاً سَابِغاتٍ، فذكَر الصِّفَةَ لأنها تدلُّ على الموصوفِ. قال المُفسِّرون: كان يأخذُ الحديدَ بيَدِه فيَصِيرُ كأنه عَجينٌ يعملُ به ما يشاء، فيَعمَلُ الدُّروعَ في بعضِ يوم فيبيعُهُ بمالٍ كثيرٍ، فيأكل ويتصدَّقُ. والسَّابغاتُ: الدُّروعُ الكَوامِلُ التي تُغطِّي لابِسَها حتى تَفْضُلَ عنه فيَجُرّها على الأرض. ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: اجعَلْهُ على قَدْرِ الحاجة. قال ابنُ قُتَيبةَ: السَّرْدُ: النَّسْجُ، ومنه يُقال لصانعِ الدُّروعِ: سَرَّادٌ وزَرَّادٌ، تُبدَلُ مِنَ السين الزاي، كما يُقال: سَرَّاط وزَرَّاط. وقال الزَّجَّاجُ: السَّرْدُ في اللغة: تَقدِمَةُ الشيءِ إلى الشيءِ تأتي به مُتَّسِقاً بعضُه في إثْرِ بعضٍ مُتتابعاً، ومنه قولهم: سَرَدَ فلانٌ الحديثَ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: عَدِّلِ المِسمَارَ في الحَلْقَةِ ولا تُصغِّرْهُ فيَقْلَقَ، ولا تُعظِّمْهُ فتَنفَصِمَ الحَلْقَةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا تجعَلْ حِلَقَهُ واسعةً فلا تَقِي صاحبَها، قاله قَتادةُ. قوله تعالى: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ خِطابٌ لداودَ وآلِه.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ قرأ الأكثرون بنصب الرِّيح على معنى: وسَخَّرنا لسُليمانَ الرِّيحَ. وروى أبو بكرٍ، والمُفضَّلُ عن عاصم: «الرِّيح» رفعاً، أي: له تَسخيرُ الرِّيح. وقرأ أبو جعفرَ: «الرِّياح» على الجمع. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ قال قَتادَةُ: تَغدُو مسيرةَ شهرٍ إلى نصفِ النَّهار، وتَروحُ مسيرةَ شهرٍ إلى آخرِ النَّهار، فهي تسيرُ في اليوم الواحدِ مسيرةَ شهرين. قال الحسَنُ: لمَّا شَغلَتْ نبيَّ الله سُليمانَ الخيلُ عن الصلاةِ فعقرَها، أبدلَهُ اللَّهُ خيراً منها وأسرَعَ وهي الرِّيحُ، فكان يَغدُو مِنْ دِمشقَ فيَقيلُ بإصْطَخْرَ وبينهما مسيرةُ شهرٍ للمُسرعِ، ثم يَروحُ مِنْ إصْطَخْرَ فيَبيتُ بكَابُلَ، وبينهما مسيرةُ شهرٍ للمُسرع. قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: القِطْرُ: النُّحاس، وهو الصُّفْرُ، أُذِيبَ مُذْ ذاكَ، وكان قبلَ سُليمانَ لا يذوبُ. قال المُفسِّرون: أجرى اللَّهُ تعالى: لسُليمانَ عَيْنَ الصُّفرِ حتى صنعَ منها ما أراد مِنْ غير نارٍ، كما أُلِينَ لداودَ الحديدُ بغيرِ نارٍ، فبقيَتْ تجري ثلاثةَ أيامٍ ولياليهِنَّ كجَرْيِ الماءِ؛ وإنما يعملُ الناسُ اليومَ ممَّا أُعطيَ سُليمانُ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾ المعنى: وسَخَّرنا له مِنَ الجِنِّ ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بأمرِه؛ سَخَّرهُم اللَّهُ له، وأَمرَهُم بطاعتِه؛ والكلامُ يدلُّ على أنَّ منهم مَنْ لم يُسخَّر له ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ أي: يَعْدِلُ ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعةِ سُليمانَ ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ وهل هذا في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: **أحدهما**: في الآخرة، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: في الدنيا، قاله مُقاتِلٌ. وقيل: إنه كان مع سُليمانَ مَلَكٌ بيدِه سَوطٌ مِنْ نارٍ، فمَنْ زَاغَ مِنَ الجِنِّ ضَربَهُ المَلَكُ بذلك السَّوطِ. ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المساجدُ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ قُتَيبة. **والثاني**: القصورُ، قاله عَطيَّةُ. **والثالث**: المساجدُ والقصورُ، قاله قَتادَةُ. وأمَّا التماثيلُ، فهي الصُّوَرُ؛ قاله الحسَنُ. ولم تكُنْ يومئذٍ محرَّمةً؛ ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنها كانت كالطَّواويسِ والعِقْبانِ والنُّسورِ على كُرسيِّهِ ودَرجاتِ سريرِه لكي يَهابَها مَنْ أراد الدُّنُوَّ منه، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها كانت صُوَرُ النَّبيِّين والملائكة لكي يَراهُم الناسُ مُصوَّرين، فيَعبُدوا مثلَ عبادَتِهم ويتشبَّهوا بهم، قاله ابنُ السَّائب. وفي ما كانوا يعملونها منه قولان: **أحدهما**: مِنَ النُّحاس، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مِنَ الرُّخام والشَّبَه[1]، قاله قَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ الجِفانُ: جمعُ جَفْنَة، وهي القَصْعةُ الكبيرةُ، والجَوابي؛ جمعُ جابيَة، وهي الحَوضُ الكبيرُ يُجْبَى فيه الماء، أي: يُجمَعُ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «كالجَوابي» بياءٍ،

---

(١) في «اللسان»: الشَّبَه: النحاس يصبغ فيصفر.

إلاَّ أنَّ ابنَ كَثيرٍ يُثبت الياءَ في الوَصْلِ والوَقْفِ، وأبو عمرٍو يُثبتها في الوَصلِ دونَ الوَقفِ. قال الزَّجَّاجُ: وأكثرُ القُرَّاءِ على الوَقفِ بغيرِ ياءٍ، وكان الأصل الوَقفُ بالياء، إلاَّ أنَّ الكسرة تَنُوبُ عنها. قال المُفسِّرون: كانوا يصنعون له القِصَاعَ كحِياض الإبل، يجتمعُ على القَصْعَةِ الواحدةِ ألفُ رجلٍ يأكلون منها. قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ أي: ثَوابِت؛ يُقال: رَسَا يَرْسُو: إذا ثَبتَ. وفي عِلَّة ثُبوتها في مكانها قولان: **أحدهما**: أنَّ أثافِيَها[1] منها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها لا تُنزَلُ لِعظَمِها، قاله ابنُ قُتيبةَ. قال المُفسِّرون: وكانت القُدورُ كالجبال لا تُحرَّكُ مِنْ أماكِنها، يأكلُ مِنَ القِدْرِ ألفُ رجلٍ. قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ المعنى: وقُلنا: اعملوا بطاعةِ الله تعالى، شُكراً له على ما آتاكم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ يعني على سُليمانَ. قال المُفسِّرون: كانت الإنسُ تقول: إنَّ الجنَّ تعلمُ الغيبَ الذي يكون في غَدٍ، فوقف سُليمانُ في مِحرَابه يُصلِّي مُتوكِّئاً على عصاه، فماتَ، فمكثَ كذلك حَوْلاً والجنُّ تعملُ تلك الأعمالَ الشَّاقَّةَ ولا تعلَمُ بموتِهِ حتى أكلَتِ الأرضُ عصا سُليمانَ، فخرَّ فعلموا بمَوتِه، وعَلِمَ الإنسُ أنَّ الجنَّ لا تعلمُ الغيبَ. وقيل: إنَّ سُليمانَ سأل اللَّهَ تعالى أنْ يُعمِّي على الجنِّ موتَه، فأخفاهُ الله عنهم حَوْلاً. وفي سببِ سؤاله قولان: **أحدهما**: لأنَّ الجنَّ كانوا يقولون للإنس: إنَّنا نَعلَمُ الغيبَ، فأراد تكذيبَهُم. **والثاني**: لأنه كان قد بقيَ مِنْ عِمارةِ بيتِ المَقدسِ بقيَّةٌ. فأما ﴿دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فهي: الأرَضَةُ: وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «دابَّة الأرَض» بفتح الراء. والمِنسأةُ: العصا. قال الزَّجَّاجُ: وإنما سُمِّيت مِنسأةً، لأنه يُنسأُ بها، أي: يُطْرَدُ ويُزْجَرُ. قال الفَرَّاءُ: أهلُ الحِجازِ لا يَهمِزون المِنسأةَ، وتميمٌ وفصحاءُ قَيسٍ يَهمِزُونها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سَقطَ ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ﴾ أي: ظَهرتْ وانكشفَ للناس أنهم لا يعلمونَ الغيبَ، ولو عَلِموا ﴿مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ أي: ما عَمِلُوا مُسخَّرين وهو ميتٌ وهم يَظنُّونَهُ حيًّا. وقيلَ: تبيَّنتِ الجنُّ، أي عَلِمتْ، لأنَّها كانت تَتوهَّم باستِرَاقِها السَّمعَ أنها تعلَمُ الغيبَ، فعلِمَتْ حِينئذٍ خطأَهَا في ظنِّها. وروى رُويسٌ عن يعقوبَ: «تُبُيِّنَتْ» برفعِ التاء والباءِ وكَسرِ الياء.

﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ
طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ
وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلۡنَا
بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ
﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾
وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٢١﴾﴾

(١) في «اللسان»: الأثف: الحجر الذي توضع عليه القِدْر، وجمعها أثافي.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «في مَسَاكِنِهم». وقرأ حمزةُ، وحَفْصٌ عن عاصمٍ: «مَسْكَنِهم» بفتحِ الكاف مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ الكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «مَسْكِنِهم» بكسرِ الكاف، وهي لغةٌ.

قال المُفسِّرون: المراد بسَبإٍ ها هنا: القبيلةُ التي هم مِنْ أولاد سَبَأ بنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُب بنِ قَحطانَ؛ وقد ذكرنا في سُورةِ النَّمْل[١] الخلافَ في هذا، وأنَّ قوماً يقولون: هو اسمُ بلدٍ، وليس باسم رجلٍ. وذَكر الزَّجَّاجُ في هذا المكان أنَّ مَنْ قرأ: «لِسبأَ» بالفتح وتَرْكِ الصَّرْفِ، جعلَهُ اسماً للقبيلةِ، ومَنْ صَرَفَ وكَسَرَ ونوَّنَ، جعله اسماً للحيِّ واسماً لرجلٍ؛ وكلٌّ جائزٌ حسَنٌ. و ﴿ءَايَةٌ﴾ رفعٌ، اسمُ «كان» و ﴿جَنَّتَانِ﴾ رفعٌ على نوعين. **أحدهما**: أنه بدلٌ مِنْ «آية». **والثاني**: على إضمارٍ، كأنه لمَّا قيلَ: «آيةٌ» قيلَ: الآيةُ جنَّتان.

الإشارة إلى قصتهم

ذَكر العلماء بالتفسير والسِّيَرِ أنَّ بِلْقِيسَ لمَّا مَلَكَتْ قومها جعلَ قومُها يقتتلون على ماءِ وادِيهم، فجعلت تَنهاهُم فلا يُطيعونَها، فتركَتْ مُلْكها وانطلقت إلى قَصرِها فنزلَتْهُ، فلمَّا كَثُرَ الشَّرُّ بينهم ونَدِموا، أتَوها فأرادوها على أنْ ترجعَ إلى مُلْكِها، فأبَتْ، فقالوا: لَترجِعِنَّ أو لَنَقْتُلَنَّكِ، فقالت: إنكم لا تُطيعونَني وليست لكم عقولٌ، فقالوا: فإنَّا نُطيعُكِ، فجاءت إلى وادِيهم ـ وكانوا إذا مُطِرُوا أتاهُ السَّيْلُ مِنْ مسيرة أيَّامٍ ـ فأمَرَتْ به، فسُدَّ ما بين الجبلين بمُسَنَّاةٍ[٢]، وحَبَسَت الماءَ مِنْ وراء السَّدِّ، وجَعلتْ له أبواباً بعضُها فوقَ بعضٍ، وبَنَتْ مِنْ دونِه بِركَةً وجَعلَتْ فيها اثني عشرَ مَخرجاً على عِدَّةِ أنهارِهم، فكان الماءُ يخرجُ بينهم بالسَّوِيَّةِ، إلى أنْ كان مِنْ شأنها مع سُليمانَ ما سَبقَ ذِكرُه[٣]، وبَقُوا بعدَها على حالِهم، وقيل: إنما بَنوا ذلك البُنيانَ لِئلاَّ يغشى السَّيْلُ أموالَهم فيُهلِكَها، فكانوا يفتحون مِنْ أبواب السَّدِّ ما يُريدون، فيأخذون مِنَ الماء ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنَّتانِ عن يمينِ وادِيهم وعن شِمالِه، فأخصَبَتْ أرضُهم، وكَثُرَتْ فواكِهُهم، وإنْ كانت المرأةُ لَتَمُرُّ بين الجنَّتين والمِكْتَلُ على رأسِها، فترجعُ وقد امتلأَ مِنَ الثَّمرِ ولا تَمَسُّ بيدِها شيئاً منه، ولم يكُنْ يُرى في بلدِهم حيَّةٌ ولا عقربٌ، ولا بَعوضةٌ ولا ذُبابٌ ولا بُرغُوثٌ، ويمرُّ الغريبُ ببلدَتِهم وفي ثيابه القَمْلُ، فيموتُ القَمْلُ لِطيبِ هوائِها. وقيلَ لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: هذه بلدةٌ طيِّبةٌ، أو بلدَتُكم بلدةٌ طيِّبةٌ، ولم تكُنْ سَبخَةً ولا فيها ما يُؤذي ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي: واللَّهُ ربٌّ غفورٌ، وكانت ثلاثَ عشرة قريةً، فبَعثَ اللَّهُ إليهم ثلاثةَ عشرَ نبيًّا[٤]، فكذَّبوا الرُّسلَ، ولم يُقِرُّوا بنِعَم الله، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن الحقِّ، وكذَّبوا أنبياءَهُم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ العَرِمَ: الشديدُ، رواه عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابنِ عباسٍ. وقال ابنُ الأعْرَابي: العَرِم: السَّيلُ الذي لا يُطاقُ. **والثاني**: أنه اسمُ الوادي، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه المُسَنَّاةُ، قاله مُجاهِدٌ، وأبو مَيسرَةَ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ. وقال أبو عُبيدَةَ: العَرِم: جمعُ عَرِمَة، وهي: السِّكْرُ[٥] والمُسَنَّاةُ. **والرابع**: أنَّ العَرِمَ: الجُرَذُ

---

(١) النمل: ٢٢.

(٢) في «اللسان» سننت التراب: صببته على وجه الأرض صباً حتى صار كالمسَنَّاة.

(٣) النمل: ٢٩ ـ ٤٤.

(٤) هذا الأثر من إسرائيليات وهب بن منبه.

الذي نَقَبَ عليهم السُّكرَ، حكاه الزَّجَّاجُ.

وفي صفةِ إرسالِ هذا السَّيلِ عليهم قولان: **أحدهما**: أنَّ اللَّهَ تعالى بَعَثَ على سِكْرِهِم دابَّةً مِنَ الأرض فَنَقَبتْ فيه نَقْباً، فسَالَ ذلكَ الماءُ إلى موضعِ غيرِ الموضعِ الذي كانوا ينتفعون به، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال قَتادةُ والضَّحَّاكُ في آخرين: بَعثَ الله عليهم جُرَذاً يُسمَّى الخُلْدَ ـ والخُلْدُ: الفأرُ الأعمَى ـ فنقَبَهُ مِن أسفَلِه، فأغرَقَ اللَّهُ به جنَّاتِهم، وخرَّبَ به أرضَهُم. **والثاني**: أنه أرسَلَ عليهم ماءً أحمرَ، أرسَلَهُ في السَّدِّ فنسفَهُ وهَدمَهُ وحَفرَ الوادي، ولم يكن الماءُ أحمرَ مِنَ السَّدِّ، وإنما كان سَيْلاً أُرسِلَ عليهم، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ يعني اللتَيْنِ تُطعمَانِ الفواكِهَ ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «أُكُلٍ» بالتنوين. وقرأ أبو عمرٍو: «أُكُلِ» بالإضافة. وخفَّفَ الكاف ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ، وثقَّلها الباقون. أمَّا الأُكُلُ، فهو الثَّمرُ.

وفي المراد بالخَمْطِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأرَاكُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والجمهور؛ فعَلَى هذا، أُكُلُه: ثَمرُهُ؛ ويُسمَّى ثَمرُ الأراكِ: البَرير. **والثاني**: أنه كلُّ شجرةٍ ذاتُ شَوكٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: أنه كلُّ نَبْتٍ قد أخذَ طعماً مِنَ المَرارةِ حتى لا يُمكن أكلُهُ، قاله المُبَرِّدُ والزَّجَّاجُ. فعَلَى هذا القول، الخَمْطُ: اسمٌ للمأكُولِ، فيَحسُن على هذا قراءةُ مَنْ نوَّنَ الأُكُل؛ وعلى ما قبله، هو اسمُ شجرةٍ، والأُكُل ثَمرُها، فيَحسُن قراءةُ مَنْ أضاف.

فأمَّا الأَثْلُ، ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الطَّرْفاءُ[1]، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه السَّمُرُ، حكاه ابنُ جريرٍ. **والثالث**: أنه شجرٌ يُشبه الطَّرْفاءَ إلاَّ أنَّه أعظَمُ منه.

قوله تعالى: ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ ففيه تقديمٌ، تقديره: وشيءٍ قليلٍ مِنَ السِّدْر وهو شجر النبق. والمعنى: أنه كان الخمط والأثل في جنتيهم أكثر من السدر. قال قَتادةُ: بينما شَجرُهُم مِنْ خيرِ الشجر، إذ صَيَّرهُ اللَّهُ تعالى مِنْ شَرِّ الشجر.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ أي: ذلك التَّبديلَ جزيناهم ﴿بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

فإنْ قيلَ: قد يُجازَى المؤمنُ والكافرُ، فما معنى هذا التَّخصِيصِ؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ المؤمنَ يُجزَى ولا يُجازَى، فيُقال في أفصحِ اللغة: جَزَى اللَّهُ المؤمنَ، ولا يُقال: جازَاهُ، لأنَّ جازاه بمعنى كافَأَهُ، فالكافرُ يُجازَى بسيِّئتِهِ مِثلَها، مكافأةً له، والمؤمنُ يُزادُ في الثواب ويُتفضَّلُ عليه، هذا قولُ الفرَّاءِ. **والثاني**: أنَّ الكافر ليست له حسَنةٌ تُكفِّرُ ذنوبَهُ، فهو يُجازَى بجميع الذُّنوب، والمؤمنُ قد أَحبَطتْ حسناتُه سيِّئاتِه، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. وقال طاوسٌ: الكافرُ يُجازَى ولا يُغفَرُ له، والمؤمنُ لا يُناقَشُ الحسابَ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ هذا معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾؛ والمعنى: كان مِنْ قَصَصِهم أنَّا جَعلْنا بينهم ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي: قُرى الشامِ؛ وقد سبق بيانُ معنى البَرَكةِ

---

(١) السُّكْرُ بالسكون: ما سد به النهر.

(٢) في «اللسان»: الطرفاء: قال أبو حنيفة: الطرفاء من العضاه وهدبه مثل هدب الأثل، وليس له خشب وإنما يخرج عِصياً سمحة في السماء.

فيها[١]، هذا قولُ الجمهور. وحَكَى ابنُ السَّائبِ أنَّ اللَّهَ تعالى لمَّا أهلَكَ جنَّتَيهم قالوا للرُّسلِ: قد عَرفنا نِعمةَ الله علينا، فلَئِنْ رَدَّ إلينا ما كنَّا عليه لنَعبُدَنَّه عبادةً شديدةً، فرَدَّ عليهم النِّعمة، وجعل لهم قُرىً ظاهرةً، فعادوا إلى الفسادِ وقالوا: باعِدْ بين أسفارِنا؛ فَمُزِّقوا.

قوله تعالى: ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ أي: مُتواصِلةً يَنظر بعضُها إلى بعضٍ ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ فيه قولان:
أحدهما: أنهم كانوا يَغدُون فيَقيلُون في قريةٍ، ويَروحُونَ فيَبيتونَ في قريةٍ، قاله الحسَنُ، وقتادةُ.
والثاني: أنه جَعلَ ما بين القريةِ والقريةِ مِقداراً واحداً، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ والمعنى: وقُلنا لهم: سِيْروا فيها ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنْ مَخاوِفِ السفر مِنْ جوعٍ أو عطشٍ أو سَبُعٍ أو تعبٍ. وكانوا يسيرون أربعةَ أشهرٍ في أمانٍ، فبَطِروا النِّعمةَ ومَلُّوها كما مَلَّ بَنو إسرائيلَ المَنَّ والسَّلوى ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «بَعِّد» بتشديد العينِ وكَسْرِها. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ: «باعِدْ» بألِفٍ وكَسرِ العين. وعن ابنِ عباسٍ كالقراءتين. قال ابنُ عباسٍ: إنهم قالوا: لو كانت جَنَّاتُنا أبعدَ ممَّا هي، كان أجْدَرَ أنْ يُشتَهى جَناها. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: لمَّا ذكَّرتْهُم الرُّسلُ نِعَم الله، أنكَرُوا أنْ يكونَ ما هم فيه نِعمةً، وسألوا اللَّهَ أنْ يُباعِدَ بين أسفارِهم. وقرأ يعقوبُ: «ربُّنا» برفع الباء «باعَدَ» بفتح العين والدال، جعله فعلاً ماضياً على طريق الإخبار للناس بما أنزلَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بهم. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي، وأبو رَجاءٍ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ أبي عَبلَةَ: «بَعُدَ» برفع العين وتخفيفِها وفتحِ الدال مِنْ غيرِ ألِفٍ، على طريقِ الشَّكايَةِ إلى الله عزَّ وجلَّ. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري؛ وأبو عِمرَانَ الجَوْني: «بُوعِدَ» برفع الباء وبواوٍ ساكنةٍ مع كَسرِ العين. قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ فيه قولان:
أحدهما: بالكُفرِ وتكذيبِ الرُّسلِ. **والثاني**: بقولهم: «بَعِّدْ بين أسفارِنا». ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لِمَنْ بعدَهم يتحدَّثون بما فُعِلَ بهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فرَّقْناهم في كلِّ وَجهٍ مِنَ البلاد كلَّ التَّفريق، لأنَّ الله لمَّا غرَّقَ مكانَهم وأذهَبَ جنَّتَيهم تبدَّدوا في البلاد، فصارت العربُ تتمثَّلُ في الفُرقَةِ بسَبأٍ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما فُعِلَ بهم ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ أي: لَعِبَراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لِنِعَمِه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ «عليهم» بمعنى «فيهم»، وصدقه في ظَنِّه أنَّه ظنَّ بهم أنَّهم يَتَّبِعُونَهُ إذ أغواهم، فوَجدَهُم كذلك. وإنما قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ بالظَّنِّ، لا بالعِلْم، فمَنْ قرأ: «صَدَّق» بتشديدِ الدال، فالمعنى: حَقَّقَ ما ظَنَّهُ فيهم بما فَعلَ بهم؛ ومَنْ قرأ بالتخفيف، فالمعنى: صَدَقَ عليهم في ظَنِّهِ بهم. وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ سَبأٍ. **والثاني**: سائرُ المُطيعين لإبليسَ. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ قد شرحناه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[٢]. قال الحسَنُ: واللَّهِ ما ضَربَهُم بعصاً ولا قهرَهُم على شيءٍ، إلاَّ أنه دَعاهُم إلى الأماني والغُرورِ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ما كان تسليطُنا إيَّاه إلاَّ لِنَعْلَمَ المؤمنين مِنَ الشَّاكِّين. وقرأ الزُّهْري: «إلاَّ لِيُعْلَم» بياءٍ مرفوعةٍ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه. وقرأ ابنُ يَعمُرَ: «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء. وفي المُراد بعِلْمِه ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: قد شرحناها في أوَّلِ العنكبوت[٣]. ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنَ الشَّكِّ والإيمانِ ﴿حَفِيظٌ﴾، وقال ابنُ قُتَيبةَ: والحَفيظُ بمعنى الحافِظ. قال الخَطَّابيُّ: وهو فَعيل بمعنى فاعِلٍ، كالقدير،

---

(١) الأنبياء: ٧١. (٢) الحجر: ٤٢. (٣) العنكبوت: ٣.

والعَلِيم، فهو يحفظُ السَّمواتِ والأرضَ بما فيها لِتَبقى مُدَّةَ بقائِها، ويَحفظُ عبادَهُ مِنَ المَهالكِ، ويَحفظُ عليهم أعمالَهُم، ويعلمُ نيَّاتِهم، ويحفظُ أولياءَهُ عن مُواقَعةِ الذُّنوب، ويَحرُسُهم مِنْ مكايدِ الشيطان.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ المعنى: قُلْ للكفَّارِ: ادْعوا الذين زَعمتُم أنهم آلهةٌ لِيُنْعِموا عليكم بنِعْمةٍ، أو يَكشِفوا عنكم بَليَّةً. ثم أخبرَ عنهم فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مِنْ خيرٍ وشرٍّ ونفعٍ وضرٍّ ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ لم يُشاركونا في شيءٍ مِنْ خلقِهما، ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ أي: وما للَّهِ ﴿مِنْهُم﴾ أي: مِنَ الآلهةِ ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ أي: مِنْ مُعينٍ على شيءٍ. ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «أَذِنَ له» بفتحِ الألِفِ. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، «أُذِنَ له» برفعِ الألِفِ، وعن عاصِمٍ كالقراءتين. أي: لا تنفعُ شفاعةُ مَلَكٍ ولا نبيٍّ حتى يُؤذَنَ له في الشفاعة، وقيلَ: حتى يُؤذَنَ له فيمَنْ يشفَعُ. وفي هذا ردٌّ عليهم حين قالوا: إنَّ هذه الآلهةَ تَشفَعُ لنا. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون: «فُزِّعَ» بضمِّ الفاء وكَسْرِ الزاي، قال ابنُ قُتيبةَ: خُفِّفَ عنها الفزَعُ. وقال الزَّجّاجُ: معناه: كُشِفَ الفزَعُ عن قلوبِهم. وقرأ ابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وأبَانُ: «فَزَّعَ» بفتحِ الفاءِ والزاي، والفعلُ لله عزَّ وجلَّ. وقرأ الحسَنُ، وقَتادةُ، وابنُ يَعمَرَ: «فرغ» بالراء غيرِ مُعجمةٍ، وبالغَين معجمة، وهو بمعنى الأول، لأنها فَرَغَتْ مِنَ الفَزعِ. وقال غيرُه بل فَرَغَتْ مِنَ الشَّكِّ والشِّركِ. وفي المُشارِ إليهم قولان(١):

أحدهما: أنهم الملائكة وقد دل الكلام على أنهم يفزعون لأمر يطرأ عليهم من أمر الله ولم يذكره في الآية، لأن إخراج الفزع يدل على حصوله وفي سبب فزعهم قولان: أحدهما: أنهم يَفزعون لسماعِ كلام الله تعالى. ورَوى عبدُ الله بنُ مسعودٍ عن رسول الله ﷺ قال:

[١١٨٣] «إذا تكلَّم اللَّهُ بالوَحيِ سَمِعَ أهلُ السماء صَلْصَلةً كَجَرِّ السِّلسِلة على الصَّفَا، فيُصعَقونَ، فلا يَزالون كذلك حتى يأتيَهُم جبريلُ، فإذا جاءَهُم جِبريلُ فزِّعَ عن قلوبِهم، فيقولون: يا جِبريلُ، ماذا

[١١٨٣] حسن بشواهده. أخرجه أبو داود ٤٧٣٨ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٤٥ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٣٤ وابن حبان ٣٧، ورجاله ثقات معروفون. وأخرجه موقوفاً ابن خزيمة في التوحيد ص ١٤٦ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٣٢ كلاهما عن أبي معاوية به. وأخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص ٩٢، ٩٣ والخطيب في «تاريخ بغداد» ١١/ ٣٩٣ وعبد الله بن أحمد في «السنة» ص ٧١ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٤٦ ـ ١٤٧ من طرق عن الأعمش به موقوفاً على عبد الله. وعلقه البخاري عن مسروق عن ابن مسعود موقوفاً كما في «الفتح» ١٣/ ٤٥٢. ومع ذلك فمثله لا يقال بالرأي، ويشهد لأصله ما بعده.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٣٧٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، حتى إذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحق. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٥٩: وقد اختار ابن جرير القول الأول: أن الضمير عائد على الملائكة، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه.

قال ربُّكَ؟ قال: فيقول: الحقَّ، فيُنادون: الحقَّ الحقَّ».

[١١٨٤] وروى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا قَضَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ الأمرَ في السماءِ ضَربَتِ الملائكةُ بأجنِحَتِها خُضْعَاناً لقوله، كأنه سِلْسِلةٌ على صَفوَانَ، فإذا فُزِّعَ عن قلوبِهم قالوا: ماذا قال ربُّكم، قالوا للذي قال: الحقَّ وهو العليُّ الكبير».

والثاني: أنهم يَفزَعون مِنْ قيام الساعة. وفي السبب الذي ظَنُّوه بدُنُوِّ الساعة فَفزِعوا، قولان:

[١١٨٥] أحدهما: أنه لمَّا كانت الفترةُ التي بين عيسى ومحمَّدٍ صلَّى الله عليهما وسَلَّمَ، ثم بَعثَ اللَّهُ محمَّداً، أنزَلَ اللَّهُ جِبريلَ بالوَحي، فلمَّا نزلَ ظنَّتِ الملائكةُ أنه نَزلَ بشيءٍ مِنْ أمرِ الساعة، فصُعِقُوا لذلك، فجَعلَ جِبريلُ يَمرُّ بكلِّ سماءٍ ويَكشِفُ عنهم الفَزَعَ ويُخبِرُهم أنه الوَحيُ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، وابنُ السَّائبِ. وقيلَ: لمَّا علموا بالإيحَاءِ إلى محمَّدٍ ﷺ، فَزِعوا، لِعِلْمِهم أنَّ ظُهورَه مِنْ أشراطِ الساعة.

[١١٨٦] والثاني: أنَّ الملائكةَ المُعقِّباتِ الذين يختلفون إلى أهلِ الأرض ويكتبون أعمالَهُم إذا أرسلَهُم اللَّهُ تعالى فانحَدَروا، يُسْمَعُ لهم صوتٌ شديدٌ، فيَحْسَبُ الذين هم أسفَلَ منهم مِنَ الملائكة أنه مِنْ أمرِ الساعة، فيَخِرُّون سُجَّداً، ويُصْعَقُون حتى يعلموا أنه ليس مِنْ أمرِ الساعة، وهذا كلَّما مَرُّوا عليهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ مسعودٍ.

والقول الثاني: أنَّ الذي أُشِيرَ إليهم المشركون؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنَّ المعنى: حتى إذا كُشِفَ الفَزعُ عن قلوبِ المشركين عند الموت ـ إقامةً للحُجَّةِ عليهم ـ قالت لهم الملائكةُ: ماذا قال ربُّكم في الدنيا؟ قالوا: الحقَّ، فأَقَرُّوا حين لم يَنْفَعُهم الإقرارُ، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ. والثاني: حتى إذا كُشِفَ الغِطاءُ عن قلوبِهم يومَ القيامة، قيلَ لهم: ماذا قال ربُّكُم؟ قاله مُجاهدٌ.

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني النَّباتَ والثَّمرَ. وإنما

[١١٨٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٠١ و ٧٤٨١ و ٤٨٠٠ وأبو داود ٣٩٨٩ والترمذي ٣٢٢٣ وابن ماجه ١٩٤ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٤٧ وابن حبان ٣٦ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ وابن منده في «الإيمان» ٧٠٠ والحميدي ١١٥١ من طرق عن سفيان به.

[١١٨٥] لا أصل له، عزاه المصنف لابن السائب الكلبي ومقاتل، وكلاهما يضع الحديث. وأخرجه الطبري ٢٨٨٥٤ عن قتادة قال: يوحي الله إلى جبرائيل، فتفرّق الملائكة، أو تفزع مخافة يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جلي عن قلوبهم، وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة **﴿قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**. وهذا من كلام قتادة، ليس بمرفوع، فالخبر ليس له أصل في المرفوع.

[١١٨٦] موقوف ضعيف. أخرجه الطبري ٢٨٨٥٥ عن الضحاك عن ابن مسعود قوله، وإسناده ضعيف، شيخ الطبري لم يسمّ، والضحاك لم يلق ابن مسعود.

أُمِرَ أنْ يسألَ الكفّارَ عن هذا، احتجاجاً عليهم بأنَّ الذي يَرزُق هو المُستَحِقُّ للعبادة، وهم لا يُثبِتُون رازقاً سواهُ، ولهذا قيلَ له: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ لأنهم لا يُجيبون بغير هذا؛ وها هنا تمّ الكلامُ. ثم أمَرَه أنْ يقولَ لهم: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ مذهبُ المُفسِّرين أنَّ «أو» ها هنا بمعنى الواو. وقال أبو عُبيدَةَ: معنى الكلام: وإنَّا ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾، وإنَّكم لفي ضلالٍ مبينٍ. وقال الفَرَّاءُ: معنى «أو» عند المُفسِّرين معنى الواو، وكذلك هو في المعنى، غيرَ أنَّ العربيَّة على غيرِ ذلك، لا تكون «أو» بمنزلةِ الواو، ولكنها تكون في الأمرِ المُفوَّضِ، كما تقول: إنْ شِئتَ فَخُذْ دِرهماً أو اثنين، فله أنْ يأخذَ واحداً أو اثنين، وليس له أنْ يأخذَ ثلاثةً، وإنما معنى الآية: وإنَّا لَضالُّون أو مُهتَدون، وإنكم أيضاً لَضالُّون أو مُهتَدُون، وهو يَعْلَمُ أنَّ رسولَه المُهتَدي، وأنَّ غيرَه الضَّالُّ، كما تقول للرجل تُكذِّبُه: واللّهِ إنَّ أحدَنا لَكاذبٌ ـ وأنتَ تَعنيه ـ فكذَّبتَهُ تكذيباً غيرَ مكشوفٍ؛ ويقول الرجل: واللّهِ لقد قَدِمَ فلانٌ، فيقول له مَنْ يَعْلَم كذبَهُ: قُلْ: إنْ شاءَ اللّهُ، فيُكذِّبه بأحسنَ مِنْ تصريحِ التكذيبِ؛ ومِنْ كلام العرب أنْ يقولوا: قاتَلَهُ اللّهُ، ثم يَستقبِحونَها، فيقول: قاتَعَه اللّهُ، ويقول بعضُهم: كاتَعَهُ اللّهُ؛ ويقولون: جوعاً، دعاءً على الرجل، ثم يستقبحونها فيقولون: جوداً، وبعضهم يقول: جوساً؛ ومن ذلك قولهم: وَيحَكَ ووَيسَكَ، وإنما هي في معنى «وَيلَكَ» إلاَّ أنها دُونَها. قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أي: لا تُؤاخَذون به ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكُفرِ والتَّكذيبِ؛ والمعنى إظهارُ التَّبرِّي منهم. وهذه الآيةُ عند أكثرِ المُفسِّرين مَنسوخةٌ بآيةِ السيفِ، ولا وَجهَ لذلك. قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يعني عند البَعثِ في الآخرة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يقضي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعَدْلِ ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ القاضي ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يقضي ﴿قُلْ﴾ للكفّارِ ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: أَعلِمُوني مِنْ أيِّ وَجهٍ أَلحَقتُمُوهم وهم لا يَخلقُون ولا يرزقُون ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وتنبيهٌ؛ والمعنى: ارتَدِعوا عن هذا القول، وتَنبَّهوا عن ضَلالَتِكم، فليس الأمرُ على ما أنتم عليه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً
وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: عامّةً لجميع الخلائقِ. وفي الكلام تقديمٌ، تقديره: وما أرسلْناكَ إلاّ للناس كافَّةً. وقيل: معنى «كافة للناس»: تَكفُّهم عمّا هُم عليه مِنَ الكُفرِ، والهاءُ فيه للمُبالغة. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يَعنُونَ العذابَ الذي يَعِدُهم به في يوم القيامة؛ وإنما قالوا هذا لأنَّهم يُنكِرون البَعثَ ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه يومُ المَوت عندَ النَّزعِ والسِّياقِ، قاله الضَّحّاكُ. **والثاني**: يومَ القيامة، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ
عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم

مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني مُشركي مكَّة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعنون التَّوراةَ والإنجيلَ، وذلك أنَّ مُؤمني أهلِ الكتاب قالوا: إنَّ صِفةَ محمَّدٍ في كتابِنا، فكفرَ أهلُ مكَّةَ بكتابِهم. ثم أخبرَ عن حالِهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ يعني مُشركي مكَّة ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: يَرُدُّ بعضُهم على بعضٍ في الجِدالِ واللَّوم ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ وهم الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ وهم الأشرافُ والقادَةُ: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مُصَدِّقين بتوحيدِ الله؛ والمعنى: أنتم مَنعتُمونا عن الإيمان؛ فأجابَهم المَتبُوعون فقالوا: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: مَنعناكم عن الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ به الرَّسولُ؟ ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ بتَركِ الإيمان ـ وفي هذا تنبيهٌ للكفَّارِ على أنَّ طاعة بعضِهم لبعضٍ في الدنيا تصيرُ سبباً للعَداوة في الآخرة ـ فردَّ عليهم الأتباعُ فقالوا: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: بلْ مَكرُكم بنا في الليلِ والنَّهار. قال الفَرَّاءُ: وهذا ممَّا تَتوسَّعُ فيه العربُ لوضوحِ معناه، كما يقولون: ليلُه قائمٌ، ونهارُه صائمٌ، فتُضيفُ الفِعلَ إلى غيرِ الآدَميين، والمعنى لهم. وقال الأخفَشُ: وهذا كقوله تعالى: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾[1]، قال جَريرٌ:

لقد لُمْتِنا يا أمَّ غَيْلانَ في السُّرَى ونِمْتِ وما لَيْلُ المَطِيِّ بِنائمِ[2]

وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «بل مَكَرَ» بفتح الكاف والرَّاء «الليلُ والنهارُ» برفعِهما. وقرأ ابنُ يَعمَرَ: «بل مَكْرٌ» بإسكانِ الكاف ورفعِ الراء وتنوينِها، «الليلَ والنهارَ» بنصبِهما.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون لهم: إنَّ دِينَنا حقٌّ ومحمَّدٌ كذَّابٌ، ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾ وقد سبقَ بيانُه في يُونس[3].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إذا دَخلوا جهنَّم غُلَّتْ أيديهم إلى أعناقِهم، وقالت لهم خَزَنةُ جهنَّم: هل تُجزَون إلاَّ ما كُنتم تعملون في الدنيا. قال أبو عُبيدَةَ: مجازُ «هل» ها هنا مجازُ الإيجَابِ، وليس باستفهامٍ؛ والمعنى: ما تُجزَونَ إلاَّ ما كنتم تعملون.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ

(١) محمد: ١٣.
(٢) في «اللسان»: السُّرَى: سير الليل عامته.
(٣) يونس: ٥٤.

مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أي نبيٍّ يُنذِر ﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ وهم أغنياؤها ورؤساؤها.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾. في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم المُترَفون مِنْ كلِّ أُمَّةٍ. **والثاني**: مُشركو مكّةَ، فظنُّوا مِنْ جَهلِهِم أنَّ الله خوَّلَهُم المالَ والولَدَ لكرامَتِهم عليه، فقالوا: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لأنَّ الله أحسَنَ إلينا بما أعطانا فلا يُعذِّبُنا، فأخبرَ أنَّهُ ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾؛ والمعنى أنَّ بَسطَ الرِّزقِ وتضييقَهُ ابتلاءٌ وامتِحانٌ، لا أنَّ البَسْطَ يدلُّ على رِضى الله، ولا التَّضييقُ يدلُّ على سَخطِهِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك. ثم صَرَّحَ بهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ قال الفَرَّاءُ: يَصلُح أنْ تقعَ «التي» على الأموالِ والأولاد جميعاً، لأنَّ الأموالَ جَمعٌ والأولادَ جمعٌ؛ وإنْ شِئتَ وجَّهتَ «التي» إلى الأموالِ، واكتَفيْتَ بها مِنْ ذِكْرِ الأولاد؛ وأنشدَ لِمَرَّارِ الأسَدِي:

نَـحْـنُ بِـمَـا عِـنْـدَنَـا وأنْـتَ بِـمَـا عِـنْـدَكَ رَاضٍ والـرَّأيُ مُـخْـتَـلِـفُ

وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(١). وقال الزَّجَّاج: المعنى: وما أموالُكم بالتي تُقرِّبُكم، ولا أولادُكم بالذين يُقرِّبُونَكم، فحُذِفَ اختصاراً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعب، والحسَنُ، وأبو الجَوزاءِ: «باللاتي تقرِّبكم». قال الأخفش: و «زُلفى» ها هنا اسمُ مصدرٍ، كأنه قال: تُقرِّبُكم عندنا ازدِلافاً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «زُلفى» أي: قُربى ومَنزِلةً عِندَنا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ما تُقرِّبُ الأموالُ إلاَّ مَنْ آمَنَ وعملَ بها في طاعةِ الله، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ والمراد به ها هنا عشرُ حسناتٍ، تأويلُه: لهم جزاءُ الضِّعْفِ الذي قد أعلَمْتُكم مقدارَهُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: لم يُرِدْ فيما يرى أهلُ النَّظرِ ـ واللَّهُ أعلمُ ـ أنهم يُجازَون بواحدٍ مثلِه، ولا اثنين، ولكنه أراد جَزاءَ التَّضعيفِ، وهو مِثلٌ يُضَمُّ إلى مِثلٍ ما بَلَغ، وكأنَّ الضِّعفَ الزيادةُ، فالمعنى: لهم جزاءُ الزِّيادةِ. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو المُتوكِّلِ، ورُوَيسٌ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «لهم جزاءً» بالنصب والتنوين وكَسْرِ التنوين وَصْلاً «الضِّعفُ» بالرفع. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وقَتادةُ؛ وأبو عِمْرانَ الجَوْني: «لهم جزاءٌ» بالرفع والتنوين «الضِّعفُ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ يعني غُرَفَ الجنَّةِ، وهي البيوت فوق الأبنية. وقرأ حمزةُ: «في الغُرْفة» على التَّوحيد؛ أراد اسمَ الجنس. وقرأ الحسَنُ، وأبو المُتوكِّلِ: «في الغُرْفات» بضمِّ الغين وسكونِ الراء مع الألِفِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وابنُ يَعمَرَ: بضمِّ الغين وفتحِ الراء مع الألف ﴿ءَامِنُونَ﴾ مِنَ الموت والغِيَرِ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه(٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ أي: يأتي ببدَلِه، يُقال: أخلَفَ اللَّهُ له وعليه: إذا أبدلَ ما ذهب عنه. وفي معنى الكلام أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: ما أنفقتُم مِنْ غير إسرافٍ ولا تقتيرٍ فهو يُخلِفُه، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: ما أنفقتُم في طاعتِه، فهو يُخلِفُه في الآخرة بالأجرِ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: ما أنفقتُم في الخير والبِرِّ فهو يُخلِفُه، إمَّا أنْ يُعجِّلَه في الدنيا،

---

(١) التوبة: ٣٤.
(٢) الحج: ٥١ ـ الرعد: ٢٦.

أو يَدَّخره لكم في الآخرة، قاله ابنُ السَّائب. **والرابع**: أنَّ الإنسانَ قد يُنفِقُ مالَه في الخير ولا يَرى له خَلَفاً أبداً؛ وإنما معنى الآية: ما كان مِنْ خَلَفٍ فهو منه، ذكره الثَّعلبي. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لمَّا دَارَ على الألسُنِ أنَّ السلطانَ يَرزقُ الجُندَ، وفلانٌ يَرزقُ عيالَهُ، أي: يُعطِيهم، أخبَرَ أنه خيرُ المُعْطِين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني المشركين؛ وقال مُقاتِلٌ: يعني الملائكةَ وَمَنْ عَبَدها ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ وهذا استفهامُ تقريرٍ وتوبيخ للعابدِين؛ فنزَّهتِ الملائكةُ ربَّها عن الشِّركِ فـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لكَ مما أضافوه إليكَ مِنَ الشُّركاء ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: نحنُ نتبرَّأُ إليكَ منهم، ما تولَّيناهم ولا اتَّخذْناهم عابدِين، ولسنا نُريدُ وَليًّا غيرَكَ ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي: يُطيعون الشياطين في عبادتِهم إيَّانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم﴾ أي: بالشياطين ﴿مُّؤْمِنُونَ﴾ أي: مُصدِّقون لهم فيما يُخبِرونَهم مِنَ الكذبِ أنَّ الملائكةَ بناتُ الله، فيقول اللَّهُ تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني في الآخرة ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ يعني العابدِين والمَعبُودِين ﴿نَّفْعًا﴾ بالشَّفاعةِ ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ بالتَّعذيب ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فعَبَدوا غيرَ الله ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ . . .﴾ الآية. ثم أخبرَ أنهم يُكذِّبون محمَّداً والقرآنَ بالآيةِ التي تَلِي هذه، وتفسيرُها ظاهرٌ. ثم أخبرَ أنهم لم يقولوا ذلك عن بيِّنةٍ، ولم يُكذِّبوا محمَّداً عن يقينٍ، ولم يأتِهم قبلَهُ كتابٌ ولا نبيٌّ يُخبِرُهم بفسادِ أمرِه، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ قال قَتادةُ: ما أنزلَ اللَّهُ على العرب كتاباً قبلَ القرآن ولا بعثَ إليهم نبيًّا قبلَ محمَّدٍ؛ وهذا محمولٌ على الذين أنذَرَهم نَبيُّنا محمد ﷺ؛ وقد كان إسماعيلُ نذيراً للعرب.

ثم أخبرَ عن عاقبة المُكذِّبين قبلَهم مُخوِّفاً لهم، فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني الأُمَمَ الكافرة ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما بَلَغ كفَّارُ مكَّةَ مِعشارَ ما آتينا الأُمَمَ التي كانت قبلَهم مِنَ القوَّة والمالِ وطُولِ العُمرِ، قاله الجمهور. **والثاني**: ما بَلَغ الذين مِنْ قَبلِهم مِعشارَ ما أعطينا هؤلاءِ مِنَ الحُجَّة والبُرهانِ. **والثالث**: ما بَلَغ الذين مِنْ قَبلِهم مِعشارَ شُكرِ ما أعطيناهُم، حكاهما المَاوَردي. والمِعشارُ: العُشرُ. والنَّكيرُ: اسمٌ بمعنى الإنكارِ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: فكيف كان نَكِيري؛ وإنما حُذفت الياءُ لأنه آخرُ آيةٍ.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ أي: آمُرُكم وأُوصيكم ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ»، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ. **والثاني**: طاعةُ الله، رواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: أنها قولُه تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾، قاله قَتادَةُ. والمعنى: أنَّ التي أَعِظُكم بها، قيامُكم وتَشميرُكم لِطلَبِ الحقِّ، وليس بالقيام على الأقدام. والمُراد بقوله تعالى: «مثنى» يجتمع اثنان فيتناظَرانِ في أمرِ رسولِ الله ﷺ. والمُراد بـ «فرادى» أنْ يتفكَّرَ الرجلُ وحدَهُ، ومعنى الكلام: لِيتفكَّرِ الإنسانُ منكم وحدَهُ، ولْيَخلُ بغيره، ولْيُناظِرْ، ولْيَسْتشِرْ، فَيَسْتدِلُّ بالمَصنوعاتِ على صانِعها، ويُصدِّقَ الرسولَ على اتبّاعِه، ولْيَقُلِ الرجلُ لصاحبه: هَلُمَّ فلْنَتصادَقْ هل رأينا بهذا الرجل جِنَّةً قطُّ، أو جرَّبْنا عليه كَذِباً قطُّ. وتَمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، وفيه اختصارٌ تقديره: ثم تتفكَّروا لِتعلَمُوا صِحَّةَ ما أمَرتُكم به وأنَّ الرسولَ ليس بمَجنونٍ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ والمعنى: ما أسألُكم شيئاً؛ ومثلُه قولُ القائل: ما لي في هذا فقدْ وَهبتُهُ لكَ، يريد: ليس لي فيه شيءٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يُلقي الوحي إلى أنبيائه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ وقرأ أبو رَجاءٍ: «عَلاَّمَ» بنصبِ الميم. ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ وهو الإسلام والقرآن. وفي المراد بالباطلِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشيطان، لا يَخلُقُ أحداً ولا يَبعثُهُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه الأصنام، لا تُبدِئُ خَلْقاً ولا تُحيي، قاله الضَّحَّاكُ. وقال أبو سُليمانَ: لا يَبتَدِئُ الصَّنمُ مِنْ عنده كلاماً فيُجاب ولا يَرُدُّ ما جاء مِنَ الحقِّ بحُجَّةٍ. **والثالث**: أنه الباطلُ الذي يُضادُّ الحقَّ؛ فالمعنى: ذهب الباطلُ بمجيءِ الحقِّ، فلم تَبقَ منه بقيَّةٌ يُقبِلُ بها أو يُدبر أو يُبدِئُ أو يُعيد، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين.

قوله تعالى ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي إثمُ ضَلالَتي على نفسي وذلك أنَّ كُفَّارَ مكَّةَ زعموا أنه قد ضَلَّ حينَ تَركَ دِينَ آبائه ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ مِنَ الحِكمةِ والبيانِ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ
بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا
يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ﴾ في زمانِ هذا الفَزع قولان: **أحدهما**: أنه حينَ البَعثِ مِنَ القبور، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه عندَ ظهورِ العذاب في الدنيا، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: هو الجيشُ الذي يُخسَفُ به بالبَيداءِ، يبقى منهم رجلٌ فيُخبِرُ الناسَ بما لَقُوا، وهذا حديثٌ مشروحٌ في التفسير، وأنَّ هذا الجيشَ يَؤمُّ البيتَ الحَرامَ لتَخريبه، فيُخسَفُ بهم[1]. وقال الضَّحَّاكُ وزيدُ بنُ أسلَمَ: هذه الآيةُ فيمَنْ قُتِلَ يومَ بدرٍ مِنَ المشركين. قوله تعالى: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ المعنى: فلا فَوْتَ لهم، أي: لا يُمكِنُهم أنْ يَفوتُونا ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**:

---

(١) هذا من بدع التأويل، ولا يصح، والصواب أن ذلك يوم يحشرون إلى جهنم.

مِنْ مكانِهم يومَ بدرٍ، قاله زيدُ بنُ أسلَمَ. **والثاني**: مِنْ تحتِ أقدامِهم بالخَسْفِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: مِنَ القبور، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وأينَ كانوا فَهُمْ مِنَ الله قريبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي: حين عايَنُوا العذابَ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ في هاء الكنايةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها تعود إلى الله عزَّ وجلَّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: إلى البَعثِ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: إلى الرَّسول، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: إلى القرآن، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصِم: «التَّناوُش» غيرَ مهموزٍ. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، والمُفضَّلُ عن عاصِم: بالهمزِ. قال الفَرَّاءُ: مَنْ هَمزَ جعله مِنْ «نأشْتُ»، ومَنْ لم يَهمِزْ، جعله مِنْ «نُشْتُ»، وهما مُتقارِبان؛ والمعنى: تناوَلتُ الشيءَ، بمنزلَةِ: ذِمْتُ الشيءَ وذأمْتُه: إذا عِبْتَه؛ وقد تَناوَشَ القومُ في القتال: إذا تناوَلَ بعضُهم بعضاً بالرِّماحِ، ولم يَتدانَوا كُلَّ التَّداني، وقد يجوزُ هَمزُ «التَّناؤش» وهي مِنْ «نُشْتُ» لانضمامِ الواو، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[(١)]. وقال الزَّجّاجُ: مَنْ هَمزَ «التَّناؤش» فلأنَّ واوَ التَّناوُشِ مضمومةٌ، وكُلُّ واوٍ مضمومةٍ ضَمَّتُها لازمةٌ، إنْ شِئتَ أبدلتَ منها همزةً، وإنْ شِئتَ لم تُبدِلْ نحو: أَدْؤُر. وقال ابنُ قُتَيبةَ: معنى الآية: وأنّى لهم التَّناوُشُ لِمَا أرادوا بُلوغَه، وإدراكُ ما طلبوا مِنَ التَّوبة ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ وهو المَوضعُ الذي تُقبَلُ فيه التَّوبةُ. وكذلك قال المُفسِّرون: أنّى لهم بتَناولِ الإيمانِ والتَّوبةِ وقد تَركُوا ذلك في الدنيا والدنيا قد ذهبت؟! قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ في هاءِ الكنايةِ أربعةُ أقوالٍ قد تقدَّمت في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا مِنْ قبلِ مُعاينَةِ أهوالِ الآخرة ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يَرْمُون بالظَّنِّ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ وهو بُعدُهم عن العِلْم بما يقولون. وفي المُراد بمَقالَتِهم هذه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم يظُنُّونَ أنهم يُرَدُّون إلى الدنيا، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه قولُهم في الدنيا: لا بَعْثَ لنا ولا جَنَّةَ ولا نارَ، قاله الحَسَنُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: أنهُ قولُهم عن رسولِ الله ﷺ: هو ساحرٌ، هو كاهِنٌ، هو شاعرٌ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي مُنِعَ هؤلاءِ الكفّارُ ممّا يَشتهون، وفيه ستةُ أقوالٍ:
أحدها: أنه الرُّجوعُ إلى الدنيا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الأهلُ والمالُ والوَلَدُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الإيمان، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: طاعةُ الله، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: التَّوبةُ. قاله السُّدِّيُّ. **والسادس**: حِيلَ بين الجيش الذي خرجَ لِتخريبِ الكَعبةِ وبين ذلك بأنْ خُسِفَ بهم، قاله مُقاتِلٌ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمْرانَ: «كما فَعَلَ» بفتحِ الفاء والعين ﴿بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: بمَنْ كان مذهبُه مذهبَهم. قال المُفسِّرون: والمعنى: كما فُعِلَ بنُظَرائِهم مِنَ الكفّارِ، مِنْ قَبلِ هؤلاءِ، فإنهم حِيلَ بينهم وبين ما يَشتهون. وقال الضَّحّاكُ: هم أصحابُ الفِيلِ حين أرادوا خَرابَ الكعبةِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ﴾ مِنَ البَعثِ ونُزولِ العذاب بهم ﴿مُّرِيبٍۭ﴾ أي: مُوقِعٍ لِلرِّيبَةِ والتُّهمَةِ. واللهُ أعلَمُ بالصَّوابِ.

---

(١) المرسلات: ١١.

(٢) لا يصح كما تقدّم.

سُورَةُ فَاطِرٍ

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

وتُسمَّى سُورة الملائكة، وهي مكِّيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا
يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالِقُهما مُبتدِئاً على غيرِ مِثالٍ. قال ابنُ عباسٍ: ما كنتُ أدري ما فاطِرُ السَّمواتِ والأرضِ حتى اختَصَمَ أعرابيَّان في بِئرٍ، فقال أحدُهما: أنا فَطرتُها، أي: ابتَدأتُها.

قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وروى الحَلبيُّ والقزَّازُ عن عبدِ الوَارثِ: «جاعِلٌ» بالرفع والتنوين «الملائكةَ» بالنَّصب ﴿رُسُلًا﴾ يُرسِلُهم إلى الأنبياءِ وإلى ما شاءَ مِنَ الأمور ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ أي: أصحابُ أجنحةٍ ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ فبعضُهم له جَناحانِ، وبعضُهم له ثلاثةٌ، وبعضُهم له أربعة، و ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ فيه خمسة أقوال: **أحدها**: أنه زادَ في خَلْقِ الملائكةِ الأجنحةَ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يَزيدُ في الأجنحةِ ما يشاءُ، رواه عبَّادُ بنُ منصورٍ عن الحسَنِ، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه الخَلْقُ الحسَنُ، رواه عَوفٌ عن الحسَنِ. **والرابع**: أنه حُسنُ الصَّوتِ، قاله الزُّهري: وابنُ جُريجٍ. **والخامس**: المَلاحَةُ في العينَينِ، قاله قَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ أي: مِنْ خيرٍ ورزقٍ. وقيل: أراد بها المطرَ ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «فلا مُمْسِكَ له». وفي الآية تنبيهٌ على أنه لا إلهَ إلاَّ هو، إذ لا يستطيعُ أحدٌ إمساكَ ما فَتَحَ وفَتْحَ ما أَمسَكَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ
فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ قال المفسِّرون: الخِطابُ لأهلِ مكَّةَ، و «اذكُروا» بمعنى احفَظُوا، ونِعمةُ الله عليهم: إسكانُهم الحَرَمَ ومَنْعُ الغاراتِ عنهم. ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: «غيرِ الله» بخَفضِ الراء، قال أبو عليٍّ: جَعَلاهُ صِفةً على اللفظِ، وذلك حَسَنٌ لإتباعِ الجَرِّ. وهذا استفهامُ تقريرٍ وتوبيخٍ؛ والمعنى: لا خالقَ سِواهُ ﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطرَ ﴿وَ﴾ مِنَ ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ النَّباتَ. وما بعد هذا قد سبق بيانُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ﴾ أي: إنه يريدُ هلاكَكم ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ أي: أنزِلوه مِنْ أنفسِكم منزلةَ الأعداءِ، وتَجنَّبوا طاعتَهُ ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ أي: شِيعَتَهُ إلى الكُفرِ ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

[١١٨٧] **أحدها**: أنها نزلت في أبي جَهْلٍ ومُشركي مكَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: في أصحاب الأهواءِ والمِلَلِ التي خالَفتِ الهُدى، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنهم اليهودُ والنَّصارى والمَجُوسُ، قاله أبو قِلابَةَ. فإنْ قيلَ: أينَ جوابُ «أفَمَنْ زُيِّن له»؟. فالجوابُ مِنْ وجهين: ذكرهما الزَّجّاجُ. **أحدهما**: أنَّ الجوابَ محذوفٌ؛ والمعنى: أفَمَنْ زُيِّن له سُوءُ عملِه كمَنْ هَداهُ اللَّهُ؟ ويدلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾. **والثاني**: أنَّ المعنى: أفَمَنْ زُيِّن له سُوءُ عملِه فأضَلَّهُ اللَّهُ ذهبتْ نفسُكَ عليهم حَسَراتٍ؟! ويدلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾. وقرأ أبو جعفرَ: «فلا تُذْهِبْ» بضمِّ التاء وكَسْرِ الهاء «نَفْسَكَ» بنَصبِ السين. وقال ابنُ عباسٍ: لا تَغتمَّ ولا تُهلِكْ نَفْسَكَ حَسْرةً على تَرْكِهِم الإيمانَ. قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ أي: تُزعِجُه مِنْ مكانِه؛ وقال أبو عُبيدَةَ: تجمعُه وتَجيءُ به، و «سُقْناه» بمعنى «نسوقه»؛ والعربُ قد تضعُ «فَعَلْنَا» في موضعِ «نَفْعَلُ»؛ وأنشدوا:

إنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طارُوا بها فَرَحاً مِنِّي ومَا سَمِعوا مِنْ صَالحٍ دَفَنُوا[2]

المعنى: يَطيروا ويَدفِنوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ وهو الحياةُ، وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: كما أحيَا اللَّهُ الأرضَ بعد موتِها يُحيي المَوتى يومَ البَعثِ.

[١١٨٧] واهٍ بمرة. ورد في «أسباب النزول» للسيوطي ٩٢٨ برواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وهذا سند تالف، جويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس. والصحيح عموم الآية.

---

(١) البقرة: ٢١٠، آل عمران: ١٨٤، لقمان: ٣٣.

(٢) البيت لقعنب بن أم صاحب كما في «اللسان» ـ أذن ـ وقد سبق تخريجه.

[١١٨٨] رَوى أبو رَزِينٍ العُقَيلي، قال: قلتُ: يا رسولَ الله؛ كيف يُحيي اللّهُ الموتى؟ وما آيةُ ذلك في خَلْقِه؟ فقال: «هل مَررتَ بوادي أهلِكَ مَحْلاً، ثم مَررت به يَهتزُّ خَضِراً؟» قلتُ: نعم، قال: «فكذلك يُحيي اللّهُ المَوتى، وتلكَ آيَته في خَلْقِه».

والثاني: كما أحيَا اللّهُ الأرضَ المَيْتَةَ بالماء، كذلك يُحيي اللّهُ الموتى بالماءِ. قال ابنُ مسعودٍ: يُرسِلُ اللّهُ تعالى ماءً مِنْ تحتِ العَرشِ كمَنِيّ الرِّجالِ، قال: فتَنبُتُ لُحْمانُهم وجُسْمانُهم مِنْ ذلك الماء، كما تَنبُتُ الأرضُ مِنَ الثَّرى، ثم قرأ هذه الآيَةَ. وقد ذكرنا في الأعراف[١] نحوَ هذا الشَّرحِ.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: مَنْ كان يريد العِزَّةَ بعبادةِ الأوثانِ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مَنْ كان يريد العِزَّةَ فليَتعزَّز بطاعةِ الله، قاله قَتادَةُ. وقد رَوى أنسٌ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[١١٨٩] «إنَّ ربَّكُم يقول كلَّ يوم: أنا العَزيزُ، فمَنْ أرادَ عِزَّ الدَّارَيْن فَلْيُطِعِ العَزيزَ».

والثالث: مَنْ كان يُريد عِلْمَ العِزَّةِ لِمَنْ هي، فإنَّها لله جميعاً، قاله الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ؛ وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي، والنَّخعيُّ، والجَحْدَريُّ، والشَّيزريُّ عن الكِسائيِّ: «يُصْعَدُ الكلامُ الطَّيِّبُ» وهو توحيدُه وذِكْرُه ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ قال عليُّ بنُ المَديني: الكَلِمُ الطَّيِّبُ: لا إلهَ إلاَّ اللّهُ، والعملُ الصَّالحُ: أداءُ الفرائضِ واجتنابُ المَحارمِ. وفي هاءِ الكنايةِ في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُهُۥۚ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها ترجعُ إلى الكَلِمِ الطَّيِّبِ؛ فالمعنى: والعملُ الصَّالحُ يَرفعُ الكَلِمَ الطَّيِّبَ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ. وكان الحسَنُ يقول: يُعْرَضُ القولُ على الفعلِ، فإنْ وافقَ القولَ الفعلُ قُبِلَ، وإنْ خالَفَ رُدَّ. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى العملِ الصَّالحِ، فالمعنى: والعملُ الصَّالحُ يرفَعُهُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ، فهو عكسُ القولِ الأوَّلِ، وبه قال أبو صالحٍ، وشَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ. فإذا قُلنا: إنَّ الكَلِمَ الطَّيِّبَ هو التوحيدُ، كانت فائدةُ هذا القول أنه لا يُقْبَلُ عملٌ صالحٌ إلاَّ مِنْ مُوَحِّدٍ.

[١١٨٨] ضعيف. أخرجه أحمد ٤/ ١١ والطيالسي ١٠٨٩ من حديث أبي رزين، وفيه وكيع بن عُدُس، قال الذهبي في «الميزان» لا يعرف، تفرد عنه يعلى بن عطاء اهـ فالإسناد ضعيف، وكيع مجهول العين.

[١١٨٩] باطل. أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١١٩ من حديث أنس، وأعله بداود بن عفان، وقال: قال ابن حبان: كان يضع الحديث على أنس. وكرره ١/ ١٢٠ من وجه آخر، وأعله بسعيد بن هبيرة، ونقل عن ابن عدي وابن حبان أنه كان يضع الحديث.

---

(١) الأعراف: ٥٧.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ١٠/ ٣٩٨: وأولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعاً، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٦٧٣: من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها.

والثالث: أنها ترجعُ إلى الله عزَّ وجلَّ، فالمعنى: والعملُ الصالحُ يَرفعُه اللَّهُ إليه، أي: يَقبلُه. قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال أبو عُبيدةَ: يَمكرون: بمعنى يَكتسِبون ويَجترِحون. ثم في المُشارِ إليهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّهم الذين مَكروا برسولِ الله ﷺ في دارِ النَّدْوَةِ، قاله أبو العاليةِ. **والثاني**: أنَّهم أصحابُ الرِّياءِ، قاله مُجاهِدٌ، وشَهْرُ بنُ حَوْشَب. **والثالث**: أنَّهم الذين يعملون السَّيِّئاتِ، قاله قَتادةُ، وابنُ السَّائب. **والرابع**: أنَّهم قائِلُو الشِّرك، قاله مُقاتِلٌ.

وفي معنى ﴿يَبُورُ﴾ قولان: **أحدهما**: يَبْطُلُ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: يَفْسُدُ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ يعني آدمَ ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ يعني نَسْلَهُ ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾ أي: أصنافاً، ذكوراً وإناثاً؛ قال قَتادةُ: زَوَّجَ بعضَهم ببعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ﴾ أي: ما يَطُول عُمرُ أحدٍ ﴿وَلَا يُنقَصُ﴾ وقرأ الحسَنُ، ويعقوبُ: «يَنقُصُ» بفتح الياء وضَمِّ القاف ﴿مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ في هذه الهاءِ قولان: **أحدهما**: أنها كنايةٌ عن آخَرَ، فالمعنى: ولا يُنقَصُ مِنْ عُمرِ آخَرَ؛ وهذا المعنى في روايةِ العَوْفيِّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ في آخرين. قال الفَرَّاءُ: وإنما كُني عنه كأنَّه الأولُ، لأنَّ لفظَ الثاني لو ظهرَ كان كالأوَّلِ، كأنَّه قال: ولا يُنقَصُ مِنْ عُمرِ مُعَمَّرٍ، ومثلُه في الكلام: عندي دِرهَمٌ ونِصفُهُ؛ والمعنى: ونِصفُ آخَرَ. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى المُعَمَّرِ المذكورِ؛ فالمعنى: ما يذهبُ مِنْ عُمرِ هذا المُعَمَّرِ يومٌ أو ليلةٌ إلاَّ وذلك مكتوبٌ؛ قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: مكتوبٌ في أوَّلِ الكتاب: عُمرُهُ كذا وكذا سنةً، ثم يُكتَبُ أسفلَ مِنْ ذلك: ذَهَبَ يومٌ، ذَهبَ يومان، ذَهبتْ ثلاثةٌ، إلى أنْ ينقطِعَ عُمرُه؛ وهذا المعنى في روايةِ ابنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ وأبو مالكٍ في آخَرين.

فأما الكتاب، فهو اللَّوحُ المَحفوظُ. وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يرجعُ إلى كتابةِ الآجالِ. **والثاني**: إلى زيادةِ العُمُرِ ونُقصانِه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾ يعني العَذْبَ والمِلْحَ؛ وهذه الآيةُ وما بعدَها قد سبقَ بيانُه[1] إلى قوله: ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو القِشْرُ الذي يكون على ظَهْرِ النَّواةِ. قوله تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ لأنهم جمادٌ ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ بأنْ يَخلُقَ اللَّهُ لهم أسماعاً ﴿مَا

(١) آل عمران: ٢٧، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٣، النحل: ١٤.

﴿ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ أي: لم يكن عندهم إجابة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: يتبرّؤون مِن عبادتِكم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ يا محمّدُ ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: عالِمٌ بالأشياء، يعني نَفْسَهُ عزَّ وجلَّ؛ والمعنى أنه لا أَخْبَرَ منه عزَّ وجلَّ بما أخبَرَ أنه سيكون.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: المحتاجون إليه ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عِبادَتِكم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ عند خَلْقِه بإحسانِه إليهم. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ بيانُه[(١)] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي: نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ بالذُّنوبِ ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ الذي حَمَلَتْ مِنَ الخطايا ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ الذي تَدْعُوهُ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ذا قرابةٍ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يَخشونَهُ ولم يَرَوْهُ؛ والمعنى: إنما تنفعُ بإنذارِكَ أهلَ الخشيةِ، فكأنَّكَ تُنذِرُهم دونَ غيرِهم لِمكانِ اختِصاصِهم بالانتفاعِ، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تَطَهَّرَ مِنَ الشِّركِ والفَواحِشِ، وفعَلَ الخيرَ ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فَصلاحُه لنَفْسِه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيَجزي بالأعمالِ. ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني المُؤمنَ والمُشرِكَ، ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ يعني الشِّركَ والضَّلالاتِ ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ الهُدى والإيمانُ، ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ظِلُّ اللَّيلِ وسَمُومُ النَّهارِ، قاله عطاءٌ. **والثاني**: الظِّلُّ: الجَنَّةُ، والحَرُورُ: النَّارُ، قاله مُجاهِدٌ. قال الفَرَّاءُ: الحَرُورُ بمنزلةِ السَّمُوم، وهي الرِّياحُ الحارَّةُ. والحَرُور تكون بالنَّهارِ وبالليلِ، والسَّمُومُ لا تكون إلاَّ بالنَّهار. وقال أبو عُبيدَةَ: الحَرُورُ تكون بالنَّهارِ مع الشمسِ، وكان رُؤْبةُ يقول: الحَرورُ باللَّيل، والسَّمُومُ بالنَّهار.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنَّ الأحياءَ: المؤمنون، والأمواتَ: الكفَّارُ. **والثاني**: أنَّ الأحياءَ، العُقَلاءُ: والأمواتَ: الجُهَّالُ. وفي «لا» المذكورةِ في هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ مؤكِّدةٌ. **والثاني**: أنها نافيةٌ لاستواءِ أحدِ المذكُورَين مع الآخَرِ. قال قَتادةُ: هذه أمثالٌ ضَربها اللَّهُ تعالى للمؤمنِ والكافرِ، يقول: كما لا تَستوي هذه الأشياءُ، كذلك لا يَستوي الكافرُ والمؤمنُ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُفهِمُ مَنْ يريد إفهامَهُ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي، والحَسَنُ، والجَحْدَرِيُّ: «بِمُسْمِعِ مَنْ» على الإضافة؛ يعني الكفَّارَ، شَبَّهَهُم بالمَوتى، ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ قال بعضُ المُفسِّرين: نُسِخَ معناها بآيةِ السَّيفِ. قوله

(١) إبراهيم: ١٩ ـ ٧١، الأنعام: ١٦٤.

تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: ما مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ قد جاءَها رسولٌ. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانه[1] إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أثبتَ فيها الياءَ في الحالَين يعقوبُ، وَافقَهُ في الوَصْلِ وَرْشٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ أي: ومِمَّا خَلَقْنا مِنَ الجبال جُدَدٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: الجُدَدُ: الخُطوطُ والطَّرائِقُ تكون في الجبالِ، فبعضُها بِيْضٌ، وبعضُها حُمرٌ، وبعضُها غَرابِيْبُ سُودٌ، والغرابِيْبُ جمعُ غِرْبِيبٍ، وهو الشديدُ السَّوادِ، يُقال: أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ، وتمامُ الكلام عندَ قوله: «كذلك»، يقول: مِنَ الجبالِ مُختلِفٌ ألوانُه، ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ أي: كاختلافِ الثَّمراتِ. قال الفَرَّاءُ: وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: وسُودٌ غَرابيبُ، لأنه يُقال: أسودُ غِرْبِيبٌ، وقلَّما يُقال: غِرْبِيبٌ أسوَدُ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: ومِنَ الجبال غَرابِيبُ سُودٌ، وهي ذَواتُ الصَّخرِ الأَسْوَدِ. وقال ابنُ دُرَيدٍ: الغِرْبِيبُ: الأَسْوَدُ، أَحْسِبُ أَنَّ اشتِقاقَهُ مِنَ الغُرابِ. وللمُفسِّرين في المراد بالغَرابِيبِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الطَّرائِقُ السُّودُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الأودِيَةُ السُّودُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: الجِبالُ السُّودُ، قاله السُّدِّيُّ.

ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني العلماءَ باللَّهِ عزَّ وجلَّ. قال ابنُ عباسٍ: يُريد: إنَّما يَخافُني مِنْ خَلْقِي مَنْ عَلِمَ جَبَروتي وعِزَّتي وسُلطاني. وقال مُجاهِدٌ والشَّعْبِيُّ: العالِمُ مَنْ خافَ اللَّهَ. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: مَنْ لم يَخْشَ اللَّهَ فليس بعالِمٍ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يعني قُرَّاءَ القرآن، فأثنى عليهم بقراءةِ القرآنِ؛ وكانَ مُطَرِّفٌ يقول: هذه آيةُ القُرَّاءِ. وفي قوله تعالى ﴿يَتْلُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: يَقرؤون. **والثاني**: يَتَّبِعُون. قال أبو عُبيدَةَ: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بمعنى ويُقيمُون وهو إدامَتُها لِمَواقيتِها وحُدودِها. قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ قال الفَرَّاءُ: هذا جوابُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾. قال المُفسِّرون: والمعنى: يرجونَ بفِعْلِهم هذا تجارةً لن تَفسُدَ ولن تَهلِكَ ولن تَكْسُدَ ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: جزاءَ أعمالِهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: سِوى الثَّوابِ ما لم تَرَ عينٌ ولم تسمَعْ أُذنٌ. فأمَّا الشَّكورُ، فقال الخَطَّابيُّ: هو الذي يَشكُر اليَسيرَ مِنَ الطاعة، فيُثيبُ عليه الكثيرَ مِنَ الثواب، ويُعطي الجَزيلَ مِنَ النِّعمَةِ، ويَرضى باليَسيرِ مِنَ الشُّكرِ؛ ومعنى الشُّكرِ المضافِ إليه: الرِّضى بيَسيرِ الطَّاعة مِنَ العَبدِ، والقَبولُ له، وإعظامُ الثَّوابِ عليه؛ وقد يَحتمِلُ أنْ يكونَ معنى الثناءِ على الله بالشَّكُورِ ترغيبُ

---

(١) آل عمران: ١٨٤.

الخَلْقِ في الطاعة قَلَّتْ أو كَثُرَتْ، لِئلاً يَسْتَقِلُّوا القليلَ مِنَ العملِ، ولا يَتركُوا اليَسيرَ منه.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ في «ثُمَّ» وجهان: **أحدهما**: أنها بمعنى الواو. **والثاني**: أنها للتَّرتيب. والمعنى: أنزلْنا الكُتبَ المُتقدِّمَةَ، ثُمَّ أَورَثْنا الكتابَ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم الأنبياءُ وأتباعُهم، قاله الحسَنُ. وفي الكتاب قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ جنس، والمُراد به الكُتبُ التي أنزلَها اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وهذا يُخرَّج على القولَين. فإنْ قُلنا: الذين اصطُفُوا أُمَّةُ محمَّدٍ، فقد قال ابنُ عباسٍ: إنَّ الله أورثَ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ كلَّ كتابٍ أنزَلَهُ. وقال ابنُ جَريرٍ الطَّبَري: ومعنى ذلك: أورثَهُم الإيمانَ بالكُتبِ كلِّها ـ وجميعُ الكُتبِ تأمُرُ باتِّباع القرآن ـ فهم مؤمنون بها عامِلون بمُقتضَاها؛ واستدلَّ على صحةِ هذا القولِ بأنَّ اللَّهَ تعالى قال في الآيةِ التي قبلَ هذه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وأتبعَهُ بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ فعَلِمْنا أنهم أُمَّةُ محمَّدٍ، إذ كان معنى المِيرَاثِ: انتقالُ شيءٍ مِنْ قومٍ إلى قومٍ، ولم تكُنْ أُمَّةٌ على عهدِ نبيِّنا ﷺ انتقلَ إليهم كتابٌ مِنْ قومٍ كانوا قبلَهُم غيرِ أُمَّتهِ. فإنْ قُلنا: هم الأنبياءُ وأتباعُهم، كان المعنى: أورثْنا كلَّ كتابٍ أُنزِلَ على نبيٍّ ذلكَ النبيَّ وأتباعَه. **والقول الثاني**: أنَّ المرادَ بالكتاب القرآنُ. وفي معنى «أَوْرَثْنا» قولان: **أحدهما**: أَعْطَيْنا، لأنَّ المِيرَاثَ، عطاءٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أَخَّرْنا، ومنه المِيرَاثُ، لأنه تأخَّرَ عن المَيتِ؛ فالمعنى: أخَّرْنا القرآنَ عن الأُمَمِ السَّالِفةِ وأعطيناهُ هذه الأُمَّةَ، إكراماً لها، ذكرَهُ بعض أهلِ المعاني.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه صاحبُ الصغائرِ؛

[١١٩٠] رَوى عمرُ بنُ الخَطَّابِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «سَابِقُنا سابقٌ، ومُقتصِدُنا نَاجٍ، وظالِمُنا مَغفورٌ لهُ».

[١١٩١] ورَوى أبو سعيدٍ الخُدريُّ عن رسولِ الله ﷺ في هذه الآيةِ، قال: «كلُّهم في الجنَّةِ».

[١١٩٠] أخرجه العقيلي في «الضعفاء» ١٤٩١ من طريق محمد بن أيوب عن عمرو بن الحصين به، وإسناده ضعيف جداً لأجل عمرو بن حصين، فإنه متروك. وأخرجه البيهقي في «البعث» ٦٥ من طريق حفص بن خالد عن ميمون بن سياه عن عمر به. وقال البيهقي: فيه إرسال بين ميمون، وعمر. وانظر ما بعده.

[١١٩١] حسن. أخرجه الترمذي ٣٢٢٥ وأحمد ٣/٧٨ والطبري ٢٩٠١٢ والطيالسي ٢٢٣٦ والبيهقي في «البعث» ٦١ من حديث أبي سعيد، وإسناده ضعيف. فيه رجل من ثقيف عن رجل من كنانة، وكلاهما لم يسمّ، فالخبر واهٍ، وضعفه الترمذي، بقوله: غريب اهـ لكن له شواهد. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٠٦٥.
ـ وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» ٢٥٧٧، وفيه نظر، وحسبه الحسن.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٦٨٠: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهو اختيار ابن جرير، فقد قال: وأما الظالم لنفسه فإنه من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك.

والثاني: أنه الذي مات على كبيرةٍ ولم يَتُبْ منها، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنه الكافرُ، رواه عمرُو بنُ دِينارٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١١٩٢] وقد رواه ابنُ عمرَ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ. فَعَلَى هذا يكون الاصطِفاءُ لِجُملةِ مَنْ أُنزِلَ عليه الكتابُ، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(١) أي: لَشَرَفٌ لكم، وكم مِنْ مُكرَمٍ لم يَقبَلِ الكَرامةَ!

والرابع: أنه المنافقُ، حُكيَ عن الحسَنِ. وقد رُويَ عن الحسَنِ أنه قال: الظَّالمُ: الذي تَرجَحُ سيِّئاتُه على حسناته، والمُقتَصِدُ: الذي قد استَوَتْ حسناتُه وسيِّئاتُه، والسَّابقُ: مَنْ رَجَحَتْ حسناتُه. ورُوي عن عُثمانَ بنِ عَفَّانَ أنه تَلا هذه الآيةَ، فقال: سَابِقُنا أهلُ جِهادِنا، ومُقتَصِدُنا أهلُ حَضَرِنا، وظالِمُنا أهلُ بَدْوِنا.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ﴾ وقرأ أبو المتوكل والجحدري وابن السميفع: «سبّاق» مثل: فعّال ﴿بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: بالأعمالِ الصَّالحةِ إلى الجنَّةِ، أو إلى الرَّحمةِ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإرادتِه وأمرِه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ يعني إيراثَهم الكتابَ.

ثم أخبَرَ بثَوابِهم، فجَمعَهُم في دخولِ الجنَّةِ فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ قرأ أبو عمرٍو وحدَهُ: «يُدخَلُونَها» بضمِّ الياء؛ وفتَحها الباقون، وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنَّصبِ. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ أنه كان يَهمزُ الواوَ الثانيةَ ولا يَهمزُ الأولى؛ وفي روايةٍ أخرى أنه كان يَهمزُ الأولى ولا يَهمزُ الثانيةَ. والآيةُ مفسَّرةٌ في سُورةِ الحَجِّ(٢). قال كَعبٌ: تحاكَّتْ مناكِبُهم وربِّ الكعبةِ، ثم أُعطُوا الفَضْلَ بأعمالِهم.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

ثم أخبرَ عمَّا يقولون عند دُخولِها، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ الحَزَن والحُزن واحدٌ، كالبَخَل والبُخل. وفي المُراد بهذا الحَزنِ خمسةُ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنه الحُزنُ

[١١٩٢] باطل، أخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٥/ ٤٧٤ عن عمر مرفوعاً، وتفرد ابن مردويه به دليل وهنه، ويخالفه ما تقدم من أحاديث، فهو متن باطل.

---

(١) الزخرف: ٤٤. (٢) الحج: ٢٣.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ١٠/٤١٦: وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن =

لِطُولِ المُقامِ في المَحشرِ.

[١١٩٣] روى أبو الدَّرداءِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «أمَّا السَّابقُ، فيَدخلُ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، وأمَّا المُقتصِدُ، فيُحاسَبُ حِساباً يَسيراً، وأمَّا الظَّالمُ لنفسِه، فإنه حَزينٌ في ذلك المُقامِ»، فهو الحَزنُ والغَمُّ، وذلك قوله تعالى: «الحمد لله الذي أذهب عنَّا الحَزن».

[١١٩٤] **والثاني**: أنه الجوعُ، رواه أبو الدَّرداءِ أيضاً عن رسولِ الله ﷺ، ولا يَصِحُّ، وبه قال شِمْرُ بنُ عَطيَّةَ. وفي لفظٍ عن شِمْرٍ أنه قال: الحَزنُ: هَمُّ الخُبزِ، وكذلك رُويَ عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ أنه قال: الحَزنُ: هَمُّ الخُبزِ في الدنيا.

والثالث: أنه حَزنُ النَّارِ، رَواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: حَزنُهم في الدنيا على ذُنوبٍ سَلفَتْ منهم، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: حَزنُ الموتِ، قاله عَطيَّةُ.

والآيةُ عامَّةٌ في هذه الأقوال وغيرِها، ومِنَ القَبيحِ تخصيصُ هذا الحَزنِ بالخُبزِ وما يُشبهه، وإنما حَزِنوا على ذُنوبِهم وما يُوجِبُه الخَوفُ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا﴾ أي: أنزلَنا ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ قال الفرَّاءُ: المُقامةُ هي الإقامةُ، والمَقامةُ: المَجلِسُ، بالفتح لا غير، قال الشاعر:

يَــوْمَــانِ يَــوْمُ مَــقَــامَــاتٍ وَأَنْــدِيَــةٍ وَيَــوْمُ سَــيْــرٍ إلَــى الأعْــدَاءِ تَــأْوِيــبِ(١)

قوله تعالى: ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: بتفضُّلِه، لا بأعمالِنا. والنَّصَبُ: التَّعَبُ. واللُّغوبُ: الإعياءُ مِنَ التَّعب. ومعنى ﴿لُغُوبٌ﴾: شيء يُلْغِبُ؛ أي: لا نَتكلَّفُ شيئاً نُعنَّى منه.

قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ أي: لا يُهلَكُون فيستَريحوا ممَّا هُمْ فيه، ومثله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾(٢). قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ وقرأ أبو عمروٍ: «يُجزى» بالياء «كُلُّ»

[١١٩٣] حديث حسن أو شبه حسن بطرقه وشواهده دون لفظ «فإنه حزين...» فهذا ضعيف، ليس له شواهد.
أخرجه أحمد ٥/ ١٩٤ و ٦/ ٤٤٤ من طريق وكيع عن سفيان به. وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٦ ومن طريقه البيهقي في «البعث» ٦٢ من طريق جرير عن الأعمش به. وأخرجه أحمد ٥/ ١٩٨ من طريق أنس بن عياض الليثي عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء به. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٥ ـ (١٢٢٩٠): رواه الطبراني، وأحمد باختصار إلا أنه قال عن ثابت أو أبي ثابت... وثابت بن عبيد ومن قبله من رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني رجل غير مسمى. وقد فصّل الحاكم في اختلاف طرق هذا الحديث، وقال: إذا كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً. وللحديث شواهد منها الضعيف، وانظر «فتح القدير» ٢٠٦٦ و ٢٠٦٧.

[١١٩٤] لم أره مسنداً، وأمارة الوضع لائحة عليه، فإنه من بدع التأويل، واكتفى المصنف رحمه الله بقوله: لا يصح.
وورد من كلام شمر بن عطية أحد علماء التفسير، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٤/ ٤٧٦.
ـ والصحيح عموم الآية في كل ما يحزن الإنسان من مصائب وهموم ونصب، وهو الذي اختاره المصنف.

= هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة **﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾** وخوف دخول النار من الحزن، والجزع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع.

(١) البيت لسلامة بن جندل كما في «اللسان» ـ أوب ـ. (٢) القصص: ٥١.

برَفعِ اللام. وقرأ الباقون: «نَجزي» بالنون «كُلَّ» بنصبِ اللام.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ وهو افتِعالٌ مِنَ الصُّراخ: والمعنى: يَستغِيثُون، فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي: نُوحِّدكَ ونُطيعكَ ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ مِنَ الشركِ والمعاصي؛ فوبَّخَهُم الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ قال أبو عُبيدَة: معناه التَّقريرُ، وليس باستفهام؛ والمعنى: أَوَ لَمْ نُعَمِّركُم عُمراً يَتذكَّر فيه مَنْ تَذكَّرَ؟! وفي مقدارِ هذا التَّعميرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه سبعونَ سنةً، قال ابنُ عمرَ: هذه الآيةُ تعييرٌ لأبناءِ السَّبعين. **والثاني**: أربعونَ سنةً. **والثالث**: ستونَ سنةً، رواهما مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبالأوَّلِ منهما قال الحسَنُ، وابنُ السَّائبِ. **والرابع**: ثماني عشرةَ سنةً، قاله عطاءٌ، ووَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وأبو العَاليةِ، وقَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشَّيبُ، قاله ابنُ عمرَ وعِكرمَةُ وسُفيانُ بنُ عُيينةَ؛ والمعنى: أوَلَمْ نعمِرْكُم حتى شِبْتُم؟! **والثاني**: النبيُّ ﷺ، قاله قَتادةُ وابنُ زيدٍ وابنُ السَّائبِ ومُقاتِلٌ. **والثالث**: موتُ الأهلِ والأقارِبِ. **والرابع**: الحُمَّى، ذكرهما المَاوَردي.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا﴾ يعني العذابَ ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: مِنْ مانعٍ يَمنعُ عنهم. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ بيانُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأمَّةُ التي خَلَفَتْ مَنْ قَبْلَها ورَأَت فيمَنْ تقدَّمها ما ينبغي أنْ تَعتبرَ به ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاءُ كُفرِه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ المعنى: أخبِروني عن الذين عَبَدْتُم مِنْ دونِ الله واتَّخذْتُموهُم شُركاءَ بزَعمِكُم، بأيِّ شيءٍ أوجبتم لهم الشَّركَةَ في العبادة؟! أَبِشيءٍ خلَقُوهُ مِنَ الأرض، أَمْ شارَكُوا خالِقَ السَّمواتِ في خَلقِها؟! ثم عاد إلى الكفَّارِ فقال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ يأمُرهم بما يفعلون ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، وحَفصٌ عن عاصِم: «على بيِّنةٍ» على التوحيد. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «بيِّنات» جمعاً. والمُراد: البيانُ بأنَّ مع الله شَريكاً ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني المشركين يَعِدُ ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا﴾ أنَّ الأصنامَ تَشفعُ لهم، وأنَّه لا حِسابَ عليهم ولا عِقابَ. وقال مُقاتِلٌ: ما يَعِدُ الشيطانُ الكفَّارَ مِنْ شفاعةِ الآلهةِ إلاَّ باطلاً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي: يَمنعُهما مِنَ الزَّوالِ والذَّهابِ والوقُوع. قال الفَرَّاءُ ﴿وَلَئِن﴾ بمعنى «ولو»، و «إنْ» بمعنى «ما»، فالتقدير: ولو زَالَتا ما أمسَكَهُما مِنْ أحدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: لمَّا قالت النَّصارى: المَسيحُ ابنُ الله، وقالت اليَهودُ: عُزيرٌ ابنُ الله، كادَتِ السموات يتفطَّرْنَ والجبالُ أنْ تَزولَ والأرضُ أنْ تنشقَّ، فأمسَكَها الله عزَّ وجلَّ؛ وإنَّما وَحَّدَ «الأرض» مع جَمْعِ «السموات»، لأنَّ الأرضَ تدلُّ على الأرضِين. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ تحتملُ وَجْهَين: **أحدهما**: زَوالُهما يومَ القيامة. **والثاني**: أنْ يُقال

---

(١) المائدة: ٧.

تقديراً: وإنْ لم تَزُولا، وهذا مكانٌ يَدُلُّ على القُدرةِ، غيرَ أنه ذكر الحِلْم فيه، لأنه لمَّا أمسَكَهما عند قولِهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾(١)، حلُمَ فلم يُعجِّلْ لهم العقوبةَ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ حلَفُوا بالله قبلَ إرسالِ محمَّدٍ ﷺ ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: رسولٌ ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ أي: أصْوبَ دِيْناً ﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى والصَّابئِينَ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مَجِيئُهُ ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: تباعُدا عن الهُدى، ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عُتوّاً على الله وتكبُّراً عن الإيمان به. قال الأخفشُ: نصب «استكباراً» على البَدلِ مِنَ النُّفور. قال الفرَّاءُ: المعنى: فَعَلُوا ذلك استِكباراً ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، فأُضيفَ المَكرُ إلى السَّيِّءِ، كقولِه: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾(٢)، وتصديقُه في قراءةِ عبدِالله: «ومَكْراً سَيِّئاً»، والهمزةُ في «السَّيِّءِ» مَخفُوضَةٌ، وقد جَزَمها الأعمَشُ وحمزةُ، لكثرةِ الحَرَكاتِ؛ قال الزَّجَّاج: وهذا عند النَّحويِّين الحُذَّاقِ لَحنٌ، إنَّما يجوز في الشِّعرِ اضطراراً. وقال أبو جعفرَ النَّحاسُ: كان الأعمشُ يَقِفُ على «مَكرَ السَّيِّ» فيترُكُ الحركةَ، وهو وَقْفٌ حَسَنٌ تامٌّ، فغَلِطَ الراوي؛ فروى أنه كان يَحْذِفُ الإعرابَ في الوَصْلِ، فتابعَ حمزةُ الغَلطَ، فقرأ في الإدراجِ بتَرْكِ الحركةِ. وللمُفسِّرين في المراد بـ«مكر السيِّء» قولان: **أحدهما**: أنه الشِّركُ. قال ابنُ عباسٍ: عاقبةُ الشِّركِ لا تَحلُّ إلا بمَنْ أشرَكَ. **والثاني**: أنه المَكرُ برسولِ الله ﷺ، حكاه المَاوَرديُّ. قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: إلاَّ أنْ يَنزِلَ العذابُ بهم كما نَزَلَ بالأُمَمِ المُكذِّبةِ قبلَهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ﴾ في العذابِ ﴿تَبْدِيلًا﴾ وإنْ تأخَّر ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يَقْدِرُ أحدٌ أنْ يُحوِّلَ العذابَ عنهم إلى غيرِهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ هذا عامٌّ، وبعضُهم يقول: أراد بالناس المُشركين. والمعنى: لو واخَذَهُم بأفعالِهم لَعَجَّلَ لهم العقوبةَ. وقد شرحنا هذه الآيةَ في «النَّحل»(٣). وما أخلَلْنا به فقد سبقَ بيانُه(٤). قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ قال ابنُ جَريرٍ: بصيراً بمَنْ يستحِقُّ العُقوبةَ ومَنْ يستوجِبُ الكَرامَةَ.

---

(١) مريم: ٨٨. (٢) الحاقة: ٥١. (٣) النحل: ٦١.
(٤) يوسف: ١٠٩، الروم: ٩، الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١.

سورة يس

ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

وفيها قولان[١]: **أحدهما**: أنها مكّيَّةٌ، قاله ابنُ عباس، والحسَنُ، وعِكرَمةُ، وقَتادَةُ، والجمهور. ورُوي عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أنهما قالا: إنها مكّيَّةٌ إلاّ آيةً منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا﴾[٢]. **والثاني**: أنها مَدنيَّةٌ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي، وقال: ليس بالمشهور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾

وفي قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ خمسةُ أقوالٍ:

[١١٩٥] أحدها: أنَّ معناها: يا إِنسانُ، بالحَبشيَّةِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، ومُقاتِلٌ.

والثاني: أنها قَسَمٌ أقسَمَ اللهُ به، وهو مِنْ أسمائه، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ معناها: يا محمَّدُ، قاله ابنُ الحَنفِيَّة، والضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنَّ معناها: يا رجُلُ، قاله الحَسَنُ. **والخامس**: اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ. وقرأ الحسَنُ، وأبو الجَوزاءِ: «يسِنِ» بفتح الياء وكسرِ النون. وقرأ أبو المُتوكِّلِ وأبو رَجاءٍ وابنُ أبي عَبلَةَ بفتح الياء والنون جميعاً. وقرأ أبو حَصِينٍ الأسدي بكسرِ الياء وإِظهارِ النون. قال الزَّجّاجُ: والذي عند أهل العربية أنَّ هذا بمنزلة افتتاح السُّوَرِ، وبعضُ العرب يقول: «يسَنَ والقرآن» بفتحِ النون، وهذا جائزٌ في العربية لِوَجهين: **أحدهما**: أنَّ «يس» اسمٌ للسُّورة، فكأنه قال: اتْلُ يس، وهو على وزن هابيل وقابيل لا يَنصرِفُ. **والثاني**: أنه فُتِحَ لالتقاءِ السَّاكِنَين، والتسكينُ أجودُ لأنه حرفُ هجاءٍ. قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ هذا قَسَمٌ، وقد سبقَ معنى

[١١٩٥] أخرجه الطبري ٢٩٠٤٨ بسند رجاله ثقات عن عكرمة عن ابن عباس، والله أعلم.

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» ١٥/٥: هي مكية بإجماع، إلا أن فرقة قالت: إن قوله تعالى **﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾** [الآية ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار... قلت: وفي هذا نظر وسيأتي.

(٢) يس: ٤٥.

«الحكيم»[(١)]، قال الزَّجَّاجُ: وجوابه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ وأَحسنُ ما جاء في العربيَّة أنْ يكونَ «لَمِنَ المُرْسَلِينَ» خبرَ «إنَّ»، ويكون قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ خبراً ثانياً، فيكون المعنى: إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِين، إنَّكَ على صِراطٍ مستقيم. ويجوز أنْ يكونَ «على صِراطٍ» مِنْ صِلَةِ «المُرْسَلِين»، فيكون المعنى: إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ الذين أُرسِلوا على طريقةٍ مستقيمةٍ. قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «تنزيلُ» برفع اللام. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «تنزيلَ» بنصب اللام. وعن عاصِمٍ كالقِراءتين. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالنَّصبِ، فعَلَى المصدر، على معنى: نزَّلَ الله ذلك تنزيلاً، ومَنْ قرأ بالرفع، فعَلَى معنى: الذي أُنزِلَ إليكَ تنزيلُ العزيز. وقال الفَرَّاءُ: مَنْ نَصبَ، أراد: إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ تنزيلاً حقّاً مُنزلاً ويكون الرفعُ على الاستئناف، كقوله: «ذلك تنزيلُ العَزيزِ». وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو العَالِيةِ، والحَسنُ، والجَحْدَري: «تنزيلِ» بكسرِ اللام. وقال مُقاتِلٌ: هذا القرآنُ تنزيلُ العَزيزِ في مُلْكِه، الرَّحيمِ بِخَلْقِه.

قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ في «ما» قولان: **أحدهما**: أنها نفيٌ، وهو قولُ قَتادَةَ والزَّجَّاجِ في الأكثرين. **والثاني**: أنها بمعنى «كما»، قاله مُقاتِلٌ. وقيلَ: هي بمعنى «الذي».

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ أي: عن حُجَجِ التوحيدِ وأدلَّةِ البَعثِ.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وَجَبَ العذابُ. **والثاني**: سَبقَ القولُ بكُفرهم.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ، وهذه إشارةٌ إلى إرادةِ الله تعالى السَّابقةِ لكُفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لِمَا سبقَ مِنَ القَدَرِ بذلك. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: أنها مَثَلٌ، وليس هناك غُلٌّ على حقيقةٍ، قاله أكثرُ المُحققين، ثم لهم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنها مَثَلٌ لِمَنعِهم عن كلِّ خيرٍ، قاله قَتادةُ. والثاني: لِحَبْسِهم عن الإنفاقِ في سبيل الله بمَوانعَ كالأغلالِ، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ. والثالث: لِمَنْعِهم مِنَ الإيمان بالله، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والقول الثاني**: أنها موانعُ حِسيَّةٌ مَنعَتْ ما يَمنعُ الغُلُّ.

---

(١) البقرة: ٣٢.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٦٩٢: يقول الله تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتُهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غُلّ، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه فصار مقمحاً، ولهذا قال: ﴿فهم مقمحون﴾، والمقمح هو الرافع رأسه، كما قالت أم زرع في كلامها: «وأشرب فأتقمّحُ»، أي: أشرب فأروى، وأرفع رأسي تهنيئاً وترويًا. واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، وإن كانتا مرادتين، لما كان الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق، اكتفى بذكر العنق عن اليدين.

[١١٩٦] قال مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ: حَلفَ أبو جَهلٍ لَئِنْ رأى النبيَّ ﷺ يُصلّي لَيَدْمَغَنَّهُ، فجاءَهُ وهو يُصلّي، فرفعَ حَجراً فيَبِسَتْ يدُه والتَصقَ الحَجرُ بيده، فرجَع إلى أصحابه فأخبَرَهم الخبَرَ، فقامَ رجلٌ منهم فأخذَ الحجرَ، فلمَّا دَنا مِنْ رسول الله ﷺ طَمَسَ اللهُ على بصَرِهِ فلم يَرَهُ، فرجعَ إلى أصحابه فلم يُبْصِرهم حتى نادَوْه، فنزلَ في أبي جَهلٍ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا﴾ الآية. ونزل في الآخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾.

والقول الثالث: أنه على حقيقته، إلاَّ أنَّه وَصْفٌ لِمَا سيُنْزِلُه اللهُ تعالى بهم في النار، حكاه المَاوَرْدي.

قوله تعالى: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ قال الفَرَّاءُ: «فهي» كنايةٌ عن الأيمَانِ، ولم تُذْكَرْ، لأنَّ الغُلَّ لا يكون إلاَّ في اليَمين والعُنق جامعاً لهما، فاكتُفيَ بذكِرِ أحدِهما عن صاحبِه. وقال الزَّجَّاجُ: «هي» كنايةٌ عن الأيدي، ولم يَذْكُرها إيجازاً، لأنَّ الغُلَّ يتضمَّنُ اليدَ والعُنقَ، وأنشد:

وما أدري إذا يَمَّمْتُ أرضاً ... أُريدُ الخَيْرَ أَيُّهُما يَلِيني

وإنما قال: أيُّهما، لأنه قد عَلِمَ أنَّ الخير والشرَّ مُعرَّضان للإنسان. قال الفَرَّاءُ: والذَّقْنُ: أسفَلُ اللَّحْيَيْن، والمُقْمَحُ: الغاضُّ بصَرَهُ بعد رفع رأسه. قال أبو عُبيدَةَ: كُلُّ رافع رأسَه فهو مُقامِحٌ وقامِحٌ، والجمع: قِمَاحٌ، فإنْ فُعِلَ ذلك بإنسانٍ فهو مُقْمَحٌ، ومنه هذه الآية. وقال ابنُ قُتيبة: يُقال: بَعيرٌ قامِحٌ، وإبِلٌ قِمَاحٌ: إذا رَوِيَتْ مِنَ الماء فقَمَحَتْ، قال الشاعر ـ وذكر سفينةً ـ:

ونحنُ على جَوانِبِها قُعودٌ ... نَغُضُّ الطَّرْفَ كَالإبِلِ القِمَاحِ[(١)]

وقال الأزهَري: المُراد أنَّ أيديَهم لمَا غُلَّتْ عند أعناقِهم، رَفَعَتِ الأغلالُ أذقانَهم ورؤوسَهم، فهم مَرفُوعو الرؤوس برَفع الأغلال إيَّاها.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ قرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصِم: بفتح السين، والباقون: بضمِّها، وقد تكلَّمنا على الفَرْق بينهما في سُورةِ الكهف[(٢)]. وفي معنى الآيَةِ قولان: **أحدهما**: منَعناهم عنِ الإيمان بمَوانعَ، فهم لا يستطيعون الخروجَ عن الكُفرِ. **والثاني**: حَجبناهُم عن أذى رسولِ الله ﷺ بالظُّلمة لمَّا قَصدُوه بالأذى.

[١١٩٦] عزاه المصنف لمقاتل بن سليمان، وهو ممن يضع الحديث. وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ١٥٦ من طريق إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس مطوّلاً بنحوه، وليس فيه ذكر رجل، ولا ذكر نزول الآية، وإسناده ضعيف فيه من لم يسمّ. وأخرج أبو نعيم ١٥٢ من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه: أن رجلاً من بني مخزوم قام إلى رسول الله ﷺ، وفي يده مهز، ليرمي به رسول الله ﷺ...». وهذا مرسل. وليس فيه أن الآية نزلت بسبب ذلك. وأخرج الطبري ٢٩٠٦٤ عن عكرمة مرسلاً «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن، ولأفعلن» فأنزلت **﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...﴾**.
وانظر «صحيح البخاري» ٤٩٥٨ حديث ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنّ على عنقه. فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة».

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي، كما في «تفسير القرطبي» ١٥/ ١٢ و «اللسان» ـ قمح ـ.
(٢) الكهف: ٩٤.

قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أغشينا عيونَهم وأعميناهم عن الهُدَى. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والحسَنُ، وقَتادةُ، ويَحيى بنُ يَعمُرَ: «فأعشيناهم» بعينٍ غيرِ مُعجمةٍ. ثم ذكر أنَّ الإنذارَ لا ينفعهم لإضلالِه إيَّاهم بالآيةِ التي بعدَ هذه. ثم أخبرَ عمَّن ينفعُه الإنذارُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أي: إنما ينفع إنذارُك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ وهو القرآن، فعمِلَ به ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وقد شرحناه في الأنبياء[1]، والأجرُ الكريم: الحَسَنُ، وهو الجنَّةُ. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ للبعثِ ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ مِنْ خيرٍ وشرٍّ في دُنياهم. وقرأ النَّخعيُّ، والجَحْدَريُّ: «ويُكْتَبُ» بياءٍ مرفوعةٍ وفتحِ التاء «وآثارُهم» برفعِ الراء.

وفي آثارِهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها خُطاهم بأرجُلِهم، قاله الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ.

[١١٩٧] قال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ: شَكَتْ بنو سَلِمَةَ إلى رسولِ الله ﷺ بُعْدَ منازلِهم مِنَ المسجد، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾، فقال النبيُّ ﷺ: «عليكم منازلَكم، فإنَّما يُكْتَبُ آثارُكم»، وقال قَتادةُ وعمرُ بنُ عبدالعزيز: لو كان الله مُغْفِلاً شيئاً، لأغفَلَ ما تعفِي الرِّياحُ[2] مِنْ أثَرِ قدمِ ابنِ آدمَ.

والثاني: أنَّها الخُطا إلى الجُمعةِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ. **والثالث**: ما أثَروا مِنْ سُنَّةٍ حسنةٍ أو سيِّئةٍ يُعْمَل بها بعدَهم، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، واختاره الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ وقرأ ابنُ السَّميفع، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وكُلُّ» برفع اللام، أي: مِنَ الأعمال ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ أي: حَفِظْناه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللَّوحُ المَحفوظُ.

[١١٩٧] ذكر نزول الآية ضعيف، وأصل الحديث صحيح. أخرجه الترمذي ٣٢٢٦ والطبري ٢٩٠٧٣ وعبد الرزاق في «المصنف» ١٩٨٢ من طريق سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ومداره على طريف بن شهاب، وهو ضعيف. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري، وأبو سفيان هو طريف السعدي. وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٢٠ وفي «الوسيط» ٣/ ٥١٠ ـ ٥١١ من طريق الثوري، عن سعد بن طريف عن أبي نضرة به، وفي الإسناد قلب، والصواب طريف بن شهاب كما تقدم. وقال ابن كثير في «التفسير» عند هذه الآية: فيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية، فالله أعلم. وورد من رواية سماك عن عكرمة عن ابن عباس عند ابن ماجه ٧٨٥ والطبري ٢٩٠٦٩ و ٢٩٧٠ وقال البوصيري في «الزوائد» هذا موقوف، فيه سماك، وهو ابن حرب، وإن وثقه ابن معين، وأبو حاتم، فقد قال أحمد: مضطرب الحديث، وقال يعقوب بن شيبة: روايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وروايته عن غيره صالحة. وأشار الحافظ في «الفتح» ٢/ ١٤٠ إلى هذه الرواية وقال: وإسناده قوي. وفيه نظر، والصواب أن إسناده ضعيف لضعف سماك في عكرمة، فقد روى عنه مناكير. والسورة مكية كلها كما قال الحافظ ابن كثير، والصواب حديث أنس بن مالك في «صحيح البخاري» وغيره، وحديث جابر عند مسلم، وليس فيه نزول الآية. قال أنس رضي الله عنه: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قُرب المسجد، فكره رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة وقال: «يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم؟» فأقاموا. أخرجه البخاري ٦٥٥ ـ ٦٥٦ ـ ١٨٨٧ وابن ماجه ٧٨٤ وأحمد ٣/ ١٠٦ و ١٨٢ و ٢٦٣ والبيهقي ٣/ ٦٤ والبغوي في «شرح السنة» ٤٧٠ من طرق عن حميد به. وحديث جابر، أخرجه مسلم ٦٦٥ وأحمد ٣/ ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٧١ و ٣٩٠ وابن حبان ٢٠٤٢ وأبو عوانة ١/ ٣٨٧ والبيهقي ٣/ ٦٤ وأبو يعلى ٢١٥٧.

---

(١) الأنبياء: ٤٩.

(٢) عَفَت الرياح الأثر: إذا طمسته ومحته.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ
فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا
تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ المعنى: صِفْ لأهل مكّةَ مَثَلاً؛ أي: شِبْهاً. وقال الزَّجّاجُ: المعنى: مَثِّلْ لهم مَثَلاً ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ وهو بدلٌ مِنْ مَثَلٍ، كأنه قال: اذكُرْ لهم أصحابَ القرية. وقال عِكرمَةُ، وقَتادَةُ: هذه القريةُ هي أنطاكيَةُ[1]. ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ وفي اسمَيْهما ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: صادق وصَدُوق، قاله ابنُ عباسٍ، وكَعبٌ. **والثاني**: يُوحنّا وبُولس، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: تُومان وبُولس، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «فَعزَّزْنا» بتشديد الزاي، قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: قوَّيْنا وشدَّدْنا، يُقال: تعزَّزَ لحمُ النّاقة: إذا صَلُبَ. وقرأ أبو بكرٍ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ: «فعَزَزْنا» خفيفةً، قال أبو عليٍّ: أراد: فغَلَبْنا. قال مُقاتِلٌ: واسمُ هذا الثالث شمعُون، وكان مِنَ الحَوارِيّين، وهو وَصيُّ عيسى عليه السلام. قال وَهْبٌ: وأوحى الله إلى شمعُونَ يُخبِره خبرَ الاثنين ويأمرُه بنُصرَتِهما، فانطلقَ يَؤُمُّهما. وذكرَ الفَرّاءُ أنَّ هذا الثالثَ كان قد أُرسِلَ قبلَهما؛ قال: ونَراهُ في التَّنزيلِ كأنه بعدَهما، وإنما المعنى: فعَزَّزنا بالثالثِ الذي قبلَهما، والمُفسِّرون على أنه إنما أُرسِلَ لِنُصرتِهما، ثُمَّ إنَّ الثالثَ إنما يكون بعد ثانٍ، فأمّا إذا سبق الاثنين فهو أوّلٌ؛ وإنّي لأتعجَّبُ مِنْ قول الفَرّاءِ.

واختلف المُفسِّرون فيمن أرسلَ هؤلاءِ الرُّسل على قولين[3]: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى أرسلَهُم،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٣/ ٦٩٥ ـ ٦٩٨: وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية بما سيأتي في نهاية القصة وهو أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح، ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتاركة، وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلد آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم. وإن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف: أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تعالى: **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى﴾** فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) هذه الأقوال لا حجة فيها جميعاً لأن مصدرها كتب الأقدمين، فالله أعلم بالصواب.

(٣) قال ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٦٩٨: إن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ـ عز وجل ـ لا من =

وهو ظاهرُ القرآن، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ، وكَعبٍ، ووَهْبٍ. **والثاني**: أنَّ عيسى أرسَلَهم، وجازَ أنْ يُضافَ ذلك إلى الله تعالى لأنهم رُسلُ رسولِه، قاله قَتادَةُ، وابنُ جُرَيجٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: مالَكم علينا فَضلٌ في شيءٍ ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ أي: لم يُنزِلْ كتاباً ولم يُرسِلْ رسولاً. وما بعدَهُ ظاهرٌ إلى قوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وذلك أنَّ المطرَ حُبِسَ عنهم، فقالوا: إنّما أصابنا هذا مِنْ قِبَلِكُم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ أي تَسكتوا عنَّا ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي لنقتلنكم. ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي شُؤمُكم معكم بكُفرِكم لا بنا ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ «أين ذُكِرتم» بهمزةٍ واحدةٍ بعدها ياءٌ؛ وَافقه أبو عمروٍ إلاّ أنه كان يَمُدُّ. قال الأخفشُ: معناه حيث ذُكِرتُم، أي وُعِظتُم وخُوِّفتُم، وهذا استفهامٌ جوابه محذوفٌ تقديره: أَئِنْ ذُكّرتم تَطيَّرتُم بنا؟ وقيل: أَئِنْ ذُكِرتُم قلتُم هذا القولَ؟ والمُسرِفون هاهنا المشرِكون.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ واسمه حَبيبُ النجار، وكان مَجذُوماً، وكان قد آمَنَ بالرُّسل لمّا وَردُوا القريةَ، وكان منزلُه عند أقصى بابٍ مِنْ أبواب القرية، فلمّا بَلغَهُ أنَّ قومَهُ قد كذّبوا الرُّسلَ وهَمُّوا بقَتْلِهم، جاء يسعى، فقال ما قَصَّهُ الله علينا إلى قوله تعالى: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يعني الرُّسلَ، فأخَذُوه ورفَعوه إلى المَلِكِ، فقال له المَلِكُ: أفأنتَ تَتبعُهم؟ فقال: ﴿وَمَا لِىَ﴾ أسكَنَ هذه الياءَ حمزَةُ، وخَلَفٌ، ويعقوبُ ﴿لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي: وأيُّ شيءٍ لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ عند البَعثِ، فيَجزيكم بكُفرِكم؟!

فإنْ قيلَ: لِمَ أضافَ الفِطرَةَ إلى نفسه والبَعثَ إليهم وهو يَعلمُ أنَّ الله فَطَرهُم جميعاً كما يَبعثُهم جميعاً؟ فالجواب: أنَّ إيجادَ الله تعالى نِعمَةٌ يُوجِبُ الشُّكرَ، والبَعثُ في القيامة وَعِيدٌ يُوجِبُ الزَّجرَ، فكانت إضافةُ النِّعمة إلى نفسه أظهَرَ في الشُّكرِ، وإضافةُ البَعثِ إلى الكافرِ أبلغَ في الزَّجرِ.

ثم أنكرَ عبادةَ الأصنام بقوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ يعني أنه لا شفاعةَ لهم فتُغْني، ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أثبتَ هاهنا

= جهة المسيح، كما قال تعالى: **﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين...﴾** إلى أن قالوا: **﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين﴾** ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: **﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾**.

الياءَ في الحالَين يعقوبُ، ووَرْشٌ، والمعنى: لا يُخلِّصوني مِنْ ذلك المكروهِ. ﴿إِنِّيٓ إِذًا﴾ فتح هذه الياءَ نافعٌ، وأبو عمروٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فتح هذه الياءَ أهلُ الحِجازِ وأبو عمروٍ. وفيمَنْ خاطبَهم بإيمانِه قولان: **أحدهما**: أنه خاطبَ قومَهُ بذلك، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: أنه خاطبَ الرُّسلَ. ومعنى ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾: اشهَدوا لي بذلك، قاله الفَرَّاءُ. وقال أبو عُبيدَةَ: المعنى: فاسمَعوا مِنّي. وأثبتَ ياءَ «فاسمَعوني» في الحالَين يعقوبُ. قال ابنُ مسعودٍ: لمَّا خاطبَ قومَه بذلك، وَطِئوه بأرجُلِهم. وقال السُّدِّيُّ: رَمَوْه بالحجارة، وهو يقولُ: اللَّهُمَّ اهْدِ قَومي.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ لمَّا قتلُوه فلَقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ، قيلَ له: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾، فلمَّا دَخلَها ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾، وفي «ما» قولان:

أحدهما: أنها مع «غفرَ» في موضعِ مصدرٍ؛ والمعنى بغُفرانِ اللهِ لي. **والثاني**: أنها بمعنى «الذي»، فالمعنى: لَيْتَهُم يعلمون بالذي غَفرَ لي به ربّي فيُؤمنون، فنَصحَهُم حَيّاً وميتاً.

فلمَّا قَتلُوه عَجَّل اللهُ لهم العذابَ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ يعني قومَ حَبيبٍ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ قَتْلِه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني الملائكةَ، أي: لم يَنْتَصِرْ منهم بجُندٍ مِنَ السَّماء ﴿وَمَا كُنَّا﴾ نُنْزِلُهم على الأُمَمِ إذا أهلكناهُم. وقيلَ: المعنى: ما بَعثْنا إليهم بعدَهُ نبيّاً، ولا أنزلنا عليهم رسالةً. ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ قال المُفسِّرون: أخذَ جِبريلُ عليه السلام بِعِضادَتي بابِ المدينةِ ثم صاحَ بهم صيحةً واحدةً فإذا هم ميّتون لا يُسْمَعُ لهم حِسٌّ كالنَّار إذا طُفِئتْ، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي ساكِنون كهَيئةِ الرَّمادِ الخامدِ.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ قال الفَرَّاءُ: المعنى: يا لَها حَسْرةً على العِبادِ. وقال الزَّجَّاجُ: الحَسْرةُ أنْ يَرْكَبَ الإنسانُ مِنْ شِدَّة النَّدَم ما لا نهايةَ له حتى يبقى قلبُه حَسيراً. وفي المُتحسِّرِ على العبادِ قولان: **أحدهما**: أنهم يَتحسَّرون على أنفُسِهم، قال مُجاهِدٌ والزَّجَّاجُ: استِهزاؤهُم بالرُّسلِ كان حَسرةً عليهم في الآخرة. وقال أبو العَاليةِ: لمَّا عاينُوا العذابَ، قالوا: يا حَسرَتَنا على المُرسَلين، كيف لنا بهمُ الآنَ حتى نُؤمِنَ. **والثاني**: أنه تَحسُّرُ الملائكة على العِبادِ في تكذيبِهم الرُّسلَ، قاله الضَّحَّاكُ.

ثم خَوَّف كُفَّارَ مكَّةَ فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: أَلَمْ يَعلَموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ فيَعتَبِروا ويَخافوا أنْ نُعجِّلَ لهم الهلاكَ كما عُجِّلَ لِمَنْ أُهلِكَ قبلَهُم ولم يَرجِعوا إلى الدنيا؟!. قال الفَرَّاءُ: وألِفُ ﴿أَنَّهُمْ﴾ مفتوحةٌ، لأنَّ المعنى: أَلَمْ يَرَوا أنَّهم إليهم لا يَرجِعون. وقد كَسرَها الحَسَنُ، كأنه لم يُوقِع

الرُّؤيةَ على «كم»، فلم يُوقِعْها على «أنَّ» وإن استأنفْتَها كَسرتَها.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَمَا﴾ وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ: «لَمَّا» بالتشديد، ﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: إنَّ الأممَ يُحضَرون يومَ القيامة، فيُجازَون بأعمالِهم. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «لَمَا» بالتخفيف، فـ «ما» زائدةٌ مؤكِّدةٌ، والمعنى: وإنْ كُلٌّ لَجميعٌ، ومعناه: وما كُلٌّ إلاَّ جميعٌ لدينا مُحضَرون. ومَنْ قرأ «لَمَّا» بالتشديد، فهو بمعنى «إلاَّ»، تقول: «سألتُكَ لَمَّا فعلتَ» و «إلاَّ فعلتَ».

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ وقرأ نافعٌ: «المَيِّتَةُ» بالتشديد، وهو الأصلُ، والتخفيفُ أكثرُ، وكِلاهما جائزٌ؛ و «آيةٌ» مرفوعةٌ بالابتداء، وخبرُها «لهم»، ويجوز أنْ يكونَ خبرَها «الأرضُ الميتةُ»؛ والمعنى: وعلامةٌ تَدُلُّهم على التوحيد وأنَّ الله يَبْعثُ الموتى أحياءً، الأرضُ الميتةُ.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ يعني ما يُقتاتُ مِنَ الحُبوب.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ وقوله تعالى ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ يعني في الأرضِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾ يعني النَّخيل، وهو في اللفظِ مذكَّرٌ. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصمٍ: «عمِلَتْهُ» بهاءٍ. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «عَمِلَتْ» بغيرِ هاءٍ. والهاءُ مُثْبَتةٌ في مَصاحف مكَّةَ والمدينةِ والشام والبَصْرةِ، ومحذوفةٌ مِنْ مصاحفِ أهلِ الكُوفةِ. قال الزَّجَّاجُ: موضعُ «ما» خَفضٌ؛ والمعنى: ليأكلوا مِنْ ثمره ومِمَّا عَمِلَتْه أيديهم؛ ويجوز أنْ يكونَ «ما» نفياً؛ المعنى: ولم تعمَلْهُ أيديهم، وهذا على قراءةِ مَنْ أثبتَ الهاءَ، فإذا حُذفت الهاءُ، فالاختيارُ أن تكونَ «ما» في موضع خَفْضٍ، وتكون بمعنى «الذي»، فيَحْسُن حذفُ الهاءِ؛ وكذلك ذَكَر المُفسِّرون القولَين، فمَنْ قال بالأوَّلِ، قال: لِيأكُلوا ممَّا عَمِلَتْ أيديهم، وهو الغُروسُ والحُروثُ التي تَعِبُوا فيها، ومَنْ قال بالثاني. قال: لِيأكُلوا ما ليس مِنْ صُنعِهم، ولكنه مِنْ فِعلِ الحقِّ عزَّ وجلَّ ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله تعالى فيُوحِّدوه؟!. ثم نزَّه نَفْسَه بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ يعني الأجناسَ كُلَّها ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ مِنَ الفواكِه والحُبوبِ وغيرِ ذلك ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وهم الذكورُ والإناثُ ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْ دوابِّ البَرِّ والبحر وغيرِ ذلك ممَّا لم يَقِفوا على عِلْمِه.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: وعلامةٌ لهم تَدُلُّ على توحيدِنا وقُدرتنا الليلُ نَسلَخُ منه النهار؛ قال الفرَّاءُ: نَرمي بالنهارِ عنه، و «منه» بمعنى «عنه». وقال أبو عُبيدَةَ: نُخرِجُ منه النهار ونُمَيِّزه منه فتجيء الظُّلمةُ، قال الماوَرديُّ: وذلك أنَّ ضوءَ النهار يتداخلُ في الهواء فيُضيءُ، فإذا خرجَ منه أظلَمَ. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ أي: داخِلُون في الظَّلامِ. ﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ أي: وآيةٌ لهم الشمسُ ﴿تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: إلى موضعِ قرارِها. رَوى أبو ذَرٍّ قال:

[١١٩٨] سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قال: «مُستقَرُّها تحتَ العَرْشِ». وقال: «إنَّها تذهبُ حتى تسجُدَ بين يَدَي ربِّها، فتَستأذِنُ في الطُّلوعِ، فيُؤذَنُ لها».

والثاني: أنَّ مُستقَرَّها مَغْرِبُها لا تُجاوزُه ولا تَقصُرُ عنه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: لِوقتٍ واحدٍ لا تَعدُوه، قاله قَتادَةُ. وقال مُقاتِلٌ: لِوقتٍ لها إلى يوم القيامة. **والرابع**: تسيرُ في منازِلِها حتى تنتهيَ إلى مُستقَرِّها الذي لا تُجاوِزُه، ثم تَرجِعُ إلى أوَّلِ منازِلِها، قاله ابنُ السَّائبِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: إلى مُستقَرٍّ لها، ومُستقَرُّها: أقصى منازِلِها في الغُروبِ، وذلك لأنها لا تزالُ تَتقدَّمُ إلى أقصى مغارِبِها ثم تَرجِعُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ وعِكرِمَةُ وعليُّ بنُ الحُسينِ والشَّيزريُّ عن الكِسَائيِّ «لا مُسْتقَرَّ لها» والمعنى أنها تجري أبداً لا تثبُتُ في مكانٍ واحدٍ. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ مِنْ أمرِ الليلِ والنهارِ والشمسِ والقمرِ ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بما يُقدِّرُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «والقَمَرُ» بالرَّفع. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «والقَمَرَ» بالنَّصب. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالنَّصب، فالمعنى: وقدَّرْنا القمرَ قدَّرناه منازِلَ، ومَنْ قرأ بالرفعِ، فالمعنى: وآيةٌ لهم القمرُ قدَّرناه، ويجوز أنْ يكونَ على الابتداءِ، و «قدَّرْناه» الخبرُ. قال المُفسِّرون: ومنازِلُ القمرِ ثمانيةٌ وعشرون منزلاً ينزِلُها مِنْ أوَّلِ الشَّهرِ إلى آخِرِه، وقد سمَّيناها في سُورةِ يُونس[١]، فإذا صارَ إلى آخرِ منازِلِه، دَقَّ فعادَ كالعُرجُونِ، وهو عُودُ العِذْقِ الذي تركَتْهُ الشَّماريخُ[٢]، فإذا جَفَّ وقَدُمَ يُشبه الهِلالَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: و «القديم» هاهنا: الذي قد أتى عليه حَوْلٌ، شُبِّه القمرُ آخِرَ ليلةٍ يطلُع به. قال الزَّجَّاجُ: وتقديرُ «عُرجون»: فُعْلُون، مِنَ الانعِراجِ. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «كالعِرْجَوْنِ»، بكسرِ العين.

قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنهما إذا اجتمعا في السماء، كان أحدُهما بينَ يَدَي الآخر، فلا يَشتركان في المنازِلِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا يُشبه ضوءُ أحدِهما ضوءَ الآخر، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: لا يجتمع ضوءُ أحدِهما مع الآخَرِ، فإذا جاءَ سُلطانُ أحدِهما ذهبَ سُلطانُ الآخر، قاله قَتادَةُ؛ فيكون وَجهُ الحِكمَةِ في ذلك أنه لو اتَّصلَ الضوءُ، لم يُعرَفِ

[١١٩٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٠٣ و ٧٤٣٣ ومسلم ١٥٩ ح ٢٥١ وأحمد ٥/١٥٨ وابن حبان ٦١٥٢ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٥١٤ من طرق عن وكيع به عن أبي ذر مرفوعاً.
ـ وأخرجه الطحاوي في «المشكل» ٢٨١ من طريق أبي معاوية عن الأعمش به.

---

(١) يونس: ٥.

(٢) في «اللسان»: الشمروخ: غصن دقيق رخْصٌ ينبت في أعلى الغصن الغليظ في سنته رخصاً.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٤٤٢: يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر فيذهب ضوءها بضوئه فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها، ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه فتكون الأوقات كلها ليلاً اهـ.
وقال ابن كثير رحمه الله: يعني لكل منهما سلطاناً، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل ولا ينبغي إذا كان الليل أن يكون لليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل. وأنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ، لأنهما سخران دائبين يتطالبان طلباً حثيثاً.

الليلُ. قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمْرانَ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ: «سابِقٌ» بالتنوين «النَّهارَ» بالنَّصبِ، وفيه قولان: **أحدهما**: لا يَتقدَّمُ الليلُ قبلَ استكمالِ النَّهارِ. **والثاني**: لا يأتي ليلٌ بعد ليل مِنْ غير نهارٍ فاصِلٍ بينهما. وباقي الآية مفسَّرٌ في سُورةِ الأنبياء[1].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «ذُرِّيَّاتِهِمْ» على الجمعِ؛ وقرأ الباقون مِنَ السَّبعة: «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التَّوحيدِ. قال المُفسِّرون: أراد: في سفينةِ نُوحٍ، فنَسَبَ الذُّرِّيَّةَ إلى المُخاطَبِين، لأنهم مِنْ جنسِهم، كأنه قال: ذُرِّيَّةَ الناس. وقال الفَرَّاءُ: أي: ذُرِّيَّةَ مَنْ هو منهم، فجعلَها ذُرِّيَّةً لهم، وقد سَبقتْهم. وقال غيرُه: هو حَمْلُ الأنبياءِ في أصلابِ الآباءِ حين رَكِبوا السفينةَ، ومنه قولُ العبَّاسِ:

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وقَدْ أَلْجَمَ نَسْراً وأَهْلَهُ الغَرَقُ

قال المُفضَّلُ بنُ سَلَمةَ: الذُّرِّيَّةُ: النَّسْلُ، لأنهم مَنْ ذَرَأَهُمُ اللهُ منهم، والذُّرِّيَّةُ أيضاً: الآباءُ، لأنَّ الذَّرَّ وقعَ منهم، فهو مِنَ الأضدادِ، ومنه هذه الآيةُ، وقد شرحنا هذا في قولِه تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾[2]. والمَشْحُون: المملوء. قوله تعالى: ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مِثْلَ سفينة نُوحٍ، وهي السُّفُنُ، رَوى هذا المعنى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ، وأبو مالكٍ، وأبو صالحٍ، والمراد بهذا ذِكْرُ مِنَّتِه بأنْ خَلَقَ الخشبَ الذي تُعمَلُ منه السُّفُنُ. **والثاني**: أنها الإبلُ، خَلَقَها لهم للرُّكُوبِ في البَرِّ مثل السُّفُنِ المَركُوبةِ في البحرِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وعن الحسَنِ وقَتادَةَ كالقولَين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ أي: لا مُغيثَ ولا مُجيرَ ﴿وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ﴾ أي: يَنجُونَ مِنَ الغرَقِ، يُقال: أنقَذَهُ واستَنقَذَهُ: إذا خَلَّصَهُ مِنَ المَكرُوهِ، ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ المعنى: إلاَّ أنْ نَرحمَهُم ونُمتِّعَهُم إلى آجالِهِم. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني الكُفَّارَ ﴿ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: «ما بين أيديكم»: ما مضى مِنَ الذُّنوبِ، «وما خلفكم»: ما يأتي مِنَ الذُّنوب، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: ما تَقدَّم مِنْ عذاب الله للأُمَم، «وما خلفكم» مِنْ أمرِ الساعة، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: «ما بين أيديكم» مِنَ الدنيا، «وما خَلْفكم» مِنْ عذاب الآخرة، قاله سُفيانُ. **والرابع**: «ما بين أيديكم» مِنْ أمرِ الآخرة، «وما خَلْفكم» مِنْ أمرِ الدنيا فلا تَغتَرُّوا بها. قاله ابن عباس والكلبي. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ أي: لِتَكُونوا على رجاءِ الرَّحمةِ مِنَ الله. وجوابُ «إذا» محذوفٌ، تقديره: إذا قيلَ لهم هذا، أعرضوا؛ ويدلُّ على هذا المحذوفِ قوله تعالى ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ﴾ أي: مِنْ دَلالَةٍ تدلُّ على صِدْقِ الرَّسولِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ

(١) الأنبياء: ٣٣. (٢) آل عمران: ٣٤.

أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا
هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ
وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ
رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: في اليهودِ، قاله الحسنُ. **والثاني**: في الزَّنادقةِ، قاله قتادةُ.

[١١٩٩] **والثالث**: في مُشركي قُريشٍ، قاله مُقاتِلٌ؛ وذلك أنَّ المؤمنين قالوا لكفَّارِ مكَّةَ: أَنْفِقوا على المساكين النَّصيبَ الذي زعمتُم أنه للَّهِ مِنَ الحَرْثِ والأنعامِ، فقالوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾.

[١٢٠٠] وقال ابنُ السَّائبِ: كان العَاصُ بنُ وائلٍ إذا سألَهُ المِسكينُ، قال: اذهَبْ إلى رَبِّك فهو أولى بك مني ويقول: قد منعه الله، أطعمه أنا؟!

ومعنى الكلام أنهم قالوا: لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم، فنحنُ نُوافقُ مَشيئةَ اللَّهِ فيهم فلا نُطعِمُهم؛ وهذا خطأٌ منهم، لأنَّ اللَّهَ تعالى أغنَى بعضَ الخَلْقِ وأفقَرَ بعضاً، لِيَبْلُوَ الغنيَّ بالفقير فيما فَرَضَ له في مالِه مِنَ الزَّكاةِ، والمؤمنُ لا يَعترِضُ على المَشيئةِ، وإنما يُوافقُ الأمرَ. وقيلَ: إنما قالوا هذا على سبيلِ الاستِهزاءِ. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ قول الكفَّارِ للمؤمنين، يَعنُونَ: إنكم في خطأٍ مِنِ اتِّباع محمَّدٍ. **والثاني**: أنه مِنْ قول الله للكفَّارِ لِمَا رَدُّوهُ مِنْ جوابِ المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يَعنُونَ القيامةَ؛ والمعنى: متى إنجازُ هذا الوعدِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ يعنُونَ محمَّداً وأصحابَهُ. ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: ما يَنتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي النَّفخةُ الأُولى. و ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بمعنى يَختَصِمون، فأُدغِمَت التاءُ في الصاد، كذلك قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يَخَصِّمُونَ» بفتحِ الياءِ والخاءِ وتشديدِ الصاد. ورُوي عن ابن عمرو اختلاس حركة الخاء. وقرأ عاصم وابن عامر والكسائي «يَخِصِّمُون» بفتح الياء وكسر الخاء. وعن عاصم كسر الياء والخاء. وقرأ نافع بسكون الخاء وتشديد الصاد. وقرأ حمزةُ بسكونِ الخاء وتخفيفِ الصاد، أي: يَخْصِمُ بعضُهم بعضاً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ: «يختصمون» بزيادةِ تاءٍ؛ والمعنى أنَّ الساعةَ تأتيهم أغفلَ ما كانوا عنها وهم يَتشاغَلُونَ في مُتصرَّفاتِهم وبَيْعِهم وشِرائِهم، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ قال مُقاتِلٌ: أُعجِلُوا عن الوَصِيَّةِ

[١١٩٩] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم.
[١٢٠٠] عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو متروك متهم.

فماتوا، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي: لا يَعودون مِنَ الأسواق إلى منازِلِهم؛ فهذا وصفُ ما يَلْقَون في النَّفخةِ الأُولى. ثم ذَكَرَ ما يَلْقَون في النَّفخةِ الثانيةِ قال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ يعني القبور، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ أي: يَخرجُون بسرعةٍ، وقد شرحنا هذا المعنى في سُورةِ الأنبياء[1].

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَزِينٍ، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «مِن بعْثِنا» بكسرِ الميم والثاءِ وسكونِ العين. قال المُفسِّرون: إنما قالوا هذا، لأنَّ اللَّهَ تعالى رَفَعَ عنهم العذابَ فيما بينَ النَّفختَين. قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: ينامون نَومةً قبلَ البَعثِ، فإذا بُعِثُوا قالوا هذا.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ في قائلي هذا الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قولُ المؤمنين، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وابنُ أبي لَيلى. قال قَتادةُ: أوَّلُ الآية للكافرين، وآخِرُها للمؤمنين. **والثاني**: أنه قولُ الملائكة لهم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أنه قولُ الكافرين، يقول بعضُهم لبعضٍ: هذا الذي أخبَرَنا به المُرسَلون أنَّا نُبعَثُ ونُجازَى، قاله ابنُ زيدٍ.

قال الزَّجَّاجُ: «من مرقدنا» هو وَقْفُ التَّمام، ويجوز أنْ يكونَ «هذا» مِنْ نَعتِ «مرقدنا» على معنى: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مرقَدِنا هذا الذي كنَّا رَاقِدينَ فيه؟ ويكون في قوله تعالى: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أحدُ إضمارَين، إمَّا «هذا»، وإمَّا «حق»، فيكون المعنى: حقٌّ ما وَعدَ الرَّحمنُ.

ثم ذَكرَ النَّفخةَ الثانيةَ، فقال: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾، وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ﴾ يعني في الآخِرة ﴿فِي شُغُلٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «في شُغْلٍ» بإسكانِ الغين. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «في شُغُلٍ» بضمِّ الشين والغين. وقرأ أبو هُريرةَ، وأبو رَجاءٍ، وأيوبُ السَّخْتِيانيُّ: «في شَغَلٍ» بفتح الشين والغين. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وأبو العَاليةِ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، والنَّخعيُّ، وابنُ يَعمُر، والجَحْدَرِيُّ: «في شَغْلٍ» بفتحِ الشين وسكونِ الغين، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنَّ شُغلَهم افتِضاضُ العَذارى، رواه شَقِيقٌ عن ابنِ مسعودٍ، ومُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: ضَربُ الأوتارِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ؛ وعن عِكرمَةَ كالقولَين، ولا يَثبتُ هذا القولُ. **والثالث**: النِّعمةُ، قاله مُجاهِدٌ. وقال الحَسنُ: شُغلُهم: نعيمُهم عمَّا فيه أهلُ النَّارِ مِنَ العذاب. قوله تعالى: ﴿فَٰكِهُونَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عبد الرَّحمنِ السُّلَمي، وأبو المُتوكِّلِ، وقَتادةُ، وأبو الجَوزاءِ، والنَّخعيُّ، وأبو جعفرَ: «فكِهون». وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ بينهما فَرقاً. فأما «فاكهون» ففيه أربعةُ أقوالٍ: أحدها: فَرِحون، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: مُعْجَبُون، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ. والثالث: ناعِمون، قاله أبو مالكٍ، ومُقاتِلٌ. والرابع: ذَوو فاكهةٍ، كما يُقال: فُلانٌ لَابِنٌ تامِرٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. وأمَّا «فَكِهون» ففيه قولان: أحدهما: أنَّ الفَكِهَ: الذي يتفكَّهُ، تقول العربُ للرجل إذا كان يَتَفكَّهُ بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراضِ

---

(١) الأنبياء: ٩٦.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٣/ ٧٠٥: يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات أنهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم، وعن ابن عباس في رواية عنه: ﴿في شغل فاكهون﴾ أي: سماع الأوتار. وقال أبو حاتم: لعله غلط من المستمع، وإنما هو افتضاض الأبكار.

الناس: إنَّ فُلاناً لَفَكِهٌ بكذا، ومنه يُقال للمُزاح: فُكاهَة، قاله أبو عُبيدَةَ. والثاني: أنَّ فَكِهين بمعنى فَرِحين، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والقول الثاني**: أنَّ فاكِهين وفَكِهين بمعنىً واحدٍ، كما يُقال: حاذِرٌ وحَذِرٌ، قاله الفَرَّاءُ. وقال الزَّجَّاجُ: فاكِهُون وفَكِهُون بمعنى فَرِحين. وقال أبو زيدٍ: الفَكِهُ: الطيِّبُ النَّفْسِ الضَّحُوكُ، يُقال: رجلٌ فاكِه وفَكِه.

قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ يعني حلائلَهم ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «في ظُلَلٍ». قال الفَرَّاءُ: الظِّلالُ جمع ظِلٍ والظُّلَلُ جمعُ ظُلَّةٍ وقد تكون الظلال جمع ظلة أيضاً، كما يُقال: خُلَّة وخُلَل؛ فإذا كَثُرتْ فهي الخِلالُ والحِلالُ والقِلالُ. قال مُقاتِلٌ: والظِّلال: أكنَانُ القصورِ. قال أبو عُبيدَةَ: والمعنى أنهم لا يَضْحَوْنَ. فأمَّا الأرائِكُ فقد بيَّنَّاها في الكَهْفِ[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: ما يَتَمَنَّوْنَ، ومنه يقول الناس: هو في خيرِ ما ادَّعى، أي: ما تَمَنَّى، والعرب تقول: ادَّعِ ما شِئتَ، أي: تَمَنَّ ما شِئتَ. وقال الزَّجَّاجُ: وهو مأخوذٌ مِنَ الدُّعاء؛ والمعنى: كلُّ ما يَدعو به أهلُ الجنَّةِ يأتيهم. وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بدلٌ مِنْ «ما»؛ المعنى: لهم ما يتمنَّون سلامٌ، أي: هذا مُنَى أهل الجنَّةِ أنْ يُسلِّم اللَّهُ عليهم. و ﴿قَوْلًا﴾ منصوبٌ على معنى: سلامٌ يقولُه اللَّهُ قولاً. وقال أبو عُبيدَةَ: «سلامٌ» رفعٌ على «لهم»؛ فالمعنى: لهم فيها فاكِهَةٌ ولهم فيها سلامٌ. وقال الفَرَّاءُ: معنى الكلام: لها ما يَدَّعون مُسَلَّمٌ خالصٌ، ونَصبُ القولِ، كأنكَ قلتَ: قاله قولاً، وإنْ شِئتَ جَعلتَهُ نصباً مِنْ قوله تعالى: ولهم ما يَدَّعون قولاً، كقولكَ: عِدَةً مِنَ الله. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، والجَحْدَريُّ: «سلاماً قولاً» بنَصبِهما جميعاً.

﴿وَامْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَامْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: انقطِعُوا عن المؤمنين وتميَّزوا منهم، يُقال: مِزْتُ الشيءَ مِنَ الشيءِ: إذا عَزَلْتَه عنه، فانمازَ وامتازَ، ومَيَّزته فتَميَّزَ. قال المُفسِّرون: إذا اختلطَ الإنسُ والجِنُّ في الآخرة، قيلَ: ﴿وَامْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ فيُقال للمُجرمين: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ أي: أَلَمْ آمُرْكُم، أَلَمْ أُوصِكُم؟ و «تعبدوا» بمعنى تُطِيعوا، والشيطانُ هو إبليسُ، زَيَّنَ لهم الشِّركَ فأطاعُوه، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهرُ العَداوةِ، أخرجَ أبويكم مِنَ الجنَّةِ. ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ: «وأنُ اعبُدوني» بضمِّ النون. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وحمزَةُ: «وأنِ اعبُدوني» بكسرِ النون؛ والمعنى: وَحِّدوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يعني التَّوحيدَ. ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «جُبُلاً» بضمِّ الجيم والباء وتخفيفِ اللام، وقرأ أبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «جُبْلاً» بضمِّ الجيم وتسكينِ الباء مع تخفيفِ اللام. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ: «جِبِلاًّ» بكسرِ الجيم والباء مع تشديدِ اللام. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِي، والزُّهْريُّ،

(١) الكهف: ٣١.

والأعمَش: «جُبلاًّ» بضمِّ الجيم والباء مع تشديدِ اللام. وقرأ عبدُ الله بنُ عمرو، وابنُ السَّمَيفَع: «جِبْلاً» بكسرِ الجيم وسكونِ الباء وتخفيفِ اللام. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَير، وأبو المُتوكِّل، ومُعاذٌ القارئُ: «جُبَلاً» برفع الجيم وفتحِ الباء وتخفيفِ اللام. وقرأ أبو العَالِيةِ: وابنُ يَعمَرَ: «جِبَلاً» بكسرِ الجيم وفتح الباء وتخفيفِ اللام. وقرأ أبو عِمْرانَ الجَوْنيُ، وعمرُو بنُ دِينارٍ: «جِبالاً» مكسورةَ الجيم مفتوحةَ الباء وبألِفٍ. ومعنى الكلمة كيف تَصرَّفَتْ في هذه اللغاتِ: الخَلْقُ والجماعةُ؛ فالمعنى: ولقد أَضَلَّ منكم خَلْقاً كثيراً ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾؛ فالمعنى: قد رَأيتم آثارَ الهَالِكين قبلَكُم بطاعةِ الشيطان، أفلَمْ تَعقِلُوا ذلك؟! وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِيُ، وأبو رَجاءٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ يَعمَرَ: «أفلم يكونوا يعقلون» بالياء فيهما، فإذا أُدْنُوا إلى جهنَّمَ قيلَ لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: قاسُوا حرَّها.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ: «يُختَمُ» بياءٍ مضمومةٍ وفتحِ التاء ﴿وَتُكَلِّمُنَآ﴾ قرأ ابنُ مسعودٍ: «ولِتُكلِّمَنا» بزيادةِ لامٍ مكسورةٍ وفتحِ الميم وواوٍ قبلَ اللام. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لِتُكلِّمَنا» بلامٍ مكسورةٍ مِنْ غيرِ واوٍ قبلَها وبنَصبِ الميم؛ وقرأوا جميعاً: «ولِتَشْهَدَ أرجُلُهم» بلامٍ مكسورةٍ وبنَصبِ الدَّال. ومعنى «نَختِمُ»: نَطبَعُ عليها، وقيلَ: مَنْعُها مِنَ الكلام هو الخَتْمُ عليها، وفي سَببِ ذلك أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم لمَّا قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1] خَتَمَ اللَّهُ على أفواهِهم ونَطقَتْ جَوارِحُهم، قاله أبو موسى الأشعَريُ. **والثاني**: لِيَعلَموا أنَّ أعضاءَهُم التي كانت أعواناً لهم على المعاصي صارَتْ شُهوداً عليهم. **والثالث**: لِيَعرِفَهُم أهلُ المَوقفِ، فتَميَّزوا منهم بذلك. **والرابع**: لأنَّ إقرارَ الجَوارحِ أبلَغُ في الإقرارِ مِنْ نُطقِ اللسان، ذكرَهنَّ المَاوَردِي. فإنْ قيلَ: ما الحكمةُ في تسميةِ نُطقِ اليدِ كلاماً ونُطقِ الرِّجْلِ شهادةً؟ فالجواب: أنَّ اليدَ كانت مباشِرةً والرِّجلَ حاضرةً، وقولُ الحاضرِ على غيرِه شهادةٌ بما رأى، وقولُ الفاعلِ على نفسِه إقرارٌ بما فَعلَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ولو نشاءُ لأذهبْنا أعيُنَهم حتى لا يبدو لَها شَقٌّ ولا جَفْنٌ. والمَطموسُ: الذي لا يكون بين جَفْنَيهِ شَقٌّ، ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي: فتَبادَروا إلى الطريقِ ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ أي: فكيف يُبصِرون وقد أَعمَيْنا أعيُنَهم؟! وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعُروةُ بنُ الزُّبَيرِ، وأبو رَجاءٍ: «فاستَبِقوا» بكسرِ الباء «فأنَّى تُبْصِرونَ» بالتاء. وهذا تهديدٌ لأهل مكَّةَ، وهو قولُ الأكثرين. **والثاني**: ولو نشاءُ لأضلَلْناهم وأعمَيناهُم عن الهُدى، فأنَّى يُبصِرون الحقَّ؟ رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: ولو نشاءُ لَفقَأنا أعيُنَ ضَلالَتِهم وأعمَيناهُم عن غَيِّهم وحَوَّلْنا أبصارَهُم مِنَ الضَّلالةِ إلى الهُدى فأبصَرُوا رُشدَهُم، فأنَّى يُبصِرونَ ولم أفعَلْ ذلك بهم؟! حكي عن جماعَةٍ منهم مُقاتِلٌ.

---

(١) الأنعام: ٢٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ روى أبو بكرٍ، عن عاصِم «على مكاناتهم» وقد سبق بيانُ هذا[1]. وفي المُراد بقوله: «لَمَسَخناهم» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأهلَكْناهُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لأقعدْنَاهم على أرجلِهم، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: لَجعلْناهم حِجارةً، قاله أبو صالحٍ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: لَجعلْناهم قِردةً وخَنازيرَ لا أرواحَ فيها، قاله ابنُ السَّائبِ. وفي قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فما استطاعوا أنْ يَتقدَّموا ولا أنْ يَتأخَّروا، قاله قَتادةُ. **والثاني**: فما استطاعوا مُضِيًّا عن العذاب، ولا رُجوعاً إلى الخِلْقةِ الأُولى بعد المَسْخِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: مُضِيًّا مِنَ الدنيا ولا رُجوعاً إليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ قرأ حمزةُ: «نُنَكِّسه» مشدَّدةً مع ضمِّ النون الأُولى وفَتحِ الثانيةِ؛ والباقون: بفَتحِ النون الأُولى وتسكينِ الثانيةِ مِنْ غير تشديدٍ؛ وعن عاصِمٍ كالقِراءتين. ومعنى الكلام: مَنْ نُطِلْ عُمرَهُ نُنكِّسْ خَلْقَهُ، فنجعل مكانَ القوّةِ الضَّعفَ، وبَدلَ الشبابِ الهَرَمَ، فنَردُّه إلى أرذَلِ العُمرِ. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو: «أفلا تعقلون» بالتاء، والباقون بالياء. والمعنى: أفلا يعقلون أنَّ مَنْ فعلَ هذا قادرٌ على البَعثِ؟

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ قال المُفسِّرون: إنَّ كفّارَ مكَّةَ قالوا: إنَّ القرآن شِعْرٌ وإنَّ محمَّداً شاعرٌ، فقال اللّهُ تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي: ما يَتسهَّلُ له ذلك. قال المُفسِّرون: ما كان يَتّزِنُ له بيتُ شِعرٍ،

[١٢٠١] حتى إنه رُوي عنه ﷺ أنه تمثَّل يوماً فقال: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا.

فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، إنما قال الشاعر:

كَفَى الشَّيبُ والإِسلامُ لِلْمَرءِ ناهِياً

أشهدُ أنَّكَ رسولُ اللّهِ، ما علَّمكَ اللّهُ الشِّعرَ، وما يَنبغي لكَ.

[١٢٠٢] ودَعا يوماً بعباسِ بنِ مِرْداسٍ فقال: «أنتَ القائلُ:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي ونَهْبَ العَبيـ ـدِ بَينَ الأَقْرَعِ وعُيَيْنَةْ»؟

فقال أبو بكرٍ: بأبي أنتَ وأُمِّي، لم يَقُلْ كذلك، فأنشدَهُ أبو بكرٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَضُرُّكَ بأيِّهما بَدأتَ»، فقالَ أبو بكرٍ: واللّهِ ما أنتَ بشاعرٍ، ولا ينبغي لكَ الشِّعرُ.

[١٢٠١] ضعيف جداً. أخرجه ابن سعد ١/ ٢٩٨ والبغوي في «معالم التنزيل» ١٧٨٩ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٧٠٩ من طريق علي بن زيد عن الحسن مرسلاً، وإسناده ضعيف جداً وله علل ثلاث: الأولى: ضعف علي بن زيد، والثانية: هو مرسل، والثالث: مراسيل الحسن واهية.

[١٢٠٢] ضعيف. هو بعض حديث أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٧٩ ـ ١٨١ ـ ١٨٢ وعلته الإرسال.

---

(١) البقرة: ٦٥.

[١٢٠٣] وتمثَّلَ يوماً، فقال: «ويأتيكَ مَنْ لم تُزَوِّدْهُ بالأخْبَارِ» فقال أبو بكرٍ: ليس هكذا يا رسولَ اللّهِ، فقال: «إنّي لستُ بشاعرٍ، ولا يَنبغي لي». وإنما مُنِعَ مِنْ قولِ الشِّعرِ، لِئلاً تدخُلَ الشُّبهةُ على قومٍ فيما أَتى به مِنَ القرآن فيقولون: قَوِيَ على ذلك بما في طَبْعِه مِنَ الفِطنَةِ للشِّعرِ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ إلاّ موعظةٌ ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ فيه الفَرائضُ والسنن والأحكامُ. قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لِيُنْذِرَ» بالياء، يَعنُونَ القرآنَ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: «لِتُنْذِرَ» بالتاء، يَعنونَ النبيَّ ﷺ، أي: لِتُنْذِرَ يا محمَّدُ بما في القرآن. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ السَّمَيفَع: «لِيُنْذَرَ» بياءٍ مرفوعةٍ وفَتْحِ الذال والراء جميعاً. قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: حيَّ القلب حيَّ البَصرِ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: مَنْ كان عاقلاً، قاله الضَّحَّاكُ. قال الزَّجّاجُ: مَنْ كان يَعْقِلُ ما يُخاطَبُ به، فإنَّ الكافرَ كالمَيتِ في تَرْكِ النَّذيرِ. **والثالث**: مُهتدياً، قاله السّدي. وقال مقاتل: من كان مهتدياً في عِلْمِ الله. **والرابع**: مَنْ كان مؤمناً، قاله يَحيى بنُ سَلام؛ وهذا على المعنى الذي قد سبقَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾[1]، ويجوز أنْ يريدَ: إنَّما يَنفعُ إنذارُكَ مَنْ كان مؤمِناً في عِلْمِ الله. قوله تعالى: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معناه: يَجِبُ. وفي المُراد بالقولِ قولان: **أحدهما**: أنه العذابُ. **والثاني**: الحُجَّة.

[١٢٠٣] صحيح. أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٤٩٦ والطبري ٢٩٢٢٩ عن قتادة عن عائشة، ورجاله ثقات لكنه منقطع، قتادة لم يدرك عائشة. وورد موصولاً من وجه آخر، أخرجه أحمد ٦/ ١٥٦ والبخاري في «الأدب المفرد» ٨٦٧ والترمذي ٢٨٥٢ والطحاوي في «المعاني» ٤/ ٢٩٧ والبغوي في «معالم التنزيل» ١٧٩٠ عن شريح بن هانئ عن عائشة، وإسناده حسن في الشواهد لأجل شريك. وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٢٩٢ وابن سعد ١/ ٢٩٠ من طريق الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عكرمة عن عائشة، وإسناده ضعيف لضعف الوليد، وسماك مضطرب في عكرمة. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه البزار ٢١٠٦ والطبراني ١١٧٦٣ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٣٣٤٦: رجالهما رجال الصحيح. الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشاهده، وانظر «معالم التنزيل» للبغوي ١٧٩٠ و «أحكام القرآن» ١٨٧٦ بتخريجنا، والله الموفق.

ـ وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٣/ ٧٠٨: يقول تعالى مخبراً عن نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه أنه ما علّمه الشعر، ﴿وما ينبغي له﴾ أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته، ولهذا ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه وما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث السابقة ـ قال ابن كثير رحمه الله: وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما عُلِّم شعراً ولا ينبغي له، فإن الله تعالى إنما علّمه القرآن العظيم الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ وهو ليس بشعر كما زعمه طائفة من جهلة قريش، ولا كهانة ولا مفتعل، ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهّال. وقد كانت سجيته ﷺ تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعاً، ثم قال ابن كثير رحمه الله: على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت. وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأمثالهم وأحزابهم رضي الله عنهم أجمعين، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية.

---

(١) فاطر: ١٨.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

ثم ذكَّرهم قُدرتَهُ فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: يجوز أنْ يكونَ المعنى: ممّا عَمِلْناهُ بقوّتِنا وقُدرتِنا، وفي اليَدِ القُدرةُ والقُوّةُ على العملِ، فتُستَعارُ اليدُ فتُوضع موضِعَها، هذا مَجازٌ للعرب يَحتمِلُه هذا الحرفُ، واللّهُ أعلَمُ بما أرادَ. وقال غيرُه: ذِكْرُ الأيدي ها هنا يدلُّ على انفرادِه بما خَلَقَ، والمعنى: لم يُشاركْنا أحدٌ في إنشائِنا؛ والواحدُ منّا إذا قال: عَمِلتُ هذا بيدي، دَلَّ ذلك على انفرادِه بعَملِه. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: معنى الآية: ممَّا أوجَدْناه بقُدرتِنا وقوَّتِنا؛ وهذا إجماعٌ أنه لم يُرِدْ ها هنا إلاَّ ما ذَكَرْنا. قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ضَابِطون، قاله قَتادةُ ومُقاتِلٌ. قال الزَّجَّاجُ: ومِثلُه في الشِّعرِ:

أصبحتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ ولا أملِكُ رأسَ البَعيرِ إنْ نَفَرا[1]

أي: لا أَضبِطُ رأسَ البَعير. **والثاني**: قادرون عليها بالتَّسخير لهم، قاله ابنُ السَّائب.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي: سَخَّرْناها، فهي ذَليلَةٌ لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: الرَّكُوب: ما يَرْكَبون، والحَلُوبُ: ما يَحلُبون. قال الفَرّاءُ: ولو قرأ قارئٌ: «فمنها رُكوبُهم»، كان وَجْهاً، كما تقول: منها أُكلُهم وشُربُهم ورُكوبُهم. وقد قرأ بضمِّ الراء الحسَنُ، وأبو العَاليةِ، والأعمَشُ، وابنُ يَعمَرَ في آخَرين. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وعائشةُ: «رَكُوبَتُهم» بفتح الراء والباء وزيادةِ تاءٍ مرفوعةٍ. قال المُفسِّرون: يَركبون مِنَ الأنعام الإبِلَ، ويأكُلون الغَنَمَ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ مِنَ الأصوافِ والأوبارِ والأشعارِ والنَّسْلِ ﴿وَمَشَارِبُ﴾ مِنْ أَلبانِها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ رَبَّ هذه النِّعم فيُوحِّدونه؟! ثم ذَكَر جهلَهم فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لِتَمنَعُهم مِنْ عذابِ الله؛ ثم أخبرَ أنَّ ذلك لا يكون بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: لا تَقدِرُ الأصنامُ على مَنعِهم مِنْ أَمرٍ أرادَهُ اللّهُ بهم ﴿وَهُمْ﴾ يعني الكفَّارَ و ﴿لَهُمْ﴾ يعني الأصنامَ ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: جُندٌ في الدنيا مُحْضَرونَ في النَّارِ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: مُحْضَرونَ عندَ الحِسَابِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: المشركون جُنْدٌ للأصنام، يَغضَبونَ لها في الدنيا، وهي لا تَسوقُ إليهم خيراً ولا تَدفَعُ عنهم شرًّا، قاله قَتادةُ. وقال مُقاتِلٌ: الكفَّارُ يَغضبون للآلهةِ ويَحضُرونَها في الدنيا. وقال الزَّجَّاج: هم للأصنامِ يَنتَصِرون، وهي لا تستطيعُ نَصرَهُم. **والرابع**: هُم جنْدٌ مُحْضَرون عند الأصنام يَعبُدونَها، قاله ابنُ السَّائِب.

قوله تعالى ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني قولَ كفَّارِ مكَّةَ في تكذيبِكَ ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في ضمائرِهم مِنْ تكذيبِكَ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسِنَتِهم مِنْ ذلك؛ والمعنى: إنا نُثيبُكَ ونُجازيهِم.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ

---

(١) البيت للربيع بن منيع الفزاري، كما في «روح المعاني» ٢٣/ ٤٧، قاله بعدما أسن، وجاوز المائة.

مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها على خمسةِ أقوالٍ:

[١٢٠٤] **أحدها**: أنه العَاصُ بنُ وائلٍ السَّهمِي، أخذ عَظماً مِنَ البَطحاءِ ففتَّهُ بيَدِه، ثم قال لرسولِ الله ﷺ: أيُحيي اللهُ هذا بعدَما أرَى؟ فقال: «نعم، يُميتُكَ اللهُ ثُمَّ يُحْييكَ ثُمَّ يُدخِلُكَ نارَ جهنَّمَ»، فنزلت هذه الآياتُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٠٥] **والثاني**: أنه عبدُ الله بنُ أُبيّ ابنِ سَلُولٍ، جَرى له نحو هذه القصَّةِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٠٦] **والثالث**: أنه أبو جَهلِ بنُ هشامٍ، وأنَّ هذه القصةَ جَرَتْ له، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٠٧] **والرابع**: أنه أُميَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله الحَسنُ.

[١٢٠٨] **والخامس**: أنه أُبيُّ بنُ خَلَفِ الجُمَحِي، وهذه القصَّةُ جَرَت له، قاله مُجاهِدٌ وقتادة والجمهور، وعليه المُفسّرون.

ومعنى الكلام: التَّعجُّبُ مِنْ جَهلِ هذا المُخاصِمِ في إنكارِهِ البَعْثَ؛ والمعنى: ألاَ يَعلَمُ أنه مخلوقٌ فيتفكَّرَ في بَدْءِ خَلْقِه فيترُكَ خُصومَتَهُ؟! وقيل: هذا تنبيهٌ له على نِعمةِ الله عليه حيثُ أنشأَهُ مِنْ نُطفةٍ فصارَ مُجادِلاً. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في إنكارِ البَعثِ بالعَظْمِ البالي حين فَتَّه بيده، وتعجَّبَ ممَّنْ يقول: إنَّ اللهَ يُحْييه ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ أي: نَسِيَ خَلْقَنا لهُ، أي: تَرَكَ النَّظَرَ في خَلْقِ نفسِه إذ خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ أي: باليَةٌ، يُقال: رَمَّ العَظْمُ، إذا بَلِيَ، فهو رَمِيمٌ، لأنه مَعدولٌ عن فاعِله، وكلُّ

[١٢٠٤] حسن. أخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٩ من حديث ابن عباس، وإسناده حسن، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبري ٢٩٢٤٣ عن سعيد بن جبير مرسلاً. وانظر «أحكام القرآن» ١٨٨٢.

[١٢٠٥] باطل، أخرجه الطبري ٢٩٢٤٤ بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو واهٍ عن ابن عباس، وهذا باطل لأن السورة مكية بإجماع، وعبد الله بن أبي ابن سلول إنما كانت أخباره في العهد المدني.

[١٢٠٦] ضعيف جداً. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك.

[١٢٠٧] عزاه المصنف للحسن البصري، وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية.

[١٢٠٨] أخرجه الطبري ٢٩٢٤٠ عن مجاهد مختصراً، وهذا مرسل. وكرره ٢٩٢٤٢ عن قتادة مرسلاً. وذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٢١ عن أبي مالك مرسلاً. والخلاصة: ورد في شأن العاص وابن خلف من وجوه متساوية، فأصل الخبر محفوظ، وإن كان اضطرب المفسرون في تعيين أحدهما، والله أعلم. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٥١٨١ و «فتح القدير» ٢١٠٣ بتخريجنا، والله الموفق.

مَعدُولٍ عن وَجْهِه ووَزنِه فهو مَصروفٌ عن إعرابِه كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1] فأسقطَ الهاءَ لأنها مَصروفةٌ، عن «باغية»؛ فقَاسَ هذا الكافرُ قُدرةَ الله تعالى بقُدرةِ الخَلْقِ، فأنكَرَ إحياءَ العَظْمِ البالي لأنَّ ذلكَ ليس في مَقدورِ الخَلْقِ. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾ أي: ابتدأ خَلْقَها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مِنَ الابتداءِ والإعادةِ ﴿عَلِيمٌ﴾. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: أراد الزُّنُودَ التي تُوري بها الأعرابُ مِنْ شجرِ المَرْخِ والعَفَار. فإنْ قيلَ: لِمَ قال: «الشَّجَرِ الأخضرِ». ولم يقل: الشجر الخُضر. فالجواب: أنَّ الشَّجرَ جمعٌ، وهو يُؤنَّثُ ويُذكَّرُ، قال الله تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾[2]، وقال: ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾. ثم ذَكَر ما هو أعظَمُ مِنْ خَلْقِ الإنسان، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ﴾ وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُ: «يَقْدِرُ» بياءٍ مِنْ غيرِ أَلِفٍ ﴿عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ وهذا استفهامُ تقريرٍ؛ والمعنى: مَنْ قَدَرَ على ذلك العظيم، قَدَرَ على هذا اليَسيرِ. وقد فسَّرنا معنى «أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهم» في بَني إسرَائيل[3]؛ ثم أجابَ عن هذا الاستفهامَ فقال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ يَخلُقُ خَلْقاً بَعْدَ خَلْقٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُ: «وهو الخَالِقُ» ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بجميعِ المَعلوماتِ. والمَلَكوتُ والمُلْكُ واحدٌ. وباقي السُّورةِ قد تقدَّمَ شرحُه[4]. والله أعلَمُ بالصَّوابِ.

---

(١) مريم: ٢٨.
(٢) الواقعة: ٥٣.
(٣) الإسراء: ٩٩.
(٤) البقرة: ٣٢ ـ ١١٧، الأنعام: ٧٥.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

وهي مكيَّة كُلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الملائكة، قاله ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وعِكرِمَةُ ومُجاهِدٌ وقَتادةُ والجمهورُ. قال ابنُ عباسٍ: هم الملائكةُ صُفوفٌ في السماءِ، لا يَعْرِفُ مَلَكٌ منهم مَنْ إلى جانبه، لم يَلْتَفِتْ منذُ خَلَقَه اللهُ عزَّ وجلَّ. وقيلَ: هي الملائكةُ تَصُفُّ أجنحتَها في الهواء واقفةً إلى أنْ يأمرَها اللهُ تعالى بما يشاءُ. **والثاني**: أنها الطَّيرُ، كقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾[1]، حكاه الثَّعلَبيُّ. وفي الزَّاجِراتِ قولان: **أحدهما**: أنها الملائكةُ التي تَزجُرُ السَّحابَ، قاله ابنُ عباسٍ والجمهور. **والثاني**: أنها زَواجِرُ القرآن وكلُّ ما ينهى ويَزجُرُ عن القَبيح، قاله قَتادَةُ. وفي التَّالِياتِ ذِكراً ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الملائكةُ تقرأُ كُتبَ اللهِ تعالى، قاله ابنُ مسعودٍ والحسَنُ والجمهور. **والثاني**: أنهم الرُّسلُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: ما يُتلى في القرآنِ مِنْ أخبار الأُمَمِ، قاله قَتادَةُ. وهذا قَسَمٌ بهذه الأشياء، وجوابُه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾. وقيل معناه: وربِّ هذه الأشياءِ إنَّه واحدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ قال السُّدِّيُّ: المَشارقُ ثلاثمائةٌ وستون مَشْرِقاً، والمَغاربُ مِثْلُها، على عددِ أيام السَّنةِ. فإنْ قيلَ: لِمَ تركَ ذِكْرَ المَغاربِ؟

فالجوابُ: أنَّ المشارقَ تَدلُّ على المَغاربِ، لأنَّ الشُّروقَ قَبلَ الغُروبِ.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ يعني التي تَلِي الأرضَ، وهي أَدْنى السَّمواتِ إلى الأرضِ ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو، والكِسَائيُّ: «بزينةِ الكواكب» مضافاً، أي: بحُسْنِها وضَوئِها. وقرأ حمزةُ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «بزينةٍ» مُنوَّنةً وخَفضَ «الكواكبِ» فجعل

(١) النور: ٤١.

«الكواكبِ» بَدَلاً مِنَ الزِّينة لأنها هي، كما تقول: مَررتُ بأبي عبدِ الله زيدٍ؛ فالمعنى: إنَّا زيَّنَّا السماءَ الدُّنيا بالكواكبِ. وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «بزينةٍ» بالتنوين وبنَصبِ «الكواكبَ»؛ والمعنى: زيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بأنْ زيَّنَّا الكواكبَ فيها حين ألْقيناها في منازِلها وجعلناها ذاتَ نُورٍ. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ يكونَ «الكواكبَ» في النَّصبِ بَدلاً مِنْ قوله: «بزينة» لأنَّ قولَه: «بزينة» في موضع نصبٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، ومعاذٌ القارئُ، وأبو نَهيْكٍ، وأبو حَصينٍ الأسَدِي في آخرين: «بزينةٍ» بالتنوين «الكواكبُ» برفع الباءِ؛ قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: إنّا زيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بأنْ زيَّنتُها الكواكبُ وبأنْ زيَّنتِ الكواكبُ. ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وحَفِظْناها حِفظاً. فأمَّا المارِدُ، فهو العاتي، وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: ﴿شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ قال الفَرَّاءُ: «لا» هاهنا كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[2]، ويَصلُح في «لا» على هذا المعنى الجَزمُ، والعربُ تقول: رَبطتُ فَرَسي لا يَنفَلِتْ. وقال غيرُه: لِكَي لا يَسَّمَّعوا إلى المَلأِ الأعلَى، وهم الملائكةُ الذين في السماء. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ وخلف، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ بتشديدِ السين، وأصلُه: يَتَسمَّعون، فأُدغِمَتِ التاءُ في السين. وإنَّما قال: ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لأنَّ العرب تقول: سَمِعتُ فلاناً، وسَمِعتُ مِنْ فُلانٍ، وإلى فُلانٍ. ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ بالشُّهُبِ ﴿دُحُورًا﴾ قال قَتادةُ: أي قَذفاً بالشُّهُبِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: أي: طَرْداً، يُقال: دَحَرْتُه دَحْراً ودُحُوراً، أي: دَفعتُه. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَجاءٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، والضَّحَّاكُ، وأيوبُ السَّختِيانيُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «دَحُوراً» بفتح الدال. وفي «الوَاصِب» قولان: **أحدهما**: أنه الدائمُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أنه المُوجِعُ، قاله أبو صالحٍ، والسُّدِّيُّ. وفي زمانِ هذا العذاب قولان: **أحدهما**: أنه في الآخرة. **والثاني**: أنه في الدنيا، فهم يُخرَجون بالشُّهُبِ ويُخبلون إلى النَّفْخةِ الأُولى في الصُّورِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ قرأ ابنُ السَّمَيفَع: «خَطَّفَ» بفتح الخاء وكسرِ الطاء وتشديدِها. وقرأ أبو رَجاءٍ، والجَحْدَريُ: بكسرِ الخاء والطاء جميعاً والتَّخفيفِ. وقال الزَّجَّاجُ: خَطَفَ وخَطِفَ، بفتح الطاء وكَسرِها، يُقال: خَطَفْتُ أَخطِفُ، وخَطِفتُ أَخْطَفُ: إذا أخذتَ الشيءَ بسرعةٍ، ويجوزُ «إلاَّ مَنْ خَطَّف» بفتح الخاء وتشديدِ الطاء، ويجوز «خِطَّفَ» بكسرِ الخاء وفتح الطاء؛ والمعنى: اختَطَفَ، فأُدغِمتِ التاءُ في الطاء، وسَقطَتِ الألِفُ لِحركةِ الخاء؛ فمنْ فَتحَ الخاءَ؛ ألقَى عليها فتحةَ التاء التي كانت في «اختَطَفَ»، ومَنْ كَسرَ الخاء، فَلِسُكونِها وسُكونِ الطاء. فأمَّا مَنْ رَوى «خِطِف» بكسرِ الخاء والطاء، فلا وَجهَ لها إلاَّ وَجهاً ضعيفاً جدّاً، وهو أنْ يكونَ على إتباعِ الطاءِ كَسرةَ الخاء. قال المُفسِّرون: والمعنى: إلاَّ مَنِ اختَلَسَ الكلمةَ مِنْ كلام الملائكة مُسارقَةً ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ أي لَحِقَهُ ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي كوكبٌ مُضِيءٌ، يُقال: أثقِبْ نارَكَ، أي: أَضِئْها، والثَّقوبُ: ما تُذكَى به النَّارُ.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا
ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

---

(١) النساء: ١١٧.
(٢) الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: فَسَلْهُم سؤالَ تقرير ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي: أحكم صَنْعةً ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: أَمْ مَنْ عَدَدْنا خَلْقَه مِنَ الملائكة والشياطين والسَّمواتِ والأرضِ، قاله ابنُ جَبير. **والثاني**: أَمْ مَنْ خَلَقْنا قبلَهُمْ مِنَ الأُمم السَّالِفةِ، والمعنى: إنَّهم ليسوا بأقوى مِنْ أولئكَ وقد أهلَكناهُم بالتَّكذيبِ، فمَا الذي يُؤمِن هؤلاءِ؟. ثم ذَكَرَ الناسِ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ قال الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ: أي: لاصِقٍ لازِمٍ، والباءُ تُبدَلُ مِنَ الميم لِقُربِ مَخرَجَيْهِما. قال ابنُ عباسٍ: هو الطِّينُ الحُرُّ الجيِّدُ اللَّزِقُ. وقال غيرُه: هو الطِّينُ الذي يَنْشَفُ عنه الماءُ وتبقى رُطوبَتُه في باطنِه فيَلْصَقَ باليَدِ كالشَّمعِ. وهذا إخبارٌ عن تَساوي الأصلِ في خَلْقِهم وخَلْقِ مَنْ قَبْلَهم؛ فمَنْ قَدرَ على إهلاكِ الأقوياءِ، قَدَرَ على إهلاكِ الضُّعفاءِ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ «بل» معناه: تَركُ الكلامِ في الأوَّلِ والأخذُ في الكلامِ الآخَرِ، كأنه قال: دَعْ يا محمَّدُ ما مَضى. وفي «عَجِبْتَ» قِراءتان قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «بل عَجِبْتَ» بفَتحِ التاء. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، وأبو مِجلَزٍ، والنَّخعيُّ، وطَلحةُ بنُ مُصرِّفٍ، والأعمَشُ، وابنُ أبي لَيلى، وحمزَةُ، والكِسائيُّ في آخرين: «بل عَجِبْتُ» بضمِّ التاء، واختارَها الفَرَّاءُ. فمَنْ فَتحَ أراد: بل عَجِبْتَ يا محمَّدُ، ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ هم. قال ابنُ السَّائِبِ: أنتَ تَعْجَبُ منهم، وهم يَسْخرون منكَ. وفي ما عَجِبَ منه قولان[1]: **أحدهما**: مِنَ الكفَّارِ إذ لم يُؤمِنوا بالقرآن. **والثاني**: إذْ كَفَروا بالبَعثِ. ومَنْ ضَمَّ، أراد الإخبارَ عن الله عزَّ وجلَّ أنه عَجِبَ، قال الفراء: وهي قراءة علي وعبد الله وابن عباس وهي أحب إليّ، وقد أنكَرَ هذه القراءةَ قومٌ، منهم شُرَيحٌ القاضي، قال: إنَّ اللهَ لا يَعْجَبُ، إنَّما يَعْجَبُ مَنْ لا يَعْلَم، قال الزَّجَّاجُ: وإنكارُ هذه القراءةِ غَلطٌ، لأنَّ العَجَبَ مِنَ الله خِلافُ العَجَبِ مِنَ الآدَميينَ، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾[2] وقوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾[3]، وأصلُ العَجَبِ في اللغة: أنَّ الإنسانَ إذا رأى ما يُنْكِرُه ويَقِلُّ مِثلُه، قال: قد عَجِبتُ مِنْ كذا، وكذلك إذا فَعَلَ الآدَميُّون ما يُنكِره اللَّهُ عزَّ وجلَّ، جازَ أنْ يقول عَجِبتُ. واللَّهُ قد عَلِمَ الشيءَ قبلَ كونِه. وقال ابنُ الأنباري: المعنى: جَازَيتُهم على عَجَبِهم مِنَ الحقِّ، فسمَّى الجزاءَ على الشيءِ باسمِ الشيءِ الذي له الجَزاءُ، فسَمَّى فِعلَهُ عَجَباً وليس بعَجَبٍ في الحقيقة، لأنَّ المُتعجِّبَ يُدهَشُ ويَتحيَّرُ، واللَّهُ عزَّ وجلَّ قد جَلَّ عن ذلك؛ وكذلك سُمِّي تعظيمُ الثوابِ عَجَباً،

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٤٧٦: والصواب من القول أن يقال: أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنيهما؟ إنهما وإن اختلف معناهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.

(٢) الأنفال: ٣٠. (٣) التوبة: ٧٩.

لأنه إنما يُتعجَّبُ مِنَ الشيءِ إذا كان في النِّهايةِ، والعربُ تُسمِّي الفِعلَ باسمِ الفِعلِ إذا دَانَاهُ مِنْ بعضِ وجُوهِهِ وإنْ كان مُخالفاً له في أكثرِ معانيه، قال عَدِيٌّ:

ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ[1]

فجَعَل إهلاكَ الدهرِ وإفسادَهُ لَعِباً، قال ابنُ جَريرٍ: مَنْ ضَمَّ التاءَ، فالمعنى: بل عَظُمَ عندي وكَبُرَ اتِّخاذُهم لي شَريكاً وتكذيبُهم بتنْزيلي. وقال غيرُه: إضافةُ العَجَبِ إلى الله عزَّ وجلَّ على ضَرْبَين: **أحدهما**: بمعنى الإنكارِ والذَّمِّ، كهذه الآية. **والثاني**: بمعنى الاستِحسَانِ والإخبارِ عن تمامِ الرِّضا، كقوله عليه السَّلامُ:

[١٢٠٩] «عَجِبَ ربُّكَ مِنْ شابٍّ ليست له صَبوَةٌ».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ أي: إذا وُعِظُوا بالقرآن لا يَذْكُرون ولا يَتَّعِظُون. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو المُتوكِّلِ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُ، وأبو عِمْرَانَ: «ذُكِروا» بتخفيفِ الكاف. ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني انشقاقَ القمرِ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: يَسْتَسْخِرون ويَسْخَرونَ سواءٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ. يُقال: سَخِرَ واسْتَسْخَرَ، كما يُقال: قَرَّ واسْتَقرَّ، وعَجِبَ واسْتَعْجَبَ، ويجوز أنْ يكونَ: يسألون غيرَهم مِنَ المشركين أنْ يَسْخَروا مِنْ رسول الله، كما يُقال: اسْتَعْتَبْتُه، أي: سألته العُتْبَى، واسْتَوْهَبْتُه، أي: سألتُه الهِبَةَ، واستَعْفَيْتُه: سألتُه العَفْوَ. ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾ يعنونَ انشقاقَ القمرِ ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: بَيِّنٌ لِمَنْ تأمَّلَهُ أنه سِحْرٌ. ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ قد سبقَ بيانُ هذه الآية[2]. ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ هذه ألِفُ الاستفهام دَخلَتْ على حرفِ العطف، كقوله: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾[3]. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «أوْ آباؤنا الأوَّلُونَ» بسكونِ الواو هاهنا وفي الواقعة[4]. ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ أي: نعم تُبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي: صَاغِرُونَ. ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أي: فإنَّما قِصَّةُ البَعثِ صَيحةٌ واحدةٌ مِنْ إسرافيلَ، وهي نَفخَةُ البَعثِ، وسُمِّيَتْ زَجرةً، لأنَّ مقصودَها الزَّجرُ ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: يُحيَوْن ويُبعَثونَ بُصَراءَ يَنظُرون، فإذا عَاينوا بَعثَهُم، ذكروا إخبارَ الرُّسلِ عن البَعثِ، ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: يوم الحسابِ والجزاءِ، فتقول الملائكةُ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي: يومُ القضاءِ الذي يُفصَلُ فيه بين المُحْسِنِ والمُسيءِ؛ ويقول الله عزَّ وجلَّ يومَئذٍ للملائكةِ: ﴿احْشُرُوا﴾ أي: اجمَعُوا ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مِن حيثُ هم، وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون. **والثاني**: أنه عامٌّ في كلِّ ظالم. وفي أزوَاجِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أمثالُهم وأشباهُهم، وهو قولُ عمرَ وابنِ عباسٍ، والنُّعمانِ بنِ بشيرٍ، ومُجاهِدٍ في آخرين. ورُوي عن عمرَ قال: يُحْشَرُ صاحبُ الرِّبا مع صاحبِ الرِّبا وصاحبُ الزِّنا مع صاحبِ الزِّنا وصاحبُ الخَمرِ مع

[١٢٠٩] ضعيف. أخرجه أحمد ٤/ ١٥١ وأبو يعلى ١٧٤٩ والطبراني ١٧/ ٣٠٩ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٩٩٣ من طريق ابن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعاً. وإسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٧٠ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وإسناده حسن! كذا قال رحمه الله، ومداره على ابن لهيعة، وهو ضعيف لا يحتج به، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٣٤٩ موقوفاً وهو أصح.

---

(١) هو صدر بيت وعجزه: وكذاك الدهر يودي بالرجال.

(٢) مريم: ٦٦. (٣) الأعراف: ٩٨. (٤) الواقعة: ٤٨.

صاحبِ الخمرِ. والثاني: أنَّ أزواجَهم: المُشركاتُ، قاله الحَسَنُ. والثالث: أشياعُهم، قاله قَتادةُ. والرابع: قُرَناؤُهم مِنَ الشَّياطين الذين أَضَلُّوهم، قاله مُقاتِلٌ. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: الأصنامُ، قاله عِكرمَةُ، وقَتادَةُ. والثاني: إبليسَ وحدَهُ، قاله مُقاتِلٌ. والثالث: الشياطينُ، ذكره الماوَردِيُّ وغيرُه.

قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: دُلُّوهم على طريقها؛ والمعنى: اذهبوا بهم إليها. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: هَدَيْتُ الرَّجُلَ: إذا دَلَلْتَه، وهَدَيْتُ العروسَ إلى زوجِها، وأهدَيتُ الهديةَ، فإذا جَعلتَ العروسَ كالهَدِيَّةِ، قلتَ: أهدَيتُها.

قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ أي: احبِسُوهم ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع: «أنَّهم» بفتحِ الهمزة. قال المُفسِّرون: لمَّا سِيقُوا إلى النَّارِ حُبِسُوا عند الصِّراطِ، لأنَّ السؤالَ هناك. وفي هذا السؤالِ ستةُ أقوالٍ: أحدها: أنهم سُئِلُوا عن أعمالِهم وأقوالِهم في الدنيا. والثاني: عن «لا إلهَ إلاَّ اللهُ»، رُويا جميعاً عن ابنِ عباسٍ. والثالث: عن خطاياهم، قاله الضَّحاكُ. والرابع: سَأَلَهُم خَزَنَةُ جهنَّمَ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[1] ونحوَ هذا، قاله مُقاتِلٌ. والخامس: أنهم يُسأَلُون عمَّا كانوا يعملون، ذكره ابنُ جَريرٍ. والسادس: أنَّ سُؤالَهم قولُه تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾، ذكره الماوَردِيُّ. قال المُفسِّرون: المعنى: ما لَكُم لا يَنصُرُ بعضُكم بعضاً كما كُنتم في الدنيا؟! وهذا جوابُ أبي جَهلٍ حينَ قال يومَ بَدرٍ: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾[2]، فقيلَ لهم ذلك يَومَئذٍ توبيخاً. والمُستَسْلِمُ: المُنقادُ الذَّليلُ؛ والمعنى أنهم مُنقادُون لا حِيلَةَ لهم.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾
وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا
كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ
لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ
عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ
قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فيهم قولان: أحدهما: الإنسُ على الشَّياطين. والثاني: الأتباعُ على الرُّؤساءِ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ تَساءَلَ توبيخٍ وتأنيبٍ ولَوْمٍ، فيقولُ الأتباعُ للرُّؤساءِ: لِمَ غَرَّرتُمونا؟ ويقولُ الرُّؤساءُ: لِمَ قَبِلتُم مِنَّا؟ فذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني الأتباعُ للمَتبوعِين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: كُنتم تَقهَرونَنا بقُدرَتِكم علينا، لأنكم كنتم أَعَزَّ مِنَّا، رواه الضَّحَّاكُ. والثاني: مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فتُضِلُّونا عنه، قاله الضَّحَّاكُ، وقال الزَّجَّاجُ: تأتُونَنا مِن قِبَلِ الدِّينِ فتخدَعُونا

---

(١) الملك: ٨٠. (٢) القمر: ٤٤.

بأقوى الأسبابِ. **والثالث**: كُنتم تُوثِّقون ما كنتم تقولون بأيْمانِكُم، فتأتونَنا مِنْ قِبَلِ الأيْمانِ التي تَحْلِفونَها، حكاه عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريّ. فيقول المَتبُوعون لهم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم تكونوا على حَق فَنُضِلَّكُم عنه، إنما الكُفرُ مِنْ قِبَلِكُم. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍۭ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه القَهْرُ. **والثاني**: الحُجَّةُ. فيكون المعنى على الأول: وما كان لنا عليكُم مِنْ قُوَّةٍ نَقْهَرُكم بها ونُكْرِهُكُم على مُتابعتِنا، وعلى الثاني: لم نأتِكُم بحُجَّةٍ على ما دَعَوْناكم إليه كما أتَتِ الرُّسلُ.

قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ أي: فوَجَبتْ علينا كلمةُ العذابِ، وهي قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[(١)]؛ ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ العذابَ جميعاً نحنُ وأنتم، ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أي: أضلَلْناكم عن الهُدى بدُعائِكم إلى ما نحنُ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

ثم أخبرَ عن الأتبَاعِ والمَتبُوعِين بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، والمجرمون هاهنا: المشركون، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا﴾ في الدُّنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: قولوا هذه الكلمة ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يتعظَّمون عن قولِها، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا﴾ المعنى: أنَترُكُ عبادةَ آلهتِنا ﴿لِشَاعِرٍ﴾ أي: لاتِّباعِ شاعرٍ؟! يَعنُونَ رسولَ الله ﷺ، فردَّ اللَّهُ تعالى عليهم فقال: ﴿بَلْ﴾ أي: ليس الأمرُ على ما قالوا، بل ﴿جَآءَ بِالْحَقِّ﴾ وهو التوحيدُ والقرآنُ، ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين كانوا قبلَهُ؛ والمعنى أنه أتى بما أتَوْا به. ثم خاطبَ المُشركين بما بعدَ هذا إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني المُوحِّدين. قال أبو عُبيدَةَ: والعربُ تقول: إنَّكم لَذاهِبون إلاّ زيداً. وفي ما استَثناهُم منه قولان: **أحدهما**: مِنَ الجَزاءِ على الأعمالِ، فالمعنى: إنَّا لا نُؤاخِذُهم بسُوءِ أعمالِهم، بل نَغفِرُ لهم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: مِنْ دونِ العذابِ، فالمعنى: فإنهم لا يَذوقونَ العذابَ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الجنَّةُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه الرِّزقُ في الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ، فعلَى هذا، في معنى «معلوم» قولان: **أحدهما**: أنه بمِقدارِ الغَداةِ والعَشِيِّ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: أنهم حينَ يشتَهونَهُ يُؤتَون به، قاله مُقاتِلٌ.

ثم بَيَّنَ الرِّزقَ فقال: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ وهي جمعُ فاكِهةٍ وهي الثِّمارُ كلُّها، رَطْبُها ويابِسُها ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ بما أعطاهُم اللَّهُ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[(٢)] إلى قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ قال الضَّحَّاكُ: كلُّ كأسٍ ذُكِرَتْ في القرآن، فإنما عُنِيَ بها الخمرُ، قال أبو عُبيدَةَ: الكَأْسُ: الإناءُ بما فيه؛ والمَعِينُ: الماءُ الطاهرُ الجَاري. قال الزَّجَّاجُ: الكأسُ: الإناءُ الذي فيه الخَمرُ، وتقعُ الكأسُ على كلِّ إناءٍ مع شرابِه، فإنْ كان فارغاً فليس بكأسٍ. والمَعِينُ: الخَمرُ يجري كما يجري الماءُ على وَجهِ الأرضِ مِنَ العُيون.

قوله تعالى: ﴿بَيْضَآءَ﴾ قال الحسَنُ: خَمرُ الجنَّةِ أشدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ، قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: ويدلُّ على أنه أراد بالكأسِ الخَمرَ، أنه قال: «بيضاء» فأنَّث ولو أراد الإناءَ على انفرادِه، أو الإناء والخمر، لَقالَ: أبيض. وقال ابنُ جرير: إنما أراد بقوله: «بيضاء» الكأسَ، ولتأنيثِ الكأس أُنِّثت البيضاءُ. قوله تعالى: ﴿لَذَّةٍ﴾ قال ابنُ قُتيبَة: أي: لذيذةٌ، يُقال: شرابٌ لِذاذٌ: إذا كان طيِّباً. وقال

---

(١) الأعراف: ١٨.
(٢) الحجر: ٤٧.

الزَّجَّاجُ: أي: ذات لَذَّةٍ. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ليس فيها صُداعٌ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ليس فيها وَجعُ بَطنٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ وابنُ زيدٍ. **والثالث**: ليس فيها وَجعٌ ولا صُداعُ رأسٍ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: ليس فيها أذىً ولا مكرُوهٌ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: لا تَغتالُ عقولَهُم، قاله السُّدِّيُّ. وقال الزَّجَّاجُ: لا تَغتَالُ عقولَهم فتذهب بها ولا يُصيبُهم منها وَجعٌ. **والسادس**: ليس فيها إثمٌ، حكاه ابنُ جَريرٍ. **والسابع**: ليس فيها شيءٌ مِنْ هذه الآفاتِ، لأنَّ كُلَّ مَنْ نالَهُ شيءٌ مِنْ هذه الآفاتِ قيلَ: قد غالَتْهُ غَوْلٌ، فالصواب أنْ يكونَ نفيُ الغَوْلِ عنها يَعُمُّ جميعَ هذه الأشياء، هذا اختيارُ ابنِ جَريرٍ. قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ: بكَسرِ الزاي ها هنا وفي الواقعة، وفَتَحَ عاصِمٌ الزايَ ها هنا، وكَسَرَها في الواقعة[1]. وقرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، بفتحِ الزاي في السُّورَتين، قال الفَرَّاءُ: فمَنْ فَتَحَ، فالمعنى: لا تذهبُ عقولُهم بشُربِها. يُقال للسَّكرانِ: نَزِيفٌ ومَنزُوفٌ؛ ومَنْ كَسرَ، ففيه وجهان: **أحدهما**: لا يُنفِدُون شرابَهم، أي: هو دائمٌ أبداً. **والثاني**: لا يَسْكَرون، قال الشاعر:

لَعَمْري لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أو صَحَوْتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرا[2]

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهنَّ نساءٌ قد قَصَرنَ طَرْفَهنَّ على أزواجِهنَّ فلا يَنظُرْنَ إلى غيرِهم. وأصلُ القَصْرِ: الحَبسُ، قال ابنُ زيدٍ: إنَّ المرأةَ منهنَّ لَتقولُ لِزوجِها: وعِزَّةِ ربِّي ما أرىٰ في الجنَّةِ شيئاً أحسَنَ منكَ، فالحمدُ لله الذي جعلني زَوجَكَ وجعَلَكَ زوجي. **والثاني**: أنهنَّ قد قَصرنَ طَرْفَ الأزواج عن غيرِهنَّ، لِكمالِ حُسنِهنَّ، سمعتُهُ مِنَ الشيخ أبي محمَّدِ بن الخشَّابِ النَّحوي.

وفي العِينِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: حِسَانُ العيون، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: عِظامُ الأعيُنِ، قاله السُّدِّيُّ. وابنُ زيدٍ. **والثالث**: كِبارُ العُيونِ حِسَانُها، وواحدتُهنَّ عَيْناءُ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ في المراد بالبيض ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللؤلؤُ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: بَيْضُ النَّعام، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ، والزَّجَّاجُ. قال جماعةٌ مِنْ أهلِ اللغة: والعرب تُشَبِّهُ المرأةَ الحسناءَ في بياضِها وحُسْنِ لونِها بِبَيْضَةِ النَّعامَةِ، وهو أحسَنُ ألوانِ النساء، وهو أنْ تكون المرأة بيضاءَ مُشْرَبَةً صُفْرَةً. **والثالث**: أنه البَيْضُ حين يُقشَرُ قبلَ أنْ تَمَسَّهُ الأيدي، قاله السُّدِّيُّ، وإلى هذا المعنى ذهب سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، وابنُ جَريرٍ. فأمَّا المَكنُونُ، فهو المَصُونُ. فعَلَى القولِ الأولِ: هو مكنُونٌ في صَدَفِهِ، وعلى الثاني: هو مكنُونٌ بريشِ النَّعامِ، وعلى الثالث: هو مَكنُونٌ بقِشْرِه.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ
﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ
﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا

(١) الواقعة: ١٩.
(٢) البيت للأبيرد الرياحي من بني مِخجل كما في «اللسان» ـ نزف ـ.

﴿مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني أهلَ الجنَّةِ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ عن أحوالٍ كانت في الدنيا. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الصَّاحبُ في الدنيا. **والثاني**: أنه الشَّريكُ، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الشيطان، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنه الأخ؛ قال مُقاتِلٌ: وهما الأخَوانِ المذكورانِ في سُورةِ الكَهفِ[1] في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾؛ والمعنى: كان لي صاحبٌ أو أخٌ يُنكِرُ البعثَ، ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هي مُخففَةُ الصاد، مِنْ صَدَّقَ يُصدِّقُ فهو مُصدِّق، ولا يَجوزُ ها هنا تشديدُ الصاد، قال المُفسِّرون: والمعنى: أئِنَّكَ لَمِنَ المُصدِّقين بالبَعثِ؟ وقرأ بكرُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ القاضي عن حمزةَ: «المُصَّدِّقِينَ» بتشديد الصاد. قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مَجزيُّون بأعمالِنا، يُقال: دِنْتُهُ بما صَنعَ، أي: جازيتُهُ. فأحَبَّ المؤمِنُ أنْ يَرى قرينَهُ الكافرَ، فقال لأهلِ الجنَّةِ: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: هل تُحبُّون الاطِّلاعَ إلى النَّار لِتَعلَمُوا أينَ مَنزِلَتُكم مِنْ منزلةِ أهلِها؟ وقرأ ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو عِمرانَ، وابنُ يَعمُرَ: «هل أنتم مُطْلِعُونَ» بإسكانِ الطاء وتخفيفِها «فَأُطْلِعَ» بهمزةٍ مرفوعةٍ وسكونِ الطاء. وقرأ أبو رَزِينٍ وابنُ أبي عَبلَةَ: «مُطلِعونِ» بكسرِ النون، قال ابنُ مسعودٍ: اطَّلَعَ ثم التَفتَ إلى أصحابه فقال: لقد رأيتُ جماجِمَ القوم تَغلِي؛ قال ابنُ عباسٍ: وذلك أنَّ في الجنَّةِ كُوىً ينظرُ منها أهلُها إلى النارِ. قوله تعالى: ﴿فَرَءَاهُ﴾ يعني قرينَهُ الكافرَ ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في وسَطِها. وقيلَ: إنما سُمِّيَ الوسَطُ سَواءً، لاستِواءِ المسافة منه إلى الجَوانبِ. قال خُلَيدُ العَصَريُّ: واللَّهِ لولا أنَّ اللَّهَ عرَّفَهُ إيَّاه، ما عَرفَهُ، لقد تغيَّرَ حِبرُهُ وسِبرُهُ. فعندَ ذلك ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ قال المُفسِّرون: معناه: واللَّهِ ما كِدْتَ إلاَّ تُهلِكني؛ يُقال: أردَيْتُ فلاناً، أي: أهلَكتُه. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ أي: إنعامُه عليَّ بالإسلام ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معكَ في النارِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إذا ذُبِحَ الموتُ، قال أهلُ الجنَّة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ فيُقال لهم: لا؛ فعندَ ذلك قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ فيقول اللَّهُ تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، قاله ابنُ السَّائِبِ. وقيلَ: يقولُ ذلك للملائكةِ. **والثاني**: أنه قولُ المؤمن لأصحابِهِ، فقالوا له: إنكَ لا تموتُ، فقال: «إنَّ هذا لَهُوَ الفَوزُ العَظيمُ»، قاله مُقاتِلٌ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: إنما خاطَبَ المؤمنُ أهلَ الجنَّةِ بهذا على طريقِ الفَرحِ بدوامِ النَّعيم، لا على طريقِ الاستفهامِ، لأنه قد عَلِمَ أنَّهم ليسوا بميِّتينَ، ولكنْ أعادَ الكلامَ ليزدَادَ بتكرَارِهِ على سَمْعِه سروراً. **والثالث**: أنه قولُ المؤمنِ لِقرينِه الكافرِ على جهة التَّوبيخِ بما كان يُنكِرُه، ذكره الثَّعلَبيُّ.

قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ يعني النَّعيمَ الذي ذَكرَهُ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾[2]، ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، وهذا ترغيبٌ في طلبِ ثوابِ الله عزَّ وجلَّ بطاعتِه.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ

(١) الكهف: ٣٢. (٢) الصافات: ٤١.

ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يُشير إلى ما وَصفَ لأهلِ الجنَّةِ ﴿نُّزُلًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: رزقاً، ومنه: إقامةُ الأنزالِ، وأنزالُ الجنودِ: أرزاقُها، وقال الزَّجَّاجُ: النُّزلُ ها هنا: الرَّيْعُ والفَضلُ، تقول: هذا طعامُ نُزْلٍ ونُزُلٍ، بتسكينِ الزاي وضمِّها؛ والمعنى: أذلِكَ خيرٌ في بابِ الأنزالِ التي تُتقوَّتُ ويمكن معها الإقامةُ، أَمْ نُزُلُ أهلِ النَّارِ؟! وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾. واختلف العلماءُ هل هذه الشجرةُ في الدنيا، أَمْ لا؟ فقال قُطْرُبُ: هي شجرةٌ مُرَّةٌ تكون بأرضِ تِهامَةَ مِنْ أخبَثِ الشجرِ. وقال غيرُه: الزَّقُّومُ: ثمرةُ شجرةٍ كريهةِ الطَّعم. وقيلَ: إنها لا تُعرَفُ في شجرِ الدنيا، وإنما هي في النَّارِ، يُكرَه أهلُ النَّارِ على تناولِها. قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني للكافرين، وفي المُراد بالفِتنة ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه لمَّا ذُكرَ أنها في النَّارِ، افتُتِنوا وكَذَّبوا، فقالوا: كيف يكون في النَّارِ شجرةٌ، والنَّارُ تأكل الشجرَ؟، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادةُ[1]، وقال السُّدِّيُّ: فِتنةٌ لأبي جَهلٍ وأصحابِه. **والثاني**: أنَّ الفِتنةَ بمعنى العذاب، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: أنَّ الفِتنةَ بمعنى الاختبارِ، اختُبِروا بها فكَذَّبوا، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في قَعْرِ النَّارِ. قال الحسَنُ: أَصلُها في قَعْرِ النَّارِ، وأغصانُها ترتفعُ إلى دَرَكاتِها. ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثَمرُها، وسُمِّي طَلْعاً، لِطلوعِه ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾. فإنْ قيلَ: كيف شبَّهها بشيءٍ لم يُشاهَدْ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه قد استقرَّ في النُّفوسِ قُبحُ الشياطين ـ وإنْ لم تُشاهَدْ ـ فجازَ تشبيهُها بما قد عُلِمَ قُبحُه، قال امرؤُ القَيسِ:

أَيَقْتُلُنِي والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعِي ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيابِ أَغْوالِ

قال الزَّجَّاجُ: هو لم يَرَ الغُولَ ولا أنيابَها، ولكنَّ التمثيلَ بما يُستقبَحُ أبلَغُ في باب المُذكَّرِ أنْ يُمثَّلَ بالشياطين، وفي باب المُؤنَّثِ أنْ يُشبَّه بالغُولِ.

والثاني: أنَّ بين مكَّةَ واليَمنِ شجراً يُسمَّى رُؤوسَ الشياطين، فشَبَّهها بها، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: أنه أرادَ بالشياطين: حيَّاتٍ لها رؤوسٌ ولَها أعرافٌ، فشبَّه طَلْعَها برؤوسِ الحيَّاتِ، ذكره الزَّجَّاجُ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تُسمِّي بعضَ الحيَّاتِ شيطاناً، وهو حيَّةٌ ذُو عُرْفٍ قبيحُ الوجهِ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ أي: مِنْ ثمرِها ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ وذلك أنهم يُكرَهون على أكلِها حتى تمتلئَ بُطونُهم. ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: لَخلطاً مِنَ الماء الحارِّ يشربُونَهُ عليها. قال أبو عُبيدَةَ: تقول العرب: كلُّ شيءٍ خَلَطْتَه بغيرِه فهو مَشُوبٌ. قال المُفسِّرون: إذا أكلوا الزَّقُّومَ ثم شربوا عليه الحَميمَ، شَابَ الحَميمُ الزَّقُّومَ في بطونهم فصارَ شَوْباً له. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ أي: بعدَ أكلِ الزَّقُّومِ وشُربِ الحَميمِ ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ وذلك أنَّ الحَميمَ خارجٌ مِنَ الجحيمِ، فهُم يُورَدونَهُ

(١) مرسل. أخرجه الطبري ٢٩٣٩٨ عن قتادة مرسلاً، وتقدم في سورة الإسراء: ٦٠.

كما تُورَدُ الإبلُ الماءَ، ثم يُرَدُّونَ إلى الجحيم؛ ويدلُّ على هذا قولُه: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[١]. و ﴿أَلْفَوْا﴾ بمعنى وَجَدوا. و ﴿يُهْرَعُونَ﴾ مشروحٌ في هود[٢]، والمعنى أنهم يتَّبِعون آباءَهم في سرعةٍ. ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبلَ هؤلاءِ المشركين ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الأُمَمِ الخاليةِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني المُوَحِّدِين، فإنَّهم نَجوا مِنَ العذاب. قال ابنُ جرير: وإنما حَسُنَ الاستثناءُ، لأنَّ المعنى: فانظُرْ كيف أهلَكْنا المُنذَرين إلاّ عبادَ الله.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ أي: دَعانا. وفي دُعائِه قولان: **أحدهما**: أنه دَعا مُستنصِراً على قومِه. **والثاني**: أنْ يُنجيَه مِنَ الغرَقِ ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ نحنُ؛ والمعنى: إنّا أنجيناهُ، وأهلَكْنا قومَهُ. وفي ﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الغرقُ. **والثاني**: أذى قومِه. ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ وذلك أنَّ نسلَ أهلِ السفينة انقرضُوا غيرَ نسلِ وَلَدِه، فالناسُ كلُّهم مِنْ وَلَدِ نوح، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: تَركْنا عليه ذِكراً جميلاً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ وهم الذين جاؤوا بعدَهُ إلى يوم القيامة. قالَ الزَّجّاجُ: وذلك الذِّكْرُ الجميلُ قولُه تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ وهم الذين جاؤوا مِن بعده، والمعنى: تَركْنا عليه أنْ يُصلّى عليه في الآخِرين إلى يوم القيامة. قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: جزاهُ اللّهُ بإحسانِه الثَّناءَ الحَسَنَ في العالَمين.

﴿۞ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي: مِنْ أهلِ دِينِه ومِلَّتِه. والهاءُ في «شيعته» عائدةٌ على نوحٍ في قولِ الأكثرين؛ وقال ابنُ السَّائبِ: تعود إلى محمَّدٍ ﷺ، واختارَهُ الفَرّاءُ. فإنْ قيلَ: كيف يكون مِنْ شِيعَتِه وهو قَبْلَه؟ فالجواب: أنه مِثلُ قوله تعالى: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٣] فجعلَها ذُرِّيَّتَهم وقد سبقَتْهم، وقد شرحنا هذا فيما مَضى[٤]. قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾ أي: صَدَّقَ اللّهَ وآمَنَ به ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِنَ الشِّركِ وكلِّ دَنَسٍ، وفيه أقوالٌ ذكرناها في الشُّعَراء[٥].

---

(١) الرحمن: ٤٤. (٢) هود: ٧٨. (٣) يس: ٤١.
(٤) يس: ٤١. (٥) الشعراء: ٨٩.

قوله تعالى: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا استفهامُ تَوبيخ، كأنه وَبَّخَهُم على عبادةِ غيرِ الله. ﴿أَئِفْكًا﴾ أي: أَتَأفِكُونَ إفكاً وتَعبُدون آلهةً سِوى اللَّهِ؟! ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إذا لَقيتُموهُ وقد عَبدتُم غيرَه؟! كأنه قال: فما ظنُّكُم أنْ يصنعَ بكم؟ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه نَظَرَ في عِلْمِ النُّجوم، وكان القومُ يَتعاطَوْنَ عِلْمَ النُّجوم، فعامَلَهُم مِنْ حيثُ هم، وأراهُم أنِّي أعلَمُ مِنْ ذلك ما تعلَمون، لِئَلاَّ يُنكِروا عليه ذلك. قال ابنُ المُسَيِّبِ: رأى نجماً طالِعاً، فقال: إنِّي مريضٌ غداً. **والثاني**: أنه نَظرَ إلى النُّجوم، لا في عِلْمِها. فإن قيل: فما كان مَقصودُه؟ فالجواب أنه كان لهم عِيدٌ، فأراد التَّخلُّفَ عنهم لِيَكِيدَ أصنامَهم، فاعْتَلَّ بهذا القول.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ مِنْ مَعاريضِ الكلام، ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: سأسْقَمُ، قاله الضَّحَّاكُ. قال ابنُ الأنباري: أعْلَمَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنّه يَمتَحِنُهُ بالسُّقم إذا طَلَعَ نجمٌ يعرفُه، فلمَّا رأى النَّجمَ، عَلِمَ أنه سيَسْقم. **والثاني**: أنّي سَقِيمُ القلب عليكم إذْ تكَهَّنْتُم بنجوم لا تضرُّ ولا تَنْفَع، ذكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: أنه سَقِمَ لِعِلَّةٍ عَرضَتْ له، حكاه المَاوَردي. وذكر السُّدِّيُّ أنه خرج معهم إلى يوم عيدِهم، فلمّا كان ببعضِ الطريق، أَلْقَى نَفسَهُ وقال: إنِّي سَقِيمٌ أشتكي رِجْلِي، ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ أي: مالَ إليها ـ وكانوا قد جعلوا بين يدَيْها طعاماً لِتبارِكَ فيه على زعمِهم ـ ﴿فَقَالَ﴾ إبراهيمُ استِهزاءً بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ في اليمين ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها اليدُ اليُمنى، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: بالقُوَّة والقُدرةِ، قاله السُّدِّيُّ، والفَرَّاءُ. **والثالث**: باليمينِ التي سَبقَتْ منه، وهي قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾[1]. حكاه المَاوَرديُّ. قال الزَّجَّاجُ: «ضَرْباً» مصدرٌ؛ والمعنى: فمَالَ على الأصنام يَضربُها ضَرْباً باليمين؛ وإنما قال: «عليهم»، وهي أصنامٌ، لأنهم جعلُوها بمنزلةِ ما يُمَيِّز. ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وعاصِمٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ والكِسَائيُّ: «يَزِفُّونَ» بفتحِ الياء وكَسرِ الزاي وتشديدِ الفاء. وقرأ حمزَةُ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم: «يُزِفُّونَ» برفع الياء وكسرِ الزاي وتشديدِ الفاء. وقرأ ابن السميفع وأبو المتوكل والضحاك: «يَزِفُون» بفتح الياء وكسر الزاء وتخفيف الفاء. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ وأبو نَهِيكٍ: «يَزْفُونَ» بفتح الياء وسكونِ الزاي وتخفيفِ الفاء. قال الزَّجَّاجُ: أعربُ القراءاتِ فتحُ الياء وتشديدُ الفاء، وأصله مِنْ زَفِيفِ النَّعَام، وهو ابتداءُ عَدْوِ النَّعَام، يُقال: زَفَّ النَّعامُ يَزِفُّ؛ وأمَّا ضمُّ الياء، فمعناه: يصيرون إلى الزَّفيفِ، وأنشدوا:

فأضحى حُصَيْنٌ قد أَذَلَّ وأَقْهَرَا[2]

أي: صار إلى القَهْرِ. وأمَّا كَسْرُ الزَّاي مع تخفيفِ الفاء، فهو مِنْ: وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَعَ يُسْرِع، ولم يَعْرِفْهُ الكِسَائيُّ ولا الفَرَّاءُ، وعَرَفه غيرُهما. قال المُفسِّرون: بَلَغَهُم ما صنعَ إبراهيمُ، فأسرعوا، فلمَّا انتهَوْا إليه، قال لهم مُحتجًا عليهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ بأيديكم ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، قال ابنُ جَريرٍ: في «ما» وجهان[3]: **أحدهما**: أنْ تكون بمعنى المصدرِ، فيكون المعنى: واللَّهُ

---

(١) الأنبياء: ٥٧.

(٢) هو عجز بيت للمخبّل السعدي كما في «اللسان» ـ قهر ـ. وصدره: تمنّى حصين أن يسود جذاعه.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ١٨/٤: وكلا القولين متلازم، والأول أظهر لما رواه البخاري في كتاب =

خَلَقَكم وعَمَلَكم. **والثاني**: أنْ تكون بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: واللهُ خَلَقَكم وخَلَقَ الذي تعملونه بأيديكم مِنَ الأصنام، وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ أفعالَ العبادِ مخلوقةٌ لله سبحانَهُ. فلمَّا لَزِمَتْهم الحُجَّةُ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ وقد شرحنا قصَّتَهُ في سُورةِ الأنبياء[1]، وبيَّنَّا معنى الجَحِيم في البقرة[2]، والكَيْدُ الذي أرادوا به: إحرَاقُه.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أنَّ إبراهيمَ عَلاهُم بالحُجَّة حيثُ سَلَّمَهُ الله مِنْ كيدِهم وحَلَّ الهلاكُ بهم. ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيمَ ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ في هذا الذَّهاب قولان: **أحدهما**: أنه ذاهبٌ حقيقةً، ثم في وقت قوله هذا قولان: أحدهما: أنه حينَ أراد هِجرةَ قومِه؛ فالمعنى: إنِّي ذاهبٌ إلى حيثُ أمَرَني ربِّي عزَّ وجلَّ ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيثُ أمَرَني، وهو الشَّامُ، قاله الأكثرون. والثاني: حين أُلقِيَ في النَّارِ، قاله سليمانُ بنُ صُرَدٍ؛ فعَلَى هذا، في المعنى قولان: أحدهما: ذاهبٌ إلى الله بالموتِ، سَيهْدِينِ إلى الجَنَّة. والثاني: ذاهبٌ إلى ما قضى به رَبِّي سَيهْدِينِ إلى الخَلاصِ مِنَ النَّارِ. **والقول الثاني**: إنِّي ذاهبٌ إلى ربِّي بقلبي وعَملي ونِيَّتي، قاله قَتادةُ.

فلمَّا قَدِمَ الأرضَ المقدَّسة، سأل ربَّه الوَلَدَ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: وَلَداً صالحاً مِنَ الصَّالِحين، فاجتزأ بما ذَكرَ عمَّا تَركَ، ومثله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[3]، فاستجابَ له، وهو قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ وفيه قولان[4]: **أحدهما**: أنه إسحَاقُ. **والثاني**: أنه إسمَاعِيلُ. قال الزَّجَّاجُ. هذه البِشَارةُ تَدُلُّ على أنه مُبَشَّرٌ بابنِ ذَكرٍ، وأنه يبقى حتى ينتهي في السنِّ ويُوصَفُ بالحِلْمِ.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ
الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ
بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المرادَ بالسَّعي هاهنا: العملُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه المَشيُ، والمعنى: مَشى مع أبيه، قاله قَتادةُ. قال ابنُ قُتيبةَ: بَلَغَ أنْ يَنصرِفَ معه

= «أفعال العباد» عن حذيفة مرفوعاً: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته».

(١) الأنبياء: ٥٢ ـ ٧٤. (٢) البقرة: ١١٩. (٣) يوسف: ٢٠.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٤/١٩: يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه بعدما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم **﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين﴾** يعني: أولاداً مطيعين عوضاً عن قومه وعشيرته الذين فارقهم. قال الله تعالى: **﴿فبشرناه بغلام حليم﴾** وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بُشّر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل نصّ كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ لإبراهيم عليه السلام وعمره ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعُمرُ إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة: بكره.

ويُعِينَهُ. قال ابنُ السَّائبِ: كان ابنَ ثلاثَ عشرةَ سنةً. **والثالث**: أنَّ المرادَ بالسَّعي: العبادةُ، قاله ابنُ زيدٍ؛ فعلَى هذا، يكون قد بَلَغَ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ أكثرُ العلماء على أنه لم يَرَ أنه ذَبحَهُ في المنام. وإنما المعنى أنه أُمِرَ في المنام بذَبْحِه، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. وذهب بعضُهم إلى أنه رأى أنه يُعالجُ ذَبْحَه، ولم يَرَ إراقةَ الدَّم. قال قَتادةُ: ورُؤيا الأنبياءِ حَقٌّ، إذا رَأَوا شيئاً، فعلُوه. وذكر السُّدِّيُّ عن أشياخه أنه لمَّا بَشَّر جبريلُ سارةَ بالوَلَدِ، قال إبراهيمُ: هو إذاً لله ذبيحٌ، فلمّا فَرَغَ مِن بُنيانِ البيت، أُتي في المنام، فقيلَ له: أَوْفِ بنَذْرِكَ. واختلفوا في الذَّبيحِ على قولين[١]: **أحدهما**: أنه إسحاقُ، قاله عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، والعبَّاسُ بن عبدالمُطَّلبِ، وابنُ مسعودٍ، وأبو موسى الأشعَريُّ، وأبو هُريرَةَ، وأنسٌ، وكَعبُ الأحبارِ، ووَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، ومَسرُوقٌ، وعُبيدُ بنُ عُميرٍ، والقاسمُ بنُ أبي بَزَّةَ، ومُقاتِلُ بنُ سُليمانَ، واختاره ابنُ جريرٍ. وهؤلاءِ يقولون: كانت هذه القصةُ بالشام. وقيل: طُويَتْ له الأرضُ حتى حملَهُ إلى المَنْحَرِ بِمِنىً في ساعةٍ. **والثاني**: أنه إسماعيلُ، قاله ابنُ عُمرَ، وعبدُ الله بنُ سَلام، والحسَنُ البَصْريُّ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، والشَّعْبيُّ، ومُجاهِدٌ، ويوسفُ بنُ مِهْرَانَ، وأبو صالحٍ، ومحمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظيُّ، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ، وعبدُ الرحمن بنُ سابطٍ. واختلفت الروايةُ عن ابنِ عباسٍ، فَرَوى عنه عِكرمَةُ أنه إسحاقُ، وروى عنه عطاءٌ، ومُجاهِدٌ، والشَّعْبيُّ، وأبو الجَوزاءِ، ويُوسفُ بنُ مِهْرَانَ أنه إسماعيلُ، وروى عنه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ كالقولَين. وعن سعيدِ بن جُبَيرٍ، وعِكرمَةَ، والزُّهْري، وقَتادَةَ، والسُّدِّيِّ رِوايتان. وكذلك عن أحمدَ رضي الله عنه رِوايتان. ولكلِّ قومٍ حُجَّةٌ ليس هذا موضعُها، وأصحابُنا يَنصُرون القولَ الأولَ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٤/ ١٩ ـ ٢١: نصّ في كتاب أهل الكتاب أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة: بكره، فأقحموا هاهنا كذباً وبهتاناً «إسحاق» ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحرّفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل. فإنه لا يقال: وحيد إلا لمن ليس له غيره، وأيضاً فإن أول ولدٍ له معزّةٌ ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.
وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلُقّي إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأُخِذَ ذلك مُسلّماً من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: **﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾**. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: **﴿إنا نبشرك بغلام عليم﴾** وقال تعالى: **﴿فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾** أي: يولد له في حياتهما ولد يسمّى يعقُوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. ولا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير، لأن الله وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً. وإسماعيل وصف هاهنا بالحلم، لأنه مناسب لهذا المقام. وقوله: **﴿فلما بلغ معه السعي﴾** أي: كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه. وقد كان إبراهيم عليه السلام يذهب في كل وقتٍ يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فارن وينظر في أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعاً إلى هناك. والله أعلم. والصحيح أنه إسماعيل، وهو المقطوع به اهـ.

الإشارة إلى قصَّةِ الذَّبح

ذَكرَ أهلُ السِّيَر والتفسير(١) أنَّ إبراهيمَ لمَّا أراد ذَبْحَ وَلدِه، قال له: انطَلِقْ فنُقَرِب قُرباناً إلى الله عزَّ وجلَّ، فأخذَ سِكِيناً وحَبْلاً، ثم انطلَقَ، حتى إذا ذهبا بين الجبال، قال له الغلامُ: يا أبتِ أينَ قُربانُكَ؟ قال: يا بُني إني رأيتُ في المنام أنّي أذبحكَ، فقال له: اشْدُدْ رِباطي حتى لا أضْطَرِبَ، واكْفُفْ عنّي ثيابكَ حتى لا يَنتَضِحَ عليكَ مِنْ دمي فتراهُ أُمّي فتحزَنَ، وأسْرِعْ مَرَّ السِّكينِ على حَلْقِي ليكونَ أهونَ للموت عليَّ، فإذا أتيتَ أُمّي فاقرأ عليها السلامَ منّي؛ فأقبَلَ عليه إبراهيمُ يُقبّله ويبكي ويقول: نِعْمَ العَونُ أنتَ يا بُنيَّ على أمرِ الله عزَّ وجلَّ، ثم إنه أَمَرَّ السِّكِينَ على حَلْقِه فلم يَحْكِ شيئاً. وقال مُجاهِدٌ: لمَّا أمرَّها على حَلْقِه انقلَبَتْ، فقال: ما لكَ؟ قال: انقلَبَتْ، قال: اطْعَنْ بها طَعْناً. وقال السُّدِّيُّ: ضَرِبَ الله على حَلْقِه صفيحةً مِنْ نُحاسٍ؛ وهذا لا يُحتاجُ إليه، بل مَنعُها بالقُدرةِ أبلَغُ. قالوا: فلمَّا طعَنَ بها، نَبَتْ، وعَلِمَ الله منهما الصِّدقَ في التَّسليم، فنُودِيَ: يا إبراهيمُ قد صَدَّقْتَ الرُّؤيا، هذا فِداءُ ابنِكَ؛ فنظرَ إبراهيمُ، فإذا جِبريلُ معه كَبشٌ أملَحُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ لَمْ يَقُلْ له ذلك على وَجهِ المؤامرةِ في أمرِ الله عزَّ وجلَّ، ولكنْ أراد أنْ يَنْظُرَ ما عنده مِنَ الرَّأي. وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «ماذا تُري» بضمِّ التاء وكسرِ الراء؛ فيها قولان: **أحدهما**: ماذا تُرِيني مِنْ صبركَ أو جَزَعِكَ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: ماذا تُبِينُ، قاله الزَّجَّاجُ. وقال غيرُه: ماذا تُشِيرُ. قوله تعالى: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ قال ابنُ عباسٍ: افعَلْ ما أُوحيَ إليكَ مِنْ ذَبحي ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلاءِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: استَسلَما لأمرِ الله عزَّ وجلَّ فأطَاعا ورَضِيا. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والأعمَشُ وابنُ أبي عَبلَةَ: «فلمّا سَلَّما» بتشديدِ اللام مِنْ غير همزٍ قبلَ السين؛ والمعنى: سَلَّما لأمرِ الله عزَّ وجلَّ. وفي جواب قوله: «فلمَّا أسلَما» قولان: **أحدهما**: أنَّ جوابَهُ: «وناديناه»، والواو زائدةٌ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنَّ الجوابَ محذوفٌ لأنَّ في الكلام دليلاً عليه؛ والمعنى: فلمَّا فعَلَ ذلك، سَعِدَ وأُجْزِلَ ثوابُه، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: صَرَعَهُ على جَبينِه فصار أحدُ جَبِينَيهِ على الأرض، وهما جَبِينان، والجَبهةُ بينهما، وهي ما أصابَ الأرضَ في السُّجود، والناسُ لا يكادون يُفرّقون بين الجَبِين والجَبهةِ، فالجَبهةُ مسجدُ الرجل الذي يُصيبه نَدَبُ السُّجودِ، والجَبينان يَكتَنفانِها، مِنْ كلِّ جانبٍ جَبِينٌ. قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ قال المُفسِّرون: نُودِيَ مِنَ الجبل: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾وفيه قولان: **أحدهما**: قد عَمِلْتَ ما أُمِرْتَ، وذلك أنه قَصدَ الذَّبحَ بما أمكنَهُ، وطاوَعهُ الابنُ بالتَّمكينِ مِنَ الذَّبح، إلاَّ أنَّ الله تعالى صَرفَ ذلك كما شاءَ، فصارَ كأنه قد ذَبَحَ وإنْ لم يتحقَّقِ الذَّبحُ. **والثاني**: أنه رأى في المَنام مُعالجةَ الذَّبح، ولم يَرَ إراقةَ الدَّم، فلمَّا فَعَلَ في اليَقظةِ ما رأى في المنام، قيلَ له: «قد صدَّقتَ الرُّؤيَا». وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرَانَ، والجَحْدَريُّ: «قد صَدَقْتَ الرُّؤيا» بتخفيفِ الدال، وها هنا تَمَّ الكلامُ. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما ذَكَرْنا مِنَ العَفوِ مِنْ ذَبحِ وَلدِهِ

---

(١) هو موقوف على ابن عباس، انظر «تفسير البغوي» ٤/ ٣٣.

﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: النعمةُ البيِّنةُ، قاله ابنُ السَّائب، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الاختبارُ العظيمُ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ قُتيبة. فعَلَى الأولِ، يكون قولُه هذا إشارةً إلى العَفوِ عن الذَّبحِ. وعلى الثاني، يكون إشارةً إلى امتحانِه بذَبحِ وَلدِه.

قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ يعني الذَّبيح ﴿بِذِبْحٍ﴾ وهو بكسرِ الذَّال اسمُ ما ذُبِحَ، وبفتحِ الذَّال مصدرُ ذَبحتُ، قاله ابنُ قُتيبةَ. ومعنى الآية: خلَّصْناه مِنَ الذَّبح بأنْ جعلنا الذِّبحَ فِداءً له. وفي هذا الذِّبحِ ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه كان كَبشاً أقرَنَ قد رَعى في الجنَّةِ قبلَ ذلك أربعينَ عاماً، قاله ابنُ عباسٍ في رواية مُجاهِدٍ، وقال في روايةِ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ: هو الكَبشُ الذي قرَّبَهُ ابنُ آدمَ فتُقُبِّلَ منه، كان في الجنَّةِ حتى فُدِيَ به. **والثاني**: أنَّ إبراهيمَ فَدَى ابنَه بكَبْشَينِ أبيضَينِ أعيَنَيْنِ أقرنَيْنِ، رواه أبو الطُّفَيلِ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه ما فُدِيَ إلاَّ بتَيسٍ مِنَ الأَرْوَى، أُهبِطَ عليه مِنْ ثَبيرٍ، قاله الحسَنُ. وفي معنى ﴿عَظِيمٍ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأنه كانَ قد رَعى في الجنَّةِ، قاله ابنُ عباسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: لأنه ذُبِحَ على دِينِ إبرهيمَ وسُنَّتِه، قاله الحسَنُ. **والثالث**: لأنه مُتقبَّلٌ، قاله مُجاهِدٌ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُ: لمَّا قرَّبَهُ ابنُ آدمَ رُفِع حيّاً فرَعَى في الجنَّةِ ثم جُعِلَ فِداءً للذَّبيحِ، فقُبِلَ مرَّتين. **والرابع**: لأنه عظيمُ الشَّخصِ والبَرَكةِ، ذكره المَاوَرديُ.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ . . . قد فسَّرناه في هذه السُّورة[٢].

قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ مَنْ قال: إن إسحاقَ الذَّبيحُ، قال: بُشِّرَ إبراهيمُ بنُبوَّة إسحاقَ، وأُثيبَ إسحاقُ بصَبْرِهِ النبوَّةَ، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ في رواية عِكرِمَةَ، وبه قال قَتادةُ، والسُّدِّيُ. ومَنْ قال: الذَّبيحُ إسماعيلُ، قال: بَشَّرَ الله إبراهيمَ بوَلدٍ يكون نبيّاً بعدَ هذه القصة، جزاءً لطاعته وصَبْرِهِ، وهذا قولُ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ. قوله تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ يعني بكثرة ذُرِّيَّتِهما، وهم الأسباطُ كلُّهم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ أي: مُطيعٌ لله ﴿وَظَالِمٌ﴾ وهو العاصي له. وقيلَ: المُحْسِنُ: المؤمِنُ، والظالمُ: الكافرُ.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ أي: أنعمنا عليهما بالنبوَّةِ. وفي ﴿الْكَرْبِ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٤/ ٢٢: والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه فُدي بكبش. اهـ.

(٢) الصافات: ٧٨.

﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ قولان: **أحدهما**: استِعبادُ فِرْعَوْنَ وبلاؤُهُ، وهو معنى قولِ قَتادَةَ. **والثاني**: الغَرقُ، قاله السُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يرجع إلى موسى وهارُونَ وقومِهما. **والثاني**: أنه يرجع إليهما فقط، فجُمِعا، لأنَّ العرب تذهبُ بالرئيسِ إلى الجَمعِ، لِجُنودِه وأتباعِه، ذكرهما ابنُ جَريرٍ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ بيانُه[١]، إلى قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه نبيٌّ مِنْ أنبياء بَني إسرائيلَ، قاله الأكثرونَ. **والثاني**: أنه إدريسُ، قاله ابنُ مسعودٍ، وقَتادَةُ، وكذلك كان يقرأُ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَالِيةِ، وأبو عُثمانَ النَّهْديُّ: «وإن إدريس» مكانَ «إلياس». قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: أَلاَ تخافونَ الله فَتُوحّدونَهُ وتَعبُدونَهُ؟! ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى الرَّبِّ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. وقال الضَّحَّاكُ: كان ابنُ عباسٍ قد أعياهُ هذا الحرفُ، فبَينا هو جالسٌ، إذ مَرَّ أعرابيٌّ قد ضَلَّت ناقتُه وهو يقول: مَنْ وَجدَ ناقةً أنا بَعلُها؟ فتَبِعَهُ الصِّبيانُ يَصِيحونَ به: يا زوجَ النَّاقةِ، يا زَوجَ النَّاقةِ، فدَعاهُ ابنُ عباسٍ فقال: وَيْحكَ، ما عَنَيتَ بَبَعلِها؟ قال: أنا رَبُّها، فقال ابنُ عباسٍ: صَدقَ اللهُ: «أتَدْعون بَعْلاً»: رَبّاً. وقال قَتادَةُ: هذه لغةٌ يَمانيَّةٌ. **والثاني**: أنه اسمُ صَنَمٍ كان لهم، قاله الضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. وحكى ابنُ جريرٍ أنه به سُمِّيت «بَعْلَبَكّ». **والثالث**: أنها امرأةٌ كانوا يَعبدونَها، حكاه محمَّدُ بنُ إسحاقَ. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «اللهُ ربُّكم» بالرَّفع. وقرأ حمزَةُ والكِسَائيُّ وحَفصٌ عن عاصِمٍ وخَلَفٌ ويعقوبُ: «اللهَ» بالنصب. قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ النارَ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الذين لم يُكذِّبوه، فإنَّهم لا يُحضَرونَ النَّارَ.

الإشارةُ إلى القصَّة

ذَكرَ أهلُ العِلْم بالتفسير والسِّيَرِ أنه لمَّا كَثُرت الأحداثُ بعدَ قَبْضِ حِزقيل، وعُبِدَتِ الأوثانُ، بَعَثَ الله تعالى إليهم إلياسَ. قال ابنُ إسحاقَ: وهو إلياسُ بنُ تشبي بن فنحاص بن العيزار بنِ هارُونَ بنِ عِمرَانَ، فَجعلَ يَدعُوهم فلا يَسمعون منه، فدَعا عليهم بحَبْسِ المطر، فجُهِدوا جَهْداً شديداً، واستَخفى إلياسُ خوفاً منهم على نَفْسِه. ثم إنه قال لهم يوماً: إنكم قد هَلَكْتُم جَهْداً، وهَلَكَت البهائمُ والشجرُ بخَطاياكُم، فاخْرُجُوا بأصنامِكم وادْعُوها، فإنِ استَجابَتْ لكم، فالأمرُ كما تقولون، وإنْ لم تَفعَلْ، عَلِمتُم أنكم على باطلٍ فنَزَعتُم عنه، ودَعوتُ الله فَفَرَّجَ عنكم، فقالوا: أنصَفْتَ، فَخَرجُوا بأوثانِهم، فدَعَوْا فلم تَستَجِبْ لهم، فَعَرفوا ضَلاَلَهم، فقالوا: ادْعُ اللهَ لنا، فدَعا لهم فأرسَلَ المطرَ وعاشَتْ بلادُهم، فلم يَنْزِعوا عمَّا كانوا عليه، فدَعا إلياسُ رَبَّه أنْ يَقْبِضَه إليه ويُريحَه منهم، فقيلَ له: اخْرُجْ يومَ كذا إلى مكانِ كذا، فما جاءَكَ مِنْ شيءٍ فارْكَبْهُ ولا تَهَبْهُ، فَخرجَ؛ فأقبَلَ فَرَسٌ مِنْ نارٍ، فوَثَبَ عليه، فانطلَقَ به، وكَساهُ اللهُ الرِّيشَ وألبَسَهُ النُّورَ وقَطَعَ عنه لَذَّةَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ، فطَارَ في الملائكة، فكان إنسيّاً مَلَكيّاً، أرضيّاً سَماوِيّاً[٢].

قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عَمروٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ:

---

(١) الأنبياء: ٤٨.
(٢) هذا من حماقات الإسرائيليين. وهو باطل.

«إلياسينَ» موصولةً مكسورةَ الألِفِ ساكنةَ اللام، فجَعلُوها كلمةً واحدةً؛ وقرأ الحسَنُ مِثلَهُم، إلاَّ أنه فَتَحَ الهمزَةَ، وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعبدُ الوارث، ويعقوبُ إلاَّ زيداً: «إلْ ياسينَ» مقطوعةً، فجَعلَها كلمتين. وفي قراءةِ الوَصْلِ قولان: **أحدهما**: أنه جَمْعٌ لهذا النبيِّ وأُمَّتِه المؤمنين، به، وكذلك يُجمَعُ ما يُنْسَبُ إلى الشيء بلفظ الشيء، فتقول: رأيتُ المَهالِبةَ، تُريد: بَني المُهلَّبِ، والمَسامِعَة، تريد: بَني مسمع. **والثاني**: أنه اسمُ النبيِّ وحدَهُ، وهو اسمٌ عِبرانيٌّ، والعَجميُّ مِنَ الأسماء قد يُفْعَلُ به هذا، كما يُقال: مِيكَال ومِيكائِيل، ذَكَر القولَين الفَرَّاء والزَّجَّاجُ. فأمّا قراءةُ مَنْ قرأ: «إلْ ياسينَ» مفصُولةً، ففيها قولان: **أحدهما**: أنهم آلُ هذا النبيِّ المذكورِ، وهو يَدخلُ فيهم، كقوله ﷺ:

[١٢١٠] «اللهُمَّ صَلِّ على آلِ أبي أَوْفَى»، فهو داخلٌ فيهم، لأنه هو المُرادُ بالدُّعاءِ.

والثاني: أنهم آلُ محمَّدٍ ﷺ؛ قاله الكَلبِيُ. وكان عبدُالله بنُ مسعودٍ يقرأُ: «سَلامٌ على إدْرَاسِينَ» وقد بيَّنّا مذهَبُه في أنَّ إلياسَ هو إدرِيس.

فإنْ قيلَ: كيفَ قال: «إدْرَاسِينَ» وإنما الواحدُ إدرِيسُ، والمَجموعُ إدْرِيسِيٌّ، لا إدْرَاسٌ ولا إدْرَاسِيّ؟. فالجواب: أنه يجوز أنْ يكونَ لُغةً، كإبراهيم وإبْرَاهَام، ومثلُه:

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي[١]

وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو نَهِيْكٍ: «سلام على يَاسين» بحذفِ الهمزةِ واللامِ.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ﴾ «إذ» هاهنا لا يَتعلَّقُ بما قبلَهُ، لأنه لم يُرسَلْ إذْ نُجِّيَ، ولكنه يَتعلَّقُ بمحذوفٍ، تقديره: واذكُرْ يا محمَّدُ إذْ نجيّناه. وقد تَقدَّمَ تفسيرُ ما بعدَ هذا[٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ هذا خطابٌ لأهلِ مكّةَ، كانوا إذا ذهبوا إلى الشَّامِ وجاؤوا، مَرُّوا على قُرى قومِ لُوطٍ صباحاً ومساءً، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعتَبِرون؟!

[١٢١٠] صحيح. أخرجه البخاري ١٤٩٧ و ٤١٦٦ ومسلم ١٠٧٨ وأبو داود ١٥٩٠ والنسائي ٥/ ٣١ وأبو نعيم في «الحلية» ٥/ ٩٦ والطيالسي ٨١٩ والبيهقي في «السنن» ٢/ ١٥٢ و ٤/ ١٥٧ وابن حبان ٩١٧ من طرق عن شعبة، به. وكلهم من حديث ابن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة، قال: «اللهم صلّ عليهم» فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى». لفظ البخاري في الرواية الثانية.

---

(١) الرجز لحميد الأرقط كما في «اللسان» ـ قدد.

(٢) الشعراء: ١٧١. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٦: يخبر الله تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه بعثه إلى قومه فكذّبوه، فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيل مقيم يمرُّ بها المسافرون ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: **﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾** أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمّر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟!

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ قال المُبَرِّدُ: تأويلُ «أبَقَ»: تَباعَدَ؛ وقال أبو عُبيدَةَ: فزِعَ؛ وقال الزَّجَّاجُ: هَربَ؛ وقال بعضُ أهلِ المعاني: خَرجَ ولم يُؤذَنْ له، فكان بذلك كالهَاربِ مِنْ مَولاهُ. قال الزَّجَّاجُ: والفُلْكُ: السَّفينةُ، والمَشحُونُ: المَملوءُ، وسَاهَمَ بمعنى قَارَعَ، ﴿مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي: المَغلوبين؛ قال ابنُ قُتَيبَةَ: يُقال: أَدْحَضَ اللهُ حُجَّتَهُ، فَدَحَضَتْ، أي: أزالَها فزالَتْ، وأصلُ الدَّحْض: الزَّلَق.

الإشارةُ إلى قصَّته

قد شرحنا بعضَ قصَّتِه في آخرِ يُونس وفي الأنبياء[١] على قَدْرِ ما تحتَمِلُه الآياتُ، ونحن نذكر هاهنا ما تحتمله. قال عبدُالله بنُ مسعودٍ: لمّا وَعدَ يُونسُ قومَه العذابَ بعد ثلاثٍ، جَأَرُوا إلى الله عزَّ وجلَّ واستَغْفَروا، فكَفَّ عنهم العذاب، فانطلَقَ مُغاضِباً حتى انتهى إلى قوم في سفينةٍ، فعَرفُوه فحَملُوه، فلمَّا رَكِبَ السفينةَ وقَفَتْ، فقال: ما لِسَفينَتِكُم؟ قالوا: لا ندري، قال: لَكنِّي أدري، فيها عبدٌ آبِقٌ مِنْ رَبِّه، وإنَّها واللهِ لا تسيرُ حتى تُلقُوه، فقالوا: أمَّا أنتَ يا نبيَّ اللهِ فواللهِ لا نُلقِيكَ، قال: فاقتَرِعوا، فمَنْ قَرِعَ فَلْيَقَع، فاقترَعوا، فقَرَعَ يُونسُ، فأبَوا أنْ يُمكِّنوه مِنَ الوُقوع، فعادُوا إلى القُرعةِ حتى قَرِعَ يُونسُ ثلاثَ مرَّاتٍ. وقال طَاوسٌ: إنَّ صاحبَ السَّفينةِ هو الذي قال: إنَّما يَمنعُها أنْ تسيرَ أنَّ فيكُم رجلاً مشؤوماً فاقتَرِعوا لِنُلقيَ أحدَنا، فاقترَعوا فقرِعَ يونسُ ثلاثَ مرَّاتٍ.

قال المفسِّرون: وكَّلَ الله به حُوتاً، فلمَّا ألقى نفسَهُ في الماء التَقَمهُ، وأُمِرَ أنْ لا يَضُرَّه ولا يَكْلِمَه، وسارَتِ السفينةُ حِينَئذٍ. ومعنى التَقَمَهُ: ابتَلَعَهُ. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: مُذْنِبٌ، يُقال: ألامَ الرجلُ: إذا أتى ذَنْباً يُلامُ عليه، قال الشاعر:

ومَـنْ يَـخْـذُلْ أَخَـاهُ فَـقَـدْ أَلامَـا[٢]

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: مِنَ المُصلِّين، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: مِنَ العَابدين، قاله مُجاهِدٌ، ووَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٤]، قاله الحَسَنُ. ورَوى عِمرانُ القَطَّانُ عن الحَسن قال: واللهِ ما كانت إلاَّ صلاةً أحدَثَها في بَطنِ الحُوتِ؛ فعَلَى هذا القول، يكون تسبيحُه في بطن الحُوتِ.

---

(١) الأنبياء: ٨٦.

(٢) هو عجز بيت لأم عمير بن سلمى الحنفي كما في «اللسان» ـ لوم ـ. وصدره: تعدُّ معاذراً لا عذر فيها.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٢٧: لولا ما تقدّم له من العمل في الرخاء وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك. واختاره ابن جرير.

(٤) الأنبياء: ٨٧.

وجمهور العلماء على أنه أراد: لولا ما تقدَّم له قبلَ الْتِقام الحُوتِ إيَّاهُ مِنَ التَّسبيح، ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ قال قَتادةُ: لَصارَ بَطنُ الحُوتِ له قبراً إلى يومِ القيامة، ولكنَّه كان كثيرَ الصلاة في الرَّخاءِ، فنَجَّاهُ الله تعالى بذلك.

وفي قَدْرِ مُكثِه في بطن الحُوتِ خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أربعون يوماً، قاله أنسُ بنُ مالكٍ، وكَعبٌ، وأبو مالكٍ، وابنُ جُريجٍ، والسُّدِّي. **والثاني**: سبعةُ أيام، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ، وعطاءٌ. **والثالث**: ثلاثةُ أيام، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ. **والرابع**: عشرون يوماً، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: بعضُ يومٍ، الْتَقمهُ ضُحىً، ونَبذَهُ قبلَ غروبِ الشمسِ، قاله الشَّعْبيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي أَلْقَيْناه ﴿بِٱلۡعَرَآءِ﴾ وهي الأرضُ التي لا يُتَوارَى فيها بشجرٍ ولا غيره، فكأنَّه مِنْ عَرِيَ الشَّيءُ. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ سَقِيمٞ﴾ أي: مريضٌ؛ قال ابنُ مسعودٍ: كهَيئَةِ الفَرخِ المَمْعُوطِ الذي ليس له رِيشٌ. وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: أوحَى اللَّهُ تعالى إلى الحوتِ أنْ أَلْقِه في البَرِّ، فأَلقاهُ لا شَعْرَ عليه ولا جِلْدَ ولا ظُفرَ. قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو القَرْعُ، وقد قال أُميَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ قبلَ الإسلام:

فأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ ... مِنَ اللَّهِ لَوْلا الله أُلْفِيَ ضَاحِيا

قال الزَّجَّاجُ: كلُّ شجرةٍ لا تَنبتُ على ساقٍ وإنما تمتدُّ على وجهِ الأرض نحو القَرْعِ والبِطِّيخِ والحَنظَلِ، فهي يَقطِينٌ، واشتقاقه مِنْ: قَطَنَ بالمكان: إذا أقامَ، فهذا الشجرُ وَرقُه كلُّه على وجهِ الأرض، فلذلك قيلَ له: يَقطِين. قال ابنُ مسعودٍ: كان يَستظِلُّ بها ويُصيب منها فيَبِسَتْ فبكى عليها، فأوحَى الله إليه: أتبكي على شجرةٍ أنْ يَبِسَتْ، ولا تبكي على مائةِ ألفٍ أو يزيدون أردتَ أنْ تُهلكَهم؟ وقال يزيدُ بنُ عبدِ الله بن قُسَيْط: قيَض اللَّهُ له أرويةً مِنَ الوَحش تَروحُ عليه بُكرةً وعَشِيًّا فيشرب مِنْ لَبَنِها حتى نَبَتَ لحمُه. فإنْ قيلَ: ما الفائدة في إنباتِ شجرةِ اليَقطِينِ عليه دونَ غيرِها؟ فالجواب: أنه خرجَ كالفَرخِ على ما وَصفنا، وجِلدُه قد ذابَ، فأدنَى شيءٍ يَمُرُّ به يُؤذيه، وفي وَرَقِ اليَقطِينِ خاصِيَّةٌ، وهي أنه إذا تُرِكَ على شيءٍ، لم يَقرَبْهُ ذُبابٌ، فأنبَتَهُ اللَّهُ عليه لِيُغطِّيَه وَرقُها ويَمنعَ الذُّبابَ رِيحُهُ أنْ يسقطَ عليه فيؤذيه.

قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾ اختلفوا، هل كانت رِسالتُه قبلَ الْتِقام الحوتِ إيَّاهُ، أَمْ بعد ذلك؟ على قولين: **أحدهما**: أنها كانت بعد نَبْذِ الحوتِ إيَّاهُ، على ما ذكرنا في سُورةِ يُونس[2]، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها كانت قبلَ الْتِقامِ الحُوتِ له، وهو قولُ الأكثرين، منهم الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وهو الأصَحُّ، والمعنى: وكنَّا أرسلناه إلى مائةِ ألفٍ، فلمَّا خرجَ مِنْ بطن الحُوتِ، أُمِرَ أنْ يرجعَ إلى قومه الذين أُرسِلَ إليهم. وفي قوله: ﴿أَوۡ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى «بل»، قاله ابنُ عباسٍ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: أنها بمعنى الواو، قاله ابنُ قُتَيبةَ، وقد قرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، ومعاذٌ القارئُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ الجوني: «ويزيدون» مِنْ غير ألِفٍ. **والثالث**: أنها على أصلِها، والمعنى: أو يزيدون في تقديرِكُم؛ إذا رَآهم الرَّائي قال: هؤلاء مائةُ ألفٍ أو يزيدون. وفي زيادتِهم أربعةُ أقوالٍ:

---

(١) هذا الخلاف ليس بشيء لأن مرجعه كتب الإسرائيليات، والله أعلم بمقدار ذلك.
(٢) يونس: ٩٨.

[١٢١١] **أحدها**: أنهم كانوا مائةَ ألفٍ يزيدون عشرينَ ألفاً، رواه أُبيُّ بنُ كعبٍ عن رسول الله ﷺ.

والثاني: أنهم كانوا مائةَ ألفٍ وثلاثين ألفاً. **والثالث**: مائةَ ألفٍ وبضعةً وثلاثين ألفاً، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنهم كانوا يزيدون سبعين ألفاً، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ، ونَوفٌ.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ في وقتِ إيمانِهم قولان: **أحدهما**: عند مُعاينةِ العذاب. **والثاني**: حين أُرسِلَ إليهم يُونسُ ﴿فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى مُنتهى آجالِهم.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: سَلْ أهلَ مكّةَ سؤالَ توبيخٍ وتقريرٍ، لأنهم زَعموا أنَّ الملائكةَ بناتُ الله ﴿وَهُمْ شَـٰهِدُونَ﴾ أي: حاضِرون. ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ أي: كَذِبهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ حين زَعموا أنَّ الملائكةَ بناتُه.

قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾ قال الفرَّاءُ: هذا استفهامٌ فيه توبيخٌ لهم، وقد تُطرَحُ أَلِفُ الاستفهام مِنَ التَّوبيخِ، ومثله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ﴾ و «أذهبتم» يُستفهَم بها ولا يُستفهَم، ومعناهما واحدٌ. وقرأ أبو هُريرَةَ وابنُ المُسَيّبِ والزُّهريُّ وابنُ جماز عن نافعٍ، وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ: «لكاذبون اصْطفى» بالوَصلِ غيرَ مهموزٍ ولا ممدودٍ؛ وقال أبو علي: وهو على وجهِ الخبرِ، كأنه قال: اصْطفى البنات على البنين فيما يقولون؛ كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لله بالبَناتِ ولأنفسِكم بالبَنين؟! ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي: حُجَّةٌ بيِّنةٌ على ما تقولون، ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ﴾ الذي فيه حُجَّتُكم. ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قالوا: هو وإبليسُ أخَوان، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ؛ قال الماورديُّ: وهو قولُ الزّنادقةِ والذين يقولون: الخيرُ مِنَ الله، والشَّرُّ مِنْ إبليسَ. **والثاني**: أنَّ كفارَ قُريشٍ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، والجِنَّةُ صِنفٌ مِنَ الملائكة يُقال لهم: الجِنَّةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنَّ اليهودَ قالت: إنَّ الله تعالى

[١٢١١] ضعيف جداً. أخرجه الترمذي ٣٢٢٩ من طريق الوليد عن زهير به. وأخرجه الطبري ٢٩٦٣٥ من طريق عمرو بن أبي سلمة قال: سمعت زهيراً عمن سمع أبا العالية قال: حدثني أبي بن كعب أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله: **﴿وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون﴾** قال: يزيدون عشرين ألفاً. وإسناده ضعيف جداً، وله علتان: فيه راوٍ لم يسم، فهذه علة، والثانية زهير روى عنه أهل الشام مناكير كثيرة، وهذا الحديث من رواية أهل الشام عنه، وحسبه الوقف، والله أعلم.

---

(١) الدخان: ٤٩.

تزوَّج إلى الجنّ فخرجت مِنْ بينهم الملائكةُ، قاله قَتادةُ، وابنُ السَّائبِ. فخَرجَ في معنى الجِنَّة قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة. **والثاني**: الجنُّ. فعَلَى الأول، يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ أي: عَلِمَت الملائكةُ ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: إنَّ هؤلاءِ المشركين ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ النَّار. وعلى الثاني: «ولقد عَلِمت الجنَّةُ إنهم» أي: إنَّ الجِنَّ أنفُسها «لَمُحْضَرون» الحِسابَ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يعني المُوحِّدين. وفيما استُثنوا منه قولان: **أحدهما**: أنهم استُثنوا مِنْ حضورِ النَّارِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: ممَّا يَصِفُ أولئك، وهو معنى قول ابن السَّائب.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يعني المشركين ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مِنْ دونِ الله، ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تعبُدونَ ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ أي: بمُضِلِّينَ أحداً، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: مَنْ سَبَق له في عِلْمِ الله أنه يدخلُ النَّار.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

ثم أَخبرَ عن الملائكة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ والمعنى: ما منا مَلَكٌ ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي مكانٌ في السَّمواتِ مخصوصٌ يَعبدُ اللَّهَ فيه ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾. قال قَتادةُ: صفوفٌ في السماء. وقال السُّدِّيُّ: هو الصَّلاةُ. وقال ابنُ السَّائبِ: صفوفُهم في السماء كَصُفوفِ أهلِ الدنيا في الأرض. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: المُصلُّون. **والثاني**: المُنزِّهون لله عزَّ وجلَّ عن السُّوءِ. وكان عمرُ بنُ الخطَّابِ إذا أُقيمتِ الصلاةُ أقبلَ على الناس بوجهه وقال: يا أيُّها الناسُ استوُوا، فإنَّما يُريد اللَّهُ بكم هَدْيَ الملائكة، وإنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ، وإنَّا لَنَحنُ المُسبِّحون.

ثم عادَ إلى الإخبارِ عن المشركين، فقال: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾ اللامُ في «لَيقُولونَ» لامُ توكيدٍ؛ والمعنى: وقد كان كفَّارُ قُريشٍ يقولون قبل بعثةِ النبيِّ ﷺ: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ أي: كتاباً ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: مثل كُتُبِ الأوَّلِين، وهم اليهودُ والنَّصارى، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لأَخلَصْنا العبادةَ لله عزَّ وجلَّ. ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ فيه اختصارٌ تقديره: فلمَّا آتاهم ما طَلَبوا كفَروا به ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ كُفرِهم، وهذا تهديدٌ لهم. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ أي: تَقدَّم وَعْدُنا للمُرسَلين بنَصرِهم، والكلمةُ قولُه تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾[1]، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ بالحُجة، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ يعني حِزبَنا المؤمنين ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ بالحُجَّة أيضاً والظَّفرِ. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرِضْ عن كفَّارِ مكَّةَ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ **أي حتى تنقضيَ مُدَّةُ إمهالِهم**. وقال مُجاهِدٌ: حتى نأمُرَكَ بالقتال؛ فعَلَى هذا، الآيةُ مُحكَمةٌ. وقال في روايةٍ: حتى

(١) المجادلة: ٢١.

الموتِ، وكذلك قال قَتادَةُ. وقال ابنُ زيدٍ: حتى القيامة؛ فعلَى هذا، يَتطرَّقُ نَسخُها. وقال مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ: نَسختْها آيةُ السَّيفِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أي: انظُرْ إليهم إذا نَزلَ بهم العذابُ. قال مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ، هو العذابُ ببَدرٍ؛ وقيلَ: أبصِرْ حالَهُم بقلبِكَ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما أنكرُوا، وكانوا يستعجلون بالعذابِ تكذيباً به، فقيلَ: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾. ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ يعني العذابَ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمْرانَ، والجَحْدَريُ، وابنُ يَعمُرَ: «فإذا نُزِّل» برفع النون وكَسرِ الزاي وتشديدِها ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: بفِنائِهِم وناحِيَتِهم. والسَّاحةُ: فِناءُ الدَّارِ. قال الفَرَّاءُ: العرب تكتفي بالسَّاحةِ والعَقْوة مِنَ القوم، فيقولون: نَزلَ بكَ العذابُ، وبسَاحَتِكَ. قال الزَّجَّاجُ: فكان عذابُ هؤلاءِ القَتْلُ ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي: بِئْسَ صَباحُ الذين أُنذِروا بالعذاب.

ثم كَرَّر ما تقدَّمَ توكيداً لِوَعدِهِ بالعذاب، فقال: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ الآيتين.

ثم نَزَّه نَفْسَهُ عن قولِهم بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني عِزَّةَ مَنْ يتعزَّزُ مِنْ ملوكِ الدنيا. قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي مِن اتِّخاذِ النساءِ والأولادِ. ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فيه وَجْهان: **أحدهما**: تسليمُه عليهم إكراماً لهم. **والثاني**: إخباره بسلامَتِهم. ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على هلاكِ المُشْرِكِينَ ونُصرَةِ الأنبياءِ والمؤمنين. واللَّهُ أعلَمُ بالصَّوابِ.

سورة صٓ

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

ويُقال لها: سُورة داودَ، وهي مكّيَّةٌ كُلُّها بإجماعِهم.

[١٢١٢] فأمَّا سببُ نُزولِها: فروى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ أنَّ قُريشاً شَكَوْا رسولَ الله ﷺ إلى أبي طالبٍ، فقال: يا ابنَ أخي، ما تُريدُ مِنْ قومِكَ؟ فقال: «يا عمِّ، إنما أُريدُ منهم كلمةً تَذِلُّ لهم بها العربُ وتؤدِّي إليهم الجِزيةَ بها العَجَمُ»، قال: كلمةٌ؟ قال: «كلمةٌ واحدةٌ»، قال: ما هي؟ قال: «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ»، فقالوا: أَجعلَ الآلِهةَ إلهاً واحداً، فنزلت فيهم: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

واختلفوا في معنى «صٓ» على سبعةِ أقوالٍ(1): **أحدها**: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللَّهُ به، وهو مِنْ أسمائِه، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه بمعنى: صَدَقَ محمَّدٌ ﷺ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: صَدَقَ اللَّهُ، قاله الضَّحَّاكُ، وقد رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: معناه: صَادِقٌ فيما وَعَدَ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: الصَّادقُ اللَّهُ تعالى. **والرابع**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، أَقْسَمَ اللَّهُ به، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنه اسمُ حَيَّةٍ رأسُها تحتَ العَرشِ وذَنَبُها تحتَ الأرضِ السُّفلى، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، وقال: أظُنُّهُ عن عِكرِمَةَ. **والسادس**: أنه بمعنى: حادِثِ القرآنَ، أي: انْظُرْ فيه، قاله الحسَنُ، وهذا على قراءةِ مَنْ كَسَروا، منهم ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، قال ابنُ جريرٍ: فيكون المعنى: صادِ

[١٢١٢] حديث حسن بطرقه وشواهده. أخرجه أحمد ١/ ٢٢٧ وأبو يعلى ٢٥٨٣ والترمذي ٣٢٣٢ والنسائي في «التفسير» ٤٥٦ والحاكم ٢/ ٤٣٢ والبيهقي ٩/ ١٨٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٢٢ عن ابن عباس به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن فيه يحيى بن عمارة، وهو مقبول. وتوبع في رواية ثانية للنسائي ٤٥٧ وأحمد ٢/ ٣٦٢. وفيه أيضاً عباد بن جعفر، وهو مجهول. وورد من وجه ثالث، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٢ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حسن لأجل ابن إسحق، وقد صرح بالتحديث.

---

(١) تقدم الكلام على الحروف التي في أوائل السور، وقد تكلم المصنف على ذلك في أول سورة البقرة. وهو مما استأثر الله تعالى بعلمه، وهو الراجح، والله تعالى أعلم.

بِعَمَلِكَ القُرآنَ، أي: عارِضْهُ. وقيلَ: اعْرِضْهُ على عَمِلِكَ، فانظُرْ أينَ هو منه. **والسابع**: أنه بمعنى: صادَ محمدٌ قلوبَ الخَلْقِ واستمَالَها حتى آمَنُوا به وأحَبُّوه، حكاه الثَّعلَبيُّ، وهذا على قراءة مَنْ فتَحَ، وهي قراءةُ أبي رَجاءٍ، وأبي الجَوزاءِ، وحُمَيدٍ، ومَحبُوبٍ عن أبي عمرٍو. قال الزَّجَّاجُ: والقراءة «صادْ» بتسكينِ الدال، لأنها مِنْ حروفِ التَّهجِّي. وقد قُرِئَتْ بالفتحِ وبالكَسرِ، فمَنْ فتحَها، فعَلَى ضَرْبَينِ: **أحدهما**: لالْتِقاءِ السَّاكِنَيْنِ. **والثاني**: على معنى: أُتْلُ «صادَ»، وتكون صاد اسماً للسُّورةِ لا يَنصَرِفُ؛ ومَنْ كَسرَ، فعَلَى ضَرْبَينِ: **أحدهما**: لالْتِقاءِ السَّاكِنَيْنِ أيضاً. **والثاني**: على معنى: صادِ القرآنَ بعَمَلِكَ، مِنْ قولكَ: صَادَى يُصادِي: إذا قابَلَ وعادَلَ، يُقال: صادَيْتُه: إذا قابَلْتَهُ.

قوله تعالى: ﴿ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾ في المراد بالذِّكرِ ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه الشَّرَفُ، قاله ابنُ عباسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: البيانُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: التَّذكيرُ، قاله الضَّحَّاكُ.

فإنْ قيلَ: أينَ جوابُ القَسَم بقوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾؟ فعنه خمسةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ «صَ» جوابٌ لقوله: «والقرآن»، فـ «ص» في معناها، كقولكَ: وَجَبَ واللّهِ، نَزَلَ واللّهِ، حَقٌّ واللّهِ، قاله الفَرَّاءُ، وثَعلَبُ. **والثاني**: أنَّ جوابَ «صَ» قوله تعالى ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ﴾ ومعناه: لَكَمْ، فلمَّا طالَ الكلامُ، حُذِفت اللامُ، ومِثلُه: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ . . . ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾[٢]، فإنَّ المعنى: لقد أفْلَحَ، غيرَ أنه لمَّا اعترَضَ بينهما كلامٌ، تَبِعَهُ قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾، حكاه الفَرَّاءُ وثَعلَبُ أيضاً. **والثالث**: أنه قوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾[٣]، حكاه الأخفشُ. **والرابع**: أنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾[٤] قاله الكِسائيُّ، وقال الفَرَّاءُ: لا نَجِدُهُ مُستقيماً في العربية، لِتأخُّرِه جدًا عن قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾. **والخامس**: أنَّ جوابَه محذوفٌ تقديره: والقرآنِ ذي الذِّكرِ ما الأمْرُ كما يقول الكُفَّارُ، ويدلُّ على هذا المحذوفِ قولُه تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، ذَكَرَهُ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين، وإلى نحوِهِ ذهب قَتادةُ. والعِزَّةُ: الحَمِيَّةُ والتَّكبُّرُ عن الحَقِّ. وقرأ عمرُو بنُ العَاصِ وأبو رَزِينٍ وابنُ يَعمُرَ وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ ومَحبُوبٌ عن أبي عمرٍو: «في غِرَّةٍ» بغينٍ مُعجمَةٍ وراءٍ غيرِ مُعجمَةٍ. والشِّقاقُ: الخِلافُ والعَداوةُ لِرَسولِ الله ﷺ، وقد سَبَقَ بيانُ الكلمتين مَشروحاً[٥].

ثم خَوَّفَهم بقوله تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ﴾ يعني الأُمَمَ الخالية ﴿فَنَادَواْ﴾ عند وقوعِ الهَلاكِ بهم. وفي هذا النداءِ قولان: **أحدهما**: أنه الدُّعاء. **والثاني**: الاستِغاثَةُ.

قوله تعالى[٦]: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ وقرأ الضَّحَّاكُ، وأبو المُتوكِّلِ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وابنُ

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٥٤٦: الصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم، لأن الله أتبع ذلك قوله: **﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾** فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكراً لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق.

(٢) الشمس: ١، ٩. (٣) صَ: ١٤.

(٤) صَ: ٦٤. (٥) البقرة: ٢٠٦ ـ ١٣٨.

(٦) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٣٣: في قوله تعالى **﴿ولات حين مناص﴾** وهذه الكلمة وهي «لات» هي «لا» التي للنفي، زيدت معها التاء، كما تزاد في ثمّ فيقولون: «ثمت»، و «رب» فيقولون: «ربت» وهي مفصولة، والوقف عليها، ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بحين: «ولا تحين مناص» والمشهور الأول. ثم قرأ الجمهور بنصب «حين» تقديره: وليس الحينُ حين مناص. ومنهم من =

يَعمُرَ: «ولاتَ حينُ» بفتحِ التاء ورفعِ النون. قال ابنُ عباس: ليس حينَ يَروهُ فِرارٌ. وقال عطاءٌ: في لغة أهلِ اليَمنِ «لاتَ» بمعنى «ليس». وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: هي بالسّريانيَّةِ. وقال الفَرّاءُ: «لاتَ» بمعنى «ليس»، فالمعنى: ليس بحِيْنِ فِرارٍ. ومِنَ القُرَّاءِ مَنْ يَخْفِضُ «لاتِ»، والوَجهُ النَّصبُ، لأنها في معنى «ليس»؛ أنشدني المُفَضَّلُ:

تَـذَكَّـرَ حُـبَّ لَـيْـلَـى لاتَ حِـيـنَـا وأضْحَى الشَّيبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينا

قال ابنُ الأنبَاري: كان الفَرَّاءُ والكِسَائيُّ والخَليلُ وسِيْبَويه والأخفشُ وأبو عُبيدَةَ يذهبون إلى أنَّ التاءَ في قوله تعالى: «ولاتَ» مُنقطعةٌ مِنْ «حين»، قال: وقال أبو عُبيدَةَ: الوَقفُ عندي على هذا الحرفِ «ولا»، والابتداءُ «تحين» لثلاثِ حُجَجٍ: **إحداهنَّ**: أنَّ تفسيرَ ابنِ عباسٍ يَشهدُ لها، لأنه قال: ليس حِينَ يَرَوْه فِرارٌ؛ فقد عُلِمَ أنَّ «ليس» هي أختُ «لا» وبمعناها. **والحُجَّةُ الثانية**: أنّا لا نَجِدُ في شيءٍ مِنْ كلامِ العرب «وَلاتَ»، إنما المَعروفةُ «لا». **والحُجَّةُ الثالثة**: أنَّ هذه التاءَ، إنما وجدناها تُلحَقُ مع «حين» ومع «الآن» ومع الـ «أوان»، فيقولون: كان هذا تَحِينَ كان ذلك، وكذلك: «تَأوَانَ»، ويُقال: اذهَبْ تَلانَ، ومنه قولُ أبي وَجزَةَ السَّعْدِي:

الـعَـاطِـفُـونَ تَـحِـيـنَ مَـا مِـنْ عَـاطِـفٍ والـمُـطْـعِـمُـونَ زَمَـانَ مَـا مِـنْ مُـطْـعِـمِ

وذكر ابنُ قُتَيبَة عن ابنِ الأعرَابي أنَّ معنى هذا البيت: «العاطِفُونه» بالهاء، ثم تَبتَدِئ: «حينَ ما مِنْ عاطِفٍ»؛ قال ابنُ الأنبَاري: وهذا غَلطٌ، لأنَّ الهاءَ إنما تُقحَم على النُّون في مَواضع القَطْعِ والسُّكون، فأمّا مع الاتِّصالِ، فإنه غيرُ موجودٍ، وقال عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسَابُوري: النَّحويُّون يقولون في قوله تعالى: «ولاتَ»: هي «لا» زِيدَتْ فيها التاءُ كما قالوا: ثُمَّ وثُمَّتْ، ورُبَّ ورُبَّتْ، وأصلُها هاءٌ وُصِلَتْ بـ «لا»، فقالوا: «لاه» فلمّا وَصلُوها، جعلوها تاءً؛ والوَقفُ عليها بالتاء عند الزَّجّاجِ؛ وأبي عليٍّ، وعند الكِسَائيِّ بالهاء، وعند أبي عُبيدٍ الوَقفُ على «لا». فأمَّا المَناصُ، فهو الفِرارُ. قال الفَرّاءُ: النَّوْصُ في كلام العرب: التَّأخُرُ، والبَوْصُ: التَّقدُّمُ، قال امرؤُ القَيسِ:

أَمِـنْ ذِكْـرِ سَـلْـمَـى إذْ نَـأَتْـكَ تَـنُـوصُ فَـتَـقْـصُـرُ عَـنْـهـا خَـطْـوةً وَتَـبُـوصُ

وقال أبو عُبيدَةَ: المَناصُ: مصدرُ ناصَ يَنُوصُ، وهو المَنْجَى والفَوزُ.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

= جوز النصب بها، وأهل اللغة يقولون: النَّوص: التأخر، والبوص: التقدم. ولهذا قال تعالى: **﴿ولات حين مناص﴾**، أي: ليس الحين حين فرار ولا ذهاب اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا﴾ يعني الكفَّارَ ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني رسولاً مِنْ أَنْفُسِهِم يُنْذِرُهم النَّارَ. ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ لأنه دَعاهُم إلى الله وَحدَهُ وأَبطَلَ عبادةَ آلهتِهم.

[١٢١٣] وهذا قولُهم لمَّا اجتمعوا عند أبي طالب، وجاء رسولُ الله ﷺ فقال: «أتُعطُوني كلمةً تَملِكُونَ بها العربَ وتَدِينُ لكم بها العَجمُ، وهي «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ»، فقامُوا يقولون: «أَجَعَلَ الآلهةَ إلٰهاً واحداً»، ونزلت هذه الآيةُ فيهم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي يقول محمَّدٌ مِنْ أنَّ الآلهةَ إلٰهٌ واحدٌ ﴿لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ أي: لأَمرٌ عَجَبٌ. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو العَالِيةِ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ السَّمَيفَع: «عُجّابٌ» بتشديدِ الجيم. قال اللغويون: العُجَابُ والعُجَّابُ والعَجِيبُ بمعنىً واحدٍ، كما يُقال: كَبِيرٌ وكُبَارٌ وكُبَّار، وكَرِيمٌ وكُرَامٌ وكُرَّام، وطَوِيلٌ وطُوَالٌ وطُوَّالٌ، وأنشدَ الفرَّاءُ:

جاؤوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ العَجَبْ أُزَيْرِقِ العَيْنَيْنِ طُوَّالِ الذَّنَبْ

قال قَتَادَةُ: عَجِبَ المشركون أنْ دُعيَ اللَّهُ وَحْدَه وقالوا: أيَسْمَعُ لِحاجاتِنا جميعاً إلٰهٌ واحدٌ!

قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا اجتمعَ أشرافُ قُريشٍ عند أبي طالبٍ وشَكَوا إليه رسولَ الله ﷺ على ما سبقَ بيانُه، نَفَروا مِنْ قولِ: «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ»، وخرجوا مِنْ عند أبي طالبٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾. والانطلاقُ: الذَّهابُ بسهولةٍ، ومنه طَلاقَةُ الوَجْهِ. والمَلأُ: أشرافُ قُريشٍ. فخَرجوا يقولُ بعضُهم لبعضٍ: ﴿ٱمْشُوا﴾. و ﴿أَنِ﴾ بمعنى «أي»؛ فالمعنى: أي: امْشُوا. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ يكونَ المعنى: انْطَلِقوا بأنْ امْشُوا، أي: انطَلِقوا بهذا القولِ. وقال بعضُهم: المعنى: انْطَلَقوا يقولون: امْشُوا إلى أبي طالبٍ فاشكُوا إليه ابنَ أخيه، ﴿وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ أي: اثبُتوا على عبادَتِها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي نَراهُ مِنْ زيادةِ أصحاب محمَّدٍ ﴿لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ أي: لأَمرٌ يُرادُ بنَا.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي جاء به محمَّدٌ مِنَ التوحيد ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: النَّصرانيَّةُ، رَواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وإبراهيمُ بنُ المُهاجِرِ عن مُجاهِدٍ، وبه قال محمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظيُّ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها مِلَّةُ قُريشٍ، رواه ابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادَةُ. **والثالث**: اليَهوديَّةُ والنَّصرانيَّةُ، قاله الفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ؛ والمعنى أنَّ اليهودَ أشرَكَتْ بعُزَيرٍ، والنَّصارى، قالت: ثالثُ ثلاثةٍ، فلِهذا أنْكرَتِ التوحيدَ.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الذي جاء به محمَّدٌ ﷺ ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ أي: كَذِبٌ. ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ يعنون القرآنَ. «عليه» يَعنونَ رسولَ الله ﷺ، ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: كيفَ خُصَّ بهذا دُونَنا وليس بأعلانَا نَسَباً ولا أعظَمَنا شرَفاً؟! قال اللَّهُ تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ أي: مِنَ القرآن؛ والمعنى أنهم ليسوا على يقينٍ ممَّا يقولون، إنما هم شَاكُّون ﴿بَل لَّمَّا﴾ قال مُقاتِلٌ: «لَمَّا» بمعنى «لم» كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾. وقال غيرُه: هذا تهديدٌ لهم؛ والمعنى أنه لو نَزلَ بهم العذابُ، عَلِموا أنَّ ما قاله محمَّدٌ حقٌّ. **وأثبَتَ** ياءَ ﴿عَذَابِ﴾ في الحالَين يعقوبُ.

قال الزَّجَّاجُ: ولمَّا دَلَّ قولُهم: «أأُنزِلَ عليه الذِّكْرُ» على حَسَدِهم له، أعلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ المُلْكَ

[١٢١٣] هو الحديث المتقدم ١٢١٢.

والرِّسالةَ إليه، فقال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾؟! قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: أَبأيدِيهم مفاتيحُ النُّبوَّةِ فيَضعونَها حيثُ شاؤوا؟! والمعنى: ليست بأيدِيهم، ولا مُلْكُ السَّمواتِ والأرضِ لهم، فإنِ ادَّعَوْا شيئاً مِنْ ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ﴾ قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أي في أبواب السماء. وقال الزَّجَّاجُ: فَلْيَصعدوا في الأسبابِ التي تُوصِلُهم إلى السماء.

قوله تعالى: ﴿جُندٌ﴾ أي: هُمْ جُنْدٌ. والجُندُ: الأتباعُ؛ فكأنه قال: هُمْ أتباعٌ مُقلِّدُون ليس فيهم عالِمٌ راشدٌ. و ﴿مَّا﴾ زائدة، و ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى بَدرٍ. والأحزابُ: جميعُ مَنْ تقدَّمهم مِنَ الكفَّارِ الذي تَحزَّبوا على الأنبياء. قال قَتادةُ: أَخبَرَ اللهُ نبيَّه وهو بمكَّةَ أنه سيَهْزِمُ جُندَ المشركين، فجاء تأويلُها يومَ بَدرٍ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: قوم مِنَ العرب يُؤنِّثون «القوم»، وقومٌ يُذكِّرون، فإنِ احتُجَّ عليهم بهذه الآية، قالوا: وَقعَ المعنى على العشيرَة، واحتَجُّوا بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[(١)]، قالوا: والمضمَرُ مُذكَّرٌ.

قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: أنه كان يُعذِّب الناسَ بأربعةِ أوتادٍ يَشُدُّهم فيها، ثُمَّ يَرفعُ صخرةً فتُلقى على الإنسان فتَشدَخُه، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وكذلك قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ: كان يُعذِّب الناسَ بأوتادٍ يُوتِدُها في أيديهم وأرجُلِهم. **والثاني**: أنه ذُو البِناء المُحكَم، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال الضَّحَّاكُ، والقُرَظيُّ، واختاره ابنُ قُتَيبةَ، قال: والعرب تقول: هُمْ في عِزٍّ ثابتِ الأوتادِ، ومُلكٍ ثابتِ الأوتادِ، يريدون أنه دائمٌ شديدٌ، وأصلُ هذا، أنَّ البيتَ مِنْ بيوتهم يُثبَّتُ بأوتادٍ، قال الأسوَدُ بنُ يَعْفُرَ:

فـي ظِـلِّ مُـلْـكٍ ثـابـتِ الأوتـادِ[(٣)]

والثالث: أنَّ المرادَ بالأوتادِ: الجُنودُ، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وذلك أنهم كانوا يَشُدُّونَ مُلكَهُ ويُقوُّون أمرَهُ كما يُقوِّي الوَتِدُ الشيءَ. **والرابع**: أنه كان يبني مناراً يذبحُ عليها الناس. **والخامس**: أنه كان له أربعُ أُسطوَاناتٍ، فيأخذ الرَّجُلَ فيمُدُّ كلَّ قائمةٍ إلى أُسطوانةٍ فيُعذِّبُه، رُوي القولان عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والسادس**: أنه كانت له أوتادٌ وأرْسَانٌ ومَلاعبُ يُلعَبُ له عليها، قاله عطاءٌ، وقَتادَةُ.

ولمَّا ذَكَر المُكذِّبين، قال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ فأَعلَمَنا أنَّ مُشركي قُريشٍ مِنْ هؤلاء[(٤)]، وقد عُذِّبوا

---

(١) عبس: ١١.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٥٥٦: وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما للعب كان يلعب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد.

(٣) هو عجز بيتٍ وصدره: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٥٥٧: وقوله تعالى: **﴿أولئك الأحزاب﴾** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة، والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك وهم مسلوك بهم سبيلهم، **﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾** يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب لرسل الله فحق =

وأُهلِكوا. ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أثبتَ الياءَ فيها في الحالَين يعقوبُ. ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ أي: وما يَنتظِرُ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفَّار مكَّةَ ﴿إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها النَّفخةُ الأولى، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: النَّفخَةُ الأخيرةُ، قاله ابنُ السَّائِبِ.

وفي الفَوَاقِ قِراءتان. قرأ حمزَةُ، وخَلَفٌ، والكِسَائيُّ: بضمِّ الفاء. وقرأ الباقون: بفَتْحِها. وهل بينهما فرقٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما لُغتان بمعنًى واحدٍ، وهو معنى قولِ الفَرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ. قال الفَرَّاءُ: والمعنى: ما لَها مِنْ راحةٍ ولا إفاقةٍ، وأصلُه مِنَ الإفاقَةِ في الرَّضاعِ إذا ارتَضعتِ البَهيمةُ أُمَّها ثم تركَتْها حتى تُنزلَ شيئاً مِنَ اللَّبَنِ، فتِلكَ الإفاقَةُ.

[١٢١٤] وجاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «العِيادةُ قَدْرُ فُوَاقِ ناقةٍ».

ومَنْ يَفتحُ الفاءَ، فهي لُغةٌ جيدةٌ عاليةٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الفُوَاقُ والفَوَاقُ واحدٌ، وهو أنْ تُحْلَبَ النَّاقةُ وتُترَكَ ساعةً حتى تُنزِلَ شيئاً مِنَ اللَّبَنِ، ثم تُحْلَب، فما بينَ الحَلْبَتينِ فَوَاقٌ. فاستُعِيرَ الفَواقُ في موضعِ المُكثِ والانتظار. وقال الزَّجَّاجُ: الفُوَاقُ: ما بين حَلْبتَي النَّاقةِ، وهو مُشتقٌّ مِنَ الرُّجوعِ، لأنه يَعُودُ اللبَنُ إلى الضِّرعِ بينَ الحَلْبَتين، يقال: أفاقَ مِنْ مرضه، أي: رَجَع إلى الصِّحَّة. **والثاني**: أنَّ مَنْ فتحَها، أراد: ما لَها مِنْ راحةٍ. ومَنْ ضمَّها، أراد: فُوَاقَ النَّاقةِ، قاله أبو عُبيدَةَ.

وللمُفسِّرين في معنى الكلام أربعةُ أقوال[1]: **أحدها**: ما لَها مِنْ رَجعةٍ، ثم فيه قولان: أحدهما: ما لَها مِنْ تَرْدَادٍ، قاله ابنُ عباسٍ، والمعنى أنَّ تلك الصَّيحَة لا تُكَرَّرُ. والثاني: ما لَها مِنْ رُجوعٍ إلى الدنيا، قاله الحَسنُ، وقَتَادةُ، والمعنى أنهم لا يَعودون بعدَها إلى الدنيا. **والثاني**: ما لَهُم منها مِنْ إفاقةٍ، بل تُهلِكُهم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: ما لَها مِنْ فُتُورٍ ولا انقطاعٍ، قاله ابنُ جريرٍ. **والرابع**: ما لَها مِنْ راحةٍ، حكاه جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ في سبب قولهم هذا قولان: **أحدهما**: أنه لمَّا ذُكِرَ لهم ما في الجنَّةِ، قالوا هذا، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ، والسُّدِّيُّ: **والثاني**: أنه لمَّا نَزلَ قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ

[١٢١٤] ذكره ابن الأثير في «النهاية» ٣/٤٧٩، ولم أره مسنداً، ولعله من كلام بعض السلف.
وانظر «تفسير القرطبي» ٥٢٣٦ بتخريجنا.

= عليهم العذاب. وقال ابن كثير رحمه الله: فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر، لأن الله تعالى جعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل.

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/٣٦: ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها، أي قد اقتربت ودنت وأزفت، وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله إسرافيل إن يطوّلها، فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع، إلا من استثنى الله ـ عز وجل ـ.

كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ . . .﴾ الآيات[١]، قالت قُريشٌ: زَعمْتَ يا محمَّدُ أنَّا نُؤتى كُتبَنا بشمائِلنا؟! فعَجِّلْ لنا قِطَّنا، يقولون ذلك تكذيباً له، قاله أبو العَالِيةِ ومُقاتِلٌ. وفي المراد بالقِطِّ أربعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنه الصَّحيفَةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال الفَرَّاءُ: القِطُّ في كلام العرب: الصَّكُّ. وقال أبو عُبيدَةَ: القِطُّ: الكتابُ، والقُطُوطُ: الكُتُبُ بالجوائزِ؛ وإلى هذا المعنى ذهب الحسَنُ ومُقاتِلٌ وابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: أنَّ القِطَّ: الحِسابُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه القضاءُ، قاله عطاءٌ الخُراسانيُّ، والمعنى أنهم لمَّا وُعِدوا بالقضاءِ بينهم، سألوا ذلك. **الرابع**: أنه النَّصيبُ، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ. قال الزَّجَّاجُ: القِطُّ: النَّصيبُ، وأصله: الصَّحيفةُ يُكْتَبُ للإنسان فيها شيءٌ يَصِلُ إليه، واشتِقاقُ القِطِّ مِنْ قَططْتُ، أي: قَطَعْتُ، فالنَّصِيبُ: هو القِطعةُ مِنَ الشيء. ثم في هذا القولِ للمُفسِّرين قولان: **أحدهما**: أنهم سألوه نَصيبَهُم مِنَ الجنَّةِ، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثاني**: سألوه نَصيبَهُم مِنَ العذاب، قاله قَتادَةُ. وعلى جميع الأقوال، إنما سألوا ذلك استهزاءً، لِتكذِيبِهم بالقيامة. ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: مِنْ تكذيبِهم وأذاهُم؛ وفي هذا قولان: **أحدهما**: أنه أُمِرَ بالصبر، سُلوكاً لطريق أُولي العَزمِ، وهذا مُحْكَمٌ. **والثاني**: أنه مَنسُوخٌ بآيَة السَّيفِ فيما زَعم الكَلبيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ في وَجهِ المناسبة بين قولِه: «اصبر» وبين قوله: «واذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ» قولان: **أحدهما**: أنه أُمِرَ أنْ يَتقوَّى على الصَّبر بذِكْرِ قُوَّةِ دَاوُدَ على العبادةِ والطاعةِ. **والثاني**: أنَّ المعنى: عَرِّفْهُم أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام ـ مع طاعَتِهم ـ كانوا خائفين منِّي، هذا دَاوُدُ مع قوَّتِه على العبادة، لم يَزَلْ باكياً مُستغفراً، فكيفَ حالُهم مع أفعالِهم؟! فأمّا قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ فقال ابنُ عباسٍ: هي القُوَّةُ في العبادة. وفي «الصَّحيحين» مِنْ حديث عبدِ الله بنِ عمروٍ قال:

[١٢١٥] قال لي رسولُ اللهِ ﷺ «أحبُّ الصِّيام إلى الله صيامُ دَاودَ، كان يَصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً، وأَحبُّ الصَّلاةِ إلى الله صلاةُ داوُدَ، كان ينامُ نِصفَ الليل ويقومُ ثُلثَهُ ويَنامُ سُدسَهُ».

وفي الأوَّابِ أقوالٌ قد ذكرناها في بَني إسرائيل[٣]. ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ قد ذكرنا تسبيحَ الجبال معه في سُورةِ الأنبياء[٤]، وذكرنا معنى العَشيِّ في مواضعَ مما تقدَّمَ[٥]، وذكرنا معنى الإِشراقِ في الحِجْر[٦] عند قولِه تعالى ﴿مُشْرِقِينَ﴾. قال الزَّجَّاجُ: الإشراقُ: طلوعُ الشمسِ وإضاءَتُها. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: طَلَبْتُ صلاةَ الضُّحى، فلَمْ أجدْها إلاَّ في هذه الآيَةِ. وقد ذكرنا عنه أنَّ صلاةَ الضُّحى مذكورةٌ في النُّور[٧] في قوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾.

[١٢١٥] صحيح. أخرجه البخاري ١١٣١ ومسلم ١١٥٩ ح ١٨٩ من طرق عن سفيان بن عيينة به.

---

(١) الحاقة: ١٩ ـ ٢٧.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/٣٦: قيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة أن يلقوا ذلك في الدنيا. وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب. وقال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا، وهذا الذي قاله جيد. ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستبعاد والاستهزاء قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بالصبر على أذاهم، ومبشرًا له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر.

(٣) الإسراء: ٢٥. (٤) الأنبياء: ٧٩. (٥) آل عمران: ٤١، الأنعام: ٥٣.

(٦) الحجر: ٧٣. (٧) النور: ٣٦.

قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ وقرأ عِكرمةُ، وأبو الجوزاءِ، والضَّحَّاكُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «والطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ» بالرَّفع فيهما، أي: مجموعةٌ إليه، تُسبِّحُ الله معه ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ﴾ في هاءِ الكناية قولان: **أحدهما**: تَرجعُ إلى داوُدَ، أي: كُلٌّ لِداودَ ﴿أَوَّابٌ﴾ أي: رَجَّاعٌ إلى طاعتِه وأمرِه، والمعنى: كُلٌّ له مُطيعٌ بالتَّسبيح معه، هذا قولُ الجمهور. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى، فالمعنى: كُلٌّ مسبِّحٌ لله، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي: قوَّيناه. وفي ما شُدَّ به مُلْكُهُ قولان: **أحدهما**: أنه الحَرَسُ والجنودُ؛ قال ابنُ عباسٍ: كان يَحرُسه كلَّ ليلةٍ ستةٌ وثلاثون ألفَ رجلٍ. **والثاني**: أنه هَيْبَةٌ أُلْقِيَتْ له في قلوبِ الناس؛ وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الفَهْمُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: الصَّواب، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: السُّنَّة، قاله قَتادةُ. **والرابع**: النُّبوَّة، قاله السُّدِّيُّ.

وفي فَصلِ الخِطَابِ أربعةُ أقوال: **أحدها**: عِلْمُ القضاء والعدلُ، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ. **والثاني**: بيانُ الكلام، رُويَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. وذكر المَاوَردِيُّ أنه البيانُ الكافي في كلِّ غرضٍ مقصودٍ. **والثالث**: قوله: «أما بعد»، وهو أوَّلُ مَنْ تكلَّم بها، قاله أبو موسى الأشعَريُّ والشَّعْبيُّ. **والرابع**: تكليفُ المُدَّعي البيِّنَةَ، والمُدَّعَى عليه اليمين، قاله شُرَيحٌ وقَتادةُ؛ وهو قولٌ حسَنٌ لأنَّ الخُصومةَ إنما تُفْصَلُ بهذا.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ قال أبو سُليمانَ: المعنى: قد أتاكَ فاستَمِعْ له نَقْصُصْ عليكَ. واختلفَ العلماءُ في السببِ الذي امتُحِنَ لأجلِه داوُدُ عليه السلام بما امتُحِنَ به على خمسةِ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه قال: يا ربِّ قد أعطيتَ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ مِنَ الذِّكرِ ما لو وَدِدْتُ أنَّكَ

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥١: قد قدمنا لكم وأوضحنا أن الأنبياء معصومون عن الكبائر إجماعاً، وفي الصغائر اختلاف؛ وأنا أقول إنهم معصومون عن الصغائر والكبائر، لوجوه بيناها في كتاب «النبوات» من أصول الدين. وقد قال جماعة: لا صغيرة في الذنوب وهو صحيح، وتحقيقه أن الكفر معصية ليس فوقها معصية كما أن النظرة معصية ليس دونها معصية، وبينهما ذنوب إن قرنتها بالكفر والقتل والزنا والعقوق كانت صغائر، وإن أضفتها إلى ما يليها في القسم الثاني الذي بعده من جهة النظر كانت كبائر. والذي أوقع الناس في ذلك رواية المفسرين وأهل التقصير من المسلمين في قصص الأنبياء مصائب لا قدر عند الله لم =

أعطيتَني مِثْلَه، فقال اللهُ تعالى: إنِّي ابتلَيتُهم بما لم أبْتلِكَ به، فإنْ شِئتَ ابتلَيتُكَ بِمثْلِ ما ابتَليتُهم به وأعطيتُكَ كما أعطَيتُهم؟ قال: نعم، فبينما هو في مِحرَابِه إذ وَقَعتْ عليه حَمامةٌ، فأرادَ أنْ يأخُذَها فطارَتْ، فذهب لِيأخُذَها، فرأى امرأةً تغتسل، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه ما زال يَجتهِدُ في العبادةِ حتى بَرَزَ له قُرناؤه مِنَ الملائكة وكانوا يُصلُّونَ معه ويُسْعِدُونه بالبُكاء، فلمَّا استأنَسَ بهم، قال: أخبِرُوني بأيِّ شيءٍ أنتم مُوكَّلون؟ قالوا: ما نَكْتُبُ عليكَ ذَنْباً، بل نكتبُ صالحَ عَمَلِكَ ونُثَبِّتُكَ ونُوفِّقُكَ ونَصْرِفُ عنكَ السُّوءَ، فقال في نَفْسِه: ليتَ شِعْري؛ كيفَ أكونُ لو خَلَّوني ونَفْسِي؛ وتمنَّى أنْ يُخَلَّى بينَهُ وبين نَفْسِه لِيَعْلَمَ كيف يكون، فأمَرَ اللهُ تعالى قُرناءَه أنْ يعتزِلُوه لِيَعْلَمَ أنه لا غَناءَ به عن اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فلمَّا فَقَدَهُم، جَدَّ واجتهدَ ضِعْفَ عبادَتِه إلى أنْ ظَنَّ أنه قد غَلَبَ نَفْسَه، فأرادَ اللَّهُ تعالى أنْ يُعَرِّفَه ضَعْفَه، فأَرْسلَ إليه طائراً مِنْ طيور الجنَّةِ، فسَقَطَ في مِحرَابِه، فقَطَعَ صلاتَهُ ومَدَّ يدَهُ إليه، فتنَحَّى عن مكانِه، فأتْبَعَه بَصَرَهُ، فإذا امرأةُ أُوريا، هذا قولُ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنه تَذَاكَر هو وبَنو إسرائيلَ، فقالوا: هل يأتي على الإنسانِ يومٌ لا يُصيبُ فيه ذَنْباً؟ فأضمَرَ داودُ في نَفْسِه أنه سَيُطيقُ ذلك، فلمَّا كان يوم عبادَتِه، أغلَقَ أبوابَهُ وأمَرَ أنْ لا يدخُلَ عليه أحدٌ وأكَبَّ على قراءة الزَّبور، فإذا حمامَةٌ مِنْ ذهبٍ، فأهوى إليها فطارتْ، فتبِعَها فرأى المرأةَ، رواه مَطَرٌ عن الحَسنِ. **والرابع**: أنه قال لِبَني إسرائيلَ حين مَلَكَ: واللهِ لأَعْدِلَنَّ بينكم، ولم يَسْتَثْنِ، فابتُلِيَ، رواه قَتادَةُ عن الحَسنِ. **والخامس**: أنه أعجَبَهُ كثرةُ عملِه، فابتُلِيَ، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ.

الإشارةُ إلى قصّة ابتلائه

قد ذكرنا عن وهب أنه قال: كانت الحمامة من طيور الجنة. وقال السدي تصور له الشيطان في صورة حمامة. قال المفسرون: إنه لما تبع الحمامة رأى امرأة من بستان على شط بركة لها تغتسل، وقيل: بل على سطح لها فعجب من حسنها، فحانت منها التفاتة فرأت ظله، فنفضت شعرها، فغطى بدنها فزاده ذلك إعجاباً بها، فسأل عنها فقيل: هذه امرأة أوريا، وزوجها في غزاة فكتب داود إلى أمير ذلك الجيش أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا، وقدمه قبل التابوت، وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح عليه أو يستشهد، ففعل ذلك، ففتح عليه فكتب إلى داود يخبره فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، ففُتح له، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، فقتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود، فهي أم سليمان، فلما دخل بها لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله

= اعتقدها روايات ومذاهب، ولقد كان من حسن الأدب مع الأنبياء صلوات الله عليهم ألا تبث عثراتهم لو عثروا، ولا تبث فلتاتهم لو استفلتوا، فإن إسبال الستر على الجار والولد والأخ فضيلة أكرم فضيلة، فكيف سترت على جارك حتى لم تقص نبأه في أخبارك، وعكفت على أنبيائك وأحبارك تقول عنهم ما لم يفعلوا، وتنسب إليهم ما لم يتلبسوا به، ولا تلوّثوا به، نعوذ بالله من هذا التعدّي والجهل بحقيقة الدين في الأنبياء والمسلمين والعلماء والصالحين. وقد وصيناكم إذا كنتم لا بد آخذين في شأنهم ذاكرين قصصهم ألا تَعْدوا ما أخبر الله عنهم، وتقولوا ذلك بصفة التعظيم لهم والتنزيه عن غير ما نسب الله إليهم، ولا يقولن أحدكم: قد عصى الأنبياء فكيف نحن، فإن ذكر ذلك كفر.

ـ قلت: لو لم يذكر المصنف هذه الآثار لكان أولى، وقد أطال في ذلك رحمه الله وإنما هذه الآثار من ترّهات الإسرائيليين وأساطيرهم.

عز وجل ملكين في صورة أنسيين، وقيل: لم يأته الملكان حتى جاء منها سليمان وشب، ثم أتياه فوجداه في محراب عبادته، فمنعهما الحرس من الدخول، فتسوروا المحراب عليه، وعلى هذا الذي ذكرناه من القصة أكثر المفسرين، وقد روى نحوه العوفي عن ابن عباس، وروي عن الحسن وقتادة والسدي، ومقاتل في آخرين.

وذكر جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين[١] أنَّ داودَ لمَّا نَظرَ إلى المرأة، سألَ عنها، وبَعثَ زوجَها إلى الغَزاةِ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ إلى أنْ قُتِلَ، فتزوَّجها؛ وروي مِثْلُ هذا عن ابنِ عباسٍ، ووَهْبٍ، والحَسنِ في جماعةٍ. وهذا لا يَصحُّ مِنْ طريق النَّقلِ، ولا يجوز مِنْ حيثُ المعنى، لأنَّ الأنبياءَ مُنزَّهون عنه.

وقد اختلف المُحقِّقون في ذَنْبِه الذي عُوتِبَ عليه على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لمَّا هَوِيَها، قال لِزَوجِها: تحوَّلْ لي عنها، فعُوتِبَ على ذلك. وقد رَوى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: ما زادَ داوُدُ على أنْ قال لصاحبِ المرأةِ: أكْفِلْنِيها وتحوَّلْ لي عنها؛ ونحو ذلك رُوي عن ابنِ مسعودٍ[٢]. وقد حكى أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ أنه بَعثَ إلى أوزيا فأقدَمَهُ مِنْ غَزاتِه، فأَدْناهُ وأكرَمَهُ جدّاً، إلى أنْ قال له يوماً: انْزِلْ لي عن امرأتِكَ؛ وانظُرْ أيَّ امرأةٍ شِئتَ في بَنِي إسرائيلَ أُزوِّجكَها، أو أيَّ أَمَةٍ شِئتَ أَبْتاعُها لكَ، فقال: لا أُريدُ بامرأتي بديلاً؛ فلمَّا لم يُجبهُ إلى ما سألَ، أمَرَه أنْ يَرْجِعَ إلى غَزاتِه. **والثاني**: أنه تمَنَّى تلك المرأةَ حلالاً، وحَدَّث نَفْسَهُ بذلك، فاتَّفقَ غَزْوُ أُوزْيا مِنْ غيرِ أنْ يسعى في سبب قَتْلِه ولا في تعريضِه للهَلاكِ، فلمَّا بلغَهُ قَتْلُهُ، لم يَجْزَعْ عليه كما جزِعَ على غيرِه مِنْ جُنْدِه، ثُمَّ تزوَّجَ امرأتَه، فعُوتبَ على ذلك. وذُنوبُ الأنبياءِ عليهم السلامُ وإنْ صَغُرَتْ، فهي عظيمةٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ. **والثالث**: أنه لمَّا وَقعَ بصرُه عليها، أَشبَعَ النَّظرَ إليها حتى عَلِقَتْ بقلبه[٣]. **والرابع**: أنَّ أُوزْيا كان قد خَطَبَ تلك المرأةَ، فخطَبها داودُ مع عِلْمِه بأنَّ أُوزيا قد خطبها، فتزوَّجَها، فاغتمَّ أوزيا، وعاتَبَ اللهُ تعالى داوُدَ إذْ لم يترُكْها لِخاطِبِها الأوَّلِ[٤]؛ واختار القاضي أبو يَعلَى هذا القولَ، واستدلَّ عليه بقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾، قال: فَدَلَّ هذا على أنَّ الكلامَ إنما كان بينهما في الخِطْبةِ، ولم يكن قد تَقدَّمَ تزوُّجُ الآخَرِ، فعُوتِبَ داوُدُ عليه السلامُ لشيئين ينبغي للأنبياء التَّنَزُّهُ عنهما: **أحدهما**: خِطْبَتُه على خِطبَةِ غيرِه. **والثاني**: إظهارُ الحِرْصِ على التَّزويج مع كثرةِ نسائِه، ولم يعتقِدْ ذلك معصيةً، فعاتَبَهُ اللهُ تعالى عليها؛ قال: فأمَّا ما رُوِيَ أنه نظرَ إلى المرأة فهَوِيَها وقدَّم زَوْجَها للقَتْلِ، فإنه وَجهٌ لا يجوز على الأنبياءِ، لأنَّ الأنبياءَ لا يَأتونَ المعاصي مع العِلْمِ بها.

قال الزَّجَّاجُ: إنَّما قال: «الخَصْم» بلفظِ الواحِدِ، وقال: «تَسَوَّرُوا» بلفظِ الجماعة، لأنَّ قولكَ:

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ٥٤: وأما قولهم: إنه أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله، فهذا باطل قطعاً، لأن داود لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه، وليس في القرآن أن ذلك كان، ولا أنه تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها، فعن من يروى هذا ويسند؟ وعلى من في نقله يعتمد، وليس يؤثره عن الثقات الأثبات أحد؟

(٢) لا يصح عن ابن مسعود، وقد ذكره المصنف بصيغة التمريض وهو متلقى عن أهل الكتاب.

(٣) قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٥٦: لا يجوز ذلك عندي بحال، لأن طموح البصر لا يليق بالأولياء المتجردين للعبادة، فكيف بالأنبياء الذين هم الوسائط المكاشفون بالغيب.

(٤) قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٥٧: هذا باطل يرده القرآن والآثار التفسيرية كلها.

خَصْم، يَصْلُحَ للواحدِ والاثنينِ والجماعةِ والذكرِ والأنثى، تقول، هذا خَصْمٌ، وهي خَصْمٌ، وهما خَصْمٌ، وهم خَصْمٌ؛ وإنما يَصلُح لجميع ذلك لأنه مصدرٌ، تقول: خَصَمْتُه أَخْصِمُه خَصْماً. والمِحرَابُ هاهنا كالغُرفةِ، قال الشاعر:

رَبَّـةُ مِـحْـرَابٍ إذا جِـئْـتُـهـا ... لَـمْ أَلْـقَـهـا أَوْ أَرْتَـقـي سُـلَّـمـا[1]

و «تسوَّروا» يدلُّ على عُلوّ. قال المُفسِّرون: كانا مَلَكين، وقيل: هما جِبريلُ ومِيكائيلُ عليهما السلامُ أَتَيَاه لِيُنبِّهاه على التَّوبةِ وإنما قال: «تسوَّروا» وهما اثنان، لأنَّ معنى الجمع ضَمُّ شيءٍ إلى شيءٍ، والاثنان فما فوقَهُما جماعةٌ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ قال الفَرَّاءُ: يجوز أَنْ يكونَ معنى «تسوَّرُوا»: دَخَلوا، فيكون تكراراً؛ ويجوز أَنْ يكونَ «إذ» بمعنى «لمّا»، فيكون المعنى: إِذْ تَسوَّروا المِحرابَ لَمَّا دَخلوا، ولَمَّا تَسوَّروا إِذْ دَخلوا. قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ وذلك أنهما أَتَيا على غيرِ صفةِ مجيءِ الخُصومِ، وفي غيرِ وقت الحُكومة، ودخلا تَسوُّراً مِنْ غير إِذنٍ[2]. وقال أبو الأَحوَصِ: دَخَلا عليه وكُلُّ واحدٍ منهما آخذٌ برأسِ صاحبِه. و ﴿خَصْمَانِ﴾ مرفوعٌ بإِضمارِ «نَحنُ»، قال ابنُ الأنباري: المعنى: نحنُ كَخَصمَين، ومِثْلُ خَصمَين، فسقطت الكافُ، وقامَ الخَصمانِ مقامَهُما، كما تقول العرب: عبدُ الله القمرُ حُسْناً، وهم يريدون: مِثْل القمرِ، قالت هِندُ بنتُ عُتْبَةَ تَرثي أباها وعَمَّها:

مَـنْ حَـسَّ لِـي الأَخَـوَيْـنِ كـالـ ... غُـصْـنَـيْـنِ أَوْ مَـنْ راهُـمـا
أَسَـدَيْـنِ فـي غِـيْـلٍ يَـحِـيـدُ الـ ... قَـوْمُ عَـنْ عُـزواهُـمـا
صَـقْـرَيْـنِ لا يَـتَـذَلَّـلا ... نِ ولا يُـبـاحُ حِـمـاهُـمـا
رُمْـحَـيْـنِ خَـطِّـيَّـيْـنِ فـي ... كَـبِـدِ الـسَّـمـاءِ تَـراهُـمـا

أرادت: مِثْل أسدَيْنِ، ومثلَ صقرَيْنِ، فأسقطَتْ مِثْلاً وأقامَتْ الذي بعدَه مقامَهُ. ثم صَرفَ الله عزَّ وجلَّ النونَ والألفَ في «بَعْضُنا» إلى «نحن» المُضمَرِ، كما تقول العرب: نحنُ قومٌ شَرُفَ أبونا، ونحنُ قومٌ شَرُفَ أبوهُم، والمعنى واحدٌ. والحقُّ هاهنا: العَدلُ. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ، يُقال: شَطَّ وأَشَطَّ: إذا جارَ. وقرأ ابن أبي عبلة: «ولا تشطط» بفتح التاء وضم الطاء قال الفَرَّاءُ: بعضُ العرب يقول: شَطَطْتَ عليَّ في السَّوْم، وأكثرُ الكلام «أشططتَ» بالألفِ، وشَطَّتِ الدَّارُ: تباعدتْ. قوله تعالى: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: إلى قَصْدِ الطَّريق؛ والمعنى: احْمِلْنا على الحقِّ. فقال داوُدُ: تَكَلَّما، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ قال ابنُ الأنباري: المعنى: قال أحدُ الخَصمَين اللَّذين شُبِّه المَلَكانِ بهما: إنَّ هذا أخي، فأضمَرَ القولَ لِوضوحِ معناه ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ قال الزَّجَّاج: كُنِيَ عن المرأة بالنَّعجة.

---

(١) البيت لوضاح اليمن كما في «الأغاني» ٦/ ٢٣٧ و «اللسان» ـ حرب ـ وقد سبق البيت في «الجزء الأول».

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٨: وقوله: ﴿ففزع منهم﴾، إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه، وهو أشرف مكانٍ في داره، وكان قد أمر ألا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين قد تسوّرا عليه المحراب، أي: احتاطا به يسألانه عن شأنهما. وقوله ﴿وعزّني في الخطاب﴾ أي غلبني. يقال: عزّ يعزُّ: إذا قهر وغلب. وقوله: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي اختبرناه. وقوله ﴿وخرّ راكعاً﴾ أي ساجداً ﴿وأناب﴾ يحتمل أنه ركع أولاً، ثم سجد بعد ذلك.

وقال غيرُه: العربُ تُشَبِّهُ النّساءَ بالنِّعاجِ، وتُوَرِّي عنها بالشّاءِ والبقرِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وَرَّى عن ذِكرِ النساء بذِكرِ النِّعاجِ، كما قال عَنترَةُ:

يا شَاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ ولَيْتَها لَمْ تَحْرُمِ

يُعرِّض بجاريةٍ، يقول: أيُّ صيدٍ أنتِ لِمَنْ حَلَّ له أنْ يَصيدَكِ! فأمّا أنا، فإنْ حُرْمَةَ الجِوارِ قد حرَّمتْكِ عَلَيَّ. وإنَّما ذَكَرَ المَلَكُ هذا العددَ لأنه عددُ نساءِ داوُدَ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ فتَحَ الياءَ حَفصٌ عن عاصمٍ، وأسكنَها الباقون. ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: ضُمَّها إليَّ واجعَلْني كافِلَها. وقال الزَّجّاجُ: انزِلْ أنتَ عنها واجعَلْني أنا أكفُلُها. قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: غَلَبني في القول. وقرأ عمرُ بن الخَطّابِ وأبو رَزينٍ العُقَيليُّ والضَّحّاكُ وابنُ يَعمُرَ وابنُ أبي عَبلَةَ: «وعَازَّني» بألِفٍ، أي: غالَبَني. قال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ في قوله: «وعَزَّني في الخطاب»: ما زادَ على أنْ قال: انزِلْ لي عنها. وروى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: إنْ دَعوتُ ودَعا كان أكثر، وإنْ بَطَشتُ وبَطَشَ كان أشدَّ مني. فإنْ قيلَ: كيف قال المَلَكانِ هذا، وليس شيءٌ منه موجوداً عندهما؟ فالجواب: أنَّ العلماءَ قالوا: إنَّما هذا على سبيلِ المَثَلِ والتَّشبيهِ بقصَّةِ داوُدَ، وتقديرُ كلامهما: ما تقولُ إنْ جاءكَ خَصمانِ فقالا كذا وكذا؟ وكان داوُدُ لا يرى أنَّ عليه تَبِعَةً فيما فَعَلَ، فنبَّهه اللهُ بالمَلَكين. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ له ونبَّهَهُ على خطيئَتِه. وقد ذكرنا آنِفاً أنَّ المعنى: نحنُ كخَصْمَينِ. قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني داودَ ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ قال الفَرّاءُ: أي: بسؤالِه نعجَتَكَ، فإذا ألقيتَ الهاءَ مِنَ السؤالِ، أضفتَ الفعلَ إلى النَّعْجةِ، ومِثْلُه: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾[1]، أي: مِنْ دُعائِه بالخيرِ، فلمَّا ألْقى الهاءَ، أضافَ الفعلَ إلى الخير، وألقى مِنَ الخير الباءَ، وأنشدوا:

فَلَسْتُ مُسَلِّماً ما دُمْتُ حَيّاً ... على زَيْدٍ بتَسليمِ الأميرِ

أي: بتسليمٍ على الأمير.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ أي: لِيَضُمَّها إلى نِعاجِه. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: بسؤالِ نعجَتِكَ مضمومةً إلى نِعاجِه، فاختُصِرَ. قال: ويُقال «إلى» بمعنى «مع». فإنْ قيلَ: كيف حَكَمَ داودُ قبلَ أنْ يَسمعَ كلامَ الآخرِ؟ فالجواب: أنَّ الخصمَ الآخرَ اعترَفَ، فحَكَمَ عليه باعترافِه، وحذف ذِكرَ الاعترافِ اكتفاءً بفَهمِ السَّامعِ، والعربُ تقول: أمَرتُكَ بالتِّجارة فكسبتَ الأموالَ، أي: فاتَّجرتَ فكسبتَ، ويدُلُّ عليه قولُ السُّدِّيِّ: إنَّ داوُدَ قال للخصمِ الآخرِ: ما تقولُ؟ قال: نعم، أريدُ أنْ آخُذَها منه فأُكمِلَ بها نِعاجِي وهو كارِهٌ، قال: إذاً لا نَدعُكَ، وإنْ رُمْتَ هذا ضَرَبْنا منكَ هذا ـ ويُشير إلى أنفِه وجَبْهتِه ـ فقال: أنتَ يا داوُدُ أحَقُّ أنْ يُضرَبَ هذا منكَ حيثُ لك تسعٌ وتسعون امرأةً، ولم يكن لأُورِيا إلاّ واحدةٌ، فنظَر داوُدُ فلم يَرَ أحداً، فعَرَفَ ما وقعَ فيه[2]. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ يعني الشُّركاء، واحدهم: خَليط، وهو المُخالِطُ في المالِ، وإنما قال هذا، لأنه ظنَّهما شريكَيْن، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: فإنهم لا يَظلِمون أحداً، ﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ «ما» زائدةٌ، والمعنى: وقليلٌ هم، وقيلَ: المعنى: هم قليلٌ، يعني الصَّالحين الذين لا يَظلِمونَ.

---

(١) فصلت: ٤٩.

(٢) تقدم أن هذه الآثار إسرائيلية.

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ﴾ أي: أيقنَ وعَلِمَ ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اختبرناهُ. **والثاني**: ابتَليناهُ بما جرى له مِنْ نَظرِه إلى المرأةِ وافتتانِه بها[١]. وقرأ عمرُ بنُ الخطّابِ: «أنَّما فتّنّاهُ» بتشديدِ التاء والنون جميعاً. وقرأ أنسُ بنُ مالكٍ، وأبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ، وعليُّ بنُ نَصرٍ عن أبي عمرٍو: «أنَّما فَتَنَاهُ» بتخفيفِ التاء والنون جميعاً، يعني المَلَكين، قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: يريد: صَمَدَا له. وفي سببِ عِلمِه وتنبيهِه على ذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المَلَكين أفصَحا له بذلك، على ما ذكرناه عن السُّدِّيِّ. **والثاني**: أنهما عَرَّجا وهما يقولان: قضى الرجلُ على نَفْسِه، فعَلِمَ أنه عُنِيَ بذلك، قاله وَهْبٌ. **والثالث**: أنه لمَّا حَكَم بينهما، نَظرَ أحدُهما إلى صاحبِه وضَحِكَ، ثم صَعِدا إلى السماء وهو ينظُرُ، فعَلِمَ أنَّ الله تعالى ابتَلاهُ بذلك، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا فَطِنَ داوُدُ بذَنبه خَرَّ راكعاً، قال ابنُ عباسٍ: أي: ساجداً، وعبَّرَ عن السجودِ بالرُّكوعِ، لأنهما بمعنى الانحِنَاءِ. وقال بعضُهم: المعنى: فَخَرَّ بعدَ أنْ كان راكعاً.

فصل: واختلف العلماءُ هل هذه مِنْ عزائم السُّجود؟ على قولَين: **أحدهما**: ليست مِنْ عزائِم السُّجودِ، قاله الشَّافعيُّ. **والثاني**: أنها مِنْ عزائم السجود، قاله أبو حَنيفَةَ؛ وعن أحمدَ رِوايتان.

قال المُفسِّرون: فبَقيَ في سجودِهِ أربعينَ ليلةً، لا يرفعُ رأسَهُ إلاّ لوقتِ صلاةٍ مكتوبةٍ أو حاجةٍ لا بُدَّ منها، ولا يأكل ولا يشرب، فأكَلتِ الأرضُ مِنْ جَبينِه، ونَبتَ العُشبُ مِنْ دموعِه، ويقول في سُجودِهِ: ربَّ داودَ، زَلَّ داودُ زَلَّةً أبعدَ ممَّا بين المشرقِ والمغربِ. وقال مُجاهِدٌ: نَبتَ البَقلُ مِنْ دموعِه حتى غطَّى رأسَه، ثم نادى: رَبِّ قَرِحَ الجَبينُ وجَمَدت العينُ وداوُدُ لم يَرْجِعْ إليه في خطيئَتِه شيءٌ، فنُودِيَ: أجائِعٌ فتُطعَم، أَمْ مريضٌ فتُشفَى، أَمْ مظلومٌ فيُنتصَر لكَ؟ فنَحَبَ نَحِيباً هاجَ كلَّ شيءٍ نَبَتَ، فعندَ ذلك غَفرَ له. وقال ثابتٌ البُنَانيُّ: اتَّخذَ داوُدُ سبعَ حَشايا مِنْ شَعْرٍ وحَشاهُنَّ مِنَ الرَّمادِ، ثم بكى حتى أنفَذَها دموعاً، ولم يشربْ شراباً إلاّ ممزوجاً بدموعِ عينيه. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: نُودِيَ: يا داودُ ارفَعْ رأسَكَ فإنَّا قد غفَرْنا لكَ، فرفعَ رأسَهُ وقد زَمِنَ وصارَ مُرعِشاً[٢]. فأمَّا قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ فمعناه: رَجَعَ مِنْ ذَنْبِه تائباً إلى ربِّه، ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ يعني الذَّنْبَ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ قال ابنُ قُتَيبَةَ: أي: تقدمٌ وقُرْبةٌ. قوله تعالى: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قال مُقاتِلٌ: حُسْنَ مَرْجِعٍ، وهو ما أعدَّ الله له في الجنَّةِ. قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ المعنى: وقُلنا له يا داودُ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾ أيَ: صَيَّرْناكَ ﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تُدَبِّرُ أمْرَ العبادِ مِنْ قِبَلِنا بأمرِنا، فكأنكَ خليفةٌ عنَّا ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعَدلِ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: لا تَمِلْ مع ما تشتهي إذا خالفَ أمْرَ الله عزَّ وجلَّ ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن دِيْنِه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾ وقرأ أبو نَهِيكٍ، وأبو حَيْوَةَ، وابنُ يَعمَرَ: «يُضِلُّونَ» بضمِّ الياء. قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بما تَركُوا العملَ ليوم الحساب، قاله السُّدِّيُّ. قال الزَّجَّاجُ: لمَّا تركوا العملَ لذلك اليوم، صاروا بمنزلةِ النَّاسِين. **والثاني**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: لهم عذابٌ شديدٌ يومَ

---

(١) تقدم الكلام في أن مثل ذلك لا يليق بالأنبياء عليهم السلام والصواب هو القول الأول: اختبرناه كما جاء في «تفسير» ابن كثير رحمه الله.

(٢) في «اللسان» رَعِشَ: بالكسر، يَرْعَشُ، وارتعش: ارتعد.

الحساب بما نسُوا، أي: تَركُوا القضاءَ بالعَدلِ، وهو قولُ عِكرمَةَ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أي: عَبثاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أنَّ ذلك خُلِقَ لِغَيْرِ شيءٍ، وإنَّما خُلِقَ للثوابِ والعقابِ. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال مُقاتِلٌ:

[١٢١٦] قال كفَّارُ قُريشٍ للمؤمنين: إنَّا نُعطَى في الآخرة مثلَ ما تُعطَوْنَ، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٢١٧] وقال ابنُ السَّائبِ: نزلت في السِّتةِ الذين تَبارَزُوا يومَ بدرٍ، عليّ رضي الله عنه، وحمزَةَ رضي الله عنه، وعُبيدةَ بنِ الحارثِ رضي الله عنه، وعُتبَةَ، وشَيْبَةَ، والوليدِ بنِ عُتبَةَ، فذكرَ أولئكَ بالفسادِ في الأرضِ لِعَمَلِهم فيها بالمعاصي، وسَمَّى المؤمنين بالمتَّقين لاتقائِهم الشِّركَ، وحُكمُ الآيةِ عامٌّ.

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا كتابٌ، يعني القرآن، وقد بيَّنَّا معنى بَرَكَتِه في سُورةِ الأنعَامِ(١). ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وقرأ عاصمٌ في روايةٍ: «ليتَدبَّروا آياتِه» بالتاء خفيفة الدالِ، أي: لِيَتفكَّروا فيها فيتقرَّر عندهُم صِحَّتُها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ بما فيه مِنَ المواعظِ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وقد سبق بيانُ هذا.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ يعني به سُليمانَ. وفي الأوَّابِ أقوالٌ قد تقدَّمَتْ في بَني إسرائيل(٢)، أَلْيَقُها بهذا المكان أنه رَجَّاعٌ بالتَّوبة إلى الله تعالى ممَّا يَقعُ منه مِنَ السَّهوِ والغَفْلةِ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ وهو ما بعدَ الزَّوالِ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ وهي الخيلُ، وفي معنى

[١٢١٦] رواه المصنف عن مقاتل، ومقاتل متهم بالوضع.

[١٢١٧] رواه المصنف عن ابن السائب الكلبي، وكذا السيوطي في «أسباب النزول». وابن السائب متهم بالوضع.

---

(١) الأنعام: ٩٢. (٢) الإسراء: ٢٥.

الصَّافِناتِ قولان: **أحدهما**: أنها القائمةُ على ثلاثِ قوائمَ، وقد أقامت الأُخرى على طَرَفِ الحافرِ مِنْ يَدٍ أو رِجْلٍ؛ وإلى هذا المعنى ذهب مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ، واختاره الزَّجَّاجُ، وقال: هذا أكثرُ قيامِ الخَيلِ إذا وَقفتْ كأنَّها تُراوح بين قوائِمها، قال الشاعر:

أَلِـفَ الـصُّـفُـونَ فـمـا يَـزالُ كـأَنَّـهُ ... مِـمَّـا يَـقـومُ عـلـى الـثَّـلاثِ كَـسِـيـرا

والثاني: أنها القائمةُ، سواءٌ كانت على ثلاثٍ أو غيرِ ثلاثٍ، قال الفَرَّاءُ: على هذا رأيتُ العرب، وأشعارُهم تَدُلُّ على أنه القيامُ خاصَّةً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الصَّافِنُ في كلام العرب: الوَاقفُ مِنَ الخيلِ وغيرِها،

[١٢١٨] ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «مَنْ سَرَّه أنْ يقومَ له الرِّجالُ صُفُوناً، فَلْيَتَبَوأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، أي: يُدِيمونَ القيامَ له.

فأمَّا الجِيادُ، فهي السِّراعُ في الجَرْيِ. وفي سبب عَرْضِها عليه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عَرَضها لأنه أراد جهادَ عدوٍّ له، قاله عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. **والثاني**: أنها كانت مِنْ دَوابِّ البحر. قال الحسَنُ: بَلَغني أنها كانت خَيلاً خرجتْ مِنَ البحر لها أجنِحةٌ. وقال إبراهيمُ التَّيْميُّ: كانت عشرين فَرساً ذاتَ أجنحةٍ. وقال ابنُ زيدٍ: أخرَجَتْها له الشياطينُ مِنَ البحر. **والثالث**: أنه وَرِثَها مِنْ أبيه داوُدَ عليه السلام، فعُرِضَتْ عليه، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أنه غَزا جيشاً، فظَفِرَ به وغَنِمَها، فدَعا بها فعُرِضَتْ عليه، قاله ابنُ السَّائب. وفي عَدَدِها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ثلاثة عشرَ ألفاً، قاله وَهْبٌ. **والثاني**: عشرون ألفاً، قاله سعيدُ بنُ مَسرُوقٍ. **والثالث**: ألفُ فَرسٍ، قاله ابنُ السَّائبِ ومُقاتِلٌ. **والرابع**: عشرون فَرساً، وقد ذكرناه عن إبراهيمَ التَّيْمي. قال المُفسِّرون: ولم تَزَلْ تُعْرَضُ عليه إلى أنْ غابتِ الشمسُ، ففاتَتْهُ صلاةُ العَصرِ، وكان مَهيباً لا يَبتَدِئُه أحدٌ بشيءٍ، فلم يُذَكِّروه، ونَسِيَ هو، فلمَّا غابتِ الشمسُ ذَكرَ الصلاةَ، ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ﴾ فتحَ الياءَ أهلُ الحِجازِ وأبو عمرٍو ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المالُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: حُبُّ الخَيلِ، قاله قَتادةُ والسُّدِّيُّ. والقولان يَرجِعان إلى معنىً واحدٍ، لأنه أراد بالخير الخَيلَ، وهي مالٌ. وقال الفَرَّاءُ: العرب تُسمِّي الخَيلَ: الخير.

[١٢١٩] قال الزَّجَّاجُ: وقد سمَّى رسولُ الله ﷺ زَيْد الخَيلِ: زَيْدَ الخيرِ.

[١٢١٨] لا أصل له بلفظ «صفونا» وإنما هو من تصرف بعض الرواة أو أهل اللغة. فهو عند أبي داود ٥٢٢٩ والترمذي ٥٧٥٦ وأحمد ٤/ ٩١ ـ ٩٤ من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار» هذا هو الصحيح الوارد في هذا المتن. وإسناده جيد، وصححه المنذري في «الترغيب» ٣/ ٤٣١. وفي الباب من حديث أبي أمامة أخرجه أبو داود ٥٢٣٠ وأحمد ٥/ ٢٥٣ وحسنه المنذري في «ترغيبه» ٣/ ٤٣١. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٩١ عن الحديث المذكور: لم أجده هكذا، وفي غريب الحديث لأبي عبيد من حديث البراء رضي الله عنه «كنا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ، فرفع رأسه قمنا معه صفونا». قلت: هو في «الغريب» ١/ ٣٧٩ بدون إسناد.

[١٢١٩] ضعيف. أخرجه ابن عدي ٢/ ٢٢ وابن شاهين كما في الإصابة ٢٩٤١ من حديث ابن مسعود، ومداره على بشير مولى بني هاشم، وهو منكر الحديث، وبه أعله ابن عدي، وقال الذهبي في ترجمته: أتى بخبر منكر، ومراده هذا الحديث. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٢٧١ بتخريجنا.

ومعنى «أَحْبَبْتُ»: آثرتُ حُبَّ الخَيْرِ على ذِكرِ رَبِّي؛ وكذلك قال غيرُ الزَّجَّاج: «عن» بمعنى «على». وقال بعضُهم: يحتمل المعنى: فشَغَلَني عن ذِكرِ ربِّي. وقال أبو عُبيدَةَ: معنى الكلام: أَحْبَبْتُ حُبًّا، ثم أضاف الحُبَّ إلى الخيرِ. وقال ابنُ قُتَيبة: سمَّى الخَيْلَ خَيْراً، لِمَا فيها مِنَ الخَيْر. والمُفسِّرون على أنَّ المراد بذِكْرِ ربِّه: صلاةُ العَصر، قاله عليٌّ وابنُ مسعودٍ وقَتادةُ في آخَرِين. وقال الزَّجَّاجُ: لا أدري هل كانت صلاةُ العَصرِ مفروضةً أمْ لا!، إلاَّ أنَّ اعتِراضَةَ الخيلَ شَغَلَه عن وقتٍ كان يذكُر اللَّهَ فيه ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ قال المصنف: وأهلُ اللغة يقولون: يعني الشمسَ، ولم يَجْرِ لها ذِكْرٌ، ولا أحسَبُهم أعطَوا في هذا الفِكْر حَقَّه، لأنَّ في الآية دليلاً على الشمسِ، وهو قوله: «بالعشيِّ» ومعناه: عُرِضَ عليه بعدَ زوالِ الشمس حتى تَوارَتِ الشمسُ بالحِجابِ، ولا يجوز الإضمارُ إلاَّ أنْ يجريَ ذِكْرٌ أو دليلُ ذِكرٍ فيكون بمنزلة الذِّكْر؛ وأمَّا الحِجَابُ، فهو ما يَحجُبها عن الأبصار.

قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا شغلَهُ عَرْضُ الخَيْلِ عليه عن الصلاة، فَصلاَّها بعدَ خروجِ وَقْتِها، اغتَمَّ وغضبَ، وقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾، يعني: أَعِيدُوا الخَيْلَ عَلَيَّ ﴿فَطَفِقَ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي أقبَلَ ﴿مَسْحًا﴾ قال الأخفشُ: أي: يَمْسَحُ مَسْحاً. فأمَّا السُّوقُ، فجَمعُ سَاقٍ، مثل دُور ودار. وهَمزَ السُّؤق ابنُ كَثيرٍ، قال أبو عليٍّ: وغيرُ الهَمزِ أحسنُ منه. وقرأ أبو عِمْرَانَ الجَوْنيُّ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «بالسُّؤوق» مثل الرُّؤوس. وفي المُراد بالمَسحِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه ضَربَها بالسيف.

[١٢٢٠] روى أُبيُّ بنُ كَعبٍ عن رسولِ الله ﷺ في قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوق والأعناق» قال: «بالسَّيف». وروى مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ قال: مَسَحَ أعناقَها وسُوقَها بالسَّيفِ. وقال الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ السَّائبِ: قَطَعَ أعناقَها وسُوقَها، وهذا اختيارُ السُّدِّيِّ، ومُقاتِلٍ، والفَرَّاءِ، وأبي عُبيدَةَ، والزَّجَّاجِ، وابنِ قُتَيبَةَ، وأبي سُليمانَ الدِّمشقيِ، والجمهورِ.

والثاني: أنه جَعلَ يَمسحُ أعرَافَ الخَيْلِ وعَرَاقِيبَها حُبًّا لها، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: مَسحَها بيدِه، وهذا اختيارُ ابنِ جَريرٍ، والقاضي أبو يَعلَى.

والثالث: أنه كَوَى سُوقَها وأعناقَها وحَبسَها في سبيلِ الله تعالى، حكاه الثَّعلَبيُّ.

والمُفسِّرون على القولِ الأولِ، وقد اعترَضوا على القولِ الثاني، وقالوا: أيُّ مناسبةٍ بينَ شَغْلِها إيَّاهُ عن الصلاة وبين مَسْحِ أعرافِها حُبًّا لها؟! ولا أعلَمُ قولَه: «حُبًّا لها» يَثبُتُ عن ابنِ عباسٍ. وحَمَلوا قولَ مُجاهِدٍ: «مَسَحها بيده» أي: تَولَّى ضَرْبَ أعناقِها. فإنْ قيلَ: فالقولُ الأولُ يَفسُد بأنه لا ذَنْبَ للحيوان، فكيفَ وَجَهَ العقوبةَ إليه وقَصدَ التَّشَفِّي بقَتْلِه، وهذا يُشبه فِعْلَ الجَبَّارين، لا فِعْلَ الأنبياء؟ فالجوابُ: أنه لم يَكُنْ لِيَفعَلَ ذلك إلاَّ وقد أُبيحَ له، وجائزٌ أن يُباحَ له ما يُمنَعُ منه في شَرْعِنا، على أنه إذا ذَبحَها كانت قُرباناً، وأكلُ لَحمِها جائزٌ، فما وَقعَ تَفريطٌ. قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: لمَّا ضَرَبَ سُوقَها وأعناقَها، شَكرَ اللَّهُ تعالى له ذلك، فسَخَّر له الرِّيحَ مكانَها، وهي أحسَنُ في المَنظرِ، وأسْرَعُ في السَّيْرِ، وأعْجَبُ في الأُحْدُوثَةِ.

[١٢٢٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦٩٩٣ من حديث أبي بن كعب، وإسناده ضعيف لضعف سعيد بن بشير وبخاصة عن قتادة، قال ابن نمير: يروي عن قتادة المنكرات، وفيه أيضاً مروان بن محمد تكلم فيه لكن لا يحتمل مثل هذا بل الحمل في هذا الحديث على سعيد، فإنه منكر الحديث عن قتادة، وهذا منها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: ابتَلَيناهُ وامْتَحَنَّاهُ بِسَلْبِ مُلْكِه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ أي: على سَريرِهِ ﴿جَسَدًا﴾ وفيه قولان[١]:

أحدهما: أنه شيطانٌ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهورُ. وفي اسم ذلك الشيطانِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: صخرٌ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وذكر العلماء أنه كان شيطاناً مَريداً لم يُسَخَّرْ لِسُليمانَ. **والثاني**: آصَفُ، قاله مُجاهِدٌ: إلاَّ أنه ليس بالمُؤمِنِ الذي عندَهُ الاسمُ الأعظَمُ، إلاَّ أنَّ بعضَ ناقِلِي التفسير حكى أنه آصَفُ الذي عندَهُ عِلْمٌ مِنَ الكتابِ، وأنه لمَّا فُتِنَ سُليمانُ سَقطَ الخاتَمُ مِنْ يدِه فلم يَثْبُتْ، فقال آصَفُ: أنا أقومُ مقامَكَ إلى أنْ يتوبَ اللَّهُ عليكَ، فقامَ في مقامِه، وسارَ بالسِّيرةِ الجميلةِ، وهذا لا يَصِحُّ، ولا ذَكَرهُ مَنْ يوثَق به. **والثالث**: حبقيق، قاله السُّدِّيُّ؛ والمعنى: أجْلَسْنا على كُرسِيِّهِ في مُلْكِه شيطاناً. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رَجَع: وفيما رَجعَ إليه قولان: **أحدهما**: تابَ مِنْ ذَنْبِه، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: رَجَع إلى مُلْكِه، قاله الضَّحَّاكُ. وفي سببِ ابتلاء سليمان بهذا خمسة أقوال[٢]: **أحدها**: أنه كانت له امرأةٌ يُقال لها: جَرادَة، فكان بين بعضِ أهلِها وبين قوم خُصومَةٌ، فقضى بينهم بالحقِّ، إلاَّ أنه وَدَّ أنَّ الحقَّ كان لأهلِها، فعُوقِبَ حينَ لم يكن هَواهُ فيهم واحِداً، وأوحى اللَّهُ تعالى إليه أنه سيُصيبُكَ بلاءٌ، فكان لا يدري أيَأتيه مِنَ السماء، أو مِنَ الأرض، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ زوجتَهُ جَرادَةَ كانت آثَرَ النِّساءِ عندَهُ، فقالت له يوماً: إنَّ أخي بينه وبينَ فُلانٍ خُصومةٌ، وإنِّي أُحِبُّ أنْ تَقْضِيَ له، فقال: نعم، ولم يفعَلْ، فابتُلِيَ لأجلِ ما قال، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنَّ زوجتَهُ **جَرادَةَ** كان قد سَباها في غَزاةٍ له، وكانت بِنتَ مَلِكٍ فأسلَمَتْ، وكانت تبكي عنده بالليلِ والنهارِ، فسألها عن حالِها، فقالت: أذْكُرُ أبي وما كنتُ فيه، فلو أنَّكَ أمَرْتَ الشياطين فصَوَّروا صورَتَهُ في داري فأتسلَّى بها، ففعلَ، فكانت إذا خرجَ سُليمانُ، تَسجدُ له هي وولائِدُها أربعينَ صباحاً، فلمَّا عَلِمَ سليمانُ، كَسَرَ تلك الصورةَ، وعاقبَ المرأةَ وولائِدَها ثم تَضرَّعَ إلى الله تعالى مُستغفراً ممَّا كان في دارِه، فسُلِّطَ الشيطانُ على خاتَمِه، هذا قولُ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ[٣]. **والرابع**: أنه احتَجَبَ عن الناس ثلاثةَ أيَّام، فأوحى اللَّهُ تعالى إليه: يا سُليمانُ، احتَجَبْتَ عن الناسِ ثلاثةَ أيَّام فلم تنظُرْ في أُمورِ عبادي ولم تُنْصِفْ مظلوماً مِنْ ظالِمٍ؟! فسَلَّطَ الشيطانَ على خاتَمِهِ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والخامس**: أنه قارَبَ امرأةً مِنْ نسائِه في الحَيْضِ أو غيرِه، قاله الحَسنُ[٤].

والقول الثاني: أنَّ المراد بالجَسدِ الذي أُلقِيَ على كُرسيِّهِ: أنه وُلِدَ له وَلدٌ فاجتمعت الشياطينُ، فقال بعضُهم لبعضٍ: إنْ عاشَ له وَلدٌ، لم نَنفكَّ مِنَ البلاءِ، فسَبيلُنا أنْ نَقتُلَ وَلدَهُ أو نَخبِلَه، فعَلِمَ بذلك

---

(١) قال أبو حيان في «البحر المحيط»: نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد، أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها، وهي إما من وضع اليهود، أو الزنادقة، ولم يبين الله الفتنة ولا الجسد الذي ألقاه، ويستحيل عقلاً تمثل الشيطان بصورة نبي، فلو أمكن ذلك لم يوثق بإرسال نبي، وإنما هذه المقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية اهـ. ولو لم يذكر المصنف مثل هذا لكان أولى.

(٢) هذه الأقوال جميعاً من الإسرائيليات. وقال الحافظ ابن كثير ٤/ ٤٤: في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب.

(٣) عامة روايات وهب إسرائيلية.

(٤) هذا من الإسرائيليات الباطلة، وهذا القول أنكر الأقوال لما فيه من النيل من كرامة الأنبياء عليه السلام.

سليمانُ، فأمَرَ السَّحابَ فحَملَهُ، وغَدَا ابنه في السَّحابِ خوفاً مِنَ الشياطين، فعاتَبَهُ الحقُّ تعالى على تخوُّفِه مِنَ الشياطين، وماتَ الوَلَدُ، فأُلقِيَ على كُرسيِّه ميتاً جَسَداً، قاله الشَّعْبيُّ(١). والمُفسِّرون على القولِ الأولِ. ونحنُ نذكُر قِصَّةَ ابتلائِه على قولِ الجمهورِ.

الإشارةُ إلى ذلك

اختلف العلماء في كيفيَّةِ ذهابِ خاتَمِ سُليمانَ على قولين: **أحدهما**: أنه كان جالساً على شاطئ البحر، فوقعَ منه في البحر، قاله عليٌّ رضيَ الله عنه. **والثاني**: أنَّ شيطاناً أخذَهُ، وفي كيفيَّة ذلك أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه دخل ذاتَ يوم الحَمَّامَ ووضعَ الخاتمَ تحت فِراشِه، فجاء الشيطانُ فأخَذَهُ وألقَاهُ في البحر، وجعل الشيطانُ يقول: أناَ نبيُّ الله، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثاني**: أنَّ سليمانَ قال للشيطان: كيف تَفْتِنون النَّاسَ؟ قال: أرِني خاتمَكَ أُخبِرْكَ، فأعطاه إيَّاهُ فنبَذَهُ في البحر فذهب مُلكُ سُليمانَ وقَعدَ الشيطان على كُرسيِّهِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه دَخلَ الحَمَّامَ ووضع خاتَمَهُ عند أوثَقِ نسائِه في نَفْسِه، فأتاها الشيطان فتمثَّل لها في صورة سُليمانَ وأخَذَ الخاتَمَ منها، فلمَّا خرج سُليمانُ طلَبَهُ منها فقالت: قد دَفعتُه إليكَ، فهَربَ سليمانُ وجاء الشيطانُ فجَلسَ على مُلكِه. قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنه دَخلَ الحمَّامَ وأعطى الشيطانَ خاتَمَهُ، فألقَاهُ الشيطانُ في البحر فذهب مُلكُ سُليمانَ وأُلقِيَ على الشيطان شِبْهُه قاله قَتادَةُ.

فأمَّا قِصَّةُ الشيطان، فذَكرَ أكثرُ المفسِّرين أنه لمَّا أخذَ الخاتَمَ رمى به في البحر، وأُلقِيَ عليه شبهُ سليمانَ، فجلس على كُرسيِّهِ، وتحكَّم في سُلطانه. وقال السُّدِّيُّ: لم يُلْقِه في البحر حتى فَرَّ مِنْ مكان سُليمانَ. وهل كان يأتي نساءَ سُليمانَ؟ فيه قولان(٢): **أحدهما**: أنه لم يَقدِرْ عليهنَّ، قاله الحَسنُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه كان يأتيهنَّ في زمنِ الحَيْضِ، فأنكَرْنَه، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ؛ والأولُ أصحُّ. قالوا: وكان يقضي بقضايا فاسدةٍ، ويحكمُ بما لا يجوز، فأنكرَهُ بَنو إسرائيلَ، فقال بعضُهم لبعضٍ: إمَّا أنْ تكونوا قد هَلَكتُم أنتم، وإمَّا أنْ يكونَ مَلِكُكم قد هَلَكَ، فاذهَبوا إلى نسائِه فاسألوهُنَّ، فذَهبوا، فقُلْنَ: إنَّا واللَّهِ قد أنْكَرْناهُ؛ فلم يَزلْ على حالِه إلى أنِ انقضَى زمنُ البلاءِ.

وفي كيفيَّة بُعْدِ الشيطان عن مكان سُليمانَ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ سُليمانَ وجد خاتمَهُ فتَختَّم به، ثم جاء فأخذَ بناصيةِ الشيطان، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثاني**: أنَّ سُليمانَ لمَّا رَجَع إلى مُلكِه وجاءَتْهُ الرِّيحُ والطَّيرُ والشياطين، فَرَّ الشيطانُ حتى دخل البحرَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه لمَّا مضى أربعون

---

(١) هذه الآثار من سخافات الإسرائيليين.

(٢) هذا وأمثاله من الإسرائيليات الباطلة المزورة، قبح الله واضعه، والعجب أن بعض المفسرين يذكر مثل هذه الأخبار دون أن يبين بطلانها.
قال الآلوسي: ومن أقبح ما في هذه الأخبار متسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطأهن وهنّ حيّض الله أكبر!! هذا بهتان عظيم، وخطب جسيم اهـ ملخصاً، راجع روح المعاني ٢٣/ ١٩٩.
ـ وقال ابن كثير ٤/ ٤٤: إن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة التفسير أن ذلك الجني لم يسلّط على نساء سليمان، بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيه، قال: وقد رويت هذه القصة عن جماعة من السلف، ثم قال: وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب اهـ.

يوماً، طارَ الشيطانُ مِنْ مجلِسِه، قاله وَهْبٌ. **والرابع**: أنَّ بَني إسرائيلَ لمَّا أنكروه، أتَوْهُ فأحدَقُوا به، ثم نَشَروا التَّوراةَ فقرؤوا فطارَ مِنْ بين أيديهِم حتى ذهبَ إلى البحر، فوقعَ الخاتمُ منه في البحر فابتَلَعهُ حوتٌ، قاله السُّدِّيُّ. وفي قَدْرِ مُكْثِ الشيطان قولان: **أحدهما**: أربعون يوماً، قاله الأكثرون. **والثاني**: أربعةَ عشرَ يوماً، حكاه الثَّعلَبيُّ.

وأمَّا قصةُ سُليمانَ عليه السلام، فإنه لمَّا سُلِبَ خاتمَهُ، ذهب مُلْكُهُ، فانطلق هارباً في الأرض، قال مُجاهِدٌ: كان يَسْتَطْعِمُ فلا يُطْعَم، فيقول: لو عَرَفْتُموني أعطَيتُموني، أنا سُليمانُ، فيَطردونَهُ، حتى أعطَتْهُ امرأةٌ حوتاً، فوجدَ خاتمَهُ في بطنِ الحُوتِ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: انطلَقَ سليمانُ حتى أتى ساحلَ البحر، فوجدَ صيَّادِين قد صادوا سمكاً كثيراً وقد أنتَنَ عليهم بعضُه، فأتاهم يَسْتَطعِمُ، فقالوا: اذهبْ إلى تلك الحِيْتان فخُذْ منها، فقال: لا، أَطْعِمُوني مِنْ هذا، فأبَوا عليه، فقال: أَطْعِموني، فإنِّي سُليمانُ، فوَثبَ إليه رجُلٌ منهم فضَربَهُ بالعصا غَضَباً لسُليمانَ، فأتى تلك الحِيتانَ فأخذَ منها شيئاً، فشقَّ بطنَ حوتٍ، فإذا هو بالخاتَم. وقال الحسَنُ: ذُكِرَ لي أنه لم يُؤْوِه أحدٌ مِنَ الناس، ولم يُعْرَفْ أربعينَ ليلةً، وكان يأوِي إلى امرأةٍ مَسكينةٍ، فبَيْنا هو يوماً على شطِّ نهرٍ، وجدَ سمكةً، فأتى بها المرأةَ فشقَّتها فإذا بالخاتَم. وقال الضَّحَّاكُ: اشترى سمكةً مِن امرأةٍ فشَقَّ بطنَها فوجدَ خاتمَهُ. وفي المدَّةِ التي سُلِبَ فيها المُلْكَ قولان: **أحدهما**: أربعون ليلةً، كما ذكرنا عن الحسَنِ. **والثاني**: خمسون ليلةً، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

قال المُفسِّرون: فلمَّا جعل الخاتَمَ في يدِه، رَدَّ اللَّهُ عليه بهاءَه ومُلْكَهُ، فأظلَّته الطَّيرُ، وأقبلَ لا يستقبله جِنيٌّ ولا طائرٌ ولا حجرٌ ولا شجرٌ إلاّ سجدَ له، حتى انتهى إلى منزلِهِ، قال السُّدِّيُّ: ثم أرسلَ إلى الشيطان، فجيءَ به، فأمَرَ به فجُعِلَ في صندوقٍ مِنْ حديدٍ، ثم أطبقَ عليه وأُقفِلَ، وخَتَمَ عليه بخاتَمِهِ، ثم أمَرَ به فأُلقِيَ في البحر، فهو فيه إلى أنْ تقومَ الساعةُ. وقال وَهْبٌ: جابَّ صخرةً فأدخلَهُ فيها، ثم أوثَقها بالحديدِ والرَّصاصِ، ثم قَذفَهُ في البحرِ.

قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فتَحَ الياءَ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وفيه قولان: **أحدهما**: لا يكونُ لأحدٍ بعدي، قاله مُقاتِلٌ، وأبو عُبيدَةَ.

[١٢٢١] وقد أخرجَ البُخاريُّ ومُسلمٌ في الصَّحيحين مِنْ حديث أبي هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ عِفرِيتاً مِنَ الجِنِّ تَفلَّتَ عليَّ البارحةَ ليَقْطَعَ عَلَيَّ صلاتي، فأمكَنَني اللَّهُ منه، فأَخَذتُهُ، فأردتُ أنْ أربِطَهُ إلى ساريةٍ مِنْ سَواري المسجدِ حتى تنظُروا إليه كلُّكُم، فذَكَرتُ دَعوةَ أخي سُليمانَ: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فرَدَدْتُه خاسئاً».

والثاني: لا ينبغي لأحدٍ أنْ يسلُبَهُ مِنّي في حياتي، كما فَعلَ الشيطانُ الذي جلس على كُرسيِّهِ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. وإنما طلب هذا المُلكَ، ليعلمَ أنه قد غُفِرَ له، ويَعرِفَ منزلَتَهُ بإجابةِ دَعوتِه، قاله الضَّحَّاكُ. ولم يكن في مُلْكِه حين دَعا بهذا الرِّيحُ ولا الشياطينُ.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو جعفرَ، وأبو المُتوكِّلِ: «الرِّياح» على الجمع.

[١٢٢١] صحيح. أخرجه البخاري ٤٦١ ومسلم ٥٤١ وأحمد ٢/٢٩٨ والنسائي في «التفسير» ٤٦٠ والبغوي في «شرح السنة» ٧٤٧ وابن حبان ٦٤١٩ والبيهقي ٢/٢١٩ كلهم من حديث أبي هريرة.

قوله تعالى: ﴿رُخَآءً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُطِيعة، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها الطَّيِّبةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: اللَّيِّنةُ، مأخوذٌ مِنَ الرَّخاوَةِ، قاله اللُّغويُّون. فإنْ قيلَ: كيف وَصَفها بهذا بعدَ أنْ وَصَفها في سُورةِ الأنبِياء[1] بأنَّها عاصِفَةٌ؟ فالجواب: أنَّ المُفسِّرين قالوا: كان يأمُرُ العاصِفَ تارَةً ويأمرُ الرُّخاء أُخرى. وقال ابنُ قُتيبة: كأنَّها كانت تشتدُّ إذا أراد، وتلين إذا أراد.

قوله تعالى: ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾ أي: حيثُ قَصدَ وأراد. قال الأصْمَعيُّ: تقول العرب: أصابَ فُلانٌ الصَّوابَ فأخطأَ الجوابَ، أي: أراد الصَّوابَ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: وسَخَّرْنا له الشياطينَ ﴿كُلَّ بَنَّآءٖ﴾ يَبنُونَ له ما يشاء ﴿وَغَوَّاصٖ﴾ يَغُوصون له في البحار فيَستخرجون الدُّرَّ، ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ أي: وسَخَّرْنا له آخَرينَ، وهم مَرَدَةُ الشياطين، سَخَّرَهم له حتى قَرَنَهُم في الأصفَادِ لِكُفرهِم، قال مُقاتِلٌ: أوثَقَهم في الحديدِ. وقد شَرحنا معنى ﴿مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ في سورةِ نبيِّ اللَّهِ إبراهيم[2] عليه السلامُ. ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ المعنى: قُلنا له: هذا عطاؤنا. وفي المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه جميعُ ما أُعطِيَ، ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ أي: أَعْطِ مَنْ شئتَ مِنَ المال، وامْنَعْ مَنْ شِئتَ. والمَنُّ: الإحسانُ إلى مَنْ لا يُطلَبُ ثوابُه. **والثاني**: أنه إشارةٌ إلى الشياطين المُسَخَّرين له؛ فالمعنى: فامْنُنْ على مَنْ شِئتَ بإطلاقِه، وأَمْسِكْ مَنْ شِئتَ منهم. وقد رُوي معنى القولَين عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ قال الحسَنُ: لا تَبِعَةَ عليكَ في الدُّنيا ولا في الآخرة. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: ليس عليكَ حِسابٌ يومَ القيامة. وقيلَ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: هذا عطاؤنا بغيرِ حسابٍ فامْنُنْ أو أمسِكْ.

وما بعدَ هذا قد سبقَ تفسيرُه[3] إلى قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ وذلك أنَّ الشيطانَ سُلِّطَ عليه، فأضافَ ما أصابَهُ إليه. قوله تعالى: ﴿بِنُصۡبٖ﴾ قرأ الأكثرون بضمِّ النُّونِ وسكونِ الصاد؛ وقرأ الحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وابنُ السَّمَيفَع، والجَحْدَريُّ، ويعقوبُ: بفتحِهِما، وهل بينهما فَرقٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما سواءٌ، قال الفَرَّاءُ: هما كالرُّشْد والرَّشَد والعُدْم، والعَدَم، والحُزْن والحَزَن، وكذلك قال ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ. وقال المُفسِّرون: والمراد بالنُّصْبِ: الضُّرُّ الذي أصابَهُ. **والثاني**: أنَّ النُّصْبَ بتسكين الصاد: الشَّرُّ. وبتحريكِها: الإعيَاءُ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقرأتْ عائشةُ، ومُجاهِدٌ، وأبو عِمْرانَ، وأبو جعفرَ، وشَيبَةُ، وأبو عُمارَةَ عن حَفْصٍ: «بنُصُب» بضمِّ النُّون والصاد جميعاً. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَميُّ، وأبو الجَوزَاءِ، وهُبَيرَةُ بنُ حَفْصٍ: «بنَصْب» بفتحِ النون وسكونِ الصاد. وفي المراد بالعذاب قولان: **أحدهما**: أنه العذابُ الذي أصابَ جَسدَهُ. **والثاني**: أنه أخْذُ مالِه ووَلَدِه وأهلِه.

قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ﴾ أي: اضْرِبِ الأرضَ ﴿بِرِجۡلِكَ﴾، ومنه: رَكَضْتُ الفَرَسَ، فرَكَضَ فنَبَعتْ عَيْنُ ماءٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المُغْتَسَلُ: الماءُ، وهو الغَسُولُ أيضاً. قال الحسَنُ: رَكَضَ برِجْلِه فنَبَعتْ عَيْنٌ فاغتَسَلَ منها، ثم مشى نحواً مِنْ أربعين ذِراعاً، ثم رَكَضَ برِجْلِه

---

(١) الأنبياء: ٨١. (٢) إبراهيم: ٤٩.

(٣) سبأ: ٣٧، الرعد: ٢٩، الأنبياء: ٨٣.

فنَبعث عَينٌ فشرِبَ منها؛ وعلى هذا جمهورُ العلماء أنه رَكَض رَكضَتَين فنَبَعث له عَينانِ، فاغتَسلَ مِنْ واحدةٍ، وشَرِبَ مِنَ الأُخرى.

قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ كان قد حَلَفَ لَئِنْ شَفاهُ اللّهُ لَيَجلِدَنَّ زوجتَه مائةَ جَلْدَةٍ.

وفي سببِ هذه اليَمينِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ إبليسَ جَلَسَ في طريق زوجةِ أيُّوبَ كأنه طبيبٌ، فقالت له: يا عبدَ اللّهِ، إنَّ ها هنا إنساناً مُبتَلَىً، فهل لكَ أنْ تُداويَهُ؟ قال: نعم، إنْ شاءَ شفيتُهُ، على أنْ يقولَ إذا بَرَأَ: أنتَ شفيتَني، فجاءَتْ فأخبرَتْهُ، فقال: ذاكَ الشيطانُ، لِلّهِ عَلَيَّ إنْ شَفَاني أنْ أجْلِدَكِ مائةَ جَلْدَةٍ، رواه يوسفُ بنُ مِهْرانَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ إبليسَ لَقِيَها فقال: إنِّي أنا الذي فَعلتُ بأيُوبَ ما به، وأنا إلَهُ الأرض، وما أخَذْتُه منه فهو بيدي، فانطَلِقي أُرِيكِ، فمشى بها غيرَ بعيدٍ، ثم سَحَرَ بَصَرَها، فأراها وادياً عميقاً فيه أهلُها ووَلَدُها ومالُها، فأتَتْ أيُّوبَ فأخبرَتْه، فقال: ذاكَ الشيطانُ، وَيْحَكِ كيف وَعَى قولَه سَمْعُكِ، واللّهِ لَئِنْ شفانِيَ اللّهُ عزَّ وجلَّ لأجْلِدَنَّكَ مائةً، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنَّ إبليسَ جاء إلى زوجتِه بسَخْلَةٍ، فقال: لِيَذْبحْ لي هذه وقد بَرأَ فأخبرَتْهُ فحَلَفَ لَيَجْلِدَنَّها، وقد ذكرنا هذا القولَ في سُورةِ الأنبياء عن الحسَنِ. فأمَّا الضِّغْثُ، فقال الفَرَّاءُ: هو كُلُّ ما جَمَعتَه مِنْ شيءٍ مِثْلِ الحُزمَةِ الرَّطْبة، قال: وما قام على ساقٍ واستطالَ ثم جَمَعتَه، فهو ضِغْثٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هو الحُزمَةُ مِنَ الخِلالِ والعِيْدانِ. قال الزَّجَّاجُ: هو الحُزْمَةُ مِنَ الحَشيشِ والرَّيحان وما أشبهَهُ. قال المُفسِّرون: جزى اللّهُ زوجتَه بحُسْنِ صَبرِها أنْ أفتاهُ في ضَرْبِها فسَهَّلَ الأمرَ، فجمعَ لها مائةَ عودٍ، وقيل: مائةَ سُنبلَةٍ، وقيل: كانت أسَلاً، وقيل: مِنَ الإذْخِرِ، وقيل: كانت شَمارِيخَ، فضَرَبها بها ضربةً واحدةً ولم يَحْنَثْ في يمينِه. وهل ذلك خاصٌّ له، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ، وبه قال ابنُ عباسٍ، وعطاءُ بنُ أبي رَباحٍ وابن أبي ليلى. **والثاني**: أنه خاصٌّ لأيُوبَ، قاله مُجاهِدٌ.

فصل: وقد اختلفَ الفقهاءُ فيمَنْ حَلَفَ أنْ يَضرِبَ عبدَهُ عشرةَ أسواطٍ فجَمَعها كلَّها وضرَبَهُ بها ضربةً واحدةً، فقال مالكٌ، واللَّيْثُ بنُ سعدٍ: لا يَبَرُّ، وبه قال أصحابنا. وقال أبو حَنيفَةَ والشَّافعيُّ: إذا أصابه في الضَّربةِ الواحدةِ كلُّ واحدٍ منها، فقد بَرَّ واحتَجُّوا بعموم قصَّة أيُّوبَ عليه الصلاةُ والسلامُ.

---

(١) هذه الأقوال باطلة، والخبر بطوله من الإسرائيليات. وقال ابن العربي: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين الأولى قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر﴾ الأنبياء: ٨٣ والثانية في صٓ: ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «نبيا أيوب يغتسل إذ خرّ عليه رجل من جراد من ذهب» الحديث ـ أخرجه البخاري ٢٧٩ و ٣٣٩٣ وغيره من حديث أبي هريرة.
وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً. وفي «الصحيح» واللفظ للبخاري أن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين! تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه محضاً لم يُشَب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب؛ فقالوا: ﴿هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ ولا ينهاكم عما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم، وقد أنكر النبي ﷺ في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ أي: على البلاءِ الذي ابتَلَيناهُ به.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وحُمَيدٌ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ كَثيرٍ: «عبدَنا» إشارة إلى إبراهيمَ، وجعلوا إسحاقَ ويعقوبَ عطفاً عليه، لأنه الأصلُ وهما وَلَدَاه، والمعنى: اذْكُرْ صبْرَهم، فإبراهيمُ أُلقِيَ في النَّارِ، وإسحاقُ أُضجِعَ للذَّبح، ويعقوبُ صَبَرَ على ذهابِ بَصرِه وابتُلِيَ بفقْدِ وَلَدِه؛ ولم يُذْكَرْ إسماعيلُ معهم، لأنه لم يُبْتَلَ كما ابتُلوا. ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ يعني القوَّة في الطَّاعَةِ ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ البَصائرُ في الدِّينِ والعِلْم. قال ابنُ جَريرٍ: وذِكْرُ الأيدي مَثَلٌ، وذلك لأنَّ باليدِ البَطشُ، وبالبَطشِ تُعرَفُ قُوَّة القويِّ، فلذلك قيلَ للقويِّ: ذُو يَدٍ؛ وعَنَى بالبَصرِ: بَصرَ القلبِ، وبه تُنالُ معرفةُ الأشياء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «أُولي الأيدِ» بغيرِ ياءٍ في الحالَين. قال الفَرَّاءُ: ولها وَجْهانِ: **أحدهما**: أنْ يكونَ القارئُ لهذا أراد الأيدي، فحذف الياءَ، وهو صوابٌ، مثل الجَوارِ والمُنادِ. **والثاني**: أنْ يكونَ مِنَ القُوَّة والتأييد، مِنْ قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(١). قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ أي: اصطَفيناهم وجعلناهم لنا خالِصينَ، فأفرَدناهم بمُفردَةٍ مِنْ خِصالِ الخير؛ ثم أبَانَ عنها بقوله تعالى: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾. وفي المُراد بالدَّارِ ها هنا قولان: **أحدهما**: الآخِرةُ. **والثانية**: الجنَّةُ. وفي الذِّكرى قولان: **أحدهما**: أنها مِنَ الذِّكْرِ، فعَلَى هذا يكون المعنى: أَخْلَصْناهم بذِكْرِ الآخرة، فليس لهم ذِكْرٌ غيرها، قاله مُجاهِدٌ، وعطاءٌ، والسُّدِّيُّ. وكان الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ يقول: هو الخوفُ الدائمُ في القلب. **والثاني**: أنها التَّذكيرُ، فالمعنى أنهم يَدْعُون الناسَ إلى الآخرة وإلى عبادةِ الله تعالى، قاله قَتادةُ. وقرأ نافعٌ: «بخالِصةِ ذِكْرى الدَّارِ» فأضافَ «خالِصَة» إلى «ذِكْرَى الدَّار» قال أبو عليٍّ: تحتمل قراءةُ مَنْ نوَّن وَجهَين: **أحدهما**: أنْ تكونَ «ذكرى» بَدلا مِنْ «خالِصة»، والتقدير: أخلَصْناهم بذِكْرِ الدَّارِ. **والثاني**: أنْ يكونَ المعنى: أخلَصْناهم بأنْ يذكُروا الدَّارَ بالتَّأهُب للآخرة والزُّهدِ في الدنيا. ومَنْ أضافَ، فالمعنى: أخلَصْناهم بإخلاصِهم ذِكْرى الدَّارِ بالخوف منها. وقال ابنُ زيدٍ؛ أخلَصْناهم بأفضلَ ما في الجنَّةِ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ أي: مِنَ الذين اتَّخذَهُمُ الله صَفوَةً فصفَّاهم مِنَ الأدناس ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ الذين اختارَهم. ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ أي: اذْكُرْهم بفَضلِهم وصَبرِهم لِتَسلُكَ طريقَهم، والْيَسَعُ نبيٌّ، واسمُه أعجميٌّ مُعرَّبٌ، وقد ذكرناه في سُورةِ الأنعام(٢)، وشرحنا في سُورةِ الأنبياء(٣) قصَّةَ ذِي الكِفْلِ، وتكلَّمنا في سُورةِ البَقرة(٤) في اسمِ إسماعيلَ. وزعم مقاتل أن إسماعيل هذا ليس بابن إبراهيم.

---

(١) البقرة: ٧٨.
(٢) الأنعام: ٨٥.
(٣) الأنبياء: ٨٥.
(٤) البقرة: ١٢٥.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي: شرفٌ وثناءٌ جميلٌ يُذكرون به أبداً. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي: حُسنَ مَرْجِعٍ يَرجِعون إليه في الآخرة. ثم بيَّن ذلك المَرْجِعَ، فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ قال الفَرَّاءُ: إنما رُفِعَتْ «الأبوابُ» لأنَّ المعنى: مُفتَّحةً لهم أبوابُها، والعرب تجعلُ الألِفَ واللام خَلَفاً مِنَ الإضافة، فيقولون: مَررتُ على رَجُلٍ حَسَنِ العَيْنِ، قبيحِ الأنفِ، والمعنى: حَسَنةٍ عينُه، قبيحٍ أنفُه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[(١)] والمعنى: مأواه. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: مُفتَّحةً لهم الأبوابُ منها، فالألِفُ واللامُ للتعريفِ، لا للبَدَلِ. قال ابنُ جَرير: والفائدةُ في ذِكْرِ تفتح الأبوابِ، أنَّ الله تعالى أخبَرَ عنها أنَّ أبوابَها تُفتَحُ لهم بغيرِ فتحِ سُكَّانها لها بيَدٍ، ولكنْ بالأمرِ، قال الحَسَنُ: هي أبوابٌ تُكلَّم، فتُكلِّم: انفتِحي، انغلِقي.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قد مضى بيانُه في سُورةِ الصَّافَّات[(٢)]. قال الزَّجَّاجُ: والأَتْرَابُ: اللواتي أسنانُهُنَّ واحدةٌ وهنّ في غايةِ الشَّبابِ والحُسْنِ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ أبو عمروٍ، وابنُ كَثيرٍ بالياء، والباقون بالتاء.

قوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ اللامُ بمعنى «في». والنَّفَاد: الانقِطاعُ. قال السُّدِّيُّ: كلَّما أُخِذَ مِن رزقِ الجنَّةِ شيءٌ، عادَ مِثلُه.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ المعنى: هذا الذي ذكرناهُ ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾، ثم بيَّن ذلك بقوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ﴾ والمِهادُ: الفِراشُ. ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ قال الفَرَّاءُ: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُها: هذا حَميمٌ وغُسَّاقٌ فَلْيَذُوقُوه؛ وإنْ شِئتَ جعلتَ الحميمَ مُستأنَفاً، كأنَّكَ قُلتَ: هذا فلْيَذوقُوه، ثم قُلتَ: منه حَمِيمٌ، ومنه غسَّاقٌ، كقول الشاعر:

حَتَّى إذا ما أَضاءَ الصُّبْحُ في غَلَسٍ ... وغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ ومَحْصُودُ[(٣)]

فأمَّا الحَمِيمُ، فهو الماءُ الحارُّ. وأمَّا الغَسَّاقُ، ففيه لُغتان، قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفْصٌ: بالتشديد، وكذلك في ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، تابعَهم المُفضَّلُ في ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وقرأ الباقون بالتَّخفيفِ، وفي الغَسَّاقِ أربعةُ أقوالٍ[(٤)]: **أحدها**: أنه الزَّمهَرِيرُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

---

(١) النازعات: ٣٩. (٢) الصافات: ٤٨.

(٣) البيت من شواهد الفرّاء، وهو في «معاني القرآن»: ١٩٣.
وفي «اللسان»: الغلس: ظلام آخر الليل، واللّوِي: ما ذبل وجف من البقل.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٥٩٩: وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من =

وقال مُجاهِدٌ: الغَسَّاقُ لا يستطيعون أنْ يذُوقوه مِنْ بَردِه. **والثاني**: أنه ما يجري مِنْ صَديدِ أهلِ النَّارِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عَطِيَّةُ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنَّ الغَسَّاقَ: عَيْنٌ في جهنَّم تسيلُ إليها حُمَةُ كل ذاتِ حُمَةٍ مِنْ حَيَّةٍ أو عقربٍ أو غيرِها، فيَستَنقِعُ، فيُؤتَى بالآدَميِّ فيُغْمَسُ فيها غَمْسَةً، فيخرج وقد سَقَطَ جِلْدُه ولَحمُه عن العِظام، ويَجُرُّ لَحمَهُ جَرَّ الرَّجُل ثوبه، قاله كَعبٌ. **والرابع**: أنه ما يَسيلُ مِنْ دُموعِهم، قاله السُّدِّيُّ. قال أبو عُبيدَةَ: الغَسَّاقُ: ما سَالَ، يُقال: غَسَقَت العَينُ والجُرحُ. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللُّغوي عن ابنِ قُتَيبَة قال: لم يكُنْ أبو عُبيدَةَ يذهب إلى أنَّ في القرآن شيئاً مِنْ غيرِ لغة العرب، وكان يقول: هو اتِّفاقٌ يقع بين اللُّغتين، وكان غيرُه يزعمُ أنَّ الغَسَّاقَ: البارِدُ المُنْتِنُ بلسانِ التُّركِ. وقيلَ: فَعَّال، مِنْ غَسَقَ يَغْسِقُ؛ فعَلَى هذا يكون عربيّاً، وقيلَ في معناه: إنه الشديدُ البَرْدِ، يُحرِق مِنْ بَرْدِه. وقيل: هو ما يَسيلُ مِنْ جُلودِ أهلِ النَّارِ مِنَ الصَّديدِ.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ﴾ قرأ أبو عمرٍو والمُفَضَّلُ: «وأُخَرُ» بضمِّ الهمزة مِنْ غيرِ مَدٍّ. فجَمَعا لأَجْلِ نَعتِه بالأزواج، وهي جمعٌ. وقرأ الباقون بفتح الألف ومدِّهِ على التوحيدِ، واحتَجُّوا بأنَّ العرب تَنعتُ الاسمَ إذا كان فعلاً بالقليل والكثير؛ قال الفَرَّاءُ: تقول: عذابُ فلانٍ ضُروبٌ شتَّى، وضَرْبانِ مُختلفانِ؛ وإنْ شِئتَ جعلتَ الأزواجَ نَعتاً للحَميم والغَسَّاقِ والآخَرِ، فهُنَّ ثلاثةٌ، والأشبَهُ أنْ تجعلَهُ صفةً لواحدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «وآخرُ» بالمدِّ فالمعنى: وعذابٌ آخرُ ﴿مِن شَكْلِهِۦ﴾ أي: مِثْلِ الأوَّلِ. ومَنْ قرأ: «وأُخَرُ» فالمعنى: وأنواعٌ أُخَرُ، لأنَّ قولَه: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ بمعنى أنواعٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «مِنْ شَكْلِهِ» أي مِنْ نَحْوِهِ، «أزْوَاجٌ» أي أصنافٌ. وقال ابنُ جَريرٍ: «مِنْ شَكْلِهِ» أي: مِنْ نَحْوِ الحَميم: قال ابنُ مسعودٍ في قوله: «وآخرُ مِنْ شَكْلِهِ»: هو الزَّمهريرُ. وقال الحسَنُ: لمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى العذابَ الذي يكون في الدنيا قال: «وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ» أي وآخَرُ لم يُرَ في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ هذا قولُ الزَّبانِيَة للقَادَةِ المُتقدِّمين في الكُفرِ إذا جاؤوهُم بالأتباعِ. وقيلَ: بل هو قولُ الملائكة لأهلِ النَّارِ كلَّما جاؤوهم بأُمَّةٍ بعدَ أُمَّةٍ. والفَوجُ: الجماعةُ مِنَ الناس وجَمعُهُ: أفواجٌ. والمُقْتَحِمُ: الدَّاخِلُ في الشيء رَمياً بنفسِه. قال ابنُ السَّائبِ: إنهم يُضْرَبون بالمَقامِعِ، فيُلْقُونَ أنفُسَهم في النارِ ويَثِبُون فيها خوفاً مِنْ تلك المَقامِعِ. فلمَّا قالت الملائكةُ ذلك لأهلِ النارِ، قالوا: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْۚ﴾، فاتَّصلَ الكلامُ كأنه قولٌ واحدٌ، وإنما الأولُ مِنْ قولِ الملائكة، والثاني مِنْ قولِ أهلِ النارِ؛ وقد بَيَّنَّا مِثْلَ هذا في قوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾[1]. والرَّحْبُ والرُّحْبُ: السَّعَةُ. والمعنى: لا اتَّسَعَتْ بهم مساكِنُهم. قال أبو عُبيدَةَ: تقول العربُ للرجل: لا مَرحباً بكَ أي: لا رَحُبَتْ عليكَ الأرضُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: معنى قولِهم: «مَرحباً وأهلاً» أي: أتيتَ رحباً أي: سَعَةً، وأهْلاً أي: أتيتَ أهلاً لا غُرباءَ فائنِسْ ولا تَستَوحِشْ، وسَهْلاً، أي: أتيتَ سَهْلاً لا حَزْناً، وهو في مذهبِ الدُّعاء، كما تقول: لَقِيتَ خَيراً. قال الزَّجَّاجُ: و «مَرحباً» منصوبٌ بقوله: رَحُبَتْ بلادُكَ مَرْحَباً، وصادَفْتَ مَرْحَباً، فأُدْخِلَتْ «لا» على ذلك المعنى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ أي: دَاخِلُوها كما دَخلْناها ومُقاسُونَ حَرَّها. فأجابَهُم القومُ،

= صديدهم، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق، وإن كان للآخر وجه صحة.

(١) يوسف: ٥٢.

فـ ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ إن قلنا: إن هذا قول الأتباع للرؤساء فالمعنى: أنتم زينتم لنا الكفر، وإنْ قُلنا: إنه قولُ الأمَةِ المُتأخرةِ للأمَةِ المُتقدِّمةِ، فالمعنى: أنتم شَرَّعتُم لنا الكُفر وبدأتُم به قَبْلَنا، فدَخلتُم النّارَ قبلَنا ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي: بِئْسَ المُسْتَقَرُّ والمَنزِلُ. ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: مَنْ سَنَّه وشَرَّعَهُ ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ وقد شَرحناه في الأعراف[1]. وفي القائلين لهذا قولان: **أحدهما**: أنه قولُ جميع أهلِ النّارِ، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثاني**: قولُ الأتباعِ. قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني أهلَ النّارِ ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ قال المُفسِّرون: إذا دَخلوا النّارَ، نَظَروا فلم يَرَوْا مَنْ كان يُخالِفُهم مِنَ المؤمنين، فيقولون ذلك. قال مُجاهِدٌ: يقول أبو جَهلٍ في النّارِ: أينَ صُهَيبٌ، أين عمّارٌ، أين خَبّابٌ، أين بِلالٌ؟!

قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «مِنَ الأشرار اتَّخذْناهم» بالوَصْلِ على الخبرِ، أي: إنّا اتَّخذْناهُم، وهؤلاءِ يَبتَدِئون بكسرِ الهمزة. وقرأ الباقون بقَطْعِ الألفِ وفَتْحِها على معنى الاستفهام، وهؤلاءِ يَبتَدِئون بفتحِ الهمزة. وقال الفَرّاءُ: وهذا استفهامٌ بمعنى التعجُّبِ والتَّوبيخِ، والمعنى أنهم يُوبِّخون أنفُسَهم على ما صَنعوا بالمؤمنين. و «سخريًا» يُقرأ بضمِّ السين وكسرِها. وقد شرحناها في آخرِ سُورةِ المؤمنون[2] ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: وهم مَعَنا في النّارِ ولا نَراهُم؟! وقال أبو عُبيدَةَ: «أمْ» هاهنا بمعنى «بَلْ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: إنَّ الذي وَصَفْناه عنهم لَحَقٌّ، ثم بَيَّن ما هو، فقال: هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو الشَّعثاءِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تَخاصُمَ» برفعِ الصاد وفتحِ الميمِ، وكسرِ اللام مِنْ «أهلِ». وقرأ أبو مِجلَزٍ، وأبو العاليةِ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيفع: «تَخاصَمَ أهلُ» بفتحِ الصاد والميم ورفعِ اللام.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ النَّبأُ: الخَبَرُ. وفي المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه القرآنُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهور. **والثاني**: أنه البَعثُ بعد الموت، قاله قَتادةُ. ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي:

(١) الأعراف: ٣٨.
(٢) المؤمنون: ١١٠.

لا تَتَفكَّرون فيه فتَعلمونَ صِدْقي في نُبوَّتي، وأنَّ ما جِئتُ به مِنَ الأخبار عن قَصَصِ الماضِين لم أعْلَمْه إلاَّ بوحي مِنَ الله تعالى. ويدلُّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ﴾ يعني الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأنِ آدمَ حينَ قالَ الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١) والمعني: إنِّي ما عَلِمْتُ هذا إلاَّ بوَحْي، ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: ما يُوحَى إليَّ ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا نَذِيرٌ﴾ أي: إلاَّ أنّي نبيٌّ أُنذِركُم وأُبيِّنُ لكم ما تأتُونَهُ وتَجْتَنِبُونه. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ هذا مُتَّصلٌ بقوله: «يختصمونَ» وإنما اعترَضَتْ تلك الآيةُ بينهما. قال ابنُ عباسٍ: اختَصَموا حين شُووِرُوا في خَلْقِ آدمَ، فقال الله تعالى لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وهذه الخُصومةُ منهم إنَّما كانت مُناظَرةً بينهم. وفي مُناظَرتِهم قولان: **أحدهما**: أنه قولُهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾(٢)، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم قالوا: لن يَخْلُقَ الله خَلْقاً إلاَّ كُنَّا أكرمَ منه وأعْلَمَ، قاله الحَسَنُ؛ هذا قولُ أكثرِ المُفسِّرين.

[١٢٢٢] وقد رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «رأيتُ ربِّي عزَّ وجلَّ، فقالَ لي: فِيمَ يختَصِمُ المَلأُ

[١٢٢٢] صحيح بمجموع طرقه وشواهده. رجاله ثقات معروفون، لكن عبد الرحمن بن عائش مختلف في صحبته، والراجح أنه تابعي، وقد نفى البخاري صحبته ويدل عليه كونه رواه بواسطة عن معاذ كما سيأتي، فالإسناد ضعيف لإرساله، لكن ورد موصولاً، وله شواهد. أخرجه الدارمي ٢/١٢٦ وابن خزيمة في «التوحيد» ٢١٥ ـ ٢١٦ والحاكم ١/ ٥٢٠ ـ ٥٢١ والآجري في «الشريعة» ١٠٥٥ من طرق عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر به. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد ٤/٦٦ من هذا الوجه عن عبد الرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/١٧٦ ـ ١٧٧ وقال: رجاله ثقات اهـ. وجهالة الصحابي لا تضر. وأخرجه الترمذي ٣٢٣٥ والحاكم ١/ ٢١ من حديث عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ مرفوعاً. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: حسن صحيح. وورد من حديث ابن عباس. وأخرجه ابن خزيمة ص ٢١٧ والآجري في «الشريعة» ١٠٥٤ من طريق أيوب عن أبي قلابة عن خالد بن الجلاح عن ابن عباس، ورجاله ثقات. وورد من حديث ثوبان أخرجه البزار ٢١٢٩ وفيه أبو يحيى الراوي عن أبي أسماء الرحبي لا يعرف قال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٧٨ وأخرجه البزار من وجه آخر عن ابن عمرو، وفيه سعيد بن سنان واهٍ. وورد من حديث أبي أمامة أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ٧/ ١٧٨ وفيه ليث بن أبي سليم غير قوي. وللحديث شواهد أخرى، وإن كانت ضعيفة، إلا أنها تتقوى بمجموعها، والله أعلم. الخلاصة: هو حديث حسن صحيح كما قال البخاري، والله أعلم.

واللفظ عند الترمذي، عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي، عن مالك بن يخامر السككي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ غداةٍ عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوّب بالصلاة، فصلّى رسول الله ﷺ وتجوّز في صلاته فلما سلّم دعا بصوته قال لنا على مصافّكم كما أنتم ثم انفتل إلينا ثم قال: «أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدّر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، قالها ثلاثاً، قال فرأيته وضع كفه بين كتفيّ حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلّى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربي، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفّارات، قال: ما هنّ؟ قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات، قال: فيم، قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام قال: سل، قال: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب =

---

(١) البقرة: ٣٠. (٢) البقرة: ٣٠.

الأعلى؟ قلتُ: أنتَ أعلَمُ يا ربِّ، قال: في الكفَّاراتِ والدَّرجاتِ، فأمَّا الكفَّاراتُ، فإسباغُ الوضوءِ في السَّبَراتِ، ونقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ، وانتِظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ. وأمَّا الدَّرجاتُ فإفشاءُ السَّلامِ، وإطعامُ الطَّعامِ، والصَّلاةُ باللَّيلِ والنَّاسُ نِيَامٌ».

قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي: أَسْتَكبَرتَ بنفسِكَ حين أبيْتَ السُّجودَ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي: مِنْ قوم يتكبَّرون؟! قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي: مَرْجومٌ بالذَّمِّ واللَّعْنِ. قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ وهو وَقتُ النَّفخةِ الأولى، وهو حينَ موتِ الخلائقِ. وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ يمينٌ بمعنى: فوَعِزَّتِكَ. وما أَخلَلْنا به في هذه القصَّةِ فهو مذكورٌ في الأعرافِ(١) والحِجْرِ(٢) وغيرِهما مما تقدَّمَ. قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ قرأ عاصِمٌ إلاّ حَسْنونَ عن هُبيرةَ، وحمزةُ، وخَلَفٌ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «فالحقُّ» بالرفعِ في الأولِ ونَصبِ الثاني، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ. ومُجاهِدٍ، قال ابنُ عباسٍ في معناه: فأنَا الحقُّ وأقولُ الحَقَّ؛ وقال غيرُه: خبَرُ الحقِّ محذوفٌ، تقديره: الحَقُّ مِنِّي. وقرأ مَحبُوبٌ عن أبي عمرٍو بالرفع فيهما؛ قال الزَّجَّاجُ: مَنْ رَفَعهما جميعاً، كان المعنى: فأنا الحَقُّ والحَقُّ أقولُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ: بالنَّصبِ فيهما. قال الفَرَّاءُ: وهو على معنى قولِكَ: حَقّاً لآتيَنَّكَ، ووجُودُ الألِفِ واللامِ وطَرْحهما سواءٌ، وهو بمنزلةِ قولِكَ: حمداً لله، وقال مكّيُّ بنُ أبي طالبٍ: انتصبَ الحقُّ الأولُ على الإغراءِ، أي: اتَّبعُوا الحَقَّ واسمَعوا والزَموا الحَقَّ. وقيلَ: هو نَصبٌ على القَسَمِ، كما تقول: الله لأفعَلَنَّ، فتَنْصِبُ حينَ حذفتَ الجارَّ، لأنَّ تقديره وبالحَقِّ؛ وأمَّا الحَقُّ الثاني، فيَجوز أنْ يكونَ الأولَ، وكرَّرهُ توكيداً، ويجوز أنْ يكونَ منصوباً بـ «أقولُ» كأنه قال: وأقولُ الحقَّ. وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وأبو رَجاءٍ، ومعاذٌ القارئُ، والأعمَشُ: «فالحَقِّ» بكسرِ القاف «والحَقَّ» بنَصْبِها. وقرأ أبو عِمْرانَ الجوني بكسرِ القافَيْنِ. جميعاً. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو نَهِيكٍ: «فالحَقَّ» بالنَّصبِ «والحَقُّ» بالرفعِ.

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ أي مِنْ نَفسِكَ وذُرِّيَّتِكَ. ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي على تبليغ الوَحْيِ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي لم أتكَلَّفْ إتيانَكُم مِنْ قِبَلِ نَفسِي إنَّما أُمِرتُ أنْ آتيَكُم، ولم أَقُلِ القرآنَ مِنْ تِلْقاءِ نَفسِي إنَّما أوحِيَ إليَّ. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما هو، يعني القرآنَ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي مَوعِظةٌ ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يا معاشِرَ الكُفَّارِ ﴿نَبَأَهُۥ﴾ أي خَبرَ صِدْقِ القرآنِ ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بعدَ المَوتِ. **والثاني**: يومَ القيامةِ، رُويا عن ابنِ عباسٍ، وبالأولِ يقول قَتادةُ، وبالثاني يقول عِكرمَةُ(٣). **والثالث**: يومَ بَدرٍ، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. وقال ابنُ السَّائبِ: مَنْ بقيَ إلى أنْ ظَهرَ أمرُ رسولِ الله ﷺ عَلِمَ ذلك، ومَنْ ماتَ عَلِمَهُ بعدَ الموتِ. وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخَةٌ بآيَةِ السَّيفِ، ولا وَجْهَ لذلك.

= المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، أسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله ﷺ: إنها حَق فادرسوها ثم تعلّموها».

---

(١) الأعراف: ١٢. (٢) الحجر: ٣٤.
(٣) قال ابن كثير ٤/ ٥٣: ولا منافاة بين القولين، فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة، قال: وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ قال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.